الكتاب الأول

ماجد الغرباوي

أنسنة التراث وعقلنة النص الديني

تقديم الأستاذ الدكتور
عبد الجبار الرفاعي

إعداد الأستاذ الباحث
موراد غريبي




ماجد الغرباوي

أنسنة التراث وعقلنة النص الديني/1

ماجد الغرباوي

أنسنة التراث وعقلنة النص الديني

تقديم الأستاذ الدكتور عبد الجبار الرفاعي

إعداد الأستاذ الباحث موراد غريبي

الكتاب الاول





اسم الكتاب: ماجد الغرباوى أنسنة التراث وعقلنة النص الدينى 1
إعداد الأستاذ موراد غريبى
القياس: 17 × 24سم
عدد الصفحات: 618 صفحة

الطبعة الاولى

1446 هـ ـ 2024 م
ISBN: 978-614-441-464-4

اصدار مؤسسة المثقف العربي - استراليا
نشر وتوزيع
شركة العارف للأعمال ش. م. م

العارف للمطبوعات
بيروت ـ لبنان
00961 78 988 839
العراق
00964 78 26593032
00964 780 409 4020

WWW. ALAREF. NET

Email: alareflb@gmail.com

المشاركون في الكتاب الأول

شـهـادات

مـقـالات

شكر وعرفان

بقلم: ماجد الغرباوي

وأنا أقرأ ما تضمنه الكتاب من شهادات ومقالات وقراءات نقدية ودراسات علمية، شعرت بخطورة الكلمة، وثقل المسؤولية، عندما يتناول الباحث قضايا إشكالية ترتبط بالدين والتراث والتجديد والنهضة والتسامح والعنف. والأخطر المقاربات النقدية التي تطال النسق العقدي، ويقينيات العقل الدوغمائي. فثمة رصد يلاحق كل ما ينشره أو يتحدث به الكاتب، تمهّد له سهولة المتابعة عبر توفر الكتاب ووسائل الاتصال الحديثة. القراءات النقدية تستفز القارئ، وقد تطيح بآراء الكاتب ما لم يكن واثقاً من أدواته وأدلته وبراهينه ومنهجه وإحالاته. وبالتالي الكتابة تحت مجهر النقد وإن طال الزمن، والباحث مسؤول عن كلامه وآرائه، فقد تمكث طويلا إذ نجحت في مقاومة التحديات النقدية وقد تتلاشى وتموت كغيرها من التجارب الكتابية.

أيضاً شعرت خلال متابعة القراءة بدفء محبة المشاركين، وإخلاصهم وشجاعتهم وصدق لهجتهم، وهم يدلون بشهاداتهم حول منجز وسيرة المحتفى به. مفكرون، باحثون، أكاديميون، مثقفون وأدباء، من السيدات والسادة، لهم مكانتهم ومنجزاتهم الفكرية والثقافية والأدبية. لبعضهم صفة التميّز من خلال مشاريعهم، وثقلهم الفكري، وقوة حضورهم وتألقهم. مشاعر نقية، شعرت معها بعجز أبجديتي عن تقديم ما يليق بهم من كلمات الشكر والعرفان والتقدير. فتحية زاكية للأقلام النيّرة التي ساهمت في صدور كتاب التكريم بجزأيه، تقديرا لأكثر من نصف قرن من العمل السياسي والفكري والثقافي والغربة والاضطهاد والحرمان، والأكثر قساوة ما تعرّض له الكاتب من قبل الاستبدادين الديني والسياسي والاتجاه الدوغمائي عموما. أساليب عدوانية مختلفة، عالجتها بالحكمة والتروي ومواصلة الكتابة. بيد أن السعادة الأكبر صدى مشروعك في نفوس شخصيات لها وزنها الفلسفي والفكري والثقافي عبّرت

عنه بمشاركات نقدية جادة في كتاب التكريم لمناسبة بلوغ المحتفى به السبعين سنة من عمره (1954-2024م). إنها شهادات كبيرة تبعث على الفخر والاعتزاز.

لا تعني المشاركة مطلق التماهي مع مشروع الباحث ومبادئه. أو إمضاء لجميع آرائه ومعتقداته، فهذا مستبعد جدا، بل أن المشاركة بذاتها احترام وتكريم قبل كل شيء. وتعبير صادق عن التعاطف مع منطلقات المشروع الفكري التنويري من حيث المبدأ. فتجد طيفاً من الكتابات حافلاً بالنقد والمراجعة وطرح الأسئلة والاستفهامات، بما فيها بعض الشهادات، مما يؤكد موضوعيتها وسلامتها من النفاق والمجاملات الفاقعة. فالكتاب بات مرجعاً، لدراسة المشروع الفكري التنويري للمُحتفى به لمن يود ذلك. بحوث علمية، ودراسات أكاديمية، تعددت فيها الآراء، ووجهات النظر، وقد شملت جميع كتبي وأعمالي تقريباً. فيصدق أن الكتاب مسح نقدي ودراسات موضوعية حول المنجز الفكري – الفلسفي للمحتفى به. إن تناول منجزي بهذا القدر من المشاركات، يؤكد مرونته وخصوبته التي سمحت بمراجعته نقدياً، ويؤكد قدرته على التصدي والثبات أمام التحديات المعرفية النقدية. ولكن أيضا للمستقبل تحدياته في ظل تطور علمي وأكاديمي مضطرد. وتبقى الأجيال القادمة هي الحاكمة.

ليس ماجد الغرباوي سوى منجزه الفكري الذي ارتكز إلى العقلانية في نقده للتراث ومرجعيات التفكير الديني. وكان العقل رائده وهو يسعى الى تحريره من بنيته الأسطورية والخرافية، وإعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة. وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، ومن خلال قراءة متجددة للنص تقوم على النقد والمراجعة المستمرة، من أجل فهم متجدد للدين، كشرط أساس لأي نهوض حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة والعقلانية، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتنابذ والاحتراب. هذه هي معالم مشروعه منذ قرابة خمس وثلاثين سنة أو أكثر.

***

يولد الفرد في بيئة تملي عليه مزيجاً من عادات وتقاليد وأعراف وفنون وآداب وحكايات، ومشاعر دينية وطائفية وقومية وعنصرية، ترسو في لا وعيه إبّان مرحلة

التلقي الأولى. وتفرضُ عليه نسقاً ثقافيا يوجّه وعيه ويضبط سلوكه، مهما كانت مساحة اللامعقول والخرافة فيه، فيجد نفسه منقادا لها لا إرادياً. فهو ينتمي إلى ثقافة يحرص الجميع على تمثّلها والتمسك بها، لتفادي أي تهميش يفقده ذاته ومصداقيته. فلا يعي بمرور الأيام إلا أنها تمثل هويته ومسار انتمائه ومصدر قوته فيقبع في داخلها، حداً يكون الإفلات من سجونها أشبه بالمستحيل، ما لم تنقلب لديه آفاق الوعي، ويتمتع بإرادة يتحدى بها المألوف من أنماط الوعي السائد. وهذا لا يتأتى بسهولة، وأغلب مجتمعاتنا يحكمها نظام أبوي صارم، يمنح الأب سلطة مطلقة. ويعني استبداد الأب ارتكازه للقوة في تسوية الأمور، واحتكامه لقيم الذكورة في نظرته للمجتمع. وبالتالي ينحدر المحتفى به، أسوة بغيره، من مجتمع محافظ مغلق على عادته وتقاليده، مجتمع أبوي، يحسبُ القتل والاضطهاد شجاعة وبأساً ووساماً. يرفع من مكانة شيخ العشيرة ويحط من قيمة الفرد. مجتمع يستخف بالإنسان، يعامل المرأة بدونية. يقمع الأنثى، ويصادر حقوقها. يسحق الفقير، ويهدر كرامة الضعيف. وليس عنف السلطة أقل وحشية، بل هي أشرس وأعنف. كل هذا وغيره قد ترسّب في أخاديد الذاكرة، وإن لم يدرك حجم تداعياتها في مراحل حياته الأولى، لكن بلا ريب تؤثر في لا وعيه ومواقفه لاحقاً. فالماضي يؤثر في الحاضر كما يذهب لذلك فرويد. لكن الوعي يبقى رائدا في مسيرتي، وله قصته ومراحله. أكتفي بلمحة عن مراحل وعي الخطاب الديني كمَعلَم رئيس في شخصيتي ومنجزي ومسيرتي الطويلة:

أقتصر وعي الخطاب الديني في مرحلة التكوين على التلقي والانبهار والدهشة. تلقٍ بسيط، لا يشوبه شك. امتد من بوادر الوعي حتى نضوج العقل نسبيا. وإذا كانت ثمة دلالة في هذه المرحلة فتقصر على بارقة الذكاء من خلال أسئلة فتى بسيط، قد تتفجر مستقبلا أو تخبو. تلاحق بعض الظواهر، أو تحلق أبعد من السماء بأسئلة ميتافيزيقية، ضمن أسئلة الوجود الكبرى، وما يخص خالق الكون بالذات، حتى تخيلت إحدى المرات أن السماء ستسقط عليّ غضبا وانتقاما، فهربت إلى مخدعي، لاستعادة وعي، وعلامات استفهامات أهلي تلاحقني لشدة ارتباكي وأنا مازلت شابا صغيرا لم أبلغ الحلم!!!.

ثم ذات الإصـــغاء والتلقي وما رفدني به قراءاتي وتجربتي الحياتية فيما بعد، كل هذا تحول بدوره إلى مرجعية تفرض محدداتها. وهو أمر طبيعي يمر به كل شـــخص. والفارق في قدرة الفرد على مغادرة المألوف وطرح الأسـئلة، وهو أمر صـعب لرسـوخ المقولات العقدية مبكرا في أعماق البنية المعرفية، فيتعذر نقدها لعدم وجود مقولات ســـابقة عليها، وفقا لنظام المعرفة البشـــرية. وكان محفز الوعي في بداياته محفزا أيديولوجيا.

وعندما لا حت الشكوك في أفق اليقين، سيما اليقين السلبي، بدأ التساؤل يرسم علامات استفهام. فكان خروجي من أجواء الإسلام السياسي والأيديولوجي مبكرا إيذانا بأفول مرحلة التكوين. لتبدأ مرحلة الاســـتنارة العقلية التي دشـــنتها بمحاكمة التراث ومراجعة نقدية للفكر الديني. وكان العقل مرجعيتي، سواء كان مستقلا أو من خلال تراكم معرفي نقدي. وظل مرجعيتي في مقاربة الخطاب الديني، بل وصـار يتقدم على النص. ثم بدأ يتبلور لـديَّ جهاز مفاهيمي جديد، سمح بتقديم قراءة مغايرة للنص المقدّس. ومن الطبيعي أن تقتصـــر قراءاتي في مرحلة ما بعد التكوين المرجعي، على التراث العقلي والإنســـاني بدءا من المعتزلة، وامتداداتها، بعيدا عن الأشـــاعرة ومقولاتها. وقد تعززت قدرة العقل على النقد والاســتنارة العقلانية من خلال قراءات متواصــلة، فكرية وفلسـفية ونقدية. بهذا الشــكل بدأت تحل ممكنات العقل النقدي الحداثي المستنير محل تابوهات العقل التراثي. وبشـكل أدق: يبقى العقل مرجعيتي في وعي الخطاب الديني في ضــوء رؤيتي للعالم، بمفاهيم مغايره للنســق العقدي المألوف، وتفســـير مختلف لمصـــفوفة مفاهيم عقدية. كما أن جميع قراءتي العقلية والفلســـفية والنقدية، شكّلت تراكما مرجعيا لفهم الخطاب الديني والواقع. ولو لخصت مشاغلي الفكرية فأنا مشـغول دائما بسـؤال الحقيقة، أطارده من قضـية إلى أخرى، ومن نص إلى غيره. ويبدو أنها مهمة لا تنتهي أبدا. لست بصدد سرد لحياتي ومسيرتي الفكرية سوى معالم الوعي. فالمشكلة الأساسية بالنسبة لنا وعلى جميع الأصعدة هي مسألة وعي. وكان وراء تطور الوعي قضـــايا ذاتية، فأنا مســـكون بالأســـئلة وملاحقة الاستفهامات. وقضـايا موضـوعية، ترتبط بنوع القراءة، والانفتاح الفكري والفلسـفي،

وعدم الجمود على الموروث الثقافي والديني. وأيضا للأحداث والتجارب الحياتية دورها في تطوير الوعي، وهي مسيرة طويلة، مشبعة بالأحداث السياسية وغيرها.

للأسف لا أجيد الحديث عن الذات بما يُشبع نهم السائل، والمتابع المتلهف، وأفشل في تسويق نفسي، وما زلت أعتقد أن منجز الإنسان كفيل بتحديد أبعاد شخصيته، وإلا تبقى العناوين ادعاءات فارغة بلا مصاديق، مهما كان حجمها. لذا دائما أترك القارئ يشكّل انطباعه من خلال أعمالي ومشاريعي. ومن يطالع منجز ماجد الغرباوي ستتضح صورة صاحب القلم: أبعاد شخصيته، طريقة تفكيره، أهدافه. شخص طموح، ويجيد رسم علامات الاستفهام، يبحث عن الحقيقة بلا هوادة، يطاردها في كل مكان. اتسمت بحوثه بالجرأة والعقلانية والمشاكسة. أنا شخص مسكون بالأسئلة منذ طفولتي، أمارس النقد بأوسع أبوابه، لا أخشى الممنوع، والمتستر عليه، أتوغل عميقا، وأعتبر كل شي أمامي قابل للنقد، لا فرق عندي بين المقدس وغيره، ما دام التقديس ظاهرة بشرية، كرّسته سلطة رجل الدين والسياسية. كنت دائم النقاش مع أصدقائي وزملائي خلال سنوات الدراسة الطويلة، حول شرعية السائد والمتعارف، والراسخ تقليدا في وعي الناس. وكنت أعبر عن آرائي بشكل وآخر، رغم أنها مغامرة في الأجواء المغلقة، خاصة الأجواء التي تعتمد الأيديولوجيا ركيزة لتثبيت سلطتها، دينية كانت أو سياسية. نعم لا أبوح بالخطير منها الا لعدد محدود جدا، تارة يكون واحدا فقط. كانت وما زالت تستفزني المظاهر، فأتأمل باحثا عن خلفياتها، وأسبابها الحقيقية، بهذا الشكل تراكم لدي الوعي وما زلت أبحث عن الحقيقة، ولن أتوقف، ولن أدعي الكمال، وليست لدي نهائيات، فكل شيء قابل للمراجعة والنقد بشكل مستمر. وآرائي هي وجهات نظر، قد أتخلى عنها مستقبلا عندما أكتشف خطأها.

لم أجمد على أي فكرة أو نظرية، لذا يتهمُني بعضهم بالانحراف الفكري والعقيدي، لكن لا أُبالي، ما زلت أنشد الحقيقة، وأعتقد أن الجمود الفكري صفة الحجر، والإنسان كائن مفكر ذو عقل. وليس ثبات الناس على ذات الرؤى دليل استنارتهم، بل دليلا على بساطتهم وخمول وعيهم وتعصبهم. كنت وما زلت دائم البحث عن الحقيقة، متى وجدتها أتمسك بها ما دامت تستوفي شرطها العلمي.

ومستعد للتراجع عن أي مبنى فكري أو عقيدي إذا اكتشفت خطأه. لذا لا أقتصر في قراءاتي على وجهة نظر واحدة بل أقرأ للمعارض أيضا بكل تجرد، ثم أعمل عقلي لمحاكمة كلا الطرفين. لست أيديولوجيا، بعد أن تحررت من سطوتها بمعاناة طويلة، ولا متعصباً، وأرتبط بصداقات مع مختلف الانتماءات السياسية والدينية والمذهبية، صداقات قائمة على التسامح الديني والثقافي والاعتراف بالآخر، اعتز بها واحترمها جدا. ولي في صحيفة المثقف شاهد، حيث غدت مساحة لتلاقي الأفكار المختلفة والمتقاطعة بكل احترام وتقدير، بل وليس هناك سيادة لأي لون من التفكير، وما يكتب في المثقف من نقد فكري وغيره لا يكتب في أي موقع موضوعي إلا نادرا. فلا حدود لحرية الفكر في المثقف سوى حريته.

قدري أن أولَدَ أكثر من مرة، وأعيش أكثر من حياة. صَنَعتني الأسئلة وارتقى الشك بتفكيري وتأملي النقدي عالياً. وسأبقى أواصل ما استطعت من مشاريعي. أتعهد بنقد مسلماتي ومراجعة يقينياتي والإطاحة بأوثاني. وهكذا في دوامة النقد والمراجعة لا أركن لليقين مادام اليقين خدعة نفسية. وسأبقى وفياً لسؤال الحقيقة، أتعهده وأجدُّ في مقاربته، لا أنتظر ثناء ولا تبجيلا، ولا أتنازل عن قناعاتي بلا دليل علمي، مهما قاطعوني، أو حاربوني. وإذا دل الدليل أتراجع عن قناعتي وأقول ذلك علناً. فأنا لست معصوما ولا أدعي امتلاك الحقيقة.

***

أعود لأتقدم بجزيل الشكر والامتنان لجميع المشاركين من السيدات والسادة في كتاب التكريم. أحبة غمروني بلطفهم واحترامهم وتقديرهم. وأشكر كل الجهود الطيبة التي بذلت جهودا كبيرة في إعداد ملف التكريم، سيما أسرة تحرير المثقف، والأخ الأستاذ موراد غريب صاحب المبادرة الكريمة.

ماجد الغرباوي

سيدني – أستراليا

2024/8/1م

القسم الأول

شـــهـادات

ماجد الغرباوي
عبور الطوائف والأيديولوجيات
(تقديم الكتاب الأول)

بقلم: ا.د. عبد الجبار الرفاعي[1]

ينتمي ماجد الغرباوي إلى زمان ثالث في الحوزة، تمثله جماعةٌ قليلة من طلاب علوم الدين العراقيين يمتلكون رؤيةً تجديدية. تميز هؤلاء بعدم ارتداء زي رجال الدين. لبث ماجد سنوات طويلة في الحوزة تلميذًا وأستاذًا ومؤلفًا، يرتدي اللباسَ الشائع اليوم "البنطلون والقميص والسترة". لم يتطلع ماجد وزملاؤه، ممن يوشكون مغادرةَ العقد السابع من أعمارهم، لشهاداتٍ تُمنح لهم، أو امتيازات مالية، أو مقامات دينية، لبث كلٌّ منهم يحلم بتأهيلٍ رصين في الفقه وأصوله ومعارف الدين المدروسة في الحوزة. وذلك ما دعاهم للدراسة بعزيمةٍ وإرادة صلبة وصبر طويل، ومثابرة استثنائية، لا تفرط بأية ساعةٍ منذ الفجر حتى منتصف الليل، ينفقونها في الدراسة والمباحثة "المدارسة" بين زملاء الحلقة المدرسية، ثم التدريس، ولاحقًا التأليف.

في محاولةٍ أولية لمواكبة إعادة بناء علوم الدين ونظام التعليم الديني في الحوزة، يمكن رصدُ ثلاثة أزمنة منذ حركة المشروطة، ورائدها محمد كاظم المعروف بالآخوند

---

1 – مفكر عراقي متخصص في الفلسفة وعلوم الدين، وأحد مؤسسي علم الكلام الجديد وفلسفة الدين. دكتوراه في الفلسفة الإسلامية بامتياز عام ٢٠٠٥م، رئيس تحرير مجلة قضايا إسلامية معاصرة المتخصصة في فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد، منذ إصدارها سنة ١٩٩٧م، صدر منها حتى اليوم ثمانون عددًا، ورئيس مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد. وهو عضو المجمع العلمي العراقي، وأستاذ دراسات عليا لفلسفة الدين وعلم الكلام الجديد وعلوم الدين في جامعة الأديان والمذاهب.

الخراساني (1255 ـ 1329 هـ / 1839 ـ 1911م) وتلميذه محمد حسين النائيني (1276هــ – 1355 هــ الموافق 1860م – 1936م)، إلى نهاية العقدين الأول والثاني في القرن الميلادي الجديد. هذه الأزمنة تتسلسل كالآتي: يبدأ الزمانُ الأول برؤيةٍ إحيائية، والزمان الثاني برؤيةٍ إصلاحية، والزمان الثالث برؤيةٍ تجديدية. يمتدّ كلُّ زمانٍ عدةَ عقود، وتتعاقب عليه أكثرُ من مرحلةٍ عمرية، وينظر لهذه الرؤى بعضُ الطلاب والأساتذة في الحوزة بارتياب، وتلاحق رجالَ هذه الأزمنة الثلاثة الشائعاتُ والأكاذيب حتى في قبورهم. يتداخل الزمانانُ الإحيائي والإصلاحي بنحوٍ يصعب فيه التمييزُ بينهما أحيانًا، وتنفرد الرؤيةُ التجديدية للزمان الثالث بعودتها لعلم الكلام وعلم أصول الفقه وعلوم القرآن والحديث، والعلوم المؤسِّسة للتراث الديني في الإسلام، وغربلتها وتمحيصها في ضوء الفلسفة وعلوم الإنسان والمجتمع الحديثة، ومتطلبات الواقع، ومحاولة اقتراح علوم دين تواكب إيقاعَ متطلبات روح المسلم وقلبه وضميره وعقله اليوم.

بوادر النواة الجنينية للرؤية التجديدية بدأتْ بنقدِ نظام التعليم الديني في الحوزة، قبل أربعين عامًا، لدى جماعةٍ صغيرة، تتحدّث همسًا في الحوزة، وأعلنتْ عن نفسها في نشرة: "الرأي الآخر"، صدر منها ثلاثةُ أعداد لتقف سنة ظهورها 1992، وفي سنة 1994 صدر العددُ الأول من مجلة "قضايا إسلامية"، وتوقفت سنة 1997 عندما تخلّى عنها مؤسُّسها ورئيسُ تحريرها: عبدالجبار الرفاعي، وآثر تأسيسَ مجلة قضايا إسلامية معاصرة في تلك السنة، وتحمّل وعائلتُه نفقاتِها المالية والإدارية والتحريرية، واتخذ منها منبرًا حرًّا عابرًا للطوائف والأيديولوجيات. التقتْ في أعدادها الأولى أصواتٌ إحيائية وإصلاحية وتجديدية، وسرعان ما أقلعت المجلةُ من مشاغل الإحياء ولإصلاح، وأصبحت صوتًا يختصّ برؤيته للتجديد، ويعمل على بناء أرضيةٍ معرفية لفلسفة الدين وعلم الكلام الجديد في المجال العربي. وأردف الرفاعي قضايا إسلامية معاصرة بتأسيس: "مركز دراسات فلسفة الدين ببغداد"، بعد عودته من المنفى مباشرة، ونشر المركزُ عدةَ سلاسل من الكتب، صدر منها حتى اليوم 300 كتاب، ومن المجلة ثمانون عددًا.

ماجد وأقلية من فقهاء عراقيين من جيله، لم ينشغلوا بالبحث عن إجازة اجتهاد، كما يفعل غيرُهم من زملاء معممين، كانوا شغوفين بالحصول على اعتراف أساتذتهم في البحث الخارج، ليمنحوهم تلك الإجازةَ قبل عودتهم إلى ديارهم. فرض ماجد وجيلُه على المنصِفين من الخبراء بالفقه وعلوم الدين الاعترافَ بتكوينهم اللافت في علوم الدين. لم يقتصر هؤلاء على تخصّصهم في علوم الدين، بل كانوا منهمكين بملاحقة المعطيات الجديدة في الفلسفة وعلوم الإنسان والمجتمع، وواكبوا التيارات المتنوعة في الفكر العربي والإيراني، وشكلوا تيارًا أفرادُه قليلون، إلا أنهم كانوا يمثلون صوتًا جديدًا في المحيط الحوزوي، لا أقول متمرّدا، بل كان صوتًا ليس مألوفًا. ظل هذا الصوتُ وفيًا للتراث، وإن كان هذا الوفاءُ من نوعٍ مختلف، وفاء من تشبّع بمناخات التراث، واستوعبه استيعابًا علميًا، بعد العيش في طبقاته سنوات طويلة، درسًا وتدريسًا، واستطاع بشجاعةٍ عبورَه، وهو يتحدث ويكتب عن عناصره الميتة المعبِّرة عن عصرها، وعناصره المميتة، مثل مقولات التكفير وفتاوي الارتداد، ومعاداة الإنسان المختلِف في المعتقَد.

تفرّد هذا الجيلُ بشجاعةٍ وحرية فكرية رحبة، وإعلانِ رؤيته للتجديد بصراحة، بلا مراوغةٍ وكلماتٍ زئبقية ملتبسة. دعا هذا الجيلُ لإعادة النظر في المقرّرات المتعارَفة للتعليم الديني مضمونًا وشكلًا، ونقد بوضوحٍ وجرأة طرائقَ التدريس التقليدية، وكيف يضيع فيها عمرُ التلميذ، وعدمَ الاكتراث بقيمة الزمن في الدراسة، وإهدارَ العمر على تفسير عبارات كتب غامضة مدونة بلغة مُلغِزة، تفتقر لأساليب البيان القديمة كنثر الجاحظ، والنثر الحديث كما في أدب نجيب محفوظ. يضيع في كلماتها من عمر التلميذ ثلاثُ سنوات على الأقل لدراسةِ كتاب واحد هو: "كفاية الأصول" للآخوند الخراساني مثلًا، وتفسيرِ كلماته وعباراته المبهمة، في حين يستطيع طالبٌ مجدّ دراسةَ هذا الكتاب واستيعابَ مباحثه في سنةٍ أو أقل، إن كان ما يضمّه من مباحث في علم الأصول مكتوبًا بلغةٍ واضحة. فضلا عن أن مباحثَ متنوعة في هذا الكتاب وأمثاله فائضةٌ عن الحاجة، ومباحثَ أهمّ غائبةٌ عنها.

تنوعت مسالكُ الرؤية للتجديد لدى ماجد وجماعته، أحدُهم يدعو لإعادة النظر في معتقداته الموروثة وتمحيصها في ضوء منطق التراث من جهة، فضلا عن

بحثها بوصفها مرآةً لواقعٍ عقائدي وثقافي وسياسي واقتصادي ومجتمعي تشكلت على وفق متطلباته من جهة ثانية، وآخر يدعو لإعادة بناء علم الكلام بوصفه يمثل نظريةَ المعرفة في الإسلام، وكلُّ بدايةٍ لا تبدأ ببناء نظرية المعرفة من جديد تخطئ الطريق، وثالث يدعو إلى غربلةٍ شاملة للتراث وتمحيصه، ورابع يدعو لتجديد مناهج الاستباط الفقهي، وهكذا كلٌّ منهم يفكر على شاكلته، ويرى رؤيتَه الخاصة للتجديد. كلٌّ منهم أصدر سلسلةَ مؤلفات يتحدّث فيها عن رؤيته لتجديد الفكر الديني في الإسلام، وأثارت هذه الكتبُ نقاشًا في الحوزة وخارجها، وحدث انقسامٌ حيالها وحيالَ كتّابها. لم يستطع أحدٌ منصفٌ نزعَ الانتماء الحوزوي والتنكر للتكوين العلمي الرصين لهولاء الكتّاب، ولا لتاريخهم الحوزوي الطويل، ولا التنكر لإيمانهم وتدينهم، وإن حدث انقسامٌ حول طريقةِ تفكيرهم الديني، وصراحتِهم في الحديث عما ينشدونه، بلغةٍ لا تتطابق مع ما هو متداوَل في الحوزة، ونقدِهم التراث والمناهج التقليدية في دراسته، والدعوة للخروج من آفاق التراث وأسسه المتجذّرة المبنية في القرون الأولى والمترسّخة في القرون التالية، والمرسومة تاريخيًا في حدود صارمة، لعلوم عديدة تتمثل في: علم الكلام، وأصول الفقه، ومناهج الاستنباط، وعلوم القرآن وقواعد التفسير، وعلوم الحديث والدراية.

في تسعينيات القرن الماضي التحقت مجموعةٌ من الشباب العراقيين بالتعليم الديني الحوزوي، لكن لم يجد أكثرُهم ذاتَه في علوم الدين، وغادر شبابٌ تحمسوا لرؤية التجديد مبكرًا بعد سنواتٍ قليلة، ولم يرابط منهم في الحوزة بصبرٍ وجَلَد إلا نوادر، ويمثل الرهانَ اليوم من هذا الجيل علي المدَن، الذي يمكث منذ ثلاثين عامًا تقريبًا في فضاء الحوزة.

ماجد الغرباوي صديق صدوق نادر، أنا محظوظٌ بهذه الأخوة الإيمانية والأخلاقية والمعرفية الأصيلة بيننا، لا شكّ أن هذه الأخوة استثناء من الصداقات الشائعة. أنا وماجد أصدقاء عمر، يقترب عمر صداقتنا من عمرنا الزمني، صداقة تناهز الستين عامًا، التقينا بتوفيقٍ إلهي في متوسطة قلعة سكر سنة 1968، ولم ينقطع حبلُ المودة بيننا. من النادر ألا تتصدع صداقةٌ تتواصل عشرات السنين بنمائم

تفسدها، ووشايات تعبث بها، ودسائس تنهكها، وطعن في الظهر يجرحها. كانت صداقتنا وستلبث منزهة من كل ما يفسدها ويعبث بها وينهكها ويجرحها.

ماجد إنسان أخلاقي وفيّ مهذب، قليل الكلام، إن تحدّث يتحدّث همسًا تكاد لا تسمعه، يمتلك ذكاءً حادًّا، تدهشك أسئلتُه اللاهوتية، أعترف أني مدينٌ لشيءٍ من هذه الأسئلة في إيقاظ السؤال اللاهوتي في وقتٍ مبكر في ذهني، وذلك ما أعلنتُه في إهداء كتاب مقدمة في السؤال اللاهوتي الجديد بالقول: "وتبقى هذه الأسئلة والرؤى مدينة الى ماجد الغرباوي، الذي اجتمعنا أنا وهو للمرة الأولى في الصف الأول في متوسطة قلعة سكر سنة ١٩٦٨، ثم التقينا ثانية في المنفى سنة ١٩٨٤ في حلقات دروس الحوزة العلمية، الى أن غامر بخوض عباب المحيط الهندي بمعية عائلته سنة ٢٠٠١، ليصل الى استراليا على ظهر سفينة متهالكة. كانت استفهامات ماجد وآراؤه الجريئة، التي ظل يكررها في حلقاتنا النقاشية، منهلًا لانبثاق شيء من السؤال اللاهوتي لدي".

كان ماجد الغرباوي مدينيًا، المرحوم والده من وجهاء قلعة سكر وتجارها، قلعة سكر قبل ستين عامًا تشبه مدينةً متحضرة، شوارعها معبّدةٌ نظيفة مضاءة، لا تشبه القريةَ بكثيرٍ مما نألفه نحن أبناءُ القرية الفقراء الحفاة، يتكلم أهلُ المدينة لهجةً كانت سائدةً في المدن العراقية، مفرداتُ لهجتنا في القرية غريبةٌ عليها مفرداتُ لهجتهم، كنتُ أخجل من لهجتي، وأخاف من انكشاف أمري بأني من القرية، وجوهُنا كالحة، وجوهُهم نَظِرة، يصفها أهلُنا بقولهم: "كأنها طماطم!"، ملابسُنا أسمال بالية متسخة، ملابسُهم نظيفة، لا نعرف ارتداءَ البنطلون والقميص، الزيّ الجديد المفروض علينا في المتوسطة، اعتدنا في القرية ومدرستها ارتداءَ الثوب المحلي الذي نسميه: "دشداشة". أتذكر الحزامَ الذي اشتراه أبي رحمه الله كان مخصّصًا للكبار، حين ألبس البنطلونَ مع هذا الحزام كنتُ أظهر بصورةٍ كاريكاتورية مضحكة، أمشي في شوارع المدينة وأنا مذعور. أبناء المدينة لا يتهيبون أو يخجلون مثلنا أبناء القرية، مجرد أن يسمع كلامَنا بعضُهم ويعرف أننا قرويون يرمينا بالحجارة، أو الطماطم التي يلتقطها من المياه الآسنة، أو غيرها من الأشياء المتعفنة، لحظةَ يهاجموننا سرعان ما نرتجف وننهزم. لم أرَ

ماجد يومًا يفعل شيئًا من هذا السلوك المستهجَن، لا أتذكر أنه سخر من زملائي أبناءِ القرية في المدرسة أو الشارع، بسبب لهجتنا أو لباسنا أو وجوهنا الشاحبة.

ماجد إنسانٌ ينحدر من أبوين مؤمنين نبيلين فاضلين، كنت وزملائي نتطلع بإعجابٍ لتهذيبه ولطفه ودفء شخصيته، ننظر إليه وكأنه معلمٌ وملهِمٌ أخلاقي لنا، على الرغم من أنه بعمرنا وزميلنا في الصف المدرسي ذاته. كنا معًا في دراسة الحوزة، ندرس الكتابَ نفسَه لدى الأستاذ نفسه، وهكذا تواصلت رحلتُنا المشتركة في دراسة علوم الدين. كنا نتحدث بلا حجبٍ وأسرار خاصة، ما في ذهني أقوله له، وهو يفعل ذلك، حتى هواجسي وآلامي ومواجعي الخاصة لا يعرفها إلا هو، ونعرف معًا ما نتمناه ونحلم به. بدأنا معًا، وسرنا معًا، وتكوّنًا معًا، وسنظلّ معًا إلى أن نرحل للقاءِ الله. لفرط رفقتنا ووثوق أخوتنا عندما نمشي في الشارع كان يظن بعضُ الناس أننا شقيقان.

أنا إنسانٌ أعيش بالمحبة، وأستثمر بالمحبة الأصيلة، محبتي لأخي الحبيب ماجد الغرباوي مُشبَعةٌ بالإيمان والصدق والاخلاص، إنها من أعذب منابع المعنى لحياتي. تزداد وحشةُ الحياة كلّما تقدّم عمرُ الإنسان، برحيلِ أكثر الأصدقاء الأوفياء للعالَمَ الآخر، وعزلةِ الشيخوخة لمن يتبقى منهم. الأمراض المزمنة تربض في الأبدان، ووهنُ الجسد لا يمكن الهروب منه. جوهر المحبة لا يمكن أن يستغني عنه الإنسانُ يومًا ما في مراحل حياته كلِّها. أحتاج محبة ماجد اليوم أشد مما كنت أحتاجها أمس. كلّما تقدّم عمرُ الإنسان احتاجَ كثيرًا لكلمةِ المحبة الصادقة، بوصفها تصنع السعادة، وتتغذى بها القلوب، وتبتهج بها الأرواح.

عبد الجبار الرفاعي، بغداد، ليلة الجمعة 6-6-2024.

مونولوج
ماجد الغرباوي وبشرى البستاني

بقلم: أ.د. بشرى البستاني[1]

كان ذلك قبل عقدين من الزمن، أكثر أو أقل لا أذكر، ما أعرفه أن الأمر لم يعد الآن مهما فهو يعرف أن مثل هذه الأمور لا تعنيني، أقول له ذلك فيبتسم عن بعدٍ قائلا، وأنا كذلك الا في التوثيق. أسأله وهل في حياتنا من توثيق على الإطلاق. ولكي ينهي مثل هذا الحوار يقول: أحيانا. ونصمت.

اليوم تفصل ما بيننا ظلال بعيدة لم يخطر ببالي أنها امتدت كل هذه السنين، فقد مرت بنا خلالها مصائب وفواجع وانكسارات، كان خلالها يعلمنا ألا نعيشها دفعة واحدة بل نبتلعها على وجبات أو جرعات أو ان استطعنا لقيمات..

من يعرف الأستاذ ماجد الغرباوي مدير مؤسسة المثقف العربي يدرك بأمانة أيَّ مثقف عراقي واسع الأفق صادق السلوك في التدين وفي التعامل مع الكتاب والمثقفين في عمله بإدارة مؤسسة المثقف، نزيه العلاقات في تعامله مع الجميع متواضع، وصبورحليم بسعة محبته وتأنيه وقدرته على خلق أجمل العلاقات مع كل مثقفي وكتاب المؤسسة، ومن فضائله التي يتسم بها على الدوام الصبر الجميل على المرض، على الشدائد، على الفقدان، والعودة لزملاء العمل بكل هدوء ورصانة وأمل بثواب الله.

في البداية كنت أخاف التعصب، التعصب الذي أضر بديننا الحنيف كثيرا، ولذا كنت أتعامل معه بحذر يهدف إلى الكشف عما وراء هذا الهدوء الرصين، وحالفتني

---

1 – شاعرة وناقدة وأكاديمية وصوت نسوي عراقي معروف.

الصــدفة بحلول (يوم القدس) واحتفالنا بذلك اليوم على المســتوى الإعلامي والوطني فأرسلت له فيروز

تغني (ياقدس ..) توجست خيفة أن تزعجه حرمة الأغاني لكنه أجابني بما كنت أنتظر، ولماذا لا نســمع الأغاني الرصــينة، الله ســبحانه خلق لنا العيون لنتأمل الجمال وخلق الأذن لنسمع الجمال وهكذا اللمس والشم والتذوق وخلق لنا نعما لا تعد ولا تحصى، وعلينا أن نمارسها لنشكره، ونحسن عبادته.

الآن أدرك أن ما أكده هيدجر حقيقة نعيشــها، إيجابيات الماضــي حاضــرة في ثنايا حياتنا وهي التي تشــكل رؤانا لمســتقبل نتوخاه ولإيقاعات جديدة، مســتقبل نتطلع لتحقيقه بآليات وتشكيلات عصرية وليس بالتشكيل الذي تحدده الطائفة أو العشيرة أو المذهب، فالإنسـانية فوق الجميع وقيمها المشـرعة على الخير والجمال هي المنتصرة في النهاية وهكذا كان..

عام 2008 أرسـل لي عميد كلية الآداب في جامعة جرش بعمان وكنا نلتقي في المربد ببغداد يخبرني أنه أرســـل لنا دعوة للتدريس في كلية الآداب بعمان حتى انتهاء الأزمة الطائفية في العراق وعودة الأخوة العراقيين جميعا لحضــن الوطن، وحينها ســارع رئيس جامعة الموصـــل مشـــكورا للموافقة وتزويدي بالكتاب الرسمي قائلا هذه محنة وستزول وتعودون لجامعتكم.

في حينها كتب لي الأسـتاذ الغرباوي، تعرفين يا بشـرى أن تطوير الذات والمجتمع يبدأ من الإرادة وها نحن نعيش هذه المرحلة أو المحنة بصــبر وإرادة، وســيكون الســفر فرصة للاطلاع وتطوير الذات والكتابة معا فالأدب صراع الذات الفردية المغتالة بقهر المجتمع وسـلبيات العصـر وأدوات رعبه القاسـية، وأمام هذه المرحلة القاسـية سيكتب الأديب مخلصــا لإبداعه، مجددا لأســاليبه وطرائق أدائه بتوجيه من العقل وحســاســية الأداء.

أســأله لكن الأدب يمكن أن يكون رعبا حينما تظل الورقة بيضــاء أمام عينيه لا يزخرفها الســواد، ويقول تلك قضـية أخرى، فقد تنهض التجربة بذاتها ويواصـل القلم زخرفة الصـــفحة البيضـــاء وقد تكبو التجربة فيدرك المبدع أن هذه التجربة قد ذوت

وتوقفت وغابت معالمها. يقول يحدث هذا عندكم في الأدب مرات حين يكون النص إبداعا، أما نحن فبعد التخطيط المنهجي وجمع المصـــادر وتأمل الأســـباب والحلول فحالة النكوص أقل مما لديكم.

قلت له في كل ثقافات الدنيا لا يكون الدين إلا جانبا روحيا وسـلوكيا مهما في الثقافة الكلية وممارسـات العقيدة للأمة إلا عندنا فإن الدين هو الذي يشـكل الثقافة كلها ويشكل القيم كلها، والسلوكيات الظاهرة للعيان فهو الماضي والحاضر والمستقبل هو الثقافة وهو العلم والطب والفلك وهو الاقتصاد والزراعة والصحة والأدوية ولذلك ظل مجتمعنا مقيداً بأطر حُشـر فيها الدين قسـرا فلا مجال في دينا للنقد الحر ولا أفق لطرح الآراء ولا محل لثقافة الاختلاف إنما الفضـــاء كله لذوي العمائم الذين غامت ألوانُ عمائمهم من عبور زمن قديم عليها متناســـين أن لكل زمن مشـــاكله وظروفه وحقوقه ولكل زمن دولة ورجال وأحكام وقوانين صالحة لمعالجة إشكاليات ذلك الزمن وأهله وان الحلول الجمعية لا يمكنها أن تصـــلح إشـــكاليات فردية أو تعمم عليها في وطن يموج بإشـكاليات شـتى وبمختلف الكوارث والمصـائب والمصـاعب والتناقضـات والاحتلالات مما يحتاج لاســـتجابة الحلول لأنواع المشـــاكل حيث لا يجدي توحيد الحلول أمـام اختلاف الإشـــكـاليـات ولا تجـدي حلول القرون الوســـطى لعلاج إشـكاليات عصـر مابعد الحداثة، فنحن شـئنا أم أبينا إنما نعيش زمننا عصـراً نكابد إشكالياته ونحتاج لحلول قادرة على معالجة معضـلاته، نعم سنضـحك يوما ما أو ربما سـتضـحك أجيالنا القادمة على ذلك التهافت الطائفي المشـين الذي قتل من أجله بعضنا بعضا على قضايا مضت من أربعة عشر قرناً والقرآن الكريم يقول وكأنه يخاطبنا نحن ((تلك أمة قد خلت لها ما كســبت ولكم ما كســبتم ولا تُســألون عما كانوا يعملون)) البقرة 134، بمعنى أن مـا جرى أمره لله، هو الـذي يحكم فيه، لأنه انتهى ومضـت أحداثه وانتهت نتائجه والعجب أننا اليوم غارقون بإشـكاليات شـتى نتركها ونقتتل لأحداث الماضي معتمدين على المرويات في التاريخ والتاريخ مؤدلج يكتبه ذوو المصـــالح والأدلجات الذين قُتل اخوتنا وأهلنا وجيراننا بســـببها وقد مرت قرون على حدوث معظمها لأسـباب زمنية لاعلاقة لنا بها ولم يســاهم أحد منا بأي حدث أو ســـبب فيها، فلماذا الاقتتال عليها، أليس الأجدى الن نلتفت لمشـــاكل واقعنا

ومعضلات شعبنا وعصرنا وإعمار وطننا بثرواتنا الوفيرة ومعالجة العدوانات الذي تحيق بنا من كل جانب، ونسعى لدراسة أسبابها والعمل على وضع الحلول الناجعة لها، وفي ذلك اليوم سندرك أننا كنا نقتل بعضنا بدل أن نلقي القبض على من أشاعوا الفتنة بيننا وحرقوا بيوتنا ومزقوا نسيج شعبنا الواحد ونستعيد منهم ماسرقوا من خيرات وطننا ونحاكم خطاياهم وما ارتكبوا فينا من جرم وآثام.

يقول بهدوئه المعتاد، كل ذلك كلام سليم لكنه التاريخ يستعيد بعض أحداثه أحيانا، والمغرضون الطغاة المنتفعون موجودون دوما، وعلى استعداد لإشعال الفتنة التي تخدم مصالحهم.

يوم قرأت كتابه الحواري عن قضايا المرأة في الإسلام، قلت له وهو الحواري المتفهم، أظننا كنا بحاجة لشجاعة أمضى في معالجة القضايا المطروحة، وما أظن أن القرآن الكريم طرح مصطلح التأويل أكثر من مرة إلا لحاجتنا إليه في جانب مهم من حياتنا ودراسة الآيات والأحكام عبر العصور التي امتلك رجال الدين تفسيرها وترسيم مراميها دون طرحها أمام إشكاليات عصرنا المستجدة، ليكون القرآن كما أكدت نصوصه الكريمة كتاب حياة وفعل وتطوير دائم للإنسانية المعذبة.

ويجيب بثقة وتفهم، سيكون ذلك وسترين لكنه لن يكون إلا بثمن، والثمن لا يدفعه أحد غيرنا؛ لأننا وشعبنا أولى بحل إشكاليات وطننا.هكذا هو المفكر المتواضع الثري بالثقافة الاسلامية والفكرالانساني والوعي النقدي، والانسان العصامي ، الصلب ، المحارب بالكلمة والقلم، والثورة الحقة لديه فصل حب كوني إنساني شمولي وقادر على حلّ مجمل الإشكاليات الخاصة بحياة الفرد والجماعة.

ماجد الغرباوي المفكر المتمرس في التراث الاسلامي، والذي يمتلك الأسس الفكرية المنفتحة بالنسبة لرجال الدين في زماننا والأدوات الفنية الجادة التي يعتمدها اسلوبه الكتابي النقدي ومقارباته االثقافية، التي تعد اهم ركائز واوليات ومتطلبات المثقف صاحب الفكر المتأني الحاضر لقبول الاختلاف الذي لا يلحق ضررا بالعقيدة والذي يحارب الجهل والتزمت ..

الغرباوي والكتابة النسوية

حول الكتابة النسوية كنا على وفاق في أنه لا يمكن الجزم بوجود كتابة نسوية أو ذكورية خالصة؛ لأن الكتابة نتاج حركة المجتمع أجمع، وحركة المجتمع في كل بيت وأسرة شئنا أم أبينا، الكتابة لها جلالها وهيبتها عند المرأة والرجل معا، إلا أنها عند المرأة لها ممارسة ذات طقوس تسكب فيها معاناتها منذ أمسكت بالقلم، وهذه المعاناة لها بعدها الكوني الذي يلامس جذور النفس البشرية، فروح الكتابة عند المرأة تشكل لغزا وصراعا وتعبيرا عن وجع نفسي ومجتمعي يختلف عن مشاكل الرجل الجسدية والمجتمعية، فهي التي تدفع ضريبة الإنجاب والأمومة غالية من أوجاع شتى في مجتمعات العالم الثالث التي لم تلتفت لاحتياجاتها في الحمل والولادة والإرضاع والتربية المبكرة، ولذلك فهي تكشف في تعبيرها عن عالم ضبابي معقد يخيم على عصرها، بعيدا عنها وعن إشكالياتها، فضلا عن عملها إن كانت عاملة. عصر الذرة والحروب النووية والاقتتال حول كيفية نهب ثروات الشعوب المستضعفة، كما أن الحرف الأنثوي يجسد موقفاً جمالياً وفلسفيا تطفح فيه مشاعر الحب، والأمومة، فالحرف الأنثوي موقف إنساني له دلالاته الخاصة. إذ إنها تسكب في كتاباتها الخوف الكوني من الفقر وسوء السكن وضيق العيش وأرض الله تزخر بالخيرات.فضلاً عن الحروب التي اشتدت عواصفها ونيرانها في عصرنا الحاضر ؛لأنها ليست حروبا من أجل تحقيق العدالة على الأرض، وليست حروبا من أجل نصرة الضعفاء، بل هي اقتتال شرس قائم على الظلم وابتزاز حلم الإنسان وموارد عيشه ليس في الحياة حسب، بل حتى بعد موته فها هي إنعام كججي الروائية العراقية المغتربة نلمس منذ اللحظة الأولى في روايتها "طشاري" عنوانا يجذبنا إلى المعنى المأساوي للتغرب عن الأوطان والعذاب الذي لحق الإنسان في نفيه القسري عن بيته ووطنه وماله من أبعاد ثقيلة ترهق النفس ، فالفعل طشَر يأخذنا إلى معناه اللغوي أي بعثر بعنف وفرّق ورمى بلا قانون أو نظام، فتجلت الرواية بمضامين مثقلة بهموم الإنسان العراقي الذي بددته الحروب وجعلته في بحث دائم عن هويته وحضارته وتراثه الذي نثرته أمريكا ومَن معها هباء بوابل قنابلها وصواريخها، بعيدا عن كل معاني الإنسانية ، -تؤكد إنعام كاجحي- أن الإنسان بدأ يراوده القلق الكامن في داخله أين سيكون قبره وهل ستكون المقابر مكانا يلتقي فيه

الأهل والأحبة يلملمون شـــتاتهم وعذاباتهم وجراحات وطنهم، فهي تلامس بحروفها شفافية مشاعر المنفيين وآلام الانسان المغترب ومكابدته في كل بقاع الأرض.

أما الكاتبة المصرية رضوى عاشور ففد دونت في " ثلاثية غرناطة " التي تتكون من ثلاث روايات وهي: غرناطة، مريمة، الرحيل، حين تأخذنا أحداثها إلى تاريخ عميق تمتد جذوره إلى عام م1491 وقد تعمق العذاب العربي في الرحيل عن غرناطة، وما زال هذا الانكســار مسـتمرا إلى يومنا هذا بتتابع الاسـتعمار على أراضـينا حتى اليوم والشعور الممزوج بالغربة على أرضنا.

أما الشـاعرتان العراقيتان آمال الزهاوي وبشـرى البسـتاني فقد علا صـوتهما في المشـــهد الشـعري النســوي في العراق بعد الرائدة نازك الملائكة بقصـــائدهما ذات العواطف الوطنية الملتاعة على ما جرى والسـحر الأنثوي والوطني الذي يرفض مبادئ النســوية وأهدافها لما فيها من مخاطر على الدين والأســرة والانســان والحكم عليهما بالتفكك. ذلك الشـــعر الذي تغنى بجمال العراق وحدائقه الفكرية والجمالية وبكى أحزانه ونزيف جروحه، فضـــلا عن القضـــايا الإنســـانية والوجودية الأخرى، وعن العذابات الداخلية التي حفرت بعيدا في روح المرأة.

إن حلم المرأة الكاتبة هو التحرر من الســـجن الداخلي، وهوحلم يميل إلى بلورة مجتمع مشـــرق يمنحها أبســـط الحقوق في الحياة، وفي طليعتها حرية التعبير واحترام خبراتها وإرادتها وحق صنع القرار الذي تجد فيه حياتها.

عام 2014 بلغت بصدور قرار مؤسسة المثقف التي يديرها المدير العام الأستاذ ماجد الغرباوي بتكريمي وأنا في عمان لكني واصلت تواصلي مع (المثقف) من هناك، وعلمت أن التكريم باقتراحه على اللجنة الاســتشـــارية وكان حدثا مهما إذ لم يكن المعتاد تكريم امرأة عراقية منفية خارج العراق، حينها قلت له، لا أريد ولن أفرح بأي تكريم يلقي مسؤولية على مؤسسة المثقف ومسؤوليها، يومها قال لي بثقة ومسؤولية: هذا قرار لا يسـتطيع نقضـه أحد حتى لو كانت بشـرى البسـتاني. لأنه حقّك الذي يلمسه الجميع في مختلف أجناس الأدب.

بودي لو تحدثنا قبل النهاية عن مجمل موقف القرآن الكريم من المرأة وقضـــاياها وتباين آراء المفسرين في مواقفهم من هذه المخلوقة أمّ الرجال، وإلى أي مدى سيكون التأويل مفيدا في تكييف الأحكام دون مســـاس بالعقيدة في كتب الغرباوي، ولكن القضية تحتاج لمواقف جديدة وشجاعة قد لا نمتلكها الآن ومعنا الكثير من المفسرين المحدثين، بل ويرفضـــها الكثير من رجال الدين التقليديين الذين يهيمنون على عقول الشباب ليكونوا في طليعة التصدي لكل فكر جديد ومتنور..

ماجد الغرباوي تصدى لمعظم هذه الأمور في حواراته، لكننا نعلم أن الآراء تحتاج لنقلها الى قوانين وتطبيقات حقيقية لتكون نافعة.

تحية لأستاذنا في عمره المتجدد الرصين، ومجداً لكل المخلصين في نواياهم وفعلهم من أجل قضية الإنسان وتطوير حياته وتأمين عيشه.

ماجد الغرباوي
صانع الاسئلة والمحاور المعرفية الجديدة

بقلم: الأستاذة ا.د. بتول فاروق[1]

لم ألتقيه ولم أحاوره وجها لوجه ولاعبر الهاتف، لكنني اشعر انه كان يحاورني على الدوام، بطريقة شفيفة وملهمة، يعيش خارج مدننا المتعبة وخارج أوطاننا التي سكنها التكلس المعرفي وان كانت تنتج كتبا ودراسات كثيرة نسبيا، البعيد بالوطن والقريب من هموم ابناء جلدته وأبناء وطنه، قرأت اسمه بالصدفة في كتابه (المرأة والقرآن)، الذي كان كتابا حواريا بين د. ماجدة غضبان وبينه، في قضية المرأة في القرآن الكريم، اقتنيته من احد معارض الكتب التي تقام في النجف قبل عشر سنوات تقريبا، كنت ومازلت أهتم بالكتابات التي تناقش وضعية المرأة في القرآن والحديث والفقه لمجال اختصاصي الفقهي ولكوني ارأس جمعية تعنى بقضايا المرأة، قرأته في يوم واحد، ان أهم ماوجدته في الكتاب أنه يعترف بوجود مشكلة في فهم قضية المرأة عند المسلمين، وأن ليس كل ماهو مطروح في الكتب التقليدية والعرف السائد هو يمثل حقيقة القرآن الكريم.

ثم فيما بعد اكتشفته من خلال منبره الثقافي الذي كان قد أسسه: المثقف، فكان منبرا لنا جميعا، من كل مشاربنا المتصارعة في بلادنا، كان الفضاء المتعالي الذي يليق بالمثقف الناطق والكاتب بالعربية، هذه المنبر لوحده يكشف عن نزعته التجديدية وانشغاله في خلق جو ثقافي محايد للكتّاب العرب. نشرتُ مقالات عدة فيه، فكانت مراسلاتي الرسمية عبر ايميل الموقع قد كشفت لي عن روح صاحبها

1 – أستاذة الدراسات العليا في كلية الفقه – جامعة الكوفة

الطافحة بالمودة والمحبة، تفيض على المتعاملين معه والناشـــرين في موقعه الالكتروني، فكان يشعرنا بأننا أصحاب الفضل على الموقع وليس العكس.

ثم فيما بعد تابعته عبر صفحته في الفيسبوك، فاكتشفت كاتبا ومحاورا من الطراز الرفيع في نقد التراث، وضـرورة التعامل الوسـطي معه، فهو لايركن التراث على جنب مهملا له بالمطلق، لكنه لايقدسه كما لو كان معصوما كله .

كتبه العديدة التي تعاقبت كشفت عن ولع معرفي نقدي بالتراث الاسلامي الذي صـار متصـلبا وجامدا وغير قادر على تقديم الحلول للجيل المعاصـر ولايتماشـى مع تطلعات أبناء الحضـــارة المعاصـــرة . كان يحرث في حقل ملغّم، يقدم رؤى حديثة ومتسامحة تتسم بالوسطية، ودعوة الى ربط الشريعة بالأخلاق، ومقتضيات الحكمة، بحثا عن منهج جديد يحل الإشـكالية المعاصـرة التي ترى ان الفقه الإسـلامي لم يعد يواكب العصر ولايقدم حلولا ناجعة، فلماذا تبدو هذه الاحكام بعيدة عن الأخلاق؟ فكيف نبرر منهج العلاقة مع الآخر المخالف لنا في الدين؟ كيف تساق أحكام الردة واحكام غير المسلم اليوم؟

لماذا هي متعالية على النقد، ولماذا تقذف هكذا في وجوه المعاصـــرين دون ان تراعي الأخلاق في قضايا المرأة أيضا وجعلها تبدو كما لو كانت أداة لاروح فيها بيد هذه الأحكام القاسـية التي تنتقص من كرامتها وإنسـانيتها، مسـتبعدين كون الفقه جهدا بشـريا قابلا لإعادة القراءة والإجتهاد، كما ان التجربة الدينية لاتعني حصـرية الفقه هذا، بل هي تجربة روحية فردية خاضعة لعلاقة الإنسان وخالقه، فلايمكن سلب التدين عن الإنسان الذي لايطبق الشريعة كما يراها الفقهاء التقليديون.

إن إعادة الإجتهاد مسألة حيوية وضرورية في يومنا هذا، لابد ان تتظافر الجهود الكثيرة في إنجازها .

هو من الأصـوات التي لاتجد صـداها الافي قلوب عاشـقة للحق الناصـع غير المرمّز، صوت يكره الزيف والتصنع والمباهاة الفارغة . هو قلم يصدح بالجديد، لكن البيئة العربية بيئة غير قارئة وغير حاضنة للفكر المخالف للسائد، لايتلقف الجديد من

الأفكار فتظل عالقة في الكتب، مع أن خلاص المجتمعات العربية يكمن في مثل هذه الأوراق وهذه السطور المكتوبة عبر تجربة غنية وقراءات فكرية كثيرة ناضجة .

تكشف كتابات الغرباوي إطلاعا واسعا على مختلف التراث الإسلامي الفقهي والقرآني والكلامي والفلسفي، مع إمتلاكه الحس النقدي المطلوب أثناء الكتابة والإطلاع.

يبدو أن الصمت يرافقه من خلال صورته التي تظهره صامتا بابتسامة هادئة، لكنه صاخب الفكر يحدثنا بغزارة منقطعة النظير في عمقها وسلاستها في آن واحد. انه يحمل قلما سهلا ممتنعا، مع ثقافة غزيرة مصبوبة بقوالب لغوية غير معقدة، ليستطيع ان ينهل من فكره كل طالب علم ومعرفة وكل متطلع ليفهم هذا التراث الذي مازال مؤثرا في حياتنا الى اليوم، وهذا مايؤرق الباحث الغرباوي؛ خطورة هذا التراث غير المنقح الذي أمكنه ان يشظّي العالم وجعل المسلمين يبدون كأرهابيين يخشاهم العالم الحر . إن تشعب القضايا بين المصالح السياسية والجماعات الإرهابية المسلمة جعلت من هذا الدين يبدو للآخرين دينا إرهابيا يدعو للقتل وانتهاك حياة الأبرياء ولايحترم حقوق الإنسان، ولذا يقع على عاتق المفكرين المسلمين وأصحاب القلم الواعي منهم؛ أن ينبروا للدفاع عما آمنوا به من دين يدعو للتسامح واحترام الإنسان بما هو إنسان . وهذا ماعمله السيد الباحث ماجد الغرباوي بوعي وثقة وحرص فوق العادة .

نسأل الباري تعالى ان يديم له الصحة والعافية ليتحف العالم الإسلامي بجديد علمه وفكره النير .

شجاعةُ الفكرِ
مع ماجد الغرباوي

بقلم: ا.د. سامي عبد العال[1]

"الفكر الأصيل هو الذي يفتحُ مفترقَ طرقٍ،

يُعطيك الاختلاف لا التماثل...".

عندما تُفكر بعمقٍ، فليس أبدع من الشـــعور بالاتفاق والاختلاف في الوقت نفســـه. هذه المفارقة التي تُحرك ما في داخلك، كأنَّها (اختبارٌ نقدي) لما تملك من خلفياتٍ. في ردهةِ القول بإنجاز الأفكار، تُوجد مســـاحةٌ من عدم اليقين وإثارة الأسـئلة تلُو الأسـئلة. لأنَّ فكراً ثرياً يحملُك على بُســاط ما يطرح إلى حيث ما لا تحتمل، ولكنه بالمثل سـيجعلُّك قادراً على التنفُس بحريةٍ. وحدُه الفكر الأصـيل يُثري وجودك ويفتح نطاق الوعي. ما أدق أنْ تأخذ مســـاحةً للتأمل حين تُريد، فليس يُوجد في حمأة الحياة غير اللُهاث وراء الأشياء، بينما من الضرورى النظر: ماذا عساكَ أنْ تفعل، وكيف ستفهم القضايا من الآن فصاعداً؟!

أنْ تتنفس ملءَ رئتيك فتحاً لآفاق العقل هو أمرٌ في غاية الحيوية. دوماً لا تكون الأفكـار محلَّ إجمـاعٍ ولا محـل اتفـاق، ولكنهـا تمثـلُ دعوةً لإعمـال العقـل، دعوة للإختلاف. هي علاقة ملتبسة (مع / ضد) في الآن ذاته، بل ستحددُ ما يشغلنا من قضـايا وستجدد وضعةَ الفكرِ. إنَّها قوة التفكير الناقد وشـجاعته التي تُصقل ملكات الإنسان. شجاعة وجرأة ممهورتان بمقارعة مشكلات الحياة والمبادأة في كشف حُجب التاريخ. إنَّ الماضــي بالنســبة لنا كعربٍ هو أكبر تحدٍ يمكن مواجهته. فالتاريخ باتَ

1 – أستاذ فلسفة – مصر

يجثمُ على الأبواب كحيوان مفترس ينتظر إلتهامنا في أية لحظةٍ. لنتخيل الماضي الذي صنعناه يوماً باتَ ثقلاً نعاني من وضعه. إننا قد نترك أثراً قابلاً للتضخم دون درايةٍ بوزنه المفقود، لكنه سيمثل مُعضلة في المستقبل. كيف سنواصل الإضافةَ إليه؟ بل كيف سنفك شفراته التي استغلقت علينا؟!

المفكر ماجد الغرباوي يعطيك قراراً لحرية القول أو بالأحرى يعطيك قراراً لقول الحرية. وهو- فوق هذا وذلك- صاحب فكر راعٍ لما ستقُول، شريطة أنْ تفكر على الأصالة، أنْ تكون أنت أنتَ لا أحد سواك. أيّ أنْ تصبح نفسك متخذاً حركة المبادأة، وهو الأمر الذي يخص عملية التجديد والتطوير العقلي. إذْ لا يوجد تطوير لجوانب الحياة دون" حرية قول" أيا كان موضوع القول. لتشمل الحريةُ كلَّ شيءٍ آخر، لأننا طالما حددنا بوصلة التفكير، فلن تكون هناك غير عمليةٍ من البحث المتواصل. لكن عن ماذا نبحث حينئذ؟ إننا سنبحث عن ذواتنا التي تنتظرنا في الغد. وما أكثر الخصوبة الفكرية حين يعدنا ماجد الغرباوي بالإلتقاء مع ذواتنا المتجددة. وهذا هو غاية خطابات الفكر المختلف. لأنَّ عملاً على تطوير الإنسان لهو أبعد هدف بإمكانه أنْ يُؤتي ثماراً وأنْ يحقق ما نصبو إليه.

ولكن: هل الحرية تجاه القيود قرارٌ؟! بالنسبة لماجد الغرباوي هي (قرار فكر) لا قرار معيار، هي قرار عقل لا نقطة نهاية خلف إطارٍ. لعلَّ كل ما كتبه الغرباوي يتبلور حول كيف نخرج من هذا الكهف المظلم: كهف العجز عن التجدد والتطور في تاريخ الفكر والحياة والدين. فالمعايير تحتكم إلى جوانب موضوعية إذ تعود – آجلا أم عاجلاً – إلى سلطةٍ ما. أمَّا قرار الفكر، فهو إرادة قول حيال أزمة تحتاج إلى كد العقل والتحقق والبحث والتساؤل داخل كافة المجالات. وكما أنَّ صاحب القرار يحتكم إلى ذاته وثرائه الفكري، فإنّه يحترم قرار الآخرين بالمثل. وهذا ما يُميز قدرتنا العقلية على التحرر عند الغرباوي: طالما أنك تتمتع بحق إتخاذ القرار، فإنك تسمح للإخر باتخاذ قراره كذلك... لا انفصال بين الاثنين. ولا يوجد هناك أوثق حالة مزدوجة كحالة الأصالة التي تسمح للطرفين بأنْ يعبرا عن أفكارهما. وستزيد تلك الحالة الأطراف تنوعاً واختلافاً في المواقف والرؤى.

يتميز قرار حرية القول عند الغرباوي بالحذر (قبل / بعد) موقف التفكير تجاه مســـألةٍ ما. وهذا معناه أنك لكي تقول لابد لك من أنْ تكون واعيا بالمحددات التاريخية المحيطة بالمســـألة المطروحة. ولكي تواصـــل القول لابد أنْ تغدو مهتماً بما ستقول المحدداتُ تطلعاً للأمام. وهذا صُلب تحرير الوعي كما جاء في كتاب الغرباوي (تحرير الوعي الديني)[1]. متاهات الحقيقة (5)، ماجد الغرباوي، مؤســـســـة المثقف العربي، ســـيدني- أســـتراليا ودار أمل الجديدة، دمشـــق – ســـوريا، الطبعة الأولى 2021). فهو لون من النقد المتواصل والطرْق المتواصل لأبواب العقل المؤرّخ وإيقاظ التمييز بين الأصلي والمزيف، بين المخادع والحقيقي، بين المختلق والأساس.

قد نلاحظ أن كلمة (تحرير) تأتي بصـيغة التفعيل، أي كسـر لمغاليق الوعي إنْ كان هناك، ولم تُصـغ معنى مطروحاً علينا الذهاب إليه بلا عودةٍ. هو معنى يأتي إلينا ليقف أمام إرادتنا، أمام مصـيرنا، أمام قوتنا الإنسـانية. أنه سـيكون مرهوناً بفاعلية الإنسـان الحُر بالمقام الأول. فليسـت القضـية انكاراً لموقف ديني واعٍ سـلفاً، ولكنها ترتبط بكيفية الانفكاك من المحددات التاريخية التي تكبح الوعي وتســقط به في هوة التقاليد البالية.

ومن ثمَّ، فإنَّ قرار الحرية هو إســتنارة بقدر ما يمثل مســؤولية على الفرد أنْ يتحملها. كثيراً ما يُقال إنَّ مجال الفكر الديني تقع تبعاته على المؤسسـات والكيانات الكبرى في المجتمعات البشـرية، غير أن ماجد الغرباوي يبدأ من فكرة تحرير الإنســان ذاته، وما إذا كان ذلك ممكناً أم لا؟ ذات مرة قال كانط علينا باسـتخدام عقولنا من غير خوفٍ وبكل جرأة ممكنةٍ، لكننا لابد أنْ نعتبر ذلك قراراً تأسـيسـياً بالضـرورة. وكما أنَّ الإنســـان قد آمنَ وســـارَ عبر طريق الإيمان إلى منتهاه، فيجب أنْ يكون مسئولاً بالتبعية عما شوه تلك القضية. والمسئولية هنا ليست أقل من عمليةٍ متواصلةٍ من التحرُر وإثارة الوعي، لا مستوى أدنى من التحمُل لأثقال ما يعرفه الإنسان.

---

1 - الغرباوي، ماجد، تحرير الوعي الديني، متاهات الحقيقة (5)، مؤســسـة المثقف العربي، سـيدني- أستراليا ودار أمل الجديدة، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى 2021).

إنَّ الإنســان القادر على إتخاذ قرار التحرر هو من يســتوعب ويفهم ماذا حدث بالضبط. بالأحرى عليه أنْ يقاوم ويدخل إلى آفاق المشكلات التي استغلقت أمامه. ولذلك كان انطلاق الغرباوي لفهم الدين من الأصول الأولى بلا تشوهات واعتبارها المرجعية التي تنزع عن كاهلنا أفعال التاريخ اللاحق. فالدين لديه كان وسيظل صافياً لا غبار عليه، ولكن المشــكلة عندما يختلط بغيره من ممارســات اجتماعية وطقوس وايديولوجيات مسيّسة. في تلك اللحظة هو ليس ديناً، سمّه ما شئت إلاَّ أنْ يكون ديناً كما كان من قبل. ولهذا سيحتكم الأستاذ الغرباوي إلى المنابع الأولي التي تعطينا قدرات التحرر. ولن تكون لنا تلك الخطوة اعتباطاً، لكنها ستتم بممارسة تحررية قوية كأننا نتحرر من استعمار بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ. فالاستعمار واحد سواء أكان آتياً من قوة سياسية مهيمنة على الحياة أم من قوة رمزية تمتص قدرات الإنسان كسياسات الأديان.

وهنا أيضاً يصح التساؤل: ماذا عن اتساق مهمة التحرر فلسفياً مع جوانبها وما تعد به من أهدافٍ؟! إن الاستعمال الأخير لمعنى الاستعمار (بصدد التاريخ) أخطر من الأول (بصدد السياسة) لعدة أسباب تجيب عن التساؤل:

أولاً: يأتي استعمار الماضي غير مشعُورٍ به، ويتسلل إلى كافة التفاصيل الحياتية. ولذلك في كل كتبه يناشد الأستاذ الغرباوي القارئ بضرورة الوعي بالحقائق. وليس غريباً أن تحمل مؤلفاته سلسلة متاهات الحقيقة. وكأنه يتساءل: أين ضاعت الحقيقة؟ أو كيف ضعنا نحن في دوائر الحقيقة الحاضرة/ الغائبة؟

ثانياً: استعمار الماضي المشوّه يشترك في كل أنواع التراجع الحضاري والثقافي. العقل الفقهي والمقدس والأخلاق والنص. كلها رقعة ممتدة تحت هذا الزحف غير المقدس بالمرة. والغرباوي بتلك الخريطة يمسك مفاتيح الحلول من غير أن يعطينا أياها مجاناً. الثمن أن تكون واعياً بشكل حر على ما يقول. ليست هناك أنصاف حلول، لأن المعتقدات لا تمثل أنصاف مواقف. المعتقدات هي وقود الحياة بالنسبة للإنسان ويجب أنْ يجرها قطار العقل داخل التاريخ فاتحاً منافذ للحرية إلى أقصاها.

ثالثاً: يطرح الغرباوي كيف يتكون استعمار التاريخ داخل حياتنا الراهنة، وذلك عن طريق عقائد وأفكار تتحول زمنياً إلى مرجعيات فتزحزح الأصــول وتحتل مكانها الأصلي. ولذلك سيكون التحرر فاعلاً عندما تتمكن المرجعيات من ضحاياها، وما أكثر الضحايا الذين ينضمون إلى أسلافهم مع الأيام. بل قد يكون الإنسان ضحية أفكاره من حيث اعتقاده الساذج بكونه حُراً. ومن هنا يدخل أدعياء الدين ومجاذيب العقائد ودراويش الأيديولوجيات.

رابعاً: إذا كان كل استعمار لا يجلُّو جحافله من تلقاء نفســه، فإنَّ التحرر من اســتعمار الأفكار الماضــوية يتطلب عملاً من جنســه. أي يقتضــي حفراً وتســاؤلاً متواصــلين. وما لم يكن ذلك أمراً ممتداً وفي جميع الاتجاهات، فلن تكون هناك فرصة للتحرر من الماضي الجاثم على أنفاسنا.

خامســاً: يسـمح لك الغرباوي أن تعارض أفكاره طالما اشـترط منذ البداية يقظة الفكر بإطلاقٍ وذلك لكونه وضـع الأفكار في رحلة الرجوع إلى طهرانية الدين. ورغم أن تلك مســلمة ضــمنية وقد تكون هدفاً متناثراً في تفاصــيل خطابه النقدي إلاَّ أنه هدف يجمع قوى مضــادة لما سـيقول. فالدين — أو الأديان عموماً– لا يمكن نقدها من الداخل، فكل نقد سـيعود إليها طالما تمثل غاية من طرق أخرى. فالأديان تغطي بســـرعـة على عمليـات التنـاقض وتلتئم الجروح الواعيـة داخلهـا من أقرب الطرق. فالأســـتاذ الغرباوي له ثوابت من إيمان وأخلاق وإطار للفكر الصـــحيح. وبالتالي ستتفاعل الأهداف الصحيحة مع عمليات النقد وستجعل القضـايا تلتئم وسـتحقق وجودها مرة أخرى. أي إذا كان الأســتاذ الغرباوي ينتقد أخلاقاً لصــالح أخلاقيات أخرى، وإذا كان ينتقد أيديولوجيات لصـــالح أفكارٍ غيرها، وإذا كان يحلل معتقدات لصـالح معتقدات سـواها، فما الفرق بين الجانبين عندئذ؟ ويصـبح السـؤال الأهم: ما الذي يمكن أن يتحقق خارج تلك الدائرة؟

ســادســاً: إن تحرر الوعي الديني يصـعب أنْ يكون كذلك إذا كان محاطاً بالدين. لأنَّ الدين ليس وعياً، ولكنه إيمان واعتقاد ومباشـــرة. الوعي يعني تحول المعتقد إلى أيديولوجيا. والتحرر يعني نفض الغبار الذي ران عليه تاريخياً وما شـــكلته من قوالب

استوطنت بالإنابة عن الأصول. والتحرر هو عملية تكسير لهذه الأصداف التي تغلف الوعي إجمالاً. ولكن ومن أجل أن يحدث التحرر، لابد من إعتباره وعياً في المطلق لا المقيد، وعياً إنسانياً قبل أنْ يكون دينياً أو بأي مسمى آخر. وعلى طريقة الأستاذ الغرباوي إذا كان الوعي دينياً يعني الفكر الديني لا إعتقاد. وهذا مشروع كان لابد أن يفهمنا في البداية كيف تحول الدين إلى فكر أي يبني مرحلة تكوين الأفكار وأصولها التاريخية ثم الإجابة عن مسألة: هل يمكن تحريره بالبناء الآخر الأكثر انفتاحاً وجدارة؟

ثامناً: يجب أن يكون التحرر (تحرراً وجودياً) لا تحررا فكرياً وحسب، لأن الماضي تشكل في حياتنا داخل مؤسسات وتراكمات مادية واقتصادية وهياكل طقوسية في أشكالها المتأخرة، سواء أكانت نصوصاً أم أنظمة أم مذاهب أم أيديولوجيات أم سياسات ودولاً. وعليه فالتحرر الذي يقصده الغرباوي عليه أن يصبح تحرراً مصيرياً من لون الوعي الذي يقصده كموضوع للمقاومة. وألا يكون موضوعه الوعي الديني قصداً كمصطلح معروف بنقد ترسبات المعتقدات وغلافها حول الأفكار وتوطنها تاريخيا في الذهنيات والعقول، ولكن يجب أنْ يكون وعياً إنسانياً يخلص الدين من ذاته (التاريخي)، من أشكاله ومن الوعي نفسه. وتلك مسألة دقيقة بالمرة، فالوعي لو دخل الدين سيحوله إلى محدد للأفعال والسلوك، ويجب أن يدخل فيه باعتباره حارساً لا صاحب مُلك وأرض وقرار كما أشرت في البداية رغم جوانبه الإيجابية.

تاسعاً: الوعي الديني يُصبح رؤى للحياة والعالم والزمن والحقائق لا إطاراً وإخلاقيات جديدة فقط. أي على المفكر الغرباوي أن يعيد إلينا تعريف الوعي من منظور مغاير أكثر انفتاحاً وتحرراً. فالوعي قد يكون قيداً هو الآخر ما لم يتحرر من نفسه ولاسيما في مجال الأديان. وأتصور أنَّ ذلك أمر خطير طالما نريد أن نستبدل منظومة وعي تاريخي معين تشكلت في حقب زمنية ما بمنظومة أخرى يفضل الناس أن تستند إليها أحوالهم كذلك.

عاشراً: مرحلة البناء- المفترض القيام بها - مرحلة مهمة جداً لتكملة عملية التحرر، فالمقاومة قد تتخذ كافةَ السبل للخروج من الاستعمار بشقيه الديني

والسياسي. الملاحظ أنَّ تحرر الوعي ينتقد موضوعاته إلى أبعد مدى ممكن. ولكن ما لم تُبنَ أفكار فوق المساحات التي تم كشفها نقدياً وبصورة أكثر مغايرة ستتحول الساحة إلى مناورات أيديولوجية أخرى. والأستاذ الغرباوي يأخذ من تراث الدين ويعطي له بالتوازي، أي يستل من التاريخ ويسدد له الضربات. وهذه نقطة ستكون أكثر أهمية عندما تصبح التسديدات بنائية في اتجاه مغاير أبعد تحررا وتطوراً. فالعقل يتحرر لا بالوعي فقط ولكن بكشف محدداته وقيوده ذاتها. وهذه علة أن كانط أراد اختبار قدرات العقل ذاته قبل أي تنكيس لبناء الفلسفات التي أنتجها.

هل ممكن أن يحدث ذلك مع الأديان؟!

ماجد الغرباوي ، المقاتل بالكلمة

بقلم: د. صائب عبد الحميد[1]

أولا: الغرباوي الإنسان والصديق

هكذا استطيع أن أصفه باختصار، وصفا مكثفا.. (المقاتل بالكلمة).

عرفت الغرباوي مقاتلا على جبهتين في الآن نفسه، جبهة المعاناة الشخصية مع الأمراض التي رافقته في عنفوان شبابه، وجبهة الثقافة التقليدية التي استعبدت مجتمعه، وعلى كلا الجبهتين كانت الكلمة سلاحه.

ما ألمّ به في صحته كان كفيلا بأن يهوي بالعملاق ويطوي قامته. لكنه لم يخضع يوما ولم يستسلم، ففي ذروة المعاناة كان عقله يكافح ويبحث عن سبل تنبيه عامة الناس من غفوتهم على سطوة التعاليم المتخلفة، وهيمنة المعارف المستمدة من الأساطير، ومن التاريخ المتخيّل. مترويا، هادئا، مطمئنا، كما تملي سجيته، وكما يتجلى حياؤه ونقاؤه. بعيدا عن الصدامات والمقارعات المباشرة، موقنا بأن الناس، شيئا فشيئا، سوف تستسيغ الهواء النقي، وتنفض غبار الغطاء السميك الذي ألقاه على كواهلها أصحاب النهج التقليدي ودعاة التجهيل وتسطيح الوعي.

نائيا بنفسه عن الأضواء البراقة، والألقاب المخادعة، ليشق طريقه بهدوء وروية، حتى يصبح مضيئا بذاته، بعطائه الذي جمع بين سلاسة الأسلوب وبين سعة الآفاق وعمق الأفكار.

---

1 - باحث، له عدد كبير من المؤلفات، منها موسوعة فلسفة التاريخ

ابتدأت علاقتي المعرفية بالغرباوي حين دعاني الى مكتب مجلة التوحيد، قبل ان يتولى هو رئاسة تحريرها، ثم تعمقت معرفتنا ببعضنا حين ترأس تحرير المجلة، ونشر لي بحثا جريئا يتحدى المعارف السائدة في فهم الطقوس والشعائر الدينية، وتحمل معي سهما وافرا من اللوم على نشره. تلك المعركة كانت سببا جديرا في بناء صداقة واعية بيننا.

لكن ثمة معركة ثانية تشاركنا فيها، واختار الغرباوي الانسحاب من فضائها المباشر. ذاك حين أسسنا (رابطة الكتّاب والمثقفين العراقيين في المهجر)، في سنة 1999، وكان الغرباوي واحدا من خمسة عشر تم انتخابهم لعضوية الأمانة العامة للرابطة، وحيث تم انتخابي من قِبل أعضاء الامانة العامة أمينا عاما للرابطة في دورتها الاولى، آثر الغرباوي الانسحاب من الأمانة العامة مع الإبقاء على عضويته في الرابطة، تحت ضغط ظرف خاص به. لكن هذا الحدث لم يخلق شرخا في علاقتنا بعد معرفتنا بطبيعة الغرباوي وعذره المقبول. لاسيما وأننا كنا نعيش فضاء معرفيا مشتركا، نلتقي في معظم مفاصله. وحين أذكر هذا الفضاء لا يفوتني ذكر بعض الأصدقاء الآخرين من رواده، والذين كانت لي وللغرباوي صداقة مشتركة معهم، في مقدمتهم عبد الجبار الرفاعي، الذي ناطح اسمه السحاب لاحقا، وهو الأقرب الى الغرباوي، كونهما يشتركان ايضا بمسقط الرأس (الناصرية). وطاهر الحمود/ أبو رضوان، وطاهر آل عكلة/ أبو آلاء، مع أنهما كانا أقل حضورا ورغبة في السجال المعرفي، مستمتعان بتوفقهما اللغوي والأدبي، مع أن أبو آلاء كان يمضغ الفلسفة الاسلامية كما يمضغ العلك الطري، وينسجها شعرا وأهازيج لا أدري لم لا يبادر بنشرها، مع مزايا أخرى لا يضاهيه فيها أحد. في مثل هذا الفضاء تكون الصداقة أعمق من أن يخدشها حدث عابر، فالمشتركات كثيرة، والتحديات واحدة. كنا ندرك ببصيرة تامة أن الثقافة الدينية الشعبية والتي يعززها الخطاب الديني السائد، هي ثقافة تراكمية تأسست على تاريخ متخيّل، صار مصدرا لعديد المعتقدات الوليدة، والمقدسات المصطنعة، التي غلّفت المعتقدات والمقدسات الحقيقية وتفوقت عليها في ميادين الاهتمام والاشتغال الشعبي والديني بشكل عام. وكنا في عزلتنا شبه التامة عن هذا الوسط، ندرك أن الكلمة هي سبيلنا الوحيد في السعي الى نشر الوعي وإيقاظ العقول. وتنوعت

اهتماماتنا بعد ذلك، فاشـــتغل الدكتور عبد الجبار الرفاعي على التنوير الديني وفق مناهج البحث والهرمنيوطيقا المعاصـــرة، وانصــرفت أنا من التاريخ الى الفكر التاريخي وفلســفة التاريخ لما لازمني من شــعور بعدم الجدوى في محاولات إصـــلاح وتجديد الخطاب والفكر الدينيين، حيث تنفجر العصــبيات الدينية والطائفية بين الحين والآخر، إما أمام ما تراه تحديا، وإما أمام تحديات مفتلعة تقوم هي باختلاقها والنفخ فيها لتصبح قضايا تشغل الرأي العام، عاميا وثقافيا، ووفق أساليبها المعتادة في صناعة الضجيج، وتغليف مواقفها بالفتاوى الجزمية.

ويقفز الزمان، ويقفز معه المكان، فيغترب الغرباوي موغلا في غابات اســـتراليا، لأشاهد بعد حين (صحيفة المثقف العراقي) التي أسسها في سدني، ويشرف عليها ماجد الغرباوي، وهو يعيد نشر مقال قديم لي تحت عنوان (الوحدة الإسلامية والمسار الأحدب). ما حفزني لكتابة مقال أنقد فيه رؤيتي الســـابقة نقدا قلبها رأســـا على عقب، فنال ذاك إعجاب ماجد الغرباوي فكتب مبرزا إعجابه بأن ينقد الكاتب رؤيته السابقة بناء على تطوره الفكري وقناعاته المتجددة.

ويتجدد التواصــل بيننا، فأستقبل كتابا مهما من مؤلفاته، لأتولى نشره والتقديم المتواضع له، ضمن إصدارات (معهد الأبحاث والتنمية الحضارية). ثم كتابا آخر من مؤلفاته ضـــمن إصـــدارات (المركز العلمي العراقي)، لتمنحني تلك المقالة وهاذان الكتابان أجمل فرص التلاقي الحميم بعد افتراق الزمان والمكان.

لكن ثمة لقاء حقيقي حصـــل بعد ذلك، في زيارة الغرباوي لبغداد، على وليمة عشاء في منزل الصديق طاهر الحمود/ أبو رضوان، الذي أصبح وكيلا لوزارة الثقافة لنحو عقد من السنين.

ثانيا: الغرباوي الباحث والمفكر

تعمق الغرباوي في دراسة التراث الاسلامي، لا سيما في بعدي العقائد والأحكام الفقهية، واشتغل مفككا وناقدا، متنوع المباحث، غزير الانتاج.

كتب في الفكر السياسي عدة مؤلفات، منها: (الحركات الإسلامية .. قراءة نقدية في تجليات الوعي)، و(الضد النوعي للاستبداد.. استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني)، و (تحديات العنف).

كتب في الحركات الإسلامية المعاصرة، وقد عايشها، واطلع على أدبياتها، وعاصر تجاربها في ممارسة السلطة. أدرك الضعف في منهاجها العام، والتناقض بين مبادئها المعلنة، وبين أساليبها العملية، بين المدّعى وبين الفعل والممارسة.

وكتب في التراث والفكر الديني كتبا منوعة، حتى نهض بمشروع كبير، أصدر منه حتى الآن / آذار 2024، تسعة مؤلفات كبيرة، اختار لمشروعه هذا عنوانا لافتا: (متاهات الحقيقة). وكأنه يرى ان (الحقيقة) دائما مزعومة، مدّعاة، كل يدعيها لنفسه، ما ينتج في النهاية متاهات لا حصر لها. هذه هي قراءتي أنا لهذا العنوان.

في هذا المشروع، وتحت هذا العنوان الرئيسي، أبحر الغرباوي في متاهات عدة، متاهات العقيدة، ومتاهات الفقه، ومتاهات التراث، ومن الصعب ملاحقة كل ذلك في ورقة واحدة او أوراق معدودة، لكني أستأذن الصديق المفكر الغرباوي في اقتناص قضايا متفرقة مثلت نقاطا محورية في فكره.

* فمع الأخلاق مثلا، يأخذ الغرباوي بمذهب كانط القائل بأصالة الأخلاق، فالأخلاق ليست معطى دينيا صرفا، كما انها ليست معطى اجتماعيا يتميز بالنسبية، إنما هي (قيم أصيلة، بها تصدق إنسانية الإنسان). لكن الغرباوي يستشهد على هذا البعد أحيانا بنصوص دينية، كقول الإمام علي لولده الحسن: «أحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تَظلم كما لا تحب أن تُظلم...». مع ان هذا النص هو نص تربوي، إرشادي، وإن جاء بصيغة الأمر والنهي «أحبب، واكره، ولا تَظلم». فهو كسائر النصوص الإرشادية الدينية؛ القرآنية والنبوية، لا يثبت أصالة

الأخلاق بقدر ما يؤكد دور الدين في تعزيزها والحث عليها. وليس فيه دلالة على ما أراده الغرباوي مسبقا من أن الأخلاق هي من نتاج العقل العملي. لذا يعود الغرباوي ليؤكد مبدأه، مجادلا في (أن الإنسـان يبادر لعمل الخير بدافع ذاتي مجرد، محض، فيأتي بالفعل لذاته لا لغيره). وقد يجد الغرباوي ردا في أن هذا النص العَلَوي ليس نصا دينيا محضا، بل هو نص عقلي مصدره العقل وحده. إذن هو يستعير عليا بصفته الحكمية لا بصـفته الدينية. وهذا توجيه مقبول بلا شـك. لأن الغرباوي يكمل فيقول: (ان اعتبار الأخلاق قائمة على الشـريعة هو اتجاه خطير جدا، يمكن من خلاله توظيف الدين لتعزيز مصالح سياسية أو طائفية، قد تطيح حتى بقيم الدين ذاته).

وبعد معالجة مستوفية لتأثير المقدّس على الأخلاق، يخلص الى (أن المقدس يرتهن صـدقية موضـوع الفعل الأخلاقي، دون قيمه وأحكامه. الأولى (القيم) قيم إنسـانية بعيدا عن المقدسـات والأديان. وأحكامها صـادرة وفق معايير العقل العملي. وبهذا نحدد سلطة المقدس، ونحول دون استغلاله وتكريسه لمصالح سياسية وطائفية، طالما أضرت بمصداقية المسلمين في خضم صراع مرير على السلطة، وحاجتهم لتوظيف الرموز المقدسة). ليؤكد (أن القداسة رهان خاسر ما لم تكن صفة ذاتية للمقدس).

* ومع الفقه والفقهاء: يتوقف الغرباوي عند مفاصـل غاية في الدقة والاهمية، لعل في مقدمتها قضـية التحيزات المسـبقة للفقيه، والتي غالبا ما يكون مصـدرها عقديا، فالفقيه ليس متجردا من التحيز العقدي، وقد كتبت سـابقا: الفقهاء تمذهبوا قبل أن يتفقهوا، والمفسرون تمذهبوا قبل ان يفسروا القرآن، وعلماء الكلام تمذهبوا قبل أن يتكلموا.. وهذه حقيقة يغفلها أكثرنا وهو يقرأ للفقهاء والمفسـرين وعلماء الكلام والمؤرخين وأصحاب الحديث، وغيرهم. وهكذا رأى الغرباوي: (أن كل فقيه ينحاز لا شعوريا لقبلياته وقناعاته العقدية، ويدافع عن نسـق يقينياته وأحكامه المسـبقة كمبنى عقدي ينعكس على فهم النص، فينحاز لنتائجه لا شـعوريا، بل ويوجه النص بذات الاتجاه). وعندي أنه ينحاز شعوريا، وليس لا شعوريا، وهذا يتفق مع قول الغرباوي: (بل يوجه النص بذات الاتجاه). وهذه مسـألة دقيقة حين ندركها نفهم الكثير من أسـباب اختلاف الفقهاء. وبالتالي يقول الغرباوي: (لا يمكن تبرئة الفقيه وإلقاء اللوم

على الأدلة الشرعية فقط، مادام الفقيه يمارس عملية استنباط الأحكام الشرعية وفقا لمبانيه، ويستبطن نهجا عقديا يوجه وعيه).

وأيضا يتابع الغرباوي سؤال خضوع الفقيه لسلطة النص ومحدداته، فالفقيه او المفسر او المفكر، لا يفكر بالتحرر من أسر النص، لأن قداسة النص هي التي تتولى هندسة قبلياته وبنيته الفكرية والمعرفية، وتحدد هامش الحرية وفضاء التفكير داخلها. وهي التي تسمح أو لا تسمح له بتجاوز النص. فالحرية لا تعني بالنسبة له التحرر من قيود النص، بل هي عنده حركة مغلقة داخل فضاء النص. فالاجتهاد لديه هو اجتهاد في دائرة النص ومدياته، فهي حرية محدودة، غير منتجة، تطاردها إكراهات النص. وبخلاف ذلك تأتي القراءة المقاصدية التي تحاول تقديم فهم جديد للدين، والبحث عن مقاصد تشريعاته، دون التفريط بقداسة النص.

وهكذا يسير في ما أسماه (متاهات الحقيقة) ليغطي مساحات واسعة في التعاطي مع التراث الاسلامي في معظم ميادينه.

* لكن ثمة سؤال منهجي يمكن أن يثار:

لماذا جعل الغرباوي كتابه عن المرأة: (المرأة وآفاق النسوية) ضمن سلسلة (متاهات الحقيقة)، ولم يجعله كتابا مفردا، مستقلا في موضوعه؟

لعله رأى أن التشريع الفقهي يوقعنا في متاهة حقيقية في فهم الفهم الفقهي للمرأة، فهل هي إنسان قائم بذاته، له مقوماته الإنسانية الكاملة، وحقوقه وامتيازاته وواجباته كإنسان فرد؟ أم هي كيان تابع ومملوك للرجل؟ فمازال الفقه مترددا في هذه المفارقة، يركب المتناقضات، ويروغ عنها، بين مبادئ قرآنية ونبوية كلية تمنح المرأة مكانتها، وبين أحكام تغتصب شيئا من إنسانيتها لتكون خاضعة لسلطان الرجل.

وأخيرا، وهو يختصر توصيف المعاناة في نضاله الفكري، في مقاربته لتوصيف الوعي الجمعي الديني، يرى الغرباوي رأيا سديدا: (إن مشكلتنا اليوم ليست في عجز الأدلة عن بيان الحقائق، بل مشكلتنا الأساس مع رثاثة الوعي، والجمود، والمصالح الأيديولوجية، ووجود حواضن للغلو تشكل درعا يصعب زعزعته بسهولة. وهي

معاناة حقيقية لمن يروم ترشيد الوعي، وفضح تزوير الحقائق لغايات طائفية وسياسية).

لعلي بهذه الكلمات المقتضبة أتيت على بعض أهم المحاور التي يدور حولها فكر الغرباوي، منذ بداياته، وحتى أواخر مؤلفاته في سلسلة (متاهات الحقيقة). عساني كنت موفقا في عرضها، لتكون هدية متواضعة من زميل وصديق يكن له المحبة ويرجو له التوفيق.

التحدي والتصحيح
في فكر ماجد الغرباوي

بقلم: د. صالح الطائي[1]

تنماز العقائد الدينية بمجموعها بصفة الصرامة القسرية المقرونة بالإكراه الفكري المقرون بدوره بمنهج تخويفي يكاد يقيد حراك المرء، ويضيق أمامه السبل الحراك، فلا يحاول تجربة العبث الفكري مع الشدة المتشنجة للتابو المهيمن على أجواء العلاقة بين الاثنين، ذلك المنهج المقرون دائما بلهجة التخويف والتحذير من نار وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد، تلك الصورة المرعبة التي وقفت بوجه كل من يريد أن يبدي رأيا بشأن مسألة دينية تكاد لا توافق العقل، أو تناقض المنطق، والمرات القليلة التي جرب بها الكلاميون والفلاسفة حظهم باءت واقعا بالفشل، لا لقصور في مناهجها بل بسبب شدة وشراسة الهجمة التي تعرضوا لها، تلك الهجمة المدعومة من السلطة والسلطان؛ الذي تحسس مكمن الخطر في منهج التنوير، فتخوف على عرشه وغلمانه وجواريه وخزائنه، فاستعان بالمتشددين ليحارب الأفكار التوعوية التنويرية، بعد أن وصمها بالكفر والمروق والردة، وهي تُهم قاسية عقوبتها الموت المحتم، ليس لأن الأديان تُقر ذلك، فجميع الأديان بما فيها دين الإسلام لا يوجد فيها أي نص يوجب حتى قتل المرتد، وإنما هي مجرد أحكام مبتكرة، ابتكرت كأداة لمنهج تخويفي مبتكر، كان وليد الاجتهاد، بحجة الحفاظ على الدين، تماما مثل تلك المجاميع التي كانت تضع الأحاديث وتنسبها لرسول الله ﷺ وحينما يسألونهم عن السبب، يقولون: "نحن نكذب له، ولا نكذب عليه!"

---

[1] – كاتب وباحث في الفكر الإسلامي، له عدد كبير من المؤلفات.

إن من يقلب صـفحات تاريخنا الموغل بالقدم، يجد هناك عشـرات الأسماء التي تحدت الواقع ببسـالة، فحملت مشـعل التنوير بإخلاص المجاهدين، بعد أن تأثرت بكتب الفلسـفة المترجمة عن اليونانية، وهؤلاء الشـجعان أنفسـهم هم الذين أعادوا صـياغة مفهوم الفلسـفة؛ الذي كان يعني لدى اليونانيين القدماء: "حب الحكمة"، فجعلوه أوسع من ذلك التضييق، طالما أنه يرمز إلى الأفكار الـمُستنبطة بواسطة العقل، وإعْمال الفِكر، حول الموجودات ومبادئها وعللها. هذا الجمع المغامر وضـع المفهوم العربي للفلسـفة موضـع التطبيق، بعد أن تناولت طروحاتهم هذا الجانب بالذات، أقصد مهمة الاستنباط بالعقل، فتسببوا في إثراء المنهج الفلسفي الإنساني، وتطويره وترسيخ جذوره، ذلك لأنهم لم يكونوا تقليديين، ولم يقتبس أي واحد منهم ما عثر عليه دون تمحيص وإدراك، وإنما كانوا مجددين بامتياز، بدليل اختلاف مواقفهم من الفلسفة المستوردة (اليونانية)، بين رافض لها، ومكفر لمنهجها، متشدد، نظر إليها على أنها تفتح أبواب الضلال والفساد ويجب محاربتها. ومن وقف منها موقفاً وسطاً محايدا مبنيا على النقد والتمحيص والامتحان والتدقيق، وكان المعتزلة وبعض الأشاعرة من هؤلاء، وكان الفيلسـوف الغزالي واحدا منهم، وهؤلاء بالذات كانوا يتقبلون، ويأخذون منها ما يرونه حقيقياً، ويرفضون ويتركون ما يرنه باطلاً. ومنهم صنف ثالث سحرته وبهرته، فوقف منها موقف الإعجاب والإكبار والتقدير، فدرسها بعمق وعمل على محاكاتها، بل والكتابة والتأليف على نمطها، وكان من بينهم الكندي الذي يُعتبر الأب الروحي والمؤسس الحقيقي للفلسـفة العربية الإسـلامية، ولاسيما بعد أن فتح أبواب النظر الفكري من خلال كتاباته مثل كتاب "الفلسـفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد"، وباقي طروحاته التي اهتمت بالميتافيزيقيا وعلم ما وراء الطبيعة، والأخلاقيات، والبحث في توضيح مشكلة حرية الإرادة توضيحاً فلسـفيا، فخرج بنتيجة أن لإرادة الإنسان قوة نفسية تُحركها الخواطر والسوانح. ونتيجة ذلك صار ملهما لمن عاصره أو جاء بعده، مثل أبي نصر الفارابي، الذي كان قريبا من عصر للكندي. وعلى نهجهم سار ابن رشد الذي أفاد كثيرا من كتاباتهم وتجاربهم. وهو وإن بدا تجديديا ومختلفا عنهم، إلا أن طروحاته أثبتت أنه كان متأثرا بنظرية الأخلاق الأفلاطونية؛ التي بين فيها أفلاطون أن الفضائل الأساسية هي: الحكمة والشجاعة

والعدالة والعفة. ومن خلال الإبداع والتقليد والتأثر انطلق ابن رشد بفكرة أن الدين والفلسفة هما أدوات تُمكّن الإنسان من معرفة السبيل للخلاص البشري. وقد سار ابن باجة على أثره وكان من أكثر الفلاسفة المتأثرين بفلسفته، وكذا ابن سينا وابن طفيل وابن الهيثم وأبو حامد الغزالي الذي كتب في التصوف والفلسفة والعقيدة.

وبين هذا وذاك كانت هناك كوكبة من المفكرين الذين تباينت طروحاتهم بين تصحيح الواقع الديني، فاتهموا بانحيازهم، وتم التشكيك بنزاهتهم بسبب جرأة طروحاتهم، مثلما اتهم أبو حامد الغزالي بأنه اتهم الخليفة عمر بن الخطاب بمخالفة إمامة علي بن أبي طالب؛ أثناء حديثه عن رواية: "من كنت مولاه فعلي مولاه" في كتابه "سر العالمين وكشف ما في الدارين"، وتصحيح الواقع السياسي، حتى اتهم بعضهم بأنه يروج لتأييد السلطان، مثلما اتهم الغزالي أيضا بأنه دعم السلطة العباسية بعد أن وضع كتابا بعنوان "فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية" بطلب من الخليفة العباسي المستظهر بالله، أشاد فيه بدور الأخير.

إن الطروحات الغريبة عن الأجواء العامة للمجتمعات العربية كانت سببا في اتهام الفلاسفة بتهم وصل بعضها إلى التكفير، واتهام الفلسفة بالتهافت، وربما كانت هذه التمظهرات هي الأسباب التي قلصت الحراك الفلسفي في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية، وجعلته مقصورا على قلة من الناس، لأن سلطة الحاكم والسلطة الدينية كلاهما كانا يستدعيان المقدس "القرآن والسنة النبوية" كعناصر إسناد وقوة لتبرير مواقفهم لا السياسية وحدها بل وحتى القمعية، فلطالما استدعي النص الديني لقمع الخصوم والمناوئين والأعداء، بما فيهم المحتملين والحقيقيين طوال تاريخنا الإسلامي، وهو الأمر الذي تسبب بانكفاء الحراك الفلسفي، وتقلص المساحات التي يمكن للفلسفة أن تتحرك من خلالها بسبب التضييق والشدة.

وقد تسبب الانكماش الفلسفي في طغيان الفكر الساذج القائم على الخرافة ومنظومات الفضائل؛ التي ما أنزل الله بها من سلطان، فتسبب ذلك في تأخر مجتمعاتنا، وانتشار الفقر والجهل والأمية، والدجل والشعوذة، والحديث عن الجن والتلبس والتابعة، بدل الحديث عن العلم والحرية والعدل، وهو الأمر الذي حدا

ببعض الذين يملكون جرأة الوقوف بوجه التيار ليتصـدوا بشـحذ عقولهم والتصـريح بالحقيقة المغيبة التي يرفضـها الكاهن والسـلطان، ومن بين ركام الفوضـى جاءت إشـراقات المفكر والفيلسـوف العراقي محمد باقر الصـدر، والمفكر والفيلسـوف المغربي محمد عابد الجابري الذي تناول بمؤلفاته الحديث الصـريح عن الفكر الإسـلامي المعاصـر، ومنها كتاب "نقد العقل العربي" وكتاب "نحن والتراث". والباحث والأكاديمي الجزائري محمد شـوقي الزين، الذي طرح رؤاه في عدة أعمال فكرية مثل: "تأويلات وتفكيكات"، و"سـياسـة العقل"، و"الثقاف في الأزمنة العجاف". والفيلسوف التونسي المعروف محمد الحبيب المرزوقي، وثلة من الفلاسفة الآخرين.

أدى ظهور تلك الآراء والأفكار التي بدا بعضها مشاكسا جريئا إلى إثارة زوبعة من الآراء المضـادة المتباينة حول مواقف الفلاسـفة من الدين والحياة والواقع والمجتمع والسـنن والعادات وأشـياء كثيرة أخرى، وتباينت المواقف منهم بين رافضٍ معترض، وسـاكتٍ، ومؤيدٍ ومناصـر، بدل أن تتم مناقشـة تلك الطروحات بمنهجية علمية، وأدت المواقف السالبة إلى إلحاق الأذى والضرر بالفلاسفة، فبدا وكأن عصر الفلسفة انتهى، ولكن في كل مرحلة كانت هناك اقلاما ناضـجة ترفع رأسـها متصـدية للسـلبيات بكل أنواعها، اعتمادا على تفكيك جذور التابو الديني، والدوافع التي تجعله ينمو حتى في القرن الحادي والعشرين بكل تلك الشراسة التي تتمثل بالأعمال الإرهابية، بما يعني أن من المؤمل لها أن تخوض معارك فكرية صـعبة، توجب عليهم الوقوف أمام حشـد من الجهلة والمؤدلجين والجامدين على النصـوص والسـلفيين، ولاسيما وأن الإسلام نفسه بدا في هذه الحقبة متشعبا ضمن أطر سياسية تمتد من الإخوان المسـلمين، إلى السـلفية، إلى الحركات الميلاشـيوية إلى الحركات الجهادية الراديكالية المتطرفة، وقد تسـبب هذا التشـظي بولادة نزعات عدوانية بينها، صـعَّب مهمة الفلاسـفة وأعاق تقدم الفلسـفة، ولاسـيما وأن التهديد كان سـيد الموقف والسلاح الكاتم كان هو المتحكم والقاضي.

ضـمن أجواء الشـد الحرجة هذه لم يكن من السـهل على مفكري الداخل العمل بحرية وهم يرون السـيوف مسـلطة على رقابهم والنحر أبسـط ما يمكن أن يواجهونه، ولقد عشـتُ هذه المحنة بعد عدة مؤلفات أصـدرتها ونشـرتها ضـمن سـلسـلة من أربع

مجلدات، تحدثت فيها عن أثر النص المقدس في صـــناعة بعض العقائد المنحرفة مثل التكفير والتهجير وقتل المرتد والمثلة وحرق البشـر، حيث قاموا بتهديدي بالقتل إن لم أتوقف. أما المفكر الموجود في الخارج فقد وجد فرصـــة كبيرة للتعبير عن رؤاه ومواقفه من كل ما يدور على ساحة الدين والمجتمع والسياسة، وكان الأستاذ المفكر العراقي المقيم في أستراليا ماجد الغرباوي أحد هؤلاء؛ الذين حظوا بالفرصة واستغلوها ليطرحوا رؤاهم، وقد ساعده البعد على التحدث بصراحة يكاد يفتقد إليها أبناء الداخل.

هذه الفسحة فضلا عن رجاحة الفكر، والإعداد الفكري المتأصل المتجذر الذي حظي به المفكر الغرباوي، بعد أن قرأ ودرس عددا كبيرا من أهم وأخطر المؤلفات، وتعمق بدراســة الفقه على مدى سـنين طويلة، وتولى القيادة والإشـراف على عدة منشـورات عقائدية تعتبر من أهم وأخطر المنشـورات؛ رئيســا للتحرير وكاتبا ومقوما ومقيما، فضـلا عن احتكاكه المباشر مع كبار رجال المؤسسة الدينية والعمل معهم، واطلاعه على خفايا لا يتسنى لأحد من خارج المؤسسة الاطلاع عليها، بل لا يتسنى لبعض من هم داخل المؤسسة أن يطلعوا عليها، كل هذا مقرونا بشجاعة شخصية مائزة واعتداد بالنفس وحســن تدبر ورجاحة عقل وسمو أخلاقي، فضـــلا عن وجود الواسـطة، وأقصـد بها موقع صـحيفة المثقف الذي بناه بجهده وعرقه، وحولة خلال بضـــعة ســـنين إلى دوحة للمفكرين والباحثين والأدباء والفنانين، اجتمعت كلها وصقلت موهبته الفكرية.، فكان هذا النتاج الثر الماتع الرائع المفيد والخطير أيضا.

ولا أبالغ إذا ما قلت لكم أني كنت أحد المعترضـــين على كثير من طروحاته، وكنت أرى فيها انحرافا عن المألوف لا أكثر، لكني حينما بدأت أتعمق بتفكيك كتاباته، واستشـراف مقاصـدها، وجدت نفســي أمام عقل شـره للعلم، شـجاعا بالطرح، رائعا بالتفكير، أستاذا بالاستقراء والاستنتاج، وكان للنتائج التي توصل إليها وطرحها من خلال مواضيعه التي نشرها تباعا على صفحات صحيفة المثقف تأثيرا على بعض رؤاي الشـخصـية، وقد أفدت منها كثيرا، بل وجدتها تصـحح لي بعض مسارات تفكيري.

وقد ســـبق لنا (الغرباوي وأنا) ودخلنا في حوارات عميقة من خلال المداخلات على كتاباته المنشــورة، أخذتُ من خلالها بكثير مما قاله، وأخذَ بما قلت، والظاهر أن هذا التعاطي الفكري الرائع أوحى لبعض ضـــعاف النفوس الذين لا يملكون القدرة على مقارعة الحجة بالحجة، فانتحلوا اسمي، وبدأوا يوجهون له المطاعن والســـباب.! وقد يرى بعضـكم أن هذا أمرا طبيعيا لا غرابة فيه، لأن الأعم الأغلب من أصـحاب الفكر وجدوا على مر التاريخ من يتصـــدى لهم ويوقع بهم الأذى، ألم يعدم ســـقراط، ويقتل فيثاغورس؟ ألم يقتل الفيلسـوف والخطيب الروماني الشـهير شيشـرون بأمر من الطاغية نيرون؟ ألم يكن موت الفيلسوفة هيباتيا على يد متطرفين مسيحيين في مصر؟ ألم يعدم الفيلسـوف بوثيوس صـاحب كتاب "عزاء الفلسـفة" بأمر من الملك ثيودور الكبير؟ ألم يقتل جوديا هالفي، وجون هاس، وإبراهام بن داود، ألم يعدم الفيلســـوف الإيطـالي غوردانو برونو حرقـا وهو حي؟ ألم يحـاكم غـاليليو بســـبب آرائه الفلكيـة ويســجن؟ ألم يقتل الفيلسـوف توماس مور صــاحب المدينة الفاضــلة "يوتوبيا" بأمر الملك الإنجليزي هنري الثامن، ألم يقتل الفيلسـوف الغورنون سيدني بتهمة التآمر ضـد الملك الإنجليزي؟ ألم يقتل ليون تروتســكي بأمر من ســتالين، ألم يقتل الشـــيوعيون المتطرفون جيوفاني جنتيله الإيطالي؟ ألم يقتل فيلسوف الوضعية المنطقية موريس شليك على يد طالبٍ مجنون؟ ألم يقتل الفيلســـوف الفرنســـي ســـيجر البرابوني على يد المتشـددين لمجرد أنه من أتباع الفيلسـوف العربي ابن رشـد الذي تتهمه أوربا بالإلحاد؟ ألم يخشـى ديكارت على نفسـه أن يلقى مصير أقرانه من الفلاسـفة فأحجم عن نشـر كتابه "العالم" لأنه يطرح الآراء نفسـها التي قتل من أجلها برونو وسـجن غاليليو، ولم يطبع الكتاب إلا بعد موته؟

لكن غير الطبيعي، الذي ينم عن سمو أخلاق الفيلســـوف ماجد الغرباوي أنه لم يفـاتحني بالأمر ولم يعـاتبني أبدا إلى أن اكتشـــفت من خلال الحوار معه وجود هذا الموضـوع الشـائن، فقمنا بالبحث والتحري لنكتشـف أن هناك من عمل إيميلا مقاربا لإيميلي ليرســـل من خلاله تلك التفاهات من مدينة الكوفة. وكان طوال مدة تلقي الإيميلات الخبيثة يتصـرف معي كأخ وصـديق، دون أن تظهر عليه أي علامات حتى

للزعل البسيط، وهذه مكرمة لا يتمتع بها إلا الفلاسفة الكبار، وأنا أُكبرها به وأشيد به بسببها في جلساتي.

وآخر ما أردت الإشـــارة إليه هو رغبتي الجامحة في أن تتولى المؤســـســـة الدينية والمؤســـســـات الأكاديمية دراســـة طروحات الغرباوي بشـــكل منهجي علمي أكاديمي حوزوي محايد وستكتشف أسرارا هي بحاجة ماسة إليها، فمن الغريب أن نفرط بذلك الكم الكبير من الفكر المتحرر النـــاهض العلمي دون أن نلمس أثره على الواقع الإسلامي الذي هو بأمس الحاجة لمثل طروحات الأستاذ الغرباوي.

كما وأتمنى أن يبادر الرأسماليون المســـلمون وغيرهم إلى جمع مبالغ لإعادة طباعة مؤلفات ماجد الغرباوي وتوزيعها بشـــكل مكثف على كافة طبقات المجتمع، فالمرحلة التي نمر بها اليوم من أخطر المراحل التاريخية، وعلينا الاســـتعداد للمواجهة بحكمة وعقل، فزمن المعارك والســـيوف ولى، والعقل هو الذي يحكم العالم اليوم، وما يطرحه ماجد الغرباوي هو لب العقل بعينه.

وفي الختام أقول: سبق لي في عام 2021 ووضعت كتابا بعنوان "الإلهي والبشري والدين التراثي رؤية نقدية في مشـــروع ماجد الغرباوي" يتألف من أكثر متن 250 صفحة، لقي رواجا وقبولا واسعا، ولو سنحت لي الفرصة الآن لوضعت كتابا آخر تناولت فيه طروحاته الجديدة، فهي تستحق القراءة والتفكيك.

سؤال الدين والأخلاق
في فكر ماجد الغرباوي

بقلم: أ.د.نابي بوعلي[1]

إن المتتبع لما يكتب المفكر ماجد الغرباوي، خلال رحلته الفكرية منذ عقود من الزمن، والذي لا يزال في قمّة حضوره الفكري وهو يبلغ سن السبعين، يجد أن مشروعه الفكري ينخرط في الإطار العام لإشكاليات تجديد الفكر العربي والإسلامي والاهتمام بقضايا الأمة المعاصرة، قصد تحقيق نهضة حضارية وتجاوز محنة التخلف، على أساس مركزية الإنسان في الكون، ودوره في الحياة من حيث هو مخلوق من أجل مهمة، وليس مخلوقا عبثيا حسب رسالة السماء. يبرز ذلك من خلال سلسلة المؤلفات والأبحاث والحوارات والتحقيقات والترجمات، التي تعكس ثقافة علمية موسوعية كبيرة والتي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: إشكايات التجديد، تحديات العنف، التسامح ومنابع اللاتسامح، إخفاقات الوعي الديني، الضد النوعي للاستبداد، المرأة والقرآن، الحركات الإسلامية، جدلية السياسة والوعي، النص وسؤال الحقيقة، الهوية والفعل الحضاري، مدارات عقائدية ساخنة، رهانات السلطة في العراق، نقد مرجعية التفكير الديني، الهوية والفعل الحضاري، مواربات النص، الفقيه والعقل التراثي، مضمرات العقل الفقهي، تحرير الوعي الديني، المرأة وأفاق النسوية، تراجيديا العقل التراثي... وهي مؤلفات ازدانت بها المكتبة العربية لواحد من رموز الثقافة العربية والمجددين في تحليل التراث. حيث تمثل إسهاما كبيرا في النقد والدعوة

---

1 - جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر- الجزائر

إلى التنوير وتحرير العقل العربي من مخلفات وقبضـــة القوة الأســـطورية للتراث، التي نسجت حول النص الديني. ومن أواخر المنجز الفكري لماجد الغرباوي مؤلفه الموسوم بـــــ: "المقدس ورهان الأخلاق" الذي يقدم فيه قراءة نقدية عميقة لمفهوم المقدس وعلاقته بالقيم الأخلاقية. والكتاب عبارة عن سلسلة بحوث نشرت في سياق حوار مع الباحث، وصادر عن مؤسسة المثقف في سيدني في استراليا، ودار أمل الجديدة في دمشق عام 2022، ويقع في 385 صفحة من الحجم الكبير، وهو الكتاب الثامن في السلسلة أو الموسوعة التي اختار لها ماجد الغرباوي عنوان(متاهات الحقيقة).

لقد استرعى المشروع الفكري لماجد الغرباوي اهتمام العديد من الباحثين، حيث قدموا حوله دراسات ومقالات تحليلية ونقدية، مثل: الإلهي والبشري والدين التراثي.. رؤية نقدية في مشـــروع ماجد الغرباوي، للكاتب صـــالح الطائي. جدلية العنف والتسامح.. قراءة في المشروع الإصلاحي لماجد الغرباوي، للكاتب صالح الرزوق. الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري، ماجد الغرباوي ومكاشفاته في المقدس ورهان الأخلاق للكاتب محمود محمد علي.

يســـعى المفكر ماجد الغرباوي، باعتباره متخصـــص في علوم الشـــريعة والعلوم الإسـلامية، في مشـروعه التنويري إلى تحرير الخطاب الديني من سـلطة التراث الديني، بمعنى تحريره من الخطابات التي تسـيّجه في إطار دوغمائي، لا يســمح بهامش الحرية للتعامل معه وفق ما يطرحه العصـــر من تحديات. إن النص الديني يجب أن يخضـــع لقراءة متجددة مما يجعله صالحا لكل زمان ومكان من حيث أن قداسة النص الديني لا تتعارض مع آنســـة المقدس، وإلا ما الفائدة من وجود النص أصـــلا؟ حيث يري ماجد الغرباوي أن العقل التراثي صـار لا يتماشـى مع هموم العصـر، وهو ما يترتب عليه تداعيات خطيرة تجعله غير قادر على مواجهة تحديات الراهن، وبالتالي يكرس الفجوة التاريخية بين الأزمنة، مما يجعل المســـلم المعاصـــر يطرح الســـؤال في أي زمن أعيش؟ وهذا ما يطلق عليه ماجد الغرباوي مأســاة التراث. ولذلك نجده في مســيرته النقدية والبحثية يثير دائما الأســـباب التي تقف أمام نهضـــتنا، ويتوقف أمام القوة الأســطورية للتراث، لتشــخيص أزمته وســطوته، وينتقد التفكير من خلال مرجعيات التراث، والرؤية التراثية التي تحتوي الإنســـان، دون تحليل أو مراجعة ودون تفعيله في

واقعنا المعاصر، وكل ما من شأنه مناصبة العداء لاستخدام العقل والتفكير باستقلالية عن التحيزات الإيديولوجية والأهداف السياسية. ويتساءل كيف يطمئن العقل الحي إلى العقل الميت، ويخلص إلى أن العقل التراثي يريد أن تكون أحكامه مطلقة لا تتأثر بمقولات الزمان والمكان، أي أنه عقل نصّب نفسه ليفكر في مكان الآخرين.

إن سؤال الأخلاق،وإعادة بناء الوعي الأخلاقي، يأتي على رأس الأسئلة المهمة في مشروع ماجد الغرباوي ويحظى بأهمية قصوى. ما حقيقة النظام الأخلاقي الذي يحكم سلوك البشر، وما مرتكزاته وأصوله المؤسسة؟ يرتكز البعد الإشكالي لسؤال القيم الأخلاقية في منظور ماجد الغرباوي، في ذلك التعارض القائم بين ما يدعو إليه النص الديني من تسامح ومحبة وعدالة وإخاء وحوار... وما نواجهه في أرض الواقع من تعصب وكراهية واستبداد وتطرف؟ ولماذا لم تنتقل هذه القيم وتتجسد في تجربة الفرد وفهمه؟ أي ما طبيعة العلاقة بين الأخلاق والمقدس الذي قد يبرر بعض السلوكات اللاأخلاقية؟ ولماذا يبرر ذلك؟ ولمصلحة من؟ وهل يمكن إنهاء هذا التعارض القائم بينهما؟

وأمام هذه المفارقات التي تطرح نفسها بقوة أمام الفكر، لابد من إعادة إحكام سؤال القيم الأخلاقية من أجل بناء إنسان جديد، وصياغة رؤية جديدة للمجتمعات العربية المعاصرة، التي هي في حاجة إلى تجديد شكل وجودها في التاريخ. وهذا يتطلب تصحيح القيم الأخلاقية الملوثة والمناقضة لجوهر الدين، التي ترسبت في اللاوعي الفردي والجماعي نتيجة التقليد وعوامل القهر التاريخي. ومن هذا المنطلق يعيد ماجد الغرباوي طرح السؤال التالي: ما هو الواجب وإلى أي سلطة يخضع؟

يرى ماجد الغرباوي أن الفعل الأخلاقي مطلوب لذاته، كما هو الحال في التصور الكانطي، الذي يفترض أن القيام بالواجب يكون استجابة لنداء الواجب ومن أجل الواجب فقط، من دون النظر إلى نتائج الفعل. هناك "قيم أصيلة بها

تصـــدق إنســـانية الإنســـان"[1] ومن هنا لابد من مراعاة البعد الإنســـاني في القيم الأخلاقية، فنحن نأكل خبزا لا ندري من يزرعه، ونستعمل دواء لا نعرف من ينتجه، ونلبس ثيابا نجهل من يخيطها... فالإنســـان في بعده العالمي واحد ولكن تفرقه الثقافات. وبهذا يرفض ماجد الغرباوي خضـوع الأخلاق لأي سـلطة خارج سـلطة العقل. ومن أسباب فشل المنظومة الأخلاقية هي تحول العقل بوصفه معيارا للتمييز بين الخير والشر إلى عقل حولته الذرائعية إلى عقل أداتي منفعي ينظر إلى الحق بمنظار المنفعة.

يتناول ماجد الغرباوي بالتحليل والنقد إشـكالية العلاقة بين المقدس والأخلاق، بالاسـتناد إلى مناهج غربية مثل: الهيرمينوطيقا، وفلسـفة التفكيك، والمنهج التاريخي، والتحليل السوسيولوجي، بالإضافة إلى التراث الكلامي والفلسفي العربي الإسلامي للكشـــف عن ســـلطة المقدس. ينطوي المقدس على جانب من الغموض، مما يجعله مبجلا ويكسبه الهيبة والرهبة في نظر الإنسان، ويحظى بحراسة شرسة من قبل الجهات القائمة عليه، والتي تجعل الاقتراب منه محرما وممنوعا. إلا أن مســـألة الفحص الموضوعي، والتنقيب العلمي الدقيق في الأصول والمرجعيات المؤسسة لسلطة المقدس التي اكتسبها عبر الزمن، سرعان ما تكشف الأسباب الحقيقية المتوارية، التي ترفع من شـــأنه، وتعلي من منزلته وتجعله خارج نطاق المســـاءلة. وعبر هذا الطريق اتخذت المنظومات الفكرية طابع القداســـة، وأصـــبحت تؤطر الفكر العربي الذي غاب عنه الإبداع وروح الفاعلية.

يؤكد ماجد الغرباوي أنه يجب الاحتكام إلى العقل في أحكامه المعيارية في التشـــخيص والحكم، على غرار ما ذهبت إليه المعتزلة والفلاســـفة العقلانيين، لأن التحســـين والتقبيح من مقتضـيات العقل قبل الشـــرع " الحســـن والقبح عقليان لا شرعيان. وأنهما من مدركات العقل العملي، وأن المقدس لا يحول دون الرجوع للعقل

---

1 ماجد الغرباوي، المقدس ورهان الأخلاق، الطبعة الأولى، ســـنة 2022، نشـــر وتوزيع: دار أمل الجديدة، دمشق، سوريا،ص30

لمعرفة حقيقة السلوك البشري، مهما كان مصدره"[1]. لسبب بسيط ومعقول وهو أن العقل يقتضيه التكليف وما يترتب عن ذلك من تحمل المسؤولية استحقاقا للثواب والعقاب متى كان الإنسان عقلا مستقلا وإرادة حرة.

كما تطرق في مشروعه الفكري لمسائل حساسة لها علاقة بسؤال الدين والأخلاق مثل فرص التعايش بين الأديان والثقافات الذي تستوجبه التعددية والاختلاف، ونشر ثقافة التسامح الديني الحقيقي للقضاء على منابع اللاتسامح، إثراء للمشهد الثقافي الإنساني دون الانغلاق على الذات، وقبول الآخر المختلف دينيا وايديولوجيا وطائفيا ومذهبيا وسياسيا على أساس أن الناس خلقوا شعوبا وقبائل"، لأن تأكيد الذات لا يتحقق إلا من خلال وعي الأخر"[2]. فالآخر امتداد إنساني حقيقي وليس صوري، فهو إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

إن المراجعة النقدية المكثفة والدقيقة والصارمة لأهم الأنساق الفكرية المضمرة في النص، وتفكيك بنية العقل التراثي، وعقلنة التراث باعتباره نتاجا بشريا، رغم صلابته، واستدعاء المسكوت عنه والمهمش والمستبعد إلى دائرة النقاش والمساءلة من أجل التنوير، وفهم دور الإنسان ورسالته في الحياة، هي أهم ما يميز المشروع الفكري لماجد الغرباوي. لأن الأسئلة في زماننا صارت تطرح في ظل مناخ جديد هيمنت عليه تحديات كبرى لم يكن للسابقين عهد بها. وهذه الدعوة إلى التنوير التي يرفع لواءها ماجد الغرباوي ليست خيارا، وإنما صارت حاجة ملحة تفرض نفسها اليوم على جميع المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتي يستدعيها الفهم البشري الذي هو تاريخي في جوهره. وكأن لسان حال ماجد الغرباوي يقول وهو يقف متأملا مشروعه الفكري:" نحن محكوم علينا بالنهضة والتقدم" في إطار مجتمعات مدنية عصرية تحترم إنسانها وثقافتها، وترسخ قيم المواطنة والحرية والعدالة

---

1 ماجد الغرباوي، المقدس ورهان الأخلاق، الطبعة الأولى، سنة 2022، نشر وتوزيع: دار أمل الجديدة، دمشق، سوريا، ص 16.
2 المصدر نفسه، ص23.

بعيدا عن كل ما يعيق تحقيق إنسانية الإنسان وكرامته من استبداد وحروب وكراهية وتخلف. ذلك هو السر وتلك هي الوصفة.

ولكن يبقى التساؤل مطروحا، حول قدرة هذا المشروع الفكري المهم في تاريخ التجديد والتطور، في الخطاب العربي المعاصر – والذي يستحق التثمين- في تحريك المجتمعات العربية، التي تسير عكس حركة التاريخ من خلال الإخفاقات المتتالية في كل منعطف تاريخي. ثم ما هي المؤسسات العلمية والثقافية، والإرادة السياسية التي تتبنى هذا المشروع وتحوله من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، في إطار نهضة حضارية مستأنفة في المجتمعات العربية والإسلامية. وهل ستنجح مساعي المفكر ماجد الغرباوي، في معركة الانتصار على قلاع الكهنوت والفكر التقليدي ومظاهر الاستبداد السياسي والعنف الطائفي، وتسهم ضمن جهود أخرى مخلصة للتنويريين المعاصرين في دخول مجتمعاتنا إلى نادي الأمم المتقدمة، وتفتك لها مكانا تحت الشمس، أمام الصدمة الحضارية وتداعيات النكوص الحضاري، من أجل غد عربي أفضل.

شهادة بحق المفكر والفيلسوف
الأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: د. عدنان عويّد[1]

"ماجد الغرباوي"، كاتب وباحث ومفكر وفيلسوف إسلاميّ عقلانيّ تنويريّ بكل ما تعنيه هذه المفاهيم من دلالات، وما يميزه عن الكثير ممن اشتغل على الفكر الإسلاميّ، هو فهمه العالي والعميق لجوهر الخطاب الإسلاميّ في مقاصده التي جاء بها النص المقدس ذاته قرآنا وحديثاً، وبالتالي هو من القلة الذين أعادوا قراءة هذا النص قراءة محايدة ومجردة من أي موقف طائفيّ أو مذهبيّ، أو من أي مصالح أنانيّة ضيقة تحركها منافع ذاتيّة أو سلطويّة.

(الفيلسوف الغرباوي) الذي أدرك جوهر المنهج "الهيرمونطيقي" عن تأويل النص، جعله يعيد قراءة النص المقدس من منطلق إنسانيّ محض، وهذا ما أضفى على تفسيره وتأويله ليس للنص المقدس فحسب، بل ولقراءة الحدث التاريخيّ الذي رافق النص منذ نزوله حتى اليوم، وتحديد موقفه العقلانيّ من الفقهاء ورجالات علم الكلام والحديث الذين فسروا وأولوا هذا النص وفقا لهواهم ومصالحهم او مصالح السلطان الذي يشتغلون عنده، إن كان من قبل رجالا العصور الوسطى، أو من قبل رجالات تاريخنا المعاصر الذين لم يخرجوا عن عباءات مشايخهم القدامى، حيث راحوا يتماهون مع النقل على حساب العقل و ورفضهم فتح باب الاجتهاد، إي إعادة فتح مخزون النص على كل دلالاته الإنسانيّة، الأمر الذي ساهم في تجميد الخطاب الديني والعمل

---

1 - كاتب وباحث من سوريّة.

دائماً على ليّ عنق الواقع كي ينسـجم معه. وبذلك اسـاؤوا للنص المقدس وللواقع ذاته.

على العموم نستطيع القول من خلال متابعتنا لما كتب فيلسوفنا الكبير الاستاذ ماجد الغرباوي: إن فكره قد امتاز كباحث في التراث الإسـلاميّ بمجموعة سمات وخصائص أهمها:

أولاً: هو اختص في الفكر الإسـلاميّ وكرس كل جهده في دراسـة هذا الفكر، عقيدة وفقها وحديثاً وتاريخاً وعلم كلام، وكتب الكثير عن قضايا الخطاب الإسلاميّ وفقاً لفهمه التجديدي التنويري بما يخدم قضايا العصر والإنسان بشكل عام.

ثانياً: نظر في مناهج البحث التي اشـتغل عليها رجال الدين من فقهاء وعلماء حديث وعلم كلام، وإذا كان قد برر هذه المناهج لرجال العصـور الوسـطى، فهو لم يبررها لرجال الدين في تاريخنا المعاصـر، وطالبهم بضـرورة تجديد مناهج البحث والتقصي داخل الخطاب الديني عن كل ما هو إنسـانيّ وقيميّ حتى نخرج من شـرنقة مناهج الماضي التي لم تعد قادرة على حل قضـايا عصـرنا، لا سيما وأن هناك مناهج بحث علميّة كثيرة قد ظهرت على ساحة المعرفة، إن كان على مستوى اللسانيات، أو دراسـة التاريخ من وجهة نظر تاريخانيّة أو جدليّة، أو تفسـير وتأويل النص المقدس نفسـه.. الخ، ولديه أمثلة على بعض رجال الدين الذين اشـتغلوا على هذه المناهج ومنهم "محمد اركون" و"الجابري" و"حسـن حنفي" و " السـيد القمني" و"ماجد الغرباوي" وغيرهم ممن درس التراث الإسـلاميّ وحلل خطاباته العقيديّة والفقهيّة والتاريخيّة وغيرها.

ثالثاً: الموقف العقلانيّ التنويريّ من التراث، وهنا عمل "الفيلسـوف الغرباوي" على إبعاد كل ما لا يتفق والعقل والمنطق، وبذلك الغى الأسـطورة والخرافة والتخيل والمواقف الذاتيّة والعاطفيّة والحدسـيّة عن قراءت التراث والبناء عليها. ويهذا يكون "الغرباوي " قد اتخذ من العقل مرجعا أساساً في تعامله مع الحدث التراثيّ الإسلاميّ، ولكن ليس العقل مجردا في صـيغته الديكارتيّة، وإنما العقل المرتبط بالواقع وأحداثة ودرجة تأثير هذه الأحداث على الواقع وعلى تحديد الفكر ذاته.

رابعاً: لقد تعمق الفيلســـوف الغرباوي في قراءة النص المقدس ذاته، فوقف كثيراً عند الثابت والمتحول في النص، وكذلك عند الناسخ والمنسوخ، وتبيان جوهريها الذين يؤكدان هنا على حركة وتطور وتبدل الحوادث أو الظواهر الماديّة والروحيّة المتعلقة بحياة الناس في الزمان والمكان. وعلى هذا الأســاس لم يأخذ "الغرباوي" النص المقدس بظاهره بل بخصوص سببه الذي يكشف سر ظهر هذا النص وموقفه من حياة الناس الخاصـــة والعامة ، فجاءت رؤيته في تعامله مع النص تتفق ورح مقاصـــد الدين في تطورها وتبدلها وفتح دلالاتها على مصـالح الناس، ومن هنا جاء إيمانه أيضــاً بقواعد الفقه الفرعّية كالمصالح المرسلة والاستحسان وتغير الأحكام بتغير الأزمان وغيرها.

خامســـاً: لقد كان الباحث "الغرباوي" قارئاً عقلانيّا ومحايدا للنص الديني قرآنا وحديثاً كما بينا أعلاه، وعلى هذا الأساس وقف كثيراً عند المحكم والمتشابه من النص الدينيّ. فالقرآن كما يقول الرســـول (ذلول حمال أوجه، وعلينا أن نأخذه على وجهه الحســن). وهنا يأتي موقف "الغرباوي" من النص المحكم وضـرورة الأخذ به، والابتعاد عن المتشـابه أو إعادة تأويل هذا المتشـابه بما يخدم مصـالح الناس، لإدراكه بما يحققه هذا النص المتشابه إذا ما أخذ لمصالح أنانيّة ضيقة، من تشويه للدين ومقاصده عند من في قلوبهم زيغ. والعمل على توظيف النص لمصـــالحهم، وهذا ما جرى تاريخياً، لذلك عمل كثيراً على فضـــح الذين تاجروا بالدين في الماضـــي وكانوا وراء الفتن والصـــراعات الدمويّة بين المســـلمين أنفســـهم، وجعلهم فرقاً كل فرقة منهم تقول هي الفرقة الناجية وما تبقى كفار وأهل نار.

كلام كثير يمكن أن يقال بحق فيلسوفنا الكبير الأستاذ "ماجد الغرباوي"، ولكني سأكتفي بهذا القدر من معرفتي بطبيعة فكره، مع اعتقادي بأن هناك شهادات أخرى ستكمل ما جئت إليه هنا أو توضحه.

ماجد الغرباوي في مشروعه النقدي
الى صاحب اليراع الذهبي

بقلم: ا. أياد الزهيري[1]

إنه لمن دواعي سروري، وصميم قلبي، كما يشرفني أن أتقدم الى الكاتب الكبير الأستاذ ماجد الغرباوي بمناسبة بلوغه السبعين من عمره الحافل بالعطاء الزاخر، والمواقف النبيلة، داعياً الله أن يُطيل في عمره ويمده بالصحة ويحفظه بالسلامة. الكلمات قد تعجز بالتعبير عن ما قدمه الأستاذ الغرباوي من منجز فكري كبير، وهو صاحب اليراع الذهبي المعطاء، ولكن لابد من أن نسجل شهادتنا للتاريخ عن فارس الكلمة، والمفكر المبدع، والمجدد الألمعي الأستاذ الغرباوي، الذي قدم من خلال مشروعه الفكري، فكراً نيراً أغنى من خلاله مكتبتنا العربية والإسلامية، فقد كان ذو تجربة فريدة في نقد الموروث الديني، ذلك التراث الذي أثقل مسيرة الأمة في تقدمها للأمام، بل كان السبب في الكثير من تعثراتها، فكان الأستاذ الغرباوي من القلائل الذين شمروا عن سواعدهم للكشف عن ألغام هذا التراث، فقد أشر على الكثير من إشكالاته مفسراً وموضحاً ومحذراً عما يتضمنه من هنات ومخاطر .

لا يمكن لجهودك أستاذ ماجد أن تُنسى، فقد أوفيت بالغرض و وبذلت الكثير فأنرت لمتعطشي المعرفة طرق المعرفة بضياء معارفك الوفيرة التي سطرتها مؤلفاتك الكثيرة، والتي هي محل فخر واحترام كل المنصفين من العلماء والمثقفين في الساحة العربية والأسلامية. لك مني كل الثناء والتقدير بعدد حبات المطر، وألوان الزهر على جهودك الثمينة والقيمة والتي هي محل افتخارنا والتي فجرت ثورة فكرية في عالم نقد التراث، فقد كنت غاية في الجرئة والشجاعة، فقد اقتحمت ساحات أحجم عنها

1 - كاتب وباحث – هولندا

الكثيرون تردداً وخوفاً، فكنت فيها فارســـاً مغواراً مقتحماً ســـاحات الوغى الفكرية بعقل مفتوح، وروح مقدامة، وعزيمة راســـخة، أنتج من خلالها قلمك أروع المؤلفات وأجمل الدراسات التي أثارت أعجاب كل من أطَلَعَ عليها، وغرف من معين معارفها، واستنشق من شذى علومها، وتنسم من عبير نتاجها المعرفي. لقد كنت أنا شخصياً ولازلت من المتابعين لثراء كتابات الأســـتاذ ماجد الغرباوي، فهي جزء لا يتجزء من مائدة زادي الفكري، التي لها الفضل في تشكيل خزيننا المعرفي، وبناء فضائنا الثقافي، وأنا كواحد من قراءه لا يسعني إلا أن أسجل وافر شكري وامتناني على ما قدم من جهد اســـتثنائي في بناء هذا الصـــرح الفكري، فقد كان كريم في عطائه، وجميل في عرفانه، فشكري لن يوفيكم حقكم يأستاذ ماجد لما سعيتم من مساعي مشكورة، وأن جف حبري عن التعبير عن شـــكركم، فقلبي يبقى يحمل مشـــاعر الحب والتقدير لشـــخصـــكم الكريم، ولمزيد من التوفيق والنجاح لأكمال مشـــروعك الذي لم تدخر جهداً لإنجازه.

المشروع النقدي لماجد الغرباوي

لا شـك إن الكتابة عن الأسـتاذ ماجد الغرباوي، ليس كتابة عن كاتب عادي، لأن الغرباوي عبارة عن مشروع ثقافي كبير. هذا المشروع ساحته التراث، والخوض في عالم التراث كالخائض في بحر مائج يتســـم بالمدى البعيد، والأعماق الســـحيقة، وهذا يتطلب لمن يمخر به أن يجيد العوم، الذي يتمثل بدرجة عالية من الكفاءة والحرفية، وكثير من الصـــبر لكي يتجنب أمواجه العاتية التي لا ترحم من لايجيد فن أتقاء عواصفها المجونة .

الغرباوي يعتبر واحد من الباحثين القلائل الذين أقتحموا ســـاحة النقد العقلي للتراث، وهي ســـاحة تتطلب من مقتحمها الكثير من الجرأة والشـــجاعة المنقطعة النظير، لأنها ساحة غاية في الحساسية، وفيها من المصدات والعوائق والمصاعب ما لا يقتحمها الا ذوي البأس الشـــديد، والماشـــي بها كالماشـــي في أرض مزروعة بالألغام، ومن لا يحسن المسير بها، ويتقي عثراتها، يكون مصيره الفناء، كما حصل لفرج فودة،

أو التسـقيط والتشـويه، كما حصـل للدكتور نصـر حامد أبو زيد، ولكن الأسـتاذ الغرباوي بخبرته واتقاد ذكائه نجح في تجنب سـقوطه في حقل ألغام سـاحة التراث، وتمكن من نزع فتيل قنابله الموقوته، لأنه يعرف خرائطه ومتمكن بالمسـير في ممراته الآمنه، وهذا لم يأتِ من فراغ بل نتيجة لباعه الطويل بتضـاريس سـاحة الموروث الفكري والديني، واشتغاله الطويل بين ثناياه، والعارف بمحتواه وأنساقه المعرفية.

الأستاذ الغرباوي تابعته منذ بداياته في مشروعه النقدي، وكدت أتحسس خطواته وكأن الرجل أحسبه يسير بطريق الانتحار المعنوي، وكمن وَطنَ نفسه للشهادة على مذبح تحرير الوعي النقدي، ويذكرني ببعض رجال المعتزلة الذين اشتغلوا على مشروع حركة الوعي النقد ي فتعرضوا الى محنة قاسية قادت بعضهم للقتل الجسدي وآخرين للقتل المعنوي، وآخرين أنزوا في بيوتهم آثرين السـلامة، وقد ذكر أبن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ان أحد رؤساء المعتزلة لزم بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج من بيته خوفا من عامة الناس، ولكن الأستاذ ماجد الغرباوي بحنكته وحذاقته الفكرية وتمكنه الأداتي العقلي تجاوز ما وقع به غيره، وتعثر آخرون .

أن المهمة الكبيرة التي أضطلع بها الأستاذ ماجد الغرباوي كانت مهمة صعبة، ولكنها عظيمة النتائج، وأهم حصاد هذه المهمة، هو الفصل مابين النص المقدس، وبين تفسير النص وتأويله، الذي هو نتاج بشري، وهذا في حد ذاته انجاز في غاية الأهمية، حيث رفع وشاح القداسة من الفكر الديني المتمثل بالتفسيرات والتأويلات للنص المقدس، ففصـل بينهما، ورسـم برزخاً بينهما لكي لا يتحول كل ما أنتجه الإنسـان من نتاج فقهي إنسـاني الى موروث مقدس عابر للزمن. إن رفع الغرباوي للغطاء المقدس للفكر الديني و جعل منه مادة قابلة للحوار والمناقشـة والنقد فتح عظيم في عالم النقد والاصـلاح الديني. فالغرباوي قد حرث أرض الموروث الفكري والفقهي مُخَلصاً أياها من كل مايُصَحرِها، ويجعل منها أرض بوار لا تصلح لأنبات كل ما يخضـرر أرض الفكر، ويعالج قضـايا الإنسـان . فقد أدخل الغرباوي أدوات النقد العقلي كأداة ينخل بها هذا التراث ليفصـل منه الغث من السـمين، ويحوله من مادة كابحة لحركة التاريخ الى مادة دافعة للأمام في صـيرورة تصـاعدية. ومن تجليات مشروع الغرباوي، هو إزالة مشاعر الخوف والتردد في اقتحام هذا الحقل، الذي اختلط

فيه الحابل بالنابل، حتى أصـبح ذلك الجدار الذي صـد كل محاولات النهضـة لهذه الأمة، فمشـروع الغرباوي، هو بالحقيقة مشـروع نهضـوي لأنه حرك المياه الراكة في حركة النقد، وتحرير العقل من أوهام وأسـاطير تسـللت الى سـرديات النص الديني، وهي سرديات منها ما هو دخيل، ومنها ما هو نتاج ظروفه وبيئته الزمكانية. الأستاذ ماجد الغرباوي بالحقيقة حمل على عاتقه تحقيق منجز فكري كبير، تمخض عن رؤية نقدية جعلت من العقل دوراً فاعلاً في الحكم على الموروث المعرفي، كما جعل من الفكر التراثي فكراً تاريخياً مؤطر بظرفه الزمني، ومنوطاً بأدواته المعرفية، ومعطياته البيئية، ولايمكن أن يكون خارج حدود الزمن، وأنه محكوم بنسبيته المعرفية البعيدة عن أطلاقية النص المقدس.

بخلاصـة القول أن الغرباوي قد سـاهم بتأسـيس مشـروع نهضـوي غايته تحرير العقل، والتأصـيل لفهم يكون للعقل فيه الدور الأكبر بعيداً عن الأوهام والأسـطرة، كما دعا للتسـامح في تحليل ونقد التراث، وهو ما يذكرني بنظرية العنبري المعتزلي المعرفية التي تدعو الى التسـامح في عدم تكفير أحد من المتأولين لأنه يرى أن كل مجتهد مصـيب . إن مشـروع الغرباوي يدعو للتسـامح في تقيم الأفكار بعيداً عن الإطلاقية المتزمته في الحكم على الأفكار باعتبار أن المعرفة تبقى نسـبية ومتعلقة بظروفها ومعطياتها التاريخانية وأن معرفة الإنسـان معرفة تراكمية لا يمكن أن تتطابق مع الحقيقة الكلية والمطلقة. إن الغرباوي بلغته السـهلة وبيانه الواضـح، وابتعاده عن الغموض في شروحاته جعل من منتوجه الثقافي يتسرب الى أكبر عدد من القراء، حتى يمكن القول بأن مؤلفاته أصـبحت في متناول أكبر عدد من الجمهور، حتى دخلت ضـمن الثقافة الشـعبية، وهذا بحد ذاته انجاز كبير، بعد ماكان هذا اللون من المعرفة محصوراً على النخبة من القراء.

المشروع التنويري للمفكر الغرباوي
بين أنسنة الموروث الديني
وعقلنة السرد التاريخي

بقلم: الأستاذ ثامر عباس[1]

قلما يفلح البعض من الباحثين في إيفاء المواضيع المتعلقة بالمواريث الدينية حقها من مستحقات البحث العلمي والتدقيق الموضوعي، نظرا "لكونها موضوعات إشكالية بامتياز تلابس فيها التاريخي بالأسطوري، والواقعي بالمتخيل، والمعرفي بالإيديولوجي، بحيث نادرا "ما كانت محط إجماع أو اتفاق أصحاب الشأن من علماء ومفكرين ورجال دين، فما بالك حين يغامر أحدهم بإضافة صعوبات أخرى جمة الى تلك الإشكاليات السابقة عن طريق الانخراط في تحليل السرد التاريخي وتأويل مضامينه سعيا "وراء الحقائق المغيّبة والوقائع المطموسة . ولعل المفكر (ماجد الغرباوي) كان من رواد أولئك الذين أظهروا مقدرة فريدة ليس فقط للخوض في غمار مثل هكذا مواضيع حساسة وإشكالية فلسفيا "واجتماعيا" فحسب، بل وكذلك الخروج بتأويلات ومقاربات واستنتاجات كانت حصيلتها أنسنة موروثنا الديني وعقلنة سردنا التاريخي .

وهنا ربما يطرح سؤال نفسه؛ لماذا نجح (الغرباوي) في عمليات حصاده الفكري من هذا الحقل الواسع والمتشعب، في حين أظهر آخرين عجزهم وإخفاقهم عن بلوغ مثل هذا المأرب الحضاري رغم تمتعهم بحسن النوايا وسلامة الطوايا؟! . فمن وجهة نظرنا المتواضعة يمكننا عزو هذا التفرد والتميز الى ثلاث عوامل أساسية رغم كونها تمتح من مصادر مختلفة ومراجع متباينة، إلاّ أنها تترابط فيما بينها على نحو (بنيوي)

1 - ثامر عباس – كاتب وباحث عراقي

على صعيد ماهية الظاهرة / الحالة، و(عضوي) على صعيد وظيفة الفاعل الاجتماعي / الثقافي، و(جدلي) على صعيد تطور الوعي / الإدراك:

العامل الأول: يتعلق بطبيعة التكوين الذاتي (الذهني والنفسي) لشخصية الباحث المعني، من حيث كثافة وتنوع المجهودات الفكرية والثقافية التي بذلها خلال مراحل تقدمه العمري ونضوجه العقلي، حيث الاشتغال المتواصل على كينونة الذات لجهة بلورة ملكاتها وصقل مواهبها وتنقية تصوراتها . ولعل هذا الأمر يعكس حجم التنوع في الاهتمامات العلمية والمعرفية التي انخرط في أتونها الأستاذ (الغرباوي) طيلة مسيرته الحافلة بالعطاء، كما جاء في مسرد سيرته الفائضة بالاهتمامات الإنسانية، والثرية بالانجازات الفكرية، والمهجوسة بالتطلعات الحضارية .

والعامل الثاني: يتعلق بكم ونوع المصادر والمراجع التي نهل من معينها (الغرباوي)؛ أسطورية وتاريخية وتراثية ودينية وفقهية وفلسفية، عبر محطات بناء مدماكه الفكري المتناضد الأساسات والمتعدد المنطلقات والمتنوع المسارات. إذ يمكننا بمراجعة خاطفة لسيرة هذا الباحث المتميز اكتشاف ان الحصيلة العلمية والمعرفية التي يتوفر عليها لم تأتِ من فراغ أو تنبثق من العدم، بقدر ما كانت نتاج دراسات واسعة وحفريات عميقة في مجالين هما من أخطر المجالات الفلسفية والمعرفية (الدين والتاريخ) . بحيث ان هذا العامل مكنه من الحراك السهل والانتقال السلس ما بين حقول تلك المجالات، دون أن يتيه في المسارات المتعرجة للأبحاث التي ينجزها، أو أن يفقد بوصلة الاتجاهات المتقاطعة للأفكار التي يصوغها .

العامل الثالث: يمكننا اعتبار ان هذا العامل هو حصيلة تضافر العاملين الآخرين (الأول والثاني) من جهة، وتفاعل العوامل الثلاثة مع بعضها مجتمعة في مجال دراسة الظواهر الاجتماعية من جهة أخرى . ففي إطار تكوين عقلية الأستاذ (الغرباوي) وما تنطوي عليه من خصال تتمثل؛ بالمرونة الفكرية، والرصانة المعرفية، والموضوعية العلمية، والمعيارية الأخلاقية . لم يترك لوعيه الانسياق خلف حالات الرضا بحصيلته العلمية والاقتناع برصيده المعرفي والاكتفاء بمخزونه الثقافي، بحيث يركن

الى التقوقع داخل شرانق تصوراته الذاتية والتمترس خلف سواتر انطباعاته الشخصية، وإنما شــرع بالنهل من معين كل ما أنتجه الفكر الإنســاني من علوم ومعارف حداثية وما بعد حداثية، والتسلح بكل ما أبدعه هذا الفكر من منهجيات تحليلية وتفكيكية وتأويلية، لسبر أغوار اللاوعي والكشف عما يضمره في قعر المسكوت عنه والممنوع القول فيه من جانب، وإماطة اللثام عما تخفيه الســيكولوجيا في أعماق المحرم دينيا" والمؤثم اجتماعيا"من جانب ثان .

وإذا ما وضــعنا هذه المعطيات وتلك المؤشــرات في إطار ما يعانيه الواقع الاجتماعي من تخلف في البنى الفكرية والأنساق الثقافية والأطر الحضارية، حينذاك سنكتشف أي نمط من أنماط المشاريع التنويرية التي عقد الأستاذ (الغرباوي) العزم على وضــع أســســه وإقامة أركانه وإشــادة معماره، بحيث لا يكون فقط مختلف نوعيا"عن جمهرة المشــاريع الفكرية القائمة هنا أو هناك تحت مختلف العناوين والمسميات فحسب، وإنما يمتاز بفضائل الجرأة في طرح التساؤلات، والجذرية في نقد المسلمات، والإبتكارية في صياغة الطروحات أيضا". وهو الأمر الذي جنبه الوقوع في مصــائد الاختزالية في معالجة الإشــكاليات، والتقليدية في تصــور العلاقات، والاســتاتيكية في تأمل الســيرورات، لاســيما وان متاهات حقول الموروث الديني المؤسطر والسرد التاريخي المؤمثل في المجتمعات المتشظية الى ملل ونحل، والمتذررة الى طوائف ومذاهب، والمبعثرة الى قبائل وعشائر من التشابك والتعقيد، بحيث تحتاج الى باحث يمتلك قدرات فكرية هائلة وامتيازات منهجية متعددة . تتيح له ليس فقط إمكانية الولوج الى فضاءات تلك الحقول الملغومة بالصعوبات والمفاجئات فحسب، بل وكذلك اجتثاث كل ما علق فيها من زؤان الأساطير والخرافات . ليس بالاعتماد على أساليب الاختلاق والتلفيق التي غالبا"ما يعمد الى ممارستها أولئك المهوسيين بالأصــول المندرســة والمفتونين بالأرومات البائدة، وإنما عبر محاولات أنســنة (الوعي الديني) من جهة، وعقلنة (الوعي التاريخي) من جهة أخرى .

وتلك مهمة –كما تبين لنا - لا يســـتطيع الخوض في أتونها والنهوض بأعبائها سوى تلك الثلة من المفكرين المبدعين، الذين أوتوا نصيبا "من فضائل العلم والحكمة ما مكنهن من أن يستحيوا الى نجوما" لامعة في سماء الثقافة والمعرفة الإنســانية، وهو ما أصــبح عليه المفكر (الغرباوي) عبر مشــروعة التنويري – النهضــوي الذي لم يبرح يطرح ثماره اليانعة في أكثر من مجال وعلى أكثر من صعيد.

ماجد الغرباوي .. مفكراً

بقلم: د. عبد الجبار العبيدي[1]

تعايشـــنا مع صـــحيفة المثقف منذ زمن طويل حين وجدنا فيها الأســـتجابة والانفتاحية التامة مع افكار التنوير التي اصـــبح المجتمع العربي بشـــكل عام والعراقي بشـكل خاص بحاجة ماسـة اليها بعد هذه الهجمة الشـرسـة التي واجهها الوطن من أعدائه التقليديين .

المفكر الغرباوي واحداً ممن يدقون نواقيس الخطر والتنبيه في عالمنا العربي الجريح الذي شـغل عن كل شـيء الا عما يربطه بالملهيات والمغريات، الا انه لا يفقد الامل في وجود من يستطيع القيام بالبحث والتدقيق في واقعنا الحالي المهان ليصحح كل ما يحتاج الى تصحيح.. وما يحتاج من تصفية مما شابه من عدم الدقة، في تسليم الامور لغير مستحقيها حتى اوصلونا الى حافة الهاوية والعدم والتهديم.

يعتبر ماجد الغرباوي هو احد مفكري العصـــر الحديث، وواحدا من الذين وعوا مشكلة الانسان العربي حاضره ومستقبله موضع درس عميق، واطلق العنان للبحث في مشـكلته، حين فتح المجال لمجلته المثقف ان تنشـر كل ما يهمه اليوم لتخليصـة من ازمات الزمان، ليفتح للانسانية ابوابا واسعة للتفكير والتغيير، تمهيدا لثورة طويلة بعيدة المدى في الفكر والنظم الســياســية والتشـــريعية والاجتماعية ..كما بدأت بالثورة الفرنسية ولا زالت مستمرة ليدخل وطنه في عصر الحضارة الجديد.

صحيفة المثقف تقدم قراءة معاصرة، ونظرة جديدة للاسلام والعروبة، تنطلق من خصـــاص اللســـان العربي، وقوفا على الارضـــية الفلســـفية والمعرفية للقرن الحادي والعشرين، وهو يعرض بكتاباته وتآليفه الرصينة وجهة نظر جديدة الى الوجود والمعرفة والتشـريع والاخلاق والجمال والاقتصـاد والتاريخ، يسـتنتجها من آيات الذكر الحكيم

---

1 - كاتب وباحث.

ومن قراءات المختلفة: أخذا بعين الاعتبار شمولية الاســـلام التي جاءت من حنيفية التشابه بالحدود.

من كتاباته يتبين لنا ان العمود الفقري للعقيدة الاســلامية، هو قانون الصــيرورة (نظرية التطور) حيث تكمن عقيدة التوحيد، وقانون تغير الاشـــياء.. وفي كتاباته المستمرة يحاول ان يتوصل الى وضع منهج جديد في اصول التشريع الاسلامي، القائم على البينات المادية، واجماع الاكثرية، وان حرية التعبير عن الرأي وحرية الاختيار، هما اساس الحياة الانسانية في الاسلام.

من هنا لا يمكن فهم حضارة الاسلام اليوم دون الالمام بهذه الاراء وما ينتظر لها من تطورفي مســـتقبل الزمان. ولا احد يســـتطيع التحدث عن هذه المفاهيم الثقافية والعلمية والاجتماعية الا بعد الاطلاع على دراســـة كتبها ومحتواها.. وهنا احسُ ان الاخ ماجد هو واحد من الذين توفرت فيه هذه المزايا والخصـال، نرجو الى المزيد من فتح ابواب الاراء والأفكار الواسعة للتفكير اكثر لنقل الاسلام الى واقع القناعة المبني على الحجة بالدليل، بعد هذه الهجمة لنقد الاديان والتي تطالب بقراءة معاصـــرة للدين وتفسير جديد للقرآن خاصة وان اللغة نظام لربطا لكلمات ظلت ترادفية عند المفســـرين الاوائل وهي مرحلة تاريخية قديمة كانت فيها الفاظ اللغة العربية تعبر عن التفكير القائم على ادراك المشـخص ولم تكن التسـميات الحسـية قد اسـتكملت في تجريدات..

فهل سنجد في فكر ماجد الغراوي ما نأمله من التغيير..

واخير أســأل الله ان ينفع الناس بهذا الفكر الآخاذ نحو التغيير لخدمة العلم واهله وهو يستحق مكانة التكريم.

الرسالة الفلسفية للأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: ا.د. محمود محمد علي[1]

إذا أردت أن تعرف الرسالة الفلسفية للأستاذ ماجد الغرباوي فأقرأ له حواراته المفتوحة، والتي جسدها على منصة صحفية المثقف الزاهرة، وكذلك في كتاباته المتعددة بداية من الشيخ المفيد وعلوم الحديث، 1992، مرورا الشيخ بمحمد حسين النائيني.. منظّر الحركة الدستورية، 1999، ومنه إلى إشكاليات التجديد، 2000، والتسامح ومنابع اللاتسامح: فرص التعايش بين الأديان والثقافات، 2006، وتحديات العنف، 2009، والضد النوعي للاستبداد: استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني، 2010، والحركات الإسلامية.. قراءة نقدية في تجليات الوعي، المرأة والقرآن.. حوار في إشكاليات التشريع 2015، وقراءة في تداعيات السلطة والحكم في العراق، 2016، ونقد مرجعية التفكير الديني، 2018، والهوية والفعل الحضاري، 2019، ومواربات النص، والفقيه والعقل التراثي، ومضمرات العقل الفقهي، 2020، وتحرير الوعي الديني، والمرأة وأفاق النسوية، وتراجيديا العقل التراثي، 2021.. وهلم جرا.

وقد جرى العرف في تاريخ الفلسفة أن يأتي في سياق مدارس فلسفية، ومن هنا يلزم إثارة هذا السؤال: هل في الإمكان العثور على مدارس فلسفية في كل ما كتبه الأستاذ الغرباوي؟، إذا كان الجواب بالسلب فبها ونعمت، أما إذا جاء الجواب بالإيجاب فيكون السؤال التالي على النحو الآتي: ولماذا هيمن فكر الإرهاب على الفكر العربي، وأسس مدرسة دينية واحدة هي مدرسة الأصوليات الدينية التي تكفر في الحد الأدنى وتقتل في الحد الأقصى؟

---

1 – أستاذ الفلسفة وعضو مركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط المصرية / مصر

أما جواب الغرباوي فقد جاء مؤيدا لعدم وجود مدارس فلسفية حيث رأيناه يكتب مقالًا بعنوان " دعوة لإنقاذ الدين من سطوة الفقهاء"، وكذلك في حواراته المفتوحة حيث أعلن فكرنا العربي المعاصر لا يطلق على كيانا ثبت ومحدد بالفعل.

أما إذا أردت معرفة فكر ماجد الغرباوي الفلسفي فأقرأ هذا الكتاب التذكاري الذي كتب عنه، حيث تبدو فيه اهتمامات متعددة، ومع ذلك فهي تدور حول محور محدد وهو علاقة الأنا بالآخر، أو بالأدق علاقة العربي بالغربي، وتكون الغلبة للغربي على العربي، ومن شأن هذه الغلبة أن يمتنع إيقاظ العقل العربي من سباته الدوجماطيقي . وفي هذا السياق يمكن القول إن ماجد الغرباوي في إمكانه الكشف عن أسباب هذا السبات من أجل مدارس فلسفية جديرة، في نهاية المطاف، أن يقال عنها إنها تعبير عن فلسفات عربية – إسلامية معاصرة جديرة بهذه التسمية . وإذا أردت بعد ذلك أن تحدث توليفة بين رسالته الفلسفية وفكره الفلسفي، فأنت في هذه الحالة، نحصل على سيرته الذاتية .

وليس ثمة شك الأستاذ الغرباوي قد كرس مجهودا متواصلا للتعريف بالمواقف والمقاربات الفلسفية والنظرية الفكرية في ميادين عديدة تخص العقيدة، والدين، والمرأة، والتسامح، والعنق، والإرهاب .. إلخ . فالعدد الضخم من الكتب التي ألفها، والمقالات التي كتبها، والحوارات المفتوحة التي جسدها على منصة المثقف تشير بما لا يدعو للشك إلى سعة اطلاعه وإلمامه الشديد بكل ما يجد في الميادين الفلسفية والفكرية .

لقد حرص الأستاذ الغرباوي حرصا شديدا على ضرورة تأكيد ضرورة الاستفادة من الغير والانفتاح على الآخر على ضوء النظر بتمعن إلى تجربته، فلا ضير من الاستنارة بأنوار العقل ولا يهم مصدرا، كما أنه من المفيد جدا الاهتداء بهدي القيم العقلية الكونية ما دامت متناغمة مع تطلعات الإنسان وتواقة إلى الحرية والعدالة، وبناء على ذلك، من المشروع الاقتداء بتجربة الغربيين مادام التصور الذي يملكونه فيه غنمنا ولا يتعارض مع ما نحتاج إليه في مقاربة مشاغلنا ومشاكلنا، لكن لا يعني الاستغراق في الآخر واستنساخ تجاربه الفلسفية.

في الاحتفاء بمفكر بلاد الرافدين
ماجد الغرباوي

بقلم: د. الطيب النقر[1]

هناك حقيقة واضحة معروفة، ليس إلى الاغفال عنها من سبيل، أن مؤلفاتكم المترفة، التي نتبادل فيها الرأي، وندير فيها الحديث، لا نستطيع أن ننكر منها شيئا، أو تضطرنا حتى للطواف حول مضامينها عدة مرات، لكي نستقصي مراميها، وأهدافها، فهي واضحة جلية، أقامها صاحبها على الخير المحض، وأقصاها عن الدنس المريب، لأجل ذلك طافت من بلد إلى بلد، ومن بيئة إلى بيئة، دون أن تعيقها عوائق، أو تتكلف عناء عظيما، لتحقق الغاية المنشودة منها، مضت مؤلفاتكم الجامعة لشتيت الفوائد، عالمنا الثبت "ماجد"، تطوف أقطار الأرض، لتدفع عن بابل، و مراكش، مصر، والسودان، الشر المستطير، ونحن إذ نظهر لها هذا الحب، ونخبرها أنها قد ملأت القلب فتونا، لا لشيء إلا لأنها حاربت الجهل، وفضحت الزيف، وعالجت العلة، ولم تتورط في معرة الاستلاب لا عن عمد ولا عن غفلة، نظهر هذا الرضا، وهذا الإذعان لكتب أستاذنا "الغرباوي"، لأن صاحبها قد خاض في خطوب لست في حاجة إلى تفصيلها في هذا المقال، ولكني في حاجة لأن أعلم كيف احتمل هذه الخطوب؟ وكيف صبرها عليها؟ وكيف لم توهي صريمته مظاهر الضعف والفتور، تلك الأسقام التي تعبث بنا نحن أصحاب الطموح الساذج؟. لقد سارت كتب "الغرباوي" في كل صقع وواد، لأنها في الحق، تصور الوقائع للناس التي تألفها عقولهم، وتطمئن إليها أذواقهم، كما يقول عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين.

---

[1] – كاتب وباحث سوداني

لقد احتفظت حقاً مؤلفات المفكر "الغرباوي" بطهرها ونقائها، ولم تتورط في خطايا انفصام الوعي، أو محاربة الثوابت، أو تقديس الرمز، أو اهتبال الأفكار، تلك الأفكار التي تدعونا للأخذ بهذه الحرية المسرفة، والتحرر من قيود التراث في غير ابطاء، وواهماً من ظنّ أن الأستاذ "الغرباوي"، ساخطاً على التراث، ناقماً عليه، فهو يعي أن التراث ضرورة لا مرد لها، ولا منصرف عنها، فالتراث الذي تظله الفضيلة وتسيطر عليه، يذهب أستاذنا "ماجد" ما شاء من المذاهب في مناصرته ومعاضدته والهتاف له، ولكنه يتردد، ويحتاط، ويتحفظ، على ذلك الضرب من التراث، الذي يثير في دواخلنا الشك، ويدعونا إلى شيء قليل من الريبة، هذا التراث الذي يحمل عقولنا على أن تظل جامدة هامدة، تسعى أسفار "الغرباوي" إلى دحضه، لأنه اشتمل على الخمول والجمود، وبث في مجتمعاتنا العداوة والبغضاء، ومنعنا عن البحث والاستقصاء، وتراثنا الغث الضعيف هذا، موجود دائماً، ومتصل بعقول الناس، الذي يحرصون على تمجيده، ويكرهون تقييده، إن النتيجة التي انتهينا إليها بفضل هذا التراث، هو انحراف أمتنا عن حقيقة الدين الصافي، الذي يؤمن بسلطان العلم وتفوقه، ديننا الذي يزداد قوة وانتشاراً غداة كل يوم، أضرّ به هذا التراث الذي يدعو إلى العنف المنكر، والتسلط الذي لا يطاق.

و"الغرباوي" يسعى في الكثير من مؤلفاته لتحرير العقل من آساره، وأن يحملنا على أن نسعى لأن نقدم للإنسانية مزاجاً معتدلاً من الرقي والتطور، فالإنسانية تظهر ضيقها، وسخطها، واشفاقها منا، لأننا نناى بأنفسنا دائما عن الجهد والجد والعناء، ولأننا لا نتكلف التفكير، ولا ننظر إليه إلا على أساس أنه تاريخ ليس غير، فالحقيقة المرة القاسية، أننا أمسينا لا نسعى لاستلهام أي لوناً من ألوان الفكر التي كانت سائدة في مجتمعاتنا القديمة، والتي تأثرت بها الثقافات الأجنبية، وأظهرت لها هذا الود، وهذا التقدير، وقادهم هذا الود، وهذا التقدير لمناهج فكرنا، لأن ينعموا في نهاية المطاف، بهذه الحياة الوادعة المطمئنة، ونشقى نحن بجهلنا وحياتنا الضئيلة التي كلها بؤس، وكلها شقاء، لقد استفاد الغرب الذي يسومنا الذل والهوان الآن، من التفاتات ذهننا، وبلغ من هذا كل ما يريد، ثم استأثر بالأمر كله، بعد أن بذل كل جهد، واحتمل كل عناء، حتى يقدم للناس، كل الناس، نهضتة المترفة، وتطوره الرائع.

وحضـــارة الغرب التي منها الملتوي، ومنها المســـتقيم، يحدثنا عنها الفيلســـوف والمفكر" الغرباوي" حديثاً علمياً عميقا، تلك الحضــــارة التي لها حظ من أدب، ونصيب من خيال، خضعت لعقل "الغرباوي" الهادئ الرزين، والهدوء قد يكون من أهم خصال "الغرباوي" وأوضحها، فهو يدنو من القضايا التي تؤرقه، وتشغل تفكيره في الكثير من الرزانة، ثم يلتمس مظاهر القوة والحياة فيها، ثم يتعمق في البحث عن الأشياء التي تبقي وتيرتها باقية متجددة، والموازين التي يتكئ عليها الأستاذ الغرباوي" في دراساته الضافية، ليس العقل وحده، بل نجد الحس والشعور، والاغراق في القياس والمقارنة، والاســـراف في الشـــك في بعض الأحيان، والســـمة البارزة في مؤلفات الغرباوي" كثرة الأســـئلة" التي يطرحها بين ثنايا كتبه، "فالغرباوي" يســـتمع منك، ويتحدث إليك، في حوار طابعه الجد، كل الجد، حوار لا تكلف فيه ولا صنعة، كما لا يفسده الاطناب والتطويل، أو الامعان في التفصيل، وأنا هنا أريد أن أقدم أنموذجا لتلك الأســـئلة التي يطرحها "الغرباوي" في عنف والحاح، ثم يتكفل بالرد عليها في هدوء وتؤدة، يقول الأســـتاذ" الغرباوي" في أحد مقالاته الرصـــينة، نجده يطرح فيها أسئلة عديدة، ثم يسلط عليها بوارقاً من الضياء، وهي أسئلة بل شك تخدم غايته من طرحها، وهي مفيدة بأدق المعاني التي تحملها تلك الكلمة وأوســـعها، يقول الأستاذ الغرباوي:"

أسس القرآن الكريم منهجا، حالت رمزيته العالية دون ادراك أبعاده، وظل المسلم يعيد قراءة آياته، وهو لا يفقه من معانيه شيئا .

فتحدث القرآن عن حوار دار بين ابليس وبين البارئ – تعالى –، ليؤكد لنا ثمة اسـئلة مشـروعة، من اي جهة صـدرت، يجب الاجابة عليها (ولو كان الرب جلّ وعلا). كما نقل لنا القرآن الكريم، حواراً دار بين الخالق وملائكته، وهم كائنات صالحة، دأبها الطاعة، لكن هواجس خلق الانسان استبدت بها، فكانت هناك اسئلة طرحها القرآن الكريم ورد عليها، دون اي قمع او اضـــطهاد او تهديد، كل ما في الأمر، أجّل الاجابة بالنســـبة لســـؤال الملائكة، لأن طبيعة الجواب تحتاج الى تجربة عملية . ثم طرح القرآن الكريم أخطر الشبهات التي تهدد رسالته، وهي التوحيد، دون اي اكتراث، ونقل لنا اسـئلة المشـككين، والكافرين والملحدين، والناكرين، وناقشـها

علنا. قال هكذا كانت اشـــكالاتهم، وهذه اجوبتنا . فهل هناك أخطر من مســـألة وجود الله بالنســـبة للأديان جميعا؟ وما قيمة ما عداها لو اهتز الايمان بوجود الله – ســبحانه – أو توحيده؟ فلماذا لا يســتفز الأنبياء من اسـئلة المنكرين، والجاحدين؟ وكيف وضعهم القرآن وجهاً لوجه امام تلك التساؤلات؟ . لماذا لم يعترض النبي ويقول له يارب، لقد اخطأت التوقيت، انها سـتضـعف دعوتي، وأنا في بدايتها؟ لماذا تقبلها وأعلنها على الملأ بكل ثقة ومسؤولية، ورد عليها، وفند حججها . اذن المنهج القرآني يقوم على شرعية السؤال، وحق الرد، ومنهجه قائم على طرح الاسئلة بشكل شفاف علني، كي يتحمل المسـلم مسـؤوليته امام اي عمل يقوم به، ويكون مسـؤولا تجاه اي رأي يطرحه، لاسـتحالة قمع الاسـئلة، ولا بد من متنفس تطفو من خلاله بحثاً عن اجوبة مقنعة . ولولا السؤال لما تطورت الحضارة"[1]. انتهى.

هـذا أنموذج من بعض النمـاذج التي ينثرهـا لنـا عقـل "الغروباي" في كتبه، ومثل هذه النماذج كما أسـلفت، شـائعة في أسـفاره وكتبه شـيوعاً شـديدا، ومثل هذه العروض تقبل الأخذ والرد كما نعلم، هذا ارهاصـاً يدل أن "الغرباوي" لا يجد مضـاً ولا غضـاضـة، في المناقشـة، وفي نقد ما أيقن بصـحته، وتلك مظاهر تدل على صـفاء الطبع، وكمال الثقة، وحســن الاسـتعداد، خصــال قلّ أن نجدها في ذهنيتنا العربية المعاصرة.

حفظ الله صــاحب الوعي المتميز أســتاذنا "ماجد الغرباوي"، حامل لواء الفكر الناهض، ومدّ في أجله، وأترف عليه من مننه، وعوارفه، وفضائله.

[1] – من مقال بقلم: ماجد الغرباوي، بعنوان: المثقف وتحديات السؤال

ماجد الغرباوي .. المفكر العصامي

بقلم: الأستاذ: طاهر أبو آلاء[1]

استطاع الاخ العزيز والصديق الوفي ماجد الغرباوي أن يوجد لنفسه موطيء قدم في ساحة الثقافة والفكر العراقية والعربية. ومن خلال قراءتي لبعض ما أنجز في سياق مشـــروعه التنويري، ومتابعة ما كتب عنه وعن منجزه في الســـاحة العربية الثقافية والفكرية أســـتطيع القول أنه من أولائك القلائل الذين مزقوا الشـــرنقة التي عجز الكثيرون من التخلص من خيوطها التي كبلت العقول من الانطلاق في آفاق التفكير الحر بعيدا عن القول «إنا وجدنا آباءنا على ....».

لا أعتقد أن أحدا منصــفا يجادل في أن هذا الرجل المغترب عن أهله ووطنه كان عصـــامياً بكل ما للكلمة من معنى ودلالة، ولعل الالتفات إلى البيئة المتواضـــعة التي نشـــأ فيها وانطلق منها، والظروف غير المســـتقرة التي عاشـــها معاناةً في كل مراحلها وتقلباتها تؤكد بكل وضوح ما ندعيه لهذا المثقف المثابر من إصرار وعزم على بلوغ ما يصبو إليه من إيصـال ما يعتقده من آراء ومتبنيات، بغض النظر عن كوننا نتفق معه في بعض ما يطرح أو لا نتفق.

لا أريد في هذه الكلمة القصيرة أن أقوّم مشروع الغرباوي، ولا أن أشير إلى نقاط قوته وضـعفه بحسـب رأيي المتواضـع جداً، لأنني وجدت عددا لا بأس به من ذوي الاختصـــاص والرأي قد فعلوا ذلك، والســـعيد من اكتفى بغيره كما يقال، ولذلك ســـوف أقتصـــر على إيجاز ما يتعلق بالأخ والزميل ماجد الغرباوي في الأيام التي كنا فيها زميلين في مدرسـة علمية واحدة، وفي صـف دراسـي واحد يوم عصـفت بنا أيام الهجرة والغربـة لتلقي بنـا في طرق ومواقع ليس لنـا في اختيـارهـا أو اختيـار بعض تفاصيلها وجزئياتها إلا هامش ضيق من الحرية.

---

1 - كاتب وباحث - العراق

وبعيداً عن المقدمات وجدت نفسي ذات يوم في مدرسة دينية في مدينة تعد من المدن العلمية المعروفة باعتبارها حاضـــنة لأحدى الحوزات العلمية الدينية، وذلك في السنوات الأولى من عقد ثمانينات القرن الماضي، ومن الطبيعي في وسط علمي كهذا يكون المرء فيه أشـــد انتباهاً لما حوله فيما يتعلق بمحيطه العلمي والدراســـي، على صعيد المواد الدراسية، والأساتذة المعتمدين، وكذلك الطلبة وزملاء الدراسة من عدة نواح وزوايا.

وقد لفت نظري ــ وبشدة ــ أحد الطلبة الذين تجمعوا في هذه المدرسة المتواضعة من محافظات عراقية عديدية، ولكنهم أمة واحدة من حيث الإيمان والأهداف والمتبنيات على الرغم من تباين وجهات نظرهم في ما اختار كل واحد منهم من أســـاليب العمل لأداء ما يراه واجبا مناطا به في تلك الحقبة الزمنية المليئة بالأزمات، وعنفوان الشباب المتفجر.

وبلا مجاملة ولا مواربة أستطيع القول أن صاحبنا آتاه الله بسطة في الجسم والعلم، كان «أبو صادق» الذي لا نعرف عنه إلا كنيته ـــ في تلك الحقبة التي كانت فيها الأسماء الصريحة من أشد المحرمات ـ شابا جميلاً يتميز عن الجميع تقريباً بقامته وبياض وجهه المشرب بالحمرة وشعره المائل إلى الشقرة، ولا أتذكر الآن إن كان لقب الغرباوي شائعاً يوم ذاك أم كان الاقتصار على الكنية وحسب.

وأنا على يقين أن العقود الأربعة التي تصــرمت لتكون فاصــلاً بين ذلك التاريخ ويومنا هذا أنســتني الكثير من التفاصــيل والانطباعات التي كانت حاضــرة يوم كنت ألتقي «أبا صـــادق» في أروقة المدرســـة ومحيطها، وبين جدران صــفوفها، ولكن ما أســتطيع أن أجزم به الآن يتمثل في امرين أعتبرهما من أهم ما اســتقر في ذاكرتي فيما يخص الأخ العزيز ماجد الغرباوي.

الأول أنه كان من الطلبة المتفوقين في جميع مراحل الدراسة، وفي كافة مواد المنهج ومقرراته، ولعلي غير مبالغ إذا قلت أنني كنت أعده ممن أخشـــاه في حلبة التنافس العلمي حينما تعلن نتائج الامتحانات الفصـــلية والنهاية، لما يتمتع به من ذكاء، وجدية ومثابرة، ولســـت بحاجة إلى أن أســـتحضـــر ما يدل على ذلك، فمؤلفات

الغرباوي وآراؤه دليل واضـــح وجلي على اســـتيعابه وقوة إدراكه وإحاطته العلمية والثقافية.

الأمر الآخر الذي يعد من مميزات هذا الرجل وبشـكل واضـح كل الوضـوح في ذاكرتي هو مـا كـان عليه من جدية وثقة بالنفس واعتزاز بآرائه ومتبنياته منذ أيام شبابه، وقد تجلى ذلك بأنصع صوره فيما كان يدور في أوساط الطلبة والمحيط خارج هذا الإطار من نقاشـات ومداولات تتسـع لأكثر من جانب على الصـعيد العلمي والاجتماعي وحتى السياسي في تلك الحقبة الملتهبة بسني الحرب وأيام الأزمات.

لا شـك أن البرهة الزمنية التي لا تتجاوز العامين أو الثلاثة التي زاملت فيها أخي مـاجـد الغرباوي لا تكفي لمعرفـة جميع جوانـب حيـاتـه المليئـة بالعطـاء والانجـازات والمواقف، ولكن ما لا يرقى إليه الشـــك هو أن الرجل بنى مجده بيديه، ولم يتكئ إلا على إصـراره وعزمه وجده وحزمه، وشـعورية بالمســؤولية الملقاة على عاتق أصـحاب الوعي والعلم والثقافة في وضع العلامات المضيئة لعلها تكشف جانباً من طريق الحياة الذي تسيطر العتمة على أكثر زواياه ومنعطفاته.

وإذا أردنا أن نختار سمة مناســـبة لنعت هذا الرجل الجدير بالتقدير والاحترام لا نتجاوز مفهوم «العصامية» التي قيل فيها:

نفسُ عصامٍ سودت عصاما...وعلمته الكرَّ والإقداما

وصيرته فارساً هماما

عذرا أبا صـــادق فليس هذا القليل يفي بحقك، ولكنك كريم تقبل العذر، ولا يسـعني في الختام إلا أن أفتخر بك رفيق درب وأخا صـادقا ووفياً، ومثقفا رائداً نفض ركام المحنة والغربة والتشـرد، وتجاوز الصـعاب والآلام ليشـيد مجداً وإن كان بعيداً عن مسقط رأسه ومرابع صباه، فهو ليس كما قال الشاعر:

وشيدت مجدي بين أهلي فلم أقل

إلا ليت قومي يعلمون صنيعي

كنا نتمنى أن يكون الغرباوي بلحمه ودمه بين أهله يكلمهم وجها لوجه، ويستمعون إليه بكل حواسهم ومشاعرهم، ولكن حسبك أبا صادق أنك من أؤلئك الرجال الذين قال فيهم القائل:

وكن رجلاً إن أتوا بعده

يقولون مرَّ وهذا الأثر

ماجد الغرباوي وهدف التنوير

بقلم: ا.د. جودت العاني[1]

طالما قرأت الكثير من إنتاجاتكم الرصينة.. واكثر ما شدني هو إقدامكم الشجاع على إقتحام فلســـفة التنوير في إطارها الآيديولوجي وفلســـفة التحرير في إطارها الســـياســـي.. وهي ســـاحات لم تكن ســـهلة، ومع ذلك فقد كان إقتحامكم لهذه الساحات (السياسة والدين) له مغزاه ومدلولاته في مجال الإدراك العقلي وليس فقط في الفكر المحض.. وكنتم دائماً تريدون ان تضـعوا أسـسـاً للتنوير وأسـسـاً لإصـلاح العقول في واقع يشــترط إزاحة المســتبد في العقل عن طريق التنوير الذي يســتمر الى نهاية التاريخ الذي لن ينتهي هو الآخر.

كنتم ولا زلتم قامة رائدة في هذا المضـمار الشـائك والمعقد، وإن إقتحامكم كان شـجاعاً حتى اذا اسـتمر البحث من اجل إيجاد مقاربات بين السـياسـة والدين وبين منطق العقل الحســي ومنطق العقل المجرد، عقود من الســنين. وتلمســت من خلال أطروحاتكم الرصـينة تسـاؤلات تحتاج الى التوسـع وإظهار الفرق بين التنوير في الواقع وبين الثورة على الواقع (وأيهمـا الأولي..؟).. فـالكثير من العقول وأنمـاط التفكير تســتخدم في بعض المفاصــل الثانوية.. والقليل من العقول تجرؤ على الاســتخدام الاســاســي والأمثل الذي يعالج وجود الانســان العقلي، وصــديقي العزيز أحدهم بإعتزاز.

الواقع مشـحون كما تعلمون بالتناقضـات والمشـكلات والإشـكاليات، وما يهمنا في هذا المجال هو كيف يتخلص العقل من (نفاياته) كما يشـير اليه "كولن ويلسـون" التي تعمل على التشـويش الذهني؟ ومن هذه ما يترسـب من إقحام السـياسـة بالدين وإقحام الدين بالسياسة.

---

1 - أكاديمي، أديب وكاتب - ألمانيا

فعندما يســتخدم الانســان نســبة عالية من قدرات العقل في مســاءل (ثاوية) يستهلك طاقته العقلية دون ان يقدم حلولا لها.. وما يقوله إيمانؤيل كنت (تجرؤا على اســتخدام عقولكم).!! وأنتم تدخلون هذا المدخل بجدارة وثقة، كما أرى واتابع ما تكتبون، وخاصة وانتم تشخصون خطر الوصاية على العقول وتشخصون الاوهام والخرافات القديمة وهي مكبوت ايديولوجي يتعارض مع المنطق العقلي، وتدعون إلى الخلاص والتنوير، أي التحول من حالة عدم استخدام العقل الى التجرؤ باستخدامة بعد التخلص من تلك النفايات.

ماجد الغرباوي
فكرٌ أصيلٌ ورؤيةٌ متجددةٌ لتحرير العقل.

بقلم: د. سعد ياسين يوسف[1]

قليلون أولئك الذين يعمدون بفكرهم النير إلى حلحلة الجمود القار في منظومة القيم وبعض الثوابت التي تحتاج إلى الكثير من المراجعة والتمحيص بل والفهم وفق حركية الحياة والتاريخ وجعل واقعنا المعاش ممكن ودون تقاطعات حادة تقودنا إلى إلغاء الآخر وما ينجم عن ذلك من عنف وعدم استقرار يضعف بل وينهك المجتمع.

وعلى مدى التاريخ البشري الحافل بالمنعطفات الفكرية برز من استطاع أن يُعلي صـــوت العقل والحكمة ورؤية الأوجه المتعددة لتلك الثوابت وتطويعها لإنتاج فكر خلاق يتلائم مع تطور العقل البشـــري على الرغم من أن هذه الشـــريحة تشـــكل قلة قياســـا بعامة المجتمعات وبمن تعايش مع ما هو ســـائد وتقبله كما هو بكل مســـلماته ومشاكله.

وعلى مدى القرون الماضـية ظهر العديد من رجال الفكر التنويريين في المجتمعات الغربية وهم يواجهون سـلطة الكنيسـة وكذلك في مجتمعنا العربي في مواجهة المغالاة في تطبيق الشريعة الإسلامية.

ولعل مـا طرحـه المفكر العراقي مـاجـد الغرباوي من فكر متنور يأتي من منطلق الجرأة في الطرح والانفتاح في تناول مواضيع مهمة وبما ينسجم ورؤيته كمفكر وباحث ديني يســـعى من خلال مشـــروعه إلى تحرير العقل من بنيته الأســـطورية وإعادة فهم الدين على أسـاس مركزية الإنسـان في الحياة وترشـيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني

---

1 - باحث أكاديمي

من ســـطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي ومن خلال قراءة متجددة للنص تقوم على النقد والمراجعة المستمرة من أجل فهم متجدد للدين كشرط أساس لأي نهوض حضاري يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتنابذ والاحتراب .

وقد تجســد ذلك فيما أنتجه من مؤلفاته التي بلغت أكثر من (35) مؤلفاً تأليفاً وتحقيقاً وحوارا في الفكر الإسلامي والشريعة والفلسفة و المرأة والنسوية وسبل تحرير الوعي الديني والفقهي ومرجعيات الفكر الديني والعنف والتســـامح ونقد الحركات الإسلامية وفرص التعايش في الإسلام .

وإذا كان الكتاب الصـــادر عن المفكر الغرباوي قد أخذ مكانه في المكتبات العربية ومراكز الدراســـات والبحوث مثلما تناوله بالبحث العديد من الباحثين الأكاديميين كمفكر أصيل فإن ما ابتكره الغرباوي في تأسيسه لموقع المثقف الإلكتروني قد خلق ديمومة التواصـــل مع النخب العراقية والعربية المفكرة التي وجدت في سماحة واتساع ورحابة الفكر التنويري في هذا الموقع ملاذاً مهما في طرح الرأي و الرأي الآخر في مجالات الفكر والثقافة والفن والفلســـفة والذي أصـــبح هو الآخر مرجعية مهمة للباحثين وطلبة الدراسات العليا ينهلون ويقتبسون منه ما يتعلق برسائلهم وأطاريحهم العلمية .

إنَّ قراءة متبصرة لمضامين صحيفة المثقف العربي وتحليل لمضامين خطابها الفكري والثقافي نجدها قد وضـعت لنفســها جملة من المبادئ والثوابت التي تؤطر بها سـعيها نحو إشاعة الابداع وترصينه وفق رؤية إنسانية وقيمية تحترم الإنسان وتسمو به إلى العطاء واحترام وجوده كصانع للحضارات وسببا من أسباب استقرار الأمن والسلام في هذه المعمورة، وهي ذاتها قيم ومبادئ المؤسسة ككل باعتبار أنَّ الصحيفة شكل أساس من أشكال الإعلام الإلكتروني للمؤســسة التي تؤمن بالتعددية والرأي الآخر والدعوة للتعايش بين الأديان والثقافات وتبني قيم التســـامح، والحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنســـان ومحاربة العنف والتحريض والتكفير ورفض الخطاب الطائفي

والأيديولوجي المحرض والمساهمة في تعميق لغة الحوار والتفاهم وفق الثوابت الأساسية المستمدة من تعاليم السماء وقوانين الأرض ..

ولهذا فلا غرابة في أن نجد اهتماما بالغاً في تناول فكر الغرباوي شرحاً وتفصيلاً ودراسةً وترجمة من قبل المفكرين العراقيين والعرب مسلطين الضوء على جوانب مهمة من فكره التنويري في وقت أخذ التشدّد مأخذه من عظمة وإنسانية الفكر الإسلامي مع انتشار التطرف ممثلا بتنظيم بداعش وما شاكله والذي انعكس على الضفة الأخرى بتشدّد مقابل وفق نظرية الفعل وردّ الفعل فبرزت ظاهرة (الإسلام فوبيا) عند الغربيين وما رافقتها من مشاكل وأحداث مؤلمة لا تمت للديانات السماوية بصلة معيدة بذلك عقارب الزمن والفكر الإنساني إلى الوراء وصولا إلى ظلال الحروب الصليبية.

إنَّ ما طرحه الغرباوي من قيم ومبادئ في فهم روح الإسلام بشكل معاصر يتطلب الدراسة والتأمل ليس على صعيد محلي فحسب بل على صُعد متعددة وبشكل خاص في الجامعات ومراكز الأبحاث الأكاديمية التي تسعى إلى تجديد الفكر وإطلاق حريته.

إنَّها دعوة صادقة لدراسة هذا الفكر دراسة أكاديمية لتعضيد مسارات الفكر العربي الإسلامي بما يكتنزه من سماحة ومنحه دفقاً تجديديا يليق بأهدافه النبيلة التي نشرت السلام والتسامح والحب في أرجاء المعمورة.

الوعي الموسوعي عند الأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ عبد الأمير المؤمن[1]

على الرغم من ان العصر الحديث والمعاصر هو عصر علمي تخصصي صارم، يهتم في الدرجة الاولى بالتخصصات الضيقة، وخاصة التخصصات العلمية والتكنولوجية الا ان الثقافة الموسوعية العامة التي تتصل بامور الحياة المختلفة وما وراء الحياة، لا بد منها في سبيل حياة متكاملة متزنة جميلة وممكنة.

فالثقافة الموسوعية العامة امر ضروري لكل فرد يعيش في مجتمع يضم انواعا وألوانا من الاعراق والعادات والسلوسات والحالات، والا سيكون معزولا خارجا عن سياقات المجتمع الذي يعيش فيه.

وقد سلك اعلام التراث العرب والاسلامي في امتداد الحضارة العربية الاسلامية هذا السلوك الموسوعي العام في حياتهم العلمية والفكرية والادبية.

فمثلا كان ابو يوسف الكندي المتوفى سنة ٢٦٠ هجرية فيلسوفا ورياضيا وفلكيا وعالما طبيعيا وطبيبا وجغرافيا وما الى ذلك، وقد سجل له ابن النديم عددا كبيرا من من الكتب والرسائل والتي ضمت انواعا مختلفة من العلوم والمعارف.

ومثله كان الشيخ الرئيس ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هجرية، كان فيلسوفا وطبيبا وشاعرا وفلكيا وعالما طبيعيا وما الى ذلك. وكذلك كان الفارابي والبيروني وابن رشد والغزالي وغيرهم الكثير.

---

1 – باحث له عدد كبير من الاصدارات تدور حول تاريخ الفلك والعلوم عند العرب.

وغالبا ما كان مصطلح (الحكمة) يضم تحته مختلف العلوم والمعارف، وكان العالم او الحكيم او الفيلســـوف او المؤرخ يجمع عددا من العلوم والمعا رف لمحدودية العلوم والمعارف المتوافرة في ازمانهم. فكتاب (الاصول) للرياضي اليوناني اقليدس يجمع اغلب المادة الرياضية والهندسية، وكتب الطبيبين ابوقراط وجالينوس كانت تجمع اغلب العلوم الطبية. هكذا كان الفرد الواحد العالم او المفكر يجمع بين هذه العلوم في زمن قصـــير لمحدودية تلك العلوم التي كانت معروفة في عصره.

وبدخول العصر الحديث في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر وما بعد ذلك، وخاصـــة بعد ظهور عالم الفلك البولندي كوبرنيكوس المتوفى ســـنة ١٥٤٣ وتوسع العلوم وتفرعها واستقلالها بدأ الباحثون والعلماء يتخصصون، فهذا فيزيائي وذاك كيميائي وآخر فلكي ورابع نباتي او حيواني، ومثل ذلك توســـعت الدراسات الانسانية والادبية فظهر علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التاريخ وما الى ذلك.. وفي هذه الظروف الجديدة ظهر متخصصون صارمون في هذا العلم او ذاك، وظهر معهم الابداع في العلم والتكنولوجيا والعلوم الانسانية المتنوعة.

وعلى الرغم من اهمية التخصـــص الكبرى في نمو العلوم وتطورها، باعتباره يوفر جهودا كبيرة وتركيزا خاصا لموضوع واحد،الا انه يبقى بعيدا عن تكامل الشخصية العلمية والثقافية المؤثرة في عصر جديد هو في امس الحاجة الى الحالة الموسوعية العامة لكي تستطيع ان تغير المجتمع المتنوع وتؤثر فيه.

وهكذا وجدنا في حاضـــرنا المعاصـــر شـــخصـــيات علمية وفكرية جمعت بين التخصص والثقافة الموسوعية العامة، شخصيات اثرت في مجتمعها وغيرت كثيرا مما فيه.

ولكي لا ندخل في اسماء وعناوين الشخصيات العلمية والفكرية التي جمعت بين التخصص والثقافة الموسوعية العامة سنتحدث عن شخصية علمية وفكرية ودينية انسانية جمعت بين تخصصها الاساسي الاول (الشريعة والعلوم الاسلامية) والثقافة الموســـوعية العامة، ذلكم هو الاســـتاذ الباحث الجاد الاخ العزيز ماجد الغرباوي،

الصـــديق الصـــادق الذي لم ينس اصـــدقاءه واحباءه في حياته الاجتماعية والعلمية والفكرية والثقافية .

فهو انســـان انســـاني بحق جمعنا معه الدين والعلم والفكر والثقافة والوعي، جمعنا ذلــك المعلم الــديني والفكري والثقــافي في (مجلــة التوحيــد) و(كتــاب التوحيــد) والمســاجلات العلمية والفكرية والثقافية حينما كنا نجتمع سـوية لتناول موضـوع معين في هـذا المجلس او ذاك، لاجـل فكرة او منجز علمي او فكري او ديني او ثقـافي او اجتماعي وغير ذلك.

كان الاســـتاذ الغرباوي باحثا علميا فكريا واعيا، ادار عددا من المؤســـســـات والندوات العلمية والفكرية والدينية والثقافية. كان رئيســـا لتحرير مجلة التوحيد، المجلة الاسلامية الفكرية الثقافية، وكان عضـوا استشـاريا (لكتاب التوحيد) الفكري الثقافي، وهي سـلسـلة دورية تصـدر عن مؤسـسـة التوحيد للنشـر الثقافي، وكان ايضـا رئيسـا مؤسسـا لسلسـلة (رواد الاصـلاح) وهي سلسـلة فكرية ثقافية اصـدر منها عددا من الكتب المهمة. وكان في كل ذلك رئيســـا ومديرا ومســـؤولا ناجحا، مازجا علمه بالاخلاق العـالية، وكـان يـدير الحوار الـديني والفكري والثقـافي ادارة منهجية ناجحة متزنة، جامعا بين ثقافة الدين الواعي والثقافة الموسوعية المتنوعة، من علم وفكر وادب وتاريخ واجتماع وفن ومواد موسوعية متنوعة اخرى.

لقد ادار مجلة التوحيد الدينية الفكرية الثقافية ادارة واعية، فكان يختار موضوعاتها اختيارا واعيا مقتربا من العقل ومبتعدا عن الخرافة والعشوائية.

وكـانـت كلمـة التحرير التي يكتبهـا هو في مقـدمـة المجلـة مليئـة بالوعي الـديني والفكري والعلمي والثقافي، ومن ذلك يمكن ان اذكر ما كتب في العدد ١٠٢ لســـنة ٢٠٠٠ ميلادية من المجلة.

ففي كلمة التحرير التي حملت عنوان: (اخفاقات الوعي في المرحلة الراهنة) يقول الاستاذ الغرباوي:

(عندما ننقب في ماضـي الحضـارات المتطورة بحثا عن عوامل نهوضـها، يتمثل امامنا دور الوعي في صناعة نهضتها، وسيتضح ايضا ان التطور الحضاري يبدأ دائما مع اول بوادر الوعي، كما ان صدقية ذلك التطور على ارض الواقع ستتحقق اذا اتيح للوعي ان يسود المفاصل الحياتية في المجتمع.

والوعي يعني ادراك الحقيقة، وتشـخيص الواقع،وتحديد الأولويات وتمييز الالتباس واكتشـاف التزوير. وعلى العكس تعيش الشـعوب غير الواعية السـكونية والتجرد والجمود، والاصرار على رهانات خاسرة والتبرير، اضافة الى تضخم الذات والشعور بالفوقية والانغلاق على الانا).

لقد كان الاسـتاذ الغرباوي قارئا ومثقفا مؤمنا، وفي الوقت نفسـه كان ناقدا، والنقد سمة اساسية للبحث العلمي، لم يخرج عن الاوليات الدينية الصحيحة، بل كان يؤكدها، واذا كانت له آراء خاصـة في اي موضـوع، فهي له لا يفرضـها على احد وهذه سمة مهمة من سمات الموضوعية والوعي والاتزان الثقافي.

والمثقف الواعي يفيض علما وفكرا وثقافة، وهكذا كان الاستاذ الغرباوي. فحين غادر الى بلاد المهجر، لم يهجر الثقافة ولا الدين، لم يغب عنه الوعي، ولم يترك هويته الدينية والثقافية والموسوعية، فانشأ سنة ٢٠٠٦ م مؤسسة ثقافية واعية تحت اسم (مؤسسة المثقف) بمدينة سدني باستراليا، وهي مؤسسة ثقافية اهتمت بنشر الثقافة وقيم التسامح الديني، قد صدر عنها (صحيفة المثقف) كما قدمت عددا من الجوائز، من بينها (جائزة الابداع) و(جائزة المرأة) و(جائزة المثقف).

لقد اسـتقطبت هذه المؤسـسـة عددا كبيرا من الباحثين والمفكرين والمثقفين والكتاب، كتبوا في موضـوعات متنوعة، موضـوعات علمية وفكرية ودينية وادبية ونقدية وغير ذلك. اضـافة الى عقد الاستاذ الغرباوي الندوات والحوارات والمقابلات العلمية والفكرية والاجتماعية والثقافية وما الى ذلك.

وقد اصدر الاستاذ عددا مهما من المؤلفات والدراسات والبحوث، وله ايضا عددا من الترجمات الى اللغة العربية.

وفي كتاباته في مؤلفاته ودراســـاته تجد موضـــوعات موســـوعية متنوعة، تجد موضـوعات قرآنية وحديثية وفكرية وعلمية وتاريخية وسـياسـية وحضـارية وفي الاديان وفي المراة فهو بحق باحث موسوعي.

ويمكن قراءة ذلك في مؤلفـاته المختلفـة، ومن مؤلفـاته يمكن ان نـذكر بعض مـا ورد

في سيرته الشخصية.

* اشكاليات التجديد

* التسامح ومنابع اللاتسامح

*تحديات المثقف

* المرأة والقرآن

* الهوية والفعل الحضاري

* الاصول الرجالية الاربعة

* تحرير الوعي الديني

* الشيخ المفيد وعلوم الحديث

* واخرى أهمها موسوعة متاهات الحقيقة، وغيرها لا مجال لذكرها هنا.

مع ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ عبد الإله الياسري[1]

أُحيّي الباحث المفكّر (ماجد الغرباوي) مباركاً له بلوغه السبعين من العمر، ومعتذراً لإبطائي عليه بتلبية دعوته الكريمة، لظروف خاصة حالت بيني وبين الإجابة إلى سؤاله في وقته. ومهما يكن فإني أشهد أنه مفكّر نقديّ عقلانيّ إصلاحيّ ذو موقف ثقافيّ حر ومستقل وشجاع. يذكّرني تاريخياً بمواقف أصيلة قديمة لمفكّرين نقديين مثل الجاحظ والتوحيدي وابن خلدون، ولفلاسفة عقلانيين مثل الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد. ويذكرني كذلك بمواقف معاصرة حديثة لباحثين ومفكّرين إصلاحيين مثل محمد عبده ورشيد رضا وهادي العلوي وغيرهم من الباحثين والمفكرين الإصلاحيين في عصرنا الحاضر. ولئن تشابه معهم في منحى النقد العقلي والإصلاح المعرفيّ؛فإنَّ له رؤيته الخاصة التي تميّزه ثقافيّاً عن أولئك وهؤلاء كليهما. وأشهد أنّه مثقف تنويريّ في بيئة عربيّة ــ إسلاميّة قد اشتد ظلامها على المثقفين النقديين والعقلانيين بدءاً من القرن الخامس للهجرة(الحادي عشر للميلاد) حتى يومنا هذا؛ بعد أن بلغت مصابيحها النقدية العقلية أقصى شعاعها، في القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد)، من حيث طرح القضايا الإشكاليّة التي كان يتداولها المثقفون النقديون والعقلانيون تداولاً صريحاً بحثاً عن الحقيقة دون أي شعور بحرج أو خشية من ردود أفعال المؤسسة الدينية التي تخصّص نموذجها الفقهي التقليدي، بعد القرن الرابع للهجرة، بقمع حرية البحث النقدي العقلي، وبقصر المعرفة على التفسير اللغوي للنصوص الدينية دون أي نزعة نقدية عقلية لتحليلها، ودون أي نظر إلى الواقع العربيّ –الإسلاميّ، لحل مشاكل الإنسان فيه؛ على الرغم من أنّ الدين هو

---

1 – شاعر وكاتب –أتاوا ـ كندا.

للإنسان وليس الإنسان هو للدين. ومهما يكن من شيء، فقد ساد ذلك النموذج الفقهي التقليدي منذ ذاك العهد حتى اليوم، وانتصـــر جموده على النقد العقلي الخلاق، وأدخلنا في خندق مسدود مقابل الإنفتاح الثقافي الأوربي الذي شرع بالرقي والإزدهار الحضاريّ منذ القرن السادس عشر للميلاد. ولا تفسيرعندي لاستمرارنا في هذا الخندق المغلق إلا لوجود سلطات رسمية وغير رسمية قد ضيّقته وأحكمت إغلاقه. وأخطرهنَّ السلطة الدينية التقليدية والسلطة السياسية الإستبدادية. وفي مثل هذه الحال تصـــبح مهمة المثقف النقديّ الفاعل هي أن يعرّي حقيقة هاتين الســـلطتين القمعيتين، وأن يواجههما نقديّاً بكل شـــجاعة ودون أيّ تردد لتحرير الدين من الأولى، وتحرير الإنســـان من الثانية. ولتكن ما تكون عقبى تلك المواجهة النقدية في سبيل كشف الحقيقة وتغيير الواقع.

ولقد كان الباحث المفكر (ماجد الغرباوي) مثقفاً نقديّاً فاعلاً، بإزاء تعرية تينك السلطتين المذكورتين. وتتجلّي فاعليته الثقافية في هذا الشأن، من خلال دراســـاتـه للتـراث العربيّ ــ الإسـلامي، ومنشـوراته و محاضراته، ولاسيّما تأسيسه لـ "مؤسسة المثقف العربيّ" في مدينة سدني في إستراليا، وإصدار "صحيفة المثقف" المهمة المفيدة، والحرّة تماماً من المذهبية المهيمنة على معظم الصحف العربية. تلك ألمذهبية المقيتة التي لاترى وجوداً للمثقف الآخر المختلف إلا إذا كان امتداداً لإجاباتها الجاهزة؛ ولا حقّاً له بالكلام إلا إذا كان يتكلّم ضـــمن إطارها مؤكّداً الإئتلاف لا الإختلاف والتماثل لا التباين. أي أن يسير باتجاهها أو لايسير إطلاقاً. إنه الإرهاب بعينه، ولكن بصبغة ثقافية قد تكون ذات لون دينيّ أوقوميّ أو لون آخر. إنّ صـــحيفة المثقف باختلافها النوعي قد تخطّت تلك المفاهيم الثقافية الســـائدة التي تؤكد العجز لا الإبداع، وتعلّم الإتباع لا الإســـتقلال، وأتاحت للمثقف حرية ثقافية كاملة لكي يبحث ويعبر ويتســـاءل ويتجاوز حرّاً دون أيّ قيد إيديولوجيّ، . وهذه الحرية الثقافية المنوّه بها في "صـحيفة المثقف" قد تمّت بفضـل صـاحبها (ماجد الغرباوي) الذي سـيبقى نظره وممارسته منارين ثقافيّين خالدين رغم الفناء.

في رحاب ماجد الغرباوي
التفكير في حقيقة الإيمان

بقلم: الأستاذة هبة شاكر احمد[1]

في خضم التفكير في الإسلام اليوم، من خلال التراث الضخم الذي تراكم خلال أكثر من أربعة عشر قرن، بغثه وسمينه وقريبه وبعيده، وقنوات استيعابه، ومعضلاته وثماره، نجد أنفسنا أمام مشروع نقدي تجديدي وفق منهج لا يمكن القول عنه توافقي وإنما معتدل كما العديد من المشاريع الموازية له في جغرافية التفكير النقدي الديني داخل المنظومة الثقافية الإسلامية. هذا المشروع الذي لا يزال يعمل عليه الأستاذ ماجد الغرباوي (1954م) هو بمثابة بوصلة مهمة بحجم الكتابات والقراءات والحوارات التي تم نشرها ضمن سلسلة متاهات الحقيقة – والتي لا تزال بالفعل تقارب العديد من المفارقات والمغالطات والمدارات ولكن من الصعب الوصول إليها دون الوقوف على أهم خطوطها العريضة التي تحاكي سؤال: كيف وماهو السؤال الديني المركزي في عقلانية الغرباوي، الذي تحدى علامة "الفقيه المثقف" لكنه اكتسب تمامًا مظهر الفيلسوف الديني المثقف.

فلسفة الغرباوي ليست فقهية. لكن هذا لم يمنعه من جلب الفقه "على حدود الفلسفة"، نحو أخلاق الإسلام الطبيعية الإنسانية، التي كان الغرباوي دائمًا في جل عباراته ما يحمل قيمها ومبادئها من الأدب الإسلامي بامتياز. في البدء. ما يحدد فهم الإسلام في ماجد الغرباوي هو الواقع بعيون الفلسفة والأخلاق، دون التفريغ المنهجي للموضوع الديني.

---

[1] – كاتبة من سورية

النقد الفلسفي والتجديد الديني

طوال حياته، كان ماجد الغرباوي يجمع بين النقد الفلسفي وروح التجديد. لقد قام بتأليف أعمال نقدية عظيمة، على افتراض عدم أهمية المنهجية في بداياتها، والامتناع عن التعبير عن الإيمان الراسخ في الرؤية الرئيسية، هناك تواضع مميز يبدو ضروريًا في حواراته الفلسفية، كما يظهر في أولى حلقات متاهات الحقيقة. في الوقت نفسه، موضوعية الطرح في فتح ملفات المغالطات وقراءات الاعتراف بالتخلف والضمور الذي يكتنف العديد من أركان الامبراطورية التراثية الدينية خاصة الكلامية والفقهية، دون ان ننسى التزامه بالضرورة الإصلاحية المعمقة، من خلال إعادة تجديد وعينا لمفهومي المقدس واللاهوت.

تندرج أعمال الغرباوي التي تم جمعها في تسعة مجلدات (متاهات الحقيقة، مع قرابة عشرين كتاب غيرها)، في ظل منهج فلسفي نقدي للتراث، تحت عنوان مخاوف رجل الإيمان من فساد إيمان الناس بمطبات تاريخ التحيز الفقهي والتمويه الحقائقي. حيث يواجه الغرباوي "حرمة الشكوك" (تراجيديا العقل التراثي، الفقيه والعقل التراثي) وانتقاد الفقه (مضمرات العقل الفقهي)، وكذلك التحديات التي يمثلها العنف والاستبداد في المجتمعات العربية والاسلامية الحديثة (تحديات العنف، مدارات عقائدية ساخنة، الضد النوعي للإستبداد) وخصوصيات الهوية (الهوية والفعل الحضاري، تحرير الوعي الديني). رجل الحوار والتسامح، يستفرد بقدرته على سماع النقد الموجه إليه، ولكن أيضًا لتخيل صور وتمثلات محتملة لإيمان وهمي (مواربات النص).

مقاربات جديدة للمعضلات الفقهية الصعبة

من النفس إلى التأويل والتاريخ والنسيان والصدمة والرهاب إلى اللغة والفلسفة المعاصرة للتواصل يحتفظ الغرباوي بدروس في استخدام التفكيك الموضوعي لمعضلات العقل التراثي في الراهن. ضد العنف الديني الذي يسبب سلطة الإستبداد. وعبر فرويد، يقف الغرباوي مشخصا "التشابه" بين العصاب والعنف (التسامح ومنابع

اللاتسامح). إنه يتعرف على التحليل النفسي لإمكانية "إظهار حقائق العقل التراثي المستبد". "إن مقاربة العنف قد حولت بعمق رؤيته للوعي الديني السليم، مما أثار عليه "النقد القاسي". ثم إنه أماط اللثام عن إشكالية اللاهوت والمقدس، وأن "الدرس الفقهي" ليس فوق الدرس المنهجي العقلاني، بل هو الذي يتلقاه، واستطاع أن يعيد النظر في علاقة الإيمان بالمنهج والقيم الأخلاقية.

خلال هذه النصوص الكثيفة للغاية، يقدم ماجد الغرباوي مناهجًا جديدة لأسئلة صعبة وحاسمة، مثل علاقة الإيمان الإسلامي بالعنف والأخلاق والميتافيزيقا، المقدس باللاهوت، العقل بالتراث، القرآن بالحياة الإيمانية والذات الإنسانية، الفقه بالأخلاق، التشريع بمقتضيات الكرامة ...

بإختصار زيارة فكرية معمقة في حديقة ماجد الغرباوي الثقافية خطوة بخطوة، تمكن من التراجع عن التهاون حيث يبرز عنوان المسؤولية ضمن الجزء المطوي من معادلة تجديد الوعي الديني، واضاءات هامة في السراديب المسدودة للتراث المقهور. وهكذا في رحاب الغرباوي تستنشق عطر النباهة الذي يغذي العقل بقدر ما يؤمن بالاسلام الحضاري..

سحر ما كشفته يد الأستاذ

ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ احمد راضي الشمري[1]

منذ أن قرأت للمفكر العراقي المسلم الأستاذ ماجد الغرباوي وأنا اشعر بأن قدمي قد داست على بداية دروب الهداية الفكرية. يكتب هذا المفكر مايكتب وهو متحررٌ من قيود الدين والمذهب والطائفة والمجتمع، فهو إنسان ينطلق من فكره الإنساني الذي يراه قالبًا لفكره الديني كما أعتقد، وهو يفعل ذلك لأنه يحترم عقله جدًا. إنه يفكر بأفق رحيب عريض مفتوح بلا قيود ولا خطوط حمراء ولا محاذير ولا موانع ولا مجاملات أو مداهنات أو محاباة. ولا يفعل ذلك أبدًا إلا من يؤمن بالحقيقية ولا يقدس غيرها وليس مستعدًا لأن يخفيها أو يلوي عنقها إرضاءً لمعتقدات الآباء والسلف الراحل. وهو عندما يتحدث يشبه نفسه كثيرًا عندما يكتب فلا خلاف عند الغرباوي بين الحالتين. فحديث الأستاذ الغرباوي هو حديث العقول المنفتحة وحديث الأفكار الحرة حيث يتناول فيما يتناول مواضيعًا حساسة عند غيره ومحرمة عند آخرين وغير جائزة عند البعض..

لقد كان لي شرف اللقاء بالأستاذ الغرباوي مرات عديدة. ولا أبالغ إذا ماقلت بأن اللقاءات معه هي من أثمن وأغزر اللقاءات الفكرية طيلة تواجدي في أستراليا. تشعر وأنت تستمع لحديث الأستاذ الكبير و المتواضع ماجد الغرباوي بطاقة إيجابية كبيرة تتسلل إلى مفارق جسدك وتمدك بعزم هائل يدفعك نحو التحليق في فضاءات الفكر اللامتناهية وإلى الخوض في كنوز العقول الضائعة.

---

1 - أحمد راضي –كاتب وأديب، ملبورن – استراليا

طاقة عظيمة قد تحللت عندي ذات مرة وأنا أستمع إلى حديثه الذي ابتدأه بثقة عالية تدل على عمق اطلاعه وصـــلابة يقينه واتضـــاح رؤيته فيما يخص مشـــاكل الإســـلام عامة والتشـيّع خاصـة، وعلى رأسـها التطرف. ثقة الغرباوي وقوة طرحه وجرأته الواضحة مع هدوئه المتزن كسر ماتبقى عندي من القيود الثقافية والاجتماعية التي كبلتنا بها عادات الآباء والأجداد الذين وجدناهم على أمة وســـرنا على آثارهم غير مهتدين. لكن إلى حين؛ وها هو قد حان ذلك الحين ببزوغ هذا الفكر الحر على يد الغرباوي.

إســـتدلات الغرباوي ومقارناته الواقعية واكتشـــافاته الحقيقية كانت بمثابة مفاتيح للمغالق الذهنية التي نمت وترعرعت بجهود الخط الغلوائي المتشدد في كل فرق الإسلام مهما تباين. ذلك الخط الممتد على تأريخ الأمة والذي حاول أن يسـلب حرية الفكر وحرية العقل وحرية النقد لكي يحيل عقولنا الى جمادات، وربما نجح في ذلك إلى حد بعيد.

كلام الغرباوي عن كسـر قيود الماضي وضـرورة إعطاء العقل المسـلم حيزًا ملائمًا في التفكير كان مشـــاعلًا تضـــيئ الطريق أمام الســـاعين إلى انقاذ العقل وتحريره من عبودية الخرافة وســـلطة الطقوس و منهج التطرف والتشـــدد والتزمت وســـحر الغلو ورفض الآخر واحتكار الحقيقة.

وفي حين يستمر هذا المفكر الفذ بالإنتاج الفكري وتناول موضوعات ذات ثقل كبير، إلا أنه دائمًا مايذكرنا بمســؤولية المثقف في تحمل أعباء المشــروع الاصــلاحي والقيام بادوارنا الفردية وعدم التراخي في تأديتها. فهو يرى إن نهضـــة اأمة تحتاج إلى مشـــاريع جماعية وحركة شـــاملة لاتقف عند حدود المفكرين بل تتعاها إلى نطاق المثقفين الذين يمكنهم تمرير تلك الأفكار في مشاريعهم الخاصة وبيئتهم المباشرة.

وبخلاف ذلك فان مشروع الخرافة والجهل والتطرف والتقديس سينتش ويكون له التأثير الأكبر. ذلك لأنه يكتســب قوته من غالبية غير مؤمنة بحرية العقل والفكر كما إنه يحصل على من يموله ماليًا وماديًا ومعنويًا في أقسى الظروف.

لانفع في الفكرة الجيدة والحقيقة البينة مالم تصحبها شجاعة البوح وجرأة الطرح؛ فقد يضـل الذهب حبيسًا في مناجمه ويبقى الماس دفينًا في مواطنه مالم تمتد اليه يد المجازفين الذين يدخلون مناجم البحث عن النفائس لكي يقدموها كنوزا تسحر عيون الناظرين، وهكذا كانت شجاعة الغرباوي. وأنا لا أشك أبدًا أني واقع تحت سحر ما كشفته يد الغرباوي من أسرار كبيرة أزال عنها، بجرأته وشجاعتة في البحث والكشف والتعدين والتنقيب، غبار قرون خلت من التجهيل والكسل والتخويف ومسح عنها بهمته أدران المغالاة والمجاملات والمحاباة.

بوركت وبورك جهدك وجهادك ايها المجاهد.

***

هذه وجهة نظري بالندوة التي عقدت في مركز الحوار الانساني في مدينة ملبورن -أستراليا يوم 29 - 10 - 2016، حيث تحدث فيها الكاتب والباحث الأستاذ ماجد الغرباوي، بجرأة عالية عن أسباب العنف وخلفياته الفكرية والثقافية والعقيدية

أبو حيدر ومتاهاته. شكر وتحية تقدير

بقلم: د. صالح الرزوق[1]

بمناسبة مشروع تكريم الأستاذ ماجد الغرباوي لا يسعني غير الإشارة إلى أمرين اثنين:

الأول تفضله بحراسة وتمويل موقع المثقف. وهو مغامرة في عصر ما بعد الحداثة. وتأتي أهميته من الحدود التي يلتزم بها. وفي المقدمة الإسهام بتعويم معنى الإسلام العربي وليس الإسلام الأممي. ولا شك أن للعرب خصوصيتهم في عصر الفضاء المفتوح الذي تحول لأداة غزو ثقافي، أو ما اعتدنا أن نقول عنه الاستعمار الناعم. وأي عمل يتكفل بسلامة المحتوى العروبي - أو بلغة أبسط الهويات الوطنية هو عمل له أهمية وجودية، ويغني الثقافة من طرفين. في الداخل لأنه يساعد على خلق معنى نوعي intrinsic identity وفي الخارج لأنه يضيف تجربة خاصة لعالم متعدد وكثير المحاور والاهتمامات.

الأمر الثاني هو إلحاحه الدائم على موضوعة حل الخلافات سلميا. واللاعنف جزء من رسالة المثقف ومدير تحريرها الأستاذ ماجد الغرباوي، أبو حيدر كما اعتدنا أن نخاطبه.

وربما كانت هذه المهمة هي أكثر أدوار المثقف أهمية. ولكن مشروعه الفكري الذي بدأ بإشكاليات التجديد وتواصل حتى بلغ موسوعته التي صدر منها تسع أجزاء بعنوان "متاهات الحقيقة" هي أيضا إضافة هامة، ومن عدة وجوه، في نقد التشريعات السكونية، وفي إغناء العمل العقلي. و دائما كنت أقول إن ماجد الغرباوي شمعة مضيئة بين أفراد جيل التنوير الثالث. وهنا أود التذكير بملاحظة

---

1 - ناقد وأديب وباحث - سوريا

الدكتور محمد الطالبي عن جيل التنوير الأول. فهم، بنصف راديكاليتهم وبحلولهم التوفيقية التي سمحت بها ظروف صعودهم، تحولوا إلى عقبة أمام مزيد من تطوير التفكير العربي. ومشكلة العروبة أنها لا تستطيع التنكر لدور إسلامياتها. واللاهوت الإسلامي معروف أنه مادي – وأستعير هذا المصطلح من الشهيد حسين مروة. فكل الأديان سماوية وغير سماوية كانت دون دولة. ولا يوجد دين أسس لدولة مثل الإسلام، والإسلام تحديدا، لذلك يصعب جدا عزل ما لله وما لقيصر. وقد حاول الأستاذ أبو حيدر أن يحمل هذه المهمة. وهو يتابع دوره ويدحرج صخرة الفكر الإسلامي كأي سيزيف عربي.

ولذلك يجب أن نتوقع أن يدخل بمحاورات معقدة مع أعداء تطوير العقل وأساليب الإدراك. وفي الذهن الحوار المطول الذي دار بين أحد أساتذة الجيل السابق وهو محمد عابد الجابري، ورمز من رموز التنوير الوطني في سوريا، وهو المرحوم جورج طرابيشي.

من هذه النقطة أستطيع أن أتلمس معالم الدرب الشائك الذي يسير عليه مشروع أبو حيدر، والذي أصبح مشروعنا...

ماجد الغرباوي المفكر التنويري المثابر

بقلم: د. صلاح حزام[1]

عندما هممت بالكتابة عن الأستاذ ماجد الغرباوي ومساهماته الكبيرة التي تصب في عنوان واحد واسع هو: التنوير، والتي تتشكل من عدة اعمدة يقوم فوقها مشروعه التنويري، تساءلت بداية عما يربطني بهذا الرجل/ القامة !!!

أنا اقتصادي واعمل منذ ثلاثين سنة في ميدان التنمية البشرية المستدامة، وهذا المنهج التنموي الحديث يقوم على فكرة مركزية الانسان في التنمية (تنمية الانسان بواسطة الانسان ومن اجل الانسان).

مركزية الانسان في الفكر الديني هي واحدة من منطلقات ماجد الغرباوي الاساسية في نشاطه الفكري التنويري. وهذا الرابط الفكري زاد من اهتمامي ومتابعاتي للانتاج الفكري لماجد الغرباوي وساعدني في توسيع المنظور الذي امتلكه حول الدور المركزي للانسان في التنمية بكل ابعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والتي يلعب فيها الفكر الديني دوراً مهماً في عالمنا الاسلامي .

فبعض الاتجاهات الفقهية قد تدعو الى حرمان المرأة من التعليم وحرمانها من العمل والمشاركة الاقتصادية ومن ممارسة النشاط السياسي والاجتماعي، وبذلك يعطل تنمية وتطّور نصف المجتمع.

الفقه المتشدد والمتطرف قد يدعو لمقاطعة الاجانب بحجة انهم كفّار ويحرم البلد من الخبرات والمهارات والاسواق والتكنولوجيا والاستثمارات الخ.

---

1 – باحث وكاتب اقتصادي – العراق

وهكذا فإن الفقه المتفتح والذي يحترم العقل والعقلانية ويحترم الحياة الانســـانية ويدعو الى التنمية والتطور وعمارة الارض، ذلك النوع من الفقه وذلك النوع من التفكير والتأويل العقلاني المنطقي للنصوص، ذلك هو ما اتمنى سيادته لدعم جهدي وجهد غيري من العاملين في ميدان التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

بعد هذه المقدمة التي اردت من خلالها تسليط الضوء على الرابط الفكري بيني وبين الأستاذ ماجد وهو يصب في صميم اهتماماتي المهنية، اذهب الآن الى الاعمدة او المرتكزات الاساسية لمشروعه التنويري النهضوي كما اراها أنا ولا ادعي المقدرة على الاحاطة بكل جوانب ذلك المشروع الواسع.

– الدعوة الى العقلانية واستخدام العقل:

من اكبر اشكاليات الفكر الديني هي قضية تحييد العقل واستبعاده من تحليل ودراسة و تأمل القضايا الكبرى في الدين.لقد شاعت ظاهرة الركون الى تفاسير و تأويلات القدماء بغض النظر عن عقلانيتها او منطقيتها او اتساقها مع مجمل الاتجاهات الدينية والثوابت الألهية. بل ان البعض يحذر بقوة من اللجوء الى العقل ووجوب الاعتماد على تأويلات وآراء الشيوخ القدماء. وهنا تأتي دعوات وجهود الأستاذ ماجد الدؤوبة لمناهضة هذا الاتجاه الخطير . ومن يراجع مؤلفات الأستاذ ماجد سوف يتأكد من حجم المساحة التي تحتلها قضية العقل والعقلانية في تلك الاعمال.

– مركزية الاخلاق في الجهد الفقهي:

تحتل قضية الاخلاق وتعريفها وموقف الفقه بكل تياراته منها، مركزاً مهماً في اعمال الأستاذ ماجد.. حيث يرى ان الدين هو الاستقامة او هكذا ينبغي ان يكون .. الميزان الاخلاقي للتفسير والتأويل واصدار الاحكام يجب ان يكون حاضراً ...

يقول رسول الله (ص): انما بُعثتُ لاتمم مكارم الأخلاق...

انه يختزل الغاية من البعثة النبوية بهدف واحد عظيم يجمع كل ما هو خير، انه الاخلاق..واذا تحقق ذلك الهدف الكبير يتحقق ماسواه..

الاخلاق من الناحية الفلسفية لاتعني دماثة الخلق والطيبة في التعامل مع الناس فقط بل هي تعني الالتزام بالاحكام والقواعد والقوانين المتفق عليها اجتماعياً (هذا اذا كانت وضعية) اضافة الى الالتزام بالاحكام الألهية كما يراها رسول الله..

- نزع القداسة عن النصوص والتراث (بمعنى السماح بنقدها وتحليلها):

وهذه في نظري تمثل المدخل الرئيسي للاصلاح والتحليل الموضوعي.. اذ بدون نزع القداسة عن التراث وعن النصوص والتأويلات القديمة التي قد تكون لاتعكس جوهر الاسلام الحقيقي، بدون ذلك لايمكن الخروج من قيود الماضي السحيق. ولايمكن الاستجابة للتطورات العلمية والبحثية الحديثة..

يجب السماح بمراجعة التراث ونصوصه المختلفة وان لايكون ذلك بمثابة خطوطاً حمراء ..

نزع القداسة لايعني اهانة النصوص او تقليل احترامها بل عدم التعامل معها باعتبارها من المحرمات ولايجوز الاقتراب منها ولا الاعتراض عليها وووجوب التسليم بكل ماجاء فيها.. ذلك هو القتل الحقيقي للعقل..

ماجد الغرباوي وعلي شريعتي

لطالما كنت معجباً بكتابات الأستاذ الراحل علي شريعتي، والذي دفع حياته ثمناً لمواقفه التنويرية التحررية.. لقد كان شريعتي من أشد المطالبين بتحرير العقل والخلاص من قيود الفقهاء التي حرّمت العقل والاستقلال الفكري والذين نصبوا انفسهم رسلاً بين الانسان وخالقه.. ومقابل شريعتي، فأن لدينا ماجد الغرباوي داعياً الى العقل والاخلاق والى صيانة كرامة الانسان.. اشعر بالسعادة عندما ارى استمرار خروج المفكرين الابطال.

- الأستاذ ماجد يكتب وينقد (ولا أقول ينتقد) ويحلل في شؤون الدين والعقيدة وهو يعيش في عصر خطير يختلط فيه الدين بالسياسة والمال والعمل الاستخباري (ذلك يحتاج بطولة اسطورية لمواجهة ذلك التحالف والاستعداد لتحمل النتائج).

المفكر العراقي ماجد الغرباوي
داعية نير لتحديث الدين

بقلم: الأستاذ سليم جواد الفهد[1]

- الغرباوي مفكر إسلامي عراقي فذ من مواليد 1954.

- هاجر إلى أستراليا في عهد نظام صدام حسين وحصل على الجنسية الأسترالية.

- أسس صحيفة ومؤسسة المثقف في مدينة سيدني الأسترالية.

- له العديد من الكتب والمؤلفات التي تدعو لتحديث الدين الإسلامي ونبذ التطرف.

- ينتقد الغرباوي التفسيرات الجامدة للنصوص الدينية ويؤكد على أهمية العقل والاجتهاد في فهم الدين.

- يدعو إلى قراءة جديدة للنصوص الدينية تتوافق مع قيم العصر الحديث.

يرى أن الدين الإسلامي قادر على التكيف مع متغيرات العصر دون المساس بجوهره.

أبرز أفكاره:

1- ضرورة التمييز بين الدين كعقيدة إيمانية وبين الدين كمؤسسة اجتماعية.

2- الدين الإسلامي دين إنساني يدعو إلى الحرية والتسامح والعدالة.

---

1 - كاتب وباحث عراقي

3- يجب تحرير الدين من سطوة المؤسسات الدينية التقليدية.

4- أهمية الاجتهاد والتفكير النقدي في فهم النصوص الدينية.

5- ضرورة مواكبة الدين للتطورات العلمية والفكرية في العصر الحديث.

القلة من أصحاب رسائل التنوير من ينذر نفسه لإكمال مشروعه حتى النهاية غير أَبِهَ ولا مبالي بالعقبات والصعوبات وكأن رسالته التنويرية وحيانية ومسؤولية ما ورائية يترتب على أكمالها مصائر الخلق أجمعين.

المفكر العراقي ماجد الغرباوي من هذه الطينة النقية طينة عُجِنَت بماء المسؤولية لتبرز وجه الحق للخلق والغاية هي ترسيخ كرامة الكائن الإنساني وسعادته. من خلال وضع المعادلة المقلوبة في نصابها الصحيح: (الدين في خدمة الإنسان) و(ليس الإنسان في خدمة الدين).

من أجل ذلك سعى المفكر الغرباوي إلى قراءة متجددة للنص تقوم على النقد والمراجعة المستمرة من أجل فهم متجدد للدين كشرط أساس لأي نهوض حضاري يساهم في ترسيخ قراءة متجددة للنص وهي ضرورة لنهوضٍ حضاري راسخ في قيم الحرية والتسامح والعدالة.

أدرك مفكرنا أن الدين عنصرا أساسيا في حياة الكثيرين فهو يقدم لهم الإرشاد والهداية والمعنى في الحياة. ولكن مع مرور الزمن قد تصبح بعض النصوص الدينية غير مفهومة أو غير متسقة مع قيم المجتمع المعاصر.

من هنا تأتي أهمية القراءة المتجددة للنص الديني والتي تقوم على النقد والمراجعة المستمرة من أجل فهم متجدد للدين. فهم عصري للنص يتناسب مع احتياجات العصر الحديث. تُساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة وهي القيم الأساسية لأي نهوض حضاري. غايته معالجة التطرف والظواهر السلبية التي قد تُنسب إلى الدين والدين منها براء.

مبادئ القراءة المتجددة للنص عند الغرباوي

أولا: النقد والمراجعة المستمرة:

يجب أن تُبنى القراءة المتجددة للنص على النقد والمراجعة المستمرة دون الخوف من التساؤل أو إعادة النظر في بعض الأفكار.

ثانيا: الاعتماد على العقل والمنطق:

يجب أن تعتمد القراءة المتجددة للنص على العقل والمنطق مع الأخذ بعين الاعتبار السياق التاريخي والثقافي الذي نزلت فيه النصوص.

ثالثا: التسامح مع التنوع:

يجب أن تُراعي القراءة المتجددة للنص التنوع في التفسيرات وأن تتسامح مع مختلف وجهات النظر.

***

مقتضيات الحكمة في التشريع
نحو منهج جديد لتشريع الأحكام

سأقف مع هذه الإضاءة من إضاءات مفكرنا الفذ بإختصار لأن من المستحيل الإحاطة بكل درره في هذه الشهادة القصيرة.

مقتضيات الحكمة في التشريع تشير إلى الضوابط والمبادئ التي يجب أن توجه عملية صياغة القوانين والتشريعات. هذه المقتضيات تهدف لتحقيق المصلحة العامة وحماية حقوق المواطنين وتعزيز العدل والمساواة في المجتمع. وفيما يلي بعض المقتضيات الرئيسية للحكمة في التشريع:

1. الدقة والوضـــوح: يجب أن تكون القوانين محددة ودقيقة بحيث يتســـنى للمواطنين فهمها وتطبيقها بســـهولة. يجب أيضـــاً أن لا تكون هناك تركيبات لغوية معقدة أو غامضة التفسير.

2. المرونة: ينبغي أن تكون القوانين مرنة بما يتناســـب مع احتياجات المجتمع والتطورات الاجتماعية والتكنولوجية الجديدة. وبالتالي، يمكن تعديل القوانين وتكييفها لتلبية المتغيرات الجديدة.

3. المساواة والعدل: ينبغي أن تكون القوانين عادلة وعادلة بالنسبة لجميع أفراد المجتمع، بغض النظر عن جنسهم، عرقهم، دينهم أو أي خصائص أخرى.

4. الســلامة والأمان: يجب أن تهدف القوانين والتشـريعات إلى حماية سـلامة المواطنين وتوفير بيئة آمنة ومسـتقرة. يجب أن تكون هناك تدابير فعالة لمكافحة الجريمة والحفاظ على الأمن.

5. الشـفافية: يجب أن تكون العملية التشـريعية شـفافة ومفتوحة، بحيث يتسـنى للمواطنين معرفة كيفية اتخاذ القرارات وصـــياغة القوانين. يجب أن يحظى الجميع بحق الوصول إلى المعلومات والمستندات ذات الصلة بالقوانين.

6. **الاســـتدامة:** ينبغي أن تعمل القوانين والتشـــريعات على تحقيق التوازن بين الاحتياجات الحالية والمستقبلية للمجتمع.

ومن أجل تحقيق هذه المقتضيات يجب أن يكون التشريع مبنيا على أسـس قوية ومبادئ قائمة على العدل والمســاواة وحماية حقوق الفرد والمجتمع بشـــكل عام. كما ينبغي أن يتمتع المشرع بالحكمة والفطنة في اتخاذ القرارات الصائبة التي تحقق المصلحة العامة وتسهم في تنمية المجتمع بشكل شامل.

تتضمن مقتضيات الحكمة في التشريع الاستناد إلى الدراسات والبحوث العلمية الموثوقة والتحليل الشـــامل للظروف والمتغيرات المحيطة بتلك القضـــايا. كما يتطلب الأمر الاستماع لآراء ومقترحات الخبراء في المجالات ذات الصلة واستشـارة الأطراف

المعنية والمجتمع المدني لضـــمان إشـــراك جميع الفئات الاجتماعية وتلبية احتياجاتها وتطلعاتها.

وتكمن مقتضيات الحكمة أيضا في وضع تشريع يأخذ بعين الاعتبار توجهات التطور العلمي والتكنولوجي والاجتماعي ويكون متكيفا مع التحولات الســـريعة في المجتمعات الحديثة. فعالمنا المعاصـــر يشـــهد تطورات هائلة في مختلف المجالات ومن ضـمنها القانون والتشـريعات ولذا فإن التشـريع يجب أن يكون قابلاً للتطور والتعديل لمواكبة التحولات والتحديات الجديدة.

وأخيرًا تعني مقتضـيات الحكمة في التشـريع ضـرورة توفير آليات فعالة للمراقبة والتقييم المســتمرة لســلوكيات التطبيق والتنفيذ لتشـريعات المجتمع. يجب أن يتمكن المجتمع من مراقبة تلك القوانين وقياس فاعليتها والتأكد من تحقيقها للأهداف المرجوة. علاوة على ذلك يجب وضـع آليات قانونية لتعديل أو إلغاء التشـريعات التي تثبت فشلها أو عدم ملاءمتها للظروف الراهنة.

باختصــار يجب أن يتســم التشـريع بالحكمة والعقلانية والتفكير الاســتراتيجي لتحقيق الاســتقرار والتنمية المســتدامة في المجتمعات لذا ينبغي أن يعكس التشـــريع المقتضيات الحكيمة والمتطلبات العصرية للتشريع بناء على أبحاث واستشارات ومراقبة فعالة.

وهذا عرض مختصر لفحوى كتاب مقتضيات الحكمة في التشريع للأستاذ ماجد الغرباوي:

يُعدّ كتاب "مقتضـيات الحكمة في التشـريع" للأســتاذ ماجد الغرباوي من أهم الكتب التي تناولت فلسفة التشريع في الإسلام. ويُناقش الكتاب العلاقة بين الحكمة والتشريع ويؤكد على أن الحكمة هي الأساس الذي تُبنى عليه القوانين والشرائع.

أهمّ الأفكار التي يُناقشها الكتاب:

مفهوم الحكمة في الإسلام:

يُعرّف الكتاب الحكمة بأنّها "علمٌ يُدرك به ما يجب فعله وما يجب تركه". ويؤكد على أنّ الحكمة هي صفة من صفات الله تعالى وأنها تمثل الغاية من التشريع الإسلامي.

العلاقة بين الحكمة والتشريع:

يؤكد الكتاب على أن التشريع الإسلامي مبني على الحكمة وأن جميع الأحكام الشرعية لها حكمة وسبب ويشير الكتاب إلى أن الحكمة قد تكون ظاهرة أو خفية وأن على المسلم أن يُؤمن بحكمة الله تعالى حتى وإن لم يُدركها.

مقتضيات الحكمة في التشريع:

يناقش الكتاب بعض أهم مقتضيات الحكمة في التشريع، مثل:

– **التدرج في التشريع**: يؤكد الكتاب على أن التشريع الإسلامي جاء متدرجا وأن ذلك من مقتضيات الحكمة. فمثلاً لم يُحرم الله تعالى الخمر دفعة واحدة بل حرمها على مراحل.

– **مراعاة المصالح**: يؤكد الكتاب على أن التشريع الإسلامي يُراعي المصالح وأن ذلك من مقتضيات الحكمة. فمثلا حرم الله تعالى الربا لأنّه يُضر بالمصالح الفردية والمجتمعية.

– **سدّ الذرائع**: يؤكد الكتاب على أن التشريع الإسلامي يُسد الذرائع التي قد تؤدي إلى الفساد. فمثلاً حرم الله تعالى الزنا لأنه قد يُؤدي إلى الفساد الأخلاقي والاجتماعي.

– أهمّ خصائص الكتاب:

الأسلوب السهل والمبسط: يقدم الكتاب أفكاره بأسلوب سهل ومبسط مما يجعله مناسبا لجميع القراء.

– **الاستدلال بالقرآن والسنة:** يؤكد الكتاب على أفكاره بالاستدلال بالقرآن والسنة مما يعطيها مصداقية وقوة.

– **الشمولية:** يُناقش الكتاب موضوع فلسفة التشريع بشكل شامل ويُغطي جميع جوانبه.

– **خلاصة:**

يُعد كتاب "مقتضيات الحكمة في التشريع" من أهم الكتب التي تناولت فلسفة التشريع في الإسلام. ويُقدم الكتاب أفكارا قيمة حول العلاقة بين الحكمة والتشريع ويؤكد على أن الحكمة هي الأساس الذي تُبنى عليه القوانين والشرائع.

ملاحظة:

هذه نبذةٌ مختصرةٌ عن فحوى كتاب "مقتضيات الحكمة في التشريع" لا تغني عن قراءته لأنه كتاب غني وفيه يصل المؤلف إلى قمة الفهم الناضج للعلاقة بين الأحكام الشرعية وفلسفتها التاريخية.

ماجد الغرباوي
المثقف التنويري والمفكر المضيء

بقلم: شاكر فريد حسن[1]

الكتابة عن الكاتب والشـــاعر والباحث والمبدع والمفكر العراقي القدير والملهم والمضيء والاستثنائي ماجد الغرباوي هي مغامرة كبرى ..!

فحذار من الكتابة عنه والخوض في غماره، لأنك ســتكون كمن يحاول القاء القبض على مجرة او سوق البحر الى السواقي، او رسم خريطة جامدة لتسونامي حي لا يهدأ ..!

اننا نحتمي بماجد الغرباوي، بفكره الراقي المتنور العقلاني، ورأيه السديد، وحضوره الكثيف بكتبه ومؤلفاته النفيسة، التي سنرفعها كالمتراس في وجهه المشرق لنحدق في وجهه الانساني والنقدي والبحثي والعلمي والفكري، وسنربض خلف عناوين منجزه الفكري والثقافي، لكن وجوهه الاخرى سوف تجتاحنا .

لا امتلك ســوى الاعتراف بأن لا قدرة لي على اقتحام عالم ماجد الغرباوي والنفاذ الى كنوزه والواحه الماسية والذهبية، ولكن ساحاول قدر المستطاع .

ماجد الغرباوي رمز ونجم فكري وثقافي نقدي لامع يتجدد كل يوم في فضـاءات العلم والثقافة والســياســة والمعرفة، ويقف ضـــمن طليعة المفكرين والمثقفين العرب المستنيربن والنقديين المشتغلين على نقد الفكر الديني والحركات الاسلامية ومسائل

---

1 - شاكر فريد حسن –كاتب وناقد، وفاء لروحه الطيبة

النهضة والاصلاح والتجديد والمعاصرة والتنوير والعنف والتسامح بين الاديان والعقائد والمذاهب، وقضية المرأة ومسألة تحررها المرتبطة بتحرر المجتمع كله.

انه يتمتع بموهبة أدبية ابداعية وخلاقة وآفاق علمية واسعة، ويتصف بالذكاء والفطنة والبصيرة الثاقبة وبعد النظر والرؤية الواضحة والوعي المتجدد المتوهج المتوقد .

وهو المفكر المتواضع الثري بالثقافة الاسلامية والفكر الانساني والوعي النقدي، والانسان العصامي، الصلب، المقاتل والمحارب بالكلمة والقلم، والثورة لديه فصل حب وعشق كوني شمولي .

ماجد الغرباوي المفكر المتمرس المتبحر في التراث الاسلامي، يملك الأسس العقلية المنفتحة والأدوات الفنية التي يعتمدها اسلوبه الكتابي النقدي ومقارباته الفكرية والثقافية، التي تعد اهم ركائز واوليات الاستنساخ للمثقف المبدع الخلاق المبتكر المجدد .

ماجد الغرباوي كاتب وباحث عميق وجاد، صاحب مشروع فكري نهضوي معاصر يسعى من خلاله الى ترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، ومن خلال قراءة متجددة للنص الديني على اساس النقد والمراجعة المستمرة من اجل فهم متجدد للدين كشرط أساس لأي نهوض حضاري وعصري متقدم وجذري يساهم في تأصيل قيم الحرية والتسامح والعدالة في اطار مجتمع مدني خال من العنف والتنابذ والاحتراب .

ماجد الغرباوي نخلة عراقية باسقة وشامخة في الفكر العربي الاسلامي، عانق نور الحياة في مدينة قلعة سكر، النائمة على نهر الغراف، وتتوشح بجمال طبيعتها وانسياب نهرها .

نشأ بين ازقتها وحواريها، وتعلم الابتدائية في مدارسها، ثم انتقل وهو صغير السن مع افراد أسرته الى العاصمة العراقية بغداد، وفيها اكمل دراسته في اعدادية الكاظمية ثم الثانوية، لكنه تعرض للسجن مع ثلة من رفاقه، وبعدها واصل دراسته

خارج حدود وطنه بموضوع الشريعة والعلوم الاسلامية، واستقر به الحال والمطاف في سيدني باستراليا .

مارس ماجد الغرباوي التدريس بالمعاهد العلمية في اطار تخصصه لسنوات عدة، وشارك في العديد من الندوات والحوارات والمؤتمرات والحلقات والمواسم الفكرية والعلمية، واشغل رئيس تحرير مجلة " التوحيد "، واشرف على اصدار سلسلة رواد الاصلاح، وعمل على تأسيس صحيفة " المثقف " ومؤسسة المثقف العربي في سيدني باستراليا .

نال عدداً من الجوائز التقديرية عن اعماله الفكرية والعلمية البحثية .

له العديد من المنجزات في ميادين البحث والعقل والتنوير، بلغت حوالي ٢٥عملاً ومؤلفاً اضافة الى عدد كبير من الدراسات والبحوث والمقالات التي نشرها في الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية المختلفة المتعددة، ومن اهم كتبه:

اشكاليات التجديد، التسامح ومنابع اللاتسامح، الضد النوعي للاستبداد، الحركة الدستورية، الحركات الاسلامية – قراءة نقدية في تجليات الوعي، جدلية السياسة والوعي – الشيخ مفيد وعلوم الحديث، المشروع الاصلاحي، المرأة والقرآن، اخفاقات الوعي الديني – حوار في تداعيات النكوص الحضاري، رهانات السلطة في العراق – حوار في ايديولوجيا التوظيف السياسي، مدارات عقائدية ساخنة وغيرها .

منذ عهده الاول بالحياة وتشكل وعيه، رسم ماجد الغرباوي خريطة المستقبل، وراح بصلابة المؤمنين وحبر الانسان ينحت في الصخر الحديد، وينهض بالبناء ضلعاً قاصراً حتى استوى على هذا الطراز من الاصالة والتجاوز، فلا عجب اذا اصبح المثال والنموذج الفكري الذي يضرب ويحتذى به بين حراس الثقافة وعشاق الابداع، عن تحديه العنيد لاقدار المرحلة وتمرد الشجاع على سلطانها الجائر . ورغم انه يعيش في الغربة الا ان روحه وقلبه وعقله مع وطنه بلاد الرافدين ودجلة والفرات، مع عراقاه وشعبه، مؤكداً حرصه الدائم وتمسكه بالسلم الاهلي والوطني والاجتماعي كخيار استراتيجي ومنطلق اساسي للتعايش السلمي بين كل اطراف واطياف وتشكيلات المجتمع العراقي .

وهو يدعو في خطابه الى ترســـيخ حس ثقافي وفكري تقدمي وعقلاني يهدف الى وعي ومصالحة شاملة بين مكونات المجتمع العراقي والعربي على حد سواء، ويرى ضـرورة واهمية تقديم قراءة متأنية لاسـس واصـول التسـامح السـائدة في واقعنا العربي المزري، قراءة واعية وحقيقية مبنية على قاعدة متينة تشـــكل قفزة نوعية في اخراج المجتمع من محنه وازماته المتراكمة، وتقوده للخلاص من الجهل والتخلف والامية .

ماجد الغرباوي مثقف ومفكر مســكون بالأسـئلة، يجيد علامات الاسـتفهام، ويبحث عن الحقيقة، ويطاردها في كل مكان، ويتوغل عميقاً في الجزر والمســـاحات المغلقة، رافضــاً المسـلمات، مؤكداً على ان كل شـيء قابل للنقد والمراجعة، ولا فرق عنده بين المقدس واللا مقدس، يمارس النقد باوســـع أبوابه، ولا يخشـــى دخول مساحات الممنوع والمحرم والمقدس المتستر عليه .

ماجد الغرباوي هو صاحب ومؤسس صحيفة " المثقف " التي ساهمت في نشر الوعي الثقافي والفكر الحر الديمقراطي والليبرالي، وتركت صدى واسعاً، ولقيت تقديراً واحتراماً من الاوسـاط الادبية والثقافية والفكرية في مختلف اقطار العالم كونها منبراً حراً للكلمة والرأي والموقف، وبفضل ما تنشره من دراسات وأبحاث ومتابعات ومداخلات واضـاءات أدبية وفكرية واجتماعية وسياسـية، وكتابات ابداعية، شـعرية ونثرية، وهو ايضــاً رئيس مؤســســة " المثقف " الرائدة في تكريم رجالات الفكر والأدب والأقلام الثقـافيـة والرموز الادبيـة والفكريـة، وتكريم كتـاب وكـاتبـات " المثقف " ومنحهم الشـــهادات التقديرية، واســـهامها في طباعة ونشـــر الكتب المتنوعة في جميع الألوان والأجناس الكتابية، وكل ذلك بفضل جهوده الطيبة المباركة .

ماجد الغرباوي، تلك الارادة الفذة القادرة على المجابهة والجدال والنقاش دفاعاً عن الحقيقة في سـياق التخطي المسـتمر في تلك الحركة المجندة لتدمير اعمدة الهيكل الاجتماعي الثقافي الفكري الراهن، وانشـــاء تلك العمارة حلم البشـــرية جمعاء وغاية نضالاته المتواصلة عبر مسيرته الحياتية والثقافية .

وهو ذلك المتواضع النقي المستخفي الظل الذي لا يستمليه صخب الاضواء ولا تبهره الكاميرات ولا الميكروفونات ولا الفضائيات .انه النسر الجارح الآتي الناهض من

ارض الرافدين، الذي تعاظم وجعه مع وجع العراق دون ان ينتابه الوهن او يصـــبه الفتور، ولم يســتســلم لجبروت الراهن من الزمن العربي الرديء، حاشــا، فاليقين لديه يتعزز بحتمية التغيير، ويغدو اكثر اطمئناناً كلما اوغلت قوى الثورة المضادة والجماعات التكفيرية المتأسـلمة والقوى المتطرفة الوهابية في سـفك الدماء والخرائب وتدمير التراث الحضاري العراقي والعربي واغتيال رموز الثقافة والفكر والادب بنهم وحشي .

ان مســـاهمات ماجد الغرباوي ومقارباته ومداخلاته الفكرية على جبهة الفكر النهضـــوي التنويري ليســـت من ذلك النوع المرحلي العابر، بل هي جذورية نفاذة ومستمرة في شعاع المراحل الراهنة واللاحقة، بمنهجية علمية واضحة،وتأتي لتصحيح النظرة الفكرية المعاصــرة للتاريخ والتراث، مســتمداً أدواته المعرفية من المنهج التاريخي المادي في تفســير التاريخ ومنهجه، وترشــدنا عناوين اعماله من مؤلفات ومنجزات فكريـة، الى مفـاتيح أفكـاره وتوجهـاتـه، وتـدل على مـدى رغبتـه كمثقف عضـــوي مشـاكس ومتنور ونقدي في التأسيس لفكر نهضـوي حداثوي جديد، لا يسـاوم على الحقيقة، اذ انه منذ بداياته التفاكرية او التجادل الفكري قدم ســجلاً جديداً للثقافة العربية والفكر الديني الاصـــلاحي قوامه نقد المحظور، لكنه لم يكن ولن يكون مفكراً للفرد، ولا يبحث في قضــايا ومســائل من فوق المجتمع وخارجه، بل يســتظل على مسائل فكرية تهم وتمس ثقافتنا وعقلانيتنا ووعينا الانساني .

ماجد الغرباوي علامة مضـيئة كبيرة ومشـرقة في الاجتهاد الفكري، وظاهرة مميزة ومتفردة في الشـــجـاعـة والجرأة الفكريـة والتعفف الاخلاقي، تبـدو غريبـة في زمن الانحطاط والخواء والفقر الثقافي والتخلي عن الافكار والقناعات الايديولوجية .

انه مثقف طليعي ومفكر نظيف وعفيف قوي الروح، يشــكل نموذجاً في الثبات على الموقف والمبدأ والطرح والاستعداد للتضحية، والتفاني لاجل ان تتصارع الأفكار، وتتحاور المواقف، وتتجادل وصولاً الى الحقيقة والاقناع واحترام الرأي الآخر .

ماجد الغرباوي ـ
قراءة في معالم شخصيته الفكرية والأخلاقية

بقلم: الأستاذة صفاء الهندي[1]

رغم الغربـة والمرارة والحنين واللوعـة، وأنين الجســـد وآلامـه، وذكريات الوطن والأمنيات وشـــوقه ودموعه وأحلامه .. ورغم بُعد المســافات وترامي الحدود، ما زال نجمه لامعاً يتجدد كل يوم في سماء العلم والفكر والمعرفة .. لم تقف قريحته الفذة عند حد، ولم يبخل على طلابه وقرّائه من فيض عطائه. كما لم يمنعنا بُعد مهجره أن ننهل من وحي علمه وفكره المعطاء، ولم يتوان كرمه بدرس او نُصـحٍ او ارشـاد .. وهذا ما عهدناه من خلال متابعتنا وتواصـــلنا معه عبر الأثير، أنه اســتاذي الباحث المفكر القدير ماجد الغرباوي، الذي نبقى نتطلع لرؤيته ولقائه شــخصــياً، والتزود من فكره وعلمه ومواهبه وعطائه ذات يوم.

الغرباوي .. الاكتشاف

لسنا بصدد استعراض ومناقشة مشاريع الاستاذ الغرباوي وما يتمتع به من آفاق علمية وثقافة واســعة ومواهب فكرية وأدبية عالية بقدر ما نحاول إعطاء صــورة ولو تقريبية من وجهة نظر "قارئ" يحاول اكتشاف معالم شخصيته، والتعرّف على ملامح فكره وعلمه، لاننا نعتقد انه ما زال يكتنز في صدره أكثر مما ظهر في نتاجاته، وأبعد مدى مما طرحه في الساحة الثقافية. ورغم اسلوبه الواضح في مناقشاته ومعالجاته، إلا أن القارئ المتفحّص بامعان يستطيع ان يلحظ ويلمس، ان هناك مشروعاً آخر لم ير

---

[1] – كاتبة عراقية

النور. وهناك فكر، وفلسـفات، وعلم، ومعارف، واخلاق. هناك أفكار ومشـاريع، واشياء كثيرة لا تزال مختزلة في روحه وعقله، لم يُفصِح عنها بعد ! .

ما يشدنا أكثر الى متابعته هو:

فضلاً عن الذكاء والفطنة والبصيرة وبُعد النظر وسرعة استيعاب الرؤية وأحتوائها، هناك الشفافية وعمق التجربة الذاتية وحضور البديهة المثقفة والواعية التي يمتاز بها في رهاناته. اضـافة الى قدرته الفائقة على ادارة الحوار، وهي صـفة تعكس خصـائصـه التربوية والاجتماعية، ثم قدرته على حسم الموقف وارضاء الجميع بنفس الوقت.

ومن ذلك الحضـور الواثق كدليل بسـيط على مسـتوى فهمه ووعيه المتوقد والمتجدِد هي ردوده على قرّائه، حيث يتجاوز فيها الصراعات التقليدية والكلاسيكية المعروفة لدى الوعي العام والسائد. وايضا فان استجاباته ومناقشاته تعد تجسيدا بارزا وحيا لاخلاقه الرائدة وفهمه المتطور الخلّاق. ففي ردوده الشـفافة والرائعة على من يتعاطى بعاطفة وتشـنج وعصـبية وأنفعال زائد مع القراءات المخالفة لآرائهم او إعتقاداتهم او أفكارهم، تجد اجابات علمية، فكرية، ثقافية، اسـلامية، واجتماعية تنطوي على عشرات الأسئلة المختزلة "الآنيَّة والمستقبلية"، كل ذلك يطرحه باسلوبه الحضاري وروحه المتفتحه المعهودة بدقَّة وعمق وقوَّة موضوعية وشمولية عادلة وصالحة.

فمثلا، كتب مقالا حول أهمية السـؤال كرد على مجموعة من التعليقات، جاء فيه: (أسـس القرآن الكريم منهجا، حالت رمزيته العالية دون ادراك ابعاده، وظل المسلم يعيد قراءة آياته، وهو لا يفقه من معانيه شيئا. فتحدث القرآن عن حوار دار بين ابليس وبين الباري – تعالى –، ليؤكد لنا ثمة اسـئلة مشـروعة، من اي جهة صدرت، يجب الاجابة عليها (ولو كان الرب جل وعلا).

كما نقل لنا القرآن الكريم حوارا دار بين الخالق وملائكته، وهم كائنات صـالحة دأبها الطاعة، لكن هواجس خلق الانسان استبدت بها، فكانت هناك اسئلة طرحها القرآن الكريم ورد عليها، دون اي قمع او اضـطهاد او تهديد، كل ما في الامر أجّل الاجابة بالنسبة لسؤال الملائكة، لان طبيعة الجواب تحتاج الى تجربة عملية . ثم طرح القرآن الكريم أخطر الشـبهات، التي تهدد رسـالته، وهي التوحيد، دون اي اكتراث،

ونقل لنا اسـئلة المشـككين، والكافرين والملحدين، والناكرين، وناقشـها علنا. قال هكذا كانت اشكالاتهم، وهذه اجوبتنا .

فهل هناك اخطر من مسألة وجود الله بالنسبة للاديان جميعا؟ وما قيمة ما عداها لو اهتز الايمان بوجود الله – سـبحانه – او توحيده؟ فلماذا لا يسـتفز الانبياء من اسئلة المنكرين، والجاحدين؟ وكيف وضعهم القرآن وجها لوجه امام تلك التساؤلات؟
.

لماذا لم يعترض النبي ويقول له يارب، لقد اخطأت التوقيت، انها سـتضـعف دعوتي، وانا في بدايتها؟ لماذا تقبلها واعلنها على الملأ بكل ثقة ومسؤولية، ورد عليها، وفند حججها .

اذن المنهج القرآني يقوم على شرعية السؤال، وحق الرد، ومنهجه قائم على طرح الاسئلة بشكل شفاف علني، كي يتحمل المسلم مسؤوليته امام اي عمل يقوم به، ويكون مسـؤولا تجاه اي رأي يطرحه، لاسـتحالة قمع الاسـئلة، ولا بد من متنفس تطفو من خلاله بحثا عن اجوبة مقنعة . ولولا السؤال لما تطورت الحضارة)[1].

لم أقرأ له سـوى كِتابَين من مؤلّفاته: "أشـكاليات التجديد" و"التسـامح ومنابع اللاتسـامح". وانا بصـدد إقتناء وقراءة كل نتاجاته الأخرى، وكل ما رفد به المكتبة الثقافية والاسـلامية ان شـاء الله تعالى. لكني تابعت وإطلعت على كتاباته ونقاشـاته ومعالجاته وحواراته من خلال مقالاته في أرشيف صحيفة المثقف الألكترونية[2] وغيرها من المواقع والصحف.

بكل تجرد وإنصـاف: يجد القارئ نفسـه وهو يطلع على تراث هذا الرجل امام امكانيات معرفية ثرّة، ومكنونات فكرية اسـلامية واجتماعية وأدبية غزيرة تتجدد على الدوام، ويلحظ سـيطرته التامة على المطالب المتناولة فكريا وعلميا مع مواكبة متطورة

---

1 – مقطع من مقال كان منشورا في صحيفة المثقف حول شرعية السؤال
-2
www.almothaqaf.com

وعصـــرية. يُلحَظ ذلك في مقالاته وبحوثه ومعالجاته الفكرية والثقافية، بل وغيرها مما يتناوله في نقاشاته او التي يحللها بكتاباته ..

وبحوث الغرباوي تتصف ايضا بالاستقراء الموضوعي الصحيح، وتعدد القراءات لكل حادثة وواقعة يتناولها، والاستيعاب المدرك، والفهم المعرفي الدقيق ضـمن ثقافته التخصصية والعامة. وحيادية واخلاقية وموضوعية تامة، وقدرة على بحث ودراسة اي قضـية من جيمع جوانبها ومداخلاتها واسـتنطاقها، وثم المفاضـلة في تقييم التنوّع والاشكال وحل الملابسات ودفع السلبيات والمؤاخذات وملاحقة الايجابيات وبلورتها وتبسـيطها بصـور تتماهى جذرياً او تأسـيسـياً مع متطلبات المرحلة "الآنية" برؤية مستقبلية، فضلا عن ثقافته التي تتصف بسلاسة الاسلوب، ومرونة في دراسة الحالة او الظاهرة مهما كانت ابعادها شـائكة، وتذليلها بدلالات واسـعة لايضـيق على القارئ أستيعابها وفهمها. فمثلا في بحوثه الاسلامية عندما يقدم الاسلام كنظام يجمع بين التأصـيل الشـرعي والوعي الواقعي والثقافي بتاريخ الأمة وحاضـرها ومسـتقبلها، يدرس الغرباوي منهج الإسلام من حيث هو كلي مترابط في القيم والنظم والفكر.

ثم روعة الارتكاز العلمي المؤسس وأدواته المنطقية في الأستقراء والسلوك والفهم تتجلى بوضوح في كل عمليات المعالجة والتشريح المعرفي على طاولة المفكر الاسلامي المتمرس والاجتماعي المتبحِّر والخبير . كما ان الأسـس المنطقية والأدوات الفنيّة والعقلية المنفتحة التي يعتمدها اسـلوبه الكتابي النقدي ومعالجاته الثقافية والفكرية، تُعد من أهم ركائز وأوليات الاستنتاج "المبدع والمبتكر".

الوطن في روحِ الغرباوي وإيمانه

ان شعور الانتماء للوطن يتجلى في افكار الاستاذ ماجد الغرباوي وهو يناقش حـالات القلق الحـاصـل على ارض الوطن. وكـان حب الوطن حـافزه، من واقع المسـؤولية الثقافية والوطنية، في التعاطي بمرونة في نتاجه الفكري. فمن اسـهاماته الوطنية الكثيرة التي رفد بها السـاحة السـياسـية والأجتماعية، ثقافة الوعي للجماهير وما تحتاجه لاعادة النظر في سـلوكياتها وقيمها الكلاسـيكية وموروثاتها المؤججة. وهو

يدعو دائما لعدم الانجرار وراء صراعات قبلية وسياسية واجتماعية لاطائل منها سوى زيادة الشحناء والمأساة. ويرى أن هناك دائما ثمة حوار واخلاق وسلوكيات بديلة اكثر قيمة مدنية وحضارية كفيلة باحلال السلام بين الجميع، تعزز لغة الأنسجام واعادة النظر في الصراعات القائمة برمتها. كل ذلك من أجل العمل على ايجاد تسوية دائمة وشاملة تحقق الأمن والسلام، وهي دعوة توكد على حرص وتمسك الغرباوي بالسلام الوطني والاجتماعي كخيار استراتيجى ومنطلق اساسي للتعايش السلمي بين كل اديان واطياف المجتمع على ارض الوطن .

ويحس القارئ ان الخبرة الحياتية والعلمية والاجتماعية موظَّفة بصورة واضحة في طاقات الغرباوي وبرامجه وعطاءاته الفكرية والانتاجية. يتجسد ذلك من خلال دعوته لتوفير ارضية سليمة للتواصل مع هموم المجتمع وأزماته المتراكمة. ودعوته لايجاد حلول قِيَمية مُثلى، من خلال:

- دراسة الواقع السياسي والاجتماعي والديني بصورة جذرية.
- الاسهام في ترجمة الموروث الديني والاجتماعي وفق رؤية اكثر تطورا وانفتاحا.
- البحث عن كل الخيارات المتاحة من اجل توفير فرص للتعايش السلمي والحضاري بين الثقافات والأديان.

وليس من صورة واضحة لتلك المشاعر الوطنية اكثر من خطابه في كتابه "التسامح ومنابع اللاتسامح". حيث يتميّز هذا الخطاب بصلاحيته لكل المجتمعات التي تمر بنفس ما يمر به مجتمعنا العراقي من أزمات. ووفقا لهذا الخطاب، كما يرى الغرباوي، يجب البحث عن سُبل بديلة وخلق وأبتكار أجواء تسامحيَّة جديدة، وبرمجتها معرفياً وحركياً في فضاءات المجتمع، من أجل البقاء وديمومة التعايش السلمي ضمن حياتنا المجتمعية.

الغرباوي مفكرا

في كتابه التسـامح ومنابع اللاتسـامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات .. يقول الغرباوي:

(ان ما نشاهده اليوم من صراع محتدم بين القوميات والأديان والمذاهب يكشف عن رخاوة الأسـس التي يقوم عليها مفهوم التسـامح او غيابه، فهو في نظر الأوساط المتصارعة لا يعدو كونه قيمة اخلاقية تتحكم به المؤثرات الاجتماعية والسياسية، وهو في رأيها منّة وتفضيل مشروط . قد ينقلب الى ضده اذا فقد رصيده الاخلاقي، وما نحتاجه فعلاً لتوطيد العلاقة بين الطوائف والقوميات مفهوم يرتكز الى أسـس متينة، تتفادى الأحتكاك على خطوط التماس .. لتكريس مفهوم التسـامح وفق حاجاته الاجتماعية بعيداً عن المنّة والتفضـل والتكرم، فالتسـامح هنا حق لجميع الافراد على أساس الاعتراف بالآخر، وحماية لحقوقه، حق تفرضه الحقوق المشروعة لكل انسان في الحرية الشخصية، وحرية الأعتقاد، وحرية التعبير)[1]3.

اذا فهو يدعو الى زرع وبث روح التعايش السـلمي بين الأفراد والمكونات، وفق قراءات وأسس متينة جديدة، خلافاً لما هو سائد في الوضع الجاري، كي تتفاعل من خلالها جميع مكونات المجتمع بصورة حضارية اكثر انفتاحا واكثر ديمقراطية.

كما يدعو في خطابه الى غرس حس ثقافي يهدف إلى وعي أمني شامل في نفس وفكر جميع مكونات المجتمع على حد سـواء. أي يهدف الى تكوين قاعدة بشـرية كبرى من التعاون المدني والاجتماعي، بحيث يسـهم ذلك بشـكل ايجابي وفعال في تحقيق العملية الأمنية والتعايش السـلمي المسـتقبلي بين الأفراد والمكونات والأديان. وفي هذا المشروع محاولات دؤوبة لانقاذ المجتمع من العزلة والمصير المجهول .

---

1 - الغرباوي، ماجد، التسـامح واللاتسـامح .. فرص التعايش بين الاديان والثقافات، دار العارف، بيروت لبنان، ط 2008، ص11.

لقد كشـــف الغرباوي بنظرته حجم المعاناة التي ما زالت تعيشـــها وترزح تحتها مجتمعاتنا العربية. لذا فالامر بنظره يســـتدعي تقديم قراءة متأنية لأســـس التســـامح الســـائدة في واقعنا المزري .. قراءة مبنية على دراســـة نوعية تشـــكل قفزة في اخراج المجتمع من أزماته المتراكمة.

ان بلورة جديدة لتلك الأسس الرخوة وبنائها بانسجام وحذر ستساهم في خلق مجتمع متناغم بمكوناته ونســـيجه، يحتقر ماضـــيه المخجل ويداوي جروحه بحماس ويلملم شتاته بهمَّة، ويتطلع نحو مستقبل أفضل .

راحت البحوث العلمية والسـياسـية للغرباوي تسـبر الأدبيات والقيم الاجتماعية وتفرزها بموضـــوعية وتحدد عناصـــر الأهمية والخطورة والفائدة لهذا الجانب من ذاك في حياة الإنسـان والمجتمع . وكان يحذر المجتمعات التي تعيش سـباقا محموما في لا وعيها كي لا تجازف في خلق ازمات جديدة، تسلب المجتمع راحته ورفاهيته وقوته ونفوذه.

كما دأب الغرباوي في بحوثه على تقصي الحقائق التي تعين الإنسان والمجتمع في التغلب على مشـاكله، التي هي كالأمراض فتكا بالشعوب، ودعا في بحوثه الى ضرورة فهم الظواهر المتأزمة والمرتبكة ومحاولة تفســـيرها ومعالجتها من خلال التعميمات والقوانين الكلية الشـرعية والاجتماعية العامة، وايجاد حلول لمشـكلات حياة الإنسـان والمجتمع وانتشـــالهما من هذا الواقع الذي يعيشـــان فيه. والاســـتفادة من التجارب البشرية، وتحري الموضوعية التي ترفع من مستواه السلوكي نوعاً وكماً، وهو ما يساعد على تطور فكر الأفراد، وتزيد من نسب النجاح التي يتوخاها المجتمع .

لقد أولى الغرباوي البحوث العلمية اهتماماً بالغاً، واعتبرها عاملا اســـتراتيجيا لضـــمان وديمومة قوة المجتمع والدولة وبقائها فاعلة بين غيرها من الدول. إن الأمثلة على اهتمامات الغرباوي وباقي الشـريحة المثقفة والواعية بالتقدم العلمي والبحثي أكثر من أن تحصـى، ولكن منذ أن سـاءت الظروف وغُيِّب الفكر والمفكرين عن سـاحة المجتمع بدأ التراجع في مختلف المجالات وأصـــبحت الهوَّة بعيدة والفجوة عميقة بين الناس ومجتمعهم .

التسامح ومنابع اللاتسمح، الضد النوعي للاستبداد، تحديات العنف، و.. ألخ، ليست مجرد مؤلفات شاء تخصص الكاتب تأليفها بدوافع مادية او شخصية او دعائية، وإن كان ذلك من حقه .. ولكن بقدر ما يراها القارئ هي بحوث إنبثقت ضمن مشروع وهدف أعمق وأبعد من مجرد الكتابة. فهناك تأسيس .. وهناك تخطيط .. وهناك برنامج موضوع مُسبق .. وهناك هدف اكبر وأسمى من الآن .. هناك سعي حثيث ملموس . أي أن ما يلمسه القارئ أن هناك شيئا لايستطيع القارئ معرفة ماهيته تحديداً، اكثر من كونه مشروعا ثقافيا حضاريا مؤسسا حتى يأخذ مكانه التربوي في الساحة الاجتماعية والوطنية ودوره الطبيعي في ساحات العلم والفكر والمعرفة، وتساهم في خلق تطور ثقافي جديد بكل المجالات الوطنية والاجتماعية والدينية.

فضلاً عما تقدم يجب ان ننوه بكتاب: "الشيخ محمد حسين النائيني منظِّر الحركة الدستورية " والذي صدر بطبعته الثانية حديثا، حيث اطلعت على توطئته. ففي هذا الكتاب يبين الغرباوي معالم مشروعه الأصلاحي ضمن سلسلة "رواد الأصلاح". وهي سلسلة دورية تعنى بدراسة مشاريع الاصلاح التي نهض بها الروّاد المسلمون، والتي كان الاستاذ الغرباوي يرأس تحريرها وأصدر منها خمسة كتب على نفقته الخاصة، إلا أن هجرته من الشرق الاوسط الى الشرق الأقصى –كما يقول- حالت دون الأستمرار بصدورها. لكن بدأ وهو في مهجره باعادة اصدار ما صدر منها مجددا، حيث صدر منها لحد الان كتابان، نأمل ان يوفق في اعادة اصدار ما تبقى منها.

وقد درس الباحث في هذا الكتاب حياة الشيخ محمد حسين النائيني باعتباره اول فقيه ينظّر للحركة الدستورية والديمقراطية، وينتقد الاستبداد السياسي والديني بعنف. وبما ان حياة النائيني زاخرة بالاحداث والمواقف، لذا اهتم الاستاذ ماجد الغرباوي بشخصيته ومواقفه وفكره فكان هذا الكتاب، الذي قدم رؤية مغايره لما

كتب عن الشيخ النائيني، وهي رؤية نقدية صارمة، من أجل الوقوف على الحقيقة في خضم الاحداث التي رافقت النائيني.

نأمل ان يشكل هذا الكتاب رافدا وباعثا حركيا للأصلاح والاستفادة من معينه الفكري. وان يكون مصدرا للطلاب والباحثين على السواء، أسوة بباقي بحوث ونتاجات الاستاذ الغرباوي التي أغنى بها الساحة الثقافية والاجتماعية والاسلامية والسياسية .

ان افكار الكتاب كما هو واضح من موضوعه وعنوانه وما قرأت عنه، تعد افكارا اصلاحية، وتعكس وجهة نظره ورؤيته بالحاضر والمستقبل وما بينهما من احداث. ان مشروع الغرباوي الاصلاحي اذا ما كتب له النجاح سيساهم في رفد الساحة الثقافية والفكرية، ويقدم معالجات عملية للمشاكل التي تحيط بالمجتمع بسبب الثقافة والفكر والمواقف الخاطئة، خاصة مواقف بعض رجال الدين.

وقبل ان اختم مقالي لا بد ان انوه بجهد الاستاذ ماجد الغرباوي الاعلامي من خلال صحيفة المثقف، التي تركت صدى اعلاميا واسعا بفضل ما ينشر فيها من بحوث ودراسات ومقالات فكرية واجتماعية ونفسية وادبية وسياسية وثقافية. وايضا يجب ان انوه بمؤسسة المثقف، التي كانت رائدة في تكريم الاحياء من الرموز الفكرية والادبية، والرائدة في تكريم كتّابها وكاتباتها. كما لا ننسى مساهمات المؤسسة في طباعة ونشر الكتب، ولعلها المؤسسة الاولى التي نجحت في هذا المجال بفضل جهود الاستاذ الغرباوي حتى اصدرت لحد الان ما يقارب 30 كتابا.

ماجد الغرباوي ومتاهات الحقيقة

بقلم: الأستاذ حسين علاوي[1]

بعد ان تحول التراث الفقهي، والفكر الديني المتحجر الى مقدس.. تقاس به الحقائق الأخرى وتفرض على مجتمعات متعددة الأديان والثقافات.. ويكفر من يعترض عليه وتسلب حريته وانسانيته.. وما اعطاه الخالق تميزاً له عن سائر المخلوقات مثل: العقل والحرية والارادة.. الا ان الانسان في الكثير من مجتمعاتنا الإسلامية والعربية اضحى مجرد آلة تنقل الكلام دون نظر أو تساؤل، أو بحث.. وبعد ان قيدت الثقافة الدينية وارتهنت في الكتب والبحوث الفقهية التراثية.. عالج الفقيه و المفكر ماجد الغرباوي من خلال مشروعه التنويري الكثير من القضايا المقيدة بين الدين و العقل.. ومواجهة التحديات التي تواجه المجتمع العربي والاسلامي..

واهتم الغرباوي بالأنساق المعرفية.. والقضايا الإيمانية.. وركز كفقيه ومفكر على الدين بوصفه تجربة روحية اجتماعية.. وشريعة واسلوب عمل متواصل.. لا يوجد فيه توقف و جمود وقداسة لأفراد... ولا فتوى تباع للحكام.. ولا يستطيع فرد ان يدعي تمثل الله في الارض.. وان الافكار فيه لا تتجمد على زمان ومكان محدد..

فاستطاع الاجابة على الأسئلة الكثيرة.. وتأصيل الخطاب الفكري والفقهي بعيداً فى متاهات الفكر والعقيدة.. وفي أكثر كتبه ودراساته قدم الغرباوي الكثير من الاشارات الجادة والمنطقية التي تفرض نفسها في جميع مراحل التفكير الانساني.. بل ان اغلب افراد الانسان وبجميع مستوياتهام الفكرية قد واجهوا هذه الاسئلة.. وليس هناك قوة في الكون تستطيع منع الانسان من التفكير والتجديد في حقه المعرفي و

---

1 - كاتب وباحث عراقي

الوجودي.. وطرح القضايا التي تتعلق بمصيره.. فالانسان اساس الوجود وهو المحرك للوجود في البناء الاعمار.. وخليفة الله في الارض.. الا ان البعض من الفقهاء اعتبروا ان للفقه مجاله الخاص.. ونسي هؤلاء ان كل شيء شرع بالعقل.. وان من شروط اجتهاد الفقيه هو العقل.. فاعتبر الغرباوي ان التفكير العقلاني هو الطريق الوحيد لتحقيق منطق اقوى، و حجة علمية.. فكانت افكاره لها حضور كبير بين الأوساط المثقفة... لما لها من بعد معرفي معاصر و مواكب لحركة الواقع والاحداث والافكار بعد ان عالج الكثير من الافكار من خلال بحثه الدائم (المتاهه)وادانه العقلية الدينية المتعصبة والمتحجرة والرافضة لكل تجديد يتناول جوهر الدين ويواكب حركة العصر والافكار.. فعالج الكثير من متاهات الحقيقة في المقدس..

و في التراجيديا.. وفي المضمرات.. وفي الفقيه والعقل التراثي.. وفي الهوية والفعل الحضاري والنص وسؤال الحقيقة.. ونقد مرجعات التفكير الديني.. ودراسات نقدية للحركات الاسلامية المعاصرة.. واعتبر الغرباوي ان العقلية الدينية القائمة على الايمان الاعمى والاستسلام الكلي للاوآمر الدينية، تقوم على اساس غير منطقي لا يمتلك مرونة وقدرة على التطور... ويؤكد على ضرورة الانفتاح على المعرفة والتعليم المثمر.. و الانفتاح على الأديان والثقافات الأخرى معتبراً انه الطريق الامثل للتعايش و التعاون مع التأكيد على ان الدين يجب ان يكون وسيلة للسلام والمحبة..

وبما ان التسامح ضرورة حياتية تبقى الحاجة اليها قائمة ما دام هناك من يمارس العنف والاقصاء والتكفير، ويرفض التعايش السلمي مع الآخر المختلف.. بل الحاجة الى التسامح تستند مع اتساع التنوع الاثني : والديني لامتصاص تداعيات الاحتقان بين القوميات والثقافات والأديان، والخروج بها من دائرة المواجهة الى مستوى التعايش والانسجام... فقدم كتابه المهم في التسامح واللا تسامح.. والذي طبعه وترجمه الى اكثر من لغة.

فهو يعتقد ان كل ما يجري في عالمنا بسبب غياب مفهوم التسامح وانه لاخيار امام ثقافة الموت والاحتراب والعداء والاقصاء المتفشية في كل مكان سوى قيم التسامح.

فالغرباوي ومن خلال مشـــروعه الحداثي يســـعى الى تحرير العقل من بنيته الاسطورية واعادة فهم الدين على اساس مركزية الانسان فى الحياة.. وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من ســطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي.. من خلال قراءة ومراجعة للنص، من اجل فهم متجدد للدين، كشـــرط اســـاس لأي نهوض حضاري، يساهم في ترشيد قيم الحرية والتسامح والعدالة.. في اطار مجتمع مدني خالٍ من العنف و التنابذ والاحتراب يواكب حركة العصـــر والافكار.. ويرفض الجمود والمراوحة على افكار عفى عليها الزمن.. أو اضـحت خارج العصر الذي نعيشه.. بعد ان جعلت الزمان الذي نعيشـــه كله ماضـــياً.. والمســـتقبل مجرد مجال لتحقيق الماضـــي.. وما على الحاضـــر الى ان يقتدي به.. أو ينســـج على منواله.. فرفض الغرباوي هذه البنية الفكرية التي لا يكون فيها الحاضـــر أو المســـتقبل إلا انعكاســـاً للماضي..

ماجد الغرباوي والعقل التراثي

بقلم: الأستاذ عبد الستار نورعلي[1]

المفكّر التنويري والباحث ماجد الغرباوي غنيٌّ عن التعريف، فبحوثه ودراساته، وحواراته في مناقشة الفكر الديني، والمقدّس التاريخي، والأخلاق، والكمَ الهائل من التفسيرات والتأويلات المختلفة، وعلاقات كلّ ذلك بالعقل البشري، والعمق الزمني، وما استجدَّ من حقائق وتغيّرات في البنية العقلية الجمعية والفردية، وكذلك منْ خلال التطور الإنساني، وطرح أفكاره ورؤاه مستنداً الى علمه وخلفيته الثقافيه والدينية والعامة الغنية، وهو ما نجده في بحوثه ودراساته التي تحمل في طياتها موقفه العقلي التنويري في النظر الى هذا التراث الغزير، وبجدارة واقتدار، بحيث تصبح تراثاً فكرياً مضافاً ذا تأثير بالغ على المتابعين والمهتمين بالتاريخ الثقافي التراثي للأمة، وتداعياته وأثره البالغ في التكوين العقائدي والاجتماعي والفكري والأخلاقي والسلوكي، وإلى حدّ التطرف عند البعض، وإلغاء الآخر المختلف. وهذا الفكر التنويري عند المفكر الغرباوي في غاية الأهمية؛ فهو ماتحتاجه مجتمعاتنا العربية والإسلامية الواقعة في مركز اهتمام الصراع الأيديولوجي والسياسي في هذا العالم المضطرب، ونظرة هذا العالم تجاهنا وتجاه عقائدنا وقناعاتنا، وفي موقفه العام من الحضارة الإسلامية والعربية في عصورها المزدهرة.

لم يكتفِ الغرباوي بمنجزه الفكري الثقافي فحسب، بل خاضّ غمار الفنون الأدبية بأجناسها المتعددة، فقد كتب الشعر، بشكله الحديث، وهو ما يُسمى بقصيدة النثر، كما كتب القصة القصيرة أيضاً، وبإبداع ملحوظ. نلاحظ في هذا الجانب من منجزه الثقافي أثراً ممّا يكتنزه من ثقافته الفكرية الفلسفية والنفسية، ومن

---

1 - شاعر وناقد – السويد

تخصصه الذي ذكرناه سالفاً. ولنا قراءة نقدية نُشرِتْ على صفحات صحيفته الغرّاء (المثقف)، وهي في قصـــيدته "مديات حلم". فهو مجاهدٌ بالكلمة، مثلما جاهدَ بالفعل، وكما قالَ نبينا الكريم في حديثه الشريف:

"مَنْ رأى منكم مُنكَراً فلْيُغيّره بيده، فإنْ لم يســتطعْ فبلســانِهِ، فإنْ لم يســتطعْ فبقلبهِ، وذلك أضعفُ الإيمان."

ومفكرنا الكبير ماجد الغرباوي مجاهدٌ بالثلاثةِ: فعلاً، وقولاً (الكلمة والكتابة)، وقلباً (الإيمان الصـادق). وذلك مشــهودٌ له. ومِنْ جهادهِ الكبير إصـدارُهُ صـحيفة المثقف الغرّاء (اللســان الناطق بالحقِ والتغيير ونشــر العلم والابداع الإنســاني)، والتي أصــــبحت منْ أهمّ ركائز الثقافة العربية فكراً وعلماً وثقافةً وفنّاً أدبياً، إذ اجتمع فيها كبارُ المبدعين العرب في شــــتى مجالات المعرفة والثقافة والأدب، وبمختلف توجهاتهم الفكرية والســياســية والإبداعية. وما زالت الصــحيفة تواصــلُ مهمتها الكبيرة بنشــاط وفعالية، دون كلل أو ملل أو تقاعس. وهذا بفضــــل ربانها المجاهد ماجد الغرباوي، بجهدٍ مشهود، وإصرارٍ معهود.

العقل التراثي

مِنْ طروحات المفكّر ماجد الغرباوي المصــيبة والدقيقة إطلاقه مصــطلح (العقل التراثي) في الإشـارة الى تقديس التراث كمرجع فكري سياسـي اجتماعي اقتصـادي، والاستشـهاد به كمثال مُقدّس لتطبيقه على واقع جديد ينمو، ويتطور كلَّ يوم، بفعل عقلي يتجدد دائماً، وبتاثير الزمن المرتبط بالنمو العقلي الإنســاني، والخَلْق البشـري في إبداع ما يتناســب مع هذا التطور. والتقدّم التكنولوجي هو المثال والمعيار لديناميكية العقل. لكنَّ العقل التراثي الذي يرى الماضـــي مثالاً هو العقبة المانعة في مجتمعاتنا لمواكبة هذا التطور، ومنعه من الوصول الى مجتمعاتنا، في محاولة لكبحه، وتطبيق المثال التراثي على واقع بعيد في تطوره العقلي والتقني المؤثر. لذا نعيش هذا الصـراع المرعِب، الذي أوصــل بلداننا الى ما وصــلت اليه. لكنْ بالمقابل اســتلهام العِبَر من التراث،

وفهمه بدقة عقلية، وفق زمنه هو اضـــافة تراكمية، كما أشـــار الغرباوي، الى المعرفة والدفع الى الأمام.

ولذا، من خلال المتابعة والرصـــد، نجد الكثيرين مِنْ حَمَلة التراكّم التراثي الذين ناضلوا في تقديسه، والعمل على تطبيقه في الحياة المعاصرة كمثال يحتذى به، وتأكيد على مصداقية ما يدعون اليه، والاستشهاد به وبنصوصه كحقيقة أبدية خالدة، حين تعمّقوا ودرسوا واستفادوا ثم أشغلوا عقولهم ومقارناتهم، وبحكم وعيهم المتقدِّم وثقافتهم الواسعة وعقولهم المنفتحة، وتربيتهم النفسية والروحية، أخذوا بالعقل النقدي والتشريح النصّي؛ ليصلوا الى قناعة الإيمان بالتطور العقلي الإنساني، وعليه التطور الحياتي فكرياً لخلق حياة جديدة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، تتلاءم مع الزمن المتغيّر المرتبط بتغيُّر الفكر المناسـب للواقع الجديد. وهذا خيرٍ لمجتمعاتنا والإنسـانية؛ لامتلاك هذه العقول لخبرة المعرفة الواسـعة فكرياً، والقادرة على الاسـتلهام والتفكيك لمرجعية العقل التراثي الساكن غير المتحرك. والأمثلة عديدة من هذه الأسماء التي انتقلت من التراثي المقدَّس الى التراثي المتحرّك. وبالمقابل كان هناك المتحرك الديالكتيكي الذي تحوّل الى التراثي الساكن غير المتحرِّك، والدكتور محمد عمارة أحد الأمثلة.

فالنشـاط الفكري النقدي للغرباوي، ومحاولته هزَّ هذا السـاكن وتحريكه، هو مِنْ حسن حظّ الفكر العربي الإسلامي المعاصر. وهو جهد كبير، وجهادٌ بالعقل والفكر للوصول الى التنوير المرتجى الذي يرفع الأمة مما هي فيه منْ كبوة.

***

السعادة تكمن في متعة الإنجاز

بقلم: الأستاذ زيد الحلي[1]

لست مبالغا بالقول، ان الاستاذ ماجد الغرباوي موسوعة ممتعة تشرح الأفكار الفلسفية بصورة غاية في البساطة، وأكثر ما يميزها هو الاستخدام المبدع للأشكال الفلسفية وشرح مفاهيمها الملتصقة بالحياة، وبذلك جذب القارئ له، بأسلوبيته الممتعة، وشخصيا، اثق بقدرته الشخصية على التفكير الفلسفي بعقلانية، مؤكدا قول أبي الفلسفة الفرنسية رينيه ديكارت (1596 – 1650) " أنا أفكر، إذن أنا موجود" فالشك الوجودي، ينطلق من الشك نفسه، المبني على النهج الفلسفي القادر على محاكاة الاشياء، والتفكير في سيرورتها، وبذلك نصل الى الجواب المنطقي، وهو ان الشخص الذي يفكر يجب أن يكون موجوداً، وهذا ما يشير اليه دوما الاستاذ الغرباوي في كتبه ومقالاته.. حيث يوضح فيها أهمية الفلسفة وحاجتنا إليها..

قراءاته في الفلسفة، وفي العطاء الثر الذي يتمثل في موقعه الاعلامي الرصين "المثقف" يؤكد ان له قابلية حياة دائمة، وهو يسكن ذاكرته بشكل عجيب، ينضح ويتصفى ويشف كقطرات الماء الصافي، وبذلك نعرف بأن لولا الذاكرة لأنتفت القدرة على بناء الحضارة الانسانية، فالذاكرة هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن الانسان من خزن تجاربه وخبراته وخيراته المكتسبة في سباق نشاطه اليوم .

والمطلع على افكاره، يلمس عمقها في تناولها لموضوعات قريبة من الواقع، بعيدة عن الرؤى الضبابية، مثل الحرّية والمسؤولية والعدالة الاجتماعية، ضمن مفاهيم الفلسفة النقدية وفلسفة التاريخ، ويبتعد عن التنظير الذي ينفر منه القارئ، فإيمانه

---

1 – كاتب وصحفي عراقي

متجذر في ان متابعه وقارئه يهمهم معرفة معنى وجودهم، ويستجلوا غاية المتغيرات المجتمعية والكونية، لذلك أراه دائم التأكيد على إيمانه المطلق بالعقل الإنساني ما يشيئ الى نظرته الحياتية، المفعمة بالفلسفة، فالعقل عنده، عدو الوهم والانخداع والتعصب، لأنه لا يفتأ يجوب الآفاق سعياً وراء المجهول، حتى يكشف عنه ويجلوه للعيان .. والعقل بطبيعته منتظم وناظم، يربط حلقات المعرفة بعضها ببعض ..

في كتابات الاستاذ ماجد ، يحس القارئ، ان الكلمة فيها تنطلق الى الاخرى بثقة عالية، ومن اللفظ الى معانيه، وهو لا يحدق في ما وراء الكلمات والالفاظ، هو يكتب وفق منظوره الخاص، معبرا عن دواخل ما يريد بيسر اخاذ، دون ان يتقيد بهواجس الاصداء التي ربما يطلقها من يريد المناكدة والنقد، واظن ان وراء تلك الثقة بالنفس التي يمتلكها الاستاذ ابا حيدر، شعور مبن على قناعة بأن كل مبدع حقيقي، هو شجرة شامخة، باسقة، ويرى في نفسه إنها تلك . .. الشجرة .

وهو ايضا يؤمن أن الحياة شاسعة، والحقيقة ليست مجرد ادراك ذهني بحت، وقد دفعه حبه للحياة بما فيها من ثراء الى السفر في عالم الابداع وهو عالم واسع جداً، واثمر هذا السفر عطاءً ثرا في مجال الكتابة الفكرية، الى جانب الصحافة الثقافية الالكترونية التي قدم فيها اسماء عديدة هي الان في صدارة المشهد الثقافي العراقي والعربي ..

سبق أن كتبت عن ثلاثة كتب من كتبه، سنة: 2010م، هي: (التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات. وكتاب تحديات العنف، وكتاب الضد النوعي للاستبداد. تساؤلات عن جدوى المشروع السياسي الديني) بعنوان: كتب الغرباوي تدخل دائرة المحظور من باب النقاش.. تساؤلات عن الضد النوعي للاستبداد. أشرت في مقدمة المقال أنه يقدم أفكارا لم يسلط عليها الضوء احد كونها أفكارا من العيار الثقيل، التي يخشي الخوض في تلابيبها الكثرة الكاثرة من كتاب الفكرة الجاهزة والمطروقة.

تقبل مودتي ابا حيدر الحبيب ... ان السعادة تكمن في متعة الإنجاز ونشوة المجهود المبدع..

المفاهيم الأساسية في فلسفة
ماجد الغرباوي

بقلم: د. قصي الشيخ عسكر[1]

كنت قد كتبت بضع مقالات عن أعمال الأستاذ ماجد الغرباوي وتحدثت عنها، حينها رحت أبين المشاهد الجمالية في تلك النصوص، وأعنى بالدرجة الأولى كوني ناقدا، أو أضع نفسي موضع الناقد، أقول أعنى بالجماليات الأدبيّة وسبك العبارة وترابط الصورة وتأثير ذلك في المتلقي.

ولم أغفل أيضا البعد الفلسفي لتلك النصوص، فالعمل الأدبي يعني الشكل والمضمون والبعد الجمالي، وهناك البعد الرابع وهو العمق الفلسفي للعمل، لأنّ أيّ عمل فلسفي لا يحمل في طياته خطرات فلسفية لايعيش ويستمر.

وقد اطلعت على بعض أعمال الأستاذ ماجد الفكريّة التي يمكن أن أطلق عليها الفلسفية وهي تلك الكتب التي أصدرها ونشرها عبر مؤسسة المثقف، وتابعت في الوقت نفسه الدراسات التي كُتِبت عنها من قبل المختصين في الحقل الفكري والفلسفي وهم أفضل منّي في هذا المجال، وهذا ما يشير الى أن لأستاذ الغرباوي يحتل مكانة مرموقة في عالم المعرفة بشهادة كبار المفكّرين.

المواضيع التي لفتت نظري في كتب الأستاذ ماجد هي:

تناوله السلبيات بتتبعها من المنبع . إنّه لا يغطي القبيح أو يجمله بل يتتبع جذوره لكي يستأصله.

---

1 - روائي وناقد – المملكة المتحدة

لا يجامل في المواضـــيع الجدية، فهناك المنهج المقارن عنده بين (أ) و(ب) بتبيان نقاط التشابه والاختلاف ثمّ يختار الأصوب أو يختار الاثنين إذا كانا متساويين.

معالجة العادات والتقاليد لا عن طريق التغيير بالعنف بل بمبدأ التســـامح عن طريق خلق التكافؤ، وإيجاد البديل.

اهتمّ اهتماما كبيرا بالخرافة والأســـطورة لكنّه لم يعالجها مثلما فعل الســـلفيون بالتكفير أو بالعنف ثمّ إحلال نمط أسـطوريّ خرافي بديل ومثلما فعل ويفعل الثوريون واليساريون عن طريق العنف والإلغاء بل بالحوار الهادئ وتطوير المجتمع نفسه واللجوء إلى وســائل العلم الحديثة. لأنّ الأســطورة تشــكل تراكمات مقدّســة وتتعلّق بعض مســاربها بالدين والفكر القومي فمن الصـعب أن تجتثها من دون أن تجد البديل لقد وجد الاستاذ الغرباوي أن مجتمعاتنا بقى تمتمسك بالماضي في حين هناك حركة عالمية عائلة وأحد وسائل التغيير هو الالتفات إلى الحاضر.

إنّ من الأمور المهمة التي لفت الانتباه إليها السـيد الغرباوي هي قضـيّة تفكيك العقدة الاجتماعية، تتبعها وتحليلها وإيجاد البديل لها فمحن نقف أمام عقد كثيرة متشـابكة تخص المجتمع وتتعلق بسـلوكه وهويته ووجوده، فتعدد العقد يجعلنا نضيع في متاهتها وتشابكها مالم ندرسها واحدة واحدة ونحللها، إلى مفرداتها من دون أن نغفل عن علاقتها بالعقد الأخرى.

وفي الختام أودّ الاشـارة إلى أنني فخور حين أقرأ نتاج المفكر الفيلسـوف الغرباوي الذي كتب عن كثير من المفكرين، وأجدني أيضا في غاية السعادة والحبور حين أطالع أعماله الأدبيّة فأكتب عنها، فهو الفيلســـوف الأديب الذي تســـتحقّ أعماله كل تقدير واحترام.

أما المفاهيم الأساسية في فلسفة ماجد الغرباوي، فهي:

المفهوم الأول: التسامح

يحتل التسامح في فكر الباحث ماجد الغرباوي موضعا مهما لكننا نستشف من بحوثه في الموضوع ذاته أن التسامح لا يجت أن ينطلق من مقطة ضعف ولا ينتهي إلى قسوة، وهو هنا يمثل قيمة التسامح النوعيّة فلو عدنا إلى التجارب الناجحة في فكرنا العربي والإسلامي لوجدنا أن السنة المحمدية تحتوي تسامحا كبيرا وواسعا في فتح مكة مع من سببوا قتل عمه، وحين قدم زعماء القبائل يسلمون أبقاهم النبي في مناصبهم تلك ليستفيد من خبرتهم في الدولة الجديدة،وهذا يعني أن الباحث الغرباوي لايعنى بما يسمى مبدأ الاجتثاث، ولا يفكر فيه، ففي فلسفة غيره من المفكرين يتأسس الاجتثاث على رفض كل من شارك في العمليّة السياسية السابقة، نعم إننا لا ندعو إلى مسامحة من اقترفوا جرائم بحقّ المجتمع غير أننا لا يمكن أن نعاقب الجميع، ولنا مثال واضح في العمليّة السياسة التي جرت في العراق بعد الاحتلال حين دفعتنا آلامنا ومآسينا التي تسبب بها النظام السابق غلى الالغاء والاجتثاث والثأر غير المنضلط انهارت الدولة بكاملهاوجرت عمليات انتقام وانهارت البنى التحمية إلى درجة أن بعض الباحثين رآى أن نظام الدولة المنضبط لن يعود إلى البلد في فترة قصيرة .

هذ فيما يخصّ أما فيما يخصّ المجتمع نفسه فهناك الخصوصيّة العرية التي تستند إلى الموروث القديمويلتزم بها المجتمع العراقي منها على سبيل المثال الثأر وغسل العار، بعض هذه العادات أصبحت تفرض نفسها على القوانين الحمومية فيكون لدى الدولة قانونان واحد موم الذي يتضمنه الدستور للمساواة بين المجتمع وقانون العشائر المتعارف عليه منذ عصر ماقبل الإسلام. وأقرب مثال على ذلك حين تعفو الدولة عمّا تسميه مثلا خائنا لكن العشيرة ات تقنع بالعفو لأن عمله جلب عليها العار،فتخضع الدولة لقانون العششيرة المتعارف عليه وتضطر الدولة إلى أن ترضخ للأمر الواقع.

إن مفهوم التسامح حسب رأي المفكّر الغرباوي يميل إلى الاستفادة من عامل الزمن واستغلال تثقيف المجتمع وجعله حضاريّا أكثر من كونه عشائريّا، ومجتمعاتنا

العربيّة ومنها العراق تحتاج إلى وقت تتمّ فيه إعادة بناء المواطن حضـــاريا فما وجدناه من سلوك حسن مواكب للعصر ساعدت الدولة على بقائه وما وجدناه سيئا أوقفناه ثمّ محونته بسلوك حضاري مواز وإن تطلّب ذلك وقتا.

تبقى النقطة الثالثة في مفهوم التسامح وهي حلّ الخلافات بين الشعوب للعيش بسلام، في هذا الموضوع يركز الباحث على أن تسعى الشعوب بخاصة المتجاورة إلى حل كل خلافاتها بالحوار، يجب أن يكون هناك لقاء حضـارات، وتلاقح حضـارات وليس صدام حضارات .إن الحضارات لاتتصادم بل تتلاقى، فما زلنا حين نتمعن في فكر الغرباوي التســامحي نجد أن المنطق الأرســطي وهو نتاج وثني أبدعته الحضـارة اليونانية يدرّس ويطبق في كل جامعات العالم ومنها جامعاتنا الإســـلامية كالأزهر والنجف وقم والقيروان،فهـذع النتـاج الحضـــاري الوثني يلتقي مع الفكر الإســـلامي،ويتفاعل معه فهو نقطة التقاء لا افتراق وعداء والأمثلة كثيرة لا تعدّ ولا تحصى.

ثانيا مفهوم التجديد:

الذي يطّلع على فكر الغرباوي من خلال مؤلفاته يجد أنه يدعو إلى المزاوجة بين ثلاثة حقول: الدين والديمقراطية والسـياسـة، فهو لا يدعو إلى فصـل ذلك المثلث، ليسـلب المجتمع من تراثه وفكره، فلاخوف على ضـياع الدين لأنّ الأمة نفسـها هي حاملة الفكر الديني، ويمكن أن يكون الدين عامل خســم في المجتمع يمكن أن يفرقه أو أن يجمعه، وقراءة ماجد الغرباوي تتمثل في قراءة النصــوص الدينية البعيدة عن العنف وفهم مشــاهد العنف في القران الكريم على أنها جاءت في وقتها ولأســباب لذلك نحن نفهم الدين على أســاس أنه كائن حي، يمكن أن نحيه نحن بالتركيز على منابع التسامح فيه ونشرها والتأكيد عليها بداعي الدعوة إلى الأخوة مساواة بين أخ الدين وأخ الإنسـانية والمواطنة،والسـياسـة نفسـها يمكن أن تسـتفيد من الدين من خخلال مبدأ المســاواة بين المواطنين واختيار الأكفأ لوظيفته، على وفق رأي ماجد الغرباوي أن اليهودي يمكن أن يصــبح وزيرا إذا كان مفؤا والمســيحي ورئيس الدولة

المنتخب المسلم هو ممثل لكل الأديان والطوائف، فهو يتعامل مع الأزيدي بصفته أزيديا لا مسلما وكذلك مع المسيحي والمندائي واليهودي ليشعر الناس بالأمان وليشعر المجتمع أن أساس الحكم فيه هو العدالة لأن الدالة هي السمة المشتركة في كل الأديان ومنها الدين الإسلامي .

إن كثيرا من الباحثين رؤوا صعوبة بين توحيد أضلاع المثلث (السياسة والدين والديمقراطية) لكن لوتعمقنا في فكر ماجد الغرباوي لوجدنا أنه يمكن الجمع بين تلك الأضلاع المتنافرة من خلال التركيز على ما يبدو لنا أنه إيجابي وتاويل مشاهد العنف في الدين على أساس أنها وقتية أو لها مدلولات رمزية بخاصة إذا جاءت تلك المشاهد في الكتب المقدسة (التوراة العهد الجديد القرآن). أما في سير الأنبياء والتاريخ فالمجال واسع لرفض والشك في كل ماهو يثير الشحناء والبغضاء والعداوة بين االمجتمع،فالقراءة الخاطئة للدين أدت بنا إلى دمار هائل وقد تحقق ذلك حين قرأ الماضون ومن عاشروا النبي فكثرت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضا فكانت الضحايا بالآلاف قياسا إلى نفوس ذلك الوقت.

المفهوم الثالث: التجديد

يفهم المفكر الغرباوي التجديد على أنّه فهم للواقع المعاصر وموازاته بما يناسبه، وهذا مانجده في القرآن الكريم في باب الناسخ والمنسوخ. إن الغرباوي يؤمن بالثوابت الأساسية كأصول الدين وهي التوحيد والنبوة والعدل الإلهي، وغيرها وكذلك بالأفروع مثل الصلاة والصيام والحج أمّا التجديد الذي يؤمن به فهو في الحقول التالية:

1 – الاقتصاد.

2 – الاجتماع. خاصة نمط تفكير المجتمع والعادات والتقاليد.

3 – السياسة.

من هذه الفروع الثلاثة يمكن أن نجد علاقة بين الدين والديمقراطية والعلم فما هو خارج عن العلم في موضوع العادات فعلينا إلغاؤه، وماهو غير مناسب من موضوع

اقتصـادي قديم وجدناه في عصـر البعثة وما بعدها فيمكن تغييره، على سـبيل المثال قضـية الزكاة والخمس لتحقيق العدالة ومجتمع الرفاهية يمكن زيادة نسـبة الضـرائب، وإيجاد ضـرائب أخرى مسـاعدة، إن المجتمع يتطور ولا يمكن أن نبقي على الموروث الاقتصادي الوارد إلينا من عصر صدر الإسلام من دون أن نغيّر فيه لأنه موضوع لا يخص الأصول بل المعاملات والاقتصاد.

المثقف مرآة مبدعها!!

بقلم: د. صادق السامرائي[1]

في تسعينيات القرن العشرين كنت غاطسا في الكتابات الروحية، ونشرتُ عددا من النصوص في المجلات المهتمة بها، وبعد إنطلاق الصحافة الإليكترونية، نشرتُ بعضها فيها، ومنها نص أشبه بالمناجاة مع جبران خليل جبران، ومطلعه " ولِدَ الروحُ قبيْلَ الأزلِ.. وتهادى ببراقِ الأبدِ، في قلوبٍ كضياءٍ وسِعَتْ...كوْنَ حبٍّ لجميعِ البَشر".

وفي ذات اليوم وصلتني رسالة تُعْلِمُني بنشر النص المذكور، في صحيفة إسمها "المثقف" وتدعوني للكتابة فيها، وتوقيعها "أبو حيدر"!!

أول ما شدّني الإنجذاب للنص وهو يُحر في المعاني الروحية، فالمنجذب إليه لابد أن يكون صاحب حس روحي، لكنني ترددت في النشر، بسبب مَن غمروني برسائل لا تشجعني على النشر فيها، لأن إسم صاحبها مجهول.

ومضيت أتابعها لبضعة أيام فإستشعرتُ الإرادة الثقافية الحرة، وكأنها تحاول أن تبني منبرا إبداعيا مشرقا بالمعارف الصالحة للحياة الأفضل، فأخذت أمدها بنص ومقالة كل يوم، وما أن بدأت حتى تواصلت بلا إنقطاع، وشعرت بالمسؤولية أن أنشر فيها يوميا.

"المثقف" إبتدأت بذرة تكنز طاقات تنويرية ورسالة إنسانية تسامحية، وإرادة راسخة وثّابة، وثقة بأنها ستنبت وتتبرعم وتتحول إلى شجرة، ومروج أنوار معرفية دفاقة في فضاءات الوعي الجمعي العربي.

---

1 - كاتب وشاعر – أمريكا.

فالمتواصل معها منذ خطواتها الأولى ينظر بإعجاب ودهشة لما أنجزته في مسيرتها، التي إنتصـــرت فيها على التحديات والمعوقات، وفازت في المنازلات التي خاضـــتها، وهي تحمل رايتها وتتمسك برسالتها.

وتميَّزت بإســـتقطابية عـالية للأقلام العربية المؤثرة في الواقع الثقـافي ، والمتفوقة بقدراتها الفكرية والإبداعية، فأصبحت مدرسة معرفية متنوعة الموضوعات والدروس.

ويمكن القول بأنها موسوعة ثقافية فريدة وفعّالة، أسهمت بتفاعل العقول وتواصل الأقلام الحرة المنوِّرة، التي زادت مساحة السطوع الإنساني في أرجاء الأمة.

فالمثقف إنجاز فكري ثقافي مرموق ورائع يستحق التباهي والتفاخر، وتعبير صريح وشديد الوضوح عن الإرادة المشرقة، ذات الإمتدادات الحضارية والإنسانية المطلقة.

ويقف وراءها إنسان مبدع مؤمن بالكلمة الصادقة، ومتواصل بإصراره على إعلاء شأن الفكرة الطيبة الصالحة للحياة الحرة الكريمة.

وهو يمثل الإرادة الكبيرة المتحدية المثابرة، التي تنتصـــر على المرض والمعوقات بأنواعها، ويمضـي بهمة فائقة وصـولة أصـيلة واثقة، حاملا مشـاعل التنوير المعرفي الإبداعي، اللازمة لطرد الظلام والضلال والخداع والبهتان.

مما جعلها تحمل رسـالة الصـفاء والألفة والمحبة، والصـدر الرحب والأدب الأنيق، والأمل بمســـتقبل أحلى وأجمل، ففيها معين دفاق من الأفكار الإيجابية، ومناهج صيرورات حضارية متوافقة مع إرادة الأمة، وتطلعات براعم أجيالها المتوافدة.

وصـاغَها مثلا حيا على الجد والإجتهاد والتواصـل والإصـرار، والإيمان بالعمل والتفاؤل بالإنجاز، وبها يؤكد إرادة أكون التي تحتاجها أمة عليها أن تكون.

فصـارت مشـروعا إنسـانيا مؤهلا للتعبير عن القدرات الإبداعية، بأسـلوب ثقافي متقدم على غيرها من المواقع والصــحف الإليكترونية، وتتفاعل على منبرها عقول ذات قيمة فكرية وعلمية وأدبية مهمة ومتنورة.

وميَّزها بتبني ضـــرورة الإختلاف وأهميته لبناء الحياة، والتأكيد على ثقافته وتوظيفها الإيجابي للتقدم والرقاء، مما يؤكد على رؤية حضـارية معاصـرة وسـبّاقة في واقعنا العربي.

فهي تمتلك مرونة واسـعة وحرية تسـتحق التقدير والإحترام، ويبدو أن لمبدعها القدرة الأخلاقية على جذب النوعية المتميزة من الكتاب الذين يسـاهمون في النشرعلى صفحاتها.

فالمثقف ذات رفعة وسمو، وتتسـامى على الحالات السـلبية، ولا يمكن لكاتب بلا رؤية إنسانية وفهم ثقافي معاصر أن يتواصل على صفحاتها، وأي ضيق في الرؤية والأفق تتهاوى وتنحسر.

وهذا السمو الخلاق منحها قوة معنوية وفكرية خاصة، فأصبحت تضم شريحة من المثقفين المتميزين في ميادين إبداعهم، ويمكن مقارنتها بمجلات مهمة في العقود الماضـية، أوجدت مبدعين مهمين في الثقافة العربية، لإجتذابها للنخب الفكرية والأدبية والإبداعية الأصيلة، الصادقة المحبة للمُثل والقيم الإنسانية الراقية.

فقوة المواد المنشورة، يتفق والنوعية المتميزة للكتاب الذين ينشرون فيها، ولقدراتهم الواضحة في الدراسة والتحليل والنظر الموضوعي والعلمي، الذي يهدف إلى التبصير بالحقيقة وتقديم المعلومة بأسلوب حضاري معاصر.

وهي صحيفة رحبة، بمعنى أنها ليست ضيقة الأفق، أو منزوية في زاوية حادة، فهي ذات آفاق وتفاعلات إنسانية متسعة كما الكون يتسع، وفي هذا تأكيد على وعيها لطبيعة العقل البشري ومعاني الإبداع الصحيح، اللازم لتقوية القيم الإنسانية وتعزيز الألفة المحبة والأخوة والتسامح والسلام.

وتميزت بالتواصل والتحدي، لأنها مشروع ثقافي متنامي، وقد مضت في طريق تأكيد الدور والفعالية برغم الصـعاب وكثرة الصـحف الإليكترونية، ففي البداية لم يصـدق الكثيرون بأنها سـتنجح، لكنها إسـتطاعت أن تشـق طريقها بجدارة ونجاح فائق.

ولديها خطاب ثقافي معاصر ومتفتح، فهي بستان أفكار ورؤى وتصورات إبداعية ثاقبة، حتى في تخاطب إدارتها مع الكُتاب، تقرأ معالم السلوك الخطابي المتحضر وإحترام خصوصيات الكُتاب، وتثمين جهودهم ودورهم في المشروع.

وتبذل جهدا ثقافيا يوميا، فهي تتواكب مع الأيام ويندر أن تنقطع عن الصدور إلا لأسباب تقنية، بعكس الكثير من الصحف التي تتعثر في صدورها وتتوقف لأيام، وهذا يعكس حسن الإدارة والتفاني في الجد والإجتهاد للوصول إلى ذروة النجاح والتألق.

ومن أهم أسباب نجاحها إلتزامها برسالتها ورؤيتها ومنهجها، ونجاح أي صحيفة يرتبط بقدرات رئيس تحريرها على الإدارة والتفاعل مع الكتاب والقائمين عليها، ومن الواضح أن الأخ رئيس التحرير يتميز بقدرات ناجحة وأخلاقيات سامية وثقافة عالية، أهلته لأن يكون قائدا ناجحا لهذا المشروع الثقافي الباهر، ونرجو له التوفيق والنجاح المتواصل والعطاء الأصيل.

هكذا أرى الأستاذ ماجد الغرباوي من خلال منظار تفاعلي مع المثقف منذ إنبثاقها، وقد أعطى مثلا حيا لقدوة فكرية ثقافية ذات قيمة حضارية تنويرية وهاجة، فالمثقف مرآة مؤسسها، وهو هي!!

فتحية للمثقف ولحادي ركبها التنويري الساطع الفياض!!

ماجد الغرباوي .. المفكر المستنير

بقلم: ا.د. عبد الرضا علي[1]

ما قدَّمهُ المفكّر المســـتنير الأســـتاذ ماجد الغرباوي للثقافة العربيَّة الفاعلة من إضـاءات ، وللمثقفين الحقيقيين من رعاية عجزت عنه مؤسـسـات حكوميَّة كبرى، فقد جعل من صـــحيفة المثقَّف التي يرأس تحريرها منبراً للوعي الفكري، وللثقافة الإنسانية المحصَّنة، سواء أكان ذلك في الشعر، أم النقد، أم في التشكيل الفنّي، أم في السرد الباهر، أم في غير ذلك.

وفضـلاً عمَّا كتب من أسفار مهمّة في الفقه، والعقائد، وما إليهما من مقاصد إســلاميّة، فقد اضـــطلع بإعداد كتبٍ تكريميّة تناولت حيوات، وأثار العديد من المبدعين العراقيين ممّن كانت لهم بصماتهم في الحراك الثقافي الموضوعي .

ولأنني في وضـــع صـــحّي مُتعِبٍ جدّاً، فأرجو عفوه، وعفو القراء الكرام عن تقصـيري في هذه الأســطر عن ردِّ بعض جميله، فقد رعاني خير رعاية، واحتضـن مقالاتي النقديّة، بأن نشـرها بإخراجٍ جميل، وحروف ملوَّنة، فإليه أحني هامتي عرفاناً، وتقديراً، ومحبَّةً .

---

1 - باحث وناقد - كاردِف – بريطانيا

كلمة حق!!

بقلم: ا.د. مصدق الحبيب[1]

تعرفت على الصديق والاخ الاستاذ ماجد الغرباوي منذ السنة الاولى لتأسيسه موقع ومجلة المثقف التي تحولت فيما بعد الى مؤسسة المثقف العربي ومركزها سدني – استراليا. ولم يمض وقت طويل حتى ترسخت علاقتنا بحكم التقارب في افكارنا وفلسفتنا ونظرتنا لما يدور حولنا من شؤون وطننا الذي ابتلي بسلسة من الفواجع. وكذلك بحكم احترامي الجم لخلقه العالي وكرمه وتواضعه.

عرفت في الاخ الغرباوي رغبته الصادقة لشق طريق مختلف تماما عمّا انتشر من مواقع وصحف ومجلات انتشارا انفجاريا على الانترنت وماهو مطبوع. كان همه الاول هو نشر الكلمة الصادقة وتنمية الافكار الناضجة ورعاية الاقلام الجادة الملتزمة بالوطنية الحقة البعيدة عن التكتلات والتحزبات والاصطفافات العقائدية والمذهبية. وهذا أمر واضح لمن يريد ان يلقي الضوء على تاريخ ما نشرته المثقف منذ تأسيسها ولحد اليوم والذي سيجده خاليا تماما من الترهات الصحفية ومنشورات الانترنت الهادفة الى الاثارة او الى التحزب والتنابز وتجنيد العواطف مع او ضد هذا الطرف او ذاك.

وحري بي القول ان الاخ الغرباوي أخذ على عاتقه تمويل هذا المشروع من جيبه الخاص دون مساعدة او تعضيد من أي جهة. وقد مضى الى دعم نشر عدد من الكتب لشخصيات ادبية وثقافية مهمة، ثم بدأ بالتدريج وبأناة لنشر مؤلفاته الخاصة التي فتحت حقلا جديدا وسلكت دربا حاسما لم يسلكه احد من قبل حسب معرفتي

---

1 – أكاديمي، اقتصادي، فنان تشكيلي وخطاط – أمريكا

المتواضـــعة. وهكذا خرج الى النور مشـــروع الغرباوي الفكري بعدة اجزاء، وما زال ماض في الصدور.

لقد ركز مشـــروع الغرباوي على البحث الجاد في موضـــوعات فكرية تنويرية اكتســـبت اهميتها القصـــوى في هذه المرحلة الثقافية والحضـــارية المعتمة من تاريخنا الحديث. فما احوجنا مثلا للتنوير في اشـــكاليات الســـلطة والحكم والاســـتبداد، والحرية والعنف والتسامح والتعايش، والدين والعقيدة والمواطنة! وفوق ذلك فقد أخذنا الغرباوي الى فضـــاء فكري آخر، ادق واعمق وله ضـــرورة حاسمة اليوم في مجتمعنا العراقي والعربي الذي يشـــهد نكوصـــا ثقافيا وحضـــاريا مفجعا. ألا وهو الغور في موضوعات الحقيقة والاصلاح، والقدسية والدين والآلهي السماوي والبشري الارضي، واشكاليات الفقه والتفسير والحكمة والتشريع.

وليس اصـــدق من أن نراه يلخص رســـالته الفكرية وهدفه التنويري بالقول انه يسعى الى:

" تحرير العقل من بنيته الأسطورية وإعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة. وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، ومن خلال قراءة متجددة للنص تقوم على النقد والمراجعة المســـتمرة، من أجل فهم متجدد للدين، كشرط أساس لأي نهوض حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتنابذ والاحتراب".

فمن فكر وســـيرة هذا المعلم الجليل نتعلم وتتعلم الاجيال القادمة ليتمهد الســـير باتجاه العقل الراجح والوعي الرصـــين الملتزم من اجل المواطنة الحقة والعيش بكرامة وسلام ومحبة للجميع.

ماجد الغرباوي
شجرة ضوء توزّع ثمارها هدايات

بقلم: الأستاذ أنطوان القزي[1]

ما يجمعني بماجد الغرباوي ليس "موقع المثقف" الذي يشـــرف عليه وحســـب، وليس عمق مؤلفاته وفكره التنويري، بل هي المســـافة الملغاة بيني وبينه في النظرة الى الواقع والرأي بالموروث والجامد والمتحرك، بل لأن كوكب ماجد الغرباوي التنويري، جعلني أسبر خاصيّته التي تتجلّى فيها مضامين لم يطرقها سواه جرأةً وتحليلاً وتثقيفاً.

ولكم اســـتوقفتني عناوينه: التجدّد، التســـامح، والحركات الاســـلامية، والمرأة، والاصلاح والتجديد، وهو المتخصص في علوم الشريعة والعلوم الإسلامية..

تعرّفت إلى ماجد الغرباوي الإنسـان وتابعتُ أخباره ككاتب، وكشـاعر وباحث دؤوب؛ حيث يسعى من خلال مشروعه الى ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتنابذ والاحتراب.

وتابعته قلماً لماحاً في إطلالاته عبر المواقع والصـــحف، وهامة عراقية تمشـــي بنبل الســـعي ورفعة الصـــياغة، فوجته كشـــجرة الضـــوء توزّع ثمارَها هدايات، ويراعاً أثقل السطور رحابَ معرفة.

كيفما قلّبتَ كتابَ الحضـور الثقافي الإغترابي تراه حاضـراً: في المناسـات الفكرية وفي الندوات وحفلات إطلاق الكتب، وكأنه ســفير الحضــور الإبداعي لبلاد ما بين النهرين..

---

1 – كاتب وشاعر، رئيس تحرير "التلغراف" الأسترالية

لم يتوقف الغرباوي عند إرث تاريخي يختزنه، بل أضـــاف إليه ما فيه الغنى والألق والإشراق.

وكم أســـعدُ عندما يزفّ إليَّ ماجد الغرباوي وإلى الجالية العربية كتاباً جديداً أرى فيه نهراً موفورَ الضفاف في عُسْر نتاجنا الإغترابي.

ختاماً، شـهادتي بماجد الغرباوي، هي أنني رفّة هزارٍ يزهو بعرش الأديم الى جانب النسور، حيّاه الله أديماً لكل طالب معرفة.

المفكر ماجد الغرباوي
جهد التاسيس الثقافي والانتشار الاجتماعي

بقلم: الأستاذ محمد محفوظ[1]

حينما نتحدث عن تجربة دينية أو فكرية أو سياسية، ونعمل على تظهير العناصر الايجابية ونقاط القوة فيها، هذا لا يعني خلو التجربة من مطبات أو عيوب أو نواقص، لأن هذه من طبائع الأمور . وفي إطار استفادة الأجيال اللاحقة من هذه التجارب، تتأكد الحاجة إلى تظهير عناصر القوة ومؤشرات التميز في هذه التجربة أو تلك . لأن هذا التظهير هو سبيل أخذ العبر والدروس من هذه التجارب في كل مراحلها وأطوارها . وهذا الكلام ينطبق على كل التجارب سواء كانت دينية أو ثقافية أو اجتماعية .وتنوع هذه التجارب لا يلغي حاجة المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة إلى الانفتاح والتواصل مع هذه التجارب بصرف النظر عن مآلاتها ونتائجها المباشرة . ففي كل الأحوال تتأكد حاجة الأمة الدائمة لفحص وقراءة تجارب علماء الأمة ولا سيما من خاض غمار التحدي وتصدى لشؤون الأمة المختلفة في ظروف وأوضاع حساسة ودقيقة على المستويات الثقافية والسياسية والأمنية .

وفي سياق ضرورة الاهتمام بمعرفة تجارب الإصلاح في الأمة جدير بنا أن نتوقف عند النقاط التالية :

1- الأمم الحية هي التي تحتضن عظماءها وفعالياتها وزعاماتها، وتعمل على الاستفادة منهم إلى أقصى حدود . أما الأمم الميتة والخاضعة لتأثير ثقافات الجمود والاجترار، فهي تعمل على عرقلة مسيرة الإصلاح ومحاربة المصلحين، وإطلاق حروب الأوراق الصفراء ضدها، كوسيلة فعالة لمنع إتساع تأثير هذا المصلح سواء

1 - كاتب وباحث من السعودية

على الصعيد الشخصي المباشر أو على صعيد خياراته العامة وأفكاره وأطروحاته الفكرية والحضارية .

و أحسب أن ما تتعرض إليه مشروعات الإصلاح وشخصياته من حروب متعددة وتشويه متعمد تشترك فيه لاعتبارات عديدة جهات متنوعة، ساهم في منع بعض شرائح الأمة من الاستفادة من هذه التجارب والاستزادة من فكر وتوجيهات ودروس هذه التجارب .

وهذا يحمل شرائح الأمة المختلفة مسؤولية صياغة رؤية حضارية في التعامل مع علماءها ومصلحيها، بحيث لا يتم الاشتراك في تعويق عجلة الإصلاح في الأمة، تحت يافطات وعناوين ليست دقيقة وتساهم في عملية التسقيط المادي والمعنوي لكل راية وتجربة تحمل مشعل النور والتنوير في الأمة ..

وتعلمنا مختلف التجارب أن الأمة بكل فعالياتها تتحمل مسؤولية دينية واجتماعية وأخلاقية للوقوف في وجه كل الأطراف التي تشن حروبا ظالمة على المصلحين في الأمة . فلا يجوز الصمت والتواري عن الأنظار في المرحلة التي تتجه فيها بعض الإرادات لاستهداف تجارب الإصلاح في الأمة . وأدنى ما يمكن أن تقوم به شرائح وفئات الأمة المختلفة هو عدم الاشتراك في مشروع الاغتيال المعنوي لأي شخصية تحمل هم الإصلاح وتعمل من أجله.. .

2- تجارب الإصلاح الديني والثقافي والسياسي في الأمة، ليست تجارب نهائية ومقفلة، وإنما هي تجارب مفتوحة على كل العطاءات التي تساهم في إدامة واستمرار هذه التجارب من جهة، ومن جهة أخرى مفتوحة على الإضافة ومشروع التراكم المعرفي والفكري . لذلك ثمة ضرورة معرفية وتاريخية لتزخيم التجارب الإصلاحية في الأمة بعطاءات نوعية، متميزة، ترفد الساحة بالمزيد من الرؤى والأفكار التي تستهدف تحرير الأمة من ربقة التخلف والاستقالة من المسؤولية . وكما يقول احد المصلحين [فعندما نكون أمة العقل، لا أمة الانفعال، وأمة الإرادة لا أمة الاسترخاء، وامة اقتحام المستقبل، لا امة النوم في انتظار المستقبل، فإننا نستطيع أن نتقدم] ..

3- ثمة ضـــرورات عديدة ذاتية وموضـــوعية، تؤكد أهمية أن يلتقي أهل النور والتنوير والتجديد في الأمة مع بعضـهم البعض، لتبادل الآراء والخبرات، وتطوير نسـق التعاون والوصـول بمشـروع الإصـلاح والتجديد إلى مديات واسعة .. فما يطمح إليه أهل التجديد والإصـــلاح في الأمة، لا يمكن لأي طرف بوحده أن يفي بحاجاته ومتطلباته، ولا خيار أمام الجميع إلا العمل على بناء كتلة واسـعة من الإصـــلاحيين تنسـق مع بعضـها البعض وتدعم وتسـند بعضـها البعض وتدافع عن بعضـها البعض وتعمل بشكل مشترك لبناء مشروعات مشتركة تعزز من خيار الإصلاح والتجديد في الأمة.

و ذلك [لأن الانســان في المفهوم الإســلامي يمثل المخلوق الذي يتصــل العمل بكل موقع من مواقع وجوده بحيث يمثل العمل مســؤولية كل طاقة من طاقاته، بحيث إنك ســتســأل عما عملت في عمرك، وعما عملت في شــبابك، وعما عملت في عملك، وعما عملت في مالك، وعما عملت في كل ما يحيط بك ليكون العمل هو حركة المســؤولية في كل حياة وهذا ما نؤكده فيما نســتوحيه من التأكيد في القرآن الكريم على العمل كأساس لسلامة المصير إذا كان العمل إيجابيا وعلى العمل كأساس لابتعاد المصير عن خط السلامة إذا كان سلبيا . (فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ، وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرًّا يَرَهُۥ)[1]

ولابد أن نتذكر جميعا : إن أمة لا تدافع عن مصلحيها لا تبلغ الرفعة والتمكين، وان امة لا تقرأ تجارب مصلحيها، ستصاب بالضمور والتآكل الداخلي .

من التاريخ الفكري:

تشدني فكريا ومعرفيا كل الكتابات المتعلقة بالسير الفكرية والتجارب الثقافية .. لأنني أعتقد أن هذه الكتابات، تحتضن الكثير من العبر والدروس، الذي يستفيد منها الإنسان بعمق وصدق في آن ..

---

1 - سورة الزلزلة، الآية: 7.

فالإنســـان من الناحية البيولوجية لا يســـتطيع أن يعيش حياة الجميع، ولكنه بإمكانه أن يستفيد من تجاربهم وأطوار حياتهم الفكرية والمعرفية ..

ولا يمكن أن يتحقق ذلك من دون الإطلاع على سيرهم الفكرية وتجاربهم الثقافية .. ولقد اعتنى العديد من المفكرين والمثقفين بكتابة بعض ســـيرتهم الفكرية .. فطه حسين دوّن بعض سيرته في أيامه، والدكتور سمير أمين كتب سيرة ذاتية فكرية وجلال أمين وأيمن صايغ وحازم صاغية وزكي نجيب محمود في حصاد السنين وعلي حرب في خطاب الهوية – سيرة فكرية وغيرهم من المفكرين والمثقفين الذي كتبوا سيرتهم الثقافية .. وجميع هذه السـير مليئة بالمضـامين المعرفية والإنسـانية التي تسـتحق التأمل العميق فيها والاستفادة منها على المستويين الخاص والعام ..

ويحاول الدكتور علي حرب في كتابه الموســوم بخطاب الهوية ..ســيرة فكرية، أن يوضــع لقرائه جملة الأطوار النفســية والفكرية والفلســفية، التي مر بها في حياته العامة والعلمية .. وكتابه المذكور أعلاه، عبارة عن مســـيرة فكرية، نضـــجت وتطورت، واتخذت أبعادا عديدة، وخيارات مختلفة، وهي ما زالت ســـيرة مفتوحة على كل الخيارات والقناعات والأفكار الكبرى ..

لذلك يقول (حرب) في سيرته: وأيقن أن هويته هي كل هذا الاختلاف والتعدد، وكل ذلك التعارض والانفصـام، وإنها أضـيق ما تكون من وجه وأوسـع ما تكون من وجه آخر .. فهي تضيق في حدها الأقصى لتقتصر على ما يخصه وحده وينحاز به عما سواه ..

وإذ ذاك ينفرد بوجوده الخاص، ويتماهى مع حقيقته الذاتية فيبرأ من كل نســـبة، ويعرى عن كل إضافة، غير مدرك سوى أحديته، وإنه هو لا يشبهه شيء.

ولكن هويته قد تتسع في حدها الآخر إلى درجة الذوبان والتلاشي في هذا العالم .. ويدون الدكتور سمير أمين في ســـيرته الفكرية هذه الحقيقة (لم تكن اهتماماتي الفكرية على الإطلاق اهتمامات جامعية بالمعنى الضـيق للكلمة، بل اعتبرت نفســي دائما، بالأحرى، مناضـلا لتحرر الشـعوب، واضـعا بخدمتها كل المعرفة التي اسـتطيع الحصول عليها من خلال تكويني الفكري .. وكانت التحليلات التي اعتقدها صـائبة

تستوجب بالنسبة لي مواقف وخيارات سياسية .. وما زلت إلى الآن أحمل وجهة النظر الجوهرية هذه ذاتها .. فهناك إذن علاقة وثيقة بين هذه التحليلات واللحظة التاريخية والسياسية التي تقع ضمنها والخيارات العملية التي سلكتها) ..

وتظهر هذه السير الفكرية، بمختلف أطوارها وأنماطها، أن الانحباس في نمط فكري، بلا قناعة عقلية وعلمية ثابتة، يؤدي إلى ممارسة الأعمال النقيضة لها على مستوى السلوك، لأنه لم يتسرب إلى دواخل النفس والوجدان ..

كما أن القناعات الفكرية، ليست خيارات نهائية، ليس بمقدور الإنسان تطويرها وتغييرها .. وإنما هي مشروع مفتوح على الإضافة والتطوير والتغيير ..

وبهذا يكون المثقف أو المفكر المحتفى به الأستاذ ماجد الغرباوي، إمكانية فعلية ودائمة للمراجعة والمفاكرة، والبحث عن الأفكار الكبرى في فكره، والتعامل معها وفق منهج نقدي، ينضجها على مستوى الذات، ويحدد معانيها ونواقصها، ويؤهل ذات المفكر إلى الإضافة النوعية والتجاوز المعرفي ..

من هنا تنبع ضرورة اهتمام المفكرين العرب، أولا بتكريم مفكريها والسعي لتدوين سيرهم الفكرية، وأطوار نموهم العلمي والثقافي، حتى يتسنى للقارئ العربي، معرفة منطق التفكير لدى كل مفكر، والتاريخ الفكري الذي مر به المفكر ..

ومن الأهمية بمكان في هذا الإطار، أن نفرق بين المذكرات اليومية، التي غالبا ما توضع وكأنه بطل على الدوام، وإن آراءه الفريدة سبقت عصره، وإنها كانت ملازمة لشخصه منذ بداية تكوينه العلمي .. وبين السيرة الفكرية، التي تجعل المفكر كتابا مفتوحا بأطواره الفكرية وقلقه المعرفي، وأخطائه السياسية، وتنقلاته المعرفية ..

لهذا فإن المطلوب، ليس أن يكتب كل مفكر مذكراته، وإنما أن يكتب سيرته الفكرية وأطوارها ومراحلها ..

وما نطالب به ليس جديدا، فقد كتب عميد الأدب العربي (الأيام) كسيرة فكرية ويومية، والدكتور عبد الرحمن بدوي والدكتور حسن حنفي في (محاولة مبدئية لسيرة

ذاتية) وهشام شرابي وأخيرا محمد عابد الجابري في (حفريات الذاكرة)، ولكن يؤخذ على بعض هذه الأعمال، أنها أقرب إلى المذكرات، منها إلى السير الفكرية ..

وهناك جملة من المسوغات التي تدفع بهذا الاتجاه، وتجعل العناية بالسير الفكرية، ضرورة معرفية وثقافية أهمها ما يلي :

1-أن كتابة السيرة الفكرية، هو جزء من عملية توثيق المرحلة الزمنية، من زاوية فكرية – ثقافية .. ونحن في العالم العربي، أحوج ما نكون إلى عملية التوثيق الفكري والرؤية الثقافية، إلى جملة الأحداث الجسام التي مر بها عالمنا العربي ..

وتتعمق هذه الحاجة، حينما تكون عملية التوثيق أو صناعة الرؤية الثقافية على منعطفات وأحداث تاريخنا القريب، من قبل المفكرين العرب، الذين يعتبرون جزءا أساسيا من قيادات الرأي في العالم العربي ..

2-إن قناعات المفكر، وآراءه الثقافية والفكرية، ليست ثابتة أو جامدة، وإنما هي قابلة للتحول والتطور والتغيير، وإن كتابة السيرة الفكرية وبشكل موضوعي، تساهم بشكل كبير في تجديد قناعات المفكر الثقافية والفكرية .. ولا يجعل قراء هذا المفكر ومتابعيه ينظرون إلى آرائه وأفكاره، نظرة نمطية ثابتة ..

وبهذا يكون التعامل مع المفكرين والمثقفين، تعاملا تفاعليا، يبتعد عن كل أشكال اليباس والنمطية، ويؤسس لنمط من العلاقات قائم على الحوار والمفاكرة والتفاعل ..

3-إن هناك علاقة عميقة، تربط الإنتاج الفكري والثقافي لأي مفكر، والواقع الذي يعيشه محيطه الثقافي والاجتماعي والسياسي.. لذلك من الصعب الفصل بين ما يكتبه المفكر، وما يتطلبه محيطه.. إلا أن النص الفكري الذي ينتجه المفكر، ليس صريحا في بيان خلفية المحيط وتداعياته وتأثيراته ..

وكتابة السيرة الفكرية، تساهم بشكل قوي في بيان الخلفية الثقافية والاجتماعية والسياسية، التي أسهمت بشكل أو بآخر في القناعات التي بثها في نصوصه الثقافية والأدبية ..

لهذا كله، نرى ضـرورة أن يعتني المفكرون العرب، بتدوين وكتابة السـيرة الفكرية، تسـاهم بشـكل قوي في بيان الخلفية الثقافية والاجتماعية والسـياسـية، التي أسـهمت بشكل أو بآخر في القناعات التي بثها في نصوصه الثقافية والأدبية.

لهذا كله، نرى ضرورة أن يعتني المفكرون العرب، بتدوين وكتابة مسيرتهم وسيرتهم الفكرية والثقافية بتحولاتها وانعطافاتها وصعوباتها وأسرارها، وعوامل التأثير الكبرى في مسارها.

لأن هذا التدوين، يسـاهم بشـكل فعال، في إنضـاج الحياة الثقافية، ويبعدها عن حالات الجفاء والتباعد، والقطيعة التي تعمل المنازعات والمنافسات السيئة.

إن السـيرة الفكرية، لأي مفكر، هي عبارة عن تحولات عدة، وتفاعلات مختلفة، بحيث أنه نسـتطيع القول : أنه وليد التفاعل مع مختلف المدارس الثقافية والسـياسـية والفلسـفية المتوفرة في الواقع العربي، وان كشـف وبيان هذه المسـألة يؤدي في تقديرنا إلى إغناء الحالة الحوارية في الحياة العربية.

وهذا مما يجعل سـيرة المفكر ماجد الغرباوي الفكرية والثقافية، تكون رافدا من روافد تعزيز وإثراء الحياة الثقافية العربية ..

بل تفتح سيرته الفكرية، مساحة للتفكير والتأمل، وحقلا من حقول البحث عن الخيارات المناسبة لفضائنا المعرفي والثقافي.

وصراحة المفكر في سيرته، ليست عيبا أو نقصا، وإنما هي إمكان وقوة.

أسـوق كل الكلام أعلاه في سـياق تكريم الأسـتاذ ماجد الغرباوي بمناسـبة مرور سـبعين سـنة من عمره راجيا من العلي القدير أن يطيل عمره ويمتعه بصـحة وعافية، ومتمنيا على الحالة الثقافية في العراق والعالم العربي أن يلتفتوا إلى عطاءات هذا المثقف ويتفاعلوا مع أطروحاته الثقافية والمعرفية الإسـتراتيجية في بناء الوعي السـليم والمنهج الرصـين .. كما أدعو الأسـتاذ ماجد الغرباوي الى كتابة سـيرته الثقافية والمعرفية (الفكرية)، حتى تكون نبراسا صريحا على عطاءاته المتميزة لنا جميعا ولأجيال الأمة في المستقبل..

باقة ياسمين تونسية بسبعين وردة

بقلم: الأستاذ سُوف عبيد[1]

منذ أكثر من عشرية ونصف وقصائدي وغيرها من النّصوص منشورة بعناية كبيرة وحفاوة لطيفة ومتابعة دقيقة على موقع ــــ صحيفة المثقف ــــ فصار هذا المنبر منارة إشـــعاع لمختلف كتاباتي يصـــل مداها إلى الأقاصـــي نحو مشـــارق الأرض ومغاربها بالإضافة إلى أني كنت أقرأ على صفحات هذا المنير مقالات ذات فائدة جمّة في شتى المواضيع والشـؤون والاختصـاصـات ناهيك عن الأشـعار والقصـص والمترجمات من اللغات الأخرى بالإضافة إلى تقديم الكتب الجديدة مع الحوارات والمطارحات النقدية والفلسفية والاجتماعية والنفسية والسياسية وغيرها بحيث أضحت ـ صحيفة المثقف . تمثّل دائرة معارف صغيرة أطلّ منها كل يوم على الدنيا وما فيها وبفضل التواصل مع كتّابها اِرتبطت بيني وبين الكثيرين منهم أواصـر صـداقة بفضـل وشـائج المودّة والمحبّة الخالصـــة التي نتقاسمها من معين الأدب والمعرفة فلا يســـعني إلا أن أذكر من بينهم خاصـــة الأســـتاذ ماجد الغرباوي عميد هذا المنير وأُسِّـــه وراعيه فقد تابعت حواراته باِهتمام على مدى عديد السنوات وشدّني إليها جدية الأسئلة المطروحة والمنبثقة من اِهتمامات فكرية متنوعة فاِنبرى لها الأستاذ ماجد الغرباوي بإجابات ترشح من سعة اِطلاع على عيون تراثنـا الزاخر وعلى قراءة عقلانيـة للقرآن الكريم وعلى روح من التســامح والأريحية تكتنفها فلاحت القدرة على اِســتيعاب الســابق من النصــوص وإخراجها من التكلّس والجمود إلى فضـاءات رحبة من عمق المعرفة وشمولية النظرة في روح تحررية تنثال في تباريح الصّفاء والمحبة الإنسانية.

---

1 - كاتب وشاعر - تونس

إن تلك المحاورات العميقة هي مواصـــلة لمنهج البيان وإقامة البرهان الذي عرفته الثقافة العربية في عصـورها الزاهرة حيث كان قائما على بسـط المسـائل وطرح مختلف الآراء فيها وقد تجلّى في ما قرأناه مثلا في أدب أبي حيان التوحيدي ضـــمن كتاب . الإمتاع والمؤانسـة ـــ ومثل ما نقله القاضـي النعمان عمّا دار بينه وبين الخليفة المعز لدين الله الفاطمي في كتاب . المجالس والمسايرات . فمحاورات الأستاذ ماجد الغرباوي تُبرز شـخصـية مسـتوعبة للتراث العربي الإسـلامي في بعده الإنسـاني من ناحية ومن ناحية أخرى تُعلن بوضـوح القطيعة مع كان سـائدا فيه من تقديس للمقولات الفقهية إلى حدّ التزمّت فهو يدعو إلى المراجعة الشـــاملة لما اِســـتقرّ في الأذهان عبر توالي العصـور والأزمان بروح تحرّرية من أجل سـعادة الإنسـان لأنها هي الغاية من الشـرائع والأديان .

هذه هي عين الحكمة والضالة المنشودة التي ما اِنفكّت تتردّد في كتابات الأستاذ ماجد الغرباوي ومحاوراته على مدى سنوات عديدة...

فتحية تقدير وإكبار مفعمة بالمودّة والمحبة والاِمتنان أُرسـلها إلى الأســتاذ ماحد العرباوي بمناسـبة بلوغة السـبعين راجيا له الصـحة والعافية وطول العمر مع المزيد من العطاء والتوفيق في إرساء مشروعه الفكري المتنوّر ليفتح آفاقا جديدة في الثقافة العربية وليُواصل الإشراف على منبر ـ صحيفة المثقف ـ هذا المنبر الذي أضحى ملتقى فكريا وإبداعيا للأدباء والمثقفين العرب ومن بينهم الأدباء التونسـيون الذين وجدوا في رحابه العناية والرعاية لنصـوصـهم بل قد حظي البعض منهم بالتكريم في مناسـبات سـابقة وكان لي الشرف أن أكون من بينهم .

مسك ختام هذه التحية باقة ياسمين تونسية بسبعين وردة !

المفكر ماجد الغرباوي كما عرفته

بقلم: الأستاذة سنية عبد عون[1]

قرأت له منذ سنين خلت من خلال صحيفة المثقف والتي تكون تحت اشرافه.. يسير على مبدأ واحد ولا يمتلك محاباة برأيه ولا يميل لجهة معينة دون أخرى.. يمتلك مهارة في انتقاء افكاره.. عرفناه مفكرا اسلاميا متنور الرؤى عميق التحليل جلي الأفكار بأسلوب رصين ...راقي اللغة رفيع المعاني ولا يهدف من ورائها منصبا أو مصلحة خاصة بقدر ما يهمه انتشال القارئ من ضجيج المفسرين وتنوع مشاربهم وتفسيراتهم التي لا توضح الفكرة انما تعقدها وتسحب القارئ الى مجاهل غريبة بعيدا عن الفكرة الرئيسية..

يمتلك شجاعة في قول الحق ولا يهاب لومة لائم ولا يجانب مهما كانت الظروف المحيطة به.. يعتمد على الاستنتاج العقلي والمفهوم المتحضر بروح انسانية عالية.

يبحث عن الحقيقة لينير العقول التي باتت مشتتة بين هذا وذاك.. رجل ملتزم بقضيته متنور في زمن تتكالب فيه الناس على حطام الدنيا ويجافون الحقائق للمتاجرة بما يطرحونه من أفكار سطحية عقيمة لا تخدم مصلحة الناس بقدر ما تخدم مصالحهم الخاصة.. مسك معوله بثبات وعزم وأخذ يحطم أسوار جهلهم وخرافاتهم التي عشعشت في عقول الكثير من الناس حتى كأنها غدت من الأمور المسلم بها.

لقد أسس بجهود مضنية مفاهيما جديدة راسخة لفهم الدين بصورته الجليلة الراقية كما أراد لها الله سبحانه وتعالى وبذلك دك معاقل التابوهات.. وسيكون لأطروحاته أثر كبير في تحويل اسلوب الدراسة الى المنهج الحديث بعيدا عن المواعظ

---

1 - أديبة وكاتبة عراقية

المكررة والســـاذجة التي أرادها الظلاميون ان تكون طريقهم لارتقاء ســـلم مجدهم المزيف عن طريق الترهيب والترغيب والاسطورة والخرافة والتجهيل المتعمد.

وما أظن اني بحاجة لإيراد الأمثلة على ذلك انما أيســـر الاطلاع على مؤلفاته توضح ما ذكرته جليا.

قرأ الغرباوي الدين الاسلامي قراءة منصفة مشذبة من العوالق التي الصقت به فقدمه للقارئ في كل كتاباته كونه دين التسامح والرحمة والمحبة واحترام الانسان وان يأخذ كل ذي حق حقه.

لقد قدم للمكتبة العراقية والعربية ثراء فكريا جديدا بمؤلفاته القيمة.. وســـيهتم الدارسون بهذه الأفكار النيرة التي طرحها وهي جديرة ان تدرس دراسة مستفيضة لما تحمله من أفكار ناضجة وأودع فيها المؤلف زبدة حكمته وأراءه والتي عالج من خلالها أسباب التخلف والجهل في مجتمعاتنا ...

يقول عبد الرحمن الكواكبي: لماذا يضعف المسلمون؟ يضعفون لانهم اهملوا آداب الدين التي نهضوا بها في صدر الاسلام.. ثم يتساءل: ولماذا أهملوا آداب الدين..؟ لأنهم جهلوا لبابه وأخذوا منه بالقشور.. ولأنهم فقدوا الهمة وقنعوا بالضعة واستكانوا الى الخور والتسليم.

الأستاذ ماجد الغرباوي مُفكّراً
وصاحبَ منبرٍ تنويري كبير

بقلم: الأستاذ جمال مصطفى[1]

للأستــاذ المفكّر والباحث ماجد الغرباوي ألف تحية وتحية في ســبعينيته الزاخرة بالعطاء الفكري والإعلامي.

قبلَ عقدٍ من السـنوات اقترح عليّ صـديقي الراحل الشـاعر سـامي العامري أن أنشر قصائدي في صحيفة المثقف، ومنذ ذلك الوقت وأنا اتابع يومياً صحيفة المثقف وأنشر فيها وأعلّق على ما ينشره فيها زملائي الشعراء والأدباء.

صحيفة المثقف تجسيد ثقافي لِراعيها ولولاه لَما كانت ولَما استمرّت وهذا كله سـيرة ثقافية جامعة تجســدت في رجل واحد هو الباحث والناشــر والأديب والمفكر ماجد الغرباوي .

ما أصعب الموازنة في التأليف الفكري المضطلع باستقراء العقائد بين التجرد وبين حميمية الإنتماء للعقائد ذاتها. وهذا ما نجح فيه الأســتاذ ماجد كمفكّر فإنَّ قدرته الفذة في المصالحة بين التجرّد الفكري وبين حرارة الإيمان هي ما يميّزه عن غيره في كل ما كتب وألّفَ وحاورَ فقد قرأنا لباحث جمع بين أصالة الفكر وحداثة الطرح بمعاصرةٍ وعقلانية وانفتاح دون أن يكون ذلك على حسـاب المنطلق الإيماني الفاعل كبوصـلة ومنهج .

من جانب آخر فإنَّ الأســتاذ ماجد الغرباوي كناشــر وصــاحب منبر ثقافي لا يُقارن به إلاّ نادرون في حياتنا الثقافية، من حيث ســعة المنبر وشموليته وأعتداله

---

1 - شاعر ومترجم - الدنمارك

وموضـوعيته واسـتمراره، وجمهرة الأقلام التي سـاهمت في رفده ولا تزال فقد اسـتطاع الأسـتاذ الغرباوي أن يجعل من المثقف صـحيفة ثقافية جامعة اسـتقطبت لفيفاً متنوعاً وغنيّاً من مختلف الأجيال والتخصـصـات ومن جميع أقطار الوطن العربي ومن خارجه وهذا كله ما كان ليزدهر ويستمر لولا الأستاذ ماجد الغرباوي .

هذه شـهادتي بتواضع كشـاعر من شـعراء صـحيفة المثقف بحق هذا الرجل باحثاً ومفكّراً وإنساناً .

العمر المديد للأستاذ ماجد الغرباوي .

تجربة التجديد لدى المفكر الغرباوي

بقلم: الأستاذ عقيل العبود[1]

مما لا شك فيه أن تناول سيرة كاتب ومثقف تتطلب وقتا طويلا، خاصة عندما ترتبط بحقبة زمنية متكاملة ومتصلة من الجهد الفكري الهادف، وتلكم حقيقة المنجز الكبير الذي اختطه بفكره، وصبره، وقلمه المجتهد العلامة الأستاذ الغرباوي، إذ استطاع أن يقدم للمكتبة العربية، والعالمية أطاريح لها أثر كبير في الثقافة العالمية، فهي تمثل سلسلة من التأملات التي ارتبطت بحياة مفكر تعلم لغة الحوزة العلمية. أتقن مناهجها الدراسية، وحضر دروس البحث الخارج، وهي مستوى عالي من دراسة العلوم الدينية وعلوم الشريعة، على يد كبار الفقهاء لسنوات طويلة. فقد فهما جديدا للدين، فهما يتناسب مع متطلبات الحاضر ويواكب تطورات الواقع.

لقد استشعر الغرباوي حاجتنا ككتاب ومثقفين الى منصة، تسمح بتبادل الآراء ونقد الأفكار بعيدا عن اية رقابة سياسية أو أيديولوجية، فبادر إلى تأسس صحيفة المثقف ومن ثم مؤسسة المثقف، فكانت وما تزال مجالس علم يجلس على أرائكها المثقفون والمبدعون يتداولون الأحاديث الساخنة كل بطريقته الخاصة. وكانت لآرائه وطروحاته دور في سمو المثقف، فكتاباته كانت تحاور الآخرين، ذات تتوالد معانٍ ومضامين تدعو للتجديد والتوير واحترام حقوق الانسان.

ومن الجدير بالذكر أن هنالك اساتذة وقامات لها حضورها على مائدة المفكر الكبير الاستاذ الغرباوي، فالدكتور صالح الطائي كتب رؤية نقدية شاملة في مشروع ماجد الغرباوي فيما يتعلق بموضوع الالهي والبشري في الدين التراثي، وأصدرها في كتاب بنفس العنوان. وأيضا أصدر الأستاذ طارق الكناني كتابين ضمت حوارته مع

1 – أديب وكاتب، أمريكا

الغرباوي، أحدها حول الأسطرة واللامعقول الديني في كتاب مدارات عقائدية ساخنة. كما أصدر د. صالح الرزوقا كتابا عنه، وأيضا أصدر الاستاذ الدكتور محمود محمد علي كتاب الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري. وكتاب حوار للدكتورة ماجد غضبان، وآخر للاستاذ سلام البهية السماوي.

لقد اسس الغرباوي لمراحل متقدمة في باب التجديد، وأضاف كثيرا من الأفكار التجديدة لم يتطرق لها المجددون السابقون.

هنا يطيب لي التركيز على فكرة المقدس في الدين، وهو أحد المواضيع المهمة التي تناولها الاستاذ الغرباوي بتفاصيل مختلفة، فأصدر كتاب: المقدس ورهان الأخلاق. كذلك ركز على المقدس في كتاب مقتضيات الحكمة في التشريع. حيث كرر المؤلف مفاهيم ترتبط بالمقدس وعلاقاته المختلفة مع العقل والتراث. كـ"العقل التراثي"، القداسة، والتعالي، والعدول، والتعقل[1]. وطالما أكد على حاكمية العقل والأخلاق على التشريع الفقهي. يقول الغرباوي، "العقل كان ومايزال المرجع الوحيد للتشريع"[2]. نعم باعتبار أن حجية العقل تقترن بقدرة العقل على استنباط المعاني التأويلية للنص. وفي هذا الموضوع اشكال حصل بين المدرسة الاصولية التي أيدت حجية العقل، والمدرسة الاخبارية التي اكدت حجية الخبر على حساب حجية العقل.

هنا بناء على مضمون ما تقدم، كان الأستاذ الغرباوي قد أثار موضوع جدليا عميقا يلخص فكرة الصراع بين المعتزلة والاشاعرة، وهي موضوعات لها أهمية بالغة في الفكر الاسلامي، ما يراد به احياء فكر ابن رشد الذي احرقت كتبه.

هنا لا أريد أن أغور بعيدا فيما جاء به المجتهد المحقق والباحث الاستاذ الغرباوي باعتبار أنه استطاع أن يوظف جميع المعاني الخاصة لفهم المساحات المشتركة بين الشارع المقدس ورأي العامة.

---

1 - راجع متاهات الحقيقة (9) مقتضيات الحكمة في التشريع .. نحو منهج جديد لتشريع الاحكام.

2 - المصدر نفسه، ص 178.

ومن الجدير بالذكر أن جميع الموضـــوعات التي ناقشـــها الغرباوي بما في ذلك اشـكاليات التجديد، يعد اسـتئنافا لما تم مناقشـته من قبل الفلاسـفة الكبار والعلماء والمجددين، حيث اســـتطاع أن يعيد إلى الفكر العربي أبجديات ما جاء به العلامة المطهري في باب المفاهيم الفلسـفية المرتبطة بالعقائد وبعض ما جاء به المفكر الدكتور الفيلسوف حسين مروة.

مشروع الغرباوي الفكري
لمحة تعريفية

بقلم: الأستاذ شاكر عبد موسى[1]

مقدمة: يشتمل التراث العربي الإسلامي على مجموعة علوم، منها: علم الكلام، علم الفقه، علوم القرآن، علم الحديث، الفلسفة، التاريخ، الأدب. وفي كل فرع من هذه الفروع ترك لنا السلف ثروة تراثية، يشيد بها الباحثون، فمثلا على صعيد الأدب والشعر، احتفظ لنا التراث بقصائد أشهر الشعراء والفحول العرب، التي مازالت خالدة، تتناقلها الألسن، يحفظونها ويستشهدون بها، منها المعلقات السبعة. وقد جسدت قصائد الشعراء الروح الابداعية للعرب، ونجحت في نقل مشاعرهم ومواقفهم وخصائصهم وما يتميزون به من عادات وتقاليد وأعراف، كما حكى لنا الشعراء عن حروب ومغامرات وغزوات العرب. وعلى صعيد الفلسفة والعلوم، فقد تفاعل العرب والمسلمون معهما، وأسهموا بشكل كبير في تطويرهما، وهناك علماء أفذاذ يشهد لهم التاريخ والتراث. وقد أضاف الفلاسفة العرب والمسلمين آراء فلسفية اتسمت بالدقة والعمق في بحوث الوجود والماهية والميتافيزيقا والأخلاق. فتركوا لنا تراثا قيما، لكبار الفلاسفة والعلماء، أمثال: الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن مسكويه، وابن الهيثم، وإخوان الصفا، والغزالي، في المشرق، وابن باجة، وابن طفيل، وابن رشد، وابن عربي، وابن خلدون في المغرب وأخرين. وقد تناولوا مختلف المواضيع الفلسفية من الوجود الى اللاهوت، مرورا بمفاهيم كثيرة. كما حظيت الفنون والعمارة خاصة الزخرفة الاسلامية بمكانة كبيرة، وتطورت بشكل ملحوظ في العصور الوسطى. لا يمكننا تجاهل الجمال والتفاصيل الدقيقة في العمارة الإسلامية التي غلفت مساجدها المذهلة وقصورها

---

1 - كاتب وباحث عراقي

الفخمة. وكل هذا مشـــهود له، ويبقى التراث العربي – الإســـلامي في هذه المجالات موضع احترام وتقدير.

التراث الديني

يقصـــــد بالتراث الديني كل ما تركه العلماء والفقهاء والمتكلمون من كتابات ومدونات تدور حول الدين أو ما يتفرع عليه، ســـواء الكتاب الكريم أو ســـيرة النبي محمد (ص). وهو تراث عزيز ومتنوع، يتعهدونه ويحافظون عليه، ويعودون له لفهم الاسـلام وتشـريعاته وكل ما يرتبط بحياتهم اليومية. ومحور هذا التراث على صعيد علم الكلام القديم، هو العقيدة الاســلامية، التوحيد ونفي الشـرك بالله تعالى. أي الإيمان بوحدانية الله تعالى لا شـريك ولا ند له. وأنه الخالق والمدبر للكون بأكمله، ثم الإيمان بجميع الأنبياء والرســل، مع التركيز على الرســالة المحمدية باعتبارها الرســالة الخاتمة. ومحوره على صـعيد الفقه، سـلوك الانســان، وكيفية تطابقه مع الشـريعة الاسـلامية وأحكامها. فمهمة الفقه، استنباط الاحكام الشـرعية في جميع المسـائل التي يحتاجها الانسان في حياته، كالعبادات والمعاملات، كـــالصلاة والصوم والحج والزكاة، والعقود والبيع والشراء. وكل ما يتصل بها من تفصيلات وتعاليم، سواء كانت شرحا وتفسيرا ورواية ونقلا للآراء، أو قضايا اجتهادية استنباطية. كما لا يمكن تجاهل اهتمام التراث بالأخلاق وإن كانت كتب الأخلاق قليلة في هذا المجال، إلا ان الاخلاق من الدين وقد أكد عليها الكتاب الكريم، فاهتم بها المســـــلمون، مادامت تلامس مشـــــاعرهم وسلوكهم. وكان علم الكلام القديم قد تصدى لبعض جوانب الموضوعات الاخلاقية، كتعريف الحُسن والقُبح، وهل هما عقليان أم شرعيان. وعليه يمثل التراث إرثا عظيما، يعزز الانتماء والهوية، ويســـــاهم في تشـــــكيل وعينا واعتقاداتنا حول العالم ووجودنا كأفراد ومجتمعات. بالتالي، يجب علينا الاعتناء به، وتقديمه كتجارب مهمة يمكن الاستفادة منها.

لكن هل ثراء التراث وشموله يعني كماله، وأنه صـــالح لكل زمان ومكان أم أنه صـــالح لذلك الوقت؟ وما علاقتنا به حينئذٍ. هل علينا تقديس التراث وحرمة نقده ومراجعته؟ أم علينا اتخاذ موقف منه، وما هو؟ هذا هو مشروع ماجد الغرباوي.

مشروع الغرباوي الفكري

يرفض ماجد الغرباوي في مشروعه الفكري هيمنة التراث والعقل التراثي، ويطلب بمراجعته مراجعة نقدية، للحفاظ على عناصـــر القوة فيه والاســـتفادة منها، يقول: ينبغي (قراءة التراث ضـــمن ســـياقه التاريخي، فهناك منجزات علمية على صـــعيد الفلســـفة وعلم الكلام والفقه وعلوم القرآن والحديث والدراية، تجاوز بعضـــه الزمن، ومازال بعضـها الآخر يفرض حضـوره العلمي والمعرفي. دراسته ضـمن سياقه التاريخي تســـمح بنقده وتعريته والكشـــف عن القيمة المعرفية لمبادئة ومقولاته الأولية، فمهما بالغوا بقدســـية التراث يبقى منجزاً بشـــرياً في إطار ظرفه الزماني والمكاني، يحتفظ بتاريخيته، وعدم تعاليه على النقد. ويبقى مرتهناً في إطلاقه وتأثيره لمتانة مبانيه ومبادئه وأسسه، بما في ذلك الفقه الإسلامي الذي يشتغل على نصوص الكتاب والسنة)[1]. فرؤيته واضحة تجاه التراث، وما هو الموقف الصحيح منه. فمشروعه تميز بقدرته على تقديم رؤية جديدة للتراث باســـتخدام مناهج نقدية حديثة، من أجل فهمٍ أعمق لعلاقة الماضي بالحاضر والمستقبل، بعد تشخيص سلبيات التراث من جهة، وبيان ما تعانيه الحضـارة الغربية المادية من جهة أخرى. فالغرباوي يسـعى في مشـروعه النقدي للتراث وخصــوص الفقه، الى تقديم رؤية جديدة لهما، تبتني على العقل والعقلانية في إطار القيم الأخلاقية، بشـكل تتقدم فيه الأخلاق على كل شـيء. ويسـعى المشـروع تجاوز أمراض التراث وأمراض الحضـــارة المادية. ويقدم صـــورة جديد لمجتمع يتبنى قيم الفضيلة، ويواكب قيم الحضارة الجديدة بعقلانية والاستفادة من تجارب الآخرين. لهذا يؤكد دائما على النقد والمراجعة النقدية، من أجل فهم أعمق للدين، وتبني قيم الحرية

---

1 – الغرباوي، ماجد، مقتضيات الحكمة في التشـريع.. نحو منهج جديد لتشـريع الأحكام، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، وأمل الجديدة، دمشق – سوريا، 2024م، ص 319.

والتسامح والعدالة وقيم المجتمع المبنى، كي ترقى مجمعاتنا الى مستوى المجتمعات الحديدة

بشكل عام جاء مشروع الأستاذ ماجد الغرباوي الفكري لتحرير العقل من خرافاته واساطيره، كي يمكنه مواكبة العصر. من خلال التركيز على العقل والعقلانية في فهم التراث والعقل التراثي. كما أن مشروعه يهدف إلى تجاوز الدوغمائية القاتلة، والتعصب العنصري، التي تعترض تفكير فقهائنا التقليديين، وتدمر عقولنا.

أضف الى ذلك يسعى مشروع الغرباوي أيضًا إلى التخلص من الأمراض الطائفية والعنصرية والتعصب، وتحطيم المعتقدات الخرافية والأساطير التي تحاصر العقل والعقلانية منذ العصور الوسطى، ويدعو مشروعه إلى نقد النص الديني وتجديد فهمنا له في ضوء معايير القيم الانسانية والحضارية.

وهناك مشكلة جوهرية لم يتطرق لها او يفكر بها إلا القليل من المفكرين، ومن ضمن الذين تطرقوا لها هو الأستاذ الغرباوي. وهي مشكلة الهوية فالكثير من الدول الاسلامية تركز على هويتها القومية وليست الدينية او الطائفية مثل ايران وتركيا فهما يركزان على هويتهما القومية وليست هويتهما الدينية أو الطائفية، رغم تبجحهما في وسائل الاعلام بانهما دول اسلامية كبرى وريثة حكم المعصومين والتابعين الأوائل، والسلف الصالح.

يقول المفكر المصري الكبير: (حسن حنفي 1935-2021)" لن يتقدم المسلمون أذا كان القرآن سقف لأفكارهم ". وهذا ما يؤكده الأستاذ ماجد الغرباوي، يؤكد على الانتفاح الحضاري، والاستفادة من تجارب الآخرين لتطوير أنفسنا والاستفادة من علومهم وانجازاتهم، دون المغامرة بأصالتنا.

أتمنى للأستاذ ماجد الغرباوي طول العمر بخير وعافية.

الفكر الديني وتأثيره على الفرد والمجتمع
ماجد الغرباوي إنموذجاً

بقلم: الأستاذة مريم لطفي[1]

منذ ان بزغ النور في سماء الانســـان وهو يبحث عن مرجع معتمد يجيب عن أسئلته حول الوجود والحياة والموت، وسبب وجوده، وما هو أصله، وكيف سيكون مصــيره. فكان الدين دون مرجعية الانســان المؤمن لمعرفة تلك الحقائق، فراح يهتدي بهديه، ويتمسـك بشـرائعه، ويتحلى باخلاقه، وتطمئن به نفســه، ويتخذ من القرآن مصـدرا لمعرفة كل القضـايا التي تهمه، مادام الدين وحيا منزلا من عند الله تعالى. أنزله على صـدر نبينا محمد (ص) لهدايتنا، فالدين مرجعية صـائبة بالنسـبة للمؤمنين، وهذا سبب تعلقهم بدينهم والافتخار بالانتسـاب له، والدفاع عنه. وقد دعا الله جل وعلا إلى تدبر آيات القرآن، في أكثر من آية، رغم أنه كتاب مقدس. فالتدبر يفتح للقارئ معاني جديدة لا تظهر بالقراءة العادية له. والاية تخاطب الانســـان الذي جعله الله خليفة في ارضـــه، مهمته عمارة الارض، قد أوكلها الله له، فعليه أن يكون كفؤا لهذه المهمة. وهي مهمة صـــعبة تحتاج للدراســـة والتحليل والتطبيق والغوص في غمار التفاصـيل التي تتناسـب مع حياته في ظل التقدم الذي يُليقي بظلاله على كل امور الحياة. وقد وضـع القرآن العقل معيارا لفهم تأويلات الكتاب، وهذا يؤكد أهمية العقل واحترام الاديان لـه: (إِنَّمَـا يَتَـذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَـابِ)[2] والالبـاب هي العقول واللـب هو جوهر العقل، وكون الانســان مخيرا وليس مســيرا فلابد أن يتمتع بمسـاحة من الحرية لاختيار طريقة تفكيره على الأقل، لذا بات جليا أن تقاس جودة الاشــيـاء بمدى

---

1 – أديبة وكاتبة – السويد

2 – سورة الرعد، الآية 19.

تطابقها مع الواقع الحياتي للانسـان الذي يسـتوفي شـروط ديمومته من القيم العليا المتمثلة بآيات الله جل وعلا. غير أن مجتمعاتنا هجرت العقول وتمسكت بالأساطير حتى سـادت فيها ضـروب الخرافة والتسـلط وانعدام الحريات وانتهاك الحقوق، والتمسك بالطقوس والشعارات بدلا من التخلق باخلاق الدين وتمثل قيمه الانسانية. والسبب ليس المجتمع وحده بل الخطاب الدين الذي لم ينجح في مواكبة العصر، ولم يلبِ طموحات الانسـان الروحية والحياتية، لذا لابد ان من خطاب ديني جديد، وفهم ديني جديد يعيدان للناس ثقتهم بأنفسـهم وعقولهم ودينهم. وقد تصـدى عدد من العلماء والمفكري للتجديد الديني من خلال تقديم آراء دينية تنسـجم مع القيم الاخلاقية والحضارية الانسانية، وعدو للتسامح والمحبة واحترام الآخر، منهم: الباحث والمفكر الاستاذ ماجد الغرباوي.

ماجد الغرباوي

ماجد الغرباوي كاتب وباحث بالفكر الديني، واجه خلال حياته ظروفا مختلفة، وهاجر الى أكثر من دولة، لكنه ظل وفيا لمبادئه وقيمه التي آمن بها. وحمل على عاتقه مشـروعا دينيا وإنسـانيا ينتمي للعقل والعقلانية، ويتخذ من الاخلاق ركيزة اساسية له. بعد أن مضى بدراسة وتدريس العلوم الدينية والعقلية المرتبطة به، سنين طويلة كما أشار الى ذلك في سيرته. إمتاز بدماثة الخلق وسرعة البديهية وقدرة على طرح الأفكار وشرحها وبيانها بكل سلاسة ووضوح ورحابة صدر منقطعة النظير. نشأ في أسرة متسامحة، ابتداء من رأس الهرم والده الذي أخذ منه كل القيم النبيلة ومبادئ الفضـيلة، ووالدته التي كانت ينبوعًا أغدق عليه العاطفة والنبل والتسـامح وحب الاخر. وزرعت في نفسه احترام الاخرين بعيدا عن أي اعتبار، وهذا ما انعكس على شخصيته فيما بعد (فالجذور الطيبة ثمارها طيبة). محاور من الطراز الأول، ينطلق من ثقافة ومعرفة واسعتين، أهلتاه ليكون قبسا يستضاء بعلمه وأدبه. يعتمد على الدليل والبرهان والعقل في آرائه فهو لا يطلقها جزافا او بدوافع عاطفية. هدؤه ينبع من منبته الطيب ودراسته العميقة وخبرته الحياتية وخلقه الكريم. يدعو في كتاباته الى التسـامح واحترام الاخر. والدين برأيه معاملة حسنة، وأسلوب حياة، وليس طقسا يُردد دونما

أدنى وعي. والايمان إيمان عقلي نقي، وليس أوهاما وخرافات. تعددت أعماله حتى بلغت أكثر من 30 عملا، تأليفا، وترجمة، وتحقيقا، وحوارا واعداد، وكتب حول منجزه كثيرون. كل هذا وغيره ذكره في سيرته، المنشورة في المثقف.

القارئ لمؤلفات الغرباوي يجد تأكيده الدائم على الانسان، باعتباره سيد المخلوقات. يتناول في بحوثه كلا بعديه المادي والروحي، دون تفريط. كما يدعو الى اصلاح الذات سبيلا لاصلاح المجتمع، ودعا الى التسامح لتدارك اخلاق الكراهية والعدوان المستشري بسبب الحروب والصراعات السياسية على السلطة. التسامح حاجة ملحّة لمجتمعات تفتقر له اساسا، مجتمعات سادها العنف والتعصب الاعمى والعنصرية المقيتة. بسبب الاستبداد وروح العبودية، لذا تعني الحرية عنده، حرية الرأي والتفكير الحر، والاعتقاد السليم دون مغالاة. ويمكن أن اضرب مثلا بالعراق لحالة التشرذم والصراعات الطائفية والسياسية وانعكاساتها على المجتمع. العراق بلد تتعدد فيه الاعراق والطوائف. وكان شعبه الى حد قريب يتمتع بالاخاء والمحبة والتسامح، ففي الحي الواحد تجد المسلم والمسيحي والازيدي والصابئي والعربي والكردي والتركماني يتشاركون الشمس نفسها والنهر نفسه والارض ذاتها تحتضن خطواتهم وتباركها بعيدا عن أي أي اعتبار، لكن هذا المفهوم تشرذم عندما تسيست أهدافه مما أدى إلى تنافر أقطابه وبالتالي حلت الكارثة!. لذا نجد الغرباوي يؤكد على التسامح وقد اتخذ من العراق بلده حينما ألف كتابه التسامح ومنابع اللاتسامح: (ولعل مشاهد العنف في العراق ستبقى ماثلة في ذاكرة الاجيال. هذا البلد الذي عرف بتنوعه الديني والمذهبي والقومي منذ قديم الزمان، غير انه تعرض لتحديات خطيرة في مصداقية وحدته، وتحولت خطوط التماس الى خطوط نار محفوفة بدماء الابرياء من الاطفال والنساء والشيوخ، وظلت تراكمات الخراب المدني وكل ما هو جميل في الحياة شاهدة على عمق الازمة الثاوية في لا وعي الشعب المتنوع، والتي انفجرت عندما استنشقت جرعة قوية من الحرية)[1].

---

1 – الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الاديان والثقافات، الحضارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2008، ص 12.

من جانب آخر، أكد على الحرية كقيمة أســاســية عنده، يرفض التفريط بها أو التنـازل عنهـا، ويؤكـد على حريـة الفكـر والرأي وحق التعبير، دون تعســــف، مـادم الانســان يلتزم بقوانين المنطق والعقل3. ويكون جداله بالتي هي أحســن ومن خلال الأدلة والبراهين. بينما القمع وتكميم الافواه ســياســة ســائدة في بلداننا، بحكم الاسـتبدادين الديني والسـياسـي. لهذا يقف الغرباوي بشـدة بوطه الاسـتبداد، مهما كانت ســلطته[1]. فالانســـان كائن محترم يجب ان يتمتع بحرية كافية حدودها حرية الآخرين، والأنظمة والقوانين التي تشــرع للصــالح العام. حتى التقليد الفقهي يرفضــه الغرباوي ما لم يكن عن بينة، يســتوفي شــروطه الموضــوعية. ويدعو الى منهج جديد لاستنباط الاحكام الشرعية، يحفظ كرامة الانسان وفق ضوابط علمية وعلى اساس القيمة الاخلاقية الاصيلة، كالعدل والمساواة.

وقد نظر الغرباوي للمرأة باعتبارها قيمة انســانية أولا وقبل كل شــيء،[2] بل أنها أعلى قيمة يستمد منها المجتمع طاقته وديمومته، وهي ليست مجرد رقم أوحاجة بل إنها الانســـان الذي خلقه الله بأجمل تقويم وعليه يُعوّل بناء الانســـان والحياة والمجتمع والحضــارة، فهي تهب الانســانية ســبل ديمومتها وحضــورها ومعنى وجودها. وعلى اختلاف العصــور كان لها دور قيادي وريادي واضــح في مجمل ميادين الحياة العامة والخاصــة ، فهي نصــف المجتمع وتربي نصــفه الاخر، وقد اثبتت حضــورها كجوهر وغاية وليس مجرد وســيلة للتلاعب بمقدراتها، وقد اســتلهم الغرباوي آراءه وأحكامه

---

1 - أنظر موقف ماجد الغرباوي من الاسـتبدادين الديني والسـياسـي في كتاب اشـكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني – استراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، ص 209. وكتاب: الضد النوعي للاستبداد.. استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني، مؤسسة المثقف، سيدني – استراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2010م.

2 - هناك كتابان يشـتملان على رأي الغرباوي في المرأة وحقوقها. الأول حوار د. ماجد غضـبان مع ماجد الغرباوي في كتاب المرأة والقرآن.. حوار في إشـكاليات التشـريع، مؤسـسـة المثقف، سـيدني – استراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2015م. وكتاب: الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري، للدكتور محمود محمد علي، مؤســـســة المثقف، ســيدني – اســتراليا، ودار الوفاء، الاسكندرية – مصر، 2021م.

بالنسبة للمرأة من بديع الايات القرآنية التي كرّمت المرأة وأنصفتها ورفعت مكانتها ووهبتها الحقوق التي حُرمت منها في العصور الغابرة، ومع اختلاف الدور البايولوجي للمرأة لكنها أخذت مكانتها بموثق من الله وإن أغفله الفرد المتسلط أو البيئة المتعصبة (يأيها الناسُ اتَّقوا ربكمُ الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زَوجها وبثَّ منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام)[1].

في الختام، هذه شهادة عبرت فيها عن وجهة نظري الخاص، اسال الله العلي القدير ان يبارك في مسيرة الاستاذ ماجد الغرباوي

1 - سورة النساء، الآية: 1.

مقالات المفكر والباحث ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة سراب سعدي[1]

منذ سنوات وأنا أكتب في صحيفة المثقف، أتناول في مقالاتي مختلف القضايا.. وما يخطر في بالي من مواضيع سياسية وثقافية واجتماعية، دون قيود او تابوهات. أطلق لقلمي حرية الكتابة والتعبير. ولم أشعر وأنا أكتب بحاجة للحذر، فهناك حرية تسمح بالكتابة بجرأة عالية، ما لم يخرج الكاتب عن ضوابط سياسية الصحيفة. فأكثر ما يعجبني في هذه الصحيفة مساحة الحرية التي تمنح للكاتب كي يعبر عن آرائه وأفكاره بلا خوف أو تردد.

كنت لا أعرف من هو مؤسس هذه الصحيفة الجماهيرية الرائعة فقررت أن أبحث عن مؤسسها وعندما تعرفت إلى الأستاذ ماجد الغرباوي كنتُ سعيدة جداً، لأني تعرفت على قامة علمية، وموسوعة فكرية مميزة. وقد تشرفتُ بالكتابة له أكثر من مرة، فكانت أجوبته وأسلوبه في التعامل مع الآخرين يدلان على نبل وخلق الأستاذ ماجد. فيجب أن أتحدث عنه في هذا المقال، بأمانة وموضوعية. وأنقل لكم جزءا من سيرته العلمية، فهو مفكر وباحث يسعى إلى تحرير العقل من بنيته الأسطورية ومعتقداته البالية من خلال إعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة ومن خلال تحرير العقول التقليدية من سطوة التراث وتداعياته، يشتغل الأستاذ ماجد الغرباوي في مشروعه على إنارة العقول من خلال قضايا: النهضة، نقد الفكر الديني، التسامح، الحركات الاسلامية، العنف وكذلك ما يخص المرأة والتنوير.. إلخ ، فهو متخصص في علوم الشريعة والعلوم الإسلامية ومؤسس ورئيس

---

1 – أديبة وكاتبة.

مؤسسة المثقف العربي في سدني، وللأستاذ ماجد مؤلفات كثيرة تصل إلى أكثر من 35 عملاً مطبوعاً تأليفاً وتحقيقاً وحواراً وترجمة.

لقد اطلعتُ على مقالات كثيرة للباحث والمفكر ماجد الغرباوي. فوجدتها كتابات مميزة، تجعل القارئ يعيد حساباته ألف مرة، كمقالته (الأخلاق وتداعيات الاجتهاد) الذي تناول فيه موضوع تداعيات الاجتهاد على مر التاريخ باعتباره (فقه). وبيّن أن الأخلاق معيار للفضيلة والاستقامة والتدين . كذلك مقالته عن "الاجتهاد والأخلاق " التي تناول فيها موضوع الاجتهاد من حيث كونه نشاطا عقليا وفق قواعد ومبادئ ينتهي فيها المجتهد إلى رأي في المسألة. ولعل مقالته المنشورة أيضاً في مجلة نقد وتنوير حول "الموقف الاخلاقي من التراث" من المواضيع المهمة التي تناول فيها مسألة الأخلاقي من التراث. فكان ينطلق في معالجتها من قيم ومبادئ إنسانية كونية شاملة، محايدة، ترفض القيم الأخلاقية النسبية التي تمليها نصوص تراثية وفقاً لقبلياتها الطائفية، فتهدر بذلك كرامة الإنسان الذي هو قيمة عظمى وفقاً لمنظومة ذات القيم الاخلاقية الأصلية. وكتب الأستاذ الغرباوي أيضاً عن دور الأخلاق في التشريع. وأكد أن نقد التراث يتطلب عدة معرفية، وخبرة بمناهجه ومصادره وموضوعاته.

مقالات الأستاذ ماجد الغرباوي مثيرة للاهتمام. وما نقلته، سوى جزء بسيط. انصح بمطالعتها فإنها، تثري القارئ وتضيف له وعيا جديدا.

الكاتب الأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ احمد مانع الركابي[1]

كاتب ومفكر تخطى الأسـيجة الدوغمائية ، فهو من الكتاب المجددين للفكر ؛ إذ طالما كانت كتاباتهُ تحرّض القارئ على التحرر من قيود التراث، وفهم النص الديني بما ينسجم مع العقل، وحركة العصر، وما فيه من متغيرات حضارية.

الكاتب ماجد الغرباوي لم يكن كاتبا طارئا، بل يمتلك مشـــروعا ثقافيا تنويريا، يهدف إلى توعية المجتمعات، وإخراجها من ظلمات التشـــدّد والســـطحية التي طالما كانت تعصف بها؛ لأنّها منغلقة على مفاهيم الماضي، دون مواكبة الحاضر.

من يقرأ للغرباوي يدرك أن الرجل يقف على أرض صـــلبة؛ نتيجة اطلاعه على التاريخ الإنســـاني، وثقافات الشـــعوب، وعقائدها، وأســـاطيرها، وما مرّت به من تحولات تاريخية. هذا الاطلاع، والجذوة الفكرية؛ شـــكلا نقطة القوة في كتاباته التي تتميز بالرصانة، والمتانة، وجمال الفكرة، ومنهجية الاستقراء. إذ تشكل مؤلفاته إضافة حقيقية للمكتبة العربية والإنسـانية، متمنيا له المزيد من العطاء ومواصـلة هذا المشـروع الثقافي الكبير.

1 – الشاعر والكاتب أحمد مانع الركابي

ماجد الغرباوي رائد التنوير الفكري

حمودي الكناني[1]

ماجد الغرباوي رائد التنوير الفكري في زمن شاعت فيه الخرافات والاساطير والاخبار التي ما انزل الله بها من سلطان ، ماجد الغرباوي رجل استخدم ويستخدم عقله بصورة ثاقبة و متناهية للوصول الى الحقيقة التي لا تقبل الشك او الدحض ولربما تكون شهادتي فيه مجروحة لانني انحاز اليه بصورة كبيرة لما يمثله من مقياس الانسان والمفكرالباحث عن الحق والحقيقة لا سواهما

قرأت له الكثير من النصوص الجميلة التي تمتاز باسلوبها الرصين وصورها الجميلة وكلماتها المنتقاة والموصوفة برقتها وسلاستها ، أما اعماله البحثية الاخرى التي تعبر عن فلسفته في قراءة الموروث والقضايا الاجتماعية والسياسية والدين والمرأة وفرز السمين منها عن الغث فعديدة ، ماجد الغرباوي مفكر كبير له سلسلة كتابات فكرية غنية جدا ومقنعة بادلتها تغني الباحثين المختصين والمتابعين من مختلف الاتجاهات من القراء ، لربما لا تروق كتاباته لأولئك الذين يجترون الماضي ويغمضون اعينهم عن حركة التطور في كل مناحي الحياة فهو يفهم ان الوعي سيد الفهم للدين وكتابه اخفاقات الوعي الديني فيه الكثير مما يحتاجه الناس لكشف الغطاء عما يريده الدين من توجيه الانسان الى جادة الصواب بصورة واضحة من غير تعقيد او تشويش.

1 - قاصة وشاعر وكاتب عراقي

ماجد الغرباوي، مُفكّر تنويري

بقلم: د. شهرزاد حمدي[1]

الأستاذ ماجد الغرباوي، مُفكّر تنويري يتميّز بقُدرته على النقد ومُساءلة القضايا والإشـــكالات القلِقة التي تُعدّ جوهرية تتطلّب المباحثة في ســـياق البناء الحضـــاري للإنسان. لديه حِسّ فلسفي نقدي تحليلي، يبتغي دومًا استحضار الإنسان والتأكيد عليه، في تفكّراته وتأمّلاته واستنتاجاته المعرفية والمنهجية بعيدًا عن أشكال الاستبداد خاصّة الديني، وعن الفكر المتزّمت، تأسيسًا لخِطاب ديني مُنفتِح وَسمته بأنه سمعٌ مُثمر وعقلٌ مُنتج في تكامُلية حيّة وتوليفة حرارية بين النقل والعقل.

على مُســـتوى علاقتي به، فإنّني أكنّ له كلّ المحبة والاحترام، إنســـان عزيز، كريم الأصـل ومُتواضـع يسـأل عن الحال ويتمنّى أفضـله. فَتَح لي باب الكتابة والنشـر في صحيفة المثقف القيّمة التي تضمّ مُختلف التخصّصات في تنوّع ماتِع ونافِع، كمَا يفتح المجال لجميع من يكتُب بجدّية، ولا يقتصِر الأمر على فئة مُعيّنة بدرجة عِلمية مُحدّدة.

في الأخير، أتمنّى له كلّ الخيرات والنجاحات، في انتظار مُســـتمر لكتاباته التي تستحِق النِقاش بالحُجّة، فمن بعث على ذلك كان حقًّا رَصين المبنى والمعنى.

---

1 – تخصّص فلسفة عامة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر

ثقافة الجمال

بقلم: الأستاذة تماضر كريم [1]

لفترة طويلة كنت أجد الصحف والمواقع الإلكترونية لا تلبي طموح الكاتب الذي يرغب في نشر نتاجه الأدبي.

غالبا ألاحظ أنها مواقع خاوية، توزع شهادات تقديرية بائسة، ودكتوراه فخرية تم تصميمها في الحاسبة، مجرد كلمات لا تسمن ولا تغني من لهفة للنجاح، كادت تكون تلك القناعة راسخة، لكن ثمة استثناء دائماً، ضوء يلوح في نهاية درب معتم، نجمة تتلألأ في سماء كثيفة القتامة، تغريد مبهِج وسط صخب الميديا، وفوضويتها.

إنه ببساطة موقع المثقف، بقيادة الكاتب المثقف ماجد الغرباوي، تلك الثقافة الرصينة التي لا تتعلق بالكتب التي قرأها فقط، أو الأفكار التنويرية التي يبثها بسخاء من أجل عالم عادل، ومنصف، إنما ثقافة التغيير، فالمثقف هو من تكون له القدرة على التأثير، وليس من يتحذلق ويحفظ المصطلحات.

ماجد الغرباوي أثبت من خلال موقعه الرصين أن الثقافة للجميع، متاحة وجاذبة، هكذا وجدتُ أنا، وعدد آخر من الأدباء أن نصوصنا لن تذهب هباء، وإنها فاعلة، وفي مكانها الصحيح الذي تفيد منه وتُلهم و تؤثر وترسخ في الأذهان.

ما كان الموقع سينجح لولا تلك الإرادة الحرة والنية النبيلة لدى الأستاذ والأديب ماجد الغرباوي وهو ينأى بنفسه عن الغايات المادية، مختطاً لنفسه ولنا مكاناً خصباً، لكنه ليس بعيد عن الجميع فهو متاح للقراء، بعيدهم وقريبهم، شابهم وكهلهم،

---

1 – قاصة وشاعرة عراقية

محتضـناً المواهب الغضـة، والأخرى المخضـرمة، لا شـيء يدفعه سـوى التنوير والتبشير بعالم منفتح الرؤى، فمباركة تلك المساعي، ومبارك ذلك الفكر النيّر، للأستاذ ماجد الذي لم يدخر جهداً لترميم هذا الخراب من حولنا، ونشر الجمال.

تحايا من القلب لصحيفة المثقف وراعيّها ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة جواد غلوم[1]

أحببت ان أدلي بدلوي بشـأن منبع الانسـان الرفيع الشـأن مصـلحنا الغالي الصـديق العزيز والمفكر المصـلح اسـتاذنا ماجد الغرباوي أبي حيدر وأقول له مهنئا بعيده السـبعين ومتمنيا له مديد العمر ووفير العافية والمثابرة في جهده الاصـلاحي الذي يشـغل كل اهتماماته ومسـاعيه الحثيثة من اجل رقيّ وسـطنا الاجتماعي المليء بالكثير من الغثاثة والسوءات الفكرية الضارة بقيمنا واخلاقنا وتعاملنا

كل ذلك من اجل ان ترتيب اوضاعنا الفكرية والسلوكية نحو الاحسن والافضل لنكون بمصاف المجتمعات الناهضة التي ترقى وتحافظ على قيمها النبيلة وخصائصها ونزع الملوثات التي علقت بها ومتمنيا لصـحيفة المثقف ورعاتها وكتّابها وقرّائها الثبات على مواقفها النبيلة التي عهدناها في مضامينها

لا اريد ان أطيل اكثر فما كتبه الزملاء والاصدقاء بشأن مفكرنا ماجد الغرباوي وخططه الاصلاحية المدروسة بعناية عقله الراجح وهدفه النبيل السامي يفي بالغرض، اقبل مني تلويحة محبة واعتزاز من بغدادك التي تحبها مع اني اعرف مدى حزنك على ما آلت اليه اوضـاعنا المزرية يا ابا حيدر وعهدي بك ان مشـروعك الاصـلاحي سينهض حتما ولو طال الزمن يا صديقي الاحبّ

---

1 - شاعر وكاتب عراقي

القسم الثاني

مـقـــــالات

نقد الفهم السكوني

قراءة في فكر ماجد الغرباوي

بقلم: ا.د. علي المرهج[1]

إلتقيت بالدكتور عبدالجبار الرفاعي أواخر عام 2003 بعد سقوط نظام صدام، وغزو الأمريكان، قبل أن يحصل على الدكتوراه حينما عُرف بوصفه شيخ متفتح في الحوزة العلمية في قُم، وكنت فرحاً في التعرف به، فقد كانت مجلته "قضايا إسلامية" التي أنشأها مع الشيخ "مهدي العطار" صداها بين أوساط الإسلاميين قبل هذا التاريخ، وبعدها كان لمجلة "قضايا إسلامية مُعاصرة" التي ترأس تحريرها وأشرف عليها حضورها الفاعل في الأوساط الثقافية والأكاديمية العراقية.

كان للرفاعي وما يزال نشاطه الملفت للإنتباه في النشر والكتابة وفي التعرف على شخصيات تمتلك رؤى نقدية وتجديدية لها تأثير وفاعلية في المشهد الفكري العام والمشهد الديني، بل وحتى الثقافي.

أصدر الرفاعي سلسلة كتاب "قضايا إسلامية مُعاصرة" وكان من ضمن كُتبه المختارة كتاب "إشكالية التجديد" لماجد الغرباوي عام 2000م، ولم أكن قد سمعت عن هذا الكاتب من قبل، لتعتيم النظام على أغلب نتاج المثقفين العراقيين المعارضين في الغُربة، وبعد إطلاعي على كتابه هذا حاولت أن أعرف من هو هذا الكاتب، وبعد تقصٍ ليس بالطويل عرفت أنه رئيس تحرير سلسلة رواد الإصلاح التي صدر منها كتابه رقم (4) الشيخ النائيني مُنظّر الحركة الدستورية الصادرة عن مؤسسة الأعراف في عام 1999.

---

1 - كاتب وباحث، رئيس قسم الفلسفة في جامعة المستنصرية - بغداد

بعد تعرفي على الرفاعي، سـألته عن الغرباوي، فتبين ليَ أنه من أقرب أصـدقائه، بل هو صـديق العمر، وهو من أبناء مدينته "قلعة سـكر"، وقد عاشـوا أيام الأفراح والأتراح معاً، ولربما يكونا هما تؤمان في الفكر.

مرت الأيام والسـنون، وبعد تركي للنشـر لأعوام في الصـحف والمجلات الثقافية، نصـحني أحد الأصـدقاء المقربين بضـرورة نشـر ما أكتب، وبعد تردد، لأنني لا أعتقد بجدوى الكتابة ولا أشـعر بقيمة تأثيرها وفاعليتها بين وفي أوسـاط مجتمعاتنا، إلا أنني رضخت لمطلبه، فنصحني بالنشر في صحيفة المثقف التي تصدر عن مؤسسة المثقف في أستراليا بسدني، فأرسلت بعض المقالات لهذه الصحيفة وبمساعدة صديقي هذا (د. رائد جبار) تم نشـرها في هذه الصـحيفة، ولم أكن أعرف من هو المشـرف على مؤسسة المثقف ولا رئيس تحرير الصحيفة، وبعد مدة من المراسلة وفي حديث جانبي مع رئيس التحرير تبين ليَ أنه "ماجد الغرباوي" الذي أعرفه حق المعرفة ككاتب ومؤلف إسـلامي له توجهاته النقدية التي أبان عنها في كتاباته الأولى، وهو صـديق الرفاعي الذي أكن له كل الإحترام فكراً ومعرفةً، هو رئيس تحرير هذه الصـحيفة الغراء.

كنت قبل ذلك أتحاور مع صـديقي الأطيب "د. صـائب عبدالحميد" المؤرخ المعروف عن كتابات وشـخصـية "ماجد الغرباوي"، فكان يُخبرني بحميمية العلاقة بينهما، وبمقدار ما يمتلكه الغرباوي من فائض الوعي النقدي، وهو ذات الأمر الذي أخبرني به الرفاعي.

وبرسـائل عبر (الماسـنجر)عرفته وعرفني وخبرته وخبرني، عرفت أنه مفكر لا يكل ولا يمل في البحث والتقصـي عن الحقيقة وإن أخرجته عن بعض مُتبنياته العقائدية وفق ظن السـاذجين ممن لم يعرفوه، وخبرته أنه ذو نفس زكية وروح صـوفيه ألقها من ألق العارفين الذين تتجلى لهم المعرفة وفق تجليات الروح وتمظهرات العقل وفق الرؤية الهيجلية، فلا توجد حدود فاصـلة بين تدين عقلي وآخر عرفاني "روحي" إلَا عبر تماهيهما مع الواقع، أي جعل الواقع روحاً ناطقة بتجليات الروح.

حوارتنا لها معنى وتجلٍ عبر توافق وتواصـــل يفصـــل الانطباع المسـَبَق عن رفض وقبول. إنه حوار عن مُشـــتركات العقل الفلســـفي بنزوعه المدني في قبول التعددية والإختلاف والتنوع الثقافي بوصــــفـه من تمظهرات الوعي االمختلف الرافض لمنطق "المطابقة" و"التشـــابه" المغاير للتوتاليتارية الدينية "الشـــمولية" بوجهها الإقصـــائي للكشف عن نزوع لاهوتي مُزيف، ليكتب "مدارات عقائدية" ينقد بها كل هذا الزيف الموروث من الماضـــي أو الذي يكتنف حاضـــرنا، في محاولة منه لتوصـــيف "تحديات العُنف" عبر إستنطاقه وتأويله للنصوص القرآنية، ومحاولة تفسيرها تفسيراً عصرياً ينقد الحركات الإســـلامية "الراديكالية" ونقد فكرتي "الحاكمية" عند الأخوان المســـلمين، و"ولاية الفقيه" عند أحزاب الإســـلام الشـــيعي، وكلاهما وقعا ضـــحية رثاثة التفكير الديني، وخطاب التكفير، وإساءة فهم مفهوم الشهادة، والتعبئة المستمرة ضد الغرب وعدم الفصل بين السياسة الغربية الأنكلوسكسونية وبين الحضارة الأنكلوسكسونية بكل ما فيها من قيمة أخلاقية وعلمية وتقنية. فضـــلاً عن الغباء المفرط والجهل والأمية، والخلط بين المقدس وغير المقدس، وكراهية الحياة، وهجاء الدُنيا، وتمجيد الموت، ونســـيانها وتغييبها عبر الطاعة لرجل الدين حتى وإن كان جهلاً لا يفقه من أمور الدين سوى التباكي وإتقان الإيقاع والنغم الحزين في البُكاء على الحُسين.

في حواراته فيما أسماه "مدارات عقائدية" إخترق الخطوط الحُمر، لينقر على ناقوس التطرف الديني، يُهدي كتابه إلى كل من علمه "أن يكون مُحباً لكُل الأديان والطوائف".

تجاوز الغرباوي في كتابه هذا كل "الخطوط الحُمر" فعلاً لا تجوزاً، فقد تناول بالنقد مفهوم الإنتظار في الفكر الشـــيعي، ومفهوم الخلاص، والشـــفاعة، ونقد فكرة "ولاية الفقيه" والربط بين الولاية والإســـتبداد، ونقد فكرة الخلافة التكوينية في الفكر الشيعي الذي خلص إلى أن الكون كله وضع تحت تصرف النبي والأئمة، رغم أنهم بشـــر، والنبي ذاته يقول "ما أنا إلَا بشـــر مثلكم"، والإمام في الفكر الشـــيعي يؤثر في الكون ويُمكنه التصرف به بإعتباره أحد علله.

لذلك يذهب الغرباوي إلى القول:" لا يُمكننا التصديق بمفاد أي رواية تُخالف القرآن والعقل أو الصحيح من السيرة بدليل قطعي السند والدلالة. كما أن (الممتع عقلاً، لا يُحتمل وقوعه خارجاً، سواء كان الإمتناع ذاتياً، كشريك الباري، أو لعدم تحقق شروطه، كإقتراب النار من الورقة شرط لإحتراقها، أو لطبيعة الشيء وتكوينه، كامتناع صدور المعجزات والخوارق الكونية على يد الإنسان حسب طبيعة تكوينه، وما أكد القرآن وقوعه، يُقتصر فيه على مورده)[1]. فالإنسان بطبيعته لا يُمكنه التصرف بالكون خارج نظامه القانوني، وهي قوانين ذاتية، وليست خارجية، وتختلف ذاتها عن الإرادة البشرية. فإرادة الإنسان ليست قانوناً كقانون العلية والسببية الذي هو ركيزة القوانين وترابطها الذاتي مثلاً.

هو ذا الغرباوي يستفز العقل السكوني والغيبي "المستقيل" ليكشف عن عوراته وهناته الضامرة في طبيعة وجوده.

إنني فرح في التحاور والصداقة مع عقل "إشكالي" مثل عقل "ماجد الغرباوي"، وهو إضافة معرفية ليَ ولكل من يبتغي الخلاص من بديهيات العقل التقديسي والطقوسي.

في حواراته المنشورة في صحيفة "المثقف" تجاوز التابو، وإخترق "الخطوط الحمراء" و "الصفراء" فاختط بقلمه إن لم يكن بروحه بياضاً ينثره على بقايا الألم في عراقنا الملتهب بصرعات التمذهب، ليخترق شفق الصراع المذهبي وغلوّنا الراكس في غياهب عقلنا السكوني "المستقيل"، سُنياً كان أم شيعياً، ليستنطق المسكوت عنه، كي يُخرجه أقحواناً في لوحة التشكيل الفسيفسائي العراقي، ليُعيد إنتاج الهوية الوطنية المفقودة في حواراتنا المتأزمة. وسأشير هنا إلى بعض جوانب فكره.

---

1 - أنظر كتاب: مدارات عقائدية ساخنة، ط2 2018م، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، وأمل الجديدة، دمشق – سوريا، ص 160.

نقد الفهم التراثي للتراث وإشكاليات التجديد

يُعد ماجد الغراباوي أحد الكتاب العراقيين المهتمين بتجديد الفكر الديني. إنشغل بقراءة التراث منذ دراسته للعلوم الإسلامية وانتمائه الآيديولوجي والعقائدي في الدفاع عن التجديد بوصفه إتجاهاً دافع عن قيمة الإجتهاد بوصفه إنفتاحاً في الرؤية ويحمل بين طياته إيماناً بقدرة العقل الإنساني وفاعليته في مقابل النص لا سيما بعد توقف باب الاجتهاد في الفكر السني عند الفقهاء الأربع، الذي إعترض على توقفه جمال الدين الأفغاني في المذاهب الأربع بقولته الشهيرة:"من أوقف باب الإجتهاد، فنحن رجال وهم رجال"؟، يقصد بذلك الأفغاني الفقهاء الأربع "ابن حنبل وأبو حنيفة والشافعي والمالكي"، فهم رجال إجتهدوا، ولكل مجتهد نصيب، ونحن رجال يُمكن لنا أن نجتهد، ولنا نصيب في إجتهادنا، فنحن أيضاً بشر مثلهم منحنا الله عقولاً، لها مقدرة التفقه بعلوم اللغة والفقه والفلسفة، بما يسمح لنا بالإجتهاد، ومعرفة موجباته وشروطه مثلما فهمها الفقهاء الأربع في ضوء فهمهم لعلوم اللغة والفقه وأسباب النزول ومعرفة المحكم والمتشابه من آي الذكر الحكيم. ولأن النص القرآني يُمكن أن يُصاب بأعراض كأي حقيقة من الحقائق -كما يقول مرتضى مطهري- وهو كالماء الذي ينبع من العين الصافية، بُيد أنه يتلوث بمجرد جريانه في الأنهار، بحيث يجب تطهيره وتعقيمه من الملوثات" . وتلك هي مهمة المجتهدين المجددين، مثلما هي مهمة الفلاسفة، لا سيما إبن رشد وهي تنقية فلسفة أرسطو مما علق بها من شوائب الشُراح.

لذلك كان دعوى الغرباوي مبنية على ضرورة تنمية الوعي وعدم تهيب الممنوع، "وإنما يتوغل في الشك حتى يفهم الواقع". متبنياً الدعوة لتبني "الثقافة النقدية" وتجاوز الثقافة المنغلقة التي لا تُفضي إلّا لواقع سلبي يُغيّب الوعي ويُعتّم الرؤية.

تنمية الوعي النقدي عند الغرباوي يتم بطريقين:

1- تنمية وعي رسالي مُتجدد، يستطيع تحدي الممنوع، عبر إعادة تشكيل للوعي داخل فضاء معرفي، بمرجعيات تُجدد فهمها للنص الديني من خلال إدراكها للمستجدات الحياتية والواقع المتغير بككل ديناميكيته وحيويته.

2- عدم التسليم بالفهم الساذج للخطاب الديني الذي يستغل عواطف الناس ويلعب على وتر الوجدان، لتغييب عقل الإنسان ووعيه.

يكمن تحقيق هذين الهدفين بقراءة التراث عند الغرباوي قراءة تاريخانية بعبارة عبد الله العروي وتجاوز "الفهم التراثي للتراث" بعبارة محمد عابد الجابري والقطيعة مع هذا الفهم للتراث، لا لرفضه، بل لإعادة الوصل به عبر فهم وظيفته اليديولوجية تاريخياً، كي نُعيد وصله بحاضرنا بما يُمكننا من توظيفه لتطوير مستقبلنا.

فالأمة تحتاج لخطاب ثقافي منفتح لا يتكور فيها الإنسان حول فهمه الترثي المؤطر بحمولة الماضي فقط بوصفه الخطاب الوحيد الناجع لحل مشكل "النهضة. لذلك ينبغي لنا الإنفتاح على كل الخطابات المغايرة، لأن خطاب الآخر المختلف، هو عين أخرى تُرينا عيوبنا التي ترفض أعيننا رؤياها، ومن عيوبنا توالد المقدس وتوليده المستمر في منظومتنا الدينية والاجتماعية الذي عطل هو الآخر كثير ممارساتنا الثقافية والنقدية التي يتوقف عليها تطورنا الحضاري والفكري وحتى الديني، فـ "الذات عينها كآخر" بعبارة بول ريكور.

لذلك يحاول الغرباوي الخروج من التصنيف التقليدي للمفكرين العرب، المغتربين زمانياً والمنزوين في غرف "التراث" أو الماضي، أو المغتربين مكانياً، من "المتفرنجين" بعبارة علي الوردي المقلدين لثقافة الغرب، يسيرون معها تابعين، يحذون حذوها "حذو النعل بالنعل" بعبارة ابن سبعين في نقده لإبن رشد في إتباعه لأرسطو.

النص وسؤال الحقيقة.. قراءة تحليلة

النص من نتاج مُبدعه، إن كان مُبدعه بشر مثلنا أو ما أوحى به المبدع الأول لرُسله وأنبيائه، وسؤال الحقيقة هو سؤال الفلسفة في سعيها للبحث عن الحقيقة الضامرة خلف الوجود، أو في ميتا النص القُدسي، بل وحتى ميتا النص الابداعي للبشر.

في كتاب ماجد الغرباوي "النص وســـؤال الحقيقة"[1] جرأة قلَ نظيرها في البحث عن (المســكوت عنه) في تراثنا الإســلامي وتماهينا مع تفســيراته (الدوغمائية) وكأنها سُبل النجاة وسفينتها.

لا أدري لماذا يُحيلني الغرباوي في كتاباته ومنها كتابه هذا إلى تذكر كتابات (نصر حامد أبو زيد) لا سيما في كتابه (النص، السلطة، الحقيقة)، لربما لأنهما يشتركان في ذات الهم، ففي كتاب (أبو زيد) إشـــتغال على نقد القراءة الأيديولوجية (العقائدية) للتراث، وذات الهم في كتابات الغرباوي، وفي كتاب (أبو زيد) نزوع نحو تبني النزعة التاريخية، وكما عرفها أبو زيد أنها "تعني الحدوث في الزمن، حتى لو كان هذا الزمن هو لحظة إفتتاح الزمن وابتدائه، إنها لحظة الفصل والتمييز بين الوجود المطلق المتعالي - الوجود الإلهي ــ والوجود المشروط الزماني، وإذا كان الفعل الإلهي الأول ــ فعل إيجاد العالم ــ هو افتتاح الزمان فإن كل الأفعال التي تلت هذا الفعل الافتتاحي تظل أفعالاً تاريخية، بحكم أنها تحققت في الزمن والتاريخ، وكل ما هو ناتج عن هذه الأفعال الإلهية "مُحدث" بمعنى أنه حدث في لحظة من لحظات التاريخ"[2].

اشتغل الغرباوي على النص ومُشكلات السياق، وكذا الحال مع (أبو زيد)، فقد حاول الغرباوي الكشـــف عن الدال في النص الذي ظل يُســتخدم في حقله الدلالي واللغوي الأصـلي و"التاريخاني" بعبارة عبدالله العروي من دون المسـاس به، وكأنه نص لا يقبل التأويل، أو من غير المسموح لنا تأويله!.

شـــارك الغرباوي علي حرب في تمييزه بين النص والخطاب، فالنص بحســب علي حرب "لا يحمل دلالته في ذاته دلالة جاهزة ونهائية، بل هو فضـــاء دلالي، وإمكان تأويلي، ولذا، فهو لا ينفصل عن قارئه"[3].

---

1 - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة.. نقد مرجعيات التفكير الديني، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا وأمل الجديدة، دمشق – سوريا، 2018م..

2 - نصـــر حامد أبو زيد: النص، الســـلطة، الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت ــــ لبنان، ط1، 1995، ص71.

3 - حرب، علي، نقد الحقيقة، 1995م، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ص 9.

"النص ــ بعبارة علي حرب ــ ينص على المعنى الجوهري الأصلي"[1]، و"الخطاب حجاب"[2] لأن "الخطاب يُمارس بطبيعته حجباً للواقع"[3].

كتب الغرباوي في نقد مرجعيات الفكر الديني في مُحاولة منه للعب على (المسكوت عنه) وكأنه لاعب سيرك يمشي على حبل شبيه بالأعراف، ألا وهو الخيط الرفيع الذي يمشي عليه بعض السالكين بين الجنة والنار، فم يُتقن منهم اللعب سيعبر ليكون من أهل الجنة.

مثل ماجد سينجو ونحن القراء الفقراء (المشاهدين) نلحظ مهارته وقلوبنا تدق وكل منا يُخاطب نفسه بالقول: إنه سيقع، وحينما ينتهي العرض نجد أن الغرباوي سار على الحبل ولم يقع.

ربما يُنتقد وتلك من ميزات الكتابة المميزة إن كان صاحبها مُتمكن من أدواته، ولا أظن أن هُناك من يختلف معي من الذين قرأوا كتابات الغرباوي فيقول غير ما أقول في أن الغرباوي ماهر في نقده وغوصه في مرجعيات الفكر الديني التي هي في الأصل مرجعياته.

يبحث الغرباوي في مقاصد الدين وغاياته، وينتقد توظيفه الرجعي (الآثم) وما يعيشه دعاة هذا التوظيف من العيش فيما أسماه الغرباوي "أوهام الحقيقة".

رغم أن الغرباوي يعترف بـ "أن لكل نص سلطته" إلَا أننا نجده مُتمرداً لا يرتكن لسلطة نصية بقدر ما يرتكن لسلطة العقل.

عودته للنص بوصفه نتاج معرفي يستمد منه رؤيته لفهم جديد يُقوض الفهم القديم أو السائد، لذا نجده لا يهمل النص حينما يؤسس الآخرون لهم سلطة يدعون أنها من أصل من أصول وجود النص.

---

1 - المصدر نفسه، ص 24.

2 - حرب، علي، نقد النص، 1995م، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ص 8.

3 - المصدر نفسه، ص 13.

لم يكن الغرباوي ســوى قارئ للنص أو مُتلق يعي ما يقرأ، فضــلاً عن وعيه بحيثيات نشوء النص وشروحه وهوامشه، لذا نجده يكتب في نقد النص بوصفه مُتلق واع يعرف أن قيمة النص تزداد أو تنقص بمقدار ثقافة ووعي قارئه.

إن كل فهم إرتكاسي أو نكوصي للنص إنما هو نابع من ثقافة القارئ (المتلقي) وبيئته، وكذا الحال مع القارئ المتلقي (التقدمي) وهنا نقصــد بهذا المفهوم هو مقدار ما يمتلك القارئ من شــغف في القراءة وقبول التنوع والإختلاف الفكري والعقائدي بوصفه إضافة معرفية لما تختزنه الأنا.

يُميز الغرباوي بين النص والخطاب، فالنص عنده "مُغلق على منطوقه مهما بلغ من ثراء في مداليله"[1].

"وأما الخطاب، فمُتحرر نسـبياً بما تقتضـيه تقنيته، لكنه مُغلق حول رسـالته، لا يُمكنه التلاعب بها، بل تقتصر مهمته على إقناع المتلقي وترسيخ إيمانه"[2].

وهنا نجد أن الغرباوي يرى أن مهمة الخطاب هي مهمة رسـالية أو عقائدية، بل وحتى أيديولوجية، وينبغي لمن يؤمن رسـالية الفكرة تصـديرها والدفاع عنها لا نقدها وتحليلها.

أما النص فهو كما صرح بذلك من قبل أستاذنا حُسام الدين الآلوسي أنه نص (اســتاتيكي) وكل ما فيه من حيوية و "ديناميكية" إنما تأتيه من القارئ أو المتلقي، فإن كان ذلك القارئ ذا ميول "دوغمائي" ستجد أن النص مُقفل لا مساحة فيه ولا قبول لكل مُختف أو مُغاير، ولكن إن كان القارئ (المتلقي) يعيش في مُجتمع مدني ويمتلك ثقافة فيها قبول للآخر فســتجد يفك إنغلاقية النص ليجعله ناطقاً بالمحبة والمودة والدعوة للتسامح والتعارف.

---

1 - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة.. مصدر سابق، ص 24..

2 - المصدر نفسه.

لا يدعو الغرباوي لنقد النص لأنه يرى أن النص القدسي عصي على النقد، ولكنه يدعو للكشف عن ثراء المعنى الظاهر للنص أو الكامن فيه.

حاول الغرباوي في كتابه هذا الدفاع عن حرية المعتقد، ونقد الفهم الفقهي القاصر للنص.

يرى الغرباوي أن سبب ما نعيش فيه من بؤس وتخلف ثقافي وفكري إنما هو نابع من "إمعان المذاهب الإسلامية في تشويه معالم الدين".

إن الدين برأيه له حقيقة واحدة، ولكن سُبل الوصول لها تتعدد بعدد أنفاس الخلائق كما يقول ابن عربي.

لا يختلف الخطاب الديني عن الخطاب الطائفي أو المذهبي، لأن في طبيعة التكوين فيهما نفي واقصاء للآخر، والخطاب الديني ليس الدين، بل هو فهم الدين كما يرى (عبدالكريم سروش).

في باب الكتاب الثاني (النص والحقيقة) أحالني الغرباوي لكتابات علي حرب "نقد النص" و "نقد الحقيقة" ولا أدعي تطابقهما بقدر ما أرى تناغمها وإنسجامهما في تبني لازمة أثيرة في سمفونية النقد للنص والإنشغال في "سؤال الحقيقة".

فالغرباي يرى في الخطاب نزوع نحو تبني موقف عقائدي أو أيديولوجي ما والدفاع عنه والترويج له، فالخطاب فيه استحضار وتغييب، والنص أداة بيد من يرم استحضار أو تغييب.

يبحث الغرباوي في نص القرآن عن آيات بينات تدعونا للتعقل وتبني الإيمان وفق منطق عقلي برهاني، والجميل البهي في كتابه هذا أنه لم ينشغل بأقوال الصوفية والعُرفاء وصيغ كتاباتهم الإنشائية بقدر ما كان مُنشغلاً باثبات عقلانية النص الديني، أو ما قال عنه بأن "القرآن يطمح لإيمان برهاني"، ولا تقدير عندي لمقصده لأنني أعرف أن خطاب القرآن فيه مقبولية لمن آمن على الفطرة أو آمن وفق مُقتضيات الخطاب الجدلي، وهناك بعض من البشر خصهم القرآن بقولة "الراسخون في العلم" وربما يكون هؤلاء هم الفقهاء، أو ربما يكون الصوفية وبلحاظ الآية "وإدعو إلى سبيل

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" ومن يدعو لسبيل ربه بالحكمة هم الفلاسفة، وربما يكونوا هم من قصدهم النص.

"الناقد هو الوحيد القادر على تحدي النص في مراوغته"، والمراوغة يعني بها الغرباوي "مراوغات الخطاب الديني" و "تزوير الوعي"[1].

الإيمان خطاب عاطفي بحسب ما يرى الغرباوي، ومهمة "القراءة التأويلية" هي الحفر في "اللامُفكر فيه" ونقد ما أسماه الغرباوي "قبليات الوعي التراثي" وتجاوز تداعيات "المهيمن الرمزي" الذي ظل عقلنا يستكين لمعطياته، وأظن أن في رؤيته هذه توظيف لمفهوم (بورديو) (الرأس مال الرمزي)، أو الإفادة من توظيف أركون لمقولات (بورديو).

"إن أزمتنا الحضارية أزمة عقل أولاً، فنحتاج لتفكيكه واعادة تشكيله وفق مبادئ ومناهج مُنتجة للمعرفة والقيم الحضارية".

كان جرأة الغرباوي في تفكيكه وتحليله وهو الخبير بمُضمرات النص وتفسيراته الفقهية تتجاوز في جراءتها بعض من أطروحات المناهضين لسلطة النص والقبول بنزعته التسليمية.

في كتاب الغرباوي هذا كشف وتعرية للخطاب بوصفه "وعي زائف" بعبارة الماركسيين، ليحفر في (المسكوت عنه) في النص بوصفه (بنية معرفية) همهما نقد الوعي السائد للانتصار للوعي العقلاني المضمر الذي لا تروم تفاسير المفسرين الكشف عنه، ولا فقهاء الأزمان المتعاقبة يرغبون بذلك.

من ميزات نتاج الغرباوي (العقلنة)، ونقصد بالعقلنة هنا هي محاولة الغرباوي مُقاربة النص مع الواقع، أو (التفسير الواقعي للنص) للخلاص من يقينيات التفسير الفقهي للنص.

---

1 - المصدر نفسه، ص 77.

ســؤال الحقيقة هو ســؤال الفلســفة التاريخي، ولكن هل تمت الإجابة عنه؟، بالتأكيد ستكون إجابتنا (كلا)، لأن في حال وجود إجابة يقتنع بها البعض سيتحول سؤال الحقيقة من كونه سؤال معرفي ليصير جواب لتفسير نزوع أيديولوجي، وذلك ما يبغيه الغرباوي.

كان جُل هم الغرباوي في كتابه هذا هو مُلاحقة ســؤال الحقيقة وتشــريح استفهاماته، كي لا تضيع في راكد القول، بقدر ما يُصيره أسئلة أخرى تستفز العقل النقدي وتفضح مراوغات النص.

رغم أن الغرباوي يرتكن بكتابه هذا لدحض الحجة بالحجة العقليق، وهو كتب في في تعلم طُرق (الحجاج)، إلَا أنه يرغب بأن يكون قوله شبيه برمية هدَاف في مرمى الخصم.

الخصم عنده ليس هو الحكم، لأنه يُفكك مقولات الفكر الديني بوصفه حكماً لاخصــماً، فهو من نمت معرفته داخل فضــاء هذا الفكر، ولا زال يعشــقه ويرغب بالانتماء له، وإن صــنفه من لا يفقه بأنه خارج عن النســق الموروث في تبني المعتقد والدفاع عن مذهب.

ميزة الغرباوي أنه لا يخشى نقد ما سُميَ بـــ "الخطوط الحمراء"، فهو يشتغل في الكشف والتعرية لخطاباتها لا لأنه يروم الكشف عن زيفها الضامر في أقوال وكتابات أصــحابها، بل لأنه مُحب للحكمة، لذلك نجده يهيم في نقد الوعي (اللاتاريخي) السائد في فهم المقدس سعياً منه لتصحيح مسار (المعرفة الدينية) وتجاوز أسطرته في المخيال (الشعبوي) والتغني بـــ (اللامعقول الديني) لجعله مُنساباً ومُتسقاً مع الفهم (التاريخي) للنص في زمانيته ومكانيته.

لم يكن كما ظن بعض مُنتقدي الغرباوي أنه يبغي التقليل من قيمة المقدس والديني في الإســلام (السُــني أو الشــيعي) اللذن نالا حظهما من نقد (الغلو) في دفاعهما الأعمى عن مُتبنيات يرتكنون إليه من دون دليل عقلي.

في كتابات الغرباوي جرأة المفكر والكاتب الحُر الناقد للتمذهب بكل توجهاته المؤسـطرة والمؤطرة، إسـلامية كانت أم دينية مُغايرة، لأنه يرى أن جُلَ من يدَعون التدين لا يهمهم دين الله بقدر ما تهمهم مذاهبهم.

ما يخلص له الغرباوي في كتابه (النص وسـؤال الحقيقة) هو أن كُل مُتبنيات التفسير الفقهي للدين إنما هي من مُتبنيات الفُقهاء، فلم يكن مُحمداً سوى بشر (وما أنا إلَا بشر مثلكم)، فكفى بنا فقداً لأنسنتنا ورمي أنفسنا ببراثن الجهل والأسطرة، ولنكف ولو قليلاً عن خُرافاتنا وإمعاننا في تجهيل من لا يعرف مضامين (النَص).

لينتهي بنا أن سـؤال الحقيقة محاولة للتنشـيط الفكر لا الاتيان بأجوبة جاهزة (مُعلبة)، وسيبق سؤال الحقيقة من مرامي من ينحو نحو الفلسفة، ولكن هذا لا يعني أن من ينحو نحو الإيمان أن يتخلى عن مسـاعي (النَص) في التماهي مع العقل وموافقته، وإن كان الإيمان أمراً شخصياً، فلا يعني ذلك تخلي العقل النقدي عن سعيه في كشف وتعرية المقول التسليمي المؤسطر (الخارج نصي) كما يفهمه دُعاة العقيدة من الذين لايقبلون سـوى بتقبل النقل كما يراه من وثقوا به من أصـحاب الدراية والرواية.

إنه استقالة العقل التي لا تنسجم وسؤال الحقيقة الذي يرنو للكشف عن زيف الخطاب ومراوغته في تجميل القول لخداع الآخرين من الذين لا يفقهون البنية اللغوية والحجاجية، بل وحتى البرهانية للنَص.

من رسل الوعي الإنساني المفكر العراقي ماجد الغرباوي

بقلم: أ.د. عبد الباسط سلامه هيكل[1]

حاول المفكر العراقي ماجد الغرباوي، مدفوعا من حبّه لوطنه العراق، الحفر في البنى الفكرية والمعرفية لعدوانية المرء تجاه الآخر، أيا كان الآخر داخليا أم خارجيا، فشعور الكاتب بالمسؤولية تطلّب منه قدرا كبيرا من الصراحة والمكاشفة والتعرية الحقيقية للقيم السائدة والمفاهيم الحاكمة، متجنبا الحلول الترقيعية التي تعتمد على التستر والمدارة والخوف من المواجهة فلا تنتهي إلى نتيجة جذرية، فالعراق كدولة يحتاج للنهوض إلى نسق فكري يقبل حالة التعدد التي لابد منها، إذ أنّ المجتمع العراقي متعدد الأديان والمذاهب والقوميات: فهناك المسيحي والصابئي واليزيدي، والشيعي والسني والعربي والكردي والتركماني بالإضافة إلى اختلاف الثقافات والأفكار والاتجاهات السياسية..

وسواء أكان الإنسانُ عدوانيًا بطبعه كما يرى هوبز، أو مدنيا بطبعه كما يرى غيرُه، فلا يُمكنه أنْ يعيشَ بعيدا عن تكوين اجتماعي يعترف أفراده بحقوق متبادلة، لا يمنّ فيها طرف على آخر، فلا يُوجد استحقاقية لدى الأكثرية تتفوق بها على الأقليات في الحقوق الأساسية.. غير أن المجتمع يُدير حركته، ويُحدد اتجاهاته، نسقٌ قيمي وأخلاقي يرتكز على مجموعة من القيم السلبية الموروثة من عصبية ورفض وإقصاء للآخر، وتُشرّع للعنف، ولا بديل لمواجهتها إلا بنسق قيمي وأخلاقي يرتكز على إحلال "التسامح" في ثقافة وعقل وسلوك المجتمع وتخفيف منابع اللا تسامح من التعصب والعنف والولاء المحدود للجماعة والقبيلة على حساب المجتمع والدولة، لا

[1] – باحث وأكاديمي مصري، متخصص في تحليل بنية الخطاب الدين، أستاذ علوم العربية والإسلامية جامعة الأزهر بالقاهرة

بديل عن اجتثاث القمع والتّطرف من أجل بناء مجتمع يُمكنه استيعاب التّناقضات والتّقاطعات الحادّة بين الأديان والمذاهب والقوميات..

وعندما نتحدث عن التّسامح فنحن أمام مدلولين: مدلول لغوي اجترّ عبر تاريخنا مشتق من السماحة بمعني الجُود، وفي "الجُود" يُوجد طرفان: يدٌ عليا واهبة، ويدٌ سفلى متلقية، فالتسامح بالمدلول اللغوي يُشير إلى وجود فارق اجتماعي بين متسامِح (بالكسر) ومتسامَح معه (بالفتح)، فليس هناك مساواة بين الطرفين، فالتسامح لا ينفك عن المنّة والكرم في المدلول اللغوي، ولم نُطوّر مفهوما ثانيا للتسامح؛ لأننا نستدعي تُراثا تراكميا يُعبر عن فكر واحد نتوحد معه، ولا نتنقل بين أنماط متنوعة من التراث على نحو يُمكنه أن يُطوّر من أفكارنا..

في المقابل طوّر الدّرس الفلسفيّ مدلولا ثانيا للتسامح تقوم عليه المجتمعات المدنية المعاصرة، فلم يعد التّسامح مقصورا على مدلوله اللغوي في العربية أو الإنجليزية "Toleration"، فليس موقفا فرديا اختياريا يتنازلُ فيه شخص عن حقٍّ من حقوقه تكرما ومِنّة على الآخرين، وإنما أصبح واجبا تفرضه الحرية الشخصية التي يُراد لها أن تكون متساوية بين الجميع، فالتسامح الذي نُريد له أن يسود في مجتمعاتنا العربية هو موقف إيجابي متفهم لتعدد وتنوع الأفكار والعقائد والمذاهب والثقافات، فيسمح بالتعايش مع المختلف بعيدا عن العنف الإقصاء..

التسامح بهذا المفهوم أحد قيم المجتمع المدني، فلا يُمكننا أن نتصوّر مجتمعا مدنيا دون تسامح، ولا تسامح دون مجتمع مدني كصيغة استيعابية للتنوع الديني والمذهبي والعِرقي للمجتمع في الدولة المعاصرة، وكصيغة يُمكنها تحقيق طموحات الجميع في حقوق متساوية، ونزع فتيل التوتر والصراع.

فدوما مقابل "الذات" أو "الأنا" الدينية، أو العِرقية أو العُرفية، أو الثقافية، يأتي الآخر، فإذا كانت "ذات الشيء دلالته على نفسه وعلى عينه، والذاتيّ لكل شيء ما يخصّه، وما يُميّزه عن جميع ما عداه".[1] ففي الجانب المقابل يُوجَد دوما "الآخَر" بما

(1) التعريفات، ص٥٧.

يحمله من غيرية مختلفة عمّا عليه الذات/الأنا، ولا يُمكننا تجلية الأنا/الذات، والتعرف عليها إلا بوجود آخر مختلف ومغاير لها؛ لذا قيل على لسان أحدهم: "حدد ذاتك يتحدد الآخر".

فالقيم التي تحمي الآخر، وفي مقدمتها التسامح نحتاجها جميعا بما أنّه كل منا هو الآخر لغيره، فكلّ منّا يُمثل الأنا والآخر في الوقت نفسه، فهو بالنسبة لذاته "الأنا"، وبالنسبة لغيره "الآخر"، ويمكننا القول إنّ الآخر يتعدد، ويتنوع بتعدد، وتنوع دوائر مستويات الأنا والذات، فينجم عن ذلك وجود آخر ديني، ومذهبي، وقومي وعُرفي، وجغرافي، واجتماعي، وسياسي، فيختلف الآخر من دائرة إلى أخرى، فالموقع الذي يحدده الفرد أو المجتمع لنفسه هو بدوره الذي يحدد الآخر القريب أو البعيد،[1] فلا بديل عن قبول التعددية على مختلف المستويات..

وإذا كان لا يُمكن لنباتٍ أن يعيش منفصلا معلقا في الهواء بلا جذور، فكذلك التسامح لا يُتصور أن يُوجد في ثقافتنا منفصلا عن شجرة أخلاقية وقيمية، فالتسامح حتّى يعيش يحتاج إلى نسق أخلاقي وفكري واجتماعي، "فالتسامح ليس مجرد مفهوم يُراد استنباته ضمن النسق القيمي للمجتمع، وإنما هو نسق ثقافي وفكري وعقيدي مغاير، له آليته في العمل وأسلوبه في التأثير، ومنهجه في التفكير، وطريقته في الاشتغال. فلا يمكن سيادة قيم التسامح ما لم تكتمل جميع مقدماته أي أن التسامح يقوم على سلسلة عمليات فكرية وثقافية يخضع لها الفرد والمجتمع كي يعمل بشكل صحيح ومؤثر".[2]

التسامح لا ينفصل عن نسق كلي من مفاهيم التعددية وحقوق الإنسان والمواطنة والحرية الدينية والفكرية.. والتسامح هنا ليس هو التسامح الديني فحسب رغم

---

(1) ينظر: محمد محفوظ، الآخر وحقوق المواطنة، الرياض، مركز الراية للتنمية الفكرية، يناير ٢٠٠٦م، ص١٥.

(2) ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح، ص١٦.

مركزيته، وإنما التسامح بمفهومه العام الذي يشمل التسامح السياسي والاجتماعي والديني.

ويؤكد الغرباوي أنه لا يتعارض النسق الأخلاقي القيمي الذي يضم التسامح مع الدين، وإنما يتعارض مع قراءات للدين، فالإشكالية ليست في المقدس لكن في فكر ديني ادّعى أنّه المقدس، فعلى الرغم من أن التسامح مفهوم إسلامي غني في دلالاته غير أن القراءات المبتسرة للدين ونصوص الذكر الحكيم صوّرت التسامح مخلوقا لا إسلاميا، أو مفهوما مستوردا للإطاحة بقيم الدين الحنيف، وهي قراءات تشبث بها دعاة العنف والاحتراب، ممن اختزلوا القرآن في بضع آيات نزلت في ظلّ ظرف خاص، بينما أهملوا مصفوفات قرآنية كثيرة تدعو إلى المحبة والوئام، ونبذ العنف والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة..

التسامح والتعددية ليست غريبة في روحها عن الدين، فالذي يحول دون التسامح ليس الدين وإنما قراءات أحادية تستدعي موروث ثقافي وتاريخي واجتهادات شخصية أُدمجت في بنية المقدس، فتوارث جيل بعد جيل تقاليد وأعراف لم ينجحوا في التخلص منها؛ لتسللها تحت جلد المقدس، ولسلطان التقليد المسيطر على العقل الجمعي الذي لا يُميز بين التقليد الديني والتقليد الدخيل على الدين، وهذا يتطلب منّا أن نُعيد هذا الدخيل إلى سياقاته كنتاج إنساني حول النصوص المقدسة، من خلال عملية معرفية انتقالية نستفيد فيها من المناهج العلمية في الاجتماع واللغة والنفس وسائر الدراسات الإنسانية، حينها سنجد أنفسنا أمام آفاق رحبة لتقبّل القيم الإنسانية.

وفي محاولة منه لتفكيك النسق الفكري المسيطر على العقل العربي للكشف عن منابع العنف والتعصب في ثقافتنا التي تجعل التسامح غير فاعل ولا مُؤثر في مجتمعاتنا العربية نُلخص أبرز العقبات والتحديات فيما يلي:

أولها: منطق الغلبة والاستحواذ التي عرفتها تجمعات الإنسان الأول، فحيث تندر الموارد يكثر السطو والنهب والسلب والغدر والاعتداء، فالارتداد للبدائية مرتهن بالاحتكام إلى منطق العنف، وعلى النقيض يعكس التسامح تمدن وتحضر المجتمعات

القائم على الاحتكام للقانون.. فلا يمكن أن يصير المجتمع متحضرا يحترم القانون ويعترف بالآخر بينما العنف متفشٍ فيه.

ثانيها: تجميل التاريخ، وتقديمه في صورة مثالية، والتوحد معه والاحتماء به، وجعل العنف الذي انطوى عليه ليس مجالا للدراسة النقدية التي من شأنها أن تُساعدنا في اتخاذ مواقف أكثر نضجا في الحاضر..

ثالثها: الاستبداد السياسي، فكما تُعاني مجتمعاتنا من دعاة امتلاك الصوابية الدينية التي تكفر المخالف فإن مجتمعاتنا تُعاني كذلك من ساسة يدعون امتلاك الصوابية السياسية التي تُخوّن المعارض، فالاستبداد السياسي الرافض للآخر خصم حقيقي للتسامح، الذي يعتبر الاعتراف بحقوق الآخر جوهر التسامح الديني والسياسي والاجتماعي، وهذا النّبذ للمغاير ليس قاصرا على الآخر السياسي، لكن له وجود داخل الأسرة والعائلة والحي، داخل قاعة الدّرس، يظهر الرفض في احتكار المختلف وإرهابه وعزله وتهميشه انتهاء بقهره وسحقه.

رابعها: الاحتكار المزعوم للحقيقة وطرق الوصول إليها يُوسس للمواقف العدائية والخصومات الطائفية.. فمن المقاربات التي تدفع نحو التسامح إعادة النظر في علاقتنا بالحقيقة، والأقرب للتجربة الإيمانية القائمة على اليقين ألا ننظر لها من زاوية تحويل المطلق إلى نسبي محتمل في جميع الأطراف، وإنما القول بأنّ الحقيقة المطلقة واحدة وتجارب الإنسان في السعي إليها متعددة، فتتعدد التجارب الدينية الساعية للوصول إلى الحقيقة المطلقة، "فالحق في ذاته واحد، ولكن القدرة البشرية على بُلوغه متنوعة، وبالتالي مقاربة الحق متنوعة، مما يعني تعددية الرؤى والمذاهب ضمن الدين نفسه" فمثل هذا الطرح يسلب جميع الأطراف احتكارهم للحقيقة، الذي على أساسه تتشكل المواقف العدائية والخصومات الطائفية.

خامسها: الولاء للجماعة الدينية أو العِرقية، وما يصحبها من حِدّة المشاعر، وتطرفها حبا وكرها، فبدافع من الانحياز عاطفي يُشيطن المخالف، ويُرفع المماثل إلى مستوى الملائكة، فيصعب من مجتمع يغلب عليه هذا النوع من المشاعر الحادة أن يكون مجتمعا متسامحا، يعترف بالخطأ، ويُعيد ترتيب أفكاره من جديد، يتقبل التنوع

والاختلاف بلا قلق ولا هجوم، فالعاطفة متوهجة من الحب أو الكراهية تحول دون العقلانية، فالتسامح ألّا نقمع الآراء التي لا نُوافق عليها، ونحن في الوقت نفسه لا نُحب أو نُؤيد أو نُشجع هذا الآراء..

سادسها: منظومة القيم السائدة التي تتقاسمها العشيرة والدين والموروثات الشعبية، ولا يستند بعضها إلى مبدأ عقلي أو شرعي أو قانوني، فأكثر القيم الاجتماعية وليدة تراكمات اجتماعية واقتصادية وسياسية، تجذرت بسبب التخلف وبدائية الوعي، فالاجتماع صنع القيم السائدة ثم تناسى أنّه من صنعها، فصيّر الإنسان أسيرا لها لا يستطيع التّحرر منها.

فعندما ترتكز قيم المجتمع على العنف في تسوية الخلافات وانتزاع الحقوق، فإن الاحتكام إلى العقل والتسامح من قبل بعض الأفراد يصبح جبنا وعارا، وعندما يسود حالة من التمييز بين الرجل والمرأة يكون من المقبول اجتماعيا أن تسود نظرة دونية مثقلة بالشكوك وعدم الثقة تجاه المرأة؛ لذا يُفترض تفكيك أنساق المنظومة القيمية القديمة السائدة بشكل يجعلها تستجيب لنسق قيمي جديد يقوم على التسامح.

فليس العنف فعلا خارجيا فحسب، وإنما عقل وخطاب وثقافة، فالتحول إلى اللاعنف يحتاج إلى تحول في مفاهيم القيم بحيث يرتكز الشعب على العقل والتفكير بدلا من اللجوء إلى العنف والقوة، فالتفكير في مقابل التكفير، والتسامح في مقابل التعصب، وقبول الآخر دون رفضه، وتحلّ التضحية بدلا من الأنانية، وهنا تترسخ تترسّخ قيمة الإنسان بوصفها أهم القيم الاجتماعية، فالفرد قيمته مستمدة من كونه إنسانا، وليس من انتمائه لقبيلة، أو جماعة، فمناط التّكريم أنّه إنسان قبل كل شيء "ولقد كرّمنا بني آدم"، وعلى حد تعبير كارل روجرز: "لا يُوجد وحش في الإنسان، الإنسان به إنسان" إطلاقه سيُقود بالضرورة إلى النسق التسامحي مستفيدا من تراكم خبرته بالصراعات والحروب وما تُخلّفه من ويلات.

سابعها: التعصب فهو تارة نتيجة عن العنف وتارة سبب في العنف إذ يُغْرِي الإنسان بممارسة العنف في فرض آرائه، وإذا كان التعصب حاضرا في تكويننا الاجتماعي لامحالة فنحن في حاجة إلى تفريغه من الشحنات السلبية؛ ليُصبح حاملا

لقيم جديدة يتعصــب فيها الفرد لصــالح القانون واحترام النظام وتبني قيم التســامح والمحبة والوئام.

ثامنها: التطرف الديني "أحد أخطر منابع اللاتســامح، لتلبســه ببعد شــرعي، وتوظيفه للنص الديني، وسرعة تصديقه من قبل الناس، وقدرته على التخفي والتستر تحت غطاء الشــريعة والواجب والجهاد والعمل الصــالح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فالوعي الديني يُعاني من التباس الإلهي بالبشري عبر فتاوى وأحكام اجتهادية نسبية تسوّق على أنها تشريعات إلهية، تسلب الفرد حريته وإرادته عندما تفرض عليه قبليات المجتهد، سواء كانت عقدية أم أخلاقية، وتفرض عليه مواقف يلتزم بها بدوافع دينية، مهما تعارضت مع قيمه الإنسـانية. ولعل الموقف من الآخر المختلف، بما فيه المختلف الداخلي أوضــح المصــاديق. يعيش معها الفرد حالة اغتراب عن طبيعته الإنســانية، فيحســب تصــرفه تكليفا شــرعيا قربة لله لتفادي تأنيب الضــمير وقمع شــكوك الحقيقة، وهي تُدوي في أرجائه. فنقد آليات وأدوات ومرجعيات ومباني الفقيه، مهمة أخلاقية لاستعادة الوعي، كخطوة أولى للنهوض الحضاري. والاجتهاد أحد المصــطلحات الفقهية الخطيرة ارتفع به الخطاب الديني حد الاصــطفاء الإلهي بعيدا عن حقيقته وأســاليبه في تزوير الوعي بل وتشـويه القيم الدينية الأصـيلة عندما يُقحم الناس في صـراعات عقدية وسياسـية تحت عناوين طائفية وأيديولوجية، ويعتبر فتاواه وأحكامه ملزمة لأتباعه، ومبرئة للذمة".[1]

أخيرا، إذا لم تَسُدْ قيم التسامح وتُصبح فاعلة على المستوى الفردي والاجتماعي، سـتبقى أسـباب الانفجار كامنة، تتحين الفرص لتطفو على شـكل موجات عنف متلاحقة تُطيح بكل ما هو جميل في الحياة، وليس الحلّ في المواجهات الأمنية فحسب التي ينتج عنها اختفاء العنف كفعل خارجي لكنه يبقى يُمارس سُلطته على الصعيدين الفكري والثقافي ويتجلى سلوكا وأخلاقا ومنهجا، وهو أشـد خطورة رغم تســتره.. الحلّ في ثقافة نقدية قادرة على النفوذ إلى أعماق اللاوعي لتفكيك البنى

---

(1) ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح، ص٧٦.

المعرفية القديمة وتأهيلها لاســـتقبال نمط فكري وثقافي جديد يعمل في إطار قيم التسـامح.. كي نُواجه خطابا متطرفا منحازا لذاته، لا يرى إلا نفسـه، يتعين علينا أن نُعزّز من سُـبل التعريف بالآخر في برامجنا التعليمية والثقافية، فمن المؤسـف أن الثقافة الإسلامية المعاصرة تعرّضت لاختطاف من جماعات التمايز بالإسلام عن المسلمين، فأمسينا في حاجة إلى التأكيد على المسلمات، وترديدها؛ حتّى يتمّ إدماجها في الوعي الجمعي مرة أخرى، ومنها: مقومات التســامح من حقوق المواطنة وســيادة القانون وإطلاق الحريات العامة وحمايتها أهمية التعرّف على الآخر، وقبوله، والاعتراف به.. فلسـنا أمام اختيار، بل ضـرورة لا غنى عنها لمنع التباعد، والاحتراب، وتحقيق التنمية المســتدامة التي يحلم بها الجميع، وهذا يتطلب تذليل العقبات التي تعترض طريق التعايش، واستمزاج الآراء؛ لتكوين تصـوّر عام يسـاعد على التقارب وتجسـير الفجوة بين أصحاب.

ماجد الغرباوي
نقد وتجديد التفكير الديني في كتاب النص وسؤال الحقيقة

بقلم: أ.د. رائد جبار كاظم[1]

تعيش المجتمعات العربية والاسلامية المعاصرة حالة من الجمود والتخلف والركود الفكري والعلمي والمعرفي، الا ما ندر من صيحات تجديدية تنويرية بسيطة هنا وهناك. واذا وجدنا بعضاً من مجتمعاتنا تمارس االتحديث في مجالات الحياة اليومية والبيت والمؤسسة فان ذلك لا يتعدى تلك الحدود ولا يمس العقل والتفكير بشيء، فتفكيرنا تقليدي بامتياز وعقولنا لا تتجرأ على طرح الأسئلة والنقد والتفكيك، لوجود موانع وتابوات تعيق التفكير وتحرّمه، فأغلبنا يغادر التفكير الفاعل ويعيش التفكير المنفعل، ونسلك طرق ببغاوية في طريقة تفكيرنا ونقلد الآباء والأجداد في ذلك المسار.

لقد استطاعت المجتمعات المتقدمة الخروج من نفق الظلام والجمود والركود، من خلال تغيير نمط التفكير السائد في مجتمعاتها، مما ساعدها على دخول عالم الحداثة والتجديد بشكل منتظم وسليم، أي ممارسة الحداثة والتحديث في نفس الوقت، على مستوى الفرد والمجتمع، مما جعل عملية الاصلاح والتغيير تُمارس يومياً كسلوك فردي وجماعي يضمن النجاح للجميع، سواء في المؤسسة السياسية أو الاجتماعية أو التربوية والتعليمية أو الدينية، وهذا ما جعل لحظة الحداثة الغربية لحظة واقعية معاشة لا مجرد صيحات وشعارات فارغة يرفعها دعاتها بصورة فردية هنا وهناك. ولذلك كانت ثورة الاصلاح والتغيير في الغرب منذ قرون ثورة اصلاحية عامة شملت جميع

---

1 – أستاذ الفلسفة والفكر العربي والاسلامي المعاصر في الجامعة المستنصرية .كلية الآداب. العراق.

المجالات الفكرية والحياتية والمؤسساتية والدينية والمعرفية، ثورة أقترنت بالنقد والتقويم والتفكيك، وهذا ما أدى الى نجاح تلك المجتمعات عملياً ورقيها وتقدمها في مجالات عدة بخلاف مجتمعاتنا العربية والاسلامية التي ترزح تحت أقدام الظلم والتعصب والكراهية والتخلف والجهل، مجتمعات لا تريد مغادرة تلك الأزمنة البائدة، وما يشجع على ذلك هو هيمنة السلطة السياسية من جانب والسلطة الدينية من جانب آخر، وبتزاوجهما وسطوتهما معاً على الفرد والمجتمع يحصل ما لا يحمد عقباه على أرض الواقع، وهذا ما لاحظناه على مرّ التاريخ البشري لكثير من المجتمعات، في حين أن العالم الغربي اليوم يسير بمنأى عن ذلك التفكير وتلك الهيمنة بنسبة ما تختلف عن طبيعة مجتمعاتنا المتشنجة، وهذا ما تكفله الحرية والتعبير عن الأفكار والآراء بصورة نقدية حرة لا تخضع لسلطة القمع والاستبداد والقتل والتعذيب.

ومن خلال تلك الأجواء وذلك الفضاء الحُرّ نجد دعوات فكرية نقدية واصلاحية تغييرية وتجديدية حرة ومتحررة تصدر من عقول مفكرين ومثقفين وكتّاب عرب ومسلمين تنفسوا وعاشوا الحداثة بشكل يومي في الغرب، على مستوى البيت والمجتمع والمؤسسة والحياة والتفكير، وعلى أساس ذلك حاولوا نقل تلك الأجواء والأصداء الحرة الى مجتمعاتنا العربية والاسلامية، من خلال طرح مشاريع فكرية وثقافية تجديدية تحاكي الغرب وطريقته في التفكير والسلوك والنقد والثورة، ومن هذه الشخصيات والاسماء الفكرية المجددة يبرز المفكر والمثقف العربي العراقي ماجد الغرباوي، رئيس مؤسسة المثقف العربي في أستراليا، وهو مفكر اسلامي تجديدي اصلاحي برز على الساحة الثقافية العربية والاسلامية اليوم، وذلك من خلال مشاريعه الفكرية الجديدة وطروحاته الفكرية المتنورة وكتاباته النقدية الجريئة، التي تحاول تفكيك التراث ونقده بآليات عقلية وفكرية حداثوية أقتبسها من محيطه وبيئته التي يعيشها في الغرب اليوم، وما كان للغرباوي أن يمارس النقد والتفكيك والتحليل والدعوة لإصلاح التفكير الديني والتغيير لولا أجواء الحرية والحداثة والتنوير التي يتنفسها يومياً وهو في أرض الغربة، غربة عن وطنه وأرضه وأهله ومحبيه، ولكنه أستطاع بفكره ونقده وصبره تحويل تلك الغربة الى وطن، وتحويل هذا الوطن الى مؤسسة حرة وحيوية فاعلة يستظل فيها جمع من الكتّاب والمثقفين والمفكرين

التنويريين الذين يؤمنون بقيمة النقد ونقد النقد، والايمان بالآخر كقيمة الايمان بالانا، وهذا ما أستطاع الغرباوي العمل عليه وتكريسه في مشروعه الفكري النقدي، من خلال مؤسسة المثقف العربي الرائدة، التي استطاع من خلالها الغرباوي نشر طروحاته الفكرية الجديدة من جانب، وتسويق فكره وكتاباته من جانب، وتأثيره على الكتاب والمثقفين من جانب آخر، وهذا ما يحسب له بصورة واضحة جداً، اذ كان بحق مؤسسة في رجل، واستطاع تجسيد تلك المؤسسة والافكار والنشاطات في سلوكه اليومي والثقافي ويشهد على ذلك الكثير، هذا من جانب غربة الوطن والمكان الذي أستطاع كسره وتجاوزه وتشييده لوطن يليق به ويعشقه، أما من حيث غربة الزمان والتاريخ، فأن الغرباوي لم يحاول الهروب من تاريخه وتراثه العربي والاسلامي والتمسك بتاريخ غربي جديد يريد تقليده وتمجيده، ولكن تاريخه ظل يرافقه طوال حياته منذ اللحظة الأولى لتشكّل وعيه وثقافته الى يومه هذا، ولكنه والحق يقال والذي يتضح من خلال سلسلة طروحاته وكتاباته الفكرية أنه نظر لذلك التاريخ والتراث بعين ثانية غير التي كان ينظر بها اليه وهو يعيش في البلاد العربية والاسلامية، فالفرد منا حين يفكر ويكتب يكون أسير المكان والزمان الذي يعيش فيه ولا يستطيع تجاوزه والقفز عليه بجرأة وجدية.

لقد استفاد الغرباوي من الأجواء الفكرية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي عاشها في مجتمعه الغربي، وحاول الاستفادة من تلك الأجواء للتفكير بهدوء في نقد المنظومة الفكرية والدينية الاسلامية، ومحاولة تهذيب وتشذيب الكثير من الافكار والآراء التي علقت في فهمه وفكره التقليدي السابق، ونزع القداسة مما لا يستحق التقديس، وكشف الأقنعة والزيف المحيطة بكثير من النصوص والمعتقدات، وتعرية الخطاب الديني والسياسي، وبيان مدى التشابك الحاصل بينها مما حقق نمط من الهيمنة والتسلط، وجني عوائد وأرباح طائلة من تصالح السلطتين معاً، وهذا ما أدى الى وجود دكتاتوريات فكرية وثقافية ودينية لا تقل عن الدكتاتوريات السياسية الحاكمة، بل إن للأولى قصب السبق في تأييد ودعم دكتاتورية الحكام والاحزاب والسلطات الحاكمة، من خلال تقديم سند ديني وشرعي لإستبداد الحاكم والسلطة

السياسية المهيمنة، وقد لعب وعاظ السلاطين دورهم الكبير على مرّ التاريخ لتحقيق ذلك الهدف المقيت.

لقد عمل الغرباوي في العقود الأخيرة من فكره وحياته على زيادة مستوى النقد والتجديد والثورة على الخطابين الديني والسياسي المهيمنين على الساحة العربية والاسلامية، وذلك من خلال مؤلفاته الكثيرة في هذا المجال، ونذكر منها على سبيل المثال : (اخفاقات الوعي الديني) و (الضد النوعي للاستبداد) و (جدلية السياسة والوعي) و(مدارات عقائدية ساخنة) و(مواربات النص) و(الفقيه والعقل التراثي) و(مضمرات العقل الفقهي) و(تحرير الوعي الديني) و(تراجيديا العقل التراثي) و(المرأة وأفاق النسوية) و(المقدّس ورهان الأخلاق)، هذا بالاضافة الى الكثير من الكتب البحوث والدراسات والمقالات التي كتبها وناقشها في مجال الفكر الديني الاسلامي وتركت بصمتها وحضورها الفعلي بين المثقفين والباحثين، الذين وعى الكثير منهم طروحات الغرباوي التجديدية، وأيقظتهم أسئلته واشكالاته الفكرية والمعرفية التي تستفز العقول وتفجّر فيهم علامات الاستفهام والاسئلة، التي لم ندرب عقولنا على استعمال تلك الادوات المعرفية الجديدة والاسئلة العميقة في الفقه والثقافة والفكر، ومحاولة تعرية المقدس الزائف الذي رافقنا طوال حياتنا في التاريخ والسياسة والثقافة والفكر والدين والمجتمع، عبر تقنية جديدة وهندسة معرفية، تفكيكية، تحليلية، نقدية، سار عليها الغرباوي في مشروعه الفكري الجديد ومنهجه النقدي التجديدي الذي يدعو له.

وفي كتابه (النص وسؤال الحقيقة، نقد مرجعيات التفكير الديني الصادر عام 2018م)، وغيرها من الكتابات، وفي هذه الكتب والحوارات نجد الحضور الكبير للفكر النقدي للغرباوي، والذي يفكك فيه الكثير من قضايا التاريخ والتراث والدين والسياسة والأيديولوجيا والمعرفة، ويكشف عن مستوى التحريف والتزييف في مستوى الوعي الديني للجماهير، من خلال سلطة الفقهاء وزيف التراث، والمنهج اللاعلمي السائد في سرد الروايات والنصوص وفي معالجة الافكار. وهناك وعي جديد ومتقدم في كتابات الغرباوي الأخيرة تختلف عن وعيه السابق في كتاباته الأولى، وهذا ما يُلاحظ على فكره وكتاباته المتأخرة.

وفي كتاب (النص وسؤال الحقيقة) لا يختلف الغرباوي عن سابق مؤلفاته ومنهجه وطروحاته الاخيرة، بل جاء الكتاب ليكمل مسيرته ومساره في عملية النقد والتفكيك الجريء الذي مارسه على نصوص وقضايا تراثنا الديني الاسلامي، ويعمل الغرباوي على معاملة التراث الاسلامي عامة (بشقيه السني والشيعي) معاملة واحدة، بل تجده يُشرّح الفكر الشيعي قبل تشريحه للفكر السني، كي لا تؤخذ عليه أي نظرة للتعصب أو للنيل من تاريخ وتراث غيره، بل ويعمل على كشف عورات التراث الشيعي بقوة، ويعري الخرافات والأسطرة الموجودة في تراثه وتاريخه المشحون بالكثير من العثرات والمثالب.

يهدف الغرباوي في كتابه هذا الى وضع خط فاصل بين ما لله من (دين) وما للبشر من (فكر ديني)، وتحقيق الفصل بين الأثنين، ولا يجوز الخلط بينهما وتشويه الأثنين معاً، في اعطائنا ما لله للبشر، وما للبشر لله، وهذا ما أدى الى تشويه النصوص والافكار والتاريخ والتراث، وتم منح القدسية للكثير من الأفكار ورجال الدين والسياسة، وهذا ما أدى الى الغلو في الكثير من الأفكار والمعتقدات، والخروج عن الحد، كما في قضية الولاية التكوينية التي تطرّف فيها الفكر الشيعي بشكل كبير، ليتم منح الائمة صلاحيات مطلقة يشاركون الله في صفاته وأعماله، أو في تطرّف الفكر السني في تقديس الصحابة، أو الهبوط بصورة الله الى مستوى الانسان، ففي الفكر الشيعي هناك تطرف، من قبل البعض، في مسألة أعلاء مرتبة الأئمة الى مستوى الإله، وفي الفكر السني هنالك تطرف أيضاً، من قبل البعض، في مسألة هبوط الإله الى مستوى الانسان، وهذا ما أدى الى تشويه الكثير من الافكار من خلال التلاعب بالنصوص وتفسيرها وتأويلها حسب متبنيات ومرجعيات الفقيه وأيديولوجيته، يقول الغرباوي: (المشكلة ليست في الدين كوحيٍ الهي، وايمان يثري التجارب الروحية، بل في تحري مقاصده وغاياته وتوظيفه، وفهمٍ دور الانسان في الحياة، وقيمة العقل في تطوره حضارياً. فثمة فهم أفقد الدين بعده الايجابي، وقدرته على تهذيب النفس وتنمية روح التقوى وكبح دوافع الشر. سببه فهم مبتسر لا يميز

بين القضايا المطلقة والقضايا النسبية في النصوص المقدسة. ولا يميز بين الدين والفكر الديني، ويصر على تجريد التراث من تاريخيته والاذعان لسلطته وأحكامه)[1].

ويعمل الغرباوي كما قلنا الى بيان قيمة النقد في كشـــف الحقيقة وتعددها، والعمل على ملاحقة المرجعيات والمصـــادر المعرفية والأيديولوجية لقارئ النص، فلا يوجد نص بريء ـــ بعبارة التوسير ـــ فكل نص وقراءة وفهم وتأويل ذلك النص له أيديولوجية متبناة من قبل صـــاحبه، ولذلك يقول الغرباوي: (ان نقد النص هو تعبير آخر عن ســـؤال الحقيقة، وهذه هي احدى مهام الكتاب وهو يلاحق مرجعيات التفكير الديني بحثاً عن مضمراتها، لفرز ما هو نسبي، وفضح مراوغات النص وتقنياته في وجود الحقيقة، لاســـتعادة الوعي واعادة تشـــكيل العقل وفق نظام معرفي يرتكز للدليل والبرهان في معارفه وعلومه، من أجل نهضـة حضـارية نسـتعيد بها انسـانيتنا، ونستنشق رحيق الحرية، بعيداً عن سطوة التراث، وأسطرة الرموز الدينية)[2].

ان محاكمة النصـوص والتراث الديني بعقل نقدي حُرّ قد يعجب جماعة ويرحبون به، ولكنه قد يزعج آخرين ويقلقهم، وبالتأكيد المجدد يرحب بالتجديد، والتقليدي والمحافظ يرفض ذلك تماماً، مدّعياً أن كل منهج تجديدي لا ينســـجم ونقد الدين ومرجعيـاتـه، وكيف يتم نقـد اللاعقلي بمنهج عقلي، واعتقـاده إن أدوات المنهج التجديدي علمانية لا تتفق ومنهج الدين وافكاره ورجاله، هكذا يتم معاداة كل منهج أو مشـــروع نقدي تجديدي يريد تغيير ادوات المنهج وتوعية الناس بكل ما هو جديد من العلوم والمعارف، وهكذا يكثر الظن الســـيء بين اتباع المنهج والفكر التقليدي تجاه أي تحديث يمس الحياة والدين والواقع. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فأن رجال الدين والناس يتعاطفون مع الكثير من الافكار التي ينتسـبون وينتمون لها، ومن الصـــعوبة اقناعهم بخطأ البعض من هـذه الافكـار، لأنها في عرفهم وعقولهم مُســلّمات ويقينيات مطلقة لا يمكن التشـكيك بها، وقد أيد مقولاتهم تلك روايات

---

1 - الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقية.. نقد مرجعيات التفكير الديني، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، وأمل الجديدة، دمشق – سوريا، 2018م، ص 7.

2 - المصدر نفسه، ص 9.

تاريخية مهمة صـــــدرت عن أئمتهم ورجال دينهم ومذهبهم، وهي مطلقة لكل زمان ومكان، فكيف تكون على خطأ وتتعرض للنقد والتضعيف؟! متناسـين أو رافضـين تماماً لمســـألة مهمة ألا وهي تاريخية النص وزمكانيته، من خلال ايمانهم بمطلقية الاحكام وعالميتها. والنص كما يرى الغرباوي يمثل سلطة ويمارس هيمنته على القارئ والمتلقي، فـــــ (سـلطة النص: تعني هيمنته المعرفية، وفرض إرادته، ومحدداته، حينما يحتكر الحقيقة أو جزأها، ضمن آلية التفكير وانتاج المعرفة سواء كان مضمون النص مطابقاً للواقع ونفس الأمر أم لا . المهم قيمة النص لدى المتلقي، وقوة حضـــوره وتأثيره معرفياً. فكثير من الأوهام يتعامل معها الناس كحقائق مطلقة، تمارس سلطتها أسوة بغيرها من الحقائق، ويحتكم لها العقل. لذا فالقراءة هي التي تستفز النص وتراكم مدلولاته لإن لكل نص ســـلطته، مهما كان مســـتواها ، وقدرتها على التأثير، فثمة نصوص تندحر أمام القراءات النقدية، وأخرى تصمد، وتثري بمقاومتها فعل القراءة، وفقاً لشروطها وفعلية العوامل المؤثرة فيها)[1].

ومما يســـجله الغرباوي أيضـــاً على قارئ النص، أياً كان نوع هذا النص وهذا القارئ، هو تلاحمه الوثيق مع النص، والخروج بفهم وقراءة متلازمة تماماً وتوجهات وقبليات ومرجعيات قارئ النص، فأنه (لا توجد ســلطة للنص ومصـــدره خارج فعل القراءة، والمتلقي هو الذي يخرجها من القوة إلى الفعل من خلال منظومته المعرفية القابعة خلف قبلياته ويقينياته. لذا يختلف فهم النص من شخص إلى آخر، حسب ثقافته ووعيه وإدراكه وقدرته على النقد والتحليل والمحددات الفكرية والعقيدية، فقداسة القرآن مثلا تستولي على المؤمن بما يملك من تصورات ويقينيات حول الخالق وقدراته اللامتناهية، فيقبع تحت ســلطة القداســة وهو يتدبر آياته، ويركز جهده على فهم النص دون نقده أو محاكمة مصـــدره، بينما يختلف الأمر بالنســـبة لغير المؤمن، فينقد النص المقدس أسوة بأي نص غيره، بل ويتوغل فيه، لا لفهمه فقط بل للتعرّف على مصدر سلطته وتعرية تقنياته، للكشف عن ملابساته، ومراوغاته، فيصف إله المسلمين بالجبار المتسلط العنيف، بينما يصف إله عيسى بالمودة والرحمة، رغم وحدة

---

1 - المصدر نفسه، ص 14.

المصـدر حسـب الفرض، ويقول عن إله موسـى قنوط، غاضـب والسـبب أنه حُرّ في تغيير زاوية النظر بما يلائم هدفه من القراءة)[1]. ومن الجدير الاشـارة الى هذا التداخل بين قارئ النص وتوجهاته ومرجعياته وأيديولوجيته المحركة لفكره وفهمه، وهذا ينطبق على جميع النصـوص، دينية سماوية كانت أم وضـعية أرضـية، فحتى تفسـير النصـوص الدينية كالقرآن مثلاً، من قبل المفسـرين يخضـع لتلك الاسـباب والدوافع الموجهة للقارئ، ويخرج بفهم وصورة للحقيقة تنسجم ومرجعياته الدينية وتوجهاته الاعتقادية، (فلا دلالة للنص وسلطته خارج الفضاء المفاهيمي للمتلقي. فترى العقل التراثي مثلا يخشع أمام النصوص الغيبية، والروايات التي تتحدث عن معاجز وكرامات الصالحين، وقد يعيد العقل تشكيلها ومنحها أبعاداً أسطورية انسجاماً مع توجهاته وثقافته، بينما يتوقف العقـل البرهـاني في قبولهـا، مـا لم يرتكز يقينـه لمبـادئ عقليـة، منطقيـة أو فلسفية.)[2].

وبالتالي فالغرباوي يرى أن هنالك محددات ومحركات ودوافع تكمن وراء قارئ النص وتوجهاته، من تاريخ وجغرافية ومجتمع ومعتقد وثقافة، توجهه الوجهة التي تجعله لا ينسـلخ عن زمكانيته وتاريخانيته، وبالتالي لا وجود لحقيقة مطلقة يمكن أن تكون مرجعاً شـاملاً ونهائياً للجميع، وعندئذٍ نعلم علم اليقين بأن الحقيقة حبيسـة ظروفها ورهينة قارئها، الذي قد يصـيب وقد يُخطئ، وهذا التعدد والاختلاف في الفهم هو الذي شـظّى الفرق والعقائد الاسـلامية وجعلها مختلفة الفهم والقراءات، رغم تشـابه مرجعياتها الفكرية والدينية والثقافية، وبالتالي نحن نحتاج الى التسـامح والاعتراف بالآخر وأن لا نتزمت في فرض هيمنة ما على الآخر، لأنه لكل جماعة مفاهيمها ومرجعياتها وطريقة فهمها الخاصة بها التي تميزها عن الآخرين.

ومما يدعو له الغرباوي أيضـاً هو ممارسـة النقد واعتماد آلية معرفية منظمة لا تهمش الآخر ولا تلغي كينونته وهويته، فيقول: (فينبغي للنقد، كي يكون نقداً معرفياً منتجاً، أن لا يكتفي بتفكيك النص، وتحليل ثوابته، ومقوماته، ومعرفة طبيعة علاقته

---

1 - المصدر نفسه، ص 19.

2 - المصدر نفسه، ص 20.

بالمتلقي، بل يجب عليه التوغل أيضـــاً في أعماق المتلقي، وتقصّـــي مداراته المعرفية، وكشف تقنياته وأدواته في وعي النص، والأسباب المؤثرة فيه. فخلفية المتلقي لا تنفك عن النص وتقنياته في وعي حقيقته وســـلطته. ولعلّ أوضـــح مثال تفاوت الخطاب العاطفي في تأثيره على المتلقي، كل حســب استعداده وأرضـيته الثقافية والعاطفية، وشدة مأساوية المشهد، صحيح أن هذا الأمر يرتبط بمشاعر فطرية، إلا أن سبب التفاوت هو ثقافة الفرد الراســـية في أعماقه والتي تتحكم بوعي الحدث التراجيدي، وفهم خطابه، فهي سر تفاوت تفاعل الناس معه، وبالتالي فهناك ثقافة مسؤولة عن فهم النص ومحدداتها وراء ما يطرحه من حقائق فالحقيقة لا تكون حقيقة إلا في ذهن المتلقي، حينما تغدو سلطة مؤثرة)[1].

ويرى الغرباوي أن تلك الحقائق أو الحقيقة التي يتوصـــل اليها قارئ النص ـ باختلاف ثقافته ومرجعياته وأيديولوجيته وأختلاف وصفه وهويته ـ يخرج بفهم وقراءة من افرازات تلك الثقافة والوعي الذي يمارســه والمصـلحة التي تحركه، فلا معنى لقراءة بريئة تماماً، حيث يقول: (ومعنى أن تكون الحقيقة سـلطة مؤثرة، أي تصـبح مرجعية تفرض محدداتها على تفكير الفرد، في قراءاته لنصوص ترتبط بعلاقة ما بتلك الحقيقة. فمثلاً، يُعتبر المعاد حقيقة مطلقة بالنسبة للمؤمن رغم ميتافيزيقيته، فتنتابه رهبة عندما يقرأ مشـــاهد يوم القيامة عبرَ آيات الكتاب الكريم والروايات التي تتحدث عنه، فأصبح الغيب حقيقة بفعل ثقافة تكونت عبر تراكمات تاريخية، شاركت في تكوينها عوامل شـتى، كالبيئة والتعليم والعادات والتقاليد والشـعائر والطقوس والخطاب الديني والتراثي والظروف النفســـية والاجتماعية والتربوية المحيطة بالمتلقي، إضــــافة إلى وعيه واستعداده ومدى إدراكه ويقظته. بل والثقافة هي المسؤولة عن التحيز في قراءة النص وفهم دلالاته، وما من قراءة إلا وخلفها ثقافة تفرض محدداتها عليها ، لذا فالقراءة البريئة مطلقا للنص ضرب من الخيال. والتحيز قدر القارئ، مهما بالغ في موضوعيته واستقلاليته، لأنها حتمية النظام المعرفي التي يتوقف عليها فعل القراءة)[2].

---

1 – المصدر نفسه.

2 – المصدر نفسه.

يـذكرنا الغرباوي هنـا بمجموعـة كبيرة من المفكرين وعلمـاء النفس والاجتمـاع والفلاسـفة الذين يؤكدون على العلاقة المتبادلة بين الذات والموضـوع، ومدى الدور الكبير الذي تمارسـه الذات في خلق مجال الموضـوع، سـعته أو ضـيقه، فكل شـيء مرهون بالذات والأطر الفكرية (نفسـية، أجتماعية، حضـارية) التي توجه الانسـان شـعورياً أو لا شـعورياً نحو الاشـياء، وهذا ما ذكره علي الوردي مراراً وتكراراً في كتاباته،حيث يقول: (ان ما وصـف به القرآن عقول الناس يشـبه الى حد بعيد ما أكتشـفه العلم الحديث من طبيعة العقل البشـري، فالعقل البشـري مغلّف بغلاف سميك لا تنفذ اليه الأدلة والبراهين الا من خلا نطاق محدود جداً، وهذا النطاق الذي تنفذ من خلاله الأدلة العقلية مؤلف من تقاليد البيئة التي نشـأ فيها الانسـان في الغالب، وهذا هو ما أسميته في أحد كتبي السابقة بالاطار الفكري)[1].

فالعلاقة بين الذات والموضـوع علاقة جدلية لا تنفك أبداً، وهي لا تتجرد من أطرها أبداً، وانما تقلّ درجة قوة تلك الأطر أو ضـعفها، حسـب ثقافة الشـخص ودرجة وعيه ونضجه.

يبين جابر عصـفور تلك العلاقة الجدلية بين ذات القارئ والموضـوع المقروء، بقوله: (الذات القارئة لا تقيم علاقتها مع موضـوعها فى فراغ مطلق، أو هى صـفحة بيضـاء تماماً، وإنما تُقبل عليه، وهى تحمل سـلفاً أهواء ذاتية، وميولاً سـياسـية أو اجتماعية مسبقة، بل توقعات قَبْلية تظهر آثارها على نحو مباشر أو غير مباشر. فى ناتج عملية القراءة تفسـيراً أو تأويلاً للنص المقروء. ولذلك تعلمنا أنه لا توجد قراءة بريئة، وأن كل قراءة هى فعل تفسـيرى أو تأويلى من القارئ للنص المقروء. ويعنى

---

1 علي الوردي. مهزلة العقل البشري.ط2. دار ومكتبة دجلة والفرات. بيروت ـــ لبنان.2010. ص 55. وينظر أيضاً علي الوردي. خوارق اللاشعور. ط2. دار ومكتبة دجلة والفرات. بيروت ـــ لبنان. 2010. ص 58.

ذلك أن تفسـير النص أو تأويله هو النص نفسـه، لكن مضـاف إلى هموم وتوقعات ومُسلَّمات مسبقة للقارئ الذى يقوم بتفسير النص أو تأويله.)[1].

وهـذا مـا يؤكـد عليـه الغرباوي مراراً وتكراراً في ثنـايا الكتـاب، حيـث يقول: (فالجميع محكوم لقبلياته وثقافته وأحكامه والكل يرسـف في أغلاله، تطوقه أوهام الحقيقة، ومغالطات التفوق ونرجسية الأنا، ولا خلاص للفرد من سجونه إلا بمواصلة النقد والتفكيك، وتجاوز رهاب الحقيقة...وبالتالي فقراءة النص، وطبيعة ثقافة الفرد، وما يؤمن به من حقائق ويقينيات تلعب دوراً كبيراً في فرض سـلطة النص، وهذا سـر المواقف المتباينة من ذات النص. فمن يؤمن بقدسـية النص ينتهي إلى نتائج تختلف عمن يرفضه.)[2].

وخلاصـة القول نجد إن الغرباوي أراد من كتابه (النص وسـؤال الحقيقة) تحقيق الأهداف الآتية :

1- محاولة النقد واصـلاح منظومة الفكر والمعرفة والتراث الاسـلامي والكشـف عن النزعة الأيديولوجية السائدة في خطاب الفكر الديني الاسلامي.

2- محاولة تشـكيل العقل الاسـلامي وفق نظام معرفي يخضـع لسـلطة العقل النقدي والبرهان العلمي، بعيداً عن نزعة الأسطرة والتخريف الديني والفكري المزمن.

3- ملاحقـة مرجعيـات التفكير الـديني، بحثاً عن المضـمر والخفي وراء تلـك المرجعيات والنصـوص، وبيان ما هو نسـبي في معرفة وقراءة النص والحقيقة مما هو مطلق، و(فضح مراوغات النص وتقنياته).

4- فهم متجـدد للـدين، من خلال الغوص في أعمـاق الظواهر الاجتمـاعيـة والدينية، والبنية الثقافية والمعرفية، بعقل نقدي وموضـوعي متحرر من نزعة القداسـة

---

1 - جابر عصفور. الهرمنيوطيقا ومشكلات التفسير والتأويل. مقال في صحيفة الاهرام المصرية. 28 ديسمبر 2018. السنة 143. العدد 48234.

2 - الغرباوي، ماجد، النص وسـؤال الحقيقية.. نقد مرجعيات التفكير الديني، مصـدر سـابق، ص 21.

وسلطة اللامعقول، لبيان الوجه المشرق من الدين، وبناء مجموعة من القيم الانسانية المحترمة بين الشعوب والأمم.

5- زعزعة اليقينيات والمسلّمات الدوغمائية التي يتمسك بها الفقيه ورجل الدين لدعم فكره ومعارفه، وإعطاء الاهمية للفرد وعقله في محاكمة الكثير من الافكار من دون خضوعه لهيمنة الروايات والتاريخ والمؤسسة الدينية المؤدلجة.

6- رسم صورة واضحة لدور النص وخطورته على وعي الفرد والمجتمع، كمرجعية معرفية وثقافية للعقل الديني، وضـرورة عدم التحيز في الاحكام واللجوء الى العقل النقدي السليم.

هذا ما سعى اليه الغرباوي في كتابه ذي الصفحات (304) وفصوله الستة عشر، وفق منهج نقدي تجديدي يحاكم النصوص والافكار ويكشف عن ما وراء النص وما قبله وما هو مضمر من أيديولوجيا وسلطة في بنية المنظومة الفكرية والمعرفية والدينية الاسلامية.

ومما يؤسف له إن رواد التجديد ـ ومنهم الغرباوي ـ أنهم يحرثون بأرض بكر في مجتمعاتنا المنفعلة من خلال مناهج معرفية وفلسفية عقلية متقدمة، لا تنسجم وعقول ونفوس الكثيرين من المتلقين والمخاطبين، أي عدم وجود الأهلّية المناسـبة لتقبل هذه الرؤى والافكار المتقدمة، فالعامة يحركهم من يسـتغل عواطفهم ومشـاعرهم الطيبة البسيطة من المنتفعين من جهلهم وبساطتهم، ويحذروهم من مخاطر التجديد والتنوير، ويؤلبون البسـطاء والعامة على الافكار الجديدة، ومواجهة تلك الآراء بالعنف والتطرف والارهاب.

لقد أراد الكثير من رواد التجديد العربي والاسلامي نقل مجتمعاتنا الى مصاف المجتمعات المتقدمة في الوعي والفكر، ولكن نسـي هؤلاء أن طبيعة مجتمعاتنا تختلف تماماً عن المجتمعات الغربية في عاداتها وتقاليدها وثقافتها، هذا من جانب، ومن جانب آخر الاصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي والمعاشي قد طال الغرب وواقعه ومؤسساته منذ عصر النهضة الأوربي، أما نحن فنعيش حالة من التخلف والانحطاط والفقر والمرض على كافة المستويات، فالفكر مرهون بواقعه ومجتمعه،

فكيف نتقدم ونزدهر ونتحضر من دون وجود أرضية مادية مناسبة تؤهلنا لذلك الرقي والصعود بين المجتمعات والأمم المتقدمة.

وما يخشـاه البعض، من مشـاريع التجديد وعليها، هو التذرع بحجة الخوف من محاولة فرض المفكر المجدد لأيديولوجيته على عقول الناس، وفرض وصـايته وهيمنته عليهم، والوقوع في فخ الأيديولوجيا بدلاً من الخروج منها، تحت ذريعة وصاية المثقف، وسلطة النص، وممارسة الحداثة والتنوير، وتخليص الناس من الأوهام والاصنام. وهذا ما يعمل على مواجهته والاذاعة له خصـوم التجديد في مجتمعاتنا اليوم، وتحت ذرائع شتى، ومنها التذرّع بالدفاع عن المقدس والحفاظ عليه، وبيان تهافت الخطاب الفكري التجديدي تجاه الفكر والدين والمجتمع، الذي يبعد الناس عن حقائق الأمور، دون اعتماد منطق الحوار والنقاش الحرّ الهادئ، وذلك ما نخشاه نحن من خصوم التجديد ودعواتهم وحججهم الباهتة، ومما يؤسـف له أيضـاً هو عدم وجود مناطق محايدة ومتعددة لممارسـة النقد ونقد النقد والوعي الحقيقي للتجديد، ولا توجد مناطق ثالثة ورابعة خارج المنهج الاحادي، ومنطق احتكار الحقيقة والنجاة، الذي يهيمن علينا، وعدم اعتماد منطق العلم في تحليل ومناقشـة الافكار، وهذا ما يعمل عليه الغرباوي في كتابه، من خلال بيانه للأوجه المتعددة للحقيقة، وليس وجه واحد منفرد، ومواجهة (اليقين السـلبي) كما يسـميه، بمنطق متعدد الحقيقة والقيم. وهي دعوة تسـتحق الثناء والتثقيف لها والاطلاع عليها، لما تحمل من آفاق وأبعاد متعددة في فهم الذات وفهم الآخر، ومحاولة لقراءة الأفكار المختلفة والأطلاع على مختلف أوجه الحقيقة التي أنكفأنا عن الدخول فيها أو معرفتها وتقوقعنا داخل أطرنا المعرفية والفكرية والثقافية، دون ولوج عوالم جديدة تواكب الحاضر وتراجع وتختبر ما تقدم من أفكار وطروحات ونظريات وآليات قديمة علقت فينا وتعمقت حتى أصـبحت مسـلّمات ويقينات مطلقة لكل زمان ومكان، وهذا ما يعمق المشـكلة البنيوية في ثقافتنا المعاصـرة التي تخشـى من كل ما هو جديد، وتحارب المناهج الفكرية والمعرفية المعاصرة التي تعتمد على علوم النفس والاجتماع والانسان ومنطق الكشف العلمي، اننا اليوم بأمس الحاجة لمعرفة وإعطاء ما لله لله، وما للانسـان للانسـان، دون أي خلط بين الاثنين، وبيان الصـورة الحقيقية للحقيقة وعدم الخلط بين جميع أوجه

الحقيقة في حقيقة واحدة، فللحقيقة وجوه متعددة لا تنحصر بفكرة أو أيديولوجيا أو قائد أو فلســفة أو حارس للدين أو العقيدة، وهذا ما يحرص الغرباي على تقديمه في كتابه هذا ونقده للمرجعيات المؤسِســـة للتفكير الديني. وهو كتاب جدير بالقراءة والبحث والتدريس، لما يحمل من آراء وموضـــوعات وطريقة جديدة في التحليل والتفكير، لم نألفها بعد في الأوســـاط الثقافية والفكرية التقليدية، الغارقة في التراث وآلياته وموضوعاته العقيمة.

في المعرفة والتجديد
قراءة اسلوبية في الخطاب الفكري
لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ محمد يونس محمد[1]

تشكل تجربة الخطاب الديني احد الوجوه الاشكالية، ويصعب تفسير المواقف والامور بدقة مضمونة، حيث موضوعة الدين اصبحت نتيجة للتفسيرات التاريخية متعددة الوجوه، ودخلت في أفق دائري، منع عنها أن تقرأ بيسر واستدلال مباشر، وصعوبة وانعدام القراءة الموازية. نشير هنا إلى احد الاسباب الاشكالية في فرض القراءة من الداخل، والتي نسميها بقراءة الانتماء، فتلك القراءة تمتلك الاعتقاد الجازم، والتي تتعارض مع اغلب من ما ينجم من قراءة خارجية، وتعتقد تلك القراءة أنها المسؤولة الاساس عن قضية الدين ومحتواه، ومن تلك القراءة تولدت قراءات أخرى تختلف وتتفق فيما بينها. والاختلاف له وجوه مثلما الاتفاق له وجوه. وذلك وجه موقف ايديولوجي كما نرى في تحليلنا للخطاب. وتطورت تلك المسؤولية وتعقدت إلى حد قد اصبحت ظاهرة اشكالية، وعلى وجه الخصوص مع العقل المثالي والحر، ومن الطبيعي القراءة الفكرية السليمة ستبتعد كثيرا عن الافق العام للمجتمع، والذي تتسيد فيها تلك القراءة الداخلية ذات الانتماء الجازم، والتي لم تفرض ذلك الموقف المطلق فقط، بل منعت أي تعرض لذلك الموقف، وبطريقة غير مباشرة اقتربت من الافق العام للمجتمع، وجبهة الفطرة والسذاجة والجهل، وتمكنت من صنع جبهة انتماء عاطفية تحتمي خلفها، لكن ذلك لم يمنع من وجود خطاب يمتلك التدبير اللازم والمنحى الفكري البليغ، وهو ينتمي روحيا للموضوعة الدينية، وذلك الانتماء

---

1 - ناقد وباحث فلسفي - بريطانيا

الروحي اهم من تلك العاطفة الزائفة، وقدم لنا المفكر ماجد الغرباوي احد الامثلة النوعية المهمة .

تشـغل الطروحات الفكرية عند ماجد الغرباوي على تحليل بنية النص الديني من خلال المناطق التي تخص من جهة المنطق الجوهري للدين، والذي يرتبط مباشـــرة بالعامل الإنســـاني مباشـــرة، ومن الجهة الثانية يرتبط بالفكر العالي، وليس بالفكر الادنى، حيث الادنى يكون واجهة للموقف الايديولوجي. أما العالي فيوازي العرفان، بالرغم من عدم تداخله. والخطاب والنتاج عند ماجد الغرباوي يتجاوز الايديولوجيا الدينة المغلقة، ويرى الغرباوي للنص الديني هناك هيمنة معرفية[1]. وتلك المعرفة تجعل حقيقة النص متحركة وليس ثابتة، وهذا ما يعني بتخفيف البعد الايديولوجي للنص الادنى وليس الاعلى، فإن النص الاعلى خالي تماما من البعد الايديولوجي، وأما النص الادنى الذي دخل في القداسة، فهو يعتبر مغلقا على نفسه تماما. وتقابل ذلك النص المغلق واجهة العاطفة، ورغم ذلك اتجه ماجد العرباوي إلى تفســير موضــوعي لفكرة الغلق، وكذلك التعامل مع الفكرة بالتحرير لها وليس بالتعامل مع القداســـة، والتي هي صـــناعة بلا مهارة جاءت من انتاج تلك الواجهة للعاطفة، وهناك من يشترك من جهة القداسة أيضا، من خلال ما يسمى اوهام النخبة. وتلك النخبة هي عضـوية وداخل الزمن البشـري، لكن التفكير لديها يكون عاموديا، وقد يوازي النص الاعلى، باعتباره نتاجا النص الاعلى. أو الترجمة من خلال النخب على مســـتوى البســـاطة، لكن تجد هناك تعقيدات كثيرة، ويرى الغرباوي بأن ذلك النص – يفرض أرادته ومحدداته[2]، لتعارض الطبيعة المثالية للعقل وتتجاوز لها .

تشـــكل مناحي التفكير المعرفة ليس نمط قراءة وتفســـير وتحليل بتحديد المنهج الاحادي، وذلك من الممكن في دور الحداثة، وفي ما بعد الحداثة تغيرت المناحي بالتطور، لكن لا تلغي المنهج، بل تطور المنهج في القراءة ليكون بتعدد، وهذا ما

---

1 – الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة، نقد مرجعيات التفكير الديني، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا وأمل الجديدة، دمشق – سوريا. 2018م. ص 14.

2 – المصدر نفسه.

اهتم به دور ماجد الغرباوي، وجعل القراءة في مثلث يبدأ من المنهج بالتفسير، ومن ثم يتجه نحو التحليل المعرفي، وبعد ذلك يكون ليس فقط امام النتائج، بل يجد امامه افكارا جديدة، وهذا ما يقارب منهج دريدا في تحليل النص. وفعلا المعنى للنص لا يستعاد، بل ينتج من جديد، حيث يرى ماجد الغرباوي النص الادنى قد استهلكت المعنى من أجل تثبيت القداسة، وتثبيت وحدة الزمن، ويعتقد أنه يجب (نقد مصادر المعرفة، وتحديد قيمتها المعرفية، والارتكاز للعقل في تفكيكها)[1]. والتحليل الموضوعي يتفق مع فكرة الاهتمام بالمعرفة المتعددة التوجهات، حيث الاتجاه الاحادي يوازي مسؤولية النص الادنى، ويتوافق مع التفسير المباشر أيضا، ونظرية القراءة تحتاج إلى تطوير أفقها للتتعدد ولكي نواجه النص بشكل متعدد وليس من جهة واحدة، فقد تجاوزنا القراءة الافقية التي فقط تهتم بسياق النتائج. ويعتمد الغرباوي القراءة المتعددة الافاق، كي نواجه عدة ابعاد للنص. والنص الاعلى يستقبل تلك القراءة النشطة في المنظور الديالكتي، وفي ذلك يكون النص دائرة معرفية أمام القراءة المتعددة، وهي قراءة معرفة وفهم وذوق ايضا.

يرى ماجد الفرباوي على العقل أن يتميز معرفيا بالتعدد امام النص، وكذلك عليه فعلا أن يميز حتى في التخصيص اللساني، وليس فقط في القبول والمعارضة، ومهمة العقل الحضاري ليست تتجه نحو النتيجة، بل تهتم بالتطور المعرفي للوصول إلى اعمق نقطة للنص التي تجاوزت القراءة الافقية لها، ويهتم العقل عند ما جد الغرباوي في معارضة تحديد حقيقة النص بشكل احادي، حيث يعارض العقل الموضوعي الخطاب الذي (يتصور أن ما يؤمن به يعكس تمام الحقيقة)[2]. فالحقيقة في القراءة ليست أفقا واحدا في ذاته. القراءة دائما أمام وجهات نظر متعددة، وهنا يكمن الاشكال، فهناك وجهات نظر احادية، وعلى وجه التحديد في السياقات المذهبية، والتي تعتقد بأن نظرية الدين تنطلق من ذلك البعد الذي بناه الخطاب، وتلك

---

1 - الغرباوي، ماجد، مواربات النص، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا وأمل الجديدة، دمشق – سوريا، 2020م، ص 20.

2 - المصدر نفسه، ص 99.

اشكالية تاريخية كما يرى الغرباوي. وليست فقط معاصرة. فصيرورة الدين توالت عليها الصدمات، حتى انحرفت السيرورة تماما عن السبيل الاساس لها، وأصبحت تحتمل مسارات جيدة بديلة لذلك السبيل. والسبيل هو سبيل الحكمة، فيما المسارات هي نتاج العقل البشري الاحادي، والذي يهتم بالتفسير الذي ينتجه خطابه فقط، ويعارض اي خطاب آخر، بل يمتلك استعدادا لهدم أي خطاب آخر يواجهه. وفعلا العقل الموضوعي في تلك المعرفة الديناميكية أصبح أمام جبه العاطفة وليس أمام الخطاب الاحادي الدور والموقف.

يهتم خطاب ماجد الغرباوي بالجانب الاساس على مستويات المعرفة والفكر طاقة العقل في التحليل الموضوعي، ويتجنب التفسيرات العامة، بل يمتلك الخطاب لقراءة ثانية ما بعد القراءة الأولى، والتي لا تكون معالجة بل تحليلا لاكثر من جانب احادي. وصراحة يدرك ماجد الغرباوي أهمية التاريخ، بالرغم من وجود اشكالات إزاء الاضافات البشرية، والتي تتنافس بالسيرورة من خلال عاطفة القداسة الواهمة، والتي تتبع بشرا كليا وتؤمن بالله. والخطاب تعامل مع تلك الاشكالية اكثر من موقف للخطاب. ويؤمن الغرباوي بأن النص يؤمن حقيقته بنفسه، وأما ما يضاف يسعى لكسب الموقف لنفسه، وتلك الاشكاليات المعقدة وقف امامها الخطاب الفكري بطروحات معرفية موضوعية، ولا يميل الخطاب نحو جبهة معينة، بل يضع الخطاب الجبهات والتاريخ امامه، ويتعامل مع التاريخ كما يتعامل مع خطابات الجبهات الدينية. ويؤمن خطاب الغرباوي بأن الحقيقة المفردة في النص العلوي، فيما النصوص الادنى تحتاج إلى قراءة مضافة، وهي ايضا تحتمل حتى التأويل المضاد، بالرغم من ان خطاب ماجد الغرباوي لا يهتم بالتأويل المضاد، فهو معادل للنص البشري من الجهة المقابلة. أما المعرفة في الدايلكتيك هي انتاج ما بعد القراءة الافقية للنص. والمعرفة تعيد قراءة النص العلوي من اجل الفائدة، وما يستجد من أفكار معاصرة جيدة لم تستغل وتكرس من خلال النص الادنى، ولم تصل لها عاطفة التقديس، لذلك يمكن للخطاب أن يستمد تلك الافكاروينظم لها ويعيد انتاجها .

تقدم المعرفة في السعة الفكرية من الافكار عادة غير مكرسة، ولا بد من العقل ما فوق البشري، وليس العقل العلمي أو العقل الديني، ولا العقل السياسي، بل

العقل الحر في التفكير، والذي يملك حرية الموقف، وقد اتجه ما جد الغرباوي نحو تلك الحرية التي هي انتاج وليس كسب من المجتمع السياسي أو الديني، وقد طرح لنا في خطابه بكتاب – اشـكاليات التجديد – ذلك الموقف، وقد اكتسـب الخطاب قيمة انتاج الحرية، فهناك فارق كبير ما بين العقل الحر والعقل المقيد، لذا يسـعى خطاب ماجد الغرباوي إلى كشـوف تعالج الاشـكالات تعيد تفسـير الافكار التي قيدت من خلال السلطة الدينية، والكشف أيضا يظهر دور السلطة السياسية، والتي هي تحتمي في ظروف داخل السـلطة الدينية وتختمي بها، وفي ظروف معاكسـة تجعل السـلطة الدينية خلفها، وخصـوصـا في المكاسـب المادية، لذلك يجد ماجد الغرباوي من المهم أن (ينعم الفرد بحريات تتيح له المشاركة والمراقبة والمطالبة بحقوقه)، وكما جاء في الصـفحة 12 من كتاب أشـكاليات التجديد[1] كدليل معرفي على أهمية حرية الانتاج، ويعتقد ماجد الغرباوي الحرية الاجتماعية في محنة. فالمقدس يمتلك قيود، والسـياسـي أيضـا يتملك تلك القيود، والقبيلة والاسـرة كذلك تمتلك قيود، وتلك القيود قد وقف ازاءها ماجد الغرباوي في كتاب – أشـكاليات التجديد – على وجه الخصـوص، وفي نفسـه أيضـا يقر بأن الحرية في محنة، وذلك منذ أن ذبح سـيد الحرية من أجل السلطة السياسية .

إذا كانت الحقيقة الفكرية لا تحتاج إلى أقنعة أو تحسين كما يرى ماجد الغرباوي، فلماذا كل تلك الأقنعة التاريخية، والتحسـين المرتجى الذي قلبه الصـولجان الدين على قفاه، وتلك التحسينات التي ذهبت لصـالح السـلطة الدينية أو الدنيوية السـياسـية أو مركز القداسة، قد فصلت النظرية عن الواقع البشري لها، وكما استبدلت قيم الصلاح الإنسـاني إلى التزامات بالعبادات، على اعتبار عالم العبادة هو عالم الزهد، والعالم العملي للدين عالم الانجذاب للدنيا، وهذا ما أنتج مجتمعات للدين في خمول تام، فالواقع العملي للدين هو الرهان، لكن عالم قداسـة الفقاهة وعسـس الدين حولوا المسار، ونستذكر هنا عندما بنى إبراهيم بيوتا لله، سأله الرب كمْ من الجياع أشبعت،

---

1 – الغرباوي، ماجد، اشكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني – استراليا والعارف للمطبوعات، 2017م.

وهـذا مـا يعني دور العبـادة للخمول الـديني وللزهـاد، فيمـا الواقع العملي لخلق قوانين صـارمة للتعامل البشـري، وصـراحة السـلطة الدينية هنا قد تجاوزت عقبة عصيبة، فلن يكون هناك إلا ذلك الالتزام العبادي، والذي قد أنتج له ذلك الكم من الأحـاديث والروايات، والصـلاة في الجامع أصـبحت البديلة لصـكوك الغفران، وأصـبحت النص الديني الذي تسـتقبله السـماء مباشـرة، وتلك الشـكليات اسـتهلكت أوقات الأفراد، وتقريبا فأنعدم الاســتعداد إلى الواقع العملي، وانعدمت الإرادة والحرية نتيجة لوجود آلية حكمت الحياة البشــرية، ويرى انجلس من الواجب أن يكون النظر للعالم ليس ككيان من أشــياء جاهزة، بل ككيان من عمليات، وهذا الرأي اعتقد يضــعنا في مواجهة حتمية مع الدين الجاهز الذي انتقده موضــوعيا ماجد الغرباوي، الذي هو وثيقة وليس بنص، وتطرفها هذا اسـتوجب الرفض والاعتراض والاحتجاج والنهضـة، والعقل ليس تلك الخطابات الجاهزة، بل العقل الحقيقي هو ذلك الضــمير الحيوي والفاعل كما عند خطاب ماجد الغرباوي، والخطابات نتاج وعي ونفس بشــرية، وتختلف فيها وجهات النظر، وهذا هو جانب الاصالة الموضوعية.

يشــكل الخطاب الفكري عند ماجد الغرباوي ليس في توجه مســار احادي، وأستبدل كلمة – مسار – فهي لا تتوافق مع بنية الخطاب، وكما أعتقد بأن كلمة – ســبيل – اكثر ملائمة مع بنية الخطاب في الجانب الموضــوعي، والذي يعتمد عليه الخطاب بشـكل اسـاس، فالخطاب يسـعى إلى موازاة مفهوم كلمة سـبيل، أي أتخاذ المعرفة الخالصة ذلك المبدأ لتفسير القضايا والافكار والمواقف، فالمعرفة في السبيل يعني الحكمة وليس المسـار، فالمسـار يأخذ ويلتزم بعد الايديولوجيا مباشـرة، وتلك المباشـرة بدورهـا ســتخلق ذلـك الرد فعل المعـاكس، فيمـا الحكمـة تختلف فتجعل رد الفعل يتخلى وينتمي لها. وصــراحة لقد التزم ماجد الغرباوي في خطابه بالحكمة كمنطق جوهري، والتي هي مدعومة بالمعرفة الحقة، وكما مثل الخطاب الفكري حالة وســطية ما بين التشــدد والتراخي، وبالرغم من وجود فطرة للدين في نفس ماجد الغرباوي، لكن تلك الفطرة الاصيلة بحالة امتياز من النقاء النفسي، وكما إن الجدارة الموضوعية لم تكن قد تخلت عن قيمة واصـالة سـبيل الحكمة، بل كانت في التحليل الفلسـفي للخطـاب قـد لامســت اعمق منـاطق التفكير بتجرد تام، فـالفطرة هنـا هي اطـار

شخصي يقف بنقاء خلف حرية الخطاب ويتوازى مع تلك الحرية والخطاب أيضا، ووحدة العامل الموضوعي كانت هي النفس الاساس للخطاب عند ماجد الغرباوي، ونحن هنا لسنا ازاء تضامن شخصي، بل نحن إزاء فهم موضوعي وفلسفة حرية نقرأ ميزات ذلك الخطاب من جميع الوجوه، ولم نغفل الجانب اللساني، فوحدات الخطاب الاساس هي الجمل، وتلك الجمل تحتاج إلى تصنيف لساني، ونحن مع فصل الفكر عن اللغة، والنظر للغة هل هي مشبعة بحس شخصي أم حس موضوعي، وقد لمسنما في التصنيف اللساني اللغة متخلية تماما عن الحس الشخصي، والعمق الموضوعي لم يقف عند حد كما فسر لنا المستوى الفكري، وركن المعرفة يتجاوز ما قد بلغ تحليله إلى ما يحتاج إلى تحليل له من المناطق المجهولة، والغة أكدت هيب في سياق الفكر والتجربة والوعي المنصف .

من الطبيعي هناك فارق ما بين الاسلوب الفكري المعرفي وما بين الاسلوب المنهجي المحدد، فالمنهج يعتمد على المسلمات، ويجد تلك المسلمات حقيقة راسخة، ومن هنا قد يدخل المنهج في باب التقديس بالرغم من المعيار العلمي، وهذا ما يخالف التفكير المعرفي، والذي يجد تلك الحقائق ليست مطلقة، والمعرفة هنا تشير مباشرة إلى الخطاب البشري وليس إلى النص العلوي، فالخطاب البشري ليس بحقيقة تلزم الجميع كما يرى ماجد الغرباوي، وقد تطرق في كتابه – النص وسؤال الحقيقة – والتي نجد تلك الاشارة التي تبدأ من العنونة هي واضحة وصريحة ومباشرة، فمجاد الغرباوي يرى كل خطاب هو وجهة نظر لايمكن لنا بالتسليم المطلق تماما، فنحن حيال فكرة مهمة يتبناها ماجد الغرباوي في خطابه، ووليم جيمس يرى بأن الحقيقة لا تستخرج من الواقع، بل هي امر يجب التعرف عليه، وأما مارتن هيدغر يرى تلك الكلمة النبيلة لقد استهلكت تماما حتى افرغت من أي معنى لها، وفعلا التصريح بالحقيقة الجازمة الذي يعارضه خطاب ماجد الغرباوي هو اعتقاد للحقيقة وليس الحقيقة نفسها، ومن الطبيعي الاعتقاد بفكرة من الطبيعي لا يعني الحقيقة نفسها، والاعتقاد هو تصور عن الحقيقة، لكن هو يزعم أنه مصداق للحقيقة، فيرى الغرباوي بأن القراءة المتحيزة فهي ستهمل الاسباب الموضوعية. وستفرض تلك القراءة ما تتبنى على المتن النصي، وتلك اشكالية تاريخية كما يرى ماجد العرباوي، حيث ستقوم

بتشـــويه النص وتحتل مضـــمونه، وتلك القراءة لقد حكمت المضـــمون الديني بقيود العصـبية والتطرف، وهنا لا تتجلى حقيقة النص، بل تصـور تلك القراءة، والتي بنت على فهمها فقط .

قراءة ومراجعة في كتاب
مقتضيات الحكمة في التشريع
نحو منهج جديد في تشريع الأحكام
ماجد الغرباوي

بقلم: ا.م.د أسعد عبد الرزاق الاسدي[1]

مدخل: يعد مجال علم الفقه والتشريع من المجالات التي شهدت تطورا في البنية والمنهج في المرحلة الاسلامية، فلم يتطور علم من العلوم الدينية وينضج كما في علم الفقه وأصوله، فضلا عن كونه المؤثر الأكبر في المجتمع والتاريخ من بين العلوم الدينية الأخرى، وهو بهذه المكانة أصبح يُنظر إليه من ناحيتين، فمن ناحية التفكير المنهجي المنضبط وما أسهم فيه من تهيأة منظومة من الأحكام التي تلبي متطلبات الايمان الديني وتشكيل الهوية الدينية، كان دوره فاعلا على مدى التاريخ الاسلامي.

ومن ناحية توظيفه في تكريس بعض الميول والاتجاهات العقدية التي أدت بنحو وبآخر إلى خلق بعض الأزمات، كان ذلك من نتائجه السلبية، وهي بحدود تتبعي تعود إلى مناهج الفهم البشري وكيفية التعامل مع النصوص التشريعية من قبل بعض البيئات والتوجهات الفكرية.

دأب الفقهاء المسلمون على قراءة النص التشريعي واستقاء الاحكام الشرعية لتوجيه الجانب العملي من الدين، عبر علوم الشريعة والاستنباط وبالأخص علم أصول الفقه الذي يعد من أفضل ما انتجته المعرفة الدينية الاسلامية بنحو عام، بما

---

1 – كلية الفقه/جامعة الكوفة

أسهم فيه ذلك العلم من ارساء لقواعد منهجية منضبطة في تحليل النص التشريعي، بحيث نجح علم أصــول الفقه في توظيف العلوم الآلية الأخرى (المنطق والنحو وعلوم اللغة..) في خدمة النص الديني، وهو مما لا يمكن تغافله برغم بعض الإخفاقات التي شابت بعض التوجهات في مناحي الاستدلال الفقهي في مختلف المذاهب الاسلامية.

لذا كانت دراســات الفقه وتشــريع الأحكام موضــعا لإثارة الجدل والاختلاف بســبب تداخل العلوم والمناهج في عملية اســتنباط الأحكام، التي تعد من أعقد وظائف علماء الدين، لأن هذا المجال على صــلة وثيقة بواقع الســلوك والعمل للفرد والمجتمع وبناء النظم ومسارات العيش.

إن قراءة ومراجعة كتاب (مقتضــيات الحكمة في التشــريع، نحو منهج جديد في تشريع الأحكام- لمؤلفه المفكر العراقي القدير ماجد الغرباوي) تأتي في سياق متابعة المنجز المعرفي في عموم المعرفة الدينية الراهنة التي تتابع أثر الدين في الحياة، ومن هنا تبرز أهمية الكتاب ومراجعته على حد سواء.

وعبر اعتماد منهج تحليلي لا يخلو من النقد التزاما بالحياد والموضــوعية برغم العلاقة الطيبة التي تجمعني بالمؤلف، وبرغم التوافق الفكري والمعرفي الذي يجمعني به، لكن ذلك لم يؤثر إلى حد ما على طبيعة القراءة والمراجعة الدقيقة للمنجز المميز الذي قدمه الغرباوي في هذا الكتاب.

المطلب الأول: قراءة في التساؤلات والفرضيات التي بني عليها الكتاب:

بعد تتبع مقدمةالكتاب يمكن تحديدة جملة من المنطلقات التي شـرع منها المؤلف في كتابة مشروعه:

- يمكن ملاحظة أن الكاتب مدرك جيد لرهانات التجديد وضــرورته في مجال الفقه تشريع الأحكام، بعد أن ألمح إلى حجم التطورات التي سادت المشهد الحياتي في العصــر الراهن، ومدرك أيضــا لحجم الفجوات وخطورتها في البناء المعرفي لعلم الفقه وما تؤول إليه من نتائج على مســتوى الأحكام المســتنبطة

والتي وصلت حد الفتاوى التي من شأنها أن تؤثر في الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي.[1]

- لاحظ الكاتب بدقة بدايات التكوين لعلوم الفقه والاستنباط من خلال ما عرض له في مدونة الشافعي التي تعد مساحة تأسيسية أولى على المستوى الاسلامي، وما تمخضت عنها من قواعد وأسس آلت بالنتيجة إلى ما هو عليه الفقه الاسلامي اليوم من نسق معرفي[2].
- يقع الكتاب ضمن سلسلة متاهات الحقيقة وهو ما يشير إلى هم كلي حول منظومة الفكر الديني، عبر الاهتمام بمسائل الفكر الديني بنحو عام من قبيل القيم والاخلاق وأثر العقائد في بناء الوعي الديني وما تتضمنه تلك المجالات من مشكلات حقيقية تمثل هم المثقف الديني في المشهد الراهن، لذا اكتسب مشروع الكتاب طابعا نقديا حادا إلى حد ما.
- يفترض الكتاب بنحو أساس وقوع التعارض بين الشريعة والأخلاق وأن هذا التعارض يهدر القيمة الأخلاقية، ويفرع على هذا الافتراض تساؤلات جدلية أبرزها: ماهو التعارض؟ وما هو سببه؟ وهل يمكن تسويته؟ أم أنه تعارض مستقر؟ وهل يمكن رفعه؟

ويمكن الملاحظة على الافتراض الاساس من عدة وجوه:

1 – ان افتراض وقوع التعارض بين الشريعة والاخلاق يبتني على مقولة التعارض التي تعد مسألة جزئية لها قواعدها في الأحكام الجزئية المتعارضة، بينما نحن بصدد التفكير في التنافي بين الشريعة والأخلاق بنحو كلي ولو بملاحظة بعض الجزئيات لكن التعارض كمصطلح (أصولي/ في أصول الفقه والاستنباط) أخذ فيه تعارض الاحكام بين حكم واجب وآخر مباح أو محرم، مع تساوي الموضوع ودليل الحكم،

1- ظ: مقتضيات الحكمة في التشريع، نحو منهج جديد في تشريع الأحكام- ماجد الغرباوي،ص: 5-6

2- المصدر نفسه، ص: 7-8

بينما التنافي بين الشـــريعة والأخلاق يعد تنافي من حيث روح الحكم لا من حيث تساويهما في قوة الدليل واختلاف سنخ الحكم من جواز أو منع.

2- ان اطلاق (المسـتقر) على التعارض وافتراضـه، لم يدعيه أحد، والكتاب في أطروحته مع كونه ينقد التنافي بين بعض أحكام الشريعة ومبادئ الأخلاق فهو لم ولن يسلم بالتعارض المستقر لأنه اقترح منهجا بديلا من شأنه أن يحل مشكلة التنافي بين بعض أحكام الشريعة من جهة، ومبادئ الأخلاق من جهة أخرى.

3- إن طرح الاشـكالية بمصـطلحات من داخل علوم التشـريع (الفقه وأصـوله) يمنح المشـروع رصـانة علمية من جهة، ويقوي منطلق البعد النقدي في المشـروع، إذ يمثل النقد من داخل منظومة التفكير المنهجي الفقهي حالة جديرة بالاهتمام من قبل المختصـين الذين تقع على عاتقهم مسـؤولية المراجعة والتصـحيح فيما بعد إنضـاج مشروع الكتاب.

والتركيز أيضا على الحلول بمصطلحات من داخل المنضومة كـ(اسباب التعارض ورفعه) تعد محاولة ناجحة في إكســاب المشــروع قابلية لإقناع المشــتغلين في علوم الشريعة (الفقه وأصوله)، برغم ملاحظتنا على استعمال مصطلح (التعارض) في أصل الفرضية والاشكاليات.

إذن ركز الكتاب في فصله الأول على اشكالية التعارض بين الشريعة والأخلاق، وهذا التساؤل المفصلي أصبح الموجه الأول في مشروع الكتاب، من خلال ما يعرض إليه من مشــكلات ســادت المنجز المعرفي الفقهي في تعامله مع مشــكلات الواقع، ومدى مراعاة الجانب الأخلاقي والقيمي الذي أصبح هاجز الثقافات المعاصرة اليوم.

المطلب الثاني: فرضية الكتاب وإشكالاته:

الارضية التي ينطلق منها الكاتب ليؤسس مشروعه تتضـمن فرضية ومجموعة من المشــكلات التي تمت ملاحظتها من قبله، وأولى تلك المشــكلات هي التعارض بين الشريعة والأخلاق، وفي ظني أن المحور الأساس في اشكلات الكتاب هو ثنائية الفقه

والأخلاق، ومدى الانســـجام المنهجي، لأن الانســـجام البنوي بينهما يكاد يكون محسوما، وهو ما أكده الكاتب من كون التعارض ليس مستقرا وليس في عالم الثبوت، بل في عالم الإثبات والاســـتدلال، وهو بهذا المعنى يكون منهجيا بالمعنى الأعم لمفردة المنهج..

أولا: اشكالية التعارض بين الشريعة والاخلاق

(النقد من داخل المجال المعرفي):

ان تناول هذه الاشـــكالية من الأهمية بمكان، إذا ما لوحظت بمســـتوها الكلي والجزئي، ونحن نسلم مع الكاتب أن تناول الكليات ومناقشة الأصول التي يبنى عليها التشريع مما يكتسب أهمية نظرية بالغة الضرورة، وثمة اهتمام ولو نسبي من قبل علماء المسلمين حول هذه المسألة، كما في تناولهم مقاصد الشرع وملازمة الشرع للعقل في بناء الأحكام وتشـريعها، وهومما لا يمكن إغفاله بأي حال، لكن الحديث في المآلات والجزئيات يكتسب قيمة وأهمية أكثر من الجانب الكلي.

فعند متابعة أولويات الاهتمام الفقهي على مسـتوى مراعاة القيم والمبادئ الكلية ســـوف نجد تفاوت بســـيط، بخلاف واقع التطبيق الجزئي لتلك المبادئ ومصـــاديقها على الواقع، رغم أنه أكد عدم تبنيه للتعارض المسـتقر بين الشـريعة والاخلاق[1]، وهو ما يدعو إلى صـياغة عنوان الاشـكالية بنحو أدق ليصـبح التنافي والمفارقة بين الفقه كمنجز بشـــري والأخلاق على اعتبار أن الشـــريعة هي ما انبثق عن عالم الثبوت والواقع من قبل الوحي.

وقد ركز الكتاب في مشـــروع الكتاب على أهمية مراعاة تلك المبادئ (العدل، الحرية، المسـاواة، الاخلاق..) وحاول تحديد مواضـع الخلل في بعض المسـائل كما في

1- المصدر نفسه، ص 22.

مسألة قتل المرتد[1]، وهي المسألة التي تعبر عن الجانب الجزئي من الاشكالية، ولا تقل أهمية عن بقية المسائل التي أشار إليها الكاتب.

ومع متابعة منطلقات البحث عند الكاتب، نلحظ ان النقد يقوم من داخل المجال المعرفي للفقه، ففي البدء ينفي التعارض الجوهري بين الدين والأخلاق على مستوى الواقع التشريعي (عالم الثبوت)، ويقصر الأمر على مستوى فهم الخطاب التشريعي، مع ملاحظة بشرية ذلك الفهم وعدم معصوميته من الخطأ، كما أنه يقف موقفا تجاه تخصيص السنة للكتاب، فيذهب إلى عدم إمكان تخصيص العام القرآني بخبر الواحد الظني، كما ينقل هذا الرأي عن بعض الحنفية[2]، لكنه يشير إلى إمكانية ذلك إذا كان على نحو التفصيل والبيان[3]، ومشهور فقهاء الإمامية مع جواز التخصيص، وهنا تكمن الجرأة في مخالفة المشهور، على أن كثر من العلماء الإمامية يرجحون أن تخصيص خبر الواحد للعام القرآني يأتي في سياق التبيين والتفصيل، ويفترضون أن العام ظني الدلالة، ويقدم الخبر اذا كان قطعي الدلالة، مع التحقيق في مسألة صدور الخبر[4].

كما يؤكد على الاهتمام في فلسفة الأحكام الشرعية وتتبع غايات الأحكام وما تحققه من مصالح وما تدرءه من مفاسد، ويكرس على متابعة ما ينتجه العقل العملي من قيم أخلاقية أصيلة، تكون جديرة بالوعي لها ومراعاتها في ضمن عملية فهم النصوص الشرعية.

1- المصدر نفسه، ص: 25

2- ظ: نهاية السول للإسنوي (2/ 459)

3- ظ: مقتضيات الحكمة في التشريع، مصدر سابق، ص: 17

4- ظ: محمد جواد مغنية، علم اصول الفقه في ثوبه الجديد: 190

ثانيا: فرضية مقتضيات الحكمة في التشريع (التأسيس من داخل المجال المعرفي):

ينطلق الكاتب من ملاحظة مرحلة الجعل، وهو ما يشير إلى محاولة التأسيس من داخل المجال المعرفي لعلم الفقه وأصوله، فيطرح مصطلح (مقاصد الجعل) ويشير إلى أنها غير (مقاصد الشرع)[1]، والمراد من مقاصد الجعل عنده هو ما تقتضيه حكمة وفلسفة التشريع في ضوء مجموعة من آيات القرآن الكريم، انطلاقا من عقلنة التشريع التي تتضمن الكشف عن آليات عملية التشريع بعد تحديد مبادئها في ضوء مقتضيات الحكمة والقيم الأخلاقية، منطلقا من قوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[2]، مستفيدا إمكانية إيتاء الحكمة لأي شخص يسعى إلى بلوغها، من أولي الألباب والعقل، وأهم ما يلفت النظر في أطروحة الكاتب هو (ليست الأحكام في الشرائع السماوية معطى نهائيا، بل أن تشريعها يجري وفقا لمقتضيات الحكمة ومبادئ التشريع في أفق الواقع وتطورها)[3]، وخلاصتها أن التشريع يستند إلى قيم أخلاقية يمكن للعقل أن يدركها، ويوظفها لملئ الفراغ التشريعي، وهنا لنا وقفة مع هذا الطرح من عدة وجوه:

1- على النحو الكلي لا يوجد خلاف على أصل استناد التشريع على القيم الأخلاقية.
2- جريان التشريع وفق مقتضيات الحكمة ومبادئ التشريع على النحو الكلي واضح، لكن على النحو التفصيلي يحتاج إلى بناء قواعد تفصيلية جديدة.
3- ان العقل يمكنه إدراك بعض الكليات من القيم والمبادئ الأخلاقية، لكن تحديد المصاديق موضع خلاف بين البشر في أغلب الموارد والحالات.

1- مقتضيات الحكمة في التشريع، مصدر سابق، ص:31.
2- البقرة: 269
3- مقتضيات الحكمة في التشريع، مصدر سابق، ص: 33.

4- إن الإشارة إلى منطقة الفراغ وتوظيف مقتضيات الحكمة لملئها سوف يحدد من فرضية الكاتب في مشروعه، إذ أن التنافي أو التعارض بين بعض الأحكام والقيم الأخلاقية لم يكن في مجال الفراغ التشريعي فحسب بل هناك أحكام دلت عليها أدلة معتبرة (مملوءة شرعا) وتعاني من إشكالية التنافي مع القيم الأخلاقية بحسب فرضية الكتاب.

نقطة القوة في التأسيس:

من الملفت للنظر وما يمثل نقطة القوة في طرح (المنهج الجديد)، هو ما تناوله الكاتب حول توقف فعلية الاحكام على فعلية موضوعاتها، فالاستطاعة مثلا شرط في وجوب الحج، وحكم الحج (الوجوب) متوقف على فعلية موضوعه (فعل الحج) والذي بدوره متوقف على شرط الموضوع (الاستطاعة)، من هذه الصورة التحليلية للحكم الشرعي التي قدمتها المدونة الفقهية والأصولية، انطلق الكاتب في صياغة منهج مقتضيات الحكمة في التشريع، ليجعلها على الأقل أحد أركان تحقق موضوع الحكم، مع تبنيه عدم كفاية تحقق موضوع الحكم من ناحية الفعل وبعض شروطه كما في الاستطاعة، بل يدعو وبنحو واضح إلى فحص موضوعات الأحكام (كأفعال للمكلف) من حيث مدى انسجامها مع الحكمة في التشريع والقيم الأخلاقية، وهو ما يدعو بنحو حثيث إلى الاهتمام بحكمة التشريع في أثناء فهم الدليل واستنباط الحكم واصدار الفتوى، فلابد أن يكون الحكم ناظر للواقع ومحكوما بالمبادئ التي تحفظ مصالح الإنسان، وليس الحكم مجرد التزام بمقتضى العبودية ومنطق التعبد فحسب، بل هو التزام بمنطق القيم الأخلاقية التي تحفظ وجود الإنسان، ومقاصد الشرع بنحو عام.

ولم يغفل الكاتب أيضا، ما لهذه العملية من جانب معقد كما أشار إلى ذلك[1]، وإن قراءة النصوص الشرعية في مقام الاستنباط لن تكفي في ادراك الملاك والمصلحة

1- المصدر نفسه، ص: 35.

مطلقا، مالم تتم الإحاطة ولونسبيا بما يصرح به القرآن الكريم من مبادئ وقيم وقواعد عليا، تحكم الفهم الفقهي للنصوص الشرعية وتوجه عملية الاستنباط بما يوافق مقتضيات الحكمة في التشريع.

كذلك أسس إلى معالم جديدة حول مفهوم التشريع والقرآن الكريم، عبر التأكيد على وحيانية النص القرآني، من جهة، وفهم مغاير لقداسة النص القرآني من جهة أخرى، إذ تعتمد رؤيته حول القداسة على ملاحظة خصوبة النص وثرائه وعمقه وإمكانية كبيرة لتأويله والبحث في أعماقه، بخلاف التعبد المحض الذي يلغي الإرادة والواعية للإنسان المتدبر[1].

وللواقع أهمية بالغة في رؤيته حول النص التشريعي في القرآن، ولما كان القرآن الكريم يشير بنحو واضح إلى واقعية الأحكام كما في قوله تعالى: (ويسألونك.. ويستفتونك)، فإن هذا الشاهد يؤكد على أن القرآن الكريم في بعض مسائله جاء استجابة إلى واقع محدد، ومنه يمكن إدراك أن الأحكام الشرعية منها ما هو زمني محدود، ومنها ما هو مطلق لكل زمان ومكان.

ومن المسائل التي أسس إلى نقدها وإعادة قراءتها هو ما اشتهر عند الأصوليين: (المورد لا يخصص الوارد)، لكن الكاتب يشير إلى أن فعلية الحكم ترتهن لفعلية موضوعه، والمورد أحد طرق تشخيص شروط فعلية الموضوع وهي نتيجة هامة بنظره، وتوافقا مع ما يؤكد عليه السيد محمد باقر الصدر من ارتهان فعلية وعدم فعلية الحكم لفعلية وعدم فعلية الموضوع[2].

ويرتبط هذا الجانب بمبحث هام يتعلق بالقضايا الحقيقية والخارجية والتمييز بينها في موضوعات الأحكام، ويعد هذا المطلب من المطالب الأصولية المتداخلة مع الفلسفة كما بحثها مفصلا السيد الطباطبائي في كتابه الفلسفة والمنهج الواقعي، والتمييز بين نوعي تلك القضايا يساعد كثيرا على إعادة النظر في موضوعات

1- المصدر نفسه، ص: 52.

2- الصدر، محمد باقر، دروس في علم الأصول: 126

الأحكام التي يتم عبر تنقيحها التمييز بين الأحكام المطلقة والأحكام المحدودة بزمان دون زمان.

ربط التشريع بالأصول والمبادئ:

لم يعهد الواقع الاستنباطي أن يتم الربط بين المبادئ من جهة، وإجرائيات الاستدلال من جهة أخرى، بحيث يتم استحضار المبدأ الكلي في أثناء عملية استخراج المعنى الجزئي من النص، وربما تضمن هذه العملية في سياق قبليات الفقيه والمؤثرات التي تحكم فهمه، فيكون تحصيل حاصل، لكن ليس بالنحو الذي يدعو إليه الكاتب، إذ استدعى مقاصد الجعل كحلقة بديلة عن عدم إمكان إدراك الملاك والمصلحة، كما يذكره مفصلا في كتاب آخر[1]، فيفترض وجود مبادئ وقيم تحدد تلك الملاكات التي تعد متعسرة الإدراك على العقل الفقهي، وتلك المبادئ والقيم تمثل مرجعيات كلية تدخل شرطا أساسا في تشكل لائحة الاستدلال على الحكم الجزئي، وتتصل تلك الأصولوالمبادئ بالمجال العقدي والرؤية الكونية، بحيث تزول الفجوات بين الفقه من جهة، وعلم العقيدة من جهة أخرى، عبر علاقة تتضمن رؤية فلسفية وكونية عن الإنسان ووضعه تحت نظر التشريع كمنظومة كلية شاملة.

ويوضح الكاتب أن تلك المقدمات والمبادئ يتم إدراكها بالتأمل الطويل ومن قبل نخبة مستوعبة للتشريع بنحو كلي وعلى قدر عال من الوعي بمتطلبات الواقع الانساني.

والملاحظ أن الكاتب في الغالب يحيل إلى كتابه (الفقيه والعقل التراثي) الذي يتضمن تفصيلات معمقة عن ضرورة اتصال الفقه بفلسفة القيم والأخلاق من جهة، وبفلسفة الإنسان وواقعه من جهة أخرى، محاولا الخروج من النسق التقليدي الذي يكتفي بالقواعد المحددة والتي تكون صارمة منهجيا، إلى مساحة أوسع تتضمن وعي

1- مقتضيات الحكمة في التشريع، مصدر سابق، ص: 120.

القيم، ووعي الإنسان، ووعي الواقع، بمنهج عقلي/عقلاني، يتوخى استحضار الكلي في مقام استنباط الجزئي.

وتحت عنوان (مبادئ التشريع) تناول الكاتب فرضية مقتضيات الحكمة وما تقتضيه من أن الأحكام تشرع وفقا لمقتضيات الحكمة ومبادئ التشريع على وفق الواقع و ضروراته، ويقصد بمبادئ التشريع تلك القيم والتصورات الكلية التي بموجبها يحدد مستوى الالتزام بالحكم الشرعي[1] ويتساءل حول ما إذا كانت مبادئ التشريع مبادئ إنسانية أخلاقيه كونية ثابتة في عرف العقلاء حتى تكون صالحة كمرجعية معرفية لملئ الفراغ، وفي النهاية يجيب عن ذلك بالإيجاب ويستحضر الأدلة التي تدعم هذه الفرضية، من خلال مبادئ عدة تمثل مرجعيات جزئية، والجديد هنا أتنه يؤسس إلى الإطار المرجعي الموحد بين مختلف المجالات المعرفية، مؤكدا أن المرجعية للفقه لا للفقيه، ملتفتا إلى قيمة التراكم المعرفي في المجال الفقهي الذي يسوغ الرجوع إليه من باب العرف التشريعي، كما يشير إليه الكاتب صراحة.[2]

ويتناول في المبدأ الأول مركزية العدل وعدم الظلم ويعتمد نصوص القرآن الكريم مثل قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان..) فإذا كان العدل قد أمر به القرآن الكريم مراراً فمن الأولى الالتزام به شرعياً، ومن ثم يحلل مفهوم العدل والعدالة في ضوء النص القرآني وينطلق إلى المبدأ الثاني السعة والرحمة، وهو مبدأ أساس في تشريع الأحكام قرآنية وتؤكده بعض النصوص القرآنية مثل قوله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم..) والآية في نظر الكاتب تصرح بقصدية الانتقال من العسر إلى اليسر وتحرير الناس من معاناة التشريعات السابقة وهنا ينتقل إلى فكرة ضرورة أن تراعي الشرائع الواقع وضروراته، والإسلام يختم تلك الشرائع بتخفيف ما كان يعانيه الناس من الشرائع السابقة وهو ما يؤكده قوله تعالى: (يريد الله أن يخفف

1-المصدر نفسه، ص: 85

2- المصدر نفسه، ص: 106

عنكم..)، والمبدأ الثالث المساواة، والمساواة عند الكاتب هي شرط صدقية عدالة الأحكام، وإنما تسري على الجميع، والمبدأ الرابع هومراعاة الواقع، وهو ما يجب مراعاته لتوقف فعلية موضوع الحكم على فعلية جميع ما يرتبط به، فالواقع هو موضوع الحكم، ويشير الكاتب إلى التحولات التي تلاحق الواقع وهي ملاحظة بالوجدان كما يشير الكاتب أيضا إلى فكرة جوهرية في طرحه تتمثل بوحده المبادئ التشريعية إذ يذكر مجموعة أدلة وشواهد تؤكد وحدة مبادئ التشريع بين الأحكام السماوية والوضعية بما يتيح ملء منطقة الفراغ بعيدًا عن وصاية الفقيه سوى خبرة الفقيه الفقهية والقانونية، ووحدة المبادئ هذه تكرس حالة العقلانيه في الفقه الإسلامي وتؤكد ضرورة الاحتكام إلى الخبرة المتراكمة والمعارف البشرية في إطار وفي مجال القوانين والأحكام والتشريعات.

ويخلص في آخر بحثه إلى ضرورة تفعيل ولاية الشريعة بدل ولاية الفقيه ويعني بولاية الشريعة وهي أن تحكم الشريعة بالأدوات المجملة واستحضار العرف التشريعي والسيرة العقلاء، كل ذلك يقدم معرفة إجمالية من شأنها أن تقدم مساحة خاصة من المعارف التي تعين على استنباط الأحكام الشرعية وفق متطلبات الواقع.

أن هذا الطرح يساوي ما تطلق إليه بعض الفقهاء والباحثين من مصطلح روح الشريعة ومذاق الشرع ويمكن أن نفيد من طرح الكاتب أن المسألة في جلها تتعلق باستلهام القواعد والأحكام من خلال المعاني الإجمالية والكلية في التشريع التي يستفاد منها الفقيه في عملية قراءة واستنباط الأحكام الشرعية.

خلاصة

جاءت هذه القراءة بنحو موجز ومختصر، بعد متابعة الفصلين الأولين، اللذين تضمنا نسبة من التأسيس، وبقية الفصول كانت على موضوعات لا تقل أهمية عن الأول والثاني، فالفصل الثالث تناول مسألة الفراغ التشريعي بدءا من تكونها لدى الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وانتهاءا بما يعرض إليه الكتاب من منهج جديد،

تكتمل ملامحه من خلال بقية الفصـــول، إذ يعرض الفصـــل الرابع إلى الأســـس الأخلاقية للتشريع، وعلى غرار بقية الفصول البالغة اثني عشر فصل.

ومن الجدير بالملاحظة أن المشـــروع قائم على ملاحظة ونقد الفقه بنحو عام، وبمختلف اتجاهاته ومذاهبه، ولم يقتصـــر على الفقه الامامي، لأن كثيرا من التطبيقات التي ســاقها الكاتب كانت نماذج لطروحات ســلفية متشــددة لا تمثل الرؤية الفقهية الإسلامية العامة، بسبب انفرادها بمنهج خاص في قراءة النصوص التشريعية، وهو ما يدل على سعة اهتمام وأفق الكاتب.

إن المشروع في هذا الكتاب لايمكن استيعابه من دون الاطلاع على بقية المنجز المعرفي للمفكر الاستاذ ماجد الغرباوي، فضلا عن كونه سلسلة مترابطة من البحوث التي تبعت كتب ومؤلفات أخرى في سياق تجديد المعرفة الفقهية.

إن ما يميز المســـاحة الفكرية التي يتحرك فيها المفكر ماجد الغرباوي، هي المجال العملي الواقعي الذي يوفره علم الفقه وما يختص به من قرب وصــلة بالواقع، وهو ما يفتقد إليه عقل النخبة، إذ يغلب التعمق في المفاهيم والتنظير من دون الإحاطة بتفاصــيل الواقع التي يتناولها مجال الفقه والأحكام بنحو تفصــيلي، وهو ما تمكن منه الغرباوي بنحو دقيق أضـــفى طابعا شموليا على طروحاته، وبالأخص الكتاب الذي بين ايدينا، وســوف تكون هناك تتمة لهذه القراءة الموجزة للكتاب لتنتهي منها لاحقا بنحو مفصل بعون الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

المسكوت عنه
بين فلسفة الحوار وحوار الفلسفة
في فكر ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة خيرة مباركي[1]

كتابات ماجد الغرباوي حلقة جديدة من حلقات التفكير الحرّ، يمكن اعتبارها مرحلة جديدة من مشروع نهضوي عام يندرج ضمن حركة إصلاحيّة واعية ببرنامجها ومراميها الفكريّة، لما قدّمته من أفكار ورؤى استطاع عبرها أن يخطّ أهدافه التنويريّة، منطلقاً من جملة من التحدّيات التي واجهها الفكر العربي قديمه وحديثه في رواسب المعتقدات والعقليات التي طغت في المجتمعات العربيّة، ممّا هيّأ لخطاب نهضويّ، جادٍ واعٍ بخصوصيّة الوضع الرّاهن وما يحمله من توجّس ممّا عسى أن يتسرّب من أفكار ومعتقدات يمكن أن تعصف بالمجتمع وتلقي به في هاوية التخلّف والرجعيّة، وهذه الراهنيّة تتجاوز الزمن والفضاء الذي تولد فيه فكرة النهضة إلى تعميمها في كلّ زمان ومكان لأن ما تقوم عليه من مبادئ قادر على مواجهة كل خطر خارجيّ أو داخليّ على السواء، وهذا ما جعلها متجدّدة بتجدّد طرحها ومجادلتها. على هذا الأساس يمكن اعتبار فكر ماجد الغرباوي، من خلال ما قدمه من كتابات، مواصلة لمشروع تحديثيّ استوجب الوقوف عند محطات عديدة وفي مجالات مختلفة، ولئن مثّل الخطاب الدينيّ الأسّ الذي شيّد عليه الباحث بنيانه، فإنّ العقل وسيلته في الاحاطة بمشروعه الفكريّ وذلك بالنظر والمجادلة بالحجّة العقليّة حرصاً على الإقناع والتغيير. فما يبدو لمتلقّي هذه الآثار الفكريّة خطاباً إنسانياً وعقلياً يعزّز الشعور بالانتماء ويُنبئ بجوانب

---

1 – طالبة دكتوراه، باحثة وناقدة – تونس

من الواقع (الديني، الاجتماعي، السياسي...) فإنّ التوغّل في أعماق هذا الخطاب يكشف حقيقته الإبداعيّة والتجديديّة، بما هو إعلان عن ولادة نزعة عقليّة تتركّز على فكر موضوعيّ لا ينظر إلى الأشياء في تكوّنها بل في ما يمكن أن تفرزه من مؤثّرات، تشكّل قاعدة ثابتة يمكن، من خلالها إعادة النظر في المسلّمات ونقدها، وصولاً إلى أهداف تنويريّة هي مقصد فكره الليبراليّ، يعرضها بوعي عميق واستراتيجيا ذكيّة تعود إلى التراث لتبني المعاصر. وهذا من شأنه أن يدعم علاقة الفكري بالتاريخيّ. حيث يمثل الأول منطلقا لتكوين العقل التاريخي، وذلك من خلال "فهم دوافع الفكر التاريخيّ ونمط تكوّنه وسيرورته، ومن معاينة ما ظهر، وملاحظة ما بان من عوائق تطوّره وتطوّر الوعي التاريخيّ معه"[1]. والدين جزء من هذا التاريخ، يمكن أن يمثّل ركيزة الفكر الاجتماعي في أي لحظة تاريخيّة كانت، تركّزت حوله فلسفة الغرباوي في مؤلّفاته وحواراته ومن ثمّ مشروعه الفكريّ التنويريّ.

قد تكون تلك رؤية الغرباوي وقد يكون توجّهه الفكري في الكشف عن حقيقة التاريخ الديني وعن حقيقة فهم النصّ الديني. لكن هل أنّ هذا التوجّه هو أقصى غايات ماجد الغرباوي المفكّر التنويري، ونحن نراه يعرض مسائل على قدر من الأهمّيّة والخطورة ، فهو يعمّق النظر في مسألة التوحيد ويدرس السيرة بكلّ مراحلها ويتقصّى خفاياها. ويتناول مسائل التسامح والاختلاف وغيرهما من المسائل الجادّة والفارقة في الفهم الديني والسلوكي الحضاريّ؟ هل يمكن أن نكتفي بظاهر ما قدّمه الباحث من أفكار وحقائق، ومن عمل فكريّ وعقليّ في تناول كلّ ذلك؟ ما الذي يجعل مفكّر مثل ماجد الغرباوي يعيش الغربة لأجل الكتابة وهو ما أقرّه في بعض حواراته مع بشرى البستاني؟ هو مفكّر عقلاني ذو توجّه ليبراليّ وهو ما تنبئ به كتاباته وتوجّهاته الفكريّة. لذلك لا يمكن أن نتناول مثل هذه المؤلّفات بسطحيّة ونكتفي بما ظهر وبان فيها. فما قدمته العديد من الدراسات حول هذا المفكر التنويري منطلق لدراسات أخرى تبحث في المضمر من هذا الخطاب والمسكوت عنه فيه. فعندما

---

1 - فتحي التريكي، العقل والنقد في فلسفة التاريخ عند العرب، مجلّة الفكر العربي المعاصر، العددان 88-89، ماي/ جوان 1991، ص27.

نتعمّق في فكر ماجد الغرباوي تنبثق أمامنا جملة من الإشـــكاليات التي تقدح في الذّهن وتدفع إلى التساؤل والحيرة، ويمكن أن نستشفّها في خطابه، وليس صعباً أن نتلقّى جملة من الإشـــارات المتفجّرة ممّا يعرضــــه من أفكار. بمعنى أنّ اهتمامه بتاريخ الإسلام وما انطوى عليه من أحكام شرعيّة إنّما هو ضرب من الإشهاد على الحكم الشرعيّ، ومنه يكون الدرس والعبرة. فهو، ولئن ركز على الفكر الديني لما له من أهميّة بالغة فإنّه يطرح بطريقة غير مباشـــرة رؤيته الليبراليّة ودوافعه التنويريّة التي يســـعى من خلالها إلى النهوض بالوطن وما علق به من مؤثّرات الجدل العقائديّ، عمّق الصـــراع بين المذاهب وشتّتت أواصر المجتمع فيه، لأنّ المسألة ليست مجرّد درس للتراث الديني بقدر ما هي فكر وتصـــوّر وعقيدة ترتســـم من خلاله صـــورة مجتمع كامل بعقائده ومعتقداته وتصـــوّراته، وكذلك بمســـتوى تطوّره. وهنا ينتظم حديثنا عن أعمال ماجد الغرباوي داخل إشـكاليّة ما يطرحه من قضـايا انطلاقا من محاولة تشـخيص الأعراض التي يعاني منها العالم العربي الإســلامي عامة والواقع العراقي على وجه الخصـوص. ثمّ محاولة استنباط حلول وسبل الخلاص منها. وصولاً إلى النتائج التي ترتّبت عن ذلك.

قد يكون هذا النّهج الفكري مضـمّناً في خطاب الغرباوي الديني لكنّه يحتاج إلى رؤية ثاقبة ودرس عميق يمكّن من الوقوف، لا على حقيقة هذا الخطاب في ظاهره، بل ما يستبطنه من دلالات وما يكشـف عنه من فلسـفة تنويريّة، لأنّ ما يكتبه ليس من فراغ وإنّما هو نتاج وعي عميق بخصوصيّة المرحلة وخطورتها على الوضع الحضاري والاجتماعي، وكذلك التاريخيّ. فالفكر العربيّ المعاصـر كما يقول كمال عبد اللطيف "يشـكّل الأفق الأيديولوجيّ المعبّر عن بنيات التاريخ العربيّ المعاصـر، إنّه يعكس كلّ أشـكال الصـراع التي عرفها هذا الواقع، كما يعكس مختلف التحدّيات والضـغوط التي تمتلئ بها الحيـاة العربيّـة". وهـذا مـا يجعلنـا نقرّ جـازمين بعـدم انفصـــال البنيـات الأيديولوجيّة عن فضـائها التاريخيّ. لهذا لا يمكننا أن نفصـل بين ما كُتب وما قيل من رؤى فكريّة ليبراليّة في أبعادها ومقوّماتها النظريّة، وبين ما أشـير إليها باعتبارها شـكلاً من أشـكال المسـكوت عنه الذي يلمّح ولا يصـرّح. ولا سـبيل إلى فهم ما يحمله هذا الفكر من دلالات تاريخيّة وحضـــاريّة إلاّ بما يفصـــح عنه الخطاب في ارتباطه بالواقع التاريخيّ والحضـــاريّ. ويحلّل أبعاده الاجتماعيّة والثقافيّة وكذلك النفســيّة، ونعني بهذا

طبيعة الواقع الذي أثمر مثل هذه القراءة، من جهة، ورؤيته للدّين باعتباره المحدّد لطبيعة التعامل مع الواقع. على هذا الأساس نضمن مشروعيّة التعامل مع تجلّيات الفكر اللّيبراليّ ومقوّماته في مشروع ماجد الغرباوي الدينيّ، إيماناً منّا وعلى حدّ تعبير غرامشي "أنّ الممارسة النظريّة لا تكون مجانيّة ومحايدة وفوقيّة بقدر ما هي ممارسة تضرب بجذورها في التاريخ".

لقد حاول الغرباوي أن يؤصّل رؤية جديدة للواقع من خلال العودة إلى منابع الفكر العربي بما في ذلك الدين والمخيال الجمعي والفلسفة، ليبحث في حقيقة ذلك التفكير. فأمكن له الحفر بوسائل معرفيّة متنوّعة تجمع التاريخيّ بالأنتربولوجيّ والديني بالإنساني والاجتماعي بالذاتيّ والنفسيّ، في حقيقة الواقع وما يحيط به من توجّهات فكريّة وإيديوجيّة حكمت اللحظة التاريخيّة الراهنة. المنطلق تاريخيّ كما هو بيّن ولن ننكر الأبعاد التاريخيّة في بعض السياقات، فما عرضه من حديث عن الفتوحات وجوانب من سيرة الرسول، وأخبار غزواته في بعض المؤلّفات إنّما هو من قبيل الشاهد والمبرّر لما يوحي به في خطابه. بذلك فللعرض التاريخي "دور فعّال في نشر وتثبيت العقيدة (الأيديولوجيا) التي ستسمّى بحقّ عقيدة أهل السنّة والجماعة"[1]. بهذا فهدف الغرباوي واضح للعيان. وهو مع ذلك يحافظ على البعد الإيمانيّ، خوفا على خصوصيّة الإسلام من ذوبانه في العقائد السائدة، وكذلك خوفاً على نفسه من اتهامه بعكس ما يرمي إليه وتكفيره، وهذا البعد الإيمانيّ باعتباره مؤشّرا على حفاظ الدرس الليبراليّ التّنويري على خصوصيّة التناول المعرفي واحترام مبادئ الإسلام والعقيدة. ونستجلي هنا رؤية الباحث في مشروعه بما هو بديل عن رصيد معرفي لا يمكن إنكاره، ولكن في ذات الوقت لا يمكن التقيّد به لما لحقه من شوائب، قد تخلّ بحقيقة المقاصد الأخلاقيّة والتشريعيّة، وكذلك الإنسانيّة في مجمل أعماله. وكأنّنا بالغرباوي ينشئ مشروعه على المعطى الموروث مسبقاً ليعيد تنظيمه وفق رؤية مختلفة ومميّزة تحفظ توازنه الداخليّ وتقوّيه، فهذه الرؤية، ولئن تجاوزت فضاءات التقديس

1- عبد الله العروي، العرب والفكر والتاريخ، ط2، المغرب، د.ت، ص82.

والتبجيل وقطعت مع الفكر النقلي التسـليمي، فإنّها بقيت متمسّـكة بمنابعها الأولى منطلقاً للتقدّم والارتقاء.

وقد تناول العديد من المسـائل الدينيّة ومنها مسـألة التطرّف الدينيّ، تناولا مستفيضاً. ممّا يؤكّد صحّة ما ذهبنا إليه وهو أن له مشروعاً تنويرياًّ، يجعل مثل هذه القضايا التي يثيرها بمثابة الحجج التي يدعم بها صحّة ما يرسمه في كتاباته من خطط، يبدو وعيه بها قائما مسبقاً. فمعضلة التطرّف سببها الأساسيّ الغلوّ العقائدي والفكري والتعصّب لأفكار مبنيّة على أسس واهية، من تفسيرات محتكمة إلى الهوى والمصالح الذاتيّة الضيّقة، وكذلك الولاءات العقديّة المغرضة في التعامل مع النصّ الدينيّ. على هذا الأساس يمكن أن نتمثّل فاعليّة هذا التوجّه المنهجي في مشروع ماجد الغرباوي. فمثل هذه القراءات الخاطئة يمكن أن تنتج فكراً خاطئاً. وهذا بدوره قد يزيد من أزمة المجتمع ويعمّق الصراع الداخليّ فيه. ولن يتقدّم مجتمع والطائفيّة تنخر كيانه. على هذا الأساس بدا الغرباوي رافضاً لمثل هذه القراءات، بل وحذّر من خطورتها، لأن غاية توجّهاته توعية المجتمع والنهوض به. ولكن قوى الرجعيّة تغلغلت في أعماقه. وقد أشار إلى ذلك صراحة، في قوله: "نحن شعب نكره الجدّ والمثابرة، ونتمنّى الأشياء بلا تعب وبلا معاناة، خلافاً لسنن الحياة. وننتظر حلول وتسويات الغيب لمشاكلنا بالدعاء، فانتهى بنا الأمر مستعمرين لدول الغرب اقتصادياًّ وصناعياًّ وتكنولوجياًّ. الغرب يتقدّم على مختلف أصعدة الحياة ويقيم أفضل الأنظمة السياسيّة في ظلّ مجتمعات مدنيّة، ونحن ننتظر المهدي وتحقّق دولة العدل الإلهيّ الموعودة"[1].

بهذا يمكن أن ندرك حقيقة خطاب ماجد الغرباوي، فهو يحمل استراتيجيّة فكريّة تقطع مع الفكر الدغمائيّ وتلغي التصورات الرجعيّة ليعوّل على أسس التفكير العقلي للنصّ الدينيّ باعتباره المرجع الأساسيّ في تشكيل العقل العربيّ من جهة، واعتبار أنّ طرق فهمه واختلافها هو أساس الخلاف وسبب التناحر والصراع. في هذا الإطار يمكن أن نكتنه فكر الرجل، فهو يحاول أن يقف، ولو ضمنياًّ، على الأسباب

---

1 – ماجد الغرباوي، مدارات عقائديّة ساخنة، حوار طارق الكناني مع ماجد الغرباوي، مؤسّسة المثقف، سيدني، أستراليا وأمل الجديدة، دمشق، سوريا، 2024، ص29.

الحقيقيّة التي ساهمت في تراجع المجتمع العربي عامّة والعراقي بصفة خاصّة. وكأنّه يعلن من وراء هذا الصوت الديني تمثّله لخارطة ترتسم عبرها صورة جديدة للمجتمع العربي. وهو في ذلك ينزع نزعة عقليّة صارمة في عرض أفكاره عن حقيقة الواقع الذي احتضن مثل هذا الفكر وهيّأ لنشوئه، فأبرز ما تميّز به قيامه على الصّراع الإيديولوجي والمذهبيّ، وهذا من شأنه أن يعيد المجتمع إلى عصور الظّلام الأولى، حيث التّطرّف والجهل والتمسّك بفكر تسليميّ وثوقي، يتراجع فيه صوت العقل والمنطق. ولعلّنا أمام رؤية ليبراليّة لا تهتمّ بالأبعاد النظريّة قدر اهتمامها بالرؤية الفاعلة المنجِزة لتلك الأسس(النّظريّة)، لتنفتح على فكر حرٍّ يتيح لصاحبه الوقوف على حقيقة الواقع والتعامل معه دون قيد أو شرط. ممّا ينمّي في داخله الرغبة في التغيير والنهوض به، ليكون قادراً على تجاوز العراقيل والصّعوبات. وماجد الغرباوي شأنه شأن بقيّة اللّيبراليّين لم يتجاوز الجماعة المتمثّلة في المجتمع العربي عامّة والعراقي على وجه الخصوص، وما يشهده من تشظٍّ وانقسام بسبب الصراعات المذهبيّة، لأنّ الشعب قيمة عليا تُستمدّ من علاقته بالفرد أو علاقة الفرد به، فلا مناص من كسب ودّه بالعقل والتفكير. وهو أساس مشروع الغرباوي، إذ ينطلق خطابه الليبراليّ من حاجيات المجتمع لبناء نهضته، ممّا يستوجب تطويراً في بنيته الفكرية ومراتب الوعي لديه، ليستوي هذا البنيان. وهو ما يميّزه ويبعده عن أن يكون مجرّد نسخة لمجتمع آخر وممايراً لفكر آخر، في هذا المستوى النقدي يدرك الباحث أنّ هنة الفكر العربيّ أنّه "فكر اتباع ومحايثة لأطراف أخرى تحدّده وتجعله مجال قيد واحتذاء". وهذا لا يمكن أن يترتّب عنه الإبداع والحريّة بل يجعله تحت جناحه لا يكاد ينفصل عنه أو يتحرّر من سلطته. هو إذن فكر قاصر لأنّه خطاب مشروط بغيره يتلمّس تلابيبه، كيف والأمر متعلّق بالدين؟ فالعربي يخشى أن يبحر في هذا المجال حتّى لا ينعت بالزندقة والكفر، لذلك تجده يردّد أقوال السلف فلا نكاد نقف إزاء فرق بين مصنَّف وآخر.

وما يثيرنا في تناول الغرباوي لمسألة الدين وما تعلّق بها من مسائل فرعيّة، سؤال حضرني وأنا أقرأ محاورته مع بشرى البستاني: هل سيكتب الغرباوي بمثل هذا التحرّر والانفتاح في ظلّ واقع سيطرت عليه الطائفيّة وما مرّ به من فواجع وانكسارات؟ إنّه يواجه التعصّب بالسفر. وهو ليس هروبا بقدر ما هو اختيار وقرار لتطوير الذات

والمجتمع من موقع يمكن أن يمرّر عبره أفكاره وتوجّهاته الإصـــلاحيّة دون عقبات ومواجهة، يمكن أن تعيق مشـــروعه النقدي. لذلك فالســـفر فرصـــة لتطوير الذات والكتابة معاً بعيدة عن قهر المجتمع ومنابت الرجعيّة والتهافت الطائفيّ. فليس من ســلطة غير ســلطة القلم وموجّهات العقل. لذلك تبدو علاقة العقل بالدين في فكر الغرباوي علاقة انسجام وتكامل، ذلك أنّ أحدهما يتحصّن بالآخر من مغبّة السقوط في ما يعيق الفكر والانزلاق في متاهات عميقة، تمنع تحقّق المقصـــد من وراء تناول المســألة الدينيّة. وهو أســاســاً النهوض بالمجتمع وتطويره بما يختزنه التراث الديني من أفكار وعقائد هي منبع الوعي والتطوّر العقليّ. يقول الغرباوي: "نحن بحاجة إلى وعي يمزّق جدار الصّمت، يفضح الكذب والتزوير، ويقول الحقيقة بصوت مرتفع".

بهذا فمحاولة تناول الفكر الدينيّ تناولاً عقلانياًّ مزيّتان أولاهما النأي عن ســلطة النقل والدغمائيّة العميقة للتفكير التقليديّ في ما اعتمده من مناهج ورؤى ضـــيّقة. ومعضلة الفكر العربيّ تكمن أساساً في اجترار المصنّفات القديمة. لم يبخس الغرباوي قيمة هذه المصـنّفات. ولكنّه يدعو ضـــمنياًّ إلى ضـــرورة مضـــاعفة اهتمام المفكّرين والدارسين بالفكر الحديث والأكثر معاصرة من حيث التوجّه العقلانيّ الحرّ والتخلّص من التبعيّة لتطوير العقل العربيّ ومحاولة إخراجه من بوتقة الموروث الجديد والقوالب المعلّبة بسـلطة السـلف يناقش الغرباوي ضـمنياّ صـورة الفكر الديني في علاقته بالقيم العقائديّة عند الشيعة والسنّة على السواء. يفصل في ذلك بين المستوى الذاتي الضيّق والمســتوى الفكري المجرّد في صــورته الكليّة البعيدة عن كلّ تعقيد وذاتيّة. ويعتبر ذلك من ضــروب التخلّف والتراجع العقلي في مســتوى التعامل مع الظواهر. فالدين فكر وتصـــور وعقيدة قبل أن يكون مجرد طقوس بعيدة عن النظر العقلي. وهذا يعتبر من أبرز مزايا فكر ماجد الغرباوي. فهو (الدين) قائم على العمل أساساً. وما يحصل في التناول العربي لهذه المســألة هو التعويل على النقل والتقوقع في مجال عقائدي ضــيّق اعتبره مدار الاختلاف بين الفكر الغربي والفكر العربي، ويؤكّد على ذلك بقوله: "إنّ الغرب يختلف عنّا في علاقته بالدّين وبالغيب، فمنذ إقصـاء الكنيسـة عن الحياة عامّة والســياســة خاصّــة، انطلقت الشــعوب الأوروبيّة نحو العلم والمعرفة وتطوّر الحياة، فأخضعت كلّ شيء للتجربة والعقل وراحت تبحث عن الأسباب الكامنة في الكون

بعيداً عن التفسيرات الغيبيّة، فأصابت الهدف وحقّقت نتائج مبهرة في الحياة، بعدما اكتشفت القوانين المنظّمة للكون، وكيفيّة ترابطها، وصار العالم برمّته مديناً لاكتشافاتهم"[1]. ويؤكّد في هذا السياق على أهميّة النظر العقلي والوعي بفاعليّة العلم والتجربة في تطوّر الشعوب. فالطفرة التي شهدها الغرب أساسها تجاوز القصور المعرفي الناتج عن التفسيرات الغيبيّة والركون إلى الميتافيزيقا نحو النظر العقليّ والانطلاق صوب العلم والمعرفة لتحلّ التجربة محلّ الحدس وتنطلق نحو البحث عن الأسباب الكامنة في الكون بعيداً عن الدغمائيّة والتعصّب النقلي. وفي نقد الباحث للوضع العقائدي يبدي رفضاً وتبرّماً من الواقع الفكري والحضاري للمجتمع العراقيّ ومن ورائه المجتمع العربيّ، مشيراً إلى خطورة الوضع الإنساني. مثال من بين أمثلة كثيرة قدّمها الكاتب وأبدى عبرها حساسيّة فائقة لحقيقة ما يترتّب عنها من خطورة قادرة على هدم بنيان المجتمع. حين يتأثّر أفراده بما يعرضه الفكر الظلامي من أفكار تعصف بأمن المجتمع وتقدّمه لأنّ "الإيمان يتأثّر بمناشئه وصدقيّة العقيدة ترتهن لأدلّتها وبراهينها، وبينهما بون كبير، فربّما مناشئه مجرّد أوهام الحقيقة أو مصفوفة خرافات لا دليل عليها سوى الوهم بتأثيره النفسيّ، وهذا مبرّر موضوعيّ يسمح بنقدها ومراجعتها للكشف عن تاريخيّتها وزيفها وحجم الوهم والمؤثّرات الأيديولوجيّة والطائفيّة في صياغتها، فيخطئ من يؤمن بثبات العقيدة، أو ينفي تطوّرها وتاريخيّتها"[2]. في هذا الإطار تبرز مراجعات الباحث النقديّة للتراث، ويتّصل ذلك بسؤال الحقيقة بعيداً عن سطوة الخرافة واللاّمعقول وهو ما يحقّق مزيّة فهم النص من أجل فهم متجدّد للدّين شرطاً أساسيّاً للنهوض الحضاريّ. وقد ربط ذلك في سياقات عديدة بالبعد السياسيّ، وذلك من خلال ما تناوله في نصوصه من تبرير للسلوك السّياسي عبر احقاب إنّما هو الحقيقة التي ظلّت غائمة، وظلّ الفكر العربي بكلّ مراحله يواري سوءاته بقراءات أقرب إلى التبعيّة في كلّ مظاهرها وحالاتها وكذلك توجّهاتها.

1 - المصدر نفسه، ص28.

2 - المصدر نفسه، ص309.

وقد ساعد على استجلاء المسكوت عنه في الخطاب فكر عميق تناول المسائل بالتحليل والتقييم، من خلال طرح نقديّ يقوم على تتبّع الأسباب للوصول إلى النتائج، وكذلك في ما انتهجه من نهج معرفيّ راعى فيه التوجّه المنطقي والصبغة الحجاجيّة. يعوّل على طرح الأسئلة، وهي شهادة في حقّه، فما التزم به الغرباوي من مبادئ عقلانيّة تصطفيه باحثاً جاداً ألم يقل المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون (Maxime Rodinson): "من النادر أن ترى عالماً يهتمّ فقط بجمع مواد بحثه، بل يطرح الأسئلة على نفسه، ويجيب عليها بصورة علميّة، يضاف إلى ذلك أمانة علميّة شديدة تصدر عن فكر لا حيلة له أمام الحقيقة". هذه المهارة وهذا البحث عمّا هو أصيل ميّز كتاباته وارتقى بها إلى مصاف الكتابة الرّصينة. وهو ما يشدّنا دائماً في كتابات ماجد الغرباوي، حيث النزوع العقلي في توخّي الموضوعيّة فيؤصّل القول في إطار علميّ ينهج نهجا واضحاً، إذ ليس للذات الباحثة حيثيّات ولا أغراض ذاتيّة ولا رؤى مشدودة إلى أيّ طرف أيديولوجي إلاّ ما يقدح الفكرة في ذهن المتلقّي، ويدرك ما وراء النص النقدي. وقد أشار إلى المنهج في مناسبات عديدة وهو التعامل مع الواقع تعاملا نقدياً والنظر إلى مشاكله برؤية ناقدة ومتفحّصة للوقوف على معضلات المجتمع والعصر والسعي نحو بناء يعيد للوطن هيبته، ويسهم في اعماره والتصدّي للعدوان الخارجي. وهذا ما جعل كتاباته ترتقي إلى مستوى التناول الموضوعي والنموذج الذي يُحتذى به في دراسات الفكريّة والحضاريّة بما فيها من إنسانيات وتشريعات وغيرها. هذا فضلاً عن استعماله لغة سلسة بسيطة خالية من كلّ تعقيد، وأفكار بعيدة عن دغمائيّة الفكر العربي في توجّهاته الضيقة كل ذلك يجعله مثالاً لفكر إصلاحي ونهضوي ينهض بفكر عربيّ ظلّ قرين نموذج رجعيّ في أغلب مراحل تشكّله، أو فكر غربيّ يسير على نهجه سيراً أعمى غير مدرك لخصوصيّة التربة التي ينشئه فيها. وكلاهما سبب لتأخّر النهضة العربيّة، ويقدّم أمثلة دقيقة تبدو في الظاهر قضيّة من القضايا التي يثيرها وتؤرق ذهنه، ولكنّها في الحقيقة عماد من أعمدة مشروعه التنويريّ في كل مجالات الحياة (الاجتماعيّة والسياسيّة والفكريّة والعقائديّة...). وهذا ما يجعل فكر الرجل مكسباً حضارياً وإنسانياً يبني

المجتمع الإنساني الحديث بما يمتلكه من موضوعيّة وحياد وبعد عن التطرّف بشقّيه. فهو فكر معتدل يراعي أصول الدين ويدافع عن الحقيقة في إطار أخلاقي قيمي.

والكتابة النسويّة ليست بعيدة عن هذا التوجّه في الاعمار والبناء. فهو جزء مهم في مشروعه الحداثي، عبّر عن رؤى المرأة وحلمها في كتابة متحرّرة من سلطة الفحولة والذكوريّة من جهة. ومن جهة أخرى يفتح باب حريّة التعبير واحترام خبراتها في صنع القرار باعتبارها نصف المجتمع وجزءا من كيانه وهو ما يهيّء لمجتمع مشرق قادر على مواجهة عقوق الفكر الظلامي. هذا التناول لقضايا الفلسفة والفكر والعقيدة في مشروع ماجد الغرباوي الفكري، تعبير عن مشاغله ورؤيته الفكريّة للمستقبل الحضاريّ، وأوّل خطوة في مخطّطته، تحرير العقل ممّا علق به من تداعيات الخرافة والأسطورة ومؤثّرات العقل التقليدي، ومنه إعادة فهم الدين على أسس منطقيّة وعقلانيّة تنبني على متانة العلاقة بين الإنسان والوجود ومركزيّته فيه. وتحرير العقل يرتبط أساساً بضرورة ترشيد الوعي والارتقاء بالخطاب الديني إلى مجال النظر العقليّ الذي يرتهن إلى نظام معرفي صارم يبحث في مضمرات النصّ ومراوغاته التركيبيّة والبلاغيّة والدلاليّة. كلّ ذلك وفق نزعة عقليّة معرفيّة تتركّز على الدليل والبرهان. وهي أسس لتجاوز الفكر التقليديّ والسعي نحو تأصيل نهضة فكريّة من شأنها أن تحقّق نهضة حضاريّة قادرة على الارتقاء بالإنسان إلى مصاف التفكير الرصين والجادّ، "يستنشق عبرها رحيق الحريّة بعيداً عن سطوة التراث وأسطرة الرموز الدينيّة"[1]. لهذا فكلّ نقد لا يستند إلى أسس منطقيّة وعلميّة في التناول، يبقى مجرّد قراءة لا يمكن أن تحمل في أعطافها بوادر الإصلاح والنهوض بالواقع. قد يكون عملنا شهادة على فكر المفكر والباحث ماجد الغرباوي، ولكن الأهم من ذلك أنه مجال لطرح أسئلة جديدة، وفقنا في الإجابة على بعضها ولكنّ أغلبها مدار جدل وتفكير، وهذا بعد غايتنا. فلئن انتهى هذا العمل درساً فإنّه لم ينته مشغلا. وأعمال الرجل المترامية بين حوارات ودراسات نقديّة وأعمال إبداعيّة أكبر من أن نحيط بها ونتدبّر مفاتيح الولوج إلى ما تختزنه من فكر ومنهج وأسلوب.

---

1 - المصدر نفسه، ص9.

قراءة الغرباوي لقضية المهدي المنتظر

بقلم: ا.د. عصمت نصار[1]

في سـياق حديثنا المركز والمطول أيضـاً عن نقد عقيدة المهدي المنتظر، يمكن القول: إذا كان "محمد عبده" ومعه أشـهر رواد مدرسـته، قد وقفوا موقف الناقد في الإصلاح – الجامع بين صحيح المنقول وصريح المعقول – والمنتصر للمقصد الإلهي من جهة، والراغب في تخليص كُتب جُماع الحديث الشـريف من الدَسّ والانتحال والكذب على رسـول الله من جهة أخرى، فمن الطبيعي أن نجدهم على رأس المعارضين الناقدين لهذه العقيدة الشيعيّة كما أشرنا فيما تقدّم، أملاً في الوصول إلى موقعها من الفكر الإسلامي، فانتهت معظم دراستهم إلى ثلاث نتائج:

أولها: أنّ كتابات الشـيعة الإثنى عشـريّة المروّجة لهذه العقيدة لا يُمكن درجِها ضمن أصول العقيدة، ولا الواجب من العبادات، ولا الأصيل من المعتقدات، وذلك لافتقارها إلى ما يؤيّدها من صحيح الدين والمتفق عليه من الواجب تصديقه والعمل به من الأخبار.

وثانيها: أنها تحوي العديد من الأفكار والتصـورات التي تتناقض مع المسَـلم بصحته من صُلب العقيدة الإسلاميّة، وعلى رأسها إلصاق صفة العِصمة بأشخاص غيّر الأنبيّاء، وادعاء أن (المهديّ المنتظر) مُنَصـب من قِبل الباري، ومن ثَم لا مجال

1 – أستاذ الفلسفة – مصر.

للحديث عن شخصه أو سلوكه أو أوامره القدريّة سوى السمع والطاعة، أي أنه حاكم (ثيوقراطي).

أمّا النتيجة الثالثة: قد أجتهد العلاّمة "الطاهر بن عاشور" في شرحها والتأكيد على مضمونها ألا وهي مُخالفة هذه العقيدة للمقصد الإلهي، أو إن شئت قُلت: إنها من آليّات الإضلال والتشويش التي تَدفع العقل إلى إنكار النسقيّة التي تمتاز بها الخِطابات الإلهيّة إلى البشر، كما أنها تجعل المشهد الأخير من حياة الإنسان على الأرض مشهداً درامياً مأساوياً (إمام مُحتجب شريف النسب، مؤيّداً بسُلطة إلهيّة، عاد من غيّبته ليُسفِك الدماء، ويُنكل بخصومه، حامل سيّف العدالة الجائر، فظاً غليظ القلب، مُسيّطر لا يعرف الرحمة وغايّته توحيد الجنس البشريّ على عبادة قد نهى الخالق عن الإكراه فيها).

لذا سوف نناقش في السطور التاليّة، أهم مُبررات الشيعة الإثنى عشريّة لهذه العقيدة وكذا الدوافع التي أحتج بها بعض مُفكري أهل السُنة، والأسباب التي دفعتهم لقبولها رغم درايّتهم بهشاشة أصولها وانعدام نفعها.

فإذا تناولنا الاتجاه الثاني الذي يُمثل التيّار المحافظ الرجعي من الكُتاب المعاصرين، سوف نجد في مُقدمته: أعلام الفكر الديني لفِرقة الإثنى عشريّة، وهم ينقسمون إلى ثلاثة دروب:

الأول: يُغَلِب مصلحة الكيّان المِلي والوجود السياسي على غيره من الرؤى النقديّة أو التناول العقلاني لتلك العقيدة الموروثة، ويُعد الحرس الثوريّ الإيراني وقاداته والمنظرين لسياسته والتابعين من العوام وسَدنّة التراث من الشيوخ في العراق وسوريا ولبنان يُمثلون الجانب الأعظم من هذا الاتجاه. أمّا المتفلسفين من الكُتاب الرافضين للتقليد والراغبين في تحرير العقول من سجون الخرافة وقيود الجهالة وديكتاتوريّة التعصُب فيمثلون الدرب الثاني، وقد رغِبوا عن التصريح ولجأوا إلى الرمز والتلميح، مخافة سطوة الرأي العام القائد والمتمثل في الحرس الثوري والميليشيّات المسلحة في

العراق وسوريا ولبنان، والجمهور المتعصب الذي لا يتردد في اللجوء للعنف للإطاحة بمعارضيه.

وأخيراً: عُصبة المفكرين الأحرار - الذين يُمثلون الدرب الثالث - فرغم انتمائهم للفكر الشيعي الإثنى عشري إلا إننا نجدهم يرفضون عقيدة ذلك (المهدي المنتظر) الذي سوف يعود من غربته لإنقاذ الأمة، قانعين بأن ذلك الموعود لن يأتِ إلا عقب حركة إصلاح شاملة تبدأ بالتربيّة والتعليم وتوعيّة المجتمع وإصلاح المؤسسات السياسيّة والاقتصادية والعسكريّة، ومن بين القائمين على هذه النهضة الشاملة سوف يظهر المنقذ المجدد لقيادة خيّر أمة أُخرجت للناس، وسوف نتناول في السطور التاليّة واحداً من أهم أعلام الدروب الثلاث.

وحسبي أن أشير في هذا السيّاق إلى مُجدد مُعاصر يُمثل الدرب الثالث من هذا الاتجاه الشيعي، أحسبه من الثائرين المستنيرين العقليّن الذين عزفوا عن الانتماء المِليّ والعِرقي وارتضوا الانضواء تحت رايّة العقل والتجديد والإصلاح دون تجديف أو جحود أو تشكيك في بنيّة العقيدة الإسلاميّة وثوابتها الشرعيّة ومقاصدها المجمع على صِحتها، وهو الناقد المفكر العراقي "ماجد الغرباوي" الذي اجتهد في غربلة الفكر الشيعي الأمامي الذي اختلطت بنيّته بمؤثرات شتى، أبرزها التعصُب العرقي والاعتقادي والسياسي والاجتماعي، مُبيناً تهافت أصول العقيدة الشيعيّة الإماميّة واجتراء أئمتها على انتحال العديد من التصورات المثيولوجيّة والمذاهب الفكريّة المنغلقة والآراء السياسيّة الراديكاليّة التي لا تستقيم مع الادعاءات التي يروج لها فقائهم ومُتفلسفيهم (حيث الوعي والاستنارة والعقلانيّة والتأليف بين المذاهب الإسلاميّة).

ولا يسع المقام سوى الحديث عن موقف "الغرباويّ" من عقيدة (المهديّ المنتظر) التي لم يقوىَ دونه من أمراء المنابر (المنتمين لفرقة الإثنى عشريّة) على فضح هشاشة رِكامها المنتحل، فقد أكد في غيّر موضع من كتاباته أن جراثيم الكذب ساكنة في جذورها النصيّة، بداية من التأويلات الشاطحة والأخبار الملفقة ومروراً بالآراء الزائفة

المتلاعبة بالعقول المغيّبة والمتعلقة بالأوهام الخرافيّة المصنوعة، وانتهاءً بالأساطير المحرفة التي أخرجها كهنة المعابد من جيّف الديّانات المجوسيّة واليهوديّة وألصقوها بالإسلام و"بالإمام عليّ وبنيه"، بداية من حكاية ميلاد (المهديّ) المزعوم واحتجابه وغيّبته الأولى والثانيّة وسفرائه ورسائله ووصاياه التي تنضح إفكاً وبُهتاناً، وانتهاء بقصة عودته والانقلاب المأسويّ الذي يسبقها والأحداث المشينة التي يتمنى المخرفون وقوعها قبل قيام الساعة دون أن يَخطُر في بال أحد عقلائهم موت الإمام المزعوم أو زيّف البِدعة برمتها.

ومن أقواله في ذلك: (لذلك كله شَكّل طول غيّبته تهديداً خطيراً للعقيدة الشيعيّة، فراح مُتكلموهم يربطون ظهوره بمشيئة الله، وأن المسألة غيبيّة يتعذر على الإنسان معرفة أسبابها، فكان الغيّب وما يزال عِلة سحريّة؛ لتبرير ما يعجز العقل على تبريره، خاصة مع وجود روايات تؤيّده، إنه أسلوب مراوغ لكنه ناجح جداً مع سذاجة الوعيّ وغيّاب العقل ... إنّ المهديّ قضيّة وهميّة، فرضتها ظروف الطائفة الشيعيّة وعقيدتها بعدد الأئمة، فهي سالبة بانتفاء الموضوع كما يُعبر المنطقيون، فعدم إمكان رؤيته تحصيل حاصل وكان التوقيع صادقاً جداً ولازمه كذب من يدعي رؤيّة المهدي أو يدعي السفارة عنه، فالسفارة وفقاً لهذا الاحتمال كانت خطوة لتدارك انهيّار الوضع الشيعي، ومرحلة انتقاليّة بين الحضور والغيّاب المطلق لامتصاص صدمة الفراغ القيّادي لعدم وجود من يتولى الإمامة من أبناء "الحسن العسكري" وقد اقتصر دور السفراء على قضايا إداريّة وتنظيميّة ترتبط بالحقوق الشرعيّة وأحالوا الشيعة على الفقهاء لمعرفة الأحكام الشرعيّة فأنتفت الحاجة الفعليّة؛ ليكون الإمام ظاهراً وتكفي غيّبته المبررة سياسيّاً وأمنيّاً لطمائنة نفوسهم وترسيخ إيمانهم بالإمامة، فاكتمل عدد الأئمة بإمام غائب، وهذا مطلب أساس وفقاً للمنظومة العقائديّة الشيعيّة).

وأعتقد أن الحوار الذي أجراه "ماجد الغرباوي" مع "طارق الكناني" المتضمّن في كتابه (مدرات عقائديّة ساخنة ٢٠١٧م) كان يُوحي بتصريحات أخطر يُمكن استنباطها من الإشارات الإحاليّة والتوجيهات المرجعيّة والإيماءات الرمزيّة التي ولج

أبوابها المتناظران، منها أن أصابع الساسة هي التي ما برحت تضغط على جهاز الكذب الاصطناعي؛ لإنتاج الحُجج الوهميّة والأحداث العدوانيّة التخديريّة التي تَبتدِعها العصابات الصهيّوأمريكيّة.

وليس أدل على ما ندعيه من أهميّة قراءة موقف "الغرباوي" من عقيدة (المهديّ المنتظر) - مُفككين بنائها ومُحللين بنيّتها ومُراجعين سيّاقتها والأطوار التي تراءت عليها في مُختلف المجالات - تكشف المخبئ وتُزيل الستائر عن الغوامض من الأفكار الثوريّة التي تحملها، ويترأى لي أن هذا المنطلق يُمثل بؤرة تفلسُفه وأكبر عُمد تجديده، فمقصد مُفكرنا المضمر والمستتر وراء كلماته، هو ضرورة الانتقال من عبث الإصلاح السياسي إلى غربلة الموروث الديني الشيعي؛ وذلك إذا ما أراد كُتاب هذا الاتجاه الانتقال من طَوّر العبث واللعب على المسرح السياسي إلى اعتلاء منابر الإصلاح وتجديد الفكر الديني.

ماجد الغرباوي
المفكر المسكون باكتشاف المجهول والمسكوت عنه في تراثنا الدينيّ

بقلم: ا.م.د حيدر شوكان سعيد[1]

يشخص مؤشر الدراسات العلمية جملة من الظواهر في تحليل ثقافتنا وتراثنا، وقد كتبت دراسات عن عناصر الضعف في أدوات التفكير ومنهجياته، ولعل أبرزها الضعف المنهجي في التحليل لدى شريحة كبيرة من المثقفين المسلمين، أو عدم تقيدهم بالصرامة العلمية، وانغلاقهم العقلي مع إفراطهم في النزعة الذاتية واللغة التبجيلية والتشريفية، وعدم اتخاذهم لمسافة معتبرة بين الذاتي (بكل تعبئته) وبين دراستهم لموضوعات التراث الدينيّ، أو تمظهرات الظاهرة الدينيّة المعاصرة. وقد وفر بعضهم ضفيرة من الأعذار لهذا الضعف المنهجي تارة بالضغط الذي تشكله مجتمعاتهم المضطربة والخائفة والمطحونة بالحروب والمجاعات وو، وانعكاس ذلك عليهم، وتارة أخرى بخشيتهم من الوقوع ضحايا الأيديولوجيات وثقافتها التلقينية والتمثيلية التي لا تتورع عن البطش، فيبقى المثقف خائفًا على نفسه، ومصدر رزقه، ومنصبه ومكانته من التشويه. فمن اليسير- بهذه الظروف- اتهام المثقف والمفكر المسلم بأنه:" مثقف أيديولوجي لا يحترم حقوق المعرفة".

تقف في قبال كل هذه المؤشرات دراسات علمية جادة وصارمة لم تغادر التراث بالتمام وإنما نقدته وفككت طبقاته الداخلية، وأنساقه المضمرة، وفتشت في دهاليزه ومناطقه المهجورة.

---

1 - رئيس قسم الفقه وأصوله/كلية العلوم الإسلامية- جامعة بابل.

وقد كانت بدايات تلك الدراسات في نهاية القرن التاسع عشر، ولا تزال مستمرة مع كل ما تعرضت له من إخفاق (بسبب أدواتها التي لم تكتمل أو بعنف الخارج) إلّا أنها في النهاية خرجت على التاريخ وزحزحته، وهزت التوازن النفسي "لمديري شؤون التقديس"، فخرجت على المعابد وطقوسها وتوثينها، بل انبثقت من موت التراث وأسمائه وقوانينه ومحدداته، ففجرته من الداخل بحدوسات معرفية ساطعة، لم تنحنِ أمام الإغراءات أو الجري وراء الأضواء.

فقدمت الساحة الدينية رموزًا للتنوير، استحال ترويضها، وكان من نصيب العراق جملة من العلماء المغامرين (ممن امتلك تكوينًا حديثًا وجادًا وخصبًا) انخرطوا في تقويض القراءة المتشنجة والمتكلسة للنصوص الدينية، وما تفضي إليه من أوهام وتشوهات في رؤية الحياة، وكان على رأسهم الدكتور علي الوردي بوصفه أول مثقف ديني نقدي حلل الحياة الاجتماعية وآثار التدين ومنابعه فيها، إلا أنه وبعد هيمنة حزب البعث على السلطة وبطشه وإفقاره للحياة بكل وجودها، اضطرت نخبة من أبناء البلد للخروج في المنفى والغياب لسنوات غير قليلة، فأتاح لهم المهجر (بما قدمه من ضمان في التعليم والحريات والتعبير والكتابة) الاطلاع على آخر المنجزات العلمية ومناهج المعرفة، فأنجزوا دراسات عميقة فتحت ملفات وأضابير مغلقة من دون التخلي عن الذاكرة الملهمة والنافعة من تراثها الديني، ولعل أبرزهم في المعرفة الدينية: طه جابر العلواني، وهادي العلوي، ويحيى محمد، وعبد الجبار الرفاعي، وفالح عبد الجبار، ورشيد خيون، وصائب عبد الحميد، وغالب الشابندر، وغيرهم الكثير، ومنهم المفكر العراقي المرموق ماجد الغرباوي.

وقد كان بودي منذ أكثر من سنتين أن أقف بدراسة مستقلة على اشتغالاته وأدواته في الحفر والتنقيب والتحقيق للتراث الديني، وتأملاته ونقده وتجديده، فهو جدير بالاستقصاء وجدير بالتأمل وجدير بالنقد أيضًا إلّا أن بعض الظروف حالات دون ذلك.

في هذه المقالة- بوصفها ومضات- أحاول تلمس بعض اشتغالاته، وهي جملة من التساؤلات الحرجة والمزحزحة لعقل لا يقبل الانفصال عما تلقاه من مدارس

ومذاهب وقراءات لبت طموحات عصرها، وأضحت تصطدم مع الواقع اضطرادًا لعجزها عن استيعاب مفارقات اليوم، مع ادعائها النرجسي في القدرة على المجاراة من دون برهان.

ولو أردنا تلمس مشروع المفكر ماجد الغرباوي المعرفي وإسهاماته، ووصف أعماله وتقييمها وموقعها من تضاريس التجديد الديني لا بد لنا من تحديد مجاله الخاص وقدرته العقلية على الاكتشاف ومحدداتها. ولا بأس من الاستعانة بمستويات التفكير والتأصيل في عملية الإنتاج العلمي، التي أشار إليها محمد أركون، وهذه المستويات مرتبطة بالوضع اللغوي والمدني والاجتماعي الذي ينشأ فيه الإنسان ويتقيد به العقل في جميع نشاطاته وممارساته، وهذه المستويات هي[1]:

المستوى الأول: مستوى ما يمكن التفكير فيه:

وهو مستوى متعلق بتمكّن المفكر الديني من اللغة التي يستعملها، وبالإمكانيات الخاصة بكل لغة من اللغات البشرية التي اختارها المفكر. كما أنه متعلق أيضًا بما يسمح به الفكر والتصورات والعقائد والنظم الخاصة بالجماعة التي ينتمي إليها أو يخاطبها، وبالفترة التاريخية من فترات تطور تلك الجماعة. ثم إنه يتعلق كذلك بما تسمح به السلطة القائمة في المجتمع أو الأمة اللذين يتضامن معهما المفكر.

وهذا المستوى متاح للجميع تقريبًا من دون محذور أو تكلفة قد يدفعها نتيجة الخروج عليه.

المستوى الثاني: ما لا يمكن التفكير فيه:

بسبب مانع يعود إلى محدودية العقل ذاته أو انغلاقه في طور معين من أطوار المعرفة. ومثال ذلك، هو عدم إمكانية أي فيلسوف أو فقيه أو مفسر طيلة العصور

---

1 - ينظر: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة: هاشم صالح، الناشر: دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى- 1999م، 9- 10.

الوسطى وحتى فجر الحداثة أن يفكر في المواطنية بالمعنى الذي نعرفه حاليًا كفضاء يتساوى فيه جميع المواطنين بغض النظر عن قناعاتهم ومللهم.

وهذا المستوى يعود أيضًا إلى ما تمنعه السلطة الدينيّة أو السياسية أو الرأي العام، إذا ما أجمع على عقائد وقيم قدّسها وجعلها أساسًا مؤسّسًا لكينونته ومصيره وأصالته.

المستوى الثالث: المستحيل التفكير فيه:

إذا استمر الفكر زمنًا طويلًا وهو يكتفي بترديد ما تسمح اللغة والنصوص العقائدية والرامزات الثقافية وإجماع الأمة ومصالح الدولة بالتفكير فيه، فإنه يتضخم ويثقل ويتراكم.

"وكثيرة هي الأفكار التي أنتجتها عقول بشرية، ولكنها تحولت بفضل التكرار والترديد، الذي من شأنه أن يخفي غيرها من الأفكار، ولو بالتشويه، إلى "عقائد" لا يمكن المساس به"[1].

هنا يرد التساؤل إلى أي مستوى ينتمي ماجد الغرباوي في تحليله الاكتشافي وحفره المستنطق لتجربة الإسلام الدينية وتاريخها ومقولاتها وإلهاماتها وحتى إكراهاتها وصراعاتها؟

بكل وضوح ستجد الغرباوي مفكرًا تتسع رؤيته لعبور التراث، وإعادة قراءة مضامين الأدلة فيه من دون توقف أمام ركام القراءات والتفاسير وهيبتها وأسمائها، مع إيمانه بضرورة الحفاظ على الشحنات الإيمانية للإنسان ودراستها والعناية بها بوصفها مخيالًا له أدواره الحاسمة، وحتى لاهوت المحبة أو الشفقة، وقيمه الجمالية يحظى بالدعوة لاستعادته، لأنه البديل الملهم والمغذي للتنوع في قبال ضيق المجتمعات بعقائدها وطقوسها.

---

1 - - نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، الناشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، الطبعة الأولى- 2017م، 19.

يدور مشروع ماجد الغرباوي حول النص، محاولًا وضعه في سياقه الأصلي من جديد، مبتعدًا كل البعد عن الدغمائية أو الازدراء، فيستخدم ما تيسر له من الأدوات الانثربولوجيا والتاريخية والاجتماعية وحتى الألسُنية. مع ولعه في الاشتغال على التأليف والكتابة في الشحيح والنادر والمسكوت عنه من المعارف والفنون في التراث الديني، وهذا ما تلمح إليه كتاباته، التي يتصدرها عنوان موسوعته" متاهات الحقيقة" وهي عبارة تكشف لك عن مسار التفكير وعمقه وكثافته ومحاذيره.

وللباحث أن يلاحظ ذلك بدراسة الغرباوي المتقدمة في آخر كتاباته" مقتضيات الحكمة في التشريع، نحو منهج جديد لتشريع الأحكام"، الصادر في هذا العام (2024م)، إذ يهدف فيه في الأصل إلى إعادة تصميم الهندسة الفقهية من جديد، من خلال رفضه للرقابة والوصاية غير المبرهن عليها، سواء كانت وصاية النص، أو التراث، أو بداهات العقل التعبدي. كاشفًا لثغرات وعيوب ليست بالقليلة في عملية الاستنباط، ولعل أهمها تجاهل النظام التشريعي الذي تمت صياغته بأيدي السلف، وتحييد القيم الأخلاقية والإنسانية، إذ تمت بلورة العديد من الأحكام الشرعية من قبل الفقهاء، وهي تصطدم مع الأخلاق وتفرّط في رمزيتها وحضورها، والأغرب في نظر الغرباوي أن الفقهاء رسموا الحياة من خلال مدوناتهم التي تجاهلت مرجعيات أخرى لفهم الدين التي يمكن الإفادة منها، وهي دعوة تفتح النص على مفاهيم أوسع وأعمق مما تصوره علماء السلف، ليشمل مجالات الحياة كافة بتجاربها ومضامينها. ليقترب بذلك من دعوة حسن حنفي في الانتقال من (السماء إلى الأرض، أو من الله إلى الإنسان، ومن الآخرة إلى الدنيا) مع ابتعاده عن أدلجة الدين التي تختزله في تفسير ضيق. ليعتمد الغرباوي هنا على معنى جديد لمفهوم قداسة النص بمجالات تُعيد رسم خارطة تأثيره في الحياة الأخلاقية والجمالية والروحية للإنسان، ويتطلب هذا العدول بهيكل التشريع من "الفقه إلى الأخلاق، ومن التعبد إلى التعقل، والانتقال من ضيق

الفقه وسجون النص إلى رحاب القيم الأخلاقية، وفق مقتضيات الحكمة ومبادئ التشريع (العدل، وعدم الظلم، والسعة، والرحمة، والمساواة)[1] ."

إن هذا الكتاب يناقش سلسلة الدلالات المنتجة للتشريع- توسعةً أو تضييقًا- ويعيد اختبار قدرتها على الوفاء بوعودها وعهودها في المعالجة والتدبير، فينفتح على الدلالة الحرفية للنص، ويرصد عوامل التوسع والانكماش أو التعارض مع العقل هنا أو هناك. وقد سجل ملاحظاته النقدية الصارمة على غياب الواقع ودلالاته عند الجميع- تقريبًا- فالفقهاء لاعتبارات مختلفة لا يثقون بقرينة الواقع في تقييد الإطلاق وظهوره الذي يعتمد على "قرينة الحكمة"، إذ يرى أن الاندماج وتركيز التفكير في النصوص وجزئياتها تولدت منه حالة من القطيعة مع الواقع ومعطياته، وعن العقل وما يقدمه من نتائج مهمة في تصويب الأفكار وإنضاجها، وتفسير مختلف الظواهر، والبرهنة عليها.

إن دراسات المفكر العراقي ماجد الغرباوي في المعرفة الدينية جديرة بالتتبع للباحثين، ولا سيَّما طلبة الماجستير والدكتوراه، لتحليلها بشكل توصيفي يلاحق أدوات التفكير لديه ومقوماتها وخلفياتها وأهميتها، ومعرفة بواعث القبول لبعضها والرفض للبعض الآخر، فلا تقل في أهميتها عن دراسات محمد أركون أو عبد الله العروي، مع أن لكل منها مجاله، ولكني أتكلم هنا من حيث دراساته وقدرتها في تقديم الجديد من الثراء، واعتمادها العقل النقدي الشغوف بالحقيقة والفهم المتجديد.

---

1 - ماجد الغرباوي، مقتضيات الحكمة في التشريع، إصدار مؤسسة المثقف العربي- سيدني- استراليا، الطبعة الأولى- 2024م، 8/ 9.

رحلة من المداريات الحزينة إلى المدارات الساخنة
الإبحار في المعقول واللامعقول

بقلم: د. فاطمة الثابت[1]

لقد أصبح مشهد الفكر الإسلامي ساحة معركة للصراعات الأيديلوجية، التي تصاعدت على مر السنين، مدفوعة بتآكل الحدود والمقدسات بسبب الرقمنة، مما جعل هذا التحول الرموز عرضة للتفسيرات المتنوعة، وفي الوقت نفسه يكافح الخطاب الديني لتزويد العقول الشــابة أو الأجيال القادمة بالأدوات اللازمة لمواجهة مجموعة التحديات التي يواجهونها، بعد أن أدى تشــكيل الســلوك ورعاية الفكر إلى حصــر الدين في رموز، مما قلل من التركيز على المفاهيم الأساسية وجوهر المعتقد.

ومن هنا جاءت ضرورة الاستكشاف المعرفي للمعتقدات والممارسات الدينية، ويســتلزم هذا النهج فحص الطقوس والمعتقدات من وجهة نظر معرفية وتحليلها من خلال عدسة نظرية المعرفة، والتحقيق الفلسفي في المعرفة والاعتقاد والتبرير، تبحث هذه المنهجية في كيفية اكتساب المعرفة، وجوهر الاعتقاد، والمعايير التي تثبت صحة قناعاتنا عند تطبيقها على الدين، فإن هذه العدسة المعرفية تدرس الأسباب الكامنة وراء الادعاءات الطقوســية والاجتهادات الفقهية وتقييمها وفهمها، وبالتالي لابد أن ندرك الحاجة الملحة للتحليلات المعرفية داخل المجتمع، والســياقات الدينية، والتفاعلات بين النظم العقائدية المختلفة، ويرجع ذلك إلى الطبيعة المعقدة والمفككة لكل من المجالين العالمي والديني، والمعتقدات الدينية لا تحيل بالضرورة إلى قناعات – أو رؤى اجتماعية– تدافع عنها تنظيمات اجتماعية أو أفراد معينون فقط؛ بل

1 – أستاذة علم الاجتماع – جامعة بابل / العراق

تتضمن رهانات أيديولوجية، سياسية، اقتصادية... وأيضا إرثا حضاريا وثقافيا معينا ..

هذه الاعتبارات تدفعنا إلى التأمل في الطقوس والعادات والتقاليد المنسوجة في حياتنا، كيف يمكننا التعامل مع هذه الممارسات بمعرفة، وإحاطة أنفسنا بالبحث العلمي الدقيق ومواجهة شكوكنا؟ هل يمكن للدراسات الإثنولوجية أن تلعب دورًا أكثر نشاطًا، مسترشدة بالتقييمات النقدية، لغربلة الشوائب الملتصقة بمعتقداتنا؟ كيف يمكن أن ننخرط في مناقشات مسترشدة بالآيات القرآنية التي تظل وفية لإيماننا الحقيقي؟.

ضمن صفحات "مدارات عقائدية ساخنة: حوار في منحنيات الأسطرة واللامعقول الديني"[1]، يتعمق المفكر ماجد الغرباوي في ضرورة إعادة تنشيط الخطاب الديني، ومواءمته مع الأبعاد المتعددة للطبيعة البشرية. ويشمل ذلك العناصر النفسية والسلوكية والاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية، إنه يتفحص المعتقدات وفعاليتها كرموز وإيحاءات وتأثيرها على الوعي الجمعي بقوله (العقيدة منظومة فكرية توجه وعي فرد، يتأتى الأيمان بها، عبر تراكمات لاشعوية، نفسية -ثقافية، هي سر تفاوته من شخص لأخر، فتؤثر في تكوينه جميع المؤثرات النفسية والسلوكية والأجتماعية والسياسية، والعلمية والثقافية، ومنها ذات العقيدة وقوة رمزيتها، وإيحاءاتها وحجم تأثر العقل الجمعي بها، وهنا يكتسب النقد صفة الضرورة ليحد من تمادي العقيدة على حساب المبادئ الأصيلة)[2].

في التحاور بين المدارات العقائدية الساخنة الذي يشمل عشرة محاور، يبدأ بتكامل مفهوم "المنقذ"، وينهيها بمحور التشيع وإعادة إنتاج الشعائر، تتطلب هذه الدوائر الساخنة التجرد والموضوعية للفهم، لا يحتاج المرء إلى اعتناق الأفكار المقدمة

---

1 – مدارات عقائدية ساخنة.. حوار في الأسطرة واللامعقول الديني، مؤسسة المثقف وأمل الجديدة، 2017م. والكتاب هو حوار طارق الكناني مع ماجد الغرباوي.

2 - المصدر نفسه، ص 17.

بالكامل؛ بل من الأهمية بمكان أن نمنح العقل حرية اجتياز هذه المدارات دون أن يعيقه الخوف من الحوار.

يقترح الكاتب فحصًا نقديًا للمعتقدات الدينية وتأثيرها على المجتمع، من خلال عدسة التحيزات المعرفية، والأساطير الثقافية، وعمليات التفكير غير العقلاني، يستكشف الكتاب الديناميكيات الاجتماعية المحيطة بالمعتقدات الدينية، ويفحص كيفية تشكيل السلوك الفردي والجماعي، والأعراف المجتمعية، والمؤسسات، ويشرع عدسته بالبحث عن كيفية تشكل المجتمعات الدينية وتفاعلها وتطورها مع مرور الوقت، وكذلك دور الدين في الحفاظ على النظام الاجتماعي أو إدامة عدم المساواة، ومن هنا يتعمق في الآليات المعرفية الكامنة وراء أنظمة المعتقدات الدينية، واستكشاف مفاهيم مثل التحيزات المعرفية، والاستدلال، وعلم نفس تكوين المعتقد، و يبحث الكتاب في سبب صدى بعض الأساطير والمذاهب الدينية لدى الأفراد، حتى في غياب الأدلة التجريبية، وكيف تؤثر هذه المعتقدات على عملية صنع القرار والنظرة العالمية.

يشير مصطلح "اللاعقلانية الدينية" إلى إجراء فحص نقدي للجوانب غير العقلانية للفكر والسلوك الديني، ويستكشف الكتاب ظواهر مثل التطرف الديني، والأصولية، والخرافة، ويشكك في عقلانية بعض المعتقدات والممارسات الدينية، ويمكنه هذا من دراسة الطرق التي يمكن من خلالها استخدام الأيديولوجيات الدينية لتبرير العنف أو التمييز أو غير ذلك من أشكال الأذى.

على مر التاريخ، جذبت المدارات المقدسة والطقوس المرتبطة بها باستمرار انتباه علماء الأثنلوجيا فبرز كتاب كلود ليفي شتراوس "المدارات الحزينة" كتجسيد مؤثر لهذا التحقيق وهو عمل مبدع صاغه عالم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا الفرنسي يؤرخ رحلاته وعمله الميداني في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك أمريكا الجنوبية، تتعمق هذه التحفة الاستبطانية والشعرية في تعقيدات المجتمعات البشرية والأساطير وطيف التنوع الثقافي، ومن خلال مواجهة الحضارة الأوروبية بحضور الثقافات الأخرى، يسعى ليفي شتراوس إلى تبديد هالة التفوق والمركزية، مبشرًا بفكرة مفادها أن أرقى الحضارات هي تلك القادرة على الحوار والتواصل بين الثقافات، ويؤكد أن " العالم بدأ من دون

الإنسـان، وسـوف ينتهي من دونه أيضـاً، والمؤسـسـات والعادات والتقاليد، التي كان عليّ أن أمضي الشطر الأكبر من حياتي في فهمها وفي استكشافها وإحصائها، هي في حقيقة الأمر بداية تفتّح عابر لتكوين لا نملك تجاهه أي معنى، سوى السماح ربما للإنسانية بأن تلعب فيها دورها"..

لذلك بالرجوع الى كتاب مدارات عقائدية ســـاخنة وفتح باب المناقشــــة التي تجاوزت فيه الحدود الجامدة بإطلاق العنان للســـؤال، حيث مما جاء به (ثمة جدل متواصـل بين الأيمان وبيئته لتجديد فاعليته على مستوى السـلوك والأخلاق والوعي، بـدوافع أيـديولوجيـة لتبقى العقيـدة ســـلطـة توجه وعي الفرد وتؤثر في فهـم الواقـع، فالصـــورة الذهنية للعقيدة وليدة أيمان الفرد وضـــروراته ومصـــادر معرفته)[1] ، وهنا اســتكشـــاف مثير للتفكير في التقاطعات بين الدين والإدراك والمجتمع، حيث يقدم نظرة ثاقبة للطرق التي تشـكل بها المعتقدات التجربة والسـلوك البشـري. ومايميز هذا الحوار أنه حوار مفتوح يتضـــمن حلقات نقاشـــية على محركات البحث كوكل، وهو جزء من تشـــكلات الخطاب في العصـــر الرقمي حيث يرى الغرباوي (أحيانا تَحط المعاصـــرة من قيمة الرمز وقدســـيته، بينما تزدهر في غيابه حداً تُلهب رمزيته الخيال الميثيولوجي، فيجرّده من بشـــريته ويحلّق به في مدارات الأســـطرة واللامعقول، ليُعيد انتاجه باستمرار في إطار ضروراته العقدية والأيديولوجية)[2].

بأختصـار يبرز التحليل المعرفي للطقوس والمعتقدات الدينية كأمر بالغ الأهمية وهو ينطوي على التحقيق في المفاهيم والممارســات والأحداث الدينية من خلال عدســة معرفية، ويفكر هذا الإطار في كيفية اكتســـاب المعرفة وجوهر الاعتقاد، والأســـاس المنطقي وراء التحقق من صــــحة المعتقدات، إن التعامل مع الدين من هذا المنطلق يتطلب التدقيق في المنطق الذي تقوم عليه الادعاءات الطقسية والأجتهادات المتعلقة بها وتقييمها وفهمها، يحمل هذا النهج أهمية خاصـة بسـبب الطبيعة المركبة والمفككة للعالم وجوانبه الدينية، وبالتالي تجديد الخطاب الديني الموجه الى الأجيال القادمة

1 - المصدر نفسه، ص 18.

2 - المصدر نفسه، ص 162.

ومحاكاة تطلعاتهم ومخاوفهم فذلك هو السبيل الأنجع للتحاور بما يناسب فضاء الرقمنة وتجاوز ثقوبه السوداء التي باتت تبتلع كل من يضطلع بها.

ماجد الغرباوي .. إشكالية النهضة ورهان تقوية الشعور الهوياتي العقلاني لدى العربي المسلم

بقلم: الأستاذ الحسين بوخرطة[1]

الأستذ ماجد الغرباوي، غني عن التعريف. كتاباته الرصينة شكلت مرجعا فكريا ومعرفيا جعلته يصطف إلى جانب كبار رواد الفكر عربيا ومغاربيا وكونيا. إنه مفكر إسلامي مرموق كرس الجهد المضني لإبراز المقاصد والدلالات والرموز التي جسدتها النصوص الدينية الأصلية. يمتاز بمنهجيته المتفردة وبأسلوبه البسيط المنير للعقول. بتفاعلي مع منتوجاته القيمة تعلمت منه معنى الوضوح والشفافية في الثقافة، والشمولية والموسوعية في تناول القضايا العربية الشائكة. لقد أثبت بالبراهين العقلية أن الاعتدال والوسطية هما الأساس الضامن لصلاح الدين الإسلامي لكل زمان ومكان.

شفافية شخصيته جعلت منهجه قويما جذابا، يقود القارئ بسلاسة إلى التأمل في مراحل التحليل، ميسرا مروره بتركيز عال من الوضعية العادية، ثم الوسطية، ليجد نفسه في الوضعية الختامية مقتنعا بالاستنتاجات المنيرة للعقل والمحفزة على اكتساب المعرفة العلمية والأخلاقية. كما جعلت أسلوبه يتسم بالبساطة والسلاسة. قدرته على تبسيط تحليل القضايا المعقدة مكنته من كسب اهتمام القراء بمختلف مشاربهم. يستحضر النقل ويشهر قوة العقل، ثم يبدع في خلق الحوافز النفسية أمام القارئ دافعا

1– كاتب وباحث مغربي

إياه عن طيب خاطر للتأمل وكشـــف بواطن الأمور والتمييز بين الأصـــول والفروع. مكانته الفكرية هي تتويج لمساره الشخصي الزاخر بالاهتمامات والبحوث المتواصلة.

المتتبع للأستاذ الغرباوي يستشف إيمانه العميق بالإسلام الوسطي المعتدل، مبرزا ما يتضـــمنه من قيم إنســـانية كالحق والعدل والعلم والإيمان. إنه صـــاحب مشـــروع نهضوي عربي إسلامي ينضاف إلى مشروعي كل من المفكرين المرحوم الدكتور محمد عابد الجابري والدكتور عبد الله العروي أطال الله في عمره. إذا كان الجابري يدعو إلى غربلة التراث من خلال تنوير العقل العربي، والعروي إلى القطيعة المنهجية باعتماد المنهج الماركسي الموضوعي والتاريخانية والارتماء في أحضان الحداثة الغربية في القرون الثلاث السابع والثامن والتاسع عشر والعودة الفكرية إلى التراث بمنطق الأنوار، فإن الأستاذ ماجد الغرباوي يدعو إلى عقلنة شعور الشخصية العربية والإسلامية وتقوية قيمها العقلانية بالشـكل الذي يجعلها تضـفي طابع الفاعلية على الروابط بين العقل النظري والعقل العملي.

يمكننا أن ننظر إلى كتابه "المقدس ورهان الأخلاق" بوصـــفه دراســـة في فلســـفة التاريخ (التاريخانية عند عبد الله العروي). اســـتثمر في تاريخ الأفكار وما تمخض عن تفاعل النصـــوص العقائدية بالواقع. وهو يقابل الخلاصـــات الفكرية مع الأحداث التاريخية التي وازتها، يمكن القارئ العربي البسيط من طرح التساؤلات العديدة في شأن واقعه وسبل الخروج من مآزقه. كتاباته تصوب اهتمام القارئ في اتجاه علة الأحداث وعمقها، فيؤثر في سلوكه واضعا إياه في موقع الباحث عن توجهات جديدة، معترفا بحاجته إلى فهم عميق للفكر الإســـلامي، ومحاولا الكشـــف الكلي على المســـببات الواهية التي ربطت الصـــدام التاريخي بين العقل والنقل في الفكر الإســـلامي بنزعات الحفاظ على المصـالح والمنافع الذاتية على حسـاب الأوطان وشـعوب المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج.

العقلانية في الدين عند الغرباوي هي دعوة للحســـم في مقومات الشـــخصـــية الإســـلامية بتمكينها من قدرات الغوص في العلم والإبداع والتكنولوجيا. لقد استخلصت من كتاباته أنه، كعبد الله العروي، يستحضر أوضاع تأخر الشعب الألماني

زمن عصر الأنوار معتبرا إياها مشابهة نسبيا لأوضاع الشعوب العربية في الوقت الراهن. وهو نفس الاستنتاج الذي أبرزه ماركس. إن تدني العلاقات الاقتصادية الألمانية في ذلك العصر، مقارنه بفرنسا وبريطانيا وأمريكا، يعود إلى تلك الإيديولوجيا المثالية التي تهيمن على الوعي الألماني وتحول بينه وبين تطوره، لأنها كانت تغرقه في الأفكار والخيالات السابحة. كان تفكير الألمان يسبح في السماء ولا صلة له بالإبداع لتجديد أنماط وتقنيات الإنتاج المادي.

بنفس المنطق، لم يدخر الأستاذ الغرباوي جهدا في نقد الوعي العربي الزائف وتبيان هشاشته. حياة أغلب أفراد الشعوب العربية غارقة ليل نهار في الأوهام والتعبيرات الشفاهية التي لا تمت بصلة بواجب تنمية الحياة المادية وخلق السعادة الروحية. إن رسائل ودلالات كتاباته تدعوا إلى تشييد حياة جديدة قادرة على تفنيد الأنظمة التقليدية السائدة. لقد بين بالبراهين الدامغة أن الأبنية الثقافية التي شيدت من طرف أصحاب المصالح من رجال الدين ورواد البيروقراطية السياسية أصبحت هشة ومتداعية وضيقة وغير مريحة. في نفس الآن يذكرنا أن استفاقة العرب المسلمين تمليها أمانة استخلاف الإنسان أرضا. فما تعرفه الشعوب العربية من فقدان مستمر لأجزاء من بشريتهما تحت وطأة الاستغراب الرأسمالي أو العقائدي يجب أن يتوقف. الشخصية العربية المسلمة يجب أن تكون عاملة ومتفاعلة، تتفتح وتزدهر باستمرار، وقادرة على أن تحل محل المذاهب العقائدية المتناحرة السابقة. عليها أن تتوق لتغيير وضعها بتملك السلطة المعرفية والإرادة السياسية والرغبة القوية، وبالتالي تنوير واقع الفرد العربي ليلا ونهارا. يعيش ليله مزهوا بهويته وثقافته وتراثه العقلاني، يفكر ويدبر كيف سيكون غده أكثر مردودية ماديا، مردودية تستجيب لسر وجوده ولأمانة كشف أسرار الكون التي لا تعد ولا تحصى.

بالنسبة للغرباوي، معاداة الآخر لا يمكن اعتبارها إلا عائقا أمام طموح النماء القطري، بل موقفا واهيا يعرض الشعوب إلى هدر الزمن والاضرار بالنفس. زمن الحداثة الغربية هام للغاية. لقد كان من الناحية التاريخية نتيجة نشوب حركات التمرد والثورات التي خاضتها الشعوب الغربية ضد استبداد الكنيسة ومريديها. إنه مرجع تاريخي زاخر بفرص وإمكانيات التطور والقطيعة مع سبات الماضي. لقد دعا الدكتور

عبد العروي إلى سبر أغوار هذه المرحلة البارزة في تاريخ البشرية. التاريخ الغربي يذكرنا بالفترات الصعبة التي انتصرت فيها العقلانية وفرضت حياة متنورة جديدة. لقد أشار الدكتور علي القاسمي في كتابه "صـــياد اللآلئ في الفكر والإبداع المغربي المعاصـــر"، كيف تم اعلان ميلاد حقوق الإنسان في تاريخ البشرية. صدر العهد الأكبر في عهد ملك إنجلترا جون سنة 1215، وتطور إلى إعلان الحقوق بنفس البلد سنة 1689. صـدر إعلان الاستقلال الأمريكي سـنة 1776، والإعلان الفرنسـي لحقوق المواطن سنة 1789. إنه عهد مرجعي في رفع الظلم والحد من الاستغلال البشري والنضـال من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية بأي وسيلة. إنه فترة التعبير عن الإرادة السـياسـية الشعبية لتعميق الفهم للحقيقة بنهج فلسفة تسعى لتغيير الواقع لأجل سعادة البشر. بنفس المنطق، تراث الماضـي بالنسـبة للغرباوي جزء من هوية الأمة الحضـارية شـريطة إخضاعه للفحص بغربال العقلانية.

والعالم يعيش زمن تســـلط الليبرالية المعبرة عن زمن ما بعد الحداثة بتركيزها على علاقات دولية اقتصادية وسياسية أساسها المصلحة والمنفعة المادية، تزداد الحاجة إلى تقريب كتابات الأســـتاذ ماجد الغرباوي من العقل الشـــعبي الواقعي في كل الأقطار العربية، للحسـم النهائي في مقومات الفرد العربي المسـلم بتقوية وجوده الثقافي الكوني ومســـتوى مقاومته للتغريرات والخطابات التقليدية المناوئة للمســـتقبل. إن حلم خلق مجموعة سياسية واقتصادية عربية يتطلب أولا وقبل كل شيء الاطلاع العقلاني على تاريخ تحول العالم الغربي في عصـر الأنوار، ثم التشـبع بقيم الحداثة بحقوقها السـياسـية والاقتصـادية، ثم الحسـم النهائي في مقومات الشـخصـية العربية المسـلمة كما بين لنا ذلـك كـاتبنـا الغرباوي، وبالتـالي تعبيـد الطريق لخلق القطيعـة مع كـل بال ورث في التراث، وتسريع بلورة استراتيجية تربوية للصغار وتكوينية للكبار حتى يتأتى للجماهير العربية التوجه للمسـتقبل بانفتاح نافع ماديا ومعنويا، مغتنما كل الفرص المتاحة كونيا في مجال الإبداع والدرابة اليدوية والعقلية ووفرة الإنتاج وتراكم الثروات.

الاعتزاز بالتراث العقلاني هو مرادف للعودة إلى القيم الإنســـانية في الإســـلام، وإعادة الاعتبار لمفهوم النظم والمؤسـسـات الإسـلامية المنفتحة والمتسـامحة، وترسـيخ ثقافة الخلق الصـناعي والإبداعي الفني في أذهان الأفراد والجماعات. الغرباوي يدعونا

من خلال تحليلاته الرصينة إلى تسريع التراكم الحضاري والثقافي بالتخلص النهائي من سلطة تراث الماضي المتخلف الذي يكرر نفسه خالقا لنفسه حواجز عالية تفرمل آلياته المشروعة لكسب مهارات التنافس والحق في الوجود الفاعل كونيا. فلا سلطة إلا للعقل. إنه الأساس الذي بني عليه التاريخ البشري. علينا أن نجد المنعطف المناسب، ونرسخ مقوماته، ونميل، كما مال الغرب، صدفة وإتقانا إلى جهة، فوجد نفسه على رأس طريق معبدة. لقد عثر العرب المسلمين على ذخائر خدمة المستقبل في فترات معلومة من الماضي، إلا أنهم مالوا إلى جهة تاهوا فيها في معارج رملية قاحلة.

كتابه "المقدس ورهان الأخلاق" زاخر بمقومات صقل كفاءات ومهارات الشخصية العربية الإسلامية. الأخلاق مصدر معنوي حضاري، يميز من خلاله الفرد المواطن بين الخير والشر، الحسن والقبح، الفضيلة والرذيلة. فأمام التفاعل السريع للسلوكيات والانفعالات اليومية للشخصية العربية الإسلامية، تبرز مكانة العقل لتحقيق المواقف والأفعال وردود الأفعال المناسبة معبرة عن وجود منظومة أخلاقية جذابة تخضع في أبعادها للمنطق المتعارف عليه كونيا. الرأي العام الكوني لا يمكن له أن يعادي الاختلاف المعبر عنه بالطرق الحضارية المعروفة، بل يمتعض من ردود الفعل غير المبررة والعنيفة. وبذلك، تكون الأخلاق وحيا من مدركات العقل العملي ومشاعر الفطرة الإنسانية السليمة. لقد ترتب عما يعيشه العالم من استبداد علني ومبطن بسبب هيمنة الاتجاهات المادية والنفعية الجشعة في زمن العولمة ميول الإنسان الغربي إلى الاحتكام للقاعدة السلوكية المبتدعة "الغاية تبرر الواسطة أو الوسيلة". عالم اليوم يحتاج إلى أخلاق وقيم عصر الأنوار وزمن ازدهار الحضارة العربية الإسلامية. نحتاج لحياة فردية تستمد مقوماتها من الأخلاق الحضارية العقلانية، وتكرس في سلوكياتها مهابة الدين في الحياة الشخصية.

المقدس بالنسبة للغرباوي يحتاج إلى التحري المعرفي والتحلي بالدقة والنباهة لتحويله إلى آلية لتقوية الشخصية العربية الإسلامية بالرفع من مستوى جاذبيتها وتحبيبها لسكان المعمور. الجهل المقدس يجب أن يندثر بصفة نهائية من حياة الشعوب الإسلامية ببلورة ميثاق أخلاقي تقدمي منفتح وقابل للتجديد يجعل الدين

مقوم أساس للهوية والحياة. الأستاذ الغرباوي في هذا الصدد أبرز الاستثناءات والقراءات التراثية المتخلفة عن ركب التاريخ في كتابه السالف الذكر. لقد اخترق سجون العقل وأغلال التفكير وفندها بالدليل والحجة. لقد أثار الجدل الذي عاشته الحضارة العربية في فجر الإسلام (المعتزلة، الأشاعرة، الخوارج، الشيعة، .....). دافع المعتزلة كون الحسن والقبح عقليان، وأذاع الأشاعرة كونهما شرعيان. لقد فند الغرباوي رواية زواج النبي (ص) من عائشة وعمرها ستة سنوات ودخل عليها وعمرها تسعة سنوات. كما ركز بتفسيراته المقنعة على ظاهرة القتل المرفوضة والحق في الحياة (قصة موسى والغلام). إن الكاتب من رواد تحرير الوعي الديني وإخراجه من دائرة احتكاره من طرف مريديه. الحلال بين والحرام بين.

إذا كان العقل النظري هو مفتاح التأمل التجريدي المسخر للاستفادة من خدمات الكشوفات العلمية في الواقع (الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، ....)، فإن العقل العملي يكون في أتم الاستعداد لتحويل النظريات إلى صناعات وانتاجات مادية تنفع الإنسان وتجعله يركز أكثر على المستقبل والآتي من الكشوفات الجديدة. العقل النظري دينيا، يقول الغرباوي، يخضع لمبدأ الإدراك، والعقل العملي أساسه دوافع ومحفزات. داخل هذه الانشغالات الطبيعية التي تضمن استمرار الوجود البشري فوق الأرض، يكون العقل الأخلاقي حاضرا بقوة للحيلولة دون السقوط في الانزلاقات الخطيرة. فهو إذن مشترك إنساني غير مرتهن لأي حكم مسبق ما عدا مبادئه. أدواره حماية الأفراد من السلوكيات المنحرفة المحكومة بالظلم والعدوان، والتي لا يمكن لأحد تبريرها مهما رفعت شعارات دينية وطائفية مؤيدة لها (القتل بدوافع عقائدية وطائفية). الحسن حسن بذاته، يدركه العقل العملي باعتباره واقعا، والقبيح قبيح بذاته تنبذه النفس. الفطرة الإنسانية إحساس أخلاقي ترتهن له القيم والأخلاق كونيا (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله). الميل للخير مرتبط بوضعية يكون فيها الفرد حرا. في التعاطي مع الأحكام الشرعية، يدعونا الكاتب إلى الأخذ بعين الاعتبار القبليات العقدية والسياسية والإيديولوجية. فلا يمكن مثلا تبرير الإرهاب بأقوال الصحابة أو الأئمة الإثنى عشر أو فتاوي الفقهاء. لقد بين لنا كذلك بوضوح تام كيف خضع تاريخيا العقل التراثي للحوافز الإيديولوجية والطائفية.

لقد أسهب الكاتب بما يكفي لتوضيح كون العنوان الأبرز لرسالة الله عز وجل لعباده تتجلى في التسلح بالعلم والأخلاق لتحقيق العبور الدائم من حال الجهل إلى حال العلم. الله يمجد في كتابه المقدس أولي الألباب الذين يربطون انشغالاتهم اليومية بالشعور بالواجب بدون طغيان اللذة والمنفعة غير المشروعة. جاء في نفس الكتاب أن الفيلسوف كانط في هذا الصدد قد دعا الإنسان للفعل الجاد بحيث يمكن لقاعدة فعله أن تكون قانونا عاما. وبذلك يكون مصدر التزام العقل الأخلاقي هو العقل العملي مع اعتبار أن الشخص يعي ذاته بما هي ذات إنسانية مستقلة، وكحركة وجود بحمولة ثقافية ترتكز على خصوصية مندمجة في الحضارة الإنسانية وعلى رؤية شاملة للكون والوجود والإنسان والحياة وما بعد الموت لمن كان مؤمنا بوجود عالم ما ورائي (يوم الحق والعدل). استحضر مسألة الضمير الذي يستمد مقوماته من أدواره الرقابية التي يستمدها من الطاقة الروحية للدين. الأخلاق منظومة معروفة لا تقبل إلا الحسن والفضيلة، ولا تتماهى مع الظلم حتى إن كان دعوة مغلفة بنزعات دينية. مركز انشغال الدين، يقول الكاتب، هو تسديد وحماية الضمير، وليس ذات الفعل الأخلاقي. الدين لا يفرض على الفعل الأخلاقي شروطه وقناعاته. الأخلاق مستقلة لأنها من مدركات العقل العملي.

لقد قدم لنا الأستاذ ماجد الغرباوي منظومة متكاملة أوضح من خلالها الارتباطات العقلانية بين الدين والأخلاق والضمير والمقدس (لا تعارض بين جوهر الدين والأخلاق – الدين تجربة روحية، تتقوم برؤية كونية، ومشاعر إنسانية عميقة)، مبرزا إمكانية توحيد الرؤية لتشمل العامة والمثقفين في شأن مقومات الشخصية العربية الإسلامية القادرة على الاستفادة من ماضيها، وفحص قيم الحداثة التي عاشها الغرب في القرنين السابع والثامن عشر، والاندماج في تطورات الحاضر بمنطق الفاعل الطموح المتشبث بالمشاركة في صناعة المستقبل. التجربة الروحية لكل إنسان محورها الله الذي يدعوه لسبر أغوار الكون والبحث عن حقائقه المطلقة سعيا إلى الاقتراب منها، وتسخير حصيلة أعمال أيامه لسعادة البشر المادية والروحية والصحية (الدافع الإنساني الخالص الذي يجعل من أنسنة المقدس شعارا صالحا لكل زمان ومكان).

قداســـة النص الديني المتعالية تتطلب توفر الإنســـان على القدرة على التدبر والحكمة والتبصر لكيلا يكون أساسـها الخوف من يوم الميعاد وتأجيل تحقيق الذات دنيويا والتخلي عن الحق في التمتع بســـنوات العمر. فتحرير العقل عند الكاتب أســاســي لتمكين الفرد من الوعي بحجم مســؤوليته دنيويا. وفي هذه النقطة بالذات أختم هذا المقال بقولة ربيعة العدوية الشــهيرة: "اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك طمعا في جنتك فاحرمني منها، وإن كنت تعلم أني أعبدك خوفا من نارك فارسلني فيها، أنا أعبدك لأنك تستحق العبادة". لدى المسلم ما يكفي من الأبحاث والمشاريع الفكرية لتحويل العقيدة الدينية إلى مصدر قوة للفعل اليومي وتراكم الخيرات والخبرات العلمية في الحياة. إن فهمه لدينه مع الاعتراف بنســبية معارفه تعد منطلقا للعيش في فضــاء أوســـع. الآيات الكليات في القرآن الكريم صـــالحة لكل زمان ومكان، والآيات الجزئيات بوقائعها وأحكامها مرتبطة بالزمن الذي وقعت فيه.

المقدس ورهان الأخلاق
قراءة في كتاب جديـد

بقلم: الأستاذ حاتم حميد محسن[1]

يبحث هذا الكتاب[2] العلاقة بين الدين والأخلاق في اطار الدين بشـــكل عام وفي الاسلام بشكل خاص، حيث برزت فكرة الكتاب بعد إثارة سؤال حول اسباب فشل الدين في تهذيب وضبط سلوك المسلمين، خاصة في ظل الانهيار الحالي في القيم الاخلاقية والدينية، وشـيوع انماط سـلوكية غير سـوية من العنف والقمع والارهاب والتسلط واتساع مظاهر الفساد وهدر الثروات وإلغاء الآخر.

يتألف الكتاب من تسعة فصول:

الفصل الاول: العقل الأخلاقي

الفصل الثاني: الضمير والأخلاق

الفصل الثالث: معالم التجربة الدينية

الفصل الرابع: أنسنة المقدس

الفصل الخامس: قداسة النص الديني

الفصل السادس: رهانات الدين

---

[1] - باحث فلسفي، له مجموعة من الاصدارات الفلسفية.

[2] - كتاب (المقدس ورهان الاخلاق) للباحث والمفكر التنويري ماجد الغرباوي، صـــدر عن مؤسسة المثقف في سيدني، ودار أمل الجديدة في دمشق عام 2022 في 385 صفحة، وهو الكتاب الثامن في سلسلة "متاهات الحقيقة".

الفصل السابع: معيار الحكم الاخلاقي

الفصل الثامن: صدقية القيم القرآنية

الفصل التاسع: السلوك المقدس

سـنحاول التطرق الى المسـألة الاخلاقية في الاطار العام وليس في نطاقها الاسلامي، لأن الشق الاكبر من البحث (الاخلاق الاسلامية) والذي ألمّ به الكاتب بفعل تخصصـه، حفل بالكثير من الآيات القرآنية والنصـوص الفقهية التي تحتاج الى دراية وفهم في الفقه وعلم الاصـول. لذا سـنحاول التركيز على المسـائل ذات الطابع الفكري والفلسفي ونتجنب تلك الموضوعات ذات الصبغة الفقهية. في الفصل الاول من الكتاب يطرح المؤلف سـؤال الاخلاق، حيث هناك إشـكالية قديمة في علاقة الدين بالاخلاق طرحها معظم الفلاسفة وهي هل ان الاخلاق مستقلة عن الدين ام تابعة له؟ وقد تناول علم الكلام هذه الإشـكالية تحت عنوان: هل الحسـن والقبح عقليان ام شـرعيان؟ ناقشـها المعتزلة والاشـاعرة في أحاديثهم حيث اعتبر المعتزلة ان العقل يحكم بمعزل عن المجتمع وعاداته بحسن العدل وقبح الظلم سواء صرح بذلك ام لم يصـرح. أحكام العقل هنا هي أحكام معيارية تسـتمد شـرعيتها من العقل العملي الذي يرتكز على مبادئ انسانية كونية يُحتكم اليها عند الاختلاف.

أما في نظرية الأوامر الآلهية يكون الصـواب الأخلاقي هو الذي أمر به الله وان الخطأ الاخلاقي هو الذي نهى عنه . فمثلا في سفر الخروج 20:16 ان الله أمرنا ان نكون صـادقين. هنا السـبب في ان نكون صـادقين هو ببسـاطة لأن الله اراد ذلك. بعيدا عن الامر الالهي، يكون قول الحقيقة لا هو جيد ولا هو سـيء، أوامر الله هي التي تجعل الصدق صوابا. لكن هذا سيجعل اوامر الله تبدو عشوائية، بنفس السهولة هو بامكانه ان يأمرنا بالكذب وعندئذ سيكون الكذب هو الصواب وليس الصدق (قد يقول البعض ان الله لا يمكن ان يأمرنا بالكذب، لكن لماذا لا؟ اذا هو أجاز الكذب فهو سـوف لن يأمرنا ان نفعل الخطأ لأن اوامره سـتجعل الفعل صـحيحا). هذه النظرية تحل مباشـرة المشـكلة القديمة المتعلقة بموضـوعية الاخلاق. بالطبع الملحدون لن يقبلوا بهذه النظرية لأنهم لا يؤمنون بوجود الله، لكن هناك صـعوبات في

قبولها حتى عند المؤمنين بالله. المشكلة الرئيسية أول ما لاحظها افلاطون الفيلسوف اليوناني الذي عاش قبل المسيح بـــ 400 سنة. كتابات افلاطون كانت على شكل حوار بين ســقراط وأحد محاوريه. في حوار (ايوثيفرو) هناك نقاش يتعلق بالصـــواب وهل ان الله هو من يأمر به. سقراط يشك في هذا ويسأل: هل السلوك الصحيح هو بسبب ان الله يأمر به، ام ان الله يأمر به لأنه صحيح؟هذا السؤال كان من الأسئلة الشهيرة في تاريخ الفلسفة. اذا كان الله يأمرنا للقيام بما هو صحيح. عندئذ نحن أمام خيارين: اما ان نتبع الخيارالاول وهو ان الفعل صـــحيح لأن الله يأمرنا به، او نتبع الخيارالثاني ان الله يأمرنا بذلك الفعل لأنه صحيح.

لو أخذنا الخيارالاول، فان اوامر الله، من الزاوية الاخلاقية، ســتكون عشــوائية، وان الاعتقاد بخيرية الله ســيصــبح بلا معنى. اما لو اخذنا بالخيارالثاني عندئذ ســوف نعترف بوجود معيار للصح والخطأ مستقل عن رغبة الله، وبالنتيجة سوف نتخلى عن التصور الديني للصح والخطأ.

لذلك، نحن يجب اما ان نعتبر اوامر الله عشوائية ونتخلى عن الاعتقاد بخيرية الله، او نعترف بان هناك معيار للصح والخطأ مستقل عن رغبة الله، ونتخلى عن التصور الثيولوجي للصحيح والخطأ.

من وجهة النظر الدينية، من غير المقبول اعتبار اوامر الله عشوائية او التخلي عن الاعتقاد بخيرية الله.

لذلك، حتى من وجهة النظر الدينية، لابد من قبول معيار للصح والخطأ مستقل عن رغبة الله وهو ما ينسجم مع فكرة الحُسن والقبح العقليين للمعتزلة .

في الحقيقة، ان كبار الثيولوجيين مثل القس توما الاكويني (1225-1274) رفض نظرية الأوامر الالهية لهذه الاســـباب، وبدلا من ذلك ربط الأخلاق بنظرية اخرى مختلفة وهي نظرية القانون الطبيعي.

يرى مؤلف الكتاب ان اولئك الذين يؤمنون بالحســن والقبح العقليين لا يمكنهم ارتكاب او القبول بسلوكيات خاطئة، بينما اولئك الذين اعتمدوا الشـرع برّروا وقبلوا

بتلك السـلوكيات حين لجأوا الى تأويل النصـوص وارتهنوا فهم النص لقبليات وثقافة الفقيه او المجتهد. فكان هذا احد اسـباب مظاهر الفسـاد في صـفوف المسـلمين، حينما برّرت فتوى الفقيه اسـتباحة المال العام او التعدي على الاخرين دينيا او طائفيا. الفريق الاول يعاني من تأنيب الضـمير بينما لا يشـعر الثاني بذلك طالما هو مبرر دينيا. وهذا حسـب الكاتب يدعو الى المراجعة والنقد لمعرفة حقائق الامور، ومدى صـدقية ان الدين مصـدر الاخلاق، فيصـل الى نتيجة ان "ان الحسـن والقبح عقليان لا شـرعيان وان المقدس لا يحول دون الرجوع للعقل لمعرفة حقيقة السـلوك البشري مهما كان مصدره"[12].

ومما تقدم يصـل الكاتب الى استنتاج وهو "ان العقل يتصـف بالحسـن والقبح في ذاته بغض النظر عن الامر والنهي الإلهين. وبما ان الاخلاق تصـدر عن حكم عقلي كوني فهي اخلاق كونية ومشترك انساني، فتكون حيادية، صادقة يصعب استغلالها او توظيفها الاّ بتزوير الوعي والالتفاف على قيم الفضـيلة. فالعقل كما يراه مرجعية نهائية للحكم الاخلاقي، عقل يلغي الفواصـل بين بني البشـر دون انحياز عنصـري او ديني او طائفي"[2].

ان القول بالحسـن والقبح الشـرعيين يُفقد الفعل صـفته الأخلاقية ويكون مرتهنا لحكم الشـريعة التي هي ليسـت فقط القرآن وانما سـنة النبي وسـنة الصـحابة والائمة الاثنى عشـر وفتاوي الفقهاء وهنا تعطلت فريضـة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، حين كرس فقهاء السلاطين أنفسهم لتبرير سلوكيات الظالمين وبهذا لم يعد هناك معنى لمحاسبتهم وفق أي مبدأ اخلاقي.

---

[1] – المصدر نفسه، ص 15.

[2] – المصدر نفسه، ص 23.

رهان الدين

يؤكد الكاتب ان استقلال الاخلاق عن الدين بمعنى التشريع، لا يمنع وجود دور أخلاقي للدين. الفعل الاخلاقي حسب رأيه، هو فعل سلوكي يواجه باستمرار تحديات تختبر صموده، وقد يخفق الضمير تجاهها فيأتي دور الايمان ليعزز دوره الرقابي ويحول دون تراخيه ونكوصه. ان مجال عمل الدين هو ديمومة يقظة الضمير الذي يخضع له الفعل الاخلاقي، والضمير هو مشترك انساني يستهدي به الفعل الاخلاقي في إخلاصه ونقائه الانساني[1].

ويضيف الكاتب بانه ليس من دعاة إقصاء الدين. للدين دور مؤثر جدا حينما نحسن توظيفه، خاصة في المجتمعات التي تحتضن الاديان، المسكونة بالغيب. علينا استثمار المشاعر الدينية وإعادة تشكيل الوعي الديني بما يخدم القيم الاخلاقية والانسانية باعتباره احد وسائل ضبط سلوك الافراد والمجتمعات. هذه المشاعر عميقة ومتجذرة وملازمة لوجود الانسان[2].

علاقة المقدس بالاخلاق

هناك سؤال يبرز الى السطح وهو هل تتأثر الاخلاق بوجود المقدس او عدمه؟ يشير الباحث الى ان العقل لا يخضع في قيمه وأحكامه للمقدس. الاخلاق تحتفظ باستقلاليتها. فكما ان العقل يحكم بحسن العدل وقبح الظلم بعيدا عن الشريعة، كذلك تكون أحكامه بعيدة عن المقدس، وبذلك يصح استقلال الاخلاق عن الشريعة والمقدس معا.

وكلمة مقدس sacred تشير الى التبجيل او الرهبة، وهي تأتي من الكلمة اللاتينية sacer. الشخص او المكان قد يُشار اليه بالمقدس باعتباره متفرد بشكل استثنائي لما له من قوة اسطورية. في كتابه (المقدس والمدنس) يشير مؤرخ الأديان

---

[1] – المصدر نفسه، ص 48.

[2] – المصدر نفسه، ص 58.

الروماني ميرتشا اليادة Mircea Eliade(1907-1986) الى ان المقدس دائما يجسد نفسه كحقيقة مختلفة عن الحقائق العادية. نحن نصبح واعين بالمقدس عندما يُظهر نفسه كشيء مختلف عن المدنس. الافتراض هو ان هناك إله او قوة روحية عليا تجسد نفسها للناظر الذي يشعر بالتميّز نتيجة لذلك. وبهذا فان المقدس يجسد نفسه فقط في سياق ايمان الناظر او جماعته، وبعبارة اخرى ان الناظر هو من يخلق المقدس ويستثمره في الأشياء التي حوله.

يؤكد الغرباوي في كل فصول كتابه على الفجوة التاريخية التي يحملها العقل التراثي بنيويا، هذا العقل يشوّه الحقائق، ويتبنّى ما يوافق عقائده بعيدا عن الدليل العقلي والفلسفي رغم ان الواجب يقتضي الركون للدليل وقدرته على تحدي الإشكالات ودراسة جميع الأدلة والبراهين والقرائن المتاحة والاجابة على جميع الاسئلة والاستفهامات وتحليل الواقع بجميع عناصره، ومن هنا جاءت الأجوبة في هذه السلسلة الحوارية من متاهات الحقيقة تقارع قلاع الكهنوت وتحطم أسيجة تراثية تستغرق الذاكرة وتطرح اسئلة استفزازية جريئة بحثا عن أسباب التخلف وشروط النهضة ودور الدين والانسان في الحياة، فتوغلت عميقا في بنية الوعي واستدعت المهمش والمستبعد من النصوص والروايات.

هذا ما يؤكده ويتفق عليه ايضا المفكر المغربي محمد عابد الجابري في قوله: "ان علّة عجز التراث العربي الاسلامي عن القيام بدوره كآلية دافعة للنهوض والتجديد ترجع الى بنائه وبنيته، من بين شروط النهضة هو تمرّد العقل الحرعلى تلك التفسيرات والتأويلات السلفية للآيات القرانية، هناك ايضا مشكلة قراءة المتون واستيعابها ومعنى النص ودلالته ومقاصده التي أنتجها العقل الديني التقليدي. ان العقل العربي قد تكوّن أساسا من خلال التعامل مع النص، ونحن لا نطعن في هذا لأنه معطى تاريخي لا معنى للطعن فيه ولكن المشكلة هي في الطريق الذي سلكه الأقدمون في فهم النصوص القائم على ما أسموه "الاستنباط". لقد تعاملوا مع الالفاظ كمنجم للمعاني وأخذوا يطلبون منها ما يريدون، أي ما يستجيب لآراء ونظريات جاهزة هي آراء المذهب سياسيا كان او فلسفيا. هنا تُنتزع اللفظة من سياقها لتتضمن معنى جاهزا. "مع سلطة السلف يفقد العقل سلطته كفعالية قائمة على ربط المسببات بأسبابها،

هذا العقل لا يعرف اللزوم المنطقي ولا يصدر عن مبدأ السببية. وهكذا فان الفقيه الذي تشكّل عقله داخل الثقافة العربية يخضع في تفكيره لسلطة اللفظ والسلف والقياس وسلطة التجويز".

سبق ان صدرت للغرباوي عدة كتب ركزت على تجديد الفكر الديني ومن أهم اعماله: إشكاليات التجديد، التسامح ومنابع اللاتسامح، قراءة نقدية في تجليات الوعي، الحركات الاسلامية، استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني، تحديات العنف. ومتاهات الحقيقة بتسعة كتب.

تجدر الاشارة الى ان الباحث الغرباوي أحد الشخصيات الفكرية البارزة في المحيط الثقافي الحالي سعى جاهدا للتوفيق بين المنهجية الغربية والتراث الاسلامي في التصدي للقضايا الفكرية، وهو ما كشف له عن الكثير من الافكار المهملة في الفكر الاسلامي وفي علاقة الاسلام بالآخر. مشروع الغرباوي التنويري لا يقل أهمية عن المشاريع التي برزت في الساحة العربية او الاسلامية، يسعى دائما الى تحرير العقل وإخراجه من بنيته الاسطورية وإعادة فهم الدين وفق دور الانسان المحوري في الحياة والتخلص من سطوة التراث وأغلال العقل التقليدي.

ماجد الغرباوي ونقد الذّات

بقلم: الأستاذ بدر العبريّ[1]

في وطننا العربيّ قامات لها رؤيتها النّقديّة، وتجربتها العمليّة، لم يعطوا حقّهم من الاهتمام والالتفاتة، أو لم يتح لهم ذلك لأسباب متعدّدة، لست هنا في مجال تفصيلها، ومن هؤلاء في نظري النّاقد والمفكر العراقيّ ماجد الغرباويّ، فقد ولد في بيئة دينيّة شيعيّة في العراق عام 1954م، وعايش في تلك المرحلة منذ بدايات نمو الإسلام الحركيّ بشكل عام، والّذي سيلبس لاحقا لباس الحركات اليساريّة، ومن الإسلام الحركيّ كانت بدايات حزب الدّعوة، الاتّجاه الشّيعيّ المقابل لحزب الإخوان المسلمين السّنيّ، وهذا الحزب تشكل في العراق، "وقيل أول خليّة للحزب تشكلت عام 1957م، بينما يؤكد آخرون أنّ تأسيس الحزب الفعليّ تمّ بعد أشهر قليلة من قيام ثورة 14 تمّوز 1958م ... إلّا أنّه أخذ شكله النّهائيّ، ومارس نشاطه التّنظيميّ السّريّ بشكل واسع بعد ثورة 14 تمّوز 1985م حين فسحت حكومة عبد الكريم قاسم المجال أمام العمل الحزبيّ والسّياسيّ"[2]، وقد "حدّد حزب الدّعوة الإسلاميّة أهدافه في السّيطرة على مقاليد الحكم، وإعلام الحكومة الإسلاميّة، وتغيير واقع المجتمع البشريّ إلى واقع إسلاميّ، وإحلال الشّريعة الإسلاميّة محلّ القوانين الوضعيّة"[3]، وقد انتسب الغرباويّ إلى حزب الدّعوة مبكرا.

---

1 – باحث وكاتب عمانيّ

2 – الطّائيّ: هاشم عبد الرّزاق صالح، التّيار الإسلاميّ في الخليج العربيّ: دراسة تأريخيّة؛ ط مؤسّسة الانتشار العربيّ، لبنان – بيروت، الطّبعة الأولى، 2010م، ص: 71.

3 – نفسه، ص: 73.

كما أنّه تأثر مبكرا بالجانب الحركيّ المتمثل في أدبيات محمّد باقر الصّـــدر (ت 1980م)، وحول نظريّة شـــورى الفقهاء، كما عايش بدايات فلســـفة الخمينيّ (ت 1989م) وتطوّر نظريّة ولاية الفقيه، والّتي سـيكون لها تأثير بعد نجاح الثّورة الإيرانيّة عام 1979م، وهناك العديد من النّظريّات السّـــياســـيّة والّتي طرحت في الأجواء الشّـــيعيّة كنظريّة ولاية الأمّة على نفســـها عند محمّد مهدي شمس الدّين (ت 2001م)، ودولة الإنسان عند محمّد حسين فضل الله (ت 2010م)، كما للسّيّد محمّد مهدي الشّـيرازيّ (ت 2001م) تأثيره الحركيّ في أوســاط الشّـباب الشّـيعة خصوصا، بيد أنّ أجواء المرجعيّة الدّينيّة الشّيعيّة حينها لم تكن ثوريّة، "فنظام المرجعيّة وطبيعة خياراته الثّقافيّة والسّـياسـيّة يحدّدان إلى حدّ بعيد طبيعة المجتمع الشّـيعيّ في خياراته الرّاهنة، فإذا كانت المرجعيّة ثوريّة فإنّ هذا الخيار ســينعكس عبر وســـائل وآليّات على المجتمع وخياراته المتعدّدة، أمّا إذا كانت المرجعيّة تقليديّة وبعيدة عن التّصدي المباشر للشّأن العام فإنّ تأثير هذا الخيار سينعكس بدوره على طبيعة تعاطي نخب المجتمع مع شؤونه العامّة"[1].

الأجواء الّتي عاشـــها ماجد الغرباويّ في الابتداء أقرب إلى الإســـلام الشّـيعيّ الأصـــوليّ الحركيّ، ابتداء من وجوده في العراق ثمّ إيران، وبما أنّه عاش منذ بدايات طفولته متسـائلا ناقدا؛ خلص بتجربة نقديّة للذّات، وفي نظري المشـتغل بنقد الذّات أكثر صـــدقا وعمقا من غيره، فكانت كتبه تتمحور في النّقد والتّجديد والوعي والتّسـامح ومحاربة الاسـتبداد والعنف والكراهيّة، كما كتب عنه العديد من الباحثين، وأجريت معه أيضـا عشـرات الحوارات، حيث اسـتفاد من وجوده في اسـتراليا، وقراءة التّجربة الغربيّة عن قرب، وهذا ظاهر في مقارناته ومقالاته وحواراته.

ولعلّ حواراته والّتي أجراها معه طارق الكنانيّ في كتابيه "رهانات السّـــلطة في العراق: حوار في أيديولوجيا التّوظيف السّـياسـيّ"، والّذي طبع في مؤسّـسـة المثقف

---

1 – محفوظ: محمّد، نظام الفتوى عند الشّـــيعة الإماميّة في الخليج؛ مطبوع ضـــمن كتاب الفتوى في الخليج (2): الشّـــيعة – الثّورات – التّأثير، ط مركز المســـبار للدّراســـات والبحوث، الطّبعة الأولى، 2013م.

العربيّ، استراليا – سيدني، 2017م؛ وكتابه "مدارات عقائديّة ساخنة: حوار في منحيات الأسطرة واللّامعقول الدّينيّ"، والّذي طبع أيضا في مؤسّسة المثقف العربيّ، استراليا – سيدني، 2017م، هذه الحوارات تلخص لنا خلاصة تجربة ماجد الغرباويّ، ورؤيته حول العديد من المفاهيم والمراجعات الذّاتيّة، وفي هذا المقالة نذكر شيئا من رؤيته النّقديّة من خلال كتابه"

مدارات عقائديّة ساخنة

العقائد في أصلها عند الغرباوي تجمع بين البساطة، والعقلانيّة العلميّة، وقابلية الشّك والبرهان، فالعقائد كالعادات والطّقوس، يصيبها ظرفيّة التّضخم، ولو كانت بسيطة في بدايتها، لكنّها "تنمو وتتطوّر، بعضها يقاوم وبعضها يضمحل، فالاعتقاد بأيّ عقيدة لا يدلّ على حقيقتها ومطابقتها للواقع تماما، ولا ينفي دور الوهم والعوامل النّفسيّة والخارجيّة في تشكيلها، وهذا مبرر موضوعي يسمح بنقدها ومراجعتها للكشف عن تاريخيّتها وزيفها، وحجم الوهم والمؤثرات الأيدلوجيّة والطّائفيّة في صياغتها، فيخطئ من يؤمن بثبات العقيدة، أو ينفي تطوّرها وتاريخيّتها"[1].

فتاريخيّة العقائد لا يختلف عن تاريخيّة الأحكام، وإذا كان في الإسلام خصوصيّة العرض على القرآن، بيد هذا لا ينفي إعمال العقل وربطه بالشّك المنهجيّ، فيرى أنّ "السّؤال والشّك بات ضرورة لمعرفة الحقيقة، وليس كالنّقد والمراجعة أداة لبيانها واكتشافها؛ لأنّ كثيرا من العقائد والبديهيات اليقينيّة لدي المسلمين تقوم على مقدّمات وهميّة، وافتراضات فلسفيّه تراكمت بمرور الزّمن، فينبغي نقضها وإعادة تشكيلها وفق معطيات العلوم الحديثة، بهذا فقط يمكن التّخلص من تبعات ترسبات الأفكار والعقائد كخطوة أولى باتّجاه فهم دينيّ وعقيديّ صحيح يقوم على مبادئ

---

1 – مدارات عقائدية ساخنة.. حوار في منحنيات الأدلجة واللامعقول الديني، حوار طارق الكناني مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا وأمل الجديدة، دمشق – سوريا، ط2، 2019م، ص 21.

حقوق الإنسان، ورؤية كونيّة تستمد ركائزها من العقل والكتاب"[1]، كما أنّ الشّك في نظره "دليل الوعي، وعلامة يقظة العقل، والسّؤال حقّ طبيعيّ تقبله القرآن برحابة، وأجاب على أسئلتهم وشكوكهم بكلّ صراحة ووضوح، فالشّك والسّؤال والاستفسار ليس كفرا، ولا محرّما، ولا يؤاخذ الإنسان عليهما، بل تدل على ذكائه ووعيه وحبّه وإخلاصه وشعوره بالمسؤوليّة، وشغفه بمعرفة الحقيقة لضمان إيمان نقي"[2].

ولا يرى أنّ الشّك محصور عند طائفة معينة، فمن حقّ أيّ إنسان أن يشك ويبحث وينظر ويتدبر، كان صغيرا أم كبيرا، ذكرا أم أنثى، متخصّصا في العلوم الشّرعيّة أم غير متخصّص، "ولكي ينبغي للمسلمين من أجل نهضة حقيقيّة فسح المجال أمام جميع الشّكوك وعلامات الاستفهام، وعليهم التّسلح بثقة عالية، والتّراجع عن أيّ معلومة دينيّة يثبت خطأها"، "فلا تكفّوا عن الشّك والسّؤال والنّقد لتفادي تداعيات العقل الجمعيّ الّذي يسوّق النّاس بمكر باتّجاه الخرافة، ويستدرجهم عاطفيّا على حساب يقظة العقل وتوقد الوعي"[3].

بيد أنّ سنن الاجتماع البشريّ جرت أنّ النّاس تدين بما استقرت عليه ظرفيّا نتيجة الولادة في بيئة ما، فيكتسبون من هذه البيئة دينهم ومذهبهم، ويطمئنون بذلك، لهذا يرى الغرباوي أنّ هؤلاء "نواياهم ... صادقة مخلصة .... لكنّهم غير معذورين دائما، فقد منحهم الله عقلا يحتجّ به عليهم يوم القيامة، كان عليهم العودة للقرآن ليعرفوا حقيقة الأشياء"[4]، "ومشكلة الإنسان في ضعفه وجبنه، يريد التّخلّص من المسؤوليّة بلا عناء، فيتشبث برجل الدّين لتطمئنّ نفسه، لهذا يستميتون دفاعا عن عقائدهم"[5].

---

1 - المصدر نفسه، ص 50.
2 - المصدر نفسه، ص 71.
3 - المصدر نفسه، ص 49.
4 - المصدر نفسه، ص 45.
5 - المصدر نفسه.

ويرى الغرباوي أنّ أكبر عائق بين الإنســـان وإعمال العقل هو رجل الدّين المستفيد من جمود الإنسان وتبعيّته، أي "رجل الدّين المعتاش على جهود الآخرين"، والأصـــل أن تكون هناك "مســـافة بينهم وبين رجل الدّين، بل وبينهم وبين التّراث المثقل بالأكاذيب والافتراءات على الله ورســـوله وأهل بيته"، "فرجل الدّين المغالي لا يتورع ولا يخاف الله، ومن يخاف منهم ربّ الأنام تجده بسيطا ساذجا يتسلّق أعواد الخطابة، ويملي على النّاس من تراث لا يمكن إطلاقا الرّكون إليه، بمعزل عن القرآن والعقل والصّحيح من السّنّة النّبويّة"[1].

وهؤلاء المغالون في نظره "يزوّرون الحقيقة، ويستغلّون بساطة الإنسان وحبّه لأهل البيت، وهم يعلمون جيّدا: أنّ مصـــير الإنســـان مرتهن بعمله يوم القيامة، ولا ينفعه شيء آخر، {وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعى}، لكنّهم يستغلّون سعة مفهوم العمل الصّـالح، فيقحمون فيه طقوسا ومفاهيم بعيدة كلّ البعد عن سلوك وأخلاق ووعي أهل البيت"[2]، ومن ذلك الاســـتفادة من الجانب الماديّ، فغيّب العقل الجمعيّ عن الإنفاق في المشاريع المهمّة كالجامعات العلميّة والمصحات إلى الإنفاق فيما يستفيد منه رجال الدّين، "والمرء لا يجد معنى لنفقته على المشـــاريع الاجتماعيّة، بينما يأمل بثواب الآخرة عندما ينفق على الطّقوس والشّـعائر الحسـينيّة". كما يقدّم رؤية نقديّة لمسألة الخمس في الفقه الشّيعيّ الجعفريّ، وعلاقتها بالمرجعيّات الدّينيّة.

وكما أنّ هناك اســتفادة ماديّة، هناك اســتفادة ســياســيّة، ووجاهة اجتماعيّة، يكتسبها رجل الدّين من خلال اغتراب العقل الجمعيّ، ويرى الغرباوي أنّ هناك رابطا بين اســـتغفال النّاس في عقيدة المخلّص، والّتي يؤمن بها غالب الشّـــيعة من خلال وجود المهديّ أي محمّد بن الحســـن العســـكريّ، الإمام الثّاني عشـــر الغائب عن الإنظار، وبين نيابة الفقيه أو رجل الدّين عنه وقت غيبته، وفي نظره "الأخطر في عقيدة المخلّص ليس الإيمان البســـيط لدى النّاس الطّيبين، بل ما يترتب على هذه العقيدة من اســتحقاقات والتزامات، يســتميت رجل الدّين في إثباتها، أهمّها بالنّســبة

1 - المصدر نفسه، ص 54.

2 - المصدر نفسه.

للشّـيعة نيابة الفقيه للمهدي الغائب في جميع صـلاحيّاته خاصّـة القضـايا الماليّة، والولاية، وولاية الفقيه المطلقة أخطر حينما تسـتلب الفرد وتختزله إلى مجرد رقم في المعادلات السّياسيّة وغير السّياسيّة للوليّ الفقيه، وتمنحه صلاحيّة مطلقة للاستئثار بالمال والسّـلطة تحت هذا العنوان"[1]، فهي "سـلطة مقدّسـة بلا أعداء ومناهضـين، يدفع له النّاس أموالهم طواعية بكلّ محبّة وإخلاص، ويطيعون فتاواه وأوامره بكلّ صدق واندفاع، فأيّ سلطة تداني سلطته؟ كلّ هذا بفضل نيابته للإمام المعصوم".

فينتقد بهذا النّيابة في السّلطة المطلقة، أو ولاية الفقيه، حيث "الحكم وفقا لنظريّة ولاية الفقيه حكم ثيوقراطيّ، يعتبر فيه الفقيه نائبا عن الإمام المعصـوم في صـلاحيّاته الإلهيّة الواسـعة، وحكم دكتاتوري يمنح الحاكم (الوليّ الفقيه) سـلطة مطلقة"، لهذا أصبح اليوم "رجل الدّين بشكل عام، والفقيه بشكل خاصّ يؤثر في جميع المعادلات السّـياسـيّة، ويلجأ له السّـياسـيون لحمايتهم ودعمهم، وبات النّاس يتمردون على القانون والدّسـتور بانتظار كلمة مرجعهم الدّينيّ، وقراره النّهائيّ في كلّ مفردات السّياسية، فكيف نأمل في قيام مجتمع مدنيّ والشّعب موزّع الولاء بين عدد من رجال الدّين من جميع الدّيانات والمذاهب"[2].

ويرى أنّ استغفال رجل الدّين لعامّة النّاس سياسيّا باسم الدّين لا يختلف عند الشّـيعة عن غيرهم من الأديان والمذاهب الإسـلاميّة الأخرى، وما ولاية الفقيه إلّا مخرجا للنّيابة العامّة للإمام الغائب كما أسـلفنا، وإلّا رجل الدّين عموما، ليس عند الشّيعة فحسب، "أنّه [سياسيّا] مستبد، يرفض خصومه، ولا يعتقد بشرعيّة أي حاكم خارج دائرته، مهما تظاهر بخلاف ذلك"، لهذا "الإسـلاميّون يصـرّون على وجود علاقة بين الدّين والسّياسة، وبالتّالي يسعون لاحتكار السّلطة باعتبارهم الممثل الوحيد للإله على الأرض، فحشدوا طاقاتهم من أجل السّلطة"[3]، ومن أجل الوصول إليها، وأغلب طريق لهم في ذلك هو استغفال العقل الجمعيّ، فالفقيه أو رجل الدّين

---

1 - المصدر نفسه، ص 71.

2 - المصدر نفسه، ص 227.

3 - المصدر نفسه، ص 202م.

"يعتبر النّاس "عواما"، رغم خشـونة الكلمة، وفيهم علماء ومفكرون ومثقفون ومبدعون وأخصائيون، فيقول: يجب على العوام تقليد الفقيه في الأحكام الشّرعيّة"، بما فيها المتعلّقة بالجوانب السّياسيّة.

والأصل في نظره أنّ دور الوصايا الدّينيّة انتهت "بختم النّبوة ليرتكز الإنسان لعقله وتجربته الحياتيّة، ويستظلّ بالدّين وقيمه ومبادئة في مسيرته الطّويلة، فما عاد الإنسان بحاجة لأحضان الدّين سوى روحه الهلعة، كي تستقر وتطمئن وتسمو إلى الله من خلال معرفته والانفتاح عليه بقلب سليم، وتعيش تجربتها الدّينيّة مع الخالق جلّ وعلا، العقل الآن يتحدّى ويشقّ طريقه بثبات، وقدّم لنا حضارة راقية فما علينا سوى العودة لعقولنا ووعينا"[1]، وهذا ما حدث في أوروبا "منذ إقصاء الكنيسة عن الحياة عامّة، والسّياسة خاصّة؛ انطلقت الشّعوب الأوروبيّة نحو العلم والمعرفة وتطوير الحياة، فأخضعت كلّ شيء للتّجربة والعقل، وراحت تبحث عن الأسباب الكامنة وراء الظّواهر الكونيّة، بعيدا عن التّفسيرات الغيبيّة، فأصابت الهدف، وحقّقت نتائج مبهرة في الحياة، وصار العالم برمته مدينا لاكتشافاتهم، أمّا شعوبنا فمسكونة بالغيب، ووجدوا فيه تبريرا لكسلهم وتقاعسهم"، فأصبحوا يبحثون عن رمزيّات خلاصيّة في الماضي والحاضر، بدلا من إعمال العقل في النّظر والكشف والعيش في الواقع بسننه وسنن الوجود.

وعليه في نظره أنّ الغرب قطع "شوطا كبيرا على مسار الرّقيّ الإنسانيّ، بينما ثمّة من ينتظر رجلا يخرج من أعماق الغيب والتّأريخ يصنع كلّ ما صنعه الإنسان"، فأصبح العقل الجمعيّ مسكونا برمزيّات ماضويّة لا بسنن الواقع، بينما المتأمل في واقعهم يجد "أحيانا تحطّ المعاصرة من قيمة الرّمز وقدسيّته، بينما تزدهر في غيابه حدّاً تلهب رمزيّته الخيال الميثيولوجيّ، فيجرّده من بشريّته ويحلّق به في مدارات الأسطرة واللّامعقول، ليعيد إنتاجه باستمرار في إطار ضروراته العقيديّة والأيديولوجيّة"[2]، كما أنّ "انتظار الإنسان لمن يخلّصه تعبير آخر عن عجزه وضعفه ... فوجوده من هذه

---

1 - المصدر نفسه، ص 74.

2 - المصدر نفسه، ص 166.

الزّاوية ضرورة لا تقبل النّقاش، لتفادي الانهيارات النّفسيّة، وتبرير تقاعسهم عن مسؤوليات الحياة، ومستقبل أبنائهم، فالأمل معقود عليه في حياة ناعمة تعويضا عن شقائهم وحرمانهم، وهذا بعد سلبيّ مخدّر، لا يساهم في بناء شخصيّة متوازنة".

وكما أنّ العقل الجمعيّ مسكون برمزيّات خلاصيّة ماضويّة؛ هو مسكون أيضا بمصاديق عمليّة يجد فيها شفاء واطمئنانا لخلاصه، ولو قامت هذه المصاديق على أوهام وأساطير وظنون، حيث أنّ الإنسان في نظره أنّه "بطبيعته مسكون باليأس بسبب قساوة الحياة، فيبحث عن الخلاص سيّما في ظلّ خطاب ديني مرعب، يبالغ في قساوة الإله، فهو جبّار عتيد، يتربص بالإنسان لينتقم منه من لأدنى خطأ، فكيف والإنسان خلق ليخطأ، ويتعلّم من خطئه"[1]، فيتوسع في الشّفاعات؛ لأنّه "يعتقد بوجود فداء وشفاعة مفتوحة لا يبالي ماذا يرتكب، فيمكنه الاغتسال من الذّنوب أنّى شاء"، كما ربط الشّفاعة بالأضرحة والشّخوص أكثر من الخالق نفسه، فأصبح لا يشك "الإنسان البسيط بشفاعة صاحب القبر، فنصوص زيارة الأضرحة تنسب له صفات الخالقية، وتصوّره حيّا جالسا لاستقبال زوّاره وقضاء حوائجهم، فكيف يشك بشفاعته وخطيب المسجد يتلاعب بمشاعرهم، ويروي له حكايات وقصصا عن كرامات صاحب الضّريح، وما حصل من معاجز ببركته، بل وحضوره شخصيّا لبعض المناسبات، ليتدارك من يستغيث به من أتباعه ومحبّيه، وترى النّاس تصغي وتبكي شوقا وحبّا وتوسلا"[2]، هذه الخطابات جعلت العقل الجمعيّ يتصوّر لا شعوريّا أنّ "صاحب القبر إلها يحيي ويميت ويرزق، ويتولى قضاء حوائج النّاس، وبيده حسابهم إلى آخره ... لا شك أنّ بعض النّاس يعي حينما يتوسل بأهل البيت، فهو يتقرّب بهم إلى الله تعالى في قضاء حوائجه، لكن للسّواد الأعظم فهما آخر، فيتعاملون معهم كأرباب مفوضين من قبل الله في قضاء حاجاتهم، واستجابة دعائهم، وهنا مكمن الخطر، حينما يسكت رجل الدّين، ويتخلّى عن مسؤوليّته في بيان الحقيقة".

---

1 - المصدر نفسه، ص 44.

2 - المصدر نفسه، ص 69.

كما أنّ النّظرة الخلاصيّة جعلته مسكونا عقليّا بأنّ رجل الدّين أو الفقيه بيده الخلاص في القضايا السّياسيّة، وتحقّق العدل في المجتمعات البشريّة، مع أنّه لو تأمل قليلا لأدرك أنّ "تصوّر قضية واحدة [سياسيّة أي الخلافة] استغرقت قرابة 1500عاما، استهلك بسببها المسلمون جهودا جبّارة، وأراقوا دماء زكيّة بريئة، وما زالت تتفاعل دون حسم نهائي، قضيّة لا تؤثر على عمل الإنسان، وليس لها مدخليّة في قبول الأعمال أو ردّها ، ولا يسأل الله تعالى النّاس عنها ، تلك أمّة خلت"، "وما الماضي سوى تجربة بشريّة في مسار طويل لها ظروفها الّتي لا تستطيع معرفة ملابساتها لبعد المسافة، وعدم قدرتنا على توثيق أحداثها من خلال كتب التّاريخ والتّراث"[1].

ومن هذه الظّرفيّة التّأريخيّة حضور العرق الهاشميّ أو القرشيّ عموما في قضيّة الإمامة أو الخلافة، وهي قضيّة ظرفيّة وليست مطلقة، ومع ذلك رويت حولها روايات، وأولت نصوص قرآنية، لأنّ "رائحة السّياسة تفوح من هذه الأحاديث الّتي تشبث بها الخلفاء لتكريس خلافة قريش، وهي نزعة جاهليّة لا تمّت للدّين بصلة، فليس هناك تفاضل على أساس عرقيّ أو قوميّ، وإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، هذا هو المنطق القرآنيّ، فالتّفاضل دائما على أساس التّقوى، بينما يسند الحديث الخلافة لقريش لمجرد أنّهم قريش ممّا يتعارض مع منطق القرآن، ويدفعنا للشّك في صدوره عن النّبيّ الكريم"[2].

فالخلافة وتطوّر السّلطة قضيّة ظرفيّة تأريخيّة بحتة، حيث "للسّلطة اليوم مفهوم آخر لها أدواتها وآلياتها، أليس طرق الوصول للحكم باتت واضحة لا علاقة لها بما مضى؟ لقد باتت الشّعوب تطالب حكّامها بمستقبل آخر وفقا لتطوّر الحضارات، ولا تريد العودة للماضي"، "وقيام دولة مدنيّة لا يؤثّر على دور الدّين، بل العلمانيّة احترمت الأديان عندما عزلتها عن السّياسية، وحافظت عليها كحق شخصي لكلّ فرد"، وبهذا يصبح العقل الإنسانيّ عموما مسكونا بواقعه لا بماضيه.

---

1 - المصدر نفسه، ص 74.

2 - المصدر نفسه، ص 396.

وإذا كان للعقل والشّك أهميّة كبرى في مراجعة العقائد والأحكام عموما؛ بيد أنّه في المدار الإسلاميّ ضرورة أيضا إعطاء القرآن محوريّته في مراجعة التّراث والرّوايات كما يرى الغرباوي، حيث يرى "ما خالف القرآن فهو زخرف، وما خالف القرآن فاضربوا به عرض الجدار، وهذا منطق أئمة أهل البيت الّذي طالما أكدّوا عليه في أحاديثهم ورواياتهم المروية بأسانيد معتبرة، وكتب موثوقة، فالتّراث الشّيعيّ فيه الغثّ والسّمين، وليس كلّ ما يروى صحيحا، حجّة، يجب الأخذ به"[1].

ومع محوريّة القرآن إلّا أنّه في نظره أيضا يجب "التّعامل مع المفاهيم بما فيها المفاهيم القرآنيّة بحذر وحيطة ومسؤوليّة، فهناك موازين وثوابت قرآنيّة في ضوئها يجب فهم العقائد، وتحديد مداليلها، كي لا تسقط العقيدة المشروع القرآنيّ في خلافة الإنسان ووحدانية الباري تعالى، كما يجب أن تكون مرجعيّة القرآن حاكمة على كلّ شيء، فالرّوايات كما جاء عن النّبيّ الكريم وأهل بيته تعرض على القرآن والعقل، والتّأكد من عدم معارضتها له، فضلا عن تقاطعها مع ثوابته ومحدّداته، وإلّا ستكون فوضى عارمة، وستأخذ العقائد مساحات واسعة، تضطر لتأكيدها وترسيخها الفرق والمذاهب من خلال تأويلات بعيدة لآيات الكتاب الحكيم، أو التّوغل في اللّامعقول لسدّ الطّريق على الوعي والشّك، وهذا أخطر ما في الدّين"[2].

ومحوريّة القرآن لا يعني الاغتراب عن الظّرفيّة التّأريخيّة، والتّقدّم العلميّ والإنسانيّ، فالقرآن ذاته كما يرى الغرباوي "ليس كتابا علميّا، وليس من اختصاصه بيان معارف العلوم الحديثة، ومن يصبو للاعتماد على الكتاب الكريم فيها لا يحقّق أيّ شيء؛ لأنّه اختار الطّريق الخطأ، فينبغي الفصل بين ما هو دينيّ، وما هو علميّ، فكلا من المجالين له دائرته، ومصادر معرفته، والتّداخل يفسدهما معا"[3]، وكما أنّ الرّوايات والتّراث إسقاطات ظرفيّة وتأريخيّة قد يكون لها مفاهيم قرآنيّة كبرى، إلّا أنّه لا يصح الاغتراب في ماضويّتها الظّرفيّة، وعليه "لا يمكن للمسلمين النّهوض ما لم تتحرّر

---

1 - المصدر نفسه، ص 423 م.
2 - المصدر نفسه، ص 48.
3 - المصدر نفسه، ص 49.

عقولهم من سلطة النّصوص والتّراث، ويفهمون الدّين ومقاصده وأهدافه وغاياته بعيدا عن الرّوايات الّتي تعكس فهما آخر، يمثل زمن الرّواية بأبعادها المختلفة، فهي روايات محترمة إلّا أنّها تعبّر عن ظروف وبيئة وثقافة مختلفة، فالرّواية ظروفها ولنا ظروفنا"[1].

ولأجل وجود قاعدة واضحة من المراجعات داخل المذاهب الإسلاميّة، ولتحقيق قدر أوسع من التّعايش بينها؛ يفرق الغرباويّ "بين الضّرورتين الدّينيّة والمذهبيّة، الضّرورات الدّينيّة أو ضرورات الإسلام منصوص عليها قرآنيّا، نصّا صريحا واضحا بيّنا، لا لبس فيه، كالشّهادتين (لا إله إلا الله .. محمّد رسول الله)، والإيمان بالغيب، وإقامة الصّلاة والصّوم ... وأمّا ما دلّ عليها دليل خاصّ وفقا للعقيدة الشّيعيّة ومصادرها فتعتبر ضرورات مذهبيّة، خاصّة بالتّشيع وأتباعه، فليس هي شرط في إسلام الشّخص ولا في إيمانه، ولا يتوقف عليها أيّ عمل عبادي، وهي ليست شرطا لقبول الإعمال، ولا يترتب عليها أيّ شيء .... وما التّكفير على أساس الضّرورات المذهبيّة سوى تعصب واستفزاز واندفاع عاطفيّ لا علاقة له بالإسلام والقرآن إطلاقا"[2]، وهذا لا يقتصر بطبيعة الحال عند الخصوصيّات الشّيعيّة، فهناك خصوصيّات في المذاهب الإسلاميّة أيضا، فتبقى خصوصيّات أو ضرورات مذهبيّة لا يكفر أو يفسّق من يرى غيرها. كما أنّ للتّعايش الإسلامي في نظر الغرباوي لا يتحقّق إلّا بالمراجعات والتّفريق بين الضّرورات الدّينيّة والمذهبيّة؛ كذلك لا يتحقّق إلّا بالبعد عن التّبشير المذهبيّ، وجعل النّاس يدركون روح الدّين وجماليّته فيما يسعهم فيه، "فما الّذي يحصل ويتغيّر عندما ينتقل شخص من مذهب إلى آخر سوى بعض الأحكام الشّرعيّة" لا أكثر.

هذه الرّؤية النّقديّة الّتي أسلفنا إلى شيء بسيط منها في هذه المقالة القصيرة؛ وإلّا الحديث عن المفكر والنّاقد الإسلاميّ ماجد الغرباويّ حديث يطول به المقام، وهو لأكثر من نصف قرن من الزّمن كانت له رؤيته التّنويريّة والنّقديّة، كما أنّ فكره ورؤيته قد مرّت بمراحل، وتطوّرت في الوقت ذاته، وقد عايش الشّرق والغرب، معايشة وقراءة

---

1 - المصدر نفسه، ص 151.

2 - المصدر نفسه، ص 389.

وتأملا ونقدا، لهذا تعتبر تجربته من التّجارب الغنيّة الّتي ينبغي أن يلتفت إليها، وأن تعاد قراءتها تفكيكا ونقدا، وهذا قدر أدنى لأجل ردّ فضـــله، وما قدّمه للعقل العربيّ والإسلاميّ والإنسانيّ عموما نقدا وتنويرا وإصلاحا.

ماجد الغرباوي

في رحلته مع التسامح ومنابع اللاتسامح

بقلم: د. حسنين جابر الحلو[1]

يعيش الانسان اليوم في رحلته الحياتية في غربة، ولاسيما عندما يجد ان هناك ثمة تعرقل مقصود يطيح به، ويحيط به في الوقت ذاته، بسبب عدم القدرة على التسامح، واللاتسامح المفرط في وقتنا المعاصر أدى إلى ضعف البنية الاجتماعية بين الأفراد، وانتقل إلى عموم المجتمع وتفصيلاته، في هذه الرحلة مع" ماجد الغرباوي" يضيء لنا بعض الأضواء في مفاهيم التسامح حيث يجد أنه مفهوم اسلامي، ولكنه في الوقت ذاته قد صورته الثقافة الإسلامية بعده مخلوقا غير اسلامي بسبب قراءات العنف والاحتراب، وهذا مما يستدعي منا الرجوع إلى الذات لمراجعتها ونقدها، والوقوف على مواضع الخلل فيها لتقويمها ومعالجتها.

على الرغم من الملاحظات على القراءات المبتورة التي سجلها "الغرباوي" على من يعتقد بأن المتسامح هو انسان متنازل عن قناعاته الفكرية والعقيدية نزولا عند رغبة الآخر كما يعتقد، أو هي الانصياع والتبعية والرضوخ للاخر المختلف في رؤية أخرى، هنا الا يعتقد او يضع مجالا بعده تعايشا؟ على اساس كلية العقيدة وحرية التعبير وماشاكل ذلك.

قطعا ان التسامح عنده هو نسق قيمي وأخلاقي يراد احلاله محل النسق القيمي والأخلاقي الذي مازال يدير حركة المجتمع ويحدد اتجاهاته، ولاسيما بعد ان ظل العنف مستحكما داخل المجتمعات غير المتحضرة والتي لاتحتكم الى القانون، وتحتاج

---

1 - أستاذ فلسفة، فكر عربي معاصر

إلى رجوع واضح لفهم التداعيات في الممارسة غير المشروعة للعنف، واعتماد الجميع القوة والعنف أساسا في التفاضل الاجتماعي والسياسي عن طريق:

- الولاء القبلي .

- وسيادة الإرادة السياسية .

وهذا بدوره أدى إلى تاسيس قيم في المجتمع من خلال :

1- تزريق القيم الى وعي الفرد عادة في السنوات الأولى من حياته عندما يلقن مفاهيم الخضوع والاستسلام للقيم .

2- المجتمعات العربية مجتمعات ذكورية، تمنح الرجل صلاحيات واسعة، وتهمش المراءة وتلغي وجودها .

3- هيمنة القيم التسلطية والقمعية في المجتمع .

4- تمثل السلطة الفوقية وتداولها ولائيا.

مما سبب حالات من التغيير في مبتنى فهم الأفراد لما يحتاجون إليه جملة وتفصيلا، داخليا وخارجيا .

وبما أن التسامح هو نسق قيمي إلا أنه لاينسجم مع منظومة القيم المستبدة، لأن المجتمع هو الذي يحكم بصلاحه من عدمه، ووقوف الاستبداد السياسي كخصم حقيقي للتسامح، من خلال رفض الآخر وتبعاته، كما ينبغي بحسب " الغرباوي" اعتماد أسلوب آخر في الحكم ينهي هيمنة الطاغية على عقل الإنسان، الذي يخشى التدهور السياسي والأمني عند غيابه، بمعنى البقاء داخل السلطة مهما كلف الأمر.

ومن جهة أخرى يرى أن التطرف الديني أيضا أحد أخطر منابع اللاتسامح، لتلبسه بلبوس المقدس، وتوظيفه للنص الديني، بما ينسجم مع مصالحه الخاصة فقط .

بعدها ينتقل الى أسس التسامح في حقوق المواطنة من المسلمين وغيرهم، الى سيادة القانون والاستمرار في تأثيره الاجتماعي، ولكنه يصطدم عندما يجد تعدد في المرجعيات فيفقده قوته ويتراجع، وحتى يبقى موقفه قويا لابد من اعادة تشكيل قيم

التفاضل من خلال مجموعة موزعة اجتماعيا بين الدين والأخلاق والأعراف والعادات والتقاليد، وتوظيفها في إطلاق الحريات العامة لترسيخ قيم التسامح بين أبناء الوطن الواحد، عن طريق الإسلام الصحيح بالرفق والحلم والعفو والرحمة، بدراسة مهمة ومحاولة تاسيس نسق قيمي جديد لمفهوم اسلامي عريق أكدته نصوص الكتاب وعضدته السيرة الصحيحة.

محاولة "الغرباوي" هذه محاولة علمية جادة، أراد من خلالها تبيان منابع التسامح الإسلامية الصحيحة التي تدعو إلى العيش المشترك، بعيدا عن لغة الحروب والصراعات والفتن، التي لا تؤدي إلا إلى القطيعة، وقد تستمر الى أجيال وأجيال اذا لم نتبه إليها.

قراءة تحليلية لكتاب الحركات الإسلامية لمؤلفه المفكر العربي المُعاصر ماجد الغرباوي.

بقلم: د. زينب عبد الرحمن[1].

لا أحد يستطيع إنكار حجم تعاطف الجماهير المسلمة مع ظهور بعض الحركات الإسلامية في الآونة الأخيرة خاصة بعد ثورات الربيع العربي، ووصولها للسطلة بديلًا عن الأنظمة السابقة، أملًا في تحقيق العدالة والحرية والمساواة. ولا ريب أن الحديث عن محاولة نقد تلك الحركات الإسلامية في المجتمعات العربية، ومحاولة الكشف عن غياب الوعي لديها، يُعد من أهم الموضوعات الجريئة والشائكة التي لن تنال قبولًا لدى العديد من الجماهير، خاصة ونحن نعيش في مُجتمعات عربية مُتدينة بطبعها، لا تزال غير مُعتادة على ممارسة النقد بعد.

هذا ما تحدث عن المفكر العراقي التنويري ماجد الغرباوي (1954م – 1374هـ) في كتابه "الحركات الإسلامية: قراءة نقدية في تجليات الوعي"، الذي صدرت طبعته الأولى عن مُؤسسة المثقف العربي، عام (2015م_ 1436هـ)، هو من أهم الكتب في الفكر العربي المعاصر التي تناولت بالبحث والتحليل نقد الحركات الإسلامية. خاصة الحركات المتطرفة التي لجأت إلى العنف والإرهاب. وتقديم قراءة نقدية لتجليات وعي تلك الحركات الإسلامية. فالنقد ضرورة لفهم: حقيقتهم، طرق تفكيرهم، استراتيجياتهم، رؤيتهم للآخر، مصداقيتهم، موقفهم من العنف والإرهاب، هدفهم من السُّلطة، وأسئلة أخرى كثيرة.

---

1 – مُدرس الفلسفة بكلية الآداب جامعة الفيوم. – جمهورية مصر العربية.

لذا يؤكد ماجد الغرباوي على أهمية النقد وضرورة استمرارية ممارسته، فلا مُقدّس ومُتعالٍ على النقد مادام فكرًا بشـريًا واجتهادات شـخصـية، قابلة للمُراجعة والنقد، فنجده يقول:" وما الهالة القدســية ســوى أوهامنا، وأوهام التبجيل، أوهام الانحياز المطلق بالضد من الآخر وإن كان داخليًا. لقد كلفتنا القداسة مُستقبلنا، حيث حرمنا أنفسنا من النقد، فتراكمت أخطاؤنا، وآن الأوان لمراجعة حقيقية من أجل بناء قاعدة فكرية – عقيدية خالية من الأوهام والتطرف والأكاذيب[1]".

هكذا يتخذ ماجد الغرباوي النقد الإيجابي البناء ــ وليس النقد الســلبي الإقصــائي ــ هدفًا لتقييم وتقويم ســلوك الحركات الإســلامية، فهو لم يرفض الحركات الإسلامية ولم يعترض عليها أو يدعو لإقصائها من المجتمع والقضاء عليها. بل يعترف بوجودها وبدورها الإيجابي في إيقاظ الوعي، قبل دخولها المرحلة السياسية، مُؤكدًا على أنها قد لعبت دورًا كبيرًا في إيقاظ الوعي، ونبهت إلى مخاطر التخلف، وممالأة الظالمين من الحكام والمستبدين، كما كان لها دور فاعل في مواجهة الاستعمار والاستبدادين الديني والســياســي، والتحريض ضــد الحكومات الجائرة، انطلاقًا من مســؤولياتها الدينية[2].

وكأن ماجد الغرباوي يُقدم لنا موقفًا رائعًا لفكرة الحوار والتســامح مع الآخر، حتى وإن كانت لديه أفكارًا مُخالفة لك أو مُتطرفة، فلم يدعونا نحو التعصــب ورفض الحركات الإسلامية المتطرفة أو إقصائهم من الحياة السياسية لإخفاقهم وغياب الوعي لديهم. بل على العكس من ذلك يقوم بنقدهم نقدًا علميًا موضــوعيًا بعيدًا عن الأهواء والأيدلوجيات، لكي يتجاوزوا أخطاءهم ويعودوا للحياة السياسية من جديد، بعقل جديد، وبمنهج جديد، وسلوك جديد، وبناء جديد، وأفكار ومُعتقدات جديدة تعمل على خدمة المجتمع والأمة الإســلامية. بروح تســودها قيم التســامح وقبول

1- ماجد الغرباوي:" الحركات الإسلامية: قراءة نقدية في تجليات الوعي"، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط1، 2015م، ص12، 13.
2- المصدر السابق، ص8.

الآخر، بدلًا من دعوة بعض الحركات الإسلامية المتطرفة للتناحر والصراع والتنابذ والإقصاء والتعصب.

يدعو ماجد الغرباوي نحو وضع استراتيجية نقدية لتقويم منظومتهم الفكرية وسلوكهم وأدائهم، خاصة وهم يمارسون السُّلطة باسم الدين والإسلام، ويوظفون شعاراتهم لمصالحهم الشخصية والحزبية، فانعكس ذلك سلبًا على جميع الإسلاميين بل على الإسلام ذاته. إضافة إلى صراعهم على السُّلطة، وتنابذهم، وتمزقهم، حد الاقتتال[1].

لذلك أصبح النقد هنا لدى ماجد الغرباوي ضرورة مُلحة لانتشال الوعي، وتصحيح مساراته، للفصل بين قيم السماء وسلوك هؤلاء الإسلاميين، لعلنا نساهم في الحد من تداعيات السلوك السلبي، وتوعية الناس بحقيقة ما يجري، سواء من قبل إسلاميي السُّلطة، أو من قبل الجهاديين ممن يمارس العنف والإرهاب. خاصة والثاني بات يُشكل خطرًا كبيرًا على الإسلام، وتحديًا واسعًا للسلم بقدرته على استقطاب الشباب، رغم حجم ما ترتكبه الجماعات الإسلامية المتطرفة من جرائم وأهوال[2].

يتكون كتاب "الحركات الإسلامية: قراءة نقدية في تجليات الوعي" من (160صفحة)، مقسمة إلى أربعة فصول تسبقها توطئة؛ **في الفصل الأول المعنون بـ: " إشكالية الوعي الحركي"**، يحاول ماجد الغرباوي الكشف عن أهم أخطاء الحركات الإسلامية والتي من أهمها: أنها أحاطت منظومتها الفكرية والعقيدية والتنظيمية بسور قدسي حرّم النّقد والمراجعة، بل أن بعض الحركات لم تنشر شيئًا من أفكارها ونظرياتها، وآثرت السرية حتى في مجال العمل الفكري والتثقيفي، مخافة أن يطالهما النقّد أو يقظة الوعي. لذا تراجع الوعي، وأصابته تشوهات عمّقت التخلف،

1- المصدر السابق، ص10، 11.

2- المصدر نفسه ص11.

وولدت حالات جديدة من الإرباك والانطواء على الذات، بعد معاداة الآخر ورفض أجندته، والانكفاء إلى الماضي وتقديس قيمه[1].

لذلك يأتي التســـاؤل إلى ماذا تحتاج الحركات الإســـلامية من وجهة نظر ماجد الغرباوي؟، فنجده يؤكد على أنها بحاجة إلى تجديد خطابها الفكري والســـياســـي، وإعادة النظر في متبنياتها الأيديولوجية، وطموحاتها السياسية، إضافة إلى منهج جديد في قراءة الدين والتراث والعصر، ووضع استراتيجية مُعلنة تكون أساسًا لتعاملاتها مع الأطراف الأخرى. اســـتراتيجية خالية من العنف والتعصـــب، وترتكز إلى التســـامح والعفو والرحمة. ويجب عليها ممارســـة النّقد بصـــورة شـــاملة، وإجراء مُراجعة عنيفة ومُستمرة لمتبنياتها الفكرية والعقيدية[2].

وفي الفصل الثاني والمعنون بـــــ:"شرعية النقد"، يؤكد ماجد الغرباوي في هذا الفصـل على ضـرورة ممارسـة النقد، وإن مسـؤولية نقد الحركات الإسـلامية مسـؤولية جميع الأمة الإسـلامية لتشـكيل أجواء ضـغط تحاصـر مكامن الوعي وتعيد تشـكيله حتى لا تتحوّل تلك الحركات إلى عبء ثقيل على الإسلام والمسلمين[3].

وفي الفصل الثالث والمعنون بـــــــ:"مواقف وسلوك"، يُبدع المفكر التنويري ماجد الغرباوي في الحديث عن موقف الحركات الإســـلامية تجاه المرأة، فمازالت تلك الحركات الإسـلامية تراهن على النظرية الإسـلامية في تأمين حقوق المرأة وحمايتها من مخالب الحضـــارة العاتية. وتبشـــر بعهد جديد في ظل الحكومات الدينية. ولم تتوانَ الجهود الفكرية والثقافية المكرّســـة لبيان حقوقها، في توظيف النص الديني لدعم نظرياتها حول المرأة، إثباتًا أو نفيًا[4].

1- المصدر نفسه، ص16.
2- المصدر نفسه، ص17، 18.
3- المصدر السابق، ص51.
4- المصدر السابق، ص105.

وأما الفصل الرابع والمعنون بـ:" الحركات الإسلامية العراقية"، يوضح ماجد الغرباوي أن ثمة أخطاء قاتلة ينبغي للحركة الإســـلامية العراقية وهي تخوض مرحلة السُلطة الانتباه لها، وإلا فالوضع ينذر بإخفاقها، وفقدان مصداقيتها. ومن أهم تلك الأخطاء أن أفراد الحركة الإسلامية في العراق مازالوا يمارسـون السياسـة بعقل مرحلة التأسـيس، أو بدايات مرحلة الدعوة، حينما يحلقون العاملون إبان جلســات التنظيم الســـرية في عالم مثالي، مجرد من إســـقاطات الواقع. مُؤكدًا على أن لكل مرحلة ضروراتها، ومفاهيمها، ومصاديقها، ورجالها، وحساباتها، وما يصلح للمرحلة السرية لا يصــلح للمرحلة العلنية. ومن لا يعي الواقع لا يســتطيع الإنســجام معه، ومن لا ينسجم معه يتحول إلى عثرة في طريق الآخرين[1].

إذن فالمطلوب من الحركات الإســلامية العراقية، من وجهة نظر ماجد الغرباوي، تطوير أدواتها في العمل الحزبي، بعد تحديث نظريتها الســياســية ومتبنياتها الفكرية، لترقى إلى مســتوى السُــلطة بمفهومها الجديد. فلم تعد المنظومة الفكرية والمفاهيمية الســابقة لتلك الحركات ملائمة لمرحلة السُــلطة والمشــاركة في الحكم. لأنها نظريات ومفاهيم نصــية تُراثية، لم تلامس الواقع ولم تجرب أحكامه، حتى اتصــفت بمثالية وطوباوية مفرطة، وتشبعت بأحلام ايديولوجية واسعة[2].

الخلاصــة: وهكذا يتضــح لنا هدف وغاية المفكر العربي ماجد الغرباوي من محاولته نقد الحركات الإســلامية وهو الكشــف عن غياب الوعي لديها، سـعيًا نحو إعادة تقييم ســلوكها ورفض المعتقدات التي تدعو للعنف والعمليات الإرهابية الإنتحارية باســم الدين والجهاد، ومحاولة إنقاذ الشــباب وإيقاظ وعيهم وعدم إستقطابهم لتحقيق مصالح أفراد شخصية ليس لها علاقة بالدين، والدين بريء منهم.

كما لجأ مفكرنا العقلاني التنويري ماجد الغرباوي نحو الحل الســلمي في محاولة القضـــاء على ظاهرة الجهاديين أو ظاهرة الإرهاب، والتي تُمثل خطرًا كبيرًا يُهدد

1- المصدر السابق، ص141.

2- المصدر السابق، ص142.

المجتمعات العربية في الآونة الأخيرة. فقدم حلًا للقضـاء على تلك الظاهرة من خلال محاولة تقديم نقد لمعتقدات الحركات الإسـلامية المتطرفة، والكشـف عن غياب الوعي لديها، وبيان حقيقة خطابها الفكري العقائدي القائم على أسـاس الطاعة العمياء "منهج السمع والطاعة*" وعدم المناقشة أو النقد. إلا أن هذا الحل ينقصه حلًا آخر يساعده في التخلص من تلك الظاهرة وهو الدور المؤسسي الرقابي. لا شك أن الحل الذي دعا له ماجد الغرباوي للقضـاء على ظاهرة الإرهاب، وتأكيده على أن نقد الحركات الإسـلامية المتطرفة مسـئولية الجميع وخاصـة المثقفين والكّتاب أي مسـئولية جميع الأمة، هو حلًا مناسبًا. إلا إننا هنا نُشير إلى دور آخر وهو دور الدولة الرقابي، فيُعُّد دور الدولة كمؤسسة رقابية دورًا هامًا في التقليل من ظاهرة "التطرف الديني".

كما أن كاتبة هذه السطور تُشيد بموقف ماجد الغرباوي نحو ضرورة التسامح مع المتعصبين أو الدوجماطيقيين أو حتى المتطرفين في الرأي أو الفكر أو الدين. ولا ينبغي لنا إقصـائهم من المجتمع، بل ينبغي التسـامح معهم ومحاولة فتح قنوات حوار بيننا وبينهم، ومُحاولة إحتواءهم، فهم ليسـوا منبوذين من قبل المجتمع. وفي حالة قيامهم بأي أعمال عنف أو قتل أو تعدي على الأفراد أو على المجتمع ومُؤسسـاته فلابد من وجود قانون رادع للدولة بإتخاذ كافة الإجراءات القانونية ضـد مرتكبي أي أعمال عنف قد تُهدد الدولة وأفرادها. فلابد من قبولهم بإعتبارهم مُواطنون داخل الدولة، حتى وإن كانوا مُخالفين لنا في الرأي، وعدم رفضهم أو معاداتهم أو إقصائهم.

وفي النهاية ومن خلال هذا العرض الموجز لكتاب "الحركات الإسـلامية: قراءة نقدية في تجليات الوعي"، والذي يُعد من أهم الكتب والموضوعات التي يجب طرحها على سـاحة الفكر العربي المعاصـر في الآونة الأخيرة، لما يتناوله من موضـوع غاية في الأهمية، وهو نقد الحركات الإسلامية لإيقاظ الوعي بأهمية وضرورة ممارسة النقد. كما تتمنى كاتبة هذه السـطور أن يُمثل هذا الكتاب خطوة أولى نحو مشـروع نقد الحركات

---

* لقد كان لمنهج "السمع والطاعة" أكبر الأثر السيء على عقول العديد من الشباب وتطرفهم وأكبر دليل على ذلك حادثة إغتيال فرج فوده، لمجرد أن أحد الشباب سمع في إحدى التجمعات الدينية بأن فرج فوده يدعو إلى التكفير، فقام على الفور بقتله وإغتياله دون أن يقرأ حتى أيًا من مؤلفاته.

الإسلامية وإعادة تشكيل قيمها من جديد، وإيقاظ العقول المتحجرة الجامدة فكريًا. لذلك نتمنى ألا يكون هذا الكتاب هو الكتاب الأخير في مكتبتنا العربية المعاصرة الذي يتناول هذا الطرح الهام، أي نقد تلك الحركات الإسلامية والمطالبة بضرورة إعادة تشكيل مُعتقداتها والنظر فيها من جديد، بشكل يساعدها على تجنب أخطائها السابقة، ومحاولة مُعالجتها بعيدًا عن مفاهيم العنف والتعصب والإرهاب. بل ندعو العديد من الباحثين والمفكرين والمثقفين للعمل على نقد تلك الحركات الإسلامية وإعادة تشكيلها من جديد بشكل يساعد على نهضة المجتمع وتقدمه ونشر قيم التسامح والحوار بدلًا من قيم التناحر والعنف والإقصاء.

اشكاليات التجديد
قراءة في نافذة الوعي

بقلم: د. محمد سعيد الأمجد [1]

في ضـــوء القراءات المتعددة للواقع الراهن، يبقي الوعي هو الاسّ في معادلة الصراع القيمي الحاضر، والذي يجب علي كل باحث اسلامي ان يستلهم اشعاعاته ويتمثل أبعاده ويعيد صـياغته من أجل القضـية الاسـاسـية التي يواجهها في مهمته الشاقّة، وهي مهمة التجديد والاصلاح والنهوض بالواقع الذي يعيشه الشرق والعالم الاسلامي ازاء مقولات كابحة وتقليعات مدّمرة لا زالت في توالد مستمر تكرّس نزعة الهيمنة وتستعين بتطورها المادي الهائل من أجل استعباد الشعوب وتغليب الاحادية والفردانية في التفكير والمنهج السياسي.

وبهذا الصـــدد يجي كتاب الاســـتاذ الباحث ماجد الغرباوي: اشـــكاليات التجديد[2]، كدراسة تتوغل في عمق المشكلة وتغوص في القاع لتكتشف وتثير وتحاور من أجل تحليل داخلي معرفي للاسس النظرية التي تتعكز عليها كل من الرؤية الاخري النازعة للهيمنة والتفرد، والرؤية المقاومة المتمثلة للوعي وعقلنته لاثبات الوجود والهوية المعاصرة.

تتوزع الكتاب فصول ثلاثة:

الوعي الراهن.

احياء الفكر الديني.

الموقف من الاستبداد.

---

[1] – كاتب وباحث عراقي

[2] – الغرباوي، ماجد، اشكاليات التجديد، ط2، 2001م، بيروت، لبنان، دار الهادي.

الوعي بالتجديد

يتطرق المؤلف في الفصـل الاول الى محورية دور الوعي في التجديد مشـخصـاً الواقع الراهن علي ضـوء تداعياته الخطيرة المماثلة لتداعيات الواقع التأريخي السـابق على عصرنا، فيكتشف المؤلف المماثلة في ارهاصات ذلك التداعي وعلله الاساسية والمتمثلة في غياب حالة الوعي تجاه الفكر والعقيدة والحكم الشرعي والمنبسطة سلباً في اتجاهين رئيسـيين: عدم التمييز بين ماهو الهي وما هو بشـري، وعدم التمييز بين ماهو مقدّس وماهو غير مقدّس. وهو بذلك يتوخى طريقه لرسـم آلية منهجية بعيدة عن افرازات الذهن البشـري المحدود او الملغوم بظروفه الخاصـة وصـولاً الي (اسـلوب الامام علي (ع) في تعميق الحس النقدي لدي آحاد الامة، الذي بعث فيها الحياة وأعاد لها شـخصـيتها حتي قال معاوية بن ابي سـفيان في وصـف هذه الحالة. مخاطباً أهل العراق: (لقـد لمظكم علي بن أبي طـالـب الجرأة علي السـلطـان وبطي مـا تفطمون).

وهذا عند المؤلف هو الكفيل بالارتقاء الفكري للفرد بعد ان تتجسّـر العلاقة بين الامة ومصـادرها الفكرية والعقيدية من الكتاب والسـنّة ليتشـكل بعد ذلك تيار ضاغط يهدد النزعات الشخصيّة ويرسم اتجاه حركة الدولة والقيادة.

ثم يدخل في صـلب موضـوعة الكتاب (التجديد) ويتوجس من مخاطرها لانها عبارة عن تقويم الواقع و(اعادة صـياغة بنية الفرد المعرفية وفقاً لمتطلّبات الحاضـر وضرورات المستقبل، وفي اطار الثابت والمتغير من الدين) .

وهو ـــ مع هذا ـــ يحثّ المفكر الخبير لخوض غمار المعترك وايقاد شعلة الهمّ التجديدي في دواخل ضمير الامة، لانه ـــ التجديد ـــ حاجة يتطلبها طبيعة الظرف الراهن وهو يحوي هذا التحول المعرفي الهائل الذي كلما تقدم يوضـح بصـورة أكبر معركة متبنيات وآليات التجديد والنهوض لدى الشـرق حيث ينقسـم الى متغرّبين وسـلفيين واصـلاحيين، وهنا تلتقي مقولة التجديد بالثقافة، فيعرّج المؤلف لمصـطلح المثقف ويحدد عناصره بثلاث:

1 . المعرفة:

وهو الخزين الثقافي الضـــروري لنقد الواقع واصـــلاحه يمكّنه من قراءة التراث الاسلامي والنص القرآني قراءة كاشفة عن الابعاد والمداليل والايحاءات والفروقات بين ثوابته ومتغيراته.

2 . الوعي:

وهو غير المعرفة المتراكمة، بل اضـاءة لفضـائه المعرفي تحرّكه لنبذ المظاهر المتخلّفة والمفاهيم المقلوبة وبكلمة هو ادراك الواقع ومحاكمته، وبدون الوعي ــ كما يقول ــ لا تتحرك في المثقف دواعي التجديد وهموم الاصـــلاح. ثم يذكر الامام الخميني كنموذج انتج وعيه ادخال عنصري الزمان والمكان في العملية الاجتهادية ارتقت به الي مستوي عصري راقٍ.

3. الموقف:

وهو العنصـر الاسـاس في بلورة مفهوم المثقف في العصـر الحديث، وهنا يتسـاءل المؤلف بشـــجاعة: ماذا يترتب على المعرفة والوعي اذا لم يتحولا الى موقف شـــجاع يعلن علي رؤوس الاشهاد، وينفع في اصلاح واقع الامة؟

ويخلص من ذلك كله الي ربط المســـألتين معاً (التجديد والثقافة) ربطاً جدلياً منتجاً، يتجه نحو اصـــلاح الانســـاق الثقافية بعد تفكيك مكوناتها ثم مراجعتها بغية تقويمها وفق صياغة تخدم مصالح الدين والامة معاً.

وكنموذج للتجديد يتطرّق المؤلف لمدي اهمية الصياغة الجديدة لعلم اصول الدين الذي تطوّر نتيجة بعض السجالات الفكرية حول العقيدة الى علم كلام، والذي أفرز جملة من السلبيات اختزلتها مقولة عزلة الانسان وعقيدته عن حياته ومنهجه السلوكي في المجتمع، فصار الانسان بفعل هذه العزلة غريباً عن منهجه القرآني وفطرته وصارت العقيدة تدور حول مجموعة من المفردات والابحاث الكلامية التي انتجت شـــرخاً كبيراً في ما بين اصحاب العقيدة الواحدة فتشكّلت الفرق وتقاطعت الافكار، وادّى ذلك كله الي رفد بوتقة السياسات المستبدة واعانة اصحاب الاهواء والمصالح.

ويناغم الكاتب بطريقة ايحائية اطروحة علم الكلام الجديد الذي يهدف الي اكتشاف جوهر العقيدة الاسلامية وحقيقتهاالمتمثلة بالعودة الي المنهج القرآني الذي يمنح الانسان دوره الفاعل في بناء الحياة ومواكبة التطوّر الحضاري لتبقي العقيدة واقعاً متحركاً مبدعاً يواجه التحدّيات ويواكب المستجدّات ويشبع التطلعات ويسمح بالاجتهاد وتبادل وجهات النظر وفق منهج علمي منتج ومبشّر بكل ماهو جديد.

وفي ذات الفصل يستعرض الاستاذ الغرباوي الجذر التأريخي لاشكالية الحوار مع الا َخر كمرحلة اولي تهي الوسط الناقل للفكر والفكرة، فيقول: ولم يواجه الحوار الحضاري الاسلامي في مراحله الاولي تحدّياً الا من قبل شعوب كانت تحتفظ بانساق فلسفية وسياقات فكرية تتحكم باداء العقل وتمنع اي مراجعة من شأنها تقويض البني الفكرية له .

ولكن هذه الشعوب في الحقيقة بقيت تعاني من افرازات انتماءاتها الخاصة علي فهم النص الديني نفسه، الا ان المسلمين تمكنوا من خلال الحوار الجاد والمثمر من التواصل معهم والتأثير بهم وبناء الدول الاسلامية في اماكن متناثرة من العالم الاسلامي حتى حقق الاسلام رفع شقّي الاشكالية المتقدمة، الاعتراف بالا َخر، والقدرة علي الانفتاح والتفاعل الثقافي معه. وعن الشق الاول تحدثت التجربة الاسلامية وفتوحاتها، واما عن الشق الثاني فيقول المؤلف أنه مبدأ قرآني رسخه جمله من الآيات.

وحول مدى حجم الاشكالية المتقدمة في الحوار الحضاري الراهن، فاننا نؤيد الاستاذ الكاتب في ابتلائه بالاشكاليتين المتقدمتين (شقّي الاشكالية، (فليس وعي الغرب للاسلام يساعد علي الحوار وليس الانفتاح الثقافي لواقع المسلمين يؤيده)، فالاسلام في وعي الغرب هو المنافس الآيديولوجي الاول بعد انهيار الاتحاد السوفياتي للاطروحة الغربية المعاصرة التي تشير مصادر دراستها (نهاية التأريخ لفوكوياما وصدام الحضارات لهانتغتون) لانها هي خلاص البشرية ونهاية جهدها الفكري وحركتها الابداعية، وسعي الغرب لعولمة هذه الفكرة مهمّشاً بها ايديولوجيات العالم وانساقه الفكرية الخاصة، ومادام الغرب لم يعترف بالآخر فسوف لن يتم اشباع هاجس الحوار

معه، وهذا يفرض علينا ـ كما يذهب المؤلف ـ امتلاك اللغة التي يفهمها الغرب وهي ـ عنده ـــــ (لغة القوة والتطور التقني والتعددية والديموقراطية في الحكم والحرية في ابداء الرأي والصراحة في التعبير عن قناعاته) كما (علينا نحن أيضاً ان لا ننغلق على الذات الى حدّ نرفض فيه كل مالدي الغرب من ثقافة، لان الآخر المختلف من شـــأنه ان يطوّر الثقافة من خلال اشكالياته واستفهاماته التي يثيرها باستمرار .

وفي نهاية الفصـــل الاول يتعرّض المؤلف لبعض هموم المجتمع الاســـلامي ودور المثقف في الدولة الاسـلامية، فتراه لا يسـتعرض النشـأة التأريخية لمقولة المجتمع المدني بقدر ما يشغله تسليط الضوء على مفهومها وفرزها بشكل دقيق عن ملابساتها من الطروحات الوضعية والتقليعات المستجدّة، اذ يركّز على هدفية الطرح الذي يتوائم مع المبـادي الاســـلامية والقيم الـدينيـة، فليس هـذا الطرح بمتقـاطع مع وجود الـدولـة الاسـلامية او يمتد مقابلاً لحقوق المجتمع المرسـومة شـرعاً، بل يهدف هذا الطرح الى اعطاء الفرد في الدولة الاسلامية فضائية ومساحة اكبر لممارسة دوره في النقد والدفاع عن حقوقه من خلال طوعية الانتماء واستقلال الشخصية وحريّة الرأي.

واما عن دور المثقف في الـدولـة الاســـلامية وتكوين البنية الفكرية للمجتمع والمســاهمة في تجديد هويته الثقافية، فيعقد الحديث اولاً عن الاشـكاليات التي تواجه دور المثقف غير الاســلامي، فيقول: فالمثقف غير الاســلامي أما ان يتخلّي عن كل شـــيء ليلتحق بالآخر (الغرب) بدواعٍ (حداثوية) وحينئذ يعيش غربة حقيقية. او يحاول ان يجد صيغاً توافقية. بين الاسلاٍم والآيديولوجيات الآخري، فينتج لنا اسلاماً مشوّهاً، وحينها سيعيش هذا الفرد تناقضاً مريراً في مجتمعه .

اما المثقف الاسلامي ـــ وهذه التفاتة جوهرية رائعة من المؤلف ـــ فانه فرغ من مسـألة المرجعية الثقافية، فلا غربة ولا تكاسـل، لان مرجعيته الثقافية تشـع له بالرؤي والافكار والطموحات التي ليس لها حدّ. وهذه المصادر الاشعاعية تزودّه بطاقة حركية تجعله في عمل متواصـل لانجاز مهامه التي يلخصـها المؤلف بــــ: بث الوعي، النقد، تبني قضايا الامة .

احياء الفكر الديني:

وفي الفصل الثاني يتناول المؤلف جذور فكرة الاحياء الديني بالبحث والكشف والتحليل مستفيداً من التجربة الاسلامية التي كانت حيّة في مبدأ أمرها بفعل العبقرية الفكرية والسياسية للرسول الاعظم (ص) وعدم ظهور تيارات تخريب قوية في عهده، فأرسى ملامح الفاصلة الضرورية بين الدين والحياة، ثم اجتاحت الامة الاسلامية موجة من التخريب الفكري والسياسي، ووجدت لها صدىً في ثلاث حروب ثارت الاولى علي العدل والثانية علي الشورى والثالثة على العقل.

وجر الدين من خلال ذلك لمصلحة معاوية وغيره من المتفعين، وانفصل عن السياسة بل تبعها، فكان ذلك من اكبر حملات التخريب الديني .. وهكذا يستعرض المؤلف تلك الحملات المتوالية والممتدة (13) قرناً حتى جاءت مرحلة ما بعد الاحياء والمتمثلة باشكالية النأي عن مقاصد الشريعة فتحمل الاصلاحيون الدينيون مهمتهم ابتداءً من السيد جمال الدين الافغاني الي حين قيام الجمهورية الاسلامية في ايران .. ومرّ المؤلف بمناسبة الحديث عن التيار الاصلاحي برموز الاصلاح في العالم الاسلامي، السيد جمال الدين ودوره في مناهضة الاستبداد واشاعة تركيز الوعي ومحاربة الاستعمار ومشروع الجامعة الاسلامية وتنقية الفكر الاسلامي من الشوائب، والشهيد محمد باقر الصدر واسهاماته الفريدة والمتنوعة في الاصلاح، فكرياً وحركياً ومرجعياً، والامام الخميني واصلاحاته الحوزوية والسياسية والاجتهادية التي أكدّت دور العلماء وحجّمت فقهاء السلاطين وأتت على شاهنشاهات ايران وأذّنت بانتهاء التبعية للدول الاستعمارية وأعادت للامة دورها المغيّب وانتهت باقامة دولة اسلامية على أرض الواقع محققة حلم الانبياء والمصلحين.

والمؤلف من خلال ذلك يركّز على مفاتيح العبقرية الاصلاحية واسرار التحرّك الاصلاحي الواعي مدّللاً بذلك على امكانية اعادة دراسة وتمثّل تلك المشاريع وضرورة استكمالها نهوضاً بالواقع الراهن الي أقصي مديً ممكن، وكل ذلك عبر لغة معاصرة كان يلوّح بها المؤلف من خلال ثنايا الكتاب وطبيعة توجه بحثه ودراسته.

الموقف من الاستبداد

ويدرس المؤلف الاستبداد في الفصل الثالث ويبيّن ماهيته ومناوئيه من الاصلاحيين كما يدرس بشكل مقتضب جذره التأريخي ومعاناة الامة منه ومن اشكاله التي تتحدد بثلاثة: رضوخ الفرد لتحدّيات المستبدّ، الاستجابة الطوعية للمستبد وتسخير رجل الدين للشرعنة وتطويع الناس، الرفض والتمرد وعدم الاستجابة لارادة المستبد.

والحقيقة ان الاستبداد هو العقبة الكؤود امام التجديد والنهضة، اذ يقضي الاستبداد سواء كان سياسياً ام دينياً علي دور الا´خر الفرد او الامة، ويعطّل قدرته الذاتية على التحرك الرسالى، وينتج نسخاً مستنسخة عن المستبدّ ورأيه، ولكن مع المستبد دائماً يوجد أسّ آخر في معادلة الصراع وهو المصلح، (فلا يمكن للاستبداد ان يستمر مادام هنالك دعاة مصلحون، ولا يسود الاصلاح وهناك جذر للاستبداد).

ومن هنا شرع المؤلف بدراسة الخطوات التي اتبعها المصلحون في محاربة الاستبداد:

1 . فضح الممارسات الاستبدادية:

ومثل لذلك بالسيد جمال الدين والشهيد الصدر وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم، وما لاقوه في سبيل ذلك من محن وابتلاءات وصور شتّي من الاضطهاد والتنكيل.

2 . تبني مبدأ الشوري والديموقراطية كطرفي النقيض للاستبداد:

وتطرّق لآراء الكواكبي ومحمد عبده ومحمد حسين النائيني منظّر الحركة الدستورية في ايران والامام الخميني.

وفي هذه النقطة جعل المؤلف المعارضة وحرية الرأي علامة صحّة تكشف عن قوة النظام وجدارته واقصاء المعارضة دليلاً علي الاستبداد والقمع لارادة الجماهير ودّلل علي ذلك بأقوال للامام الخميني وهو ينظّر للدولة الاسلامية وعلاقتها بالامة.

3. سيادة القانون:

القانون الذي يبدأ الاستبداد بانتهائه واحتقاره من قبل المستبد، وراح المؤلف هنا يتتبع كلمات الامام الخميني وهو يمنح القانون الســـيادة العليا على الجميع كخطوة اساسية لمحاربة الاستبداد، ويوضّح العلاقة بين ولاية الفقيه واحترام القانون او مناهضة الاستبداد وانه لا تضاد بينهما بل توافق وانسجام لان هدف ولاية الفقيه هو احترام القانون ومنح الامة دورها وحجمها الطبيعيين كما فعل النبي والائمة حينما تصـــدّوا لقيادة الامة وبناء الدولة.

واخيراً فكتاب "اشكاليات التجديد" الذي بين ايدينا هو نافذة تقرأ من خلالها وعي المؤلف المســـتمدّ من وعيه للواقع على صـــورته التي ينبغي لكل باحث ودارس ومثقف أن يعيه ويعي أسس تشكّله واشكالياته، تطلّعاً لنهضة اسلامية تعيد الرؤية الاسلامية الي نصابها الواقعي في خضم حملات التشويه والتهميش وتمنحها مساحتها المرجّوة من لغة العصر وشكله الحاضر.

فهم التسامح لدى ماجد الغرباوي
قراءة في كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح

بقلم: د. عفاف المحضي[1]

مقدمة: الإنسان هو من يعيش فنّ الحياة. من يبتكر لنفسه قارب نجاة وطريق حياة مشتركة. الإنسان هو من يحيا ليحيا الإنسان معه وليس من يحيا لينفي غيره .. هو من يرسم فن الوجود بكل سماته وأبعاده الإنسانية والأخلاقيّة التي تعتبر بوابة للتسامح ومبدأ فلسفة التعايش الإنساني في الكون.

ماهو التسامح ؟و كيف نفهمه؟

1. تعريف التسامح لغة واصطلاحا:

لغة: تأتي كلمة التسامح من جذر (س.م.ح) سَمَحَ – سَمْحًا وسَمَاحًا وسَمَاحَةً: فلاَنَ وسَهُلَ ويقال سَمَحَ العودُ وتجرَّدَ من العُقَدِ وانقاد بعد استعصابٍ وفلان: بذل في العسر واليسر عن كرمٍ وسخاءٍ ويقال سمح له بحاجة يسَّرها له. و(سَمُحَ) سَمَاحَةً وسُمُوحَةً صار من أهل السّماحة فهو سَمْحٌ وسَمِيحٌ. وسَامَحَهُ بكذا وفيه أي وافقه على مطلوبه[2].

مرّ التشكل المفهومي لهذا المصطلح بمرحلتين: تمثلت مرحلته الأولى في الجانب اللّغوي لهذا المفهوم ثمّ اكتسب في مرحلة ثانية بعدًا اصطلاحيا مع التنظير الفلسفي

---

[1] – دكتوراه حضارة إسلامية، تونس.

[2] المعجم الوسيط: ج1 ابراهيم المصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر محمد علي النجار: المكتبة الإسلاميّة للطباعة والنشر والتوزيع اسطنبول– تركيا (د.ت) باب السين مادة (سمح) ص 447.

له في البيئة الغربيّة. ويمكن تحديد الفترة التاريخيّة لبروز هذا المصطلح وتشكله في الفكر الغربي منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ففكرة التسامح الغربيّة الحديثة قد ارتبطت في بدايات تشكلها بالمسألة اللاّهوتيّة مع الفيلسوف والمفكر جون لوك "الذي كان ينظر إليها بوصفها "الحلّ العقلاني" لمشكلة الخلافات التي نشأت داخل المسيحيّة أنذاك"[1].ابان العصور الوسطى ولتفادي تلك التداعيات والصراعات المذهبية والطائفيّة والأنساق الفلسفيّة من أجل التوصل الى اتفاق وتوافق بين هذه الصيغ المختلفة والمتعارضة ورتق الفتق الحاصل بينها.

لا بد من تشكل صيغ جديدة تضمن الوفاق والتسامح بين هذه الاتجاهات المتصارعة تضمن حقوق الإنسان وحرية التعبير لكل الأفراد على السواسيّة دون قيود أو تقديم تنازلات، إلى أن أصبح هذا المفهوم "التسامح" من المفاهيم الأساسية والمركزية في مواثيق حقوق الإنسان، مع صدورإعلان سنة 1948 والذي تمَّ بموجبه التنصيص على حرية المعتقد والرأي والتعبير، كما بدأ العمل لتفعيله في المنظمات الدولية، إذ أصدرت منظمة اليونيسكو إعلان مبادئ التسامح لسنة 1995 وتبنَّته الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة بتاريخ 16 نوفمبر 1995 بباريس[2].

2. موقف الأديان من التسامح:

"نسمع أصواتا قوية منذ قرن من أهل الغيرة على الإسلام في شتى أقطاره، وتنادي لنعد إلى الإسلام وهي صيحة كريمة جديرة بالاستماع، وإنها لتنتشر وتشتد على مرّ السنين من الغيورين والمتظاهرين بالغيرة على الإسلام ولعل هناك صيحة أجدر منها بالاستماع هي لِنُعِدْ إلينا الإسلام وبين الصيحتين فرق يفقهه من قدر

---

1 - انظر كتاب رسالة في التسامح: جون لوك، المجلس الأعلى للثقافة 1997

2 - موقع منظمة اليونسكو: www.unesco.org

عليه"[1] ولابراز البناء الصحيح للإسلام لابد من أن ننزع عنه الطبقة المتحجرة الخبيثة التي رنت على أسسه بنوع من التغييب للأصل وتغيير حقائقه من رفق وحلم وعفو رحمة وتعايش سلمي وتسامح وتكافل وغيرها من السمات الإنسانيّة والأخلاقيّة...

فالخواء الروحي ليطبق على العالم في عنف والأمم تضطرب في كل مكان والنظم القديمة كلها تتصدع عن قصد وعن غير قصد وأصحابها يخربونها بأيديهم وبأيدي غيرهم ويظهر أنّ البشرية تتقارب وتتجه نحو الوحدة العامة.. فما لم تتقدم رسالة روحيّة من الرسالات القديمة لسدّ هذا الخواء متحفظة بجوهرها الصحيح الملائم للفطرة الإنسانية منسلخة من قشورها وأعراضها البالية ولن تكون هذه الرسالة إلا الإسلام – فلابد من ميلاد رسالة جديدة تلائم الوحدة العالمية المنتظرة، وإنها لعلى الأبواب فما هذه الاضطرابات من حروب ونحوها إلّا أعراض حمل الإنسانيّة لهذه الرسالة وإنّ تتبعها المحموم لأظهر أعراض المخاض وما أسرع الطلق فيخرج الوليد الموعود."[2] لتاريخنا المعاصر الذي شهد ويشهد تغيرات شتى ومستجدات عدة متسارعة النسق مضطربة ومتخبطة المسار.

إنه إشكال التجديد، أمام ما يشهد به العالم اليوم من مظاهرَ للعنف والاحتراب الذي يستدعي منا جميعا ضرورة العودةَ إلى الذّات لمراجعتها ونقدها في أسسها وثوابتها الداخليّة، والوقوف على مواضع الخلّل فيها لتقويمها وتصحيحها ومعالجتها، ثم الارتكاز إلى قيّم جديدة تستبعد بعض مظاهر الكراهيّة والشرور النفسيّة المتفشية بين الجماعات الإنسانيّة وبين الأمم والشعوب، لتنفتح على قيّم أخرى إنسانيّة والدينيّة كونيّة. وإنّ هذا الغرض والغاية لبلوغها ونيل شرف مرتبتها وقطف طيب ثمارها قد يتطلب منا وجميعا على حد سواء الغوص في أعماق فكرنا وعقيدتنا بحثًا عن الجذور المشكلة بيننا كإنسان.

---

1 - التسامح في الإسلام: محمد أحمد حسونة بك ومحمد خليفة التونسي: الأسس النفسية والاجتماعية في الإسلام مطابع دار الكتاب العربي بمصر محمد حلمي المنياوي ص 29

2 - المصدر نفسه، ص 50.

إذ لم يعد أمام الشعوب الإسلاميّة خيارٌ للحدِّ من هذه العدوانيّة، عدوانية ثقافة الموت والاحتراب والعداء والإقصـــاء المتفشـــيّة في كلِّ مكان في الأمصــــار العربيّة الإسـلاميّة سـوى خيار وحيد هو تبنِّي قيّم التسـامح والعفو والتصـالح والمغفرة والرحمّة والأخوّة والسـلام، فعمق الحاجة إلية اليوم مع تصـاعد وتيرة العنف والإرهاب أصـبح مطلبا ملحا لتأخذ فيما بعد وبصــفة تدريجيّة أشــكال الدعوة إلية صــورا مختلفة من التساوق وحوار الحضارات والثقافات وتواصل الأديان "لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف إلى مســاحة للحوار والتفاهم، بدل الاقتتال والتناحر. وهو عمل صــعب يســتدعي جهودًا يتضــافر فيها الخطابُ الإعلامي مع الخطاب الثقافي والديني والسياسي والتربوي، ويتطلب تعاوُنَ الفرد مع المجتمع، والشعب مع القانون، والدولة مع الدستور.

إنه عمل جذري يســتهدف البُنى الفكرية والعقائديّة والثوابت والأعراف للمجتمع، لإعادة صـياغتها صـياغة عقليّة تضـع أمامها الأولويات والوعي، وتقديم فهم عصريٍّ للدين والرسالة والهدف الأسمى تحقيقه، دونما أن تتجاهل الجانب النقدي المهم والبناء للمفاهيم والقيم والسـلوك البشـري، لرسـم مسـتقبل أفضـل ونوعي لفرد جديد والشعب متكافل مترابط الأوصال والوطن مزدهر ينعم بالسلام. قراءة متفهمّة للتراث ومستوعبة لأدق تفاصيل التاريخ، وعودة إلى القرآن والعقل، لتحقيق فهم آخر للحياة والعمل الإنساني

فالتســامح ليس نســقا فكريا مجتمعي بل هو نســق فكري وثقافي وعقيدي. فالتسامح ليس مجرد مفهوم يراد استنباته ضمن النسق القيّمي للمجتمع وإنما هو نسق ثقافي وعقيدي مغاير له أليته في العمل وأسلوبه في التأثير ومنهجه في التفكير وطريقته في الاشتغال فلا يمكن سيادة قيّم التسامح ما لم تكتمل جميع مقدماته[1].

---

1 – ماجد الغرباوي: التسـامح ومنابع اللاتسـامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضـارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2008م: ص 16

بالتركيز على الدين الإسلامي كمرجع في صياغة انساق التسامح محاولة لاستنطاق النّص المؤسس والنصوص الحواف في جهودها التفسيريّة مع مراعات المرحليّة التاريخية والظروف الحافة بها عبر التاريخ. كما أراد من خلاله ماجد الغرباوي أن يسافر عبر حقبات التاريخ مع النصّ والتفاسير التي تعاقبت عليه بنوعيها الحرفيّة منها والتجديديّة العقليّة من أجل التوّصل إلى منظومة مفاهيميّة يمكن توظيفها في صياغة النسق الفكري والعقيدي للتسامح الإنساني على إختلاف أجناسه وأطيافه المكوّنة له. فالتسامح لا يمكن أن يكون إلا قيمة دينيّة قبل أن يكون قيمة أو سمّة إنسانيّة.

الدراسة ركز صاحبها فيها على أهم أسباب وأشكال التعصّب ومنابع اللاتسامح العقدي والسياسي والطائفي والقبلي في المجتمع وقد اعتمد العراق كنموذج للتعدد القومي والديني والمذهبي والطائفي والعِرْقِيّ. محاولة أو أملا في البحث عن صيغ جديدة وأطر جديدة للتعايش المجتمعي تستوعب تلك التناقضات وهذا التنّوع.

إننا اليوم أمام إشكال كيف ننقي هذه القيمة الدينيّة من الشوائب الثقافيّة التي فرضتها التراكمات من المواقف الشخصيّة أحيانا عبر التاريخ من اجتهادات شخصيّة وحماية لمصالح استبداديّة سياسيّة التي تحولت مع مرور الزمن إلى أنساق عقائدية ومعرفية تمارس سلطتها على العقل وتتحكم في سلوكات الأفراد والجماعات.

لابد لنا اليوم من التركيز أساسا على أهمية دور المراجعة وإعادة قراءة تراثنا ومعارفنا لإكتشاف مراكز القوة ومواطن الضعف والخوّر بعيدا عن القراءات الأحادية للنّص المؤسس والحذر من القراءات التي تنادي بالوسطيّة ظاهرا والتعصب باطنا والمتجذرة في العقل الفقهي أساسا فهل يمكن للعقل الفقهي أن يكون وسطيا موضوعيا بالشكل السوي للمفهوم؟

"على هذا فإن الوسطيّة التي يدّعيها بعض فقهاء العصر كالقرضاوي لا صلّة لها بمفهوم التسامح والاعتدال المتداول في الحقل الدلالي لأدبيات عصرنا الراهن والحديث فكريا وثقافيا وسياسيا بل هي "وسطية" الوقوف في الوسط بين الاعتدال والتطرّف أي النوسان بينهما وفق المصلحة التكتيكية و(الأهواء والمصالح السياسيّة)، مصلحة

اللّحظة الراهنة والموقع فيتخطّر بين الضفتين فإذا كان وضع الحركة الإسلاميّة لا يسمح باستخدام سيف العنف فإنه يلجأ إلى استخدام سيف التسامح وهو في كلتا الحالتين لا يتجاوز "حدّ مفهوم السيف" فكلاهما غزو في الخطاب الفقهي العنف والتسامح أو الحب والسيف بحسب حسن البنا، فإذا كان الوضع يتطلّب التسامح فإن الأمر في غاية البساطة إذ ما علينا سوى أن ننبش في كيس التراث حتى نستحضر ما تيسر لنا من محفوظات مناسبة لحالة التسامح. ففي السنّة النبويّة يواجهونك مباشرة بذلك الأعرابي الذي بال في المسجد وهمّ به أصحاب النبيّ ليمنعوه فأمرهم أن لا يقطعوا عليه بولته وأن يصبوا عليه ذنوبا من ماء قائلا: "إنما بعثتم ميسّرين ولم تبعثوا معسرين."

تواجهك هذه الواقعة عشرات المرات في كتب القرضاوي (خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ص 143) وآلاف المرات في كتب الفقه (ككلمات في الوسطية الإسلاميّة ومعالمها وكتابه الإسلام والعنف، نظرات تأصيليّة) التي تنقل عن بعضها لبعض حتى يكاد أن يكون هذا الأعرابي أشهر "بوّال" في التاريخ."[1]، وكأن بهذه الحادثة قد مثلت أفضل أنواع التسامح وأشرفها في التاريخ الإسلامي. أمام هذه المغالطات لابد لنا اليوم من أن نعي جيد أنّ علم الأصول يستدعي الانطلاق من القرآن نحو السنة وليس العكس لتقديم وعي جديد للحقيقة الدينية وللأسس الأخلاقيّة الإسلامية.

3. أسس التسامح وأثرها في التعايش الإنساني:

التسامح سلم من الدرجات المتنوعة يبدأ من الديني ثم السياسي ليتشكل في مظهر اجتماعي بين الأفراد والمجموعات والأمم التي تحترم حقوق المواطنة وتضمن سيادة القانون والإعتراف بالتعددية المرجعيّة من أجل إعادة تشكيل قيم التفاضل

---

1 - عبد الرزاق عيد: سدنة هياكل الوهم/ نقد العقل الفقهي، يوسف القرضاوي بين التسامح والارهاب دار الطليعة بيروت الطبعة الأولى، سبتمبر 2005 ص 210.

بينها إن وجد خلل فيها حسبما تقتضيه الحاجة الإنسانيّة لمبدأ التعايش في الوجود، ولأن الوعي بسياسة العنف التي هي سبيل لخلق اللاتسامح والتعصّب القبلي أو السياسي في المجتمع ليكون العنف كعقل وخطاب وثقافة داخل مجتمع ما.

لهذا قدّم الغرباوي طرحا جديدا للمسألة يقوم على ضرورة التحوّل في مفاهيم القيّم وطرح التفكير كبديل للتكفير، بوضع استفهامات ضرورية لتجاوز هذه الأحداث والظواهر التي فتكت بالمجتمعات الإنسانيّة. هو سؤال كيف نجتث ثقافة العنف؟ تكون بعدة أشكال منها: الولاء للوطن بمعنى الاخلاص الشامل. أما سؤال كيف يعاد تشكيل العقل الإنساني بشكل يرفض فيه العنف فإن جوابه يتطلب الحاجة إلى "منظومة قيميّة تحلّ محلّ النسق القيّمي القديم السائد". الذي ولّد خطر أن يتحول العنف إلى منهج في تفسير التاريخ وقراءة الأحداث وبذلك يتحوّل إلى عامل ضروري وأساسي في صناعة التاريخ وأسلوبا فريدا في حل الأزمات و تسوية الخلافات. وإنّ واجب المثقف النوعي وعلماء الأمة الأكفاء اليوم أن يولوا وجوههم تجاه البحث عن أصول العلاقات التي ترتبط الظواهر التاريخيّة للعنف بالتسامح وتجديد القراءات وتفسيرات لقيم الدين التي تشرع ممارسة العنف ضد الآخر.

لقد كشفت رؤية الغرباوي النقدية حجم المعاناة التي تعيشها مجتمعاتنا العربية. مما استوجب في نظره تقديم قراءة متأنيّة وجذريّة لأسس التسامح السائدة في واقعنا العربي المتورّم .. قراءة مبنية متماسكة الجوانب تقوم على دراسة شاملة لتشكل قفزة نوعيّة في محاولة منه لإخراج المجتمع العربي الإسلامي من أزماته ونكباته المتراكمة المتتاليّة. وهذه الموقف ليس بالجديد عليه إذ دعا في بحوثه ولقاءاته الصحفية المنشورة في المواقع والصحف الإلكترونية وبصفة خاصة كتابه الذي نتناوله بالشرح والتعليق في بعض مسائله إلى ضرورة فهم الظواهر التاريخيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والأنساق الفكريّة المتأزمة ومربكة لإستقرار اللأرضيّة العربيّة، كاشفا من خلاله محاولاته لتفسيرها والوقوف على أهم أسبابها وظروف تشكلها في الواقع والتراث محاولا قدر المستطاع تبيّن موطن الداء وخلق الترياق المناسب لمعالجتها معالجة شاملة بوسائل ومناهج قانونيّة دستوريّة شرعيّة بالمعنى السياسي لا بالمعنى الفقهي الشرعي وبما يتلائم مع الأعراف الاجتماعيّة العامّة والخاصة، التي لا تتعارض وسماحة قيّم الإسلام، لايجاد

حلول لمشكلات حياة الإنسان والمجتمع العربي وانتشاله من سقط الواقع المتأزم الذي يعيشه.

كما دعا أيضا إلى ضرورة الإستفادة من التجارب البشريّة المتنوّعة عبر التاريخ، وتحري الموضوعيّة والمصداقيّة في البحث عن وسائط وأنساق جديدة بديلة ترفع من مستواه السلوكي في مستوى الكم والنوع، وهو ما سيساعد على تطوّر فكره الاجتماعي وتنمي شعوره الديني والمذهبي نحو أفق أشمل وأوسع هو أفق الكونيّة الأرحب لتزيد من نسب التعايش كأفراد مختلفين في مجتمع ورقعة جغرافية واحدة كان التاريخ عاملا في استمرارية تلك الوحدة التي يتوق اللإنسان إلى أن تكون أكثر صلابة واصرارا على اعتناقها وكسب ملكيتها. من خلال بلورة حديثة لتلك الأسس الرخوة وإعادة بنائها بانسجام وحذر لتساهم في خلق مجتمع أكثر تناغم وتعايش، يحتقر ماضيه في زواياه المظلمة ويداوي جراحه بعقاقير ملائمة لأورام زمانه ويلملم شتاته بهمّة وعقلانيّة، ليتطلع بثبات نحو مستقبل أفضل وإنهاء موجبات العنف والاقصاء والهيمنة والقوّة المباشرة وغير المباشرة. لخلق تصوّر صحيح عن أسباب القريبة والبعيدة لظاهرة اللاتسامح.

"فما يعيشه العالم العربي من انفجار لهوياته الفرعيّة وتشظيه بعناوين طائفية ومذهبية وقبلية وجهوية، هو نتاج طبيعي لبعض الخيارات السياسية والاجتماعية التي سادت في العالم العربي، وعملت عبر وسائل قهرية لتغييب حقيقة التعدديّة الموجودة في المنطقة العربيّة..."[1]. "فالذي يفجر الكنائس في العراق أو مصر أو أي بلد عربي آخر، ليس هو الأجنبي، وإنما هو التيار العنفي — التكفيري الذي بدأ بالبروز في العالم العربي" وإن اختلفت حقيقة الأيادي التي تقف وراءه وتحركه نحو أهدافها العدوانيّة المرضيّة."[2]. رغم أنّ البحث في الأسس الأولى للمناهج الثقافية والدينية التي خلقت هذه الظاهرة "الهجينة" وأقول هجينة لأنها لا ترتبط بأسس دينيّة عقيديّة صحيحة بل

---

1 – محمد محفوظ: التحليل الثقافي لظاهرة العنف الديني مركز أفاق للدراسات والبحوث حرر في 2015/12/5

2 – المصدر نفسه، التحليل الثقافي لظاهرة العنف الديني.

هي وليدة تفسيرات وتحليلات دينيّة تاريخيّة تساير السياسات التي كفلت مشروعيتها التي عملت في مشروعها على تغييب واقصاء ثنائية: "نحن وهم"

حقيقة لا مناص منها أنّ واقع المجتمعات العربيّة اليوم لا زال مفتقرا إلى المعرفة الدقيقة والواقعيّة لمصطلح أو مفردة التسامح رغم أنّها دُشِّنَت في مطلع هذا القرن في السجال الذي حصل بين فرح أنطون ومحمدعبده، في المعارك الفكريّة والسياسيّة التي تطالب اليوم وأكثر من أي وقت مضى بفتح باب الاجتهاد، في مجال دراسة الموروث الديني والثقافي، فهل نستطيع القول اليوم إنّ هذه المعركة التي لابد منها لم تعد قابلة للتأجيل أو التأخير أو محاولات الطمس والتغييب على العقل العربي؟ مع أنّ معطيات متعددة في الواقع العربي الراهن تقتضي منّا بلورة اجتهادات جديدة تمكِّننا من إعادة استثمار الدلالة الجامدة والسطحيّة السابقة بدلالة رمزيّة ومفتوحة للمفهوم؟

لكن يبقى السؤال الأهم: هل يوجد في عالمنا تسامح لننظّم له ملتقانا الفكري أم أنّ غيابه اليوم يدعونا لتنظيم ندوات علميّة للتذكير بجوهر مبادئه في بعض السطور المكتوبة لتلقى في ندواتنا ومؤتمراتنا وملتقياتنا وتنسى أو تنتهي بانتهائها أم أنّ الوعي بخطورة الوضع العالمي اليوم تحتم علينا ضرورة مراجعة ذواتنا ومعاملاتنا تجاه أنفسنا وتجاه الأخر في نطاق مبادئنا الصحيحة التي وضعها لنا الإسلام الأول وأقصد بمصطلح الإسلام الأول الإسلام الذي دعا إليه سيد الخلق سيدنا محمّد صلّ الله عليه وسلّم وليس إسلام التأويلات والقراءات الذي تعيشه بعض الفئات المتطرفة دينيا في العراق وسوريا وليبيا والتي أحدثت في الأرض فسادا عميقا نسأل الله السلامة من شرّ ما يحدثون.

التسامح ومنابع اللاتسامح، الضد النوعي للاستبداد، تحديات العنف، وغيرها، بحوث جلها إنبثقت ضمن مشروع وهدف أعمق وأبعد هناك تخطيط واضح في الأفق تلحقه محاولات للتأسيس، هناك هدف أكبر وأسمى من المفكر العراقي ماجد الغرباوي وسعي حثيث وملموس لمشروع ثقافيّ حضاريّ مؤسس. أي أن هناك شيئا لا يستطيع القارئ معرفة ماهيته تحديداً، أكثر من كونه حتى يأخذ مكانه التربوي في الساحة الإجتماعية والوطنيّة ودوره الطبيعي في مجالس العلم وساحات الفكر والمعرفة

ليساهم من قريب أو بعيد إن قليلا أو كثيرا في خلق تطوّر ثقافي جديد جميع المجالات الوطنيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة.

كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح

إنّ أفكار كتاب التسـامح ومنابع اللاتسـامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، لماجد الغرباوي، كما هو واضح من موضوعه تحمل مضامين إصلاحية، وتعكس وجهة نظر نقديّة ورؤية إستشرافية مستقبلية للعالم العربي في حاضره ومستقبله وما ينطوي بينهما من أحداث سـياسـيّة ودينيّة وثقافيّة. إنّ مشـروع الغرباوي الإصـلاحي هو معالجة عملية فكرية للمشـاكل التي تحيط بالمجتمع العراقي كأنموذج والمجتمع العربي بشكل عام. مشروع يؤسس لثقافة:

- العيش داخل مجتمع تعدّدي

- الموائمة بين القيّم الدينيّة والقيّم الإنسانيّة

- نقد التراث الإجتهادي وخلق بديل مع المحافظة على الجوانب العقلية القوية منه والتي لا تتعارض وروح العصر ومتطلبات الإنسان اليوم الخميني الشيعي والإخواني السني.

- نقد العقل الإسلامي الإجتهادي الذي يكرر ذاته لسنوات والذي أفرغ النصّ القرآني من أبعاده الدينيّة وتوجيهه الوجهة الفقهيّة التقنينيّة منذ عصـر الشـافعي إلى اليوم العقل الإجتهادي يكرر نفسه.

- إخراج الإنسـان المسـلم من فهم ماضـوي ضـيّق للإسـلام، فهم قد غدا عالة عليهم لم يعد قادرا على الإسـتجابة لروح العصـر والحداثة وهذا ما خلق الصـراع بيننا وبين العالم

- التفرقة الواعيّة بين الدين وبين الفهم الذي نشكله عنه

- الخروج من المنظور المذهبي الضيق الذي يدعي كل منها اكتساب الحقيقة وما تنجر عنه من تبعات تكفيرية واقصـائية كردّ فعل مضـاد حماية لتلك القشـور التي

شـــوهت مقاصـــد الدين العالميّة من تســـامح وكونيّة وتعايش ومحبة ورحمة وعفو عند المقدرة والصـــفح والغفران ...عبر التاريخ. فالقرآن يحتوي آيات غاية في التســـامح والمحبّة والانفتاح على الأخر ولكن التفسـيرات التاريخيّة المسيّسـة والخاضـعة للظروف هي التي جعلت منه متقلبا بين الانفتاح والانغلاق حسب ما تقتضيه الحاجة التاريخية والمصالح السياسيّة.

- كســر قيد الوضــع القاهر الذي يتحكم فينا وفي مجتمعاتنا العربيّة" إن لم تكن معي وتنضـوي تحت منظومتي الفكرية فأنت ضـدي واجب وحق شـرعي تصـفيتك الجسديّة."

لكن يبقى السؤال المتكررة في ذهنيّة كل مفكر أو مصلح أو فرد واع بالواقع اليوم هو ما مدى مشروعية البحث عن أرضيّة للتسامح في التأويل النّصي؟ ما مدى وعينا بهذا المفهوم؟ أليس من الضروري اعادة ابتكار لمفهوم التسـامح وقولبته وفق متطلبات العصر المتجددة؟

"هناك فارق كبير بين قبول الآخر والاعتراف به فالحالة الأولى يفرضـــها الواقع والمصالح المشتركة بينما الحالة الثانية تعبّر عن وعي لا تخالطه نوازع التعالي الناشئ عن عقيدة التفوّق العنصـري أو الاجتماعي أو الديني أو المذهبي أو الثقافي. ولا تلامســه مشـــاعر الفوقية والتفوّق. ولا تنطلي عليه أوهام صـــحة ونهائية وجزمية الأفكار والمعتقدات في مقابل خطأ الأخر مطلقا. كما لا تخالجه التفرّد بالدين"[1]. والتأصـــيل لإطار وطني يسـتوعب التعدد القومي العربي والأصـولي الديني وشـيوعيّة واشـتراكية عربيّة وطوائفية وشـعبوية داخل شـرعيته. والتأسـيس للتسـامح أخلاقيا ولغويا، دينيا ومدنيا.

لأن "التســامح نســق قيمي تتوقف فاعليته على وجود أرضـية صـالحة وأجواء سليمة تساعد على تفاعل قيّمه لذا يشترط أولا ايقاف نزيف الكراهية والحقد وقطع مصـادر العنف والاحتراب وتخفيف منابع اللاتسـامح والارهاب والحيلولة دون تدفقها

1 ماجدالغرباوي: التسامح ومنابع اللاتسامح، مصدر سابق، ص 70.

لا على مســـتوى الممارســـة فقط وإنما اجتثاثها كثقافة وعقل ومنهج"[1]." فلأحقاب طويلة من الزمن وقع تجاهل الكلمة، وقع تجاوزها أو على الأصـح اكتفى بمجرد النظر إليها على أنها من نافل القول ... كما أن الكلمة لم تكن تعبر في الحقيقة عن شـــيء محسوس. بقي التسامح طوال قرون متتالية مجرد فكرة مجرد فرضية ضمنية تتحدث عن طبيعة الحياة عامة والعلاقات البشرية وقد كان مصير التسامح في الفكر الديني (الذي يجب تمييزه عن الدين) مصيرا متناقضا.

فالتصـوّر الإنسـاني المتعلق بالدين قد أنتج مدارس ومذاهب كانت سببا في اثراء هذا الفكر ولكنها كانت سـببا في فتن مزّقت أوصـال المجتمعات التي تدين بالديانات السـماوية على وجه الخصـوص"[2]. لذلك لابد من التأكيد ضـرورة قصـوى على أهميّة الثقافة النقديّة في "النفوذ إلى أعماق اللاوعي لتفكيك البنى المعرفيّة القديمة و تأهيلها لاســـتقبال نمط فكري وثقافي جديد يعمل في إطار قيّم التســـامح. ويجب ان يطال الخطاب النقدي جميع المستويات وينفذ إلى كل الحقول. ولا يتوقف عند مساحة دون أخرى. فيبدأ بالفرد والأسـرة لينتهي بأعلى سـلطة فكرية واجتماعية مرورا بقيّم النظّم القبليّة والحزبيّة والدينية والنقابيّة والسياسية"[3].

بتفكيك سلسلة قيّما ومفاهيمها القديمة والتحرر من ربقة نمطها الاستبدادي من خلال نقد الخطاب الديني (هنا يجب أن نفهم الفرق بين النّص والخطاب الديني[4]

---

1 – المصدر نفسه، ص 69.

2 – دراســات في التســامح: ناجي البكوش، التســامح عماد حقوق الإنســان المعهد العربي لحقوق الانسان والمجمع التونسي بيت الحكمة – نشريات الشمال – تونس 1995 ص 9-10.

3 – المصدر نفسه، ص 70.

4 – النصّ الديني والخطاب الديني: النصّ هو كل ما ثبت وروده عن الله سـبحانه وتعالى وعن رسـوله صلّ الله عليه وسلم، وهو فوق المحاسبة أو الإتهام، ويعتبر أصـلا لا يمكن المسـاس به، فهو نص مقدس معجز صـالح لكل زمان ومكان، مرتبط بالوحي، يأتي في مقدمة الأدلة الشـرعية والحجج الدينية التي لا يمكن دحضـها والمنزهة عن كل تحريف وشـبهة. لهذا يشـكل النص الديني الشـكل الثابت الذي يمثل أسـاس الدين وكنهه سـواء كان متعلقا بالعقائد أو بالعبادات أو بالمعاملات أو بالأخلاق. أما الخطاب

عند سيد قطب في قوله إن هذا الخطاب الديني لا يؤسس ولا يساعد على وجود مجتمع متسامح، بل العكس سينتج حركات إسلاميّة متطرّفة تستبيح قتل المسلمين قبل غيرهم "[1] وهذ ا ما يشهده عالمنا العربي اليوم من قبل الجماعات المتطرّفة. لذلك لابد من تفكيك الخطاب الذي تتبناه هذه الجمعات وتحديد المرجعيات التي تمت وفقها هذه القراءات وبيان تهافتها ونقاط ضعفها لتفادي تنامي هذه القراءات ويتفاقم هذا الفهم ويتجذر داخل الفكر الديني إلى درجة يصبح فيها الفكر الأخر المضاد فكرا منحرفا وكافرا من وجهة نظره ومن زوايا فهمه وقراءاته وتفاسيره. فكيف يمكن حينها أن نتعايش مع الأفكار والأديان والعقائد المختلفة من حولنا؟

إنّ قضية الفكر ليست قضية الذّات بل هي قضية نتاجها المعنوي تماما كما هو النتاج المادي فنحن نرفض النتاج في عناصره ونحترم المنتج في انسانيته بمعنى لو أسقطنا الفكر لا نسقط صاحبه بل نحترمه كذات إنسانية نشترك معها في هذه الخاصيّة الإنسانيّة. إذ " ليس هناك صحيح مطلق وخطأ مطلق وإنما الفكر أيا كان انتماؤه انتاج بشري واجتهاد شخصي قد يصيب وقد يخطأ يتأثر بالظروف الزمانية والمكانية

الديني هو الخطاب الذي ينطلق من الرؤية الدينية مرجعا، فهو ما يستبطنه ويفهمه ويفسره الفقهاء والعلماء من النص الديني أو مصادر الاجتهاد. وهو الواسطة بين الناس وبين القرآن والسنة والتي توضح الإسلام وما فيه من أحكام، فهو طريقة ومنهاج في التفكير والتصور وفي التعبير عن الأفكار والتصورات. وما يميز الخطاب الديني هو معيار الثابت والمتغير ويحكم هذا التمايز كيفية فهمه واعتباره سواء من قبل منتج الخطاب أم من لدن متلقيه، ذلك أنه لا يكتسب من موضوعه –الدين– قداسته وإطلاقه. لا بد من التمييز والفصل بين الدين والفكر الديني، فالدين هو مجموعة النصوص المقدسة الثابتة تاريخيا، في حين أن الفكر الديني هو الاجتهادات البشرية لفهم تلك النصوص وتأويلها واستخراج دلالتها. ومن الطبيعي أن تختلف الاجتهادات من عصر إلى عصر، بل ومن الطبيعي أيضا أن تختلف من بيئة–واقع اجتماعي تاريخي جغرافي عرقي محدد–إلى بيئة في إطار بعينه، وأن تتعدد الاجتهادات بنفس القدر من مفكر إلى مفكر داخل البيئة المعينة. آنظر مقال بعنوان "تجديد الخطاب الديني: الاجتهاد نموذجا"لبنى الرامي – مولاي مروان العلوي – فؤاد عاقل – مركز أفاق للدراسات والبحوث حرر في: 2015/08/31

1 – الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح، مصدر سابق، 74.

وتؤثر فيه القبليات المعرفية والأنماط الثقافية والاحداث السياسية والصراعات الطائفية والمستوى العلمي وأفاق الوعي السياسي والاجتماعي والديني"[1].

كما أكدّ على أهمية الدور الذي تلعبه الأســـس المنهجيّة في ثقافة الحوار مع الأخر في مســائل منها الفرق بين الهداية الإنســانية والهداية الالهيّة التي "عمل الأنبياء على تجذيره وتعميقه في النفوس المؤمنة" كما أكدّ أيضا على دور القانون الذي يكمن دوره في فاعليته الكبرى في حســم النزاعات وإعادة الأمور إلى نصــابها الأول وقمع الفقاعات الطائفية والمذهبية أو العنصرية أو الدينية في مهدها وحماية الصيغ التوافقية بين المواطني الشعب الواحد.

تحطيم الثوابت الغائرة والمتخفية في اللاّشعور خاصة في مفهوم الهداية رغم الحوار الذي لم يتجاوز في نظره داخل الذهنيّة العربية الإســلامية منطق التكفير والإكراه خاصـــة اذا ارتبطت بالأخر الخارج عن المنظومة العقائدية للأنا المؤمنة لذلك لابد للغرباوي هنا من تقديم البديل عن هذه الرؤيةباعطاء مفهوم جديد لهذا المصطلح في قوله:" الهداية هبّة ربّانيّة لا يمنحها إلاّ لمن يســتحقها. وموضــوعها العقيدة الإلهيّة وليست الشريعة وأحكامها، والعقيدة قناعة ذاتيّة لا تخضع لوسائل العنف والإكراه. وتحديد الهداية وضـــدها النوعي الذي هو الضـــلال مرتبط بالله تعالى ولا تتحدد بالسلوك الخارجي. فربما شخص يمارس الشعائر تحت ضغط الواقع... فالحوار معه على أساس هدايته باعتباره ضالا أمرا غير مبرر ولا مستساغ. وإنما يجب الحوار معه على أســاس المثاقفة والتكامل باعتباره يمتلك رؤية وفكرا وثقافة وأدلة على أســاســها اكتملت قناعته"[2].

هي " إرادة لا تعترف ســوى بتبعية الذّات وامتثالها القســري والإكراهي لنموذج النســق الثقافي الذي يرهن أفق الإنســـان ضـــمن منظور اختزالي لا يرده إلى ماهيته

---

1 - المصدر نفسه، ص 100.

2 - المصدر نفسه، ص 109 – 110.

الجوهرية التى تؤسسها الحرية، وإنما إلى أصول ميتافيزيقية وأسس ثقافية شكلها الإنسان ذاته عبر تاريخه"[1].

كما أكدّ على ضرورة الفهم لصحيح لموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو موضوع قيمي أخلاقي بالأساس وليس عقدي ديني. لإنّ مأزقنا اليوم المعاصر حسب رؤية الغرباوي النقدية للواقع المعاصر تتلخص في أن العقل العربي الإسلامي لا زال يكرّر ذاتَه باستمرار عود على بد من الألف إلى الياء وهذا ما قاله أيضا طه عبد الرحمان وأكد عليه في أنّ العالم العربي الإسلامي، لا وجود لإمكانيات البناء والتجديد عنده بل يستنسخ ما قاله السلف.

قواعدهم وعباراتهم ومصطلحاتهم وآراءهم هي ذاتها لا تبديل ولا تحويل، وإن وجدت بعض المحاولات الخجولة التي لا تخرج عن منظومة النسَجَ على ذات المنوال إلاّ في حدود بيان بعض القواعد وشروحات لبعض العبارات، إن لم تكن شرح على شرح، وبعض الحواشي أو تعليقات عليها، ومحاولات توضيح المراد منها واستخلاص المضمون. وكأن الأول لم يترك للآخر شيئا وأضحى تفكيرنا مقيدا لا يخرج على المستوى الذي فكروا فيه.

لا يسمح لنا بصياغة قواعد بديلة لتفكيرنا الديني نابعة من خضم مشكلات واشكاليات عصرنا ورهاناته، وتقدم العلوم والمعارف المستجدة في عصرنا. ينبغي علينا اليوم أن لاّ نفتقر للحسّ النقد التاريخي والتدقيق في دراسة موروثنا من الخطاب الديني كنصّ قابل للنقد وتجديد بنيانه الذي أصبح اليوم عاجزا عن الوفاء بمتطلبات روح العصر وحاجات العقل الإسلامي اليوم. فضلا عن ضرورة أن نتعرف على آفاق الحاضر، ونستبصر أو نستشرف متطلبات مستقبلنا.

لقد شدد الغرباوي على ضرورة الخروج عن المناهج التقليدية في الاجتهاد والتفكير وأهمية بعث أسس وأدوات نظر معاصرة عقليّة نقديّة للموروث الخطابي الدينيّ، وتخطي تلك النظرة التقليديّة التي حرمت لقرون طويلة المساس بحرمة وقدسيّة

1 – عبد العزيز بو مسهولي: مبادئ فلسفة التعايش، أفريقيا الشرق– المغرب 2013 ص 66

الخطاب الديني على وصــفه "نســاقاً مقدســا وعميقاً" وحداً نهائياً، قادر على انتاج الأسئلة والأجوبة لكل زمان ومكان. خطابات في نظره قد ساهمت في تعطيل العقل العربي الإسـلامي، عود على بدء بدايتها نهاية ونهايتها نقطة. كتاب أراد صـاحبه من خلاله أن يتخطى ما هو مكرر في الكتابات الإسلاميّة المماثلة (حسن البنا، يوسف القرضــاوي، محمد عبده...) وغيرهم إن من حيث عنوانه، أو مضــامينه، أو عناوين مباحثه (الاستبداد العربي، الجهاد والاجتهاد في الإسلام، مشروع تحرير المرأة) وجرأة محتواه وأهدافه في الكشـــف عن حدود حقل فاعليات الدين وآثاره الايجابيّة البناءة. مقدما بذلك مشروعه الاصلاحي الجديد من صلب التجربة العراقية المتنوعة والمتمثل في جملة من التنبيهات والمحاولات الاصلاحية أهمها:

– صـيانة قيم العدالة والمســاواة في مجتمعاتنا العربيّة وتجريم الممارســات التي تفرق بين أفراد المجتمع الواحد جغرافيا أو تاريخيا أو دينيا أو ثقافيا.

– محاصرة كل أنواع الخطابات وأشكال الممارسات المتطرفة.

– ضــرورة الوعي الحضــاري للتاريخ وأحداثه وتطوراته الذي يؤهلنا لاســتيعاب النقاط الإيجابية من تاريخنا.

– حاجة المســـلم اليوم إلى رؤية دينيّة تؤهله للعيش وفق قواعد إلتزاماته الدينية المتوافقة مع مستجدات زمانه وتطوراته المتلاحقة.

– ضــبط ســلوك الإنســان والعمل على تهذيبه والإعلاء من شــأن الاعتبارات الدينيّة والأخلاقيّة التي تسيّره.

– محاولة اســتئصــال القيّم الجامدة واســتبدالها بقيم جديدة والترويج لقيم المحبّة والسلام والتسامح بين الأنا والآخر.

– تقديم رؤية للظواهر ضـــمن إطارها التاريخي وأنســـاقها المعرفية والثقافية التي تأسست في خضمها.

– تقديم اجراءات من الواقع بعيدا عن التنظير والمثل.

– تفكيك مصادر الخطاب والإشارة إلى الوجدان المتورم وإلى العاطفة الوجدانيّة الجارفة التي حولت العقل الديني إلى عقل أزمة أو عقل مونولوج وتيار شعور ساهم في تحوّله إلى خطاب حركي خطير.

– تقديم فهمً جديدًا للحياة، للفرد وللشعب والوطن بعيدا عن العصبيّة القبلية.

– الدعوة إلى ضرورة سدّ الثغرة الراهنة في المجتمع عن طريق الإصلاح والتغيير الخطاب الديني القديم في بعض جوانبه وتكيّيفه بما ينسجم مع تحديات العصر بفهم جديد ليس هو التغريب وليس هو التأويل المخل الذي يصطدم مع النصوص الشرعيّة الصريحة والذي يجعل منها ذات دورا ثانويا أمام متطلبات العصر ووقائعه وحاجاته وإنما هو التجديد الذي يعود بنا إلى النصّ الأصليّ و إلى الأصول الإسلاميّة الأولى الصحيحة. فالمجتمع المسلم مأمور بتجديد إيمانه من كل ما علق به من أسباب الضعف والبلى والخضوع والانحراف.

– صدّ كل أشكال العنف السائدة في المجتمع بالتسامح لأن أرضية التسامح هي معارك حرية التفكير والتعبير والعقيدة الدينية.

الإعتراف بالآخر الذي هو أصل التسامح وجوهره.

– لا بد من تحديد التمايز الحاصل بين الدين بصفته مصدرا والخطاب الديني بصفته تمظهرا.

– تحديد مفهوم التجديد وآلياته، كالاجتهاد ودوره في التجديد.

– تحديث الخطاب الديني وتجديده بما يتناسب ومعطيات الحضارة المعاصرة

– تخطي الحلول الجاهزة التي ارتضاها المسلمون نتيجة ظروف ومعطيات تاريخية وحضارية وسياسيّة قد تجاوزها الزمن والركب الحضاري المعاصر

– التنبيه إلى ضرورة عودة المسلم إلى القرآن ليستمد منه القواعد الصحيحة للسلوك السوي في جميع مجالات الحياة.

- ضـــرورة التنبه والوعي التام بالحقائق الأســـاســـية ذات الأولوية في حياتنا كمسـلمين من حقوق المواطنة وسـيادة القانون وتعدد المرجعيات ومراجعة الأنسـاق التي تحكمنا وتسيطر على تركيباتنا الذهنية في التفكير

- الوعي بأن الحلول في هذا الميدان لا تكون إلا في نطاق الواقعية والممارســـة الحرّة بعيدا عن التنظير والمثالية لأن هذا الوعي الثقافي لا يمكن أن يلامس الواقع إلا في إطار تلاقح الأفكار وخلق فضـــاءات أرحب للحوار بعيدا عن منطق الهدي والارشاد الذي تمتهنه بعض الجماعات والجمعيات.

خاتمة

وفق منظور ماجد الغرباوي تتأسس ايتيقا الأنا من خلال اللقاء المتكامل بالآخر وبهذا المعنى فهو تعبير عن تجل لوجود خاص من أجل وجود عام، لا يكتســـب تحديداته الجوهرية الخاص، التي يصـــبح عبرها نوعا، لا امتدادا إلا في علاقته بالآخر، الذي يكون وجوده ســابقا وكائنا على وجود أية ذاتية، فالأنا الذاتي لا يتحدد إلا إذا كان هناك آخر ذاتي يســـبقها في الزمن داخل زمانية التفاعل الإنســـاني، هذا الذي يضـمن شـرط انفتاح الذاتيّة على الغيرية ويجعل أفق الكونية ممكن موافقة وتوافقا عبر سمّة التســـامح مع الآخر[1].[19] فأخلاق التســـامح والتفاعلية هي مبدأ اعلاء من قيمة الحياة والإبداع التي تقوم على الإلتحام بالوجود والآخر" واحترام خياراته وأسلوبه في اغناء تجربة الحياة المشـتركة، وكل حياة مشـتركة خلاقة"[2]. رغم يقيننا بأن التسـامح لابد وأن يحمل قســطا من الشّـــر معنى ذلك أنّ التســـامح لا يمكن أن يكون قيمة مطلقة، أي أنّه مكره بفعل مشيئة كل فرد على الفعل وفق القواعد الكونيّة والإنسانيّة والأخلاقيّة والقانونيّة والأعراف الإجتماعيّة والقبليّة المترســـخة في ذهنيّة الفرد من

1 - انظر كتاب مبادئ فلسفة التعايش، لعبد العزيز بو مسهولي ص 188
2 - المصدر نفسه، ص 190.

الناحيتين النظريّة والعمليّة. لكن مطلب الحياة يبقى غاية الإنســـان الحقّ والمؤمن بأن الله وحده هو الذي يستحق أن يحيا اللإنسان ويموت في سبيله وهذا لا يتحقق إلا في صـــلب مجتمع مثالي يتعايش فيه وبســـماحة كل إنســـان مســـلم مؤمن وأناس غير مسلمين، وهذا المجتمع لا يكون غير المجتمع الإسلامي الحق الذي يقبل ان يكون بين أفراده يهودا ومســـيحيين وفئات لا تؤمن بنبيّ ولا كتاب. أليس هذا هو الوجه المثالي للتسامح الحق؟

لقد رفض الغرباوي في كتابه التســـامح على أســـاس المنة والتفضـــل ودعا الى قيام التسامح على أساس مشاركة الآخر لنا بالحقيقة، ولو بجزئها، وحينئذ لا توجد منه ولا يوجد تفضل، بل هو شريك حقيقي لنا.

قائمة المصادر والمراجع

I.قائمة المصادر:

- القرآن الكريم

- ماجد الغرباوي التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2008

II. قائمة المراجع:

- جون لوك: رسالة في التسامح: ترجمة منّة ابو سنّة، تقديم ومراجعة مراد وهبّه المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة- 1997

- عبد العزيز بو مسهولي: مبادئ فلسفة التعايش، أفريقيا الشرق- المغرب 2013

- عبد الرزاق عيد: سدنة هياكل الوهم/ نقد العقل الفقهي، يوسف القرضاوي بين التسامح والارهاب دار الطليعة بيروت، رابطة العقلانيين العرب، الطبعة الأولى، سبتمبر 2005

- محمد أحمد حسونة بك ومحمد خليفة التونسي التسامح في الإسلام: الأسس النفسيّة والاجتماعيّة في الإسلام مطابع دار الكتاب العربي بمصر محمد حلمي المنياوي

- ناجي البكوش: دراسات في التسامح، التسامح عماد حقوق الإنسان المعهد العربي لحقوق الإنسان والمجمع التونسي بيت الحكمة – نشريات الشمال - تونس 1995

- يوسف القرضاوي: كلمات في الوسطيّة الإسلاميّة ومعالمها، دار الشروق- القاهرة الطبعة الثالثة سنة 2008

- الإسلام والعنف نظرات تأصيليّة دار الشروق- القاهرة 2010

III.قائمة المقالات الإلكترونية:

- محمد محفوظ: التحليل الثقافي لظاهرة العنف الديني مركز أفاق للدراسات والبحوث حرر في 2015/12/5

- لبنى الرامي – مولاي مروان العلوي – فؤاد عاقل: تجديد الخطاب الديني: الاجتهاد نموذجا"– مركز أفاق للدراسات والبحوث حرر في: 2015/08/31

- موقع منظمة اليونسكو www.unesco.org

التّسامح وفرص التّعايش بين الاديان والثّقافات دراسة في فكر ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة خولة خمري[1]

والأستاذ عباس أعومري[2]

مقدمة: إنّ الحديث عن فرص التســـامح والتعايش بين الأديان والثّقافات[3] والســعي إلى بعث قيم التســامح من جديد من بين المواضـيع التي تشـغل الســاحة الثّقافية العربية والإسـلامية بشـكل كبير خاصّة في أيامنا هذه، بعد ما يسـمى بثورات الربيع العربي، فقد أصبح هذا الموضوع رأيا عاما خاصّة في ظل تصاعد وتيرة الحروب الثّقافية وتفشــي ظاهرة الخطابات التكفيرية التي أصـبحت هاجسًــا خاصّــة للدول الضـعيفة، وهذا ماحدى بالدول العربية والإســلامية إلى تكثيف الجهود أكثر سـعيًا للحفاظ على الهوية الإســـلامية وترســـيخ قيم الفكر الوســـطي وقبول الآخر بإقامة ملتقيات وعقد ندوات للبحث والتخابر في ســبل إماطة اللّثام عن المخبوء في علاقته بالقوى العالمية الامبريالية التي تحاول إلصـــاق التهم بهويتنا الإســـلامية، فالتحول

---

1 - الأســـتاذة خولة خمري – الجزائر، تخصـــص تحليل الخطاب ومناهج النقد. مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب – ماليزيا

2 - الأستاذ عباس أعومري - الجزائر- باحث أكاديمي

3 - ورقة مشــاركة في المؤتمر العلمي التاســع للنهوض بالبحث العلمي خطوة أســاســية في بناء العراق الموحد. تحت شعار: "النهوض بالبحث العلمي خطوة أساسية في بناء العراق الموحد"... 2-3 شعبان 1439 هـــ 17-18 نيسان 2018م، كلية المعارف الجامعة، كليةٌ أهليةٌ عراقيةٌ، بعنوان: (التّسامح وفرص التّعايش بين الاديان والثّقافات بين الواقع والمأمول.. دراسة نقدية في فكر ماجد الغرباوي).

الاستعماري اليوم أخذ سبلاً جديدة ووسائل عديدة مختلفة عن تلك التي عهدناها مع الاستعمار التقليدي المباشر.

لقد تغيّر السباق من مضمار التسلح إلى مضمار السيطرة الثّقافية، لتصبح الثقافة السائدة هي الثّقافة الغالبة، والثّقافة التابعة هي الثّقافة المستلبة من طرف الثّقافة الغالبة، وهو حال ما نراه اليوم من تلك العولمة الفكرية والاستلاب الثّقافي لبنية الهوية الإسلامية التي تشهد غزوًا رهيبًا لمقوماتها من طرف الثّقافة الغربية التي تحاول ربط الفكر التكفيري بتاريخنا، بطرق وأسالب متعددة ومتنوعة خاصة مع تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة الأمر الذي زاد من وتيرة هذا الغزو المنظم في نظامنا الاجتماعي والسياسي ناهيك عن نسقنا الثقافي الفكري المبثوث في نصوصنا التراثية، خاصة في ظل التحول العالمي إلى نظام القطب الواحد وبالتّالي الثّقافة الواحدة إثر بروز معالم النظام الدّولي الجديد بداية من تسعينيات القرن الماضي.

من خِلال ما سبق سنُحاولُ في هذه الورقة البحثية اماطة اللثام عن ما قدمه المفكر العراقي ماجد الغرباوي في هذا الاطار باعتباره مثقفا تنويريا درس التراث بطريقة جديدة، من أجل تحرير العقل الاسلامي من قيد التراث. وعمل على ارساء قيم التسامح والحرية وقبول الآخر. هذه الخطابات التي يفتقدها عصرنا اليوم خاصة ونحن في زمن الحروب الثقافية وسطوة المركزية الغربية الساعية بقوة إلى الفتك بتراث وتاريخ الهوية العربية والإسلامية وذلك من خلال أليات العولمة الثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها، والتي باتت تفرض علينا فرضا في اطار الحوار الحضاري وعمليات التّثاقف والاستيراد القسري لتلك الانظمة الفكرية التي لا تمت بأي صلة لهويتنا الحضارية والثقافية فضلا عن الدينية، وهو ما أحدث ردة فعل عنيفة تمثلت في تفشي الخطابات التكفيرية والغلو والتطرف. وهنا نسعى لبيان بعض الحلول التي قدمها ماجد الغرباوي والتي نرجو من خلالها بث روح التسامح ونشر الخطاب الفكري الوسطي الإسلامي الصحيح.

نحو طرح اشكاليات التّعايش بين الأديان والثّقافات

يُعتبر الحديث عن التّعايش بين الأديان والثقافات أحد أبرز الاشـكاليات التي باتت تطرح نفسها اليوم، خاصة وأن عصرنا أصبح يتخبط في نوع من التيه الكبير بسبب عدول الإنسان عن التمسك بالبوصلة الربانية، فضلا عن علو صوت الخطابات التكفيرية المنتشرة هنا وهناك وهو ما زاد من حدة الصراع بين الثّقافات والأديان، هذا الموضوع الذي أصبح يؤرق الحكومات ويقض مضاجع السياسيين فضلا عن المفكرين المشتغلين بهذا الميدان لعل على رأسهم المفكر العراقي ماجد الغرباوي، فأمام موجة الاختراقات الفكرية من خلال نظريات عنصرية تروج للعنف وتعمل على تفكيك أواصر قيم التعايش والتسامح تطرح العديد من الأسئلة كيف لنا أن نرسي قواعد التّسامح والتّعايش في عالم يسوده الكره والحقد؟ وما السبل والأدوات الكفيلة للتصدي للسياسات الغربية التي تتعامل بها مع الدول العربية والإسلامية والتي تسببت في ظهور موجة العنف والغلو؟ وهل يمكن الحديث عن نوع من التّوافق الحضاري والديني في كنف التعددية الثّقافية والإنسانية؟.

جميع هذه الأسئلة المثيرة تطرح نفسها وبقوة في فكر ماجد الغرباوي الذي عمل وبشدة على فك شفراتها وايجاد الحلول المناسبة لها لتحقيق قيم التسامح والتعايش بين الأديان والثقافات.

الآخر في التراث ودوره في النهضة المنشودة

هل كان لتواجد الآخر في تراثنا العربي الإسلامي دور في النهضة وبأي صورة كان وجد هذا الآخر؟ وما الضوابط والمنطق الذي حكم تواجده؟. سؤال نستهل به سبر بحر آراء ماجد الغرباوي وحديثة عن التّراث ومكان الآخر فيه وفرص التعايش التي حضي بها وكيف كان دوره في بناء نسيج الحضارة العربية الإسلامية، وهو ما يطرح أسئلة عميقة عن حقيقة تواجد الآخر في تراثنا العربي الإسلامي ودوره في النهضة المنشودة.

يعتبر مفهوم النهضة والفعالية الحضارية عموما وسبل قيامها أحد أبرز الموضوعات التي اشتغل عليها كبار مفكرينا بالوطن العربي والإسلامي ومنهم الغرباوي. فهذا المفهوم من المفاهيم الجدلية التي تستعصي على الباحث لتداخله مع العديد من العلوم خاصّة علم الاجتماع وتطرح العديد من الإشكاليات المتداخلة التي يتخبط فيها عالمنا العربي والإسلامي الذي يرزح تحت وطأة الفصل بين الحياة الاجتماعية وتوجيهات الدين وهو ما أكده ماجد في ارجاعه أن السبب الحقيقي يعود إلى "قطع خيوط التواصل بين العقيدة والحياة الاجتماعية. فعقيدة التوحيد التي كان يعيشها الانسان المؤمن في بدايات البعثة الشريفة ممارسة حياتية يومية تطبع سلوكه واخلاقه، صارت تدور في مدارات عقلية بعيدة عن هموم الحياة ومتطلباتها"[1].

أمام هذا الخطاب نتبين مدى الأهمية الكبيرة لأثر العقيدة في تنظيم سير حياة المسلم فما إن تهنا عن الطريق تاهت حضارتنا وأصبحت تحكمها الشهوات وابتعدنا عن روح الإسلام السمح الذي يحث على بعث روح التعايش ونبذ العنف، وهو ما جعل غياب الأفكار الداعية للتجديد والتسامح تغيب بشكل كبير لتحل محلها خطابات الغلو والتطرف وبالتالي فقدان روح الانبعاث النهضوي.

يعرف المفكر الجزائري مالك بن نبي الحضارة بقوله: "إن حضارة ما، ما هي إلا نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ، ويبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج الأصلي لحضارته، إنه يتجذر في محيط ثقافي أصلي، يحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى"[2]. وبتتبعنا لهذا القول المقتضب للحضارة يتبين لنا المرتكزات الأولية لبناء الحضارة من شروط روحية وأخرى مادية تحقيقا لتلك الفعالية المنشودة " مجموع منسجم من الأشياء والأفكار، بصلاتها ومنافعها وألقابها الخاصة وأماكنها المحددة،

---

1 – ماجد الغرباوي :اشكاليات التجديد – سلسلة قضايا إسلامية معاصرة–، دار الهادي للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ، 2001م، بيروت، لبنان، ص 37.

2 – مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، سوريا، ط9، ص4 .

ومجموع كهذا لا يمكن أن يتصـــور على أنه مجرد تكديس، بل كبناء وهندســـة، أي تحقيق فكرة مثل أعلى")[1].

تجديد الخطاب الديني وفرص بعث التّعايش من جديد

لطالما أكد ماجد الغرباوي على ضرورة تجديد الخطاب الديني الإسلامي فهكذا بوسعنا حسب ما ذكره أن نقيم نوعًا من الحركية الحضارية نحو تجديد بعث الخطاب الديني من جديد لتشمل النهضة جميع المجالات من فكر واقتصاد وسياسة وغيرها من المجالات، ليكون للفرد المسلم الدور الأبرز في هذا الحراك مستغلا الوسائل الضرورية لتفعيل حركة التاريخ وهندسة دورة الحضارة القائمة على التراث ومدى تواجد الآخر فيه بما يتلاءم والمعطيات الحضارية الموجودة بعيدا عن فكرة التكديس التي لم يكن لها وجود على مســتوى الحضــارة الإســلامية أيام الأندلس مثلا باعتبارها نموذجا تراثيا عالميا شهدت دورا كبيرا للآخر ومدى اسهاماته في قيام الحضارة الإسلامية، والتي ما كانت لتكون لولا فرص التســـامح والتعايش التي قدمها الإســـلام لهم، حيث كان التمازج الثقافي مع الآخر والعطاء العلمي والفكري في أوج ذروته وهو ما ذكرته المفكرة والفيلســوفة الألمانية زيغريد هونكه بعرضـــها لتلك النماذج التراثية العالمية التي قدمت الكثير للحضارة الإنسانية على اختلاف ثقافاتهم وتنوع مللهم ونحلهم.

ولكن بعد حين من الزمن انقلبت البوصـــلة الحضـــارية فلقد تعرض الإســـلام والمســـلمون في الســـنوات الأخيرة لحملة ظالمة من الافتراءات والمزاعم التي أرادت أن تلصق بالإسلام تهم التعصب والإرهاب، وترويع الآمنين، ورفض الآخرين، وغير ذلك من دعاوى لا أصل لها في الإسلام ولا سند لها من العلم ولا من الواقع التاريخي.

فالحضـارة الإسـلامية التي انطلقت من تعاليم الإسـلام منذ أربعة عشـر قرناً من الزمان قد ضربت أروع الأمثلة في التسامح والتعايش الإيجابي بين الأمم والشعوب من مختلف الحضـــارات والثقافات والأديان والأجناس، ولا تزال هذه التعاليم الإســـلامية

---

1 - المصدر نفسه، ص 32.

حية وقادرة على صــقل عقل الأمة وتوجيه ســلوكها وتعاملها مع كل البشــر في كل زمان ومكان بعيدا عن خطابات الغلو والتطرف المقيتة وهو ما عبر عنه ماجد بقوله "خطاب الغلو نجح في ترســيخ بديهيات عقيدية، من خلال منهج مراوغ، يعتمد الاسـتدلالات السـاذجة، ويسـتغل رثاثة الوعي، وانحطاط الثقافة، والبيئة المثيولوجية، فيشـاغل وعي المتلقي بمضـامين غرائبية خرافية عن الرموز الدينية، يغفلون معها سؤال الحقيقة. أي السـؤال عن ذات الرمز وحقيقته قبل الحديث عن خصـائصـه ومعجزاته وكرامته. فعندما يشــاغل النص الوعي الرث بأحاديث خارقة، مذهله، غرائبية لا يلتفت لسـؤال الحقيقة، بل تصـبح لديه منظومة بديهيات، ومبادئ عقيدية مسـلّمة، تندرج ضــمن اللامفكر فيه، والمقدس، الذي يحرم مقاربته، فضــلا عن نقده. هذه البديهيات هي التي تمرر روايات الغلو، لتراكم مزيدا من المعرفة المشوهة، العقيمة"[1].

فهـذا هو الخطـاب الـديني المقيـت الـذي يـدعو إلى ركود العقـل والأخـذ بالنص بكامل حذافيره دون إعمال للعقل أو الاعتناء بما يسمى بفقه الواقع ومتغيراته الثقافية والحضــارية، وهنا يتم تغييب الدور الحقيقي للمثقف الحر الواعي وهو ما جعل ماجد يقول: "وباختصار إن الأمة بحاجة أولا إلى وعي رسالي تتجاوز به أزمتها، كي تتمكن من تحدي الممنوع، ولا يتحقق لها ذلك إلا بإعادة تشكل وعيها داخل فضاء معرفي، يستظل بمرجعيات تجدد باستمرار فهمها للنص الديني، في ظل المستجدات الحياتية المتأثرة بالظروف الزمانية والمكانية"[2].

فما إن تم تغييب دور المثقف برزت اثر ذلك خطابات الغلو والتطرف وانعدمت قيم التســامح والتعايش تلك القيم الإنســانية الســامية التي لطالما دعا ديننا الحنيف وســنتنا النبوية إليها انطلاقا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُــعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

1 – الغرباوي، ماجد، النص وسـؤال الحقيقة، مؤسـســة المثقف، سـيدني – أسـتراليا وأمل الجديدة، دمشق – سوريا، 2018م، ص 279.

2 – الغرباوي، ماجد: الضـد النوعي للاسـتبداد "، اصـدار مؤسـســة المثقف العربي، نشـر العارف للمطبوعات، ط1، 2010م، ص 74- 75.

خَبِيرٌ﴾"[1]. فإذا ما تم تغييب هذا الشعار فإن الفوضى والتشتت والحروب والغلو وشتى أصناف التطرف سيكون سيّد الموقف ولذلك لابد من تجديد الخطاب الديني وبعث سبل التسامح و التعايش فيه من جديد بعد كل هذا السبات العميق الذي ميز خطابنا الديني وهو ما يجعلنا نبحث في سبل تجديد تراثنا وبشدة.

تجديد التراث وسبل بعثه من جديد عند ماجد الغرباوي

يولي ماجد الغرباوي موضوع تجديد التراث أهمية كبيرة لما للتّراث من دور كبير في حفظ الهوية العربية الاسلامية خاصة وأنه يمثل الانطلاقة الأولى لأي نهضة فقد كان ماجد الغرباوي يطمح إلى انشاء استراتيجية نهضوية نابعة من تراثنا الديني تعترف بأهمية تواجد الآخر ودوره في اثراء الحضارة الإسلامية النائمة على فكرة التعددية الثقافية فالتراث منبع وأصل الهوية بدونه نفقد مقومات وجودنا فالهوية هي: "مركب من المعايير، الذي يسمح بتعريف موضوع أو شعور داخلي ما. وينطوي الشعور بالهوية على مجموعة من المشاعر المختلفة، كالشعور بالوحدة، والتكامل، والانتماء، والقيمة، والاستقلال، والشعور بالثقة المبني على أساس من إرادة الوجود"[2].

ولعل هنا يبرز كنموذج كبير لخطاب التعددية الثقافية نموذج العصر الأندلسي ذاك العصر الذهبي الذي تميز بانتشار كبير لمختلف التيارات الفكرية والدينية ورغم ذلك سادت قيم التسامح وكان الحب والتّعايش سيد الموقف فكان يعيش المسلم جنب اليهودي دون ترهيب أو تقتيل وهو ما جعل ماجد الغرباوي يدعو وبشدة إلى ضرورة تجديد التراث قائلا "ينبغي اعادة النظر في الوعي الذي تكون في اطار بعض النصوص الدينية والمرويات التاريخية"[3]. وقد ضرب ماجد الغرباوي في ذلك مثالا بارزا

---

1 - سورة الحجرات: الآية 13.

2 - إليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993. ص 15.

3 - الغرباوي،ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية، بغداد – العراق، والعارف للطباعة ط1، بغداد، العراق، 1429هـ- 2008م، ص60.

في خطاباتنا التراثية وهو نموذج ما يسمى بالفرقة الناجية الذي يشكك بصحته دائما. حيث يقول بأن هذا الحديث: "لعب دورا كبيرا في تشظي الأمة، والإصرار على احتكار الحقيقة ورفض كل الفرق والمذاهب التي تحتفظ بوجهات نظر اجتهادية مخالفة، حتى بات الجميع إلا ما ندر يعتقد بخطأ المخالف مهما كان نوعه"[1]. وهذا ليس من روح الإسلام السمح الذي يحترم باقي الأديان أو مختلف التوجهات الفكرية ويدعو إلى تعددية ثقافية في كنف الامة الواحدة.

لقد كان ديدن الإسلام منذ ظهوره قبل أربعة عشر قرنا من الزمن يرغّب أهل الكتاب من غير المسلمين بالإسلام داعيا إلى مكارم الاخلاق ومثمنا إياها لذلك شاعت حينها خطابات تحث على افشاء الخير ودحر نوازع الشر وخطابات التكفير البغيضة فعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الناس معادن في الخير والشر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)[2].

يقول ابن حجر رحمه الله: قوله: (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام)، وجه التشبيه أن المعدن لما كان إذا استخرج ظهر ما اختفى منه ولا تتغير صفته؛ فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفاً في الجاهلية فهو بالنسبة إلى أهل الجاهلية رأس؛ فإن أسلم استمر شرفه وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين في الجاهلية[3]. وفي هذا يقول الإمام النووي رحمه الله: ومعناه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس[4].

لكن عصرنا اليوم انقلبت فيه كل الموازين فخفت الوعي بمدى أهمية التسامح والتّعايش بين الأديان المختلفة وهذا ما يدعوا إلى ضرورة الوعي العميق بضرورة ابراز مثل هذه النماذج الدعوية لإعادة الأمور إلى جادة الصواب وحصر خطابات الغلو

---

1 - المصدر نفسه.

2 - المصدر نفسه.

3 - البخاري (3383)،كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى:{لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين}، ومسلم (2378)، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف.

4 - "فتح الباري" (529/6).

والتطرف فحسب ما ذهب إليه ماجد الغرباوي أنه "من دون الوعي لا يمكن تنطلي مؤامرات التزوير على الواقع والتاريخ والدين والحقيقة. ومن دون الوعي لا يمكن النهوض بمشروع حضاري مستقبلي يعتمد مرجعية فكرية وثقافية، مؤسس في ضوء المبادئ الإسلامية. إذن فالوعي أساس في نجاح المشروع الإسلامي، وهو من مهام المثقف الرسالي، الذي ينهض بهذا الدور، انطلاقا من مسؤوليته في تكوين عقل الأمة وتجديد هويتها الثقافية"[1] تلك الهوية الثقافية التي تعاني منذ زمن بعيد تيها كبيرا غياب العقل وسلب الإرادة وأفشى نوازع الغلو والتطرف، وهو ما جعلنا نغيب عن الساحة الحضارية بالعالم فلا دور لنا إلا تلقي الأوامر وتطبيقها بحذافيرها من طرف القوى العالمية فلا اهتممنا بتراثنا ولا بواقعنا الراهن فبتنا مأسورين مدحورين مقيدين لا حراك لنا وهو ما يدعونا إلى ضرورة التساؤل عن ما موقع المثقف الواعي من كل هذا.

دور المثقف الواعي في ايجاد فرص التعايش

قديما قال الشاعر:

اقرأوا التاريخ إذ فيه العبر... ظل قوم لا يدرون ما الخبر.

بيت شعري على قلة حروفه لكن معانيه تحمل الكثير من الدلالات والسياقات التاريخية والحضارية التي تختزل العديد من الملامح المشكلة لتطور الأمم، لتميط لنا اللثام مبرزة تلك الملامح الكاشفة لبواطن ما اكتنف التاريخ من أحداث

وصراعات بشرية، مشكلة بذلك منعرجات حضارية خطيرة رفعت أمما عاليًا في السماء وأسقطت أخرى أرضًا في حين أخرجت الكثير من سياقها تمامًا معلنة أن لا مكان لها على الركح الحضاري لتحولات العالم وسياقاته، فالركح يا سادة شعاره "كن أو لا تكن" حكر على الأقوياء لا مكان فيه للضعفاء والجدير فيه بحمل وسام البطولة الحضاري من يثبت وجوده لا استسلامه.

1 - "شرح النووي لصحيح مسلم" (135/15).

يقول ماجد الغرباوي "ثم إن المثقف الإسـلامي وعى الإسـلام وعيا حضـاريا اعتمادا على التراث وليس منفصلا عنه، من دون أن يعيش وهم الماضـي، بل ينطلق منه لبناء المسـتقبل، فيسـتمد منه القيم لتكون أسـاسـا في ممارسـاته الاجتماعية والسياسية، فلا يشعر بالغربة من القيم السائدة، وإن كان من ضمن اهتماماته إلغاء ما هو غريب عن قيم الإسـلام والإنسـانية"[1]. فهذا هو جوهر الإسـلام القائم على الجد والاجتهاد والوعي العميق بالتراث ودوره في الحراك الاجتماعي القائم على التعدد والتنوع وهو ما يفتح اشـكاليات قيم التسـامح والتعايش على مصـراعيها وهنا يبرز الخطاب الواعي للمثقف الإسلامي الذي يحسن التعامل مع هذه الإشكاليات.

إن تكريس مفاهيم وقيم التسـامح والدعوة إليها منهج متأصـل في نصـوصـنا القرآنية وسـيرتنا النبوية وكان للمثقف الإسـلامي الواعي الدور البارز فيه وفي هذا تحدث ماجد كثيرا عن فكرة التعددية الثقافية وفق الرؤية الإسـلامية التي تختلف اختلافا كليا عن مثيلتها الغربية. فالتعددية الثقافية وفق النظرة الغربية كما يرى ماجد الغرباوي "قامت باختزال الدين إلى مجرد تجربة روحية باطنية بمعزل عن الحياة يسـتطيع أن يعيشـها كل إنسـان، وفصـلت ما بين الشـريعة والدين"[2] وهو ما يعترض عليه المثقف الإسـلامي الواعي وبشـدة فديننا يتدخل في كامل تفاصيل حياتنا اليومية بل هو البوصلة التي توجهنا وتسير حياتنا بوعي وتبين لنا سبل التعامل مع الآخر وكيفية التعامل مع اشكاليات التعددية الثقافية التي لطالما أستفاض ماجد الغرباوي بالحديث عنها في مختلف كتبه.

وهو نفس الأمر الذي ذهب له المفكر المصـري محمد عمارة بحديثه عن التعددية الثّقافية ودور المثقف في ايجادها حيث يرجع محمد عمارة أصـول قيم التعددية الثقافية إلى السـنة النبوية بالضـبط في ميثاق المدينة المنورة التي اعتبرها عمارة بمثابة "الإعلان الإسـلامي عن شـرعية ومشـروعية التعددية الإسـلامية في هذه المسـاحات من الفكر وتطبيقاته وفي الأدوات اللازمة لذلك ومنها التنظيمات . تلك هي سنة الإسلام التي

---

1 - الغرباوي، ماجد، اشكاليات التجديد، مصدر سابق. ص67- 68.

2 - المصدر نفسه، ص 67.

شـرعت وقننت لمبدأ التعددية في الفكر الإسـلامي وفي الممارسـات الإسـلامية منذ صدر الإسلام والتي بناء عليها وتطبيقا لمنهجها كانت تيارات الاجتهادات الإسلامية مصدرا لثراء الفكر الإسلامي على عهد الازدهار الحضاري الذي سبق عصر التراجع والجمود"[1]. ولعل هذا يحيلنا إلى تسـاؤل آخر أكثر عمق هو كيف لنا أن نخرج من شرنقة ذلك الجمود والانسداد التاريخي الذي جثم على صدر الأمة لمدة طويلة جدا خاصة في ظل التخبط الكبير الذي يعاني منه سواء العالم الإسلامي أو العالم أجمع لعل ذلك الترياق نجده في الهدية النبوي في سـنة التخلية قبل التحلية، ففي الهدي النبوي يوجد ما يسـمى بالتخلية قبل التحلية ومن ثم يتحتم علينا تنقية الجو الاجتماعي العربي والإسلامي من الشوائب التي تشوبه وتعكر صفو عالمية رسالتنا القائمة على التعددية الثقافية والإنسانية، ومختلف قيم التسامح والتعايش بين مختلف الثقافات والأديان كحق انساني مشروع، ومن ثم يأتي دور التحلية فيتم التركيز على بعض الأمور المهمة التي تسـتلزم منا زرع قيم فرص التسـامح والتعايش من تعددية ثقافية ودينية في اطار الأمة الواحدة، علما أن مثقفنا الإسـلامي الواعي يملك كل المقومات والأسس لذلك انطلاقا من البوصلة الربانية والهدي النبوي القويم.

ولذلك لما غاب الوعي الحقيقي لدى المثقف بمجريات فقه الواقع فغاب عنا الفقيه الرباني الذي يحسن التعامل مع متغيرات العصر ومتطلبات المعرفة الجيدة بخبايا متغيرات النص أمام الأسـئلة الفقهية الجديدة التي تطرحها التعددية الثقافية حيث يقول ماجد الغرباوي "في ظل هذه الظروف تشكيل عقل المسلم، وأعيد فهم الدين من خلال قوالب جديدة، فأصبح الدين مجرد علاقة خاصة بين العبد وربه، لا صلة له بالحياة الاجتماعية. ولما سـارت تلك النظرة إلى الفقه، تقوقع في دائرة الفردية، واخذ الفقيه يفكك بين الموضـوعات ويفتي بمعزل عن مقاصـد الشـريعة وغاياتها، ففقدت الأحكام بالتدريج مداليلها الاجتماعية، بعد أن اعتبرت الفرد وحدة مستقلة لا تربطه أي علاقات أو وشـائج اجتماعية. بل تطور الحال إلى حد عجز معه الفرد أن يحدد موقفه من بعض القضـايا الحياتية المهمة في ضـوء الشـريعة، لأن الفقيه لم

---

1 - ماجد الغرباوي: الضد النوعي للاستبداد "، مصدر سابق، ص 152- 153.

يتصد للفتوى في تلك المجالات")[1]. وهنا يبرز لنا ذلك النموذج الرباني الامام الماوردي الذي عرف بمعرفته الشديدة كفقيه بمدينة البصرة المعروفة لتعدديتها الثقافية وتواجد مختلف الثقافات بها حيث كان الفقيه الوحيد تقريبًا من يحسن وفي ضوء الشريعة ايجاد الفتوى الملائمة لتلك القضايا العويصة الشائكة.

ولذلك فإن مسؤولية المثقف الإسلامي اليوم كبيرة تجاه المنظومة الفكرية الغربية التي تروج لنوازع العداء ونشر قيم التطرف من مثل قول برنارد لويس: "إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية الإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعات خواطرهم أو التأثر بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم، ويجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك، إما أن نضعهم تحت سيادتنا أو ندعهم ليدمروا حضارتنا"[2].

أمام هذا الخطاب الشديد العدائية فإنه يتعين على المثقف العربي والإسلامي العمل من أجل تغيير تلك الصورة النمطية لنا تجاه الآخر الغربي وإزاحة الغشاء الذي يعمي بصيرتنا عن انماط الاستعمار الجديد الساعي إلى نشر الفوضى بأوطاننا وجعلها معادلا موضوعيا لكل ما يمت للهوية الإسلامية بصلة .

فالخطابات الثقافية الغربية التي راجت أثناء وبعد ثورات الربيع العربي تكشف عن تلك الرسائل التي تمرر من خلالها تلك النظرة الفوقية المشبعة بالمركزية الغربية Central Western التي رسمها الاستشراق التقليدي، ويعمل الاستشراق الجديد على ترسيخها حاليا، لترتسم في أذهاننا بأن خلاصنا مرتبط ببرنارد ليفي ومن قبله لورنس العرب... وغيرهم، وكأن مجتمعاتنا العربية لا تتعلم من التاريخ، فإذا بنتائج ذلك انتشار رهيب لخطابات التكفير وشيوع الخراب والدمار بالكثير من هذه الدول، ولعلّ هذا ما جر المفكر الفلسطيني الأمريكي إلى القول في كتابه "تمثيلات المثقف": "من المهام المنوطة بالمثقف أو المفكر أن يحاول تحطيم قوالب الأنماط الثابتة

---

1 - محمد عمارة : http://klmty.net/472766-%D8%AF-

2 – الغرباوي، ماجد الغرباوي، مصدر سابق. ص 110.

والتعميمات الاختزالية التي تفرض قيودا شديدة على الفكر الإنساني وعلى التواصل ما بين البشر"[1] .

وبعودة قليلة عبر الزمن إلى الوراء بالضبط إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ذاك الحادث الذي أحدث بلبلة كبيرة بالعالم وغير مجريات وموازين كثيرة بالعالم وزادت من حدة الصراع بين الإسلام والغرب فانتشرت الإسلاموفوبيا إلا أنها علمتنا ان التعايش أمر ضروري ومطلب ملح لدى كافة الأديان وفي هذا يقول ماجد الغرباوي "نبوءة هنتنغتون فهي وإن قامت أساسا على رؤية لتاريخية الصراع بين الحضارات، إلا أنها انتهت بالعودة إلى الدرس الذي ينبغي أن نتعلمه من التاريخ، لابد من تعايش بين الحضارات، وفهم أعمق للفروض الدينية والفلسفية لكل منها، ودعوة لتحديد العناصر المشتركة بين الحضارات، تمهيدا للتعايش والتواصل الذي لا بديل له. إنه لدرس بليغ أن تنتهي أعتى النظريات التي تؤصل للصدام إلى التأصيل للتعايش وتحقيق القدر الأكبر من الوئام"[2].

ولذلك لابد على المثقف الإسلامي الوعي نشر اهمية منح فرص التعايش بين الأديان وتبني روح التسامح لدى المجتمعات المختلفة مهما وصلت حدة تلك الاختلافات فالتسامح tolerance يعني الاستعداد الذاتي لاتخاذ الموقف المتسامح دون أيه ضغوطات أو اضطرار، لا يمكن اعتبار التسامح فضيلة إلا عندما يمكن للشخص ألا يكون متسامحاً. فهو قريب من مفهوم "العفو". والقول المعروف "العفو عند المقدرة من شيم الكرام" يشير إلى المقدرة على العفو، وليس في مقدرتنا أن نتحدث عن موقف متسامح في تراثنا الإسلامي في حال شخص يضطر، وهو مضطهد وفي موقف ضعيف، أن يتحمل الآخرين، وهذا الشخص الذي يتحمل

---

1 – عبد الحكيم منصور: حكومة العالم الخفية – الماسونية والثّورات العربية بين الحقيقة والافتراء– دار الكتاب العربي، القاهرة، 2012، ص242.

2 – نجيب الحصادي: جدلية الأنا والآخر، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1996. ص 56- 57.

الظلم فإنه، في حال الضرورة ووفقاً للعرف الاجتماعي، له الحق في المعارضة والحق في الدفاع عن نفسه في وجه الاضطهاد والتمييز العنصري[1].

خاتمة:

من خلال ما طرحناه آنفًا في ورقتنا البحثية هذه من إشكاليات وتساؤلات حول أحد أهم اشكاليات الفكر الاسلامي المعاصر التي تشتغل على خطابات قبول الآخر في تراثنا الإسلامي والتي عمل المفكر ماجد الغرباوي على ايجاد السبل الكفيلة بحلها، وسعيًا منا لإيجاد الحلول المناسبة للوقوف في وجه هذا التسونامي الاستعماري الفكري الجديد إن جاز التعبير الجارف للهويات الدينية والثقافات المتنوعة بوطننا العربي الإسلامي تحت أغطية كثيرة تختزل معادلة الصراع الحضاري العالمي، نطرح في خاتمة مقاربتنا هذه بعض الأفكار والتوصيات التي نرجو أن تسهم في ترميم التصدعات الجاثمة على الخارطة الهوياتية للتنوع الطائفي والديني والثقافي بوطننا العربي، لتحقيق سبل انعتاقنا من مد المركزية الغربية المحرضة على العنف والإرهاب والتكفير وويلاته، وإرساءً لدعائم سبل تحقيق التعايش الثقافي والديني وفق المنهج الإسلامي الصحيح الذي بينه محمد عمارة، نطرحها في النقاط التالية:

1- ارساء قواعد التعايش السلمي وتعلم سُبل التّعايش بين الثقافات والأديان المختلفة لن يكون برفع الشعارات الزائفة، وإنما يتحقق ذلك بتضافر جهود جميع الأطراف داخل العالم الإسلامي باستخدام لغة العصر وأدواته في نشر الفكر الاسلامي الوسطي، وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني المختلفة، ونشر ما يحث عليه الدين الإسلامي من قيم التسامح والتعايش بين المذاهب، خاصّة في المناهج التعليمية تعليمًا وتربية لهم على اتقان فن حقوق الانسان، تحت اشراف مختصّين في المجال

---

1 – الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح – فرص التعايش بين الأديان والثقافات، مصدر سابق، ص9.

وليس مجرد درس يتم إلقاؤه وفقط لتنتهي المهمة عند ذلك، فالأمر أكثر من ذلك بكثير.

2- من الضّروري بعث سبل تجديد الثّقافة العربية خاصّة الخطاب الديني، وتفعيل دوره في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية بجميع طوائفها بعيدًا عن جدل التعصب للعرق أو المذهب...الخ، وقوفًا في وجه الخطابات الفلسفية الجديدة المغلفة بقيم الاستشراق ذات الطابع الاستعماري الجديد، وهذا كله تأسيسًا لنوع جديد من الاستشراف المستقبلي لأمة اسلامية جديدة ولدت من رحم الانبعاث الحضاري الإسلامي القويم، بعيدًا عن الصراع الديني المدعم من أطراف خارجية تكن الحقد والكره لكل ما يمت للإسلام بصلة.

3- لقد أنتجت فلسفة ما بعد الحداثة انسانًا غربيًا ثاناتوسيا، مخربًا للعالم ناسفًا للقيم حقوق الانسان وشتى أنواع التعايش الثقافي و الديني السلمي القائم على مبدأ قبول الثقافات والأديان ضاربًا بكل ذلك عرض الحائط، ومرسيًا بدل ذلك مفاهيم جديدة من قبل: الهدم، التشظي، المركزية الغربية، الإسلاموفوبيا...إلخ، ساعية إلى نشر هذه المفاهيم وترسيخها في الأذهان، تحت غطاء وأقنعة مختلفة تختزل معادلة صراع الأديان بمختلف أبعادها.

4- تعتبر أحداث 11- 09- 2001 بمثابة النبوءة التي أكدت نظرية صراع الحضارات الهنتنغتونية والتي اتخذت منها الولايات المتحدة الأمريكية مطية لشحذ الهمم وتفعيل الحراك العالمي ضد الهوية الثقافية الاسلامية، وهو ما جعلها تقرع طبول الحرب معلنة المعركة ضد محور الشر كما قال جورج بوش آنذاك، لتعلن بعدها عودة ما سمي بالحروب الصليبية من جديد ونتائج ذلك ماثلة أمامنا في كثير من الدول لعل على رأسها العراق وسوريا حاليًا من انفراط كبير لمد الصراعات الأيديولوجية المفتتة لكيان الدول والناشرة للفتن الطائفية، التي أصبحت تفتك يومًا بعد يوم بقيم التعددية الثقافية للأمة العربية والإسلامية .

5- فرق كبير بين نظرة الفلسفة الغربية الوضعية في نظرتها لقضية التعددية الثّقافية ووجهة نظر الهدي النبوي الذي بينه محمد عمارة في التأسيس لهذا الحق

المشـروع فالقوى الغربية انطلقت من اكراهات حتمتها عليها الشـعوب ما اضـطرها لوضـع ميثاق عالمي لحقوق الانسـان منها حق التعدد الثقافي و الديني، فضـلا عن السياسـات الاسـتعمارية في الاتخاذ من هذه الفلسـفة مطية للسيطرة على الشعوب، اما الهدي النبوي فقد كان امرا تلقائيا تلبية لنداء الفطرة فضـــلا عن تنفيد أمر رباني صالح للتطبيق في كل زمان ومكان على اختلاف الثقافات وتنوع الأديان.

6- العنصرية والتفرقة بين الأديان والشعوب والأعراق والثّقافات في الدول الغربية نابع من فلسفة عنصرية متأصلة في الفكر الغربي بداية بأفلاطون وصولا لفوكوياما و هنتنغتون وغيرهم الكثير ترى أن الانسـان الغربي أسمى وأعرق ثقافة وأرفع دينا وهو ما جعل العديد من الفلاسـفة الغربيين المنصـفين أمثال جان جاك روسـو وايريك فروم وروجيه غارودي ونعوم تشومسكي... يوجهون نقدهم اللاذع لما وصلت له الحضارة الغربية من عنصرية تجاه الدين الاسلامي فهذا الأخير – نعوم تشومسكي- يعتبر أبرز المفكرين الذين يقفون في وجه السـياسـات الغربية التي تتخذ من فزاعة حفظ حقوق الأقليات الدينية والثقافية لتقسيم الشرق الأوسط وتفتيته مقيمة شرق أوسط جديد يخدم مصالها وفقط.

7- لابد من تضـافر جهود جميع الدول العربية الإسـلامية سـواء على مسـتوى الحكومات أو على مسـتوى الشـعوب، وتُحدث فيما بينها تعاون وتنسـيقات عالية المستوى، وتكثيف الجهود أكثر على مستوى النخب الثّقافية بما أنها فئة تنويرية بإقامة مؤتمرات وندوات للتباحث في سـبل بعث الهدي النبوي في نظرته لفكرة التعددية الدينية والثقافية، إلى جانب العمل على دعم منظمات المجتمع المدني والعمل على تغلغلها داخل النسيج الاجتماعي للمجتمعات العربية والإسلامية حتى تنتشر التوعية أكثر بمخاطر الفتن الطائفية وأثر ذلك على الهوية الإسـلامية ومدى تماسـك المجتمع تجنبا للانزلاقات الوطنية نحو العنف والدموية.

8- انتشـار دواعي حوار الأديان وتمازج الثّقافات وتلاقح الحضـارات والمعرفة الكونية...إلخ، كلها تقريبًا صنعت لأغراض سياسية بحتة ساعية إلى إحكام السيطرة على العالم، ونشـرًا للنموذج الثّقافي الأمريكي، بدعوى أنها هي الأجدر بقيادة العالم

كما أعلن عن ذلك صـــامويل هنتنغتون على اعتبار أنها ثقافة مركز القوة في العالم، فهي مجرد شعارات رنانة زائفة مزركشة بصورة بهية من الخارج، في حين هي انتهازية استعمارية من الداخل.

المصادر

1- القران الكريم

2- عبد الحكيم منصور، حكومة العالم الخفية، الماسونية والثورات العربية بين الحقيقة والافتراء/ القاهرة 2012

3- الغرباوي، ماجد، اشكاليات التجديد، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 2001

4- الغرباوي، ماجد، الضد النوعي للاستبداد، مؤسسة المثقف العربي، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات،ط1، 2010.

5- مالك بن نبي، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي، دار الفكر، سوريا،ط9

6- الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الاديان والثقافات، الحضارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، ط1، 2018.

7- نجيب الحصادي، جدلية الانا والاخر، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ط1 : القاهرة 1996

8- اليكس ميشكيللي، الهوية، ترجمة علي وصفة، دار الوسيم، دمشق، ط1، 1993.

محطات بارزة في فكر التجديد
عند ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة علجية عيش[1]

سؤال يتبادر إلى الذهن ونحن نقف مع قامة فكرية في الساحة العربية، مثل ماجد الغرباوي. أين نصنف الفكر الغرباوي؟ هل نصنفه ضمن قائمة المفكرين المشهورين سواء كانوا عرب أم أجانب. وهل وصل ماجد الغرباوي بفكره الشمولي أو الكوني الى العالمية القائمة على الأسس العقلية؟، وهل سيلقى فكره قَبُولا لدى الآخر (الفكر الغربي) في حالة ما إن ترجمت أعماله الى لغات أجنبية، فماجد الغرباوي من خلال بحوثه عرف بانفتاحه على العالم، من خلال دعوته الى التجديد وإخراج الأمة العربية والإسلامية من مستوى الانحطاط الذي بلغته في مرحلة ما.

استطاع ماجد الغرباوي بفكره أن يشغل مساحة واسعة لنشر أفكاره. والمتتبع لكتاباته يقف على أن الغرباوي، مُنَظِّرًا وناقدًا ومجددًا، حيث تدور ابحاثه حول الخطاب الديني وتحرير العقل البشري من بنيته الاسطورية، مسلطا الضوء على كثير من المشكلات التي حظيت بنقاشات واسعة لدى النخبة المثقفة متخذا في ذلك مسارا جديدا في عالم الفكر والاستبصار. كما تناول قضايا تتعلق بمرجعيات الفكر الديني، حاول من خلالها إبراز سبب إخفاق الوعي الديني ولماذا انتصر الآخر علينا، كما تناول قضايا المرأة من وجهة نظر فلسفية تحررية، وما يمكن تقديمه من حلول مخاطبا في ذلك النخبة المثقفة من أجل فهم متجدد للدين، كشرط أساسي لأيّ بناء

1 – كاتبة وصحفية جزائرية

حضاري، ويمكن القول أن ماجد الغرباوي قد أشبع طرحا مستفيضا في كتبه وأبحاثه متتبعا الواقع الراهن وهو يرد على سؤال النهضة.

في هذه الورقة المتواضعة نقف على "النظرية الغرباوية" وما قدمته من أفكار ورؤى حول الإنسان في تقدمه تارة وتأخره تارة أخرى وفق ما تقتضيه الظروف، فكتاباته تأتي لتدعم جميع توجهاته في المجالات السياسية والفكرية، لامس من خلالها الوضع العربي وما يعانيه من مشاكل تعيق ازدهار الحركة الفكرية والسياسية والثقافية. فجل كتابات الغرباوي تدعو إلى تنوير العقل البشري وتحريره من القيود والتبعية السياسية والإقتصادية وحتى الفكرية عن طريق الحوار مع الآخر وممارسة النقد بأسلوب عقلاني حضاري، من أجل تقارب الأفكار بين الرأي والرأي المخالف/ المختلف، وبالأخص الصراع الدائر حاليا من جهة بين الحركات الإسلامية التي تبنت العنف كحل سياسي. ومن جهة أخرى حول مسألة الطائفية. ففي كل إصدار له نجده يغوص في إشكالية الأنا والآخر، الثابت والمتغير، المقدس والمدنس، يراجع فيها المفاهيم والأفكار حتى لا يُعَرِّضَ الوعي للإخفاق، خاصة حين ينفعل الوعي بالعالم الخارجي فيحوله ويُكَيِّفُهُ ويُغَيِّرُهُ، جعله ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أبعد منها، إلى أن وصل إلى المرحلة الراهنة التي لم يستطع تعدّيها أو تجاوزها، لأن الأنظمة تغيرت وقوانين النظام الإجتماعي لم تعد ثابتة، في ظل نزاعات حزبية وسياسية معينة ومواقع إيديولوجية أثرت بالطبع على مضامينها وجديّة تمثيلها لموقف من المواقف، خاصة وأن المحدثين الأوائل كانوا فئات متفاوتة المشارب والثقافة والقدرة على الاستيعاب، فكان الغرباوي شديد الحذر إزاء النصوص.

وقد شهد فكره الكثير من الباحثين الأكاديميين الذين أشادوا بمشروعه الفكري الذي أثرى الساحة الفكرية والثقافية العربية، ورغم أن أسلوبه يتميز أحيانا بالتعقيد، لأنه يبتعد أحيانا عن الخطاب المباشر أي المصارحة، إلا أن أفكاره تتفق في مجملها مع الكثير من المفكرين التنويريين. فقد حرص الغرباوي على تقديم أفكاره ورؤاه وفق معطيات منطقية لامس فيها روح الواقع بنظرة علمية متفتحة، ما يعني قدرته على "المناظرة" والتحدي من أجل كشف الحقيقة ورفع اللبس عن القضايا المعقدة، في سبيل الارتقاء بمشروعه الفكري، كما نرى ذلك في كتابه الذي ناقش فيه "إشكاليات

التجديد"[1]، وكتاب "التســامح ومنابع اللاتســامح"[2]، خاطب فيها الإنســان، هذا الإنســـان الذي تطور في تمثله حركة العالم، بحيث ينظر إليه نظرة تاريخية، باعتبار أن التاريخ مادة متحولة متحركة، وفي كل حركة تاريخية يتحرك معها الإنســـان، يظهر ذلك في عمله الجماعي، يتكون وينمو، فيضــفي على نفســه صــفة الواعي المدرك لمســؤوليته في العالم المعاصــر، وقد يتأخر لظروف اجتماعية تؤثر عليه ومحيطه والبيئة التي يعيش فيها، فتجده يمشـــي بخطى مترددة كما أنه يتأهب لخوض معركة مريبة الخاتمة، فمن خلال ما وقفنا عليه من إصـــدارات آلينا أن نقرأ الغرباوي وما تحويه نظرياته من أطروحات، وأن نتأمل نصوصه في سياق الموقف الإجتماعي والسياسي السائد في الوقت الراهن.

التجديد عند الغرباوي هل هو ضرورة حضارية؟

فكتاب "إشـكالية التجديد" كان عبارة عن أسـئلة طرحها ماجد الغرباوي، هي أسئلة فرضتها حالة التخلّف والانحطاط الذي بلغته البشرية، فكانت موضع اهتمام الدارسين والمفكرين رفدت أقلامهم الوعي بكل جديد، من أجل نهضة حضارية تعيد للمسلمين مجدهم الضائع وأبقتهم في دوامة السؤال والبحث كمنتج فكري عن سبل كفيلة بإنجاز نهضــة تمثل هويتهم، وتجسّــد قيمهم ومبادئهم، لدرجة أن الكتاب طبع ثلاث مرات، الأولى في سنة 2000 ضمن سلسلة كتاب قضايا إسلامية معاصرة، والثانية سنة 2001 ضمن نفس السلسلة في بيروت، والطبعة الثالثة، صدرت عام 2017م، مع مقدمة بعنوان: التجديد والفعل الحضـــاري في ضـــوء التحول الثقافي والفكري. إذ يرى ماجد الغرباوي أن التبعية إحدى مظاهر التخلف، لأننا نعتمد على الغرب في كل ما نحتاجه، حتى ثرواتنا التي يحتاجها الغرب يصـــعب علينا فرض

---

1 – الغرباي، ماجد، إشكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني – استراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2017م.

2 – الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2008.

شروطنا عليه إلا بصعوبة، ومكمن الخطر أن الشعوب لا تعي مخاطر التبعية[1]. ويمكننا هنا أن نقارن بين فكر الغرباوي ومالك بن نبي في مسالة التبعية فهما يتقاسمان الفكرة لكن لكل منها طريقته الخاصة، بحيث سماها مالك بن نبي بـ: "القابلية للاستعمار"، وهو يطرح سؤال النهضة ليجد علاجا للمشكلات الحضارية وسلوكات المجتمع التي ادت إلى اتساع الهوة بين الإنسان وواقعه الذي تحكمه ظروف تاريخية، وجد نسه عاجزا عن التوفيق بين حاضرة وماضيه الحضاري.

فنحن نقرأ بحوث الغرباوي خاصة ما تعلق بالتراث والحداثة، وكأننا نقف على متطلبات حوار الحضارات وضمان استمراريته (اي الحوار) وفعاليته، الأمر طبعا وكما يقول مفكرون يقتضي الإيمان بالحوار، والتقيد بتقنياته وأساليبه والإتفاق على مرجعيته المتمثلة في العقل أو المنطق، كنهج أساسي في العلاقة مع الآخر، أي توجيهه الوجهة الصحيحة في حسم الخلافات والنزاعات، وهذا يطرح تساؤلا هو كيف يمكن التوفيق بين خطاب العقل وخطاب العاطفة (العاطفة الدينية) وكيف يمكن ربط العقل بالمفاهيم المتناسقة (الوعي، الفكر، الثقافة والتراث) وإن كان بالإمكان الوصول إلى قناعة ترضي الطرفين وتخدم الجميع، خاصة في مجال إعمال العقل في النص الديني وإعطائه صبغة "القداسة"، كونه ينظم كل مناحي الحياة،

ويشير ماجد الغرباوي إلى ما تعانيه الشعوب من استبداد سياسي صعب عليها تقرير مصيرها بنفسها، سواء التي تعيش تحت نير الإستعمار، أو التي تمارس حكوماتها التسيير الاستبدادي الدكتاتوري، من خلال مصادرة الرأي وقمع المعارضة وتلجأ إلى تكميم الأفواه عن طريق الاعتقالات، فتجده دوما يبحث عن المخرج من أجل وحدة الأمة التي تعتبر جزءًا من الدين، وهي قضية الإسلام ولا يمكن أن تنفك أو تنفصل عنه.، ويربط ماجد الغرباوي الاستبداد الديني في العالم العربي والإسلامي بانتشار الفكر التكفيري، الذي قادته حركات إسلامية متطرفة وهذا بسبب القراءات الخاطئة للقرآن وتأويلاته والفتاوي التي أباحت قتل الآخر، وهتك عرضه وحرمته، ومما زاد في تفاقم الحالة تعدد الخطابات، بين الدينية، الطائفية والقومية، هذه الخطابات أزهقت

---

1 - اشكاليات التجديد، مصدر سابق، ص 11.

الحق بدلا من أن تزهق الباطل، فماجد الغرباوي في هذه المسائل يحاول إحقاق الحق، وهو في هذه الحالة يسير على نهج بعض المفكرين، من بينهم واصل بن عطاء الذي يعتبر أول من قال أن الحق يُعْرَفُ من وجوهٍ أربعة: "كتاب ناطق وخبر مجتمع عليه وحجّة عقل (القياس) وإجماع"[1].

ولذا يرى ماجد الغرباوي أن التجديد ضرورة حضارية، منبثقة عن حركة الأشياء[2]. الملاحظ أن الغرباوي يربط التجديد بالحداثة التي باتت ضرورة حضارية، رغم الهجوم الكاسح ضد المجددين، وصل إلى حد القذف والاتهام والطعن في الأعراض، والتجديد في نظر الغرباوي لا يعني إلغاء الآخر أو إبعاده ووضع آخر في مكانه، وإنما يعني به تحديث أدوات التفكير عبر مناهج ونظريات حديثة، خاصة في المسائل الدينية من أجل فهم الدين ومقاصده وغاياته ..الخ[3]، في ضوء تكون وعي الإنسان، وهذا يحتاج إلى مراجعة الثوابت والفكر والثقافة، رفع الجمود على النص وتقليد السلف، والانتقال من أسلوب التلقي الأعمى إلى البحث فلا يجب ان ننساق وراء حمايات لا نعرف عنها شيئا، أو نشارك من حيث لا نشعر بطقوس وممارسات تمتص طاقتنا ولا تساهم في إثراء النهضة.

و قد تحدث ماجد الغرباوي عن دور الثقافة في تحديد اتجاه الوعي، وقارن بين الثقافة المنغلقة والثقافة النقدية الجادة (المنفتحة)، الأولى كما يقول تفضي إلى واقع سلبي، يغيب الوعي، وينتقد ماجد الغرباوي تزييف الوعي، ويؤكد ان الأمّة بحاجة إلى وعي رسالي[4] ومكافحة الغلو والتطرف الفكري، في إطار مبني على منهج صحيح بعيدا عن الخطابات التحريضية من أي جهة صدرت ما دامت المسألة قابلة للبحث والدراسة، من وجهة نظر غرباوية فإن تخلف المسلمين سببه انقسامهم أمام النهوض

---

1 – علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، الطبعة السابعة، 1977م، ج1، ص395.

2 – اشكاليات التجديد، مصدر سابق، ص 23.

3 – المصدر نفسه، ص 24.

4 – المصدر نفسه، ص 24.

الحضاري، الأول منبهر بالغرب، حيث تبنى ثقافة التغريب، وصل به الأمر إلى حد التبعية، الثاني أصولي متعصب للتراث ولا يرى غيره رافضا معطيات الحضارة الحديثة، والثالث عاد لمراجعة التراث يستنطقه دون التغلغل في أعماق الوسط الإجتماعي مهملا الجانب المعرفي[1]. ولذا ترى النظرية الغرباوية أن الوعي يشكل نقطة انطلاق في مهام التجديد، والوعي عند الغرباوي يعني إدراك الواقع وتشخيص أخطائه[2]، وإعادة النظر في إشكالية الحوار مع الآخر المختلف وفق مبدأ قرآني، دون أن ينسى دور المثقف في تكوين بنية المجتمع فكريا وفي تجديد هويته الثقافية، حيث يدعو الى منهجة الثقافة والمعرفة، وترك عملية الدفع الإجتماعي تأخذ مجراها، في إطار ديناميكية التناسق أو التضامن طالما في المجتمع البشري فئات مختلفة.

تحديات العنف والتطرف عند الغرباوي

وتشكل ثقافة العنف عند الغرباوي تحديات خطيرا لوجود الانسان منذ القدم، ولا يزال العنف من أخطر التحديات وأكثرها تعقيدا، وبات من الصعب العثور على طريقة تهدي إلى تشخيص الحلول الناجحة لتسوية الازمات، التي تفاقمت في العقود الاخيرة من القرن المنصرم وهذا القرن حتى تحول العنف الى سلسلة أعمال إرهابية وموجة تفجيرات وعمليات انتحارية طالت مناطق واسعة من العالم، اتهمت الرسالة السماوية بالدموية، حتى بات العنف علامة فارقة تتصف بها الحركات الإسلامية جميعا[3]. ما يلاحظ أن ما جاء في هذا الكتاب قد اشتمل على تقرير، تحدث فيه ماجد الغرباوي عن التكثيف الاعلامي المضاد لوسائل الاتصال الحديثة، بطريقة متهورة أحيانا، ليست أقل خطر من الأعمال الإرهابية ذاتها التي يرتكبها البعض باسم الدين، بل بات المسلم في نظر هذه الشعوب حيوانا مفترسا لا يستحق الحياة،

---

1 – المصدر نفسه، ص 47.

2 – المصدر نفسه، ص 54.

3 – الغرباوي، ماجد، تحديات العنف، الحضارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2009، ص 95.

بعد تجرد الإرهابيين من قيمهم الإنسانية وارتكابهم أعمالا مخزية ضد البشرية، أو ضد التطور الحضاري، فصار العنف يشكل تحديا كبيرا للمشروع الإسلامي الحضاري.

فماجد الغرباوي يطرح مسألة العنف من وجهة نظر فلسفية، هل هو حقيقة أم هو استعداد قابل للتطور والتفاقم؟ وهل هو حاجة غريزية؟ أو فعل إرادي يمكن السيطرة عليه؟ أم أمرا عارضا على الإنسان يمكن التخلي عنه؟، يقول الغرباوي أنه صعب الإجابة على هذه الأسئلة[1]، لأن هناك اختلاف في الرؤى والتصورات بين الفلاسفة والإنتروبولوجيين، خاصة إذا كانت السلطة تسعى لتأسيس دولة تنضبط داخلها الأمور كلها، ونجد هنا أن الغرباوي قد استعان بحوار الإنتروبولوجي المغربي عبد الله حمودي[2]، إذ يؤكد في الصفحة الموالية للكتاب أن مشكل العنف مشكل شائك وحضوره قائم، بمعنى أنه لن يكون مآله الزوال ومن ثمّ القضاء عليه مستحيل، في البداية انطلق الغرباوي من تاريخ نشأة العنف عندما تحدث عن حادثة ابني آدم (قابيل وهابيل)[3] التي عكست طبيعة العلاقات التي مر بها الإنسان خلال مراحل حياته، وهذا يعني كما يقول هو أن تاريخ البشرية بدأ بالعنف في أول خطواته، مقدما في ذلك صورة واضحة لفكرة "الجهاد"،إن كانت تعني قتل الأبرياء الذين يختلفون معهم دينيا أو مذهبيا أو تعني تفجير الساحات العامة والمباني والمؤسسات ومحطات النقل؟ وهل من الجهاد قتل الذين يمارسون شعائرهم الدينية بأسلوب انساني مسالم؟ وهل من الاخلاق قتل النساء والاطفال وذبح الاسير، من الوريد الى الوريد؟ انها أعمال وحشية لا انسانية فكيف يرتضيها دين الاخلاق والقيم الانسانية[4].

يقول الغرباوي أنه حان الوقت لمقاربة الاسئلة الممنوعة واستنطاقها والتنقيب عنها في أعماق التراث بحثا عن مكوناته وآليات تكوّنه، إذ ما زال التراث يتحمل القسط الاكبر من مسؤولية التخلف الحضاري للمسلمين، يكون ذلك عن طريق فتح

---

1 - المصدر نفسه.
2 - المصدر نفسه، ص 96.
3 - المصدر نفسه، ص 32.
4 - المصدر نفسه، ص 20.

حوار مع الذات عن الخلفية التي ينطلق منها الأصولي والمتطرف في ارتكابه ممارسات إرهابية وإقدامه على عمليات انتحارية ضـــد الناس الأبرياء، فالتمادي في ممارســـة "الإرهاب" المسـلح دون مناقشـات علمية للبنى العقدية القائمة عليها، سـيجعل من الأخيرة مرجعية يرتكز إليها كل من يبغي محاربة الآخر ممن يختلف معهم دينيا أو فكريا أو عقديا، لدرجة أنه ظهر الخلط في تحديد المفاهيم، فلا يوجد تعريف متفق عليه بخصوص مفهوم الإرهاب، ففيما يعتبره البعض عنفا واطرفا يراه البعض على أنه إقدام وشجاعة من أجل استرجاع حق مغتصب[1]. في كل هذا وذاك يقارن الغرباوي بين ما تمارسه الجاليات العربية والاسلامية التي تعايشت مع الآخر ونشأت بينهما علاقة مفعمة بالتسـامح والاعتراف بالتعدد الثقافي والديني في الوقت الذي مارست فيه بعض شرائح المجتمع، كل أشكال العنف المسلح حتى صار العنف سلوكا يوميا عندها، بل تحول إلى ثقافة وفكر وعقل ومنهج في التفكير؟ ويرجع الغرباوي السـبب إلى تسـلط الأنظمة على شـعوبها وتدميرها القيم الانسـانية، واسـتنبات قيم جديدة اعتمدت العنف واستباحت المحرمات الانسانية والدينية.

جدلية العنف والتسامح في المشروع الإصلاحي لماجد الغرباوي

هل الغرباوي رجل إصـلاح؟ ومن ثم يمكن ضـمه إلى قائمة الإصـلاحيين مثل الكواكبي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني، هذه الأسـئلة تقودنا إلى تحديد مفهوم الإصـلاح عند الغرباوي، فهو يرى أن الإصـلاح واقع مادي جوهري وله قيمة فوق تجريدية وهو مرتبط بالتجديد[2]. حتى الذين تابعوا كتاباته أجمعوا على أن ماجد الغرباوي لم يذكر الإصـلاح إلا وأردفه بالتجديد وفي جميع حواراته، لم يكن يفصـل التجديد عن الإصـلاح والعكس، كما أن جل رجال الإصـلاح في المشـرق العربي والمغرب العربي ركزوا في دعوتهم على مصـطلحات تشـمل التجديد والإصـلاح

---

1 - المصدر نفسه، ص 21.

2 - الرزوق، د. صالح، جدلية العنف والتسامح.. قراءة في المشروع الإصلاحي لماجد الغرباوي، دار نينوى، دمشق – سوريا، 2016م، ص 42

والتســـامح والتعايش، اكتســـبوا من خلالها درجة من التقديس أبعدت عنهم كل الشبهات والتهم، وهذا الكتاب يعتبر متمما أو مدعما لما سبقه، ولذا اهتم الغرباوي من بين كل الإصـــلاحيين بالأفغاني[1]. إذ يرى الأفغاني في إصـــلاحه أنه إصـــلاحي نهضـــوي وكان مجددا رغم أن العاطفة الإســـلامية تغلبت على انبهاره بالحداثة، يقول الغرباوي ان إسلاميات الأفغاني كانت موضع تشكيك من السلفيين[2].

أما مسـألة النهضـة، فالغرباوي يعرضـها كأطروحة ثابتة تشـمل مفهومين: الأولى إحياء وبعث الدين بلا انحرافات، والثانية ربط السياسـة والأفكار بالعقائد، مقدما في ذلك شيخ الإصلاح محمد حسـن النائيني منظر الحركة الدستورية "نموذجا"، لاسيما والشـــيخ النائيني وبغض النظر عن مذهبه، فهو يشـــترك مع رواد الإصـــلاح بنفس الاســـتراتيجية، وقد واجه نقاشـات وجدالات وتسـاؤلات ومعارك فكرية متعارضـة، ويبدو أن الغرباوي من بين المتأثرين بفكر محمد حســـن النائيني بحكم نظرته الخاصـــة للإنسـان وكيف يمكن أن يعيش، أكونه دقيق النظر في المسـائل المعقدة والمستعصـية حلها لاســـيما في الجانب العقدي دون أن يهمل الجانب الذي يعتبر الأســـاس في دعوته كتهذيب الأخلاق والمعاملات من أجل تحقيق الفضـــيلة[3]. فهو مثلا يرفض الجهاد ضد الحاكم المسلم في المقابل يقبل بالأعمال الحربية ضد الإستعمار، المسالة هنا هي مســـالة موازنة بين الدعوة والدولة والإســـلام هو الفكرة الســـائدة في هذه الموازنة، ما دفع المفكرين للتساؤل عن من يملك الاستقلالية المطلقة الدين أم الدولة؟ وربما ماجد الغرباوي واحدا منهم، بدعوته إلى اسـتخدام العقل في القضـايا المصـيرية والتعقل في كل المسائل التي تتعلق بالإنسان كجوهر.

---

1 - المصدر نفسه، ص 46.
2 - المصدر نفسه، ص 25.
3 - المصدر نفسه، ص 30.

موقف ماجد الغرباوي من المدارس النسوية

لا ينفك ماجد الغرباوي أن يقحم المرأة في أطروحاته، ففي كتابه "إشـــكالية التجديد" اعتبر المرأة مقياسا لتطور المجتمع، وقمعها يعتبر أحد علامات تخلفه، حيث تعيش المرأة مســلوبة الإرادة والاختيار، بينما تعيش المرأة في الغرب إنســانا كاملا في الحقوق والواجبات[1].

وقد كانت هناك قراءات حول رؤية الغرباوي لقضـــية المرأة، منها القراءة التي أجراها الدكتور محمود محمد علي في كتاب: "الفلســفة النســوية في مشــروع ماجد الغرباوي التنويري"[2]، فالمدارس النسـوية بتعدد أفكارها وإيديولوجياتها تسـعى لإعطاء وجها جديدا للمرأة في إطار التغيير السياسي والاجتماعي والثقافي، وتحديد العلاقات بين الجنسين، وصولا إلى المساواة المطلقة كهدف استراتيجي، وقد انقسمت المدارس النسوية في خطاباتها بين خطاب معتدل وسطي وخطاب متشدد متطرف وتولد عن هذين الخطابين العداء والصراع بين الجنسين.

لقد مرت المدرســـة النســـوية بعدة مراحل وموجات من أجل تمكين المرأة في المجالات المختلفة: السـياسـية والاجتماعية والاقتصـادية، معتمدة في ذلك على عدد من المفاهيم الرئيسية خلال مراحلها المختلفة من أجل تفسير الواقع السياسي، فنجد من هذه المفاهيم كلمة "الجندر" (Gender) الذي ظهر مع كتابات ســيمون دو بوفوار، وهو يعني النوع الإجتماعي الذي يمكن القول أنه أصــبح المفهوم المركزي للحركة النســوية كلها، وقد واجهت المدرســة النســوية بكافة مراحلها موجة انتقادية وهجومات واتهامات كذلك، بحجة أن هذه المدرسة تأسست لضرب الأسرة وتدميرها كمؤسسة أولى في التنشئة الإجتماعية، خاصة ما تعلق بـــ: "الجندر" نظرا لكون هذا

---

1 – اشكاليات التجديد، مصدر سابق، ص 30.

2 – محمد علي، د. محمود، الفلسـفة النسـوية في مشـروع ماجد الغرباوي التنويري، مؤسـسـة المثقف، سيدني – استراليا، ودار الوفاء، الاسكندرية – مصر، 2021م.

المفهوم يخرج عن الإطار المجتمعي والثقافي، كما يتعارض بشـــكل صـــريح مع الأطر الدينية التي تتبناها المجتمعات العربية والإسلامية.

في معرض رده على سؤال الدكتور محمود محمد علي حول الأطر الثلاثة للنسوية: (النظرة النسـوية الإصـلاحية، النظرة النسـوية المقاومة والنظرة النسـوية المتمردة) حيث تسـعى الأولى إلى تحسـين ظروف المرأة والارتقاء بأوضـاعها الإجتماعية، والثانية تركز على العنف والقهر الجنســي الموجه ضــد المرأة، يقول الأسـتاذ ماجد الغرباوي: (إن قضـايا المرأة متشعبة ومركبة، وتسـويتها تقتضـي تفكيك أنسـاقها، والبحث عن جذر القهر والاضطهاد)[1]، ويرى أن هدف النظرية الإصلاحية إصلاح أحوال المرأة المعيشية والإقتصــادية فيكون الإســتغلال وجهتها (وهذا النوع من التشــخيص لا يمس جذر المشـكلة، ويعالج قضـايا فوقية، رغم الأهمية الاقتصـادية)[2]، دون التعمق في القضـايا الجوهرية العميقة التي تواجهها، وهنا يتساءل الغرباوي إن كانت المشـاكل الإقتصادية بديل عن الوعي ودوره في تعزيز القيم الإنســـانية. الملاحظة التي ســـجلها ماجد الغرباوي ان مشكلة المرأة هي ثقافية عامة يشترك فيها الفرد والمجتمع، فلا هي مشكلة أنثوية ولا هي ذكورية، فماجد الغرباوي تناول بالنقد والمراجعة المدارس النسـوية، وبيّن موقفه منها، كالمدرســة النســوية الاصــلاحية، الاشــتراكية، الماركســية، الراديكالية والراديكالية المتطرفة، كما قارب مسـألة النسـوية العربية أو كما سمّاها العرْبُ إسـلامية، وبيّن خصـائص البيئة والثقافة، وضـرورة أخذهما بعين الاعتبار حين عالج قضـايا المرأة، وهناك تفصيلات كثيرة يمكن مراجعتها ضمن صفحات الكتاب.

ويوضـح الغرباوي كيف كان ينظر الرجل للمرأة في القرون التي خلت، بحيث كان ينظر إليها نظرة مقدسة بل يضعها في مرتبة الآلهة، بخلاف اليوم أسقطت منها صفة القدســية وأصــبح ينظر إليها نظرة دونية، ويرجع الغرباوي هذه الأحكام إلى الفارق البيولوجي أو الجنســـي للمرأة والرجل، أما موقفه من "الجندر" عندما تحدث عن أساسيات الجغرافية النسوية وقال أن دراسة الجندر ومظهر الأرض أو كما يسمى بــ:

1 - المصدر نفسه، ص 157.

2 - المصدر نفسه.

"اللاندسكيب" وتقصي أثر النوع والخلفية الثقافية والإجتماعية للإنسان في تشكيل هذا المفهوم، إلا أنه يوضح أكثر، أن مهمة الجندر نقد وتحليل النظرية التي تعتقد أن الفوارق الإجتماعية بينهما تم تزويرها لتعزيز السلطة الأبوية، وخلق قناعة لدى المرأة بأن مهمتها محصورة بالأمومة والمنزل[1].

ودعا الغرباوي إلى إعادة تشكيل الوعي من خلال تفكيك الأنساق الثقافية والمهيمن الفكري، وتشكيله على أسس إنسانية[2]، حيث ينظر للمرأة نظرة إنسانية عادلة، وذلك عندما تحدث عن الوظيفة البيولوجية للمرأة، إذ يرى أن هذه الوظيفة كانت وراء تصنيفها، فهي بالنسبة للرجل جسد، مرتهنة لقوته وإرادته جنسيا. يقول: (لا يخفى أن الوظيفة البيولوجية للمرأة كانت وراء تصنيفها. فهي بالنسبة للرجل جسد وطبيعة بيولوجية مغايرة)[3].

من هذا المنطلق يبدو أن المفكر التنويري ماجد الغرباوي يؤيد الثورة النسوية المتوازنة ودورها في بناء الوعي في رده على الراديكالية المتطرفة التي تبيح الإجهاض وإقامة العلاقات الجنسية الغير شرعية، وحق المرأة في ممارسة السحاق، وما شابه ذلك وهو بذلك يتحيز إلى ثورة فكرية ثقافية يكون التنافس الفكري فيها مسموحا ومشروعا، أي دون هيمنة فكرية أو تعصب فكري وبعيدا عن ثقافة "الندّية"، وكان الأستاذ ماجد الغرباوي قد ناقش مثل هذه القضايا في كتابه: " المرأة والقرآن" وأعطاها أبعادها الفكرية والإجتماعية والدينية، لاسيما قضية حجاب المرأة، وعاد به إلى زمن الرسالة المحمدية، حيث ربطه بالحياء والاحتشام، ونقف هنا مع موقف الغرباوي عندما قال: "هناك من ترتدي الحجاب عن قناعة باعتباره شعيرة دينية، وهناك حجاب تفرضه العادات والتقاليد، وثمّة حجاب يخفي تمردا أنثويا"[4]، وممّا

---

1 - المصدر نفسه، ص 142.
2 - المصدر نفسه، ص 159.
3 - المصدر نفسه، ص 136.
4 - المصدر نفسه، ص 217.

تقدم، يطالب الغرباوي بإعادة قراءة حكم الحجاب في الشـــريعة ودعوات خلعه وحالات التمرد عليه من باب نظرية العبودية.

قراءات للفكر الغرباوي

ما وقفنا عليه من أعمال الغرباوي يعتبر شـيئا قليلا، لأن نصـوصـه تحتاج إلى قراءات وتحليل، كانت هناك قراءات أجرها كثير من المفكرين، فقد حظي فكر ماجد الغرباوي باهتمام كثير من الباحثين الأكاديميين والمختصين في الفلسفة ومنهم الدكتور محمود محمد علي، الذي قدّم لمشـروع الغرباوي قراءات فلسـفية متعددة، عرض فيها أفكاره وموقفه من القضايا المطروحة لاسيما التي تلقى جدلا بين الباحثين والمفكرين. خصوصا في كتاب الفلسفة النسوية.

كذلك نقف مع القراءة التي أجراها الدكتور قادة جليد أسـتاذ الفلسـفة بجامعة وهران غرب الجزائر، حيث اعتبر الغرباوي ظاهرة فكرية وثقافية في العالم العربي الإسلامي لأنه مثقف نقدي يبحث في المعنى وعن فهم جديد للقضايا الفكرية التراثية والإنسانية، ومثقف عضوي لأنه منخرط في عملية التغيير الإجتماعي وهذا ما يجعله مختلفا عن المفكرين الآخرين، خاصـة في مسـألة التراث، فالغرباوي يعتقد أن الفهم الذي نعنيه اليوم بالتراث غير مطابق لحقيقة التراث وبالتالي هذا الفهم الخاطئ وتقديسـه هو عائق أمام التطور، فهو يرى أن الغرباوي شـخصـية علمية عصـامية، ملتزم بما يؤمن به وملتزم بقضايا المجتمع وطموحه إلى التغيير دفعه لذلك، والالتزام عند المثقف العربي هو أن يكون مثقفا عضـويا بلغة غرامشـي، بمعنى يكون منخرطا في القضايا العامة التي تواجه المجتمع كتحديات، وهذا ما يقوم به ماجد الغرباوي، خاصة من مؤسسته " المثقف" من أجل التنوير والتغيير، ومن هنا جاء التفلسف أو التفكير بالمطرقة، فقليل جدا من المفكرين والكتاب يقول قادة جليد من يكون مستعدا لدفع الثمن، ولكن أغلبهم يطرحون الأسئلة الفاخرة، أما المثقف الحقيقي والصادق يطرح

اسئلة الناقوس والغرباوي من الذين يطرحون أسئلة الناقوس أي أسئلة الخطر ويجيب عليها وأسئلة الناقوس لها ثمن[1].

أمّا الدكتور صــالح الزروق في مشـــروع الغرباوي أن هذا الأخير في حديثه عن الإصلاح والإحياء الديني كان أكثر وعيا بالسياسة عند أئمة الشيعة الإصلاحيين ومنهم باقر الصــدر وروح الله الخميني وأفرد لهما مســاحة خاصــة للتدليل على أن الإصلاح هو نهضوي فعلا[2]، له غاية تتلخص في إحياء الدولة الإسلامية، ولذلك لا يختلف الإصلاح عن التجديد في مفهوم الغرباوي حيث يدعو إلى فتح باب الاجتهاد حتى في الثوابت، ومن هنا تنعكس فلســفة الإصــلاح عند الغرباوي عن باقي المصلحين أو الإصلاحيين إن صح التعبير، حيث يجعل التسامح في مقدمة أطروحاته، من باب ان التسـامح أمر الهي وعقيدة وطنية، إلا أنه يرى ان الحرية شـرط أسـاسـي للتسـامح فهي ضـمان من التخلص من الأبوية، فهو يرى الحرية مطلب ديني وحاجة غريزية، خلاصة القول يلاحظ أن ماجد الغرباوي التنويري يسير على نهج الكثير من التنويريين، إذ يطل على منطقة الفكر على أساس أنها ساحة معرفية مشتركة تقع على خطوط التماس مع الدّين والفلسفة والسياسة لإرواء عطشه الفلسفي.

---

1 – المنجز الفكري لماجد الغرباوي ضـمن ندوة: الفكر العربي المعاصـر والتفلسـف بالمطرقة في الجزائر، تقرير علجية عيش، أنظر، صحيفة المثقف 12 كانون2/ يناير 2023.

2 – جدلية العنف والتسامح، مصدر سابق، ص 37.

فرص التعايش بين الأديان والثقافات
التسامح ومنابع اللاّتسامح لماجد الغرباوي

بقلم: د. حفيظ اسليماني[1]

"التسامح ومنابع اللاّتسامح: فرص التعايش بين الأديان والثقافات"[2] كتاب لــ: ماجد الغرباوي، يتناول فيه موضوعا مهمّا وهو: التســامح واللاّتســامح. في هذه القراءة سنبِّين أهم أفكاره الرئيسة مُبدِين رأينا فيها.

إنّ التسـامح ضـرورة حياتية تبقى الحاجة إليها قائمة ما دام هناك إنسـان يمارس العنف والإقصاء والتكفير، ويرفض التعايش السلمي مع الآخر المختلف، بل الحاجة إلى التسـامح تشـتدُّ مع اتّسـاع التنوّع الإثني والديني، لامتصاص تداعيات الاحتكاك بين القوميات والثّقافات والأديان، والخروج بها من دائرة المواجهة إلى مستوى التعايش والانسجام. كما عبّر الكاتب عن الوضـع الحالي بالقول: "إنّ ما نشـاهده اليوم من صـراع محتدم بين القوميّات والأديان والمذاهب يكشـف عن رخاوة الأسـس التي يقوم عليها مفهوم التسامح أو غيابه، فهو في نظر الأوساط المتصارعة لا يعدو كونه قيمة أخلاقية تتحكّم به المؤثرات الاجتماعية والسـياسـية، وهو في رأيها مِنّة وتفضّـل مشـروط، قد ينقلب إلى ضـدّه إذا فقد رصـيده الأخلاقي، وما نحتاجه فعلا لتوطيد العلاقة بين الطوائف والقوميات مفهوم يرتكز إلى أسـس متينة، تتفادى الاحتكاك على خطوط التماس". كما يرى الكاتب أنّ التسـامح بمفهومه الجديد لا يتحقّق

1 - باحث في الفكر الإسلامي ومقارنة الأديان - المغرب

2 - "التسامح ومنابع اللاّتسامح: فرص التعايش بين الأديان والثقافات" كتاب لــ: ماجد الغرباوي، الناشر الحضارية للطباعة والنشر، إصدار معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، الطبعة الأولى 2008، وعدد الصفحات 162 صفحة.

بســـهولة، وأنّ تتوقف فاعليّته على حجم اســتجابة الأوســاط الاجتماعية والدينية لضـروراته، وهو في نظر الكاتب لأمر صـعب، يحتاج إلى مران طويل يخفّف الإنسـان خلاله من حِدّة غلوّه وتطرفه، وذلك يحتاج إلى عودة متأنّية للذات من أجل نقدها وتمحيص بناها الفكرية والعقيدية، وتأهيلها لتكون أرضــية صــالحة لاســتنبات قيم التسامح الجديدة.

التسامح ومنابع اللاتسامح: مقاربات تمهيدية

لا بدّ من التأكيد أنّه لم يبق أمام الشعوب الإسلامية خيار للحدّ من ثقافة الموت والاحتراب والعداء والإقصـاء المتفشـية في كل مكان سـوى قيم التسـامح، لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف إلى مساحة للحوار والتفاهم بدل الاقتتال والتناحر، وهذا صـعب في نظر الكاتب لكونه "يسـتدعي جهودا يتظافر فيها الخطاب الإعلامي مع الخطاب الثقافي والديني والســـياســـي والتربوي، ويتطلب تعاون الفرد مع المجتمع، والشعب مع القانون، والدولة مع الدستور. إنّه عمل جذري يستهدف البنى الفكرية والعقيدية للمجتمع، وإعادة صـياغة العقل والأولويات والوعي، وتقديم فهم عصـري للدين والرسالة والهدف، ونقد للمفاهيم والقيم والسلوك".

لقد اعتبر الكاتب أنّ ما نشـــاهده اليوم من مظاهر عنف واحتراب يســـتدعي العودة إلى الذات لمراجعتها، ثم الارتكاز إلى قيم جديدة تســـتبعد الكراهية والحقد، وتنفتح على قيم الإنســـانية والدين. وهذا "يتطلب الغوص في أعماق الفكر والعقيدة بحثا عن جذور المشـــكلة؛ أي ينبغي البحث عن الدوافع الحقيقة وراء ثقافة الموت والاستهانة بالحياة وتكفير المجتمع. وتقصّي المفاهيم المسؤولة عن صياغة البنى الفكرية والمعرفية لعدوانية المرء تجاه الآخر أيّا كان الآخر داخليا أم خارجيا، دينيّا أم سياسيا".

التسامح: الدلالات

ومن الحديث عن التســـامح ومنابع اللاّتســـامح، توقّف الكاتب كذلك عند دلالات التســـامح؛ فبخصـــوص الدلالة اللغوية لمفهوم التســـامح يرى الكاتب أنّها: تستبطن المِنّة والكرم، وتشير هذه الدلالة أيضا إلى وجود فارق أخلاقي بين المتسامِح والمتســامح معه. فليســت هناك مســاواة بين الطرفين، وإنّما هناك يدٌ عليا واهبة، ويد سفلى متلقّية، وهو مقتضى المنّة والكرم. في نظرنا نعتبر أنّ التسامح واجب علينا فلا هو مَنٌّ ولا كرم بل هو حقّ للآخر. وفي معناه الاصـــطلاحي يراد به الموقف الإيجابي الذي يســمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الإقصــاء، على أســاس شــرعية الآخر المختلف دينيا وســياســيا وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته. وفي علاقة بذلك، يتســاءل الكاتب: ما هو المطلوب من الشــخص المتســامِح؟ هل المطلوب التنازل عن القناعات الفكرية والعقيدية نزولا عند رغبة الآخر، أم إنّ ذلك ضـــرورة يقتضيها التسامح؟ أم إنّ التسامح يعني الانصياع والتبعية والرضوخ للآخر المختلف؟

انطلاقا من الأســئلة المطروحة أعلاه، يرى الكاتب "لا هذا ولا ذاك، وإنما التســامح يعني اعترافا بالآخر والتعايش معه على أســاس حرية العقيدة وحرية التعبير، لا تكرُّما ولا منَّة، وإنما هو حق باعتبار تعدد الطرق إلى الحقيقة، وعدم وجود حق مطلق لدى طرف دون آخر، وأنّ الحقيقة موجودة لدى جميع الاتجاهات الدينية والعقيدية على أســـاس وحدة الحقيقة وتعدّد التجارب الدينية". وثمة نقطة جوهرية، وهي أنّ التســامح لا يقتصــر على الجانب الديني، بل يتعدّاه إلى ما هو ســياســي وإيديولوجي واجتماعي، فالتسامح السياسي مثلا هو اعتراف بالآخر وحقّه في التعبير عن رأيه وممارســته. ونفس الأمر على مســتوى التســامح الاجتماعي؛ أي الاعتراف بالآخر على أساس إنساني بعد تجريد مرجعية التفاضل من القيم العنصرية.

منابع اللاتسامح

إنّ منابع التسامح – حسب الكاتب – تتعدّد تبعا لطبيعة المجتمع ثقافيا وفكريا وعقيديا، وأيضا تبعا لمستوى حضور الدين ومدى تمسك المجتمع بالقيم الدينية والاجتماعية. ومن منابع اللاتسامح يذكر الكاتب ما يلي:

أوّلا: منطق العنف:

إنّ العنف كان سائدا داخل المجتمعات غير المتحضّرة التي ترفض الاحتكام للقانون أو الأعراف، وبالتالي يبقى العنف السبيل لتقرير المصير. يقول الكاتب "لجوء الإنسان البدائي للقوة والعنف كان دفاعا عن النفس بسبب الأخطار المحدقة به، ولما ظهر التنافس بين المجموعة البشرية الواحدة واحتدم الصراع على المراعي والحقول، لجأ الإنسان إلى العنف للدفاع عن حياته وعائلته وممتلكاته"، وإذا لم تعمّ ثقافة التسامح اليوم ربما سيعود الصراع والعصبية، فيكون الفيصل لغة الدم، يقول الكاتب "ينبغي علينا أن نعي مهمّة ثقافة السلام والتسامح وضرورة انتشارها وتثقيف الشعب عليها عبر خطاب مؤهّل قادر على استنبات قيم جديدة، بدلا من النسق القيمي الذي نطمح لاجتثاثه، بمستوى يصبح التسامح مسؤولية تاريخية يتصدى لها جميع أبناء الوطن من أجل الوطن ووحدته وسلامته وأمنه ومستقبله، كي يلمس الشعب حقيقة التحوّل الذي طرأ على البلاد نتيجة التحوّلات التي مرّ بها".

ثانياً– الولاء القبَلي:

هذا الولاء يعدُّ من منابع اللاّتسامح، ونحن نعيش اليوم الولاء والتعصب إمّا للدين أو للمذهب أو للحزب، في غياب شبه تام لمقدّمات العيش في إطار الاختلاف، فالهوّة تتسع ويتسع معها العنف. ينبه الكاتب إلى خطورة الولاء القلبي بالقول "ليست العشائر في المجتمع القبَلي سوى خطر كامن يتفجر متى شاء، إذ أنّ قرار العشيرة قادر على تحريك كل أفرادها وبالتالي تعبئتهم ضد أية جهة، وحينما

تتعرض مصالح العشيرة للخطر، حتى وإن كان ذلك على حق، فإنّها تتمرد على قرارات الدولة وإرادة القانون... فالمجتمع القبلي عبارة عن قنابل نووية مخصبة قابل للتفجير والانتشار الواسع. فتفكيك النسق القيمي وليس الاجتماعي للقبيلة وإعادة تشكيل العقل العشائري له الأولوية في عملية التغيير المرتقبة، ليصير إلى وسط اجتماعي يتقبل التحوّلات الجديدة ويتفاعل مع قيم التسامح".

ثالثاً– سلطة القيم:

يرى الكاتب أنّ ترزيق (تلقين) القيم إلى وعي الفرد يبدأ عادة في السنوات الأولى من حياته عندما يُلقّن بمفاهيم الخضوع والاستسلام للقيم، ويُلزم بقيم الاحترام والطاعة والخضوع، أي يُلقّن بمفاهيم قيمية يراد له الالتزام بها كي يكتسب احترام المجتمع. وهنا يعطينا الكاتب المثال التالي: فحينما يرتكز المجتمع إلى العنف في تسوية الخلافات وانتزاع الحقوق، فإنّ الاحتكام إلى العقل والتسامح، من قبل بعض الأفراد، يصبح جبنا. وهناك مثال آخر متعلّق بالعقلية الذكورية، فحسب الكاتب "تتصف مجتمعاتنا أيضا بأنها مجتمعات ذكورية، تمنح الرجل صلاحيات واسعة في مقابل تهميش المرأة وتحقيرها، وتلغي وجودها وتعتبرها أنثى يطأها الرجل حينما يرغب ويتخلى عنها متى يشاء"، وهذا فيه إقصاء للمرأة ومنعها من حقها في أداء رسالتها الحضارية إلى جانب أخيها الرجل.

إذًا لا بدّ من نسق قيمي يطال المشاعر والأحاسيس يؤهّل الإنسان لحياة جديدة قائمة على التسامح وإعادة وعي العلاقة بين جميع الأطراف، بشكل معقول ومنسجم مع طبيعة النفس البشرية الموغلة بالنقص والخطأ، يتفهّم الحالات المختلفة أو المتناقضة التي تطرأ على الإنسان.

رابعاً– الاستبداد السياسي:

يؤكد الكاتب على أنّ الاستبداد السياسي يعدُّ خصما حقيقيا للتسامح؛ ففي الوقت الذي يعتبر فيه الاعتراف بالآخر جوهر التسامح الديني والسياسي

والاجتماعي، يعتبر رفض الآخر وتهشيمه جوهر الاستبداد السياسي، لذا لا يمكن التوفيق بينهما. وبالتالي، لا يمكن إشاعة قيم التسامح في ظل أجواء التفرّد والاستبداد بالسلطة، لأنّ طبيعة الاستبداد تقتضي عدم الاعتراف بالحقوق السياسية للآخر، التي منها حقّه في ممارسة السلطة مع استكمال الشروط اللازمة لها.

خامساً– العنف الديني:

يعتبر العنف الديني أحد أخطر منابع اللاتسامح، لتلبّسه ببُعد شرعي، وتوظيفه النص الديني، وسرعة تصديقه من قِبَل الناس، وقدرته على التخفّي تحت غطاء الشرعية والواجب والجهاد والعمل الصالح. فـ "عندما نعود إلى سياق التسامح ومنابع اللاتسامح نؤكد أنّ الفهم الذي يكرّس الأحقاد ويصرّ على تكفير الآخرين، من أجل شرعنة قتالهم ومطاردتهم، هو فهم لا ينسجم مع روح الشريعة الإسلامية، وبعدها الإنساني، وبالتالي فهذا الفهم يُعدّ من أخطر منابع اللاتسامح، لالتساقه بالدين الحنيف، فالمطلوب من أجل الرقّي إلى مستوى المجتمعات المتسامحة العمل على تفكيك الخطاب الديني المتطرّف، وتفتيت بناه المعرفية، وإشاعة وعي ديني قادر على فهم الحقيقة، كي يتوارى هذا اللون من الفهم ويحلّ محلّه خطاب متّزن يمهّد لاستنبات قيم التسامح والعفو والرحمة".

التسامح: تأصيل الأسس

للتسامح أسس، وإرساؤها يعدّ مدخلا لجعل المجتمعات محتضنة لقيم التسامح ونبذ اللاتسامح، وهذه الأسس:

1– حقوق المواطنة: إذا كان الشعب غير مُهيّئ نفسيا وفكريا وثقافيا للاعتراف بالآخر، لأي سبب كان، فإنّ قبول الآخر وقبول التعايش معه أمر تفرضه وحدة الوطن، من أجل استتباب الأوضاع واستقرار الأمن والسلام. من هنا تكون حقوق المواطنة أحد الأسس الكفيلة بإرساء دعائم التسامح داخل المجتمع ولو بشكل مرحلي، وهي "قضيّة تمليها وحدة الوطن والحرية الشخصية والاعتراف المتبادل بين

أبناء الشعب جميعا، رغم تنوّع خصوصياتهم؛ أي أنّ جميع الأفراد، وفقا لحقوق المواطنة، متساوون بالحقوق والواجبات على أساس التساوي في انتمائهم للوطن الواحد. مما يعني أنّ مقتضى حقوق المواطنة هو تقديم ولاء الوطن على غيره من الولاءات".

2- الحقوق الإسلامية لغير المسلمين: أي لا بدّ أن يرتكز المجتمع على قاعدة احترام الخصوصيات التي تنطلق من عناصر الالتزامات الدينية؛ بحيث لا يعتدي فريق على آخر، ولا يضطهده في خصوصياته. وفي ضوء ذلك "تتحدّد حرية المعتقد والتعبير في الضوابط القانونية الخاضعة للسلامة العامة للنظام والإنسان، على هذا الأساس ينفتح العيش المشترك في المساواة في الحقوق والواجبات في القانون العام. وفي الخصوصيات الشخصية، وفي مسألة الحريات في نطاق المسؤولية عن الفرد والمجتمع". ويبقى المطلوب حسب الكاتب هو الارتكاز إلى التسامح بالمعنى الاصطلاحي للكلمة لفاعليته وتجذّره وقدرته على ترسيخ قيم المجتمع المدني. أي المطلوب أساسا هو الاعتراف بالآخر وبحقوقه المشروعة، باعتبار تعدد الطرق إلى الحقيقة على صعيد التجربة الدينية.

3- سيادة القانون: مثلما أنّ حقوق المواطنة هي الأساس الأول لإرساء قيم التسامح في المجتمع، فإنّ القانون وسيادته هو الأساس الثاني لها. بل لا يمكن للتسامح الاستمرار في تأثيره الاجتماعي ما لم يكن هناك قانون يستند إليه ويدافع عن قيمه، سيما إذا لم يتمثل الشعب بُعد التسامح إلى درجة الاعتراف بالآخر اعترافا حقيقيا. لذلك فإنّ وجود القانون ضروري. وفي هذا الباب يقول المؤلِّف: "مهما كان المستوى الثقافي للمواطن جيّدا غير أنّ نوازعه النفسية وطموحاته السياسية وقراءته المتباينة للأديان والحقوق القومية والطائفية، جميعها تساعد على زعزعة الأوضاع، وتخلق فراغا كبيرا إذا ما تفاقمت الحالة وتعذّرت السيطرة عليها. غير أنّ القانون سيلعب دورا أكبر، إذا توافر على قوة ردع عالية، مرتكزة إلى حرص السلطات التنفيذية والقضائية على تطبيقه، إضافة إلى حجم الحماية التي يمدّه بها الشعب". إضافة إلى ذلك، نؤكد على أنّ مشكلة الأمّيّة تعدّ السبب الخطير لانتشار اللاتسامح.

4- إعادة تشـكيل قيم التفاضـل: إنّ الناس في نظر الإسـلام: إمّا أخ لنا في الدين أو نظير لنا في الخلق ومن ثم لا تفاضـــل بين الناس إلاّ بالتّقوى وهو ما تؤكّده الآية القرآنية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[1].

ويعلّق الكاتب على الآية أعلاه قائلا: "التقوى لا تعني كثرة العبادة، وإنّما خشية الإنسان من الله تعالى إبّان تعامله مع الناس، سلوكا وعاطفة؛ فربّما عابد لا يخشى الله في خلقه يمارس سـلوكا لا أخلاقيا في تعاملاته اليومية، فيضـرب ويقتل باسـم الدين والقرآن والأخلاق، وهو بعيد عن كل ذلك. أو لا يتمتّع بالمشـــاعر والأحاســـيس الإنســانية التي أكّد عليها القرآن الكريم، فيتحايل عليها ويظلم الآخرين ويبخســـهم حقوقهم بل ويتعدى على حقوق الآخرين. فالإنسان التقيّ من يخشى الله، سيما في موضوع استباحة الدماء، خصوصا مع المخالفين دينيا أو مذهبيا، فإنّ حرمة الإنسان عند الله كبيرة، فكيف إذا كان أخ لك في الدين والعقيدة ولا يعدو خلافه معك إلا في أشياء اجتهادية". إنّ الخطاب في الآية القرآنية تحدّث عن الناس ولم يقل المسلمين. ومن ثمة، فالآية العامة تتجاوز العبادة إلى المعاملة.

5- إطلاق الحريات العامة: الحريات العامة بدورها تلعب دورا كبيرا وفاعلا في ترســيخ قيم التســامح بين أبناء الوطن الواحد. وتعدّ حرية الرأي والعقيدة من وجهة نظر الكاتب إشكالية ملتبسة في الفكر الإسلامي، رغم وضوح القرآن الكريم في قوله تعالى (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)[2]. فالطريقة المثلى حسـب الكاتب ليسـت قتل المرتد وإنّما الانفتاح عليه بأساليب أخرى لتفهّم إشكالاته وشبهاته.

بناء على ما ســلف، نؤكّد مع المؤلِّف على قيمة التســامح في شــتّى تجلياته، ليتحقّق معه وبه مجتمع إنســاني يؤمن بقيم الرحمة والاحترام والمحبّة دون بغض وحقد تجاه الآخر، سواء كان الآخر ابن الوطن أو الآخر المختلف دينيا أو مذهبيا، فعصرنا

---

1 - سورة الحجرات، الآية: 13.

2 - سورة البقرة، الآية: 256 .

عصـر العولمة يفرض علينا السـير مع مسـتجداتها وتجديد التراث بخطاب يسـير ولغة العصر.

فغياب التسـامح، إذن، يجعل العالم يعود إلى عهوده الأولى، حيث يسـود الصراع القبلي والعنف، وهي نقطة جوهرية في الكتـاب، وإننا نرى اليوم في كثير من البلدان مثل هذه الأمور، كتلك الصـــراعات القبلية الراجعة إلى قضـــية اللغة. وينطبق نفس الأمر على مسألة الاستبداد السياسي الذي أهلك ودمّر دولا عديدة.

ومن القضـايا التي توقف عندها المؤلِّف بإيجاز، قضـية العنف الديني، وفي الحقيقة موضـــوع العنف الديني بحاجة ماســـة إلى المزيد من الكتابات، فالخطاب الديني اليوم يســتلزم تعميق النظر فيه، وإنتاج خطاب يراعي التطوّرات، وإلاّ ســيســتمر خطاب العنف واللاّتسامح سائدا، وهو ما ينعكس أثرُه على البشرية جمعاء.

الإستدلال ، الترجيح والإقتراح
منظومة فكرية متقدمة للباحث ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ سلام كاظم فرج[1]

عانى المسلمون والفكر الاسلامي ومنذ بدايات التأسيس في القرن الاول الهجري من إشكالية الفهم الشكلاني للنص المقدس... ومنذ بواكير تشكل الفكر الاسلامي أنتبه الإمام علي عليه السلام الى هذه الاشكالية في قوله ان القرآن الكريم حمال أوجه .. وفي صراعه (الفكري) مع الخوارج قال قولته الشهيرة (كلمة حق يراد بها باطل) ردا على قول الخوارج (إنما الحكم لله لا لك ياعلي..) في إشارة الى إن النص المقدس قد يؤخذ في غير مظانه ومقاصده..

فكل الايات الكريمة نزلت ضمن سياقات تاريخية معينة وانطلاقا من حاجات ملحة فرضتها ظروف تلك المرحلة (مرحلة البعثة والوحي..) .. وإذا كانت آيات السيف والقتال تترى في السور المدنية. فإن آيات الرحمة والسلام والتسامح والقبول بالآخر المختلف تؤطر كل السور المكية.. بل أن الكثير من السور المدنية نزلت ايضا لتنظم الشؤون الادارية والاجتماعية للمجتمع الاسلامي الجديد.. وإذا عرفنا ان البسملة في كل سورة تعتبر آية من آيات الذكر الحكيم. لوجدنا ان توكيد الرحمة تأتي في مقدمة كل سورة (الله الرحمن الرحيم..) لكن منابع اللاتسامح انما تأتي من التفسير الشكلاني لآيات السيف وعدم وضعها في سياقاتها التاريخية ..

كتاب الاستاذ الباحث ماجد الغرباوي (التسامح ومنابع اللاتسامح،، فرص التعايش بين الاديان والثقافات)[2] والصادر في طبعته الأولى عن مركز دراسات فلسفة

---

[1] – سلام كاظم فرج، أديب وناقد، العراق، له مجموعة مؤلفات.

[2] – الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2006.

الدين في بغداد.. يبحر عميقا في استكناه جذور إشكالية ضمور البعد التصالحي والتسامح بين معتنقي الديانات المختلفة في العالم المعاصر. والاثار المدمرة على الانسانية جمعاء في تكريس فلسفة التناشز بين معتنقي تلك الديانات.. وإنطلاقا من حقيقة ان المؤلف احد دعاة التنوير من المفكرين الاسلاميين فقد ركز في كتابه على ما يمكن ان نسميه بالنقد الذاتي . ليضرب المثال للآخرين في نقد الذات قبل تحميل كل طرف مسؤولية ما يحدث على الطرف لآخر.

فيقول (لسنا في صدد خطاب ايديولوجي تبريري يمارس التضليل بإقصاء الحقائق ليلقي بتبعية الاخطاء التاريخية على الاشخاص دون الافكار، او يتهم المسلمين لتبرئة العقيدة والدين، وايضا لانتهرب من الاشكاليات النصية او الممارسات السلوكية، انما قررنا مواجهتها بجميع تفصيلاتها...)..

ان شجاعة المواجهة والمكاشفة مع الذات قبل المواجهة مع الاخر تشكل حجر الزاوية في مؤلف الاستاذ الغرباوي الذي يعد من الكتب نادرة المثال في النقد الذاتي الاسلامي وصولا الى تنقية الفكر الاسلامي ذاته وإعادته الى اصول مقاصد الشريعة. لا التخريجات المخربة التي الصقت بالمسلمين قسرا لاسباب متعددة من بينها قصور المسلمين انفسهم في فهم المقدمات الصحيحة التي انتهت الى نتائج غير صحيحة فقدمتهم الى العالم على غير صورتهم والصقت بهم تهم الارهاب والكراهية ونبذ الآخر المختلف في عصر دخلت فيه البشرية الى مراحل متقدمة من تكريس قيم المحبة والتسامح والقبول بالآخر المختلف مهما كانت عقيدته ورؤاه..

ان الفكر المعاصر ينتهج نهج الحرية الشاملة في حرية الاعتقاد، لكن هذه الحرية مشروطة بعدم التجاوز على حرية الاخر في فهمه وتصوراته عن الوجود.. فمن باب اولى ان يكون المسلمون سباقين الى تبني هذه الرؤية المتقدمة على غيرهم لا العكس..

في الفصل الاول يجري الباحث مقاربات تمهيدية كثيرة ليؤصل فكرته في انسانية الفكر المحمدي.. وغربة المفاهيم التكفيرية عن روح النص المقدس انطلاقا من الاعتراف بوجود الاختلاف بين البشر وحتى بين اتباع الدين الواحد وانطلق من المجتمع العراقي كمثال.. ولكن.. (ثقافة التسامح واشاعة قيم التعايش والتعددية

تطمح الى خلق اجواء لاتســمح بإنقلاب الإختلاف الى معارك دامية وانما تبقى وجهات نظر محترمة في إطار القانون وحرية الرأي والتعبير)[1].

يقول الاستاذ ماجد (التسامح لغة: مشتق من السماحة أي الجود والمسامحة المساهلة..).. ثم يقول (ويراد بالتسامح اصطلاحا موقفا ايجابيا متفهما من العقائد والافكار يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب والاقصاء، على اساس شرعية الاخر المختلف دينيا وسياسيا)[2].

ويؤكد ان التسامح لايعني التنازل عن قناعاتك الفكرية والعقيدية نزولا عند رغبة الاخر . ولا هو انصياع للآخر ولا تبعية ولا رضوخ.. بل هو الاعتراف بحقوق الاخر مثلما اطلب منه ان يعترف بحقوقي. لاتكرما ولامنة.. وانما حق باعتبار تعدد الطرق الى الحقيقة (لانسبية الحقيقة وهذا رأي آخر..)

. مادامت الحقيقة موجودة (بمعنى محتملة) لدى لجميع.. فمن الاولى التعايش ..بينهم لا الإحتراب ..

ويستعير من المفكر الايراني الدكتور عبد الكريم سروش قوله (لا التشيع هو الاسلام الخالص والحق المحض ولا التسنن، على الرغم من ان اتباع هاتين الفرقتين لايرون هذا الرأي فيما يخص حقيقتهم، لا الاشعرية حق مطلق ولا الاعتزال... لاكافة المسلمين منزهون ولا جميع النصارى.. الدنيا غاصة بالهويات غير النقية، وليس فيها حق صراح في جانب، وفي الجانب الاخر باطل محض).. من هنا ان التعصب لاينتج الا تعصبا مقابلا.

لاموجب بعدئذ للتعصب او الشعور بالمنة والكرم والفوقية حين يقبل التعايش. وانما يجب عليه ذلك..

---

[1] - المصدر نفسه، ص 15

[2] - المصدر نفسه، ص 17.

تخطر في بالي وانا أمعن النظر في رؤى الاستاذ الغرباوي المتقدمة العميقة بهذا الشأن أمثولة ضربها عالم الاجتماع الدكتور علي الوردي في قصور الفهم الانساني لمقاصد التشريع المقدس...

تتلخص الامثولة بقصة رجل مفترض عمل كمساعد لطبيب.. لاحظ المساعد ان هناك تناقضات في وصفات الطبيب الماهر. منها انه يحذر احد المرضى من اكل اللحوم الحمراء. في حين يشجع مريضا آخرا على الاكثار منها...

ان رؤية المساعد القاصرة قادته الى الظن ان الطبيب يخدع مراجعيه. دون ان ينتبه ان مرض فقر الدم مثلا يتطلب الاكثار من تناول الكبدة وان داء الملوك مثلا يتطلب الامتناع عن تناولها.. يقول الدكتور الوردي إن الايات القرآنية نزلت في وقتها تعالج كل حالة وفق ظروفها وإن الاصرار على الأخذ بها في غير موضعها يشبه اصرار المساعد على سوء الظن بالطبيب.

إن مقاصد الدين الاسلامي كلها تصب في صالح التسامح والمحبة والاعتراف بالاخر المختلف واحترام حقوق غير المسلمين وان وردت آيات كريمة لا تنحو هذا النحو. وتحض على القتال فلأسباب تتعلق بظروف مرحلة عاشها المسلمون الاوائل تتعلق بتهديد حقيقي اكتنف كل غزوة..ولها تخريجاتها ومقدماتها ونتائجها الصحيحة. وإن الأخذ بها في غير موضعها ينقلب وبالا على المسلمين قبل غيرهم..

في الفصل الاخير يورد الاستاذ ماجد الغرباوي. تحت باب نصوص خالدة. عشرات الايات الكريمة والاحاديث الشريفة التي تتضمن الرحمة والتسامح والعفة عن الايغال في الكراهية والتباغض منها على سبيل المثال..

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[1].

---

[1] - سورة البقرة، الآية: 62.

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)[1].

(فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[2].

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...)[3]

(لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)[4].

لاحظ.. فعل الامر. لا تسبوا. هنا نهي عن الشتم... فكيف بالقتال؟. والتنزيل الحكيم هنا يتحدث عن الكفار لا اصحاب الديانات السماوية.

(فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)[5].

(ولو شـــاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟)[6].

(ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[7].

(فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ)[8].

(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)[9].

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 83.
[2] – سورة البقرة، الآية: 109.
[3] – سورة البقرة، الآية: 256.
[4] – سورة الأنعام، الآية: 109.
[5] – سورة الرعد، الآية: 40.
[6] – سورة يونس، الآية: 99.
[7] – سورة النحل، 125.
[8] – سورة الكهف، الآية: 29.
[9] – سورة الكافرون، الآية: 6.

هذه شـــذرات مختارة من بين مئات الايآت الكريمة التي تحض على التســـامح والتفهم والصبر اقتبسناها من اقتباسات الاستاذ الغرباوي في كتابه القيم..

ومن بين اهم مصـــادر اللبس في فهم مقاصـــد التنزيل المقدس الفهم المتطرف لموضـوعة النسـخ والتي غالى الفقهاء على مر العصـور في الخوض فيها حتى اخروجها عن غاياتها . فقد درس الاسـتاذ الغرباوي بعناية تلك الملابسـات في فهم النسـخ في القرآن الكريم وضـرب مثلا في نصـوص غيبها النسـخ وفق منظور مجموعة من الفقهاء توسـعوا في فهم النسـخ كأبن حزم الاندلسـي على سـبيل المثال في اعتبار ان آيات السـيف نسـخت آيات الرحمة . وتلك اشـكالية خطيرة وقف عندها كتاب الاسـتاذ ماجد الغرباوي طويلا ليخلص الى حقيقة مؤداها ان النسـخ شـل حركة نخبة من أرقى الايآت إنســـانية وتقدما ورحمة. وإن الوقوف عند آيات الســـيف دون آيات الرحمة إجحاف بحق النص المقدس وينبغي احياء الايات التي جمد فاعليتها الفهم المبتســـر للنسخ لتساهم في خلق مناخات تساعد على سيادة ثقافة التسامح والاخاء والوئام والعفو والرحمة والمغفرة لا العكس.. وليس كما يفعل متطرفوهذا العصر من تكفيريين وجهلة يسـيئون الى الاسـلام والمسـلمين بعلم وبغير علم..في تقديم الكراهية على قيم المحبة ..

إن نسـخ مئات النصـوص بسـبب نص واحد نزل بعدها ينفي عن القرآن الكريم صـفة الشـمولية في فهم الحياة وسـبل إدارتها صـوب الارتقاء.. والكيل بمكيال عصـور كـان بعض الفقهـاء فيهـا تبع لحكـام مغـامرين اغرتهم الفتوحـات في زمن غـادرناه وانتهى وصـــار في ذمة التاريخ... فقدموا السـيف على الرحمة..انتهاك خطير لمنظومة القيم الانسانية الراقية في الفكر الاسلامي..

لقد ثبت الكتاب اربع قيم اســاسـية في الاســلام كما وردت في نصــوص ثابتة معتبرة

هي، الرفق، الحلم، العفو، والرحمة..

في الختام نحيي الاســـتاذ الباحث ماجد الغرباوي على هذا البحث القيم الجليل ولا نملك الا القول ان النصـوص القرآنية تتطلب تمحيصـا دقيقا لأنها لا تسـلم معناها

الا وفق مفاتيحها. ومفاتيحها الحدس السليم والفطرة الانسانية الطيبة. (الاسلام دين الفطرة..) والفطرة سمة الحياة لاسمة الموت. والحياة لا تنمو الا بالمحبة ..

وإذا كان قلب (حدس) المؤمن دليله. فإن حدســـنا يقول ان الرؤى التي أتى بها الكتاب تصلح ان تكون دليل عمل لبناء عالم جميل خال من الحروب.

عنف الدولة في كتاب

(تحديات العنف)

بقلم: الأستاذ علي جابر الفتلاوي[1]

(عنف الدولة) هو أحد المواضـــيع التي بُحِثت في كتاب (تحديات العنف)[2] للاســتاذ المؤلف ماجد الغرباوي[3] يقول الباحث (ص177) من كتابه، وننقل كلامه مختصرا دون الإخلال برؤى الباحث:

يمثل عنف الدولة أحد الأخطار المستعصية التي عانت وما تزال تعاني منه غالبية الشـــعوب، وتكمن خطورة هذا اللون من العنف، كون الدولة ضـــرورة لا يمكن الاســتغناء عنها، وهي مركز الســلطة والقوة والقرار، وتســبّب عنف الدول في تخلف

---

1 – كاتب وباحث إسلامي من العراق.

2 – انظر: الغرباوي، ماجد، تحديات العنف، إصدار معهد الابحاث والتنمية الحضارية، بغداد، الطبعة الأولى، العارف للمطبوعات، بيروت، (1430هج – 2009م).

3 – الاســتاذ ماجد الغرباوي مغترب عراقي يعيش في الوقت الحاضــر في اســتراليا، تعرفت عليه من خلال صحيفة المثقف الالكترونية كونه المشرف على الصحيفة، باحث أصدر عددا من الكتب، منها: (تحديات العنف) ، (مدارات الكون الســـردي)، (مدارات أيدلوجية). وهي من مقتنيات مكتبتي الشخصية، إنّه حقا شخصية عراقية مفكرة تستحق التقدير والاهتمام.

كتبت صــحيفة المثقف عنه في العدد (5000) في 2020/5/14: ماجد الغرباوي باحث في الفكر الديني يسـعى من خلال قراءة متجددة للنص الديني تقوم على النقد والمراجعة المسـتمرة، من أجل فهم متجدد للدين كشـرط أسـاس لأي نهوض حضـاري، متخصـص في علوم الشـريعة والعلوم الإسـلامية، مؤسس ورئيس مؤسسة المثقف العربي في سيدني – استراليا، أصدر عدة كتب .

للاطلاع على صفحة ماجد الغرباوي وسيرته في المثقف

https://www.almothaqaf.com/foundation/majed-algharbawi

مجتمعاتها ثقافيا وحضـــاريا، إذ تداعيات الارتكاز إلى العنف منهجا في التفكير السياسـي، واسـلوبا في الحكم، لا تقتصـر على اقصـاء المعارضـة وقمع الرأي الآخر فحسـب، بل إن العنف ينغرس في اللاوعي للشـعوب، بحيث يقضـي على خيارات تسوية الخلافات بالحوار بين مكونات الشعب الواحد، ويحصرها في اسلوب واحد هو العنف، وحينئذ لا يجد الفرد مبررا للعدول عن العنف ما دامت جميع الأطراف بما فيها السلطة السياسية تلجأ إليه.

عنف السـلطة ينتج تخلف المجتمع بسـبب الممارسـة الطويلة للعنف والاسـتبداد الدموي، ربما لا يتجاهر الأفراد في استخدام العنف المسلح خوفا من ارهاب السلطة وبطشها إلّا أن سلوكهم واساليبهم تطفح بأنواع أخرى من العنف، ومثل هذا الشعب سـيعاني طويلا حتى يعود إلى مائدة الحوار والتخلي عن العنف بجميع أشـكاله، ولا يتحقق هذا الأمر بسـهولة، إذ لابدّ من توفر أجواء وثقافة تسـاعد في تخطي محنة العنف والعنف المضـاد، بعض الشـعوب اسـتطاعت تخطي هذه المشـكلة، و(نأت بنفسها عن العنف في علاقاتها الداخلية)[1]. وبات العنف بالنسبة لهذه الشعوب شيئا مكروها، لكنّ مثل هذه الشعوب مرّت بمخاضات صعبة قد امتدت لمئات السنين. (حتى أصـبح متعذرا على دول تلك الشـعوب اللجوء للعنف، في علاقاتها الخارجية فضـلا عن علاقاتها الداخلية، مالم تتوافر على مبررات قانونية كافية وتضـمن قناعة الأغلبية؛ وتمثل هذه الدول اليوم سلم الرقي الحضاري حكومة وشعبا، ونموذجا تطمح إليه بقية الشعوب)[2]. ويضيف الباحث الغرباوي:

الدول المتخلفة ظلت تعاني استبداد السلطة السياسية وتكريس القوة، وممارسـة العنف ضـد الشـعوب، بعد انتاجه وتصـديره، والتحايل في ممارسـته بصـور بشـعة وأسـاليب شـتى، وليس الوضـع غريبا على المنطقة، بل أنّ ماضـي الدولة تأريخ طويل من معاناة الشـعوب والظلم والاضـطهاد والتسـلط والدكتاتورية والاسـتبداد. ومنذ أن

---

1 - انظر: الغرباوي، ماجد، تحديات العنف، المصدر السابق، ص178.

2 - المصدر نفسه، ص 179.

تحولت الدولة إلى ملك عضـوض على يد الأمويين والعباسـيين، إذ بدأت السـلطة المتمثلة بشخص الخليفة تمارس العنف عملا يوميا ضد المعارضة، واستمر هذا المنهج في عهد الدولة العثمانية المتمثلة بشخص السلطان، والدولة الفارسية ويمثلها الشاه، إذ سارت دولة الخلافة الأموية والعباسية، وكذلك دولة السلطان والشاه بمنهج واحد، هو الاتكاء على العنف والسيف وقمع المعارضين، وممارسة إرهاب السلطة حتى امتلأ التأريخ بأحداث جارفة اتسمت بالمواجهات والتمرد والقمع والقسوة والخوف والقلق، وأضاف الاستاذ ماجد الغرباوي:

عندما توفر فقيه السلطة تولى بنفسه شرعنة وتبرير ممارسات الحاكم التعسفية ضد شعبه وضد خصومه السياسيين. فمثلا تجد المعارضة عبر التأريخ توصف، وفق منطق الفقه السلطاني، بالفئة الباغية، العاصية، المارقة، الكافرة؛ ويوصف الشعب بأوصاف مثل رعية السـلطان وعبيده ومواليه، فهو ولي أمرهم ونعمتهم، يغدق عليهم عطاياه ومننه، فهو أمير المؤمنين، القاضـي بالحق، المنصـور بالله، المتوكل على الله، أمين الله، يُحرَم الخروج عليه ولو كان فاسـقا أو فاجرا أو قاتلا أو مقترفا للموبقات والكبائر. أخيرا يرى الباحث الغرباوي: أن (الدولة منذ تشـكلها على يد الأمويين نجد أنها تنحصر في اشكاليتين متداخلتين، الأولى: اشكالية الفكر السياسي والتنظير الفقهي لنظام الحكم والسلطة. والثانية: اشكالية الممارسة السياسية المتمثلة بالحاكم أو رئيس السلطة السياسية ومن ينوب عنه أيا كان اسمه (خليفة/ سلطان/ شاه/ والي)..)[1].

بعد عرض الموضـوع رأيي كقارئ، أنّ الاسـتاذ الباحث ماجد الغرباوي، قد عرض الموضوع من حيثيات واتجاهات مختلفة، وهذا يُفصح عن قدرة الباحث الفكرية من جهة، وتنوع ثقافته وسـعتها في الميدان الفكري من جهة أخرى. ذكر الباحث الآثار التي يتركها العنف على الشـعوب، قال أنّ أهم آثار العنف الذي تمارسـه السـلطة، أنّه يخلق حالة من التخلف لدى الشـعوب التي تعيش في أجواء العنف، وهذه إحدى النتائج التي توصـل إليها الباحث، وهي نتيجة سـليمة في رأيي، العنف

---

1 - المصدر نفسه، ص 181.

والكبت الشـديد يولّد عادات لا تخدم المجتمع ولا تواكب الزمن، ما يعنيه الباحث أن عنف السلطة هو سبب والتخلف عند بعض الشعوب من نتائج هذا العنف.

يستنتج الباحث الاستاذ الغرباوي، أن من يعيش أجواء العنف فترة طويلة يصبح سلوك العنف جزءا من بناء الشخصية، يوظفه الفرد في اتجاهات عديدة.

أرى الباحث مصيب في هذا الاستنتاج، والدليل أن بعض العادات والسلوكيات عند بعض شـــرائح المجتمع أي مجتمع، ومنها عادة الأخذ بالثأر هي نتيجة الألفة مع عنف السلطة لسنوات طويلة إذ خلقت حالة من التطبع التي تبدو عند الممارس لهذه العادة طبيعية ومألوفة، وهذا ما أكده الاستاذ الباحث الغرباوي بقوله: ربما لا يتجاهر الأفراد في استخدام العنف المسلح خوفا من ارهاب السلطة وبطشها، إلّا أن سلوكهم واسـاليبهم تطفح بأنواع أخرى من العنف؛ لم يبين لنا نماذج من هذه الأنواع الأخرى، في تقديري أنّ عنف الزوج مع زوجته أو أولاده أو مع أفراد المحيط الذي يعيش فيه، هي من الأنواع الأخرى للعنف، ومن نماذج عنف الســـلطة رأَينا أو سمعنا كيف كان صدام يتعامل مع معارضيه؟ القتل على الشبهة أو على كلمة تفوه بها الآخر، وعنفه هذا تعامل به حتى مع أفراد حزبه الذي ينتمي إليه. رأي الباحث أن هذا الاســلوب العنفي يقضــي على خيارات تسـوية الخلافات بالحوار، متوافق مع الباحث الاسـتاذ الغرباوي، واستنتاجه سليم ومصيب.

الأمر الآخر الذي يستنتجه الباحث أنّ ظاهرة العنف تعود لأسباب تأريخية، إذ يرى أن العنف بدأ منذ تحولت الدولة إلى ملك عضـــوض حســـب تعبيره على يد الأمويين والعباسيين، ومن بعدهم العثمانيون والصفويون. استنتاج صحيح، ونضيف أنّ الحكومات التي تأســـست لاحقا، ســـارت في نفس المنهج العنفي الموروث، إذ تحولت إلى مالكة ووارثة للدولة بكل مفاصلها ومؤسساتها وثرواتها، بل يشعر الحاكم أنّ شعب تلك الدولة مملوك له أيضا، سواء كان الحاكم رئيسا أو ملكا أو سلطانا أو أميرا، وكل واحد منهم يســلّم الحكم إلى الذي يليه من عائلته حســب اختياره، في تقديري أن أغلب الشـعوب العربية والاسـلامية لا زالت تعيش هذه المحنة إلى اليوم. نرى بعد أن يطرح الباحث رؤيته في إرجاع ظاهرة العنف لأســباب تأريخية يطرح

مسألة أخرى مهمة لها علاقة بعنف السلطة، وهي مسألة دور الفقيه أو الواعظ الديني في قضية العنف، يرى الباحث أن فقيه السلطة تولى بنفسه شرعنة وتبرير ممارسات الحاكم التعسفية ضد شعبه وخصومه السياسيين.

رؤية الباحث سليمة وصحيحة وواقعية، وقد أكد هذه الحقيقة باحثون مختصون في دراسة طبيعة المجتمع، منهم الباحث الدكتور علي الوردي رحمة الله تعالى عليه، إذ ألّف كتابا مستقلا في هذا الميدان اسماه: (وعاظ السلاطين)، كذلك تناول تفاصيل عن عادات المجتمع العراقي التي تأصلت بسبب عنف السلطة في كتابه الآخر المسمى: (لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث) المكون من ست أجزاء، كقارئ أتوافق مع الباحث الغرباوي في رؤيته عن الواعظ أو الفقيه السلطاني الذي يفتي حسب رغبة الخليفة أو السلطان الحاكم، الواعظ السلطاني يطوّع الدين حسب مزاج ورغبة واتجاه السلطان، فورثنا دينا رسميا لا يعكس صورة الإسلام الانسانية الحقيقية.

أخيرا لا اتوافق مع الاستاذ ماجد الغرباوي في إطلاق عنوان (عنف الدولة)، أرى المناسب أن يكون العنوان (عنف السلطة)، لأن السلطة التي تمارس العنف، هي أحد مفاصل الدولة، ومفهوم السلطة يختلف عن مفهوم الدولة، ولو أن الباحث الاستاذ الغرباوي أثناء عرضه للموضوع يطلق تسمية عنف السلطة في بعض المواضع. وهذا يعني أنّ هناك خلطا بين المفهومين عند الاستاذ ماجد الغرباوي حسب تقديري. أخيرا أشير أن الاستاذ ماجد الغرباوي لم يتطرق لدور (وعاظ السلاطين) في إنتاج الفكر الارهابي الذي تتبناه منظمات الارهاب اليوم، والذي اسموه الفكر الجهادي. هذا الفكر المنحرف انتج جرائم منظمات الارهاب بمختلف مسمياتها؛ إذ أباح هذا الفكر المدعوم من وعاظ السلاطين، قتل الآخر لأنه مختلف؛ يقوم دعاة هذا الفكر العنفي بملاحقة وقتل المختلف، حتى لو كان منتميا لنفس الدين والمذهب، فهو فكر دموي في خدمة السلطان مهما يكن عنوانه ملكا أو رئيسا أو أميرا، المهم أنّه يحمل شارة السلطة ويرتدي زي الاسلام زورا، وقد سمعنا جميعا بمقتل خاشقجي وتقطيع جسده من قبل السلطة السعودية في قنصليتهم باسطنبول، رغم أن خاشقجي ينتمي لنفس مذهب السلطة السعودية، لكنّه معارض والمعارض وفق فتوى فقيه السلطة حكمه القتل، هذا الفكر إضافة إلى أنه يبيح قتل المختلف في الرأي، يبيح أيضا سبي

النسـاء وانتهاك أعراضـهن حتى وإن كانت النسـاء من نفس المذهب، وهذا ما قامت به منظمات الإرهاب من القاعدة وداعش، ومنظمات بعناوين أخرى تنتمي لنفس الفكر السلطوي المدعوم من الواعظ والفقيه الذي يخدم السلطان، مهمة فقيه السلطة تطويع الدين حسـب ما يشـتهي السـلطان، هذا الفكر المدعوم من فقيه السـلطان، يشـوّه صـورة الإسـلام بما يقوم هؤلاء الارهابيون من أفعال شـنيعة،إضـافة إلى أنّه يلبّي أهداف إسـرائيل، والدول الطامعة الاسـتعمارية الأخرى مثل أمريكا، لهذا نرى أمريكا واسـرائيل وحلفائهما قد احتضـنوا الاسـلام السـلطاني، ودعموه بمختلف الوسـائل لتحقيق مصالحهم، وكان من نتائج هذا الدعم، أن أقدمت سلطة العنف على إعلان التطبيع مع إسـرائيل، وقد تحققت هذه النتائج بسـبب دعم الفقيه لسـلطة العنف.
أخيرا أقدم تقديري واحترامي للاستاذ الباحث ماجد الغرباوي على جهوده الكبيره في خدمة الفكر السليم والصحيح المتوافق مع أصالة الإسلام وإنسانيته، وأشكره على ما يقدم من جهود في هذا الميدان، كما اسـتميحه عذرا إن لم أتوافق معه في بعض المواقف، ولابدّ من الإشـارة وحسـب معلوماتي، أن الاسـتاذ ماجد الغرباوي هو أحد ضحايا عنف السلطة في زمن المقبور صدام حسين.

قضايا المرأة في الفلسفة الإسلامية الحديثة
قراءة في فكر الأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: د. تماضر آل جعفر[1]

ماجد الغرباوي، كما هو مثبت في سيرته في صحيفة المثقف وويكيبيديا: باحث بالفكر الديني. يسعى من خلال مشروعه الى: تحرير العقل من بنيته الأسطورية وإعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة. وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، ومن خلال قراءة متجددة للنص تقوم على النقد والمراجعة المستمرة، من أجل فهم متجدد للدين، كشرط أساس لأي نهوض حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتنابذ والاحتراب. في ضوء هذا التعريف سأتناول رؤيته بقضايا المرأة المسلمة. أي المرأة التي تستمد من الدين رؤيتها، ومن الشريعة الإسلامية أحكامها.

الفلسفة النسوية

اهتمت الفلسفة النسوية بمبدأين، أولهما نقد التحيّز الذكوري حيثما وجد. والثاني تطوير أخلاق غير متحيزة ذكوريًا. علما أن الإشكاليات التي واجهت ذلك التطوير أغلبها مرتبط بمسألة الدين والشريعة. وهذا يتطلب العودة الى جذرها الديني والأخلاقي أولا لمعرفة حقيقة تلك لاشكاليات في ضوء النصوص المقدسة، وليس التراث الذي هو رأي بشري غير مقدس. وهذا ما فعله المفكر التنويري ماجد

1 - كاتبة، أستاذة جامعية

الغرباوي في كتابَي: "الفلسفة النسوية[1]" وكتاب "المرأة والقرآن[2]". حيث تصدى لزعزعة تلك الإشكاليات بعد نقده للفهم المتداول لقضايا المرأة عامة والنسوية خاص، عندما سلط الضوء على منظومة القيم التي تحكمها، ومدى مطابقتها للقيم الإنسانية والدينية، لتحاشي الاتجاهات الرادكالية المتطرفة التي انجرفت بعيدا عن الأخلاق والقيم الأخلاقية فضلا عن القيم الدينية.

إن أهم محاور كتابَي "الفلسفة النسوية" و"المرأة والقرآن"، هي: الأسطورة ومحددات الوعي. سطوة الفقه، علاقة المرأة بالدين، فهم النص الديني وأثره في النظرة المتداولة حول المرأة وحقوقها ودائرة حريتها وغيرها من قضايا تمس انسانيتها وحقوقها ومكانتها، كموضوع: النسوية ما بعد الكولونيالية، قهر المرأة، الوعي النسوي، النظام الأبوي، العلاقة بين الجنسين، أشكال التحيز والتمييز، قاضيا المرأة في ضوء الشريعة، كالتعدد والحجاب والنشوزر. وغير ذلك كثير ومفصل.

وقد تناول الباحث الغرباوي قضايا المرأة تارة في ضوء النص المقدس، خصوص القرآن الكريم. وتارة في ضوء التراث الذي هو فهم بشري للنص الديني، تتحكم به ايديولوجية القارئ وثقافته وآرائه الفلسفية والفكرية وعقيدته وعلاقته بالسياسية وأشياء غيرها. وهذه قضية مهمة يجب الانتباه لها، فليس كل ما يقوله التراث عن المرأة يمثل رأي الدين بالضرورة، مهما كان مصدره لانه رأي بشري قد يصيب وقد يخطئ، وعلينا الرجوع للقرآن المصدر التشريعي الاول لمعرفة الحقيقية والأخذ بها: (فالقياس – كما يقول الغرباوي – هو القرآن وليس قول المفسر او الفقيه، ومتى ما انتابنا الشك في اقوالهم نعود للقرآن نستنطقه كي نتعرّف على الحقيقة)[3].

---

1 – محمد علي، د. محمود، الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، ودار الوفاء، الاسندرية – مصر، 2021م

2 – المرأة والقرآن.. حوار في اشكاليات التشريع، حوار د. ماجدة غضبان مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، 2015.

3 – المصدر نفسه، ص 16.

يعتقد الباحث أن قضية المرأة قضية عالمية، بمختلف اشكالياتها، وإن كانت بنسب متفاوتة لكن القضايا الرئيسية واحدة[1]: اضطهاد المرأة، الذكورية، ضياع الحقوق، قمع الحريات، تهميش المرأة، كمال عقلها، قدراتها الادارية، وغير ذلك. فالمفاهيم واحدة مهما تعددت بيئاتها الثقافية والاجتماعية. لكن هناك إشكاليات مرتبطة بالأديان عام والدين الاسلامي خاصة، تولّدت عن آراء فقهية ووجهات نظر اجتهادية تتأثر لا محال بقبليات الفقيه، فجعل الرأي الفقهي من المرأة (جاريةً أو أمَةً)، مسلوبة الحقوق والإرادة، وسلط عليها الذكر كما يمليه عليه فهمه لقضايا المرأة ودورها في المجتمع، فسلبها انسانيتها ذلك الحق الإلهي الذي منحه لها، وجعل منها شريكة لخليفة السماء في الأرض أي الإنسان الذكر، فعهد الله الخلافة لهما وليس للذكر خاصة دونها، لكن رغم ذلك كله حط رجل الدين من قيمتها الانسانية. يقول الباحث: (الرؤية الفقهية المتداولة تستمد شرعيتها من آيات يبدو ظاهرها مع تكريس عبودية الإنسان عامة، وانتقاص المرأة خاصة. أي نظرية العبودية تبرر النظرة الذكورية، والنظرة الدونية للمرأة، ولديها ما تستدل به من أحكام الشريعة. بينما تنقلب النتيجة مع منطق الخلافة، وأن الإنسان أساس الخلق. وما الأحكام إلا لترشيده مرحليا، وفق ملاكات الأحكام، وليست لاستعباده تحت أي مسمى كان)[2]. لقد تعرضت المرأة الى ظلم عظيم في حياتها، ولقد كان ظلم المجتمع للمرأة أهون من ظلم الفقهاء والفلاسفة. بل أن الكثير من الفلاسفة كان أكثر قساوة في أحكامهم على المرأة من الفقهاء[3].

المنطق العبودي

في التفاتة جعلت المفكر الغرباوي يحذو حذو التنويري محمد شحرور فيما سماه: المنطق العبودي حين وصف علاقة الناس بخالقهم، بأنهم: عباد لا عبيد. فهم عباد

---

1 - الفلسفة النسوية، مصدر سابق، ص 15.

2 - المصدر نفسه، ص 16.

3 - المصدر نفسه، ص 152.

الله، كما تصرح الآيات بذلك. علاقة الانسان العابد بخالقه علاقة واعية تنطلق من عقلية حرة مميزة. بينما يُقاد العبيد بسلاسل مكتوبة، متوارثة من كتب التراث الإسلامي، الذي دفع المجتمعات الإسلامية والعربية بشكل خاص إلى التمرد التام، ولا سيما المرأة التي ثارت على تلك المقدسات البشرية التي سجنتها عقودا طويلة. كتب موروثة عن التراث اليهودي والمسيحي، طالما عاشت أوربا والغرب في ظلها بظلام كبير، انعكس على وعي المرأة ونظرتها لذاتها وللآخر.

سعى المفكر الغرباوي الى حل إشكالية "عبودية المرأة" من خلال وعيها. وعيها لذاتها وللآخر الزوج / الابن / الاب، باعتبار الوعي لدى الباحث قضية مركزية يعول عليه لتسوية إشكاليات المرأة، وعنده (أن مشكلة التخلف مشكلة وعي قبل كل شيء. والعلاقات غير المتوازنة بين الرجل والمرأة، سببها رثاثة الوعي المشرعن)[1]. أولها اسطورية البنية المعرفية لها، التي احتلت فيها الخرافة واللامعقول مساحة واسعة، وجعلتها تنظر لنفسها نظرة دونية. لا شك، كما يؤكد الباحث أن علاقة المرأة بالأساطير والفلسفة القديمة، محكومة بنظرية العبودية، التي تكرّس عبودية الإله / السيد / الملك / الطاغية. وتسلب الفرد إنسانيته، بعد تكرّيس "تشيئته"، ليكون مستلبا، تابعا. فقيمة الشخص، ذكر أو أنثى، قيمة اعتبارية تسبغها عليه الإلهة / الملوك / السادة / الطغاة. وليس لهم وجود مستقل[2]. هذا ما يفعله المنطق العبودي والذي يحذر منه الاتجاه التنويري دائما، ويؤكد عليه كثيرا الباحث الغرباوي في كتابَي: الفلسفة النسوية وكتاب المرأة والقرآن. كما أنه يرفض تحميل المرأة خطيئة البشرية، تلك الاسطورة التي تتناقلها الاساطير القديمة والكتب التراثية. المرأة تعرضت لمختلف أنواع الاضطهاد، أحدها شيطنتها وتحميلها مسؤولية الخطيئة الاولى، فالرجل بطبيعته معصوم لولا غواية المرأة التي أوقعته في الخطيئة!!!.

لا شك أن علاقة الرجل بالمرأة أو الذكر بالأنثى مرة بمراحل مختلفة خلال تاريخهما المشترك، ففي العصر الأموي كانت المرأة تتمتع بمكانة رفيعة حتى صارت

---

1 - المصدر نفسه، ص 27.
2 - المصدر نفسه، ص 17.

آلهة تعبد، وصارت الأنوثة رمزا للخصب والحياة في الأساطير القديمة[1]. ثم خضعت الى سلطة الذكر، وراح يتحكم بها وبمقدراتها. الى درجة بات وعي المرأة مرتهنا لوعي الرجل، ضمن أطر البيئة الثقافية، والنظم الأخلاقية التي قامت على مركزية الذكر ذلك ماذكره الأستاذ الغرباوي وهو يناقش الوضع تاريخيا[2].

وقد سعى في كتاب النسوية الى تصحيح المفاهيم فان معنى كون المرأة آلهة، يقول: (فكونها – أي المرأة في العصر الأمومي – مصدرا للحياة كان سببا لعبادتها، وقدسيتها. كما هو الحال بالنسبة لعبادة البقر باعتبارها مصدرا للخير والعطاء. فألوهية المرأة تكمن في عطائها لا في إنسانيتها، وقدراتها العقلية، وعبادتها لا تعني الاعتراف بإنسانيتها بل لأنها مصدر للحياة، مثلها مثل البقرة. يتضح هذا جليلا من خلال الملاحم والرموز الأسطورية)[3]. ويضيف: (بل أن إنسانية المرأة غير مطروح أساسا، وتبعيتها للذكر أمر مفروغ منه، ضمن ثقافة العبودية، التي كانت سائدة آنذاك، والتي كانت تعيد انتاجها باستمرار، وهي ثقافة لا إنسانية تصادر المرء حريته واستقلاليته، وتجعل منه عبدا مملوكا لسيده)[4].

التأويلات الخاطئة للنصوص الدينية

تكلم الباحث الغرباوي في كتاب المرأة والقرآن[5] عن التأويلات الخاطئة لنصوص القرآن الكريم الخاصة بالمرأة، وكيف أنها عكست صورة سلبية عنها، من وحي تلك التأويلات. فعندما نعود للكتاب الكريم نجده يتحدث عن المرأة الإنسانة، على

---

1 – المصدر نفسه، ص 20.
2 – المصدر نفسه، ص 21.
3 – المصدر نفسه.
4 – المصدر نفسه.
5 – المرأة والقرآن.. حوار في إشكاليات التشريع، حوار د. ماجدة غضبان مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2015م.

خلاف ما هو متداول في مجتمعاتنا. فهي انسان اولا وقبل كل شيء. يجب التعامل معها على هذا الأساس. هي شريك الرجل، ورديفه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)[1]، فهما على مسافة واحدة بالنسبة للآية الكريمة، خاطبهما معا مادام أحدهما يكمّل الآخر. وقد ذكر الكتاب أمثلة عديدة عن مكانة المرأة في الإسلام. منها: (خاطب القرآن المرأة كانسان في: جميع الآيات التي خاطبت الانسان بما هو انسان فتشمل باطلاقها الرجل والمرأة، ولا تخصيص له دونها، وهي الآيات التي تتحدث عن الانسان بما هو انسان. وكذلك الآيات التي تخاطب الناس، وليس الناس سوى الرجال والنساء، بدليل الآية المتقدمة، انا جعلناكم شعوبا وقبائل. وكل الآيات التي تنص عليها كمؤمنة)[2]. فاستصغار شأنها ونزع إنسانيتها ليس مصدره النصوص القرآنية وإنما رؤية بشرية تتحكم بها عادات وتقاليد بعيدة عن روح الانسانية. مصدرها الرجل وإن كان مفسرا. رجل ينطلق من رؤية ذكورية للمرأة في تحديد حقوقها ومسؤولياتها.

كما لفت الكتاب نظر القارئ إلى وحدة الخطاب القرآني للرجل والمرأة بشكل متساوٍ في النصوصه. جميعها يتحدث عن إنسانيتهما ودورهما في بناء المجتمع[3]. وأرجع أسباب النظرة الدونية ونقصان عقل المرأة في المجتمع إلى التراث الذي نسب للنبي والصحابة روايات تنقص من إنسانيتها. غير أني أرى أن نسبتها للنبي والصحابة ليست صحيحه. لأن ما يخالف النصوص القرآنية لا يؤخذ به. القرآن أعاد للمرأة حياتها وحرم الوأد. وفرض لها نسبة من الميراث. ومنحها حق اختيار الزوج، وغير ذلك من حقوق حصلت عليها بعد نزول الرسالة المحمدية.

---

1 - سورة الحجرات، الآية: 13.
2 - المرأة والقرآن، مصدر سابق، ص 13.
3 - المصدر نفسه، ص 12 – 13.

المرأة والوعي

ما زالت المرأة العربية بحاجة إلى ثورة تخرجها من سلطة الرجل والفقهاء ومقدساتهم. وأن تعي ذاتها وإنسانيتها قبل أن يعي المجتمع أهميتها. فهي بحاجة مستمرة الى ثقافة تنويرية تستعيد بها وعيها ودوها الانساني الذي خُلقت من أجله. فالوعي بالنسبة لفسلفة ماجد الغرباوي أمر مركزي، يعوّل عليه كثيرا، حتى ضمنه في مفهوم الفلسفة النسوية. ففلسفته قائمة على الوعي أولاً، لذا يقول في تعريفه لمفهوم النسوية والمهام التي تقوم بها: (تعريفي لمفهوم النسوية – Feminism، وفقا لمفهوم الفلسفة المعاصرة، القائمة على النقد والعقلانية، هو: أنها فلسفة تهدف إلى (تحرير وعي المرأة وإعادة تشكيله وفق رؤية إنسانية عادلة). ليكون موضوعها: (نقد مكونات الوعي وارتهانات تشكيله)[1].

ان مسألة وعي المرأة بذاتها كما يرها هي الركيزة الأهم في تصحيح النظرة إليها ووضعها في مكانها الصحيح ومكانتها كإنسان كامل، لا يعاني من نقص العقل الذكوري، فهي الإنسان الواعي الذي يسعى لبناء مجتمع إنساني سليم التفكير لا يستطيع الفقهاء والحكام التسلط عليه وغبن حقه. ولا نغالي إذ قلنا أن ثورة تشرين عام 2019 كانت صورة واضحة لوعي المرأة العراقية لمكانتها، وخروجها من سجون الفقهاء كان نتاج ذلك الفكر التنويري الذي يملكه وينشره التنويري السيد ماجد الغرباوي. لكن للأسف رأينا كيف عاد العراق إلى النظام الديني المتطرف الذي أعاد المرأة العراقية إلى الهاوية بعد أن كانت قد حازت الصفوف المتقدمة في الفكر والريادة في المحافل الدولية العلمية والسياسية.

هذا التراجع سببه العودة إلى (النظام الأبوي) الذي تتبناه الحركات الدينية. والتي تجعل من المرأة كائن يثري البشرية بالنوع الإنساني فقط من خلال وظيفتها الإنجاب مما يجعلها بحاجة إلى قوامة الرجل أو التسلط عليها بحسب المفهوم الخاطئ للنصوص

---

1 – الفلسفة النسوية، مصدر سابق، ص 9.

الدينية التي جعلتها إنسان شأنها شأن الرجل (وفضل بعضهم على بعض) كل باجتهاده.

يختم الأستاذ ماجد كتابه من خلال تساؤل المحاور عن رأيه في حجاب المرأة، كانت التفاتة جميلة أنه وصف الزي والملبس بقوله (يشكّل الزي مائزا يفترق به الإنسان بمعية العقل والإدراك عن الحيوان)[1]. إذ لم يشأ آدم وحواء أن يكونا عراة كالحيوانات وذلك كما يرى بداية الإدراك العقلي للبشر بعد خروجهم من الجنة، ففي سورة طه: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)[2]. ثم يعود إلى غطاء الرأس ليبين أنه يمثل هوية لمن ترتديه. على اعتبار أن الأزياء تمثل هوية الإنسان كفرد إذ أن الأزياء عند الشعوب لا تتشابه بل يتمايز الناس في أزيائهم، وكون الحجاب زي يمثل المرأة المتدينة سواء أكانت يهودية أو مسيحية أو مسلمة، فتعاليم الدين تدعو إلى حجاب المرأة. فانتقل في الإسلام من مجرد كونه يدعو إلى الاحتشام إلى شعيرة دينية غالبا يفرضها رجال الدين والقبيلة بالقوة مما يجعلها تشعر بالتكبيل والقيود والنفور منه، اذ نقل الفقهاء قضية الحجاب من مجرد زي إلى علامة انتماء سياسي أو ديني أو مناطقي، وتبقى مسألة التمسك بالحجاب من عدمه يعود إلى وعي المرأة بالزي الذي ترتديه.

رأيت في فكر التنويري الغرباوي في كتابه المرأة والقرآن نظرة، دبلوماسية، نحو تعدد الزوجات الذي رفضه الكثير من التنويريين، فإن صلاح المجتمع ونظافته من الفساد أكثر صلاحا حين يسمح بتعدد الزوجات . إلا أنه أطلق حكما قاسيا جدا على الرجال ومن يسمح بتزويج المرأة غصبا فاعتبره من الزنا، وأنا أرى أن ذلك صحيح جدا ونحن نرى الآن كيف انتشر تزويج القاصرات غصبا لأسباب اقتصادية والمتاجرة بجسد القاصرة لا يمكن أن يعد إلا من باب الزنا.

---

1 - المصدر نفسه، ص 206.

2 - سورة طه، الآية: 121.

الإسـلام ثورة، هذا التوصـيف أطلقه الكثير من المفكرين من أطلق عليهم صـفة علماني أو تنويري، إلا أنني لا أرى أن الإســلام ثورة كون الثورات تتآكل نتائجها بانتهاء رجالها وأثارها لتأتي بعدها ثورات أخرى تصـحح المسـار، بينما لا يكون ذلك في الدين الإســلامي لأسـباب عدة ربما يكون لي شـرف مناقشـتها مع الأسـتاذ الغرباوي.

لقد لفت المفكر الغرباوي الأنظار الى مســألة قدسـية النصــوص القرآنية، وما يترتب على من يؤمن أو لا يؤمن بقدسـيته، وكيف تتبدل زاوية النظر: (ثمة من يعتقد بمرجعية وقداسة القرآن مطلقا، في قبال من ينفي عنه ذلك. وبالتالي فزاوية النظر تؤثر في فهم النص بين التأويل والنقد. لكن الجميع يعتقد ان القرآن نص متعال في نسـقه الكلي، بلاغيا او في بنائه النصـــي، او من خلال وســطيته وعقلائيته، او اخباراته التاريخية والعلمية، غرائبيته وتشريعاته، وأشياء اخرى كثيرة. وهذا ليس رأيا شـخصيا. وعليه نحن نتعامل مع النص بما هو نص تاريخي، دون انحياز لأي من زاويتي النظر، سواء كان وحيا او تأليفا .. فهذا لا يهمنا حاليا، الا في سياق الأسئلة)[1].

يبقى هدف المرأة الواعية أن تعيش إنسـانة حرة، لايقمع أحد شـعورها الإنسـاني ولا يعيدها إلى مفهوم (العبودية) وإنما هي (خليفة الله في أرضه) شأنها شأن الرجل.

إن قضية التنوير التي يتبناها الأستاذ الغرباوي لا تعني عداءه للدين أو رفضه التام لما ورد فيه، بحسب مايظنه المتشددون أو(الراديكاليون المتطرفون) من أن التنوير يدفع نحو إنكار ما جاءت به الأديان. وأهم ماحث عليه أن التنويري عندما يتصـــدى لقضية نقد القضايا التي تمس مقدسات الناس لابد وأن يكون ملما إلماما تامة بما يقرأ ولديه كل وسائل النقد وآلياته.

---

1 - المرأة والقرآن، مصدر سابق، ص 9.

رؤية تحليلية لكتاب
التسامح ومنابع اللاتسامح
للمفكر العربي الأستاذ ماجد الغرباوي

بقلم: د. رانيا عاطف[1]

لا شك أن التسامح يعد مبدأً أخلاقيًا أساسيًا وقيمة إنسانية سامية، وهو أحد أهم مبادئ تعزيز العلاقات بين أبناء المجتمع الواحد أو بين المجتمعات وبعضها البعض، كما أنه يعد أساسًا لكثير من القيم الأخلاقية مثل قبول الاختلاف، احترام الإنسان لكونه إنسانًا يجب أن يحترم لذاته، احترام حرية التعبير عن الرأي أيًا كان هذا الرأي، وإدراك أهمية تطبيق مبدأ العدالة في المجتمع، ومن هنا يأتي السؤال: بأي معنى يجب أن يتحقق التسامح؟ وهل يمكن أن يكون صفة ذاتية قاصرة على شخص بعينه؟ أم هو صفة اجتماعية يمكن أن تتجسد في مجتمع بأكمله؟ حاولت الباحثة الإجابة عن هذا السؤال في ضوء كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح (فرص التعايش بين الأديان والثقافات) هذا الكتاب الذي تم نشر الطبعة الأولى منه عام 1429هـ – 2008م للمفكر القدير الأستاذ ماجد الغرباوي وذلك لما لهذا الكتاب من أهمية كبرى حيث جاء ليوضح كيف يمكن أن يتحقق التسامح، كما أبرز كذلك منابع اللاتسامح التي تعد –من وجهة نظر كاتبة هذه الأسطر- الخطر الأكبر الذي يهدد أي مجتمع متى ينتشر فيه، وهنا يأتي السؤال: ما أهمية تناول قيمة التسامح الآن؟ بمعنى أكثر دقة لماذا تم اختيار كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح كموضوع لهذه الورقة على وجه التحديد؟

عند الإجابة عن هذا السؤال نجد أنه رغم مرور سنوات طوال على نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب شهد عالمنا خلالها أحداثًا كثيرة من تقدم علمي وتكنولوجي،

---

1 تخصص فلسفة بكلية الآداب، جامعة المنيا، مصر.

وحروب، ونزاعات، وثورات، وصراعات مختلفة، وغير ذلك من الأحداث التي تساهم بلا شك في تشكيل فكر الإنسان إلا أنه مازال يعاني من غياب ثقافة الحوار وعدم قبول الآخر المختلف وانتشار الكراهية والموت وازدراء الإنسان في كثير من الأحيان وذلك تحت مسميات دينية ومذهبية وقومية.

لا مجال لخلاف على أن الإنسان بطبعه كائن اجتماعي يسعى دائمًا لمشاركة غيره والتعايش معه وقد ظهر ذلك واضحًا منذ قيام أول مجتمع بشري على الأرض، لقد أدرك الإنسان أنه لا يستطيع أن يعيش بمفرده أو بمعزل عن غيره فلابد له من الاحتكاك بأبناء مجتمعه والتعامل معهم، ومع إدراك الإنسان أهمية ذلك الاحتكاك بغيره والتعامل مع أبناء مجتمعه أدرك أهمية تطبيق تلك القيم التي تنظم حياة أبناء المجتمع، وتحفظ لهم حقوقهم، وتضمن لهم حياة إنسانية هادئة دون ظلم أحد أفراد هذا المجتمع، ومن بين هذه القيم الأخلاقية التي تضمن للإنسان تضامنه مع غيره وتقبله للآخر سواء اتفق معه أو لم يتفق، وكذلك تضمن تكامل المجتمع وتحقيق أهدافه "قيمة التسامح" حيث أدرك الإنسان أهمية التسامح، وكونه ضرورة حياتية تبقى الحاجة لها قائمة مادامت الحياة مستمرة، وطالما أن هناك إنسانًا يمارس العنف ضد الآخر وإقصائه وتكفيره، وبرفض التعايش السلمي مع غيره المختلف معه سواء كان هذا الاختلاف فكريًا أو دينيًا أو سياسيًا أو ثقافيًا[1] كما جاء ذلك في مقدمة كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح، من هنا جاءت أهمية السؤال الذي تم طرحه في بداية هذه الورقة وهو: بأي معنى يجب أن يكون التسامح؟

لا شك أن هناك الكثير من الدراسات والمؤلفات التي أفاضت في تناول مفهوم التسامح لغة واصطلاحًا، وكذلك الحديث عن أهميته كقيمة أخلاقية عليا إذ لا سبيل لمجتمع أراد أن يعيش بسلام أن يتخلى عنه إلا أن هذا الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه الآن نجده قد اتخذ طريقًا يختلف إلى حد كبير عن الطريق الذي اتخذته معظم الدراسات التي تناولت قيمة التسامح؛ وذلك لأنه حاول بيان الأسس التي

---

1 ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح (فرص التعايش بين الأديان والثقافات)، الحضارية للطباعة والنشر، العراق- بغداد، الطبعة الأولى: 1429هـ – 2008م، ص: 11.

يجب أن يرتكز عليها مفهوم التسامح لتوطيد العلاقة بين الطوائف والقوميات المختلفة، أي تكريس مفهوم التسامح وفق الحاجة الاجتماعية له من حيث كونه حقًا للجميع قائم على أساس الاعتراف بالآخر واحترامه لأنه إنسان يجب أن يحترم لذاته سواء اتفق مع غيره أو اختلف مع ضمان حريته في التعبير عن رأيه وممارسة حقوقه كاملة، وعندما أدرك الإنسان خطر الحرب وانتشار التعصب والعنف والتطرف والإقصاء ونبذ الآخر المختلف في بعض المجتمعات لم يجد أمامه وسيلة للحد من هذا الدمار الذي لا محالة سينال المجتمع نتيجة غياب قيمة التسامح والعيش بسلام سوى التمسك بقيمة التسامح، إذ تعد تلك القيمة وسيلة النجاة لأي إنسان أدرك المعنى الحقيقي للإنسانية وما تتضمنه من حقوق وواجبات يجب احترامها والحرص على أدائها كما يجب أن تكون، هذا بالنسبة لأي إنسان، فماذا عن الإنسان المسلم الذي وجد التسامح جوهر دينه الإسلامي الوسطي الذي يدعو إلى احترام الإنسان لذاته واحترام إرادته وتحريم الاعتداء على كرامته، وكفل له حرية التعبير عن رأيه فما كان أمامه غير التمسك بالتسامح وبغيره من قيم العفو الرحمة والسلام كوسيلة للحد من خطر الموت والنزاع والعداء والإقصاء المنتشر في المجتمع كما أوضح لنا الأستاذ الغرباوي من خلال هذا الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه الآن حيث يقول مفكرنا: "لم يبق أمام الشعوب الإسلامية خيار للحد من ثقافة الموت والاحتراب والعداء والإقصاء المتفشية في كل مكان، سوى تبني قيم التسامح والعفو والمغفرة والرحمة والأخوة والسلام لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف إلى مساحة للحوار والتفاهم بدل الاقتتال والتناحر..."[1] ولكن كيف يمكن ترسيخ التسامح في المجتمع لكي يحقق أهدافه ويؤتي ثماره؟ يمكننا القول بأنه للابد للإنسان إذا أراد التمسك بقيمة التسامح أن يدرك أولًا أنه إنسان، أي أن طبيعته الإنسانية تجعله يخطئ ويصيب، وطالما أنه ليس على صواب دائم فلابد له من احترام طبيعته وكذلك احترام طبيعة الآخرين؛ ويظهر ذلك من خلال قبوله آرائهم وفي بعض الأحيان -قبوله أخطائهم- وتسامحه معهم إن لم يمتد خطر تلك الأخطاء لإيذاء إنسان آخر أو

---

1 المصدر نفسه، ص: 15.

التعدي على حق من حقوقه، ومن ثم يكون علم الإنسان بكونه ليس معصومًا من الخطأ في سلوكه وأقواله يقتضي بلا شك تسامحه مع نفسه أولًا، أي قبوله لذاته وطبيعته وقبوله لغيره على ما هو عليه ومع قبوله لذاته وقبوله لغيره يسعى للتغيير للأفضل، وهذا من وجهة نظر الباحثة يمكن عده ممارسة التسامح بأسمى معانيه تطبيقيًا على أرض الواقع سواء كان ذلك على المستوى الديني أو الثقافي أو الاجتماعي أو حتى على المستوى السياسي، وهذا هو جوهر الدين الإسلامي كما أوضح لنا الكتاب، وبنظرة أكثر شمولية نجد أنه لا مجال لحياة إنسانية هادئة مطمئنة بعيدًا عما نعانيه ويعانيه عالمنا الآن من حروب وصراعات ونزاعات وإبادات جماعية لشعوب بأكملها إلا بالتسامح، إذ ليس من الإنسانية في شيء أن يحصل شعب بعينه على حقوقه كاملة، ويعيش حياة مطمئنة على حساب شعوب تفتقد أقل حقوقها وهى أن تعيش بسلام دون تهديد أو عنف أو فقد أو إقصاء أو معاناة، وبالمثل لا يمكن تحقيق التسامح إلا من خلال تضافر الخطاب الإعلامي مع الخطاب الديني والسياسي والتربوي، وذلك يتطلب تعاون الفرد مع المجتمع والشعب مع القانون والدولة مع الدستور.[1]

أجاب الكتاب عن مجموعة من التساؤلات مثل ما معنى التسامح؟ ما المطلوب من المتسامح سواء كان فردًا أو مؤسسة أو دولة؟ وما هى الأشياء التي يمكن التسامح فيها؟ وغيرها من الأسئلة المهمة التي تفرض نفسها عند دراسة قيمة التسامح إلا أن الباحثة هنا سوف تركز اهتمامها على نقطة جوهرية ارتأت أنها في غاية الأهمية وعرضها الكتاب عرضًا وافيًا وهى كيف يمكن أن يكون الفهم الخاطئ لمفهوم التسامح سببًا لغياب قيمة التسامح؟ أي كيف يكون سوء فهم التسامح منبع اللاتسامح؟ وبأي معنى يمكن أن يكون التسامح حقيقيًا؟

يرى الأستاذ الغرباوي: أن التسامح في نظر الأوساط المتصارعة لا يعدو كونه قيمة أخلاقية تتحكم به مؤثرات اجتماعية وسياسية، وهو في رأيها منّة وتفضل مشروط، قد ينقلب الى ضده إذا فقد رصيده الأخلاقي، وما نحتاجه فعلًا لتوطيد

1 المصدر نفسه، ص: 15.

العلاقة بين الطوائف والقوميات مفهومًا يرتكز الى أســـس متينة، تتفادى الاحتكاك على خطوط التماس، إلا أن المراد بالتســـامح أنه موقف إيجابي متفهم من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدًا عن الاحتراب والإقصاء[1].

بهذا المعنى ارتأت الباحثة ضرورة تكريس مفهوم التسامح وفق حاجات الإنسان الاجتماعية بعيدًا عن المنّة والتفضل والكرم، بحيث يكون التسامح حقًا لجميع الأفراد على أساس الاعتراف بالآخر وحقه في الاختلاف كيفما يشاء بشرط عدم الإضرار بغيره، وهذا يؤكد لنا أنه ثمة اختلاف جوهري بين تســـامح شـــكلي، تفرضـــه دوافع السلم الأهلي أو الاجتماعي يقوم على المنّة والتفضّـل، ويحمل في داخله نواة انهياره، في مقابل تسـامح حقيقي، يعي صـاحبه مفهوم الآخر، ويعترف به شـريكًا بالحقيقة مهما كانت نسبتها، أي تسامح يسمح بتعايش مختلف الرؤى والاتجاهات بعيدًا عن الصراع والاقصاء، على أساس شرعية وجود الآخر دينيًا وسياسيًا وضمان حريته في التعبير عن آرائه ومعتقداته[2]، بهذا المعنى يكون التسامح الحقيقي ضد احتكار الحقيقة والاستئثار بالنجاة لطرف دون آخر بعيدًا عن إصدار أحكام برفض الآخر أو تكفيره لمجرد اختلافه مع من يتوهم أنه يمتلك الحقيقة المطلقة، كذلك يكون التسـامح وسـيلة للقضـاء على منابع اللاتسـامح التي تتعدد تبعًا لطبيعة المجتمع ثقافيًا وفكريًا وعقيديًا، وأيضًـا تبعًا لمستوى حضـور الدين ومدى تمسـك المجتمع بالقيم الدينية والاجتماعية، ولكن ثمة منابع تعد –في نظر مفكرنا– أكثر أهمية مما ســـبق وتتفق معه الباحثة في هذا الرأي من بينها المنابع التي تفضـي إلى التعصـب الديني والقبلي والسـياسـي، وما ينتج عنها وما يعمق وجودها ويركز فاعليتها من مفاهيم وقيم[3].

ومما سبق يمكننا القول بأن التسامح الذي يحتاجه عالمنا الآن وبالمعنى الذي يجب أن يكون هو التســـامح الحقيقي لا الشـــكلي، التســـامح الذي يقبل المختلف قبولًا

---

1 المصدر نفسه، ص: 20.

2 ماجد الغرباوي، التســـامح ومنابع اللاتســـامح (فرص التعايش بين الأديان والثقافات)، الحضـــارية للطباعة والنشر، العراق– بغداد، الطبعة الأولى: 1429هـ – 2008م، ص: 23.

3 المصدر نفسه، ص: 26.

حقيقيًا ويعترف بحقه في الاختلاف، وليس مجرد التظاهر بالتسامح الذي ينكشف زيفه وكذبه مع أول اختبار له بخلاف بين متبنيه والطرف الآخر المختلف معهم، ما نحتاجه هو تسامح تكون غايته أن يعيش العالم في سلام ووئام دون نظرة تعالي من طرف على غيره، نحتاج التسامح كصفة ذاتية وصفة اجتماعية في الآن نفسه، حيث يتبلور تسامح الإنسان كصفة ذاتية في قبوله لذاته من حيث كونها ذاتًا بشرية مهما تسامت لا يمكن أن تصل لمراتب الكمال المطلق أبدًا، ومن ثم يعد فهم الإنسان لذاته وطبيعته واعترافه بأخطائه وعثراته — لأنه إنسان يصيب ويخطئ- الخطوة الأولى لتطبيق التسامح الحقيقي مع الذات، ومحاسبتها بما يتوافق مع طبيعتها البشرية، وكذلك يكون التسامح أيضًا خطوة مهمة نحو قبول الآخر المختلف والتعامل معه تعاملًا سلميًا، إذ لا مكان ولا مجال لعنف أو تعصب بين أناس عرفوا معنى التسامح وأدركوا قيمته وطبقوه في علاقاتهم، ومن ثم يكون التسامح أيضًا المبدأ الأساسي لقبول التعدد والتنوع والاختلاف سواء بين أبناء المجتمع الواحد أو بين المجتمعات المختلفة، كما يتبلور مفهوم التسامح الحقيقي أيضًا من حيث كونه صفة اجتماعية في احترام أبناء مجتمع ما ثقافة وهوية المجتمعات الأخرى، إذ أن لكل مجتمع هوية تميزه وثقافة يرتضيها أبناؤه يجب أن تحترم.

فليس الهدف أن نتفق جميعًا على ثقافة ما أو سلوك بعينه؛ لأن هذا الاتفاق ربما يكون محالًا، وإنما يجب أن يكون الهدف هو أن نتعلم كيف نختلف، فللاختلاف أخلاقيات يأتي في مقدمتها الإيمان بأن هذا الاختلاف هو سنة كونية يجب قبولها، مما يتطلب تنمية روح التسامح واحترام التعددية بشتى صورها وترك التعصب والتشبث بالرأي الواحد جانبًا إذا ما أردنا النهوض بالمجتمع وتحقيق تقدم حقيقي، فليكن مبدأنا: لا مانع من أن نختلف كما شئنا ولكن يظل احترامنا لبعضنا البعض مرجعنا، ويظل تسامحنا متجسدًا في علاقاتنا مع بعضنا البعض، وليكن تسامحنا بالمعنى المطلوب باحترامنا لذواتنا دون رفض طبيعتها التي ربما تؤرقنا في بعض الأحيان واحترامنا لغيرنا مهما اختلف معنا، فليكن تسامحنا رحمة فيما بيننا، وليكن تسامحنا أيضًا رفضًا لكل عنف يمكن أن ينال الإنسان أيًا كان هذا الإنسان، وليتمثل تسامحنا في حب الخير لغيرنا حتى إن لم يحقق نفعًا لنا، فليكن تسامحنا في تحقيق تقدمنا دون

إلحاق الضرر بغيرنا، فليتجسد تسامحنا في إيماننا بأنه لا خير في مجتمع لا يراعي القيم الإنسانية، وليكن تسامحنا تطبيقًا لا تنظيرًا فحسب.

ومن خلال هذا العرض الموجز لما تناوله كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح من تساؤلات ونقاط تعدها الباحثة في غاية الأهمية لكونها متجددة بتجدد مستجدات العصر تنصح الباحثة بقراءته وتناوله كموضوع لمزيد من الدراسات حول قيمة التسامح لكونها أساسًا لكثير من القيم التي يحتاجها عالمنا اليوم ووسيلة لحل كثير من مشكلاته.

قراءة في فكر الباحث ماجد الغرباوي
تجلّيات التنوّع في التّأويلية الهرمونيطيقية

بقلم: الأستاذة ريما الكلزلي[1]

إن قيمة أيّة مشـــروع فكري تنويري تتمثّل في نوعيّة هذا المشـــروع من حيث الأصـــالة والابتكار، هل يقدّم حلوًلا جديدة، هل يعالج المشـــكلات بطرق مبتكرة، نتاج هذا المشـــروع وقابلية التطبيق هل تتميّز بالاســـتدامة، أخيرًا وهل يســـتطيع أن يحدث فرقًا إيجابيًا واضحًا في المتلقي والمجتمع على حد سواء؟

كما أن كلّ كتاب نتطلّع إلى قراءته لابد من عنوان مهم له يشـــدنا نحوه، أما قراءة فكر الغرباوي، فهي قراءة مثمرة بقدر ما تفتح الأعين على رؤى عميقة ومنهج تحليلي متفرد في معالجة الإشكالات والقضايا الإنسانية.

عُرف ماجد الغرباوي بأنه مفكر وباحث عراقي له مساهماته في الفكر الإسلامي المعاصـــر، فكيف يمكن تحليل ونقد الطرح الذي قدّمه في ســـياق الهرمونيطيقية وما الآثار النظرية والعملية المترتبة على هذا الطرح، والذي يســـهم في تأدية دورًا مهمّا في فهم النّصوص بطريقة عميقة بين النص والقارئ، حيث يؤثر كل منهما في الآخر.

بداية تظهر إصداراته كمحطات يتأصّل فيها منهج هذا المفكر الذي عرفنا على التغيرات والتحديات التي لا تنفصـل في رؤيتها عن منهجه المعرفي والمحاور الرئيسـية في مشروعه الإصلاحي، حينما اتّخذ موقفا جريئًا ثابتًا ممن يُؤلّهون الأوثان البشرية، فقال: " يكمن خطر التراث في قدرته على تأليه أوثان صنعها بيده"، هذه المقولة إصـلاحية بقدر ما يتم تفســـيرها على أنها دعوة إلى إعادة النظر في بعض جوانب التراث، التي يمكن أن تعيق التقدم، أو تسـهم في ترسيخ مفاهيم خاطئة، حيث الفكر الإصـلاحي يســـعى لتحديث الممارســـات والأفكار دون التخلي عن الجوهر أو الهويّة الثقافية،

---

1 - أديبة وناقدة سعودية

ونستطيع القول أنها تنويرية بقدر ما تعزّز المشاعر الإنسانية التي تتّخذ طابع التّجديد لولادة فكر موضوعي يركز على العقلانية، والعلم، ويدعو إلى التحرر من كل أشكال السلطة التي لا تستند إلى العقل والمنطق، بما في ذلك سلطة التقاليد والتراث، وكلا الحركتين الإصلاح والتنوير تدعوان إلى ضرورة التفكير النقدي الذي يتزامن مع عاصفة من التناقضات الاجتماعية الراهنة، حاو من خلالها الغرباوي أن يؤسس قاعدة ثابتة، يتحرّر فيها من عقدة النّموذج، ومن حتميّات الدّلالة.

يعتمد المشروع الإصلاحي لدى ماجد الغرباوي على السياق التاريخي والثقافي للموضوعات التي أراد لها النور، فبدأ من الإصلاح الداخلي، إصلاح الأوضاع الدينية والاجتماعية إلى السياسية أحيانا داخل المجتمع، سعيًا إلى تطويرها من الداخل وفقًا مبادئه الأساسية.

حرص الغرباوي على احترام التقاليد والقيم الراسخة في المجتمع في مشروعه الإصلاحي ساعيا إلى العثور على نقاط مشتركة بين الثقافات لأهميتها التي تسهم في مد جسور التواصل، ويرى في الإصلاح طريقة لإعادة إحياء هذه التقاليد بما يتكيف مع العصر الحالي لرأب الصدع الحاصل بين الدين والأخلاق.

كما ويسعى إلى التغيير التدريجي، كسيرورة في التقدم المستمر، بشكل يتساوق مع بناء الوعي المعرفي، وإن كان مشروعه يبدو بأنه يحمل اللافتة التنويرية ويتّخذ منهج الإصلاحيين.

فقد طرح سؤالات كبيرة في كتابه" المقدس ورهانات الأخلاق "كدعوة لإيجاد إجابات تحطم أطر التراث التي تستغرق الذاكرة، بحثا عن أسباب التخلف، وشروط النهوض، فالنهضة وفق منظوره يعرضها كأطروحة ثابتة، في إحياء الدين دون انحرافات، وترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني، وربط العقيدة بالنظام السياسي والاجتماعي.

وقد استعرض د. صالح الرزوق – وهو مفكر وكاتب سوري له العديد من المقالات والكتب النقدية التي تناولت قضايا مختلفة كالدين والثقافة والسياسة – في

كتابه "جدلية العنف والتسـامح"[1] فكر ماجد الغرباوي وتناول موضـوع النّهضـة والتجديد في الفكر الديني والفلسـفي، فتقاطعت أفكارهما في الرؤية التي عدّها محاولة للتوفيق بين الأصـالة والمعاصـرة، وبأنه إصـلاحي ينتمي لمعنى اليقظة الاجتماعية، واليقظة حسب الرزوق انتباه نفسي وثقافي يفترض امتلاك أدوات سياسية يمكن أن نعتمد عليها في حوارنا مع الاخر. كما بيّن كيف يمكن للتسـامح أن يلعب دورًا في تخفيف التوترات والصراعات التي تنشأ من العنف المستند على التفسيرات الدينية أو الأيديولوجية. وناقش كيف يمكن للتسـامح أن يسـهم في إحياء فكرة النهضـة من خلال تشجيع الحوار والانفتاح على الآراء المختلفة.

دعا الغرباوي إلى خلق قطيعة إبستمولوجية مع الخرافة لصالح المعرفة، وفهم النص الديني ضمن سياقه التاريخي بعيدا عن التقديس، لإعادة تشكيل الوعي.

نتبين في قراءتنا أنّ موقفه ثابت نحو الاجتهاد الفكري المبدع الذي يجب أن يتواءم مع الحريات الإنسانية ونهضة المجتمعات الحديثة وفقا للظروف المعاصرة، فهو يناقش النهضة الإسلامية من منظور يجمع بين الدين والسياسة، ويبين دور النهضة كما حدده الرزوق " في تنقية الدين من انحرافات التأويل" وتجديد الفكر الديني بما يوافق متطلبات العصر، مع الاحتفاظ بقيم التسامح والحرية.

الإصلاح في مشروعه الفكري ظاهرة ملموسة ذات أهمية أسمى تتجاوز النّظريات المجردة، وترتبط ارتباطا وثيقًا بروح التجديد عبر الإشادة بضرورة العلم ونشر الوعي، ومحاربة الجهل والخرافات حسـب ما ذكر في كتابه "المرأة والقرآن"[2] بأنّ الانطلاق من داخل النص إلى خارج النّص هو الأمر الذي يتناسب مع القراءة عندما يشتبك مع عوامله الخارجية، فالقراءة التي تنبع من داخل النص وحدها إنما هي ضـيقة الأفق والمدى، بينما تلك التي تتم من خارج النص إلى داخله تُظهر سلطة المعرفة، والاعتقاد

1 - الرزوق، د. صالح، جدلية العنف والتسامح.. قراءة في المشروع الاصلاحي لماجد الغرباوي، دار نينوى، دمشق – سوريا، 2016.

2 - المرأة والقرآن.. حوار في اشـكاليات التشـريع، حوار د. ماجدة غضـبان مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2015.

في إطار استراتيجيات توجد الخطاب نحو الحقيقة. يقول محمد عابد الجابري: " مالم نمارس العقلانية في تراثنا، ومالم نفضح أصول الاستبداد ومظاهره في هذا التراث، لن ننجح في تأسيس حداثة خاصة بنا، حداثة ننخرط بها ومن خلالها في الحداثة المعاصرة العالمية، كفاعلين لا مجرد منفعلين".

في محطة: المرأة والقرآن.. حوار في إشكاليات التّشريع

بدأ الحوار عن قضايا المرأة في إطار يتحرّى الموضوعيّة، ومدى صلاحيّة النص، لينظر في شأن المطلق من الأحكام، كما وأنّ الهيئة الحواريّة للكتاب تزيح الملل عن القارئ، ومن خلال جرأة د. الغضبان في طرح الأسئلة جاءت الإجابات بعقلانية لافتة من الغرباوي، خلص فيها إلى أن القرآن الكريم لم يُنقص من شأن المرأة بينما الحكايات والأساطير والمرويّات التراثيّة فعلت ذلك استنادًا إلى نصوص دينية منحولة.

فيقول الغرباوي إن القرآن خاطب المرأة خطابات ثابتة ومدوّنة، بما يخصّها من التّشريعات، فجعل لها من الثواب والعقاب ما للرّجل على حدّ السّواء، التّساوي الذي يشملهما في الأوامر والنّواهي الإلهية، بينما التّفسير الخاضع لفهم المفسّر يعيقه الجمود على حرفيّة النّص والارتهان للتّراث، وهو يختلف من زمان إلى زمان آخر، يكون حسب الاسقاطات النّفسيّة والاجتماعية، حيث كشف عن الإشكاليّة القاصرة عن الإدراك، بسبب عدم مراعاة الواقع فتعكس صورة مشوّهة للنّص.

محطة" الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي

ماجد الغرباوي كمفكر تنويري يتخذ موقفًا يتّسم بالتوازن تجاه قضايا الجندر والحركة النّسوية، يؤيد فيه الحاجة إلى تحليل ونقد الأنظمة الاجتماعيّة والثّقافيّة التي تؤدي إلى الفوارق بين الجنسين، والتي غالبًا ما تعزّز الهيمنة الأبويّة التي نشأت في المجتمعات الغربية وتحصر دور المرأة في دور الأمومة والمسؤوليات المنزلية.

يعتقد الغرباوي أن الجغرافيا النسويّة ليست مجرّد دراسة لمظاهر الأرض " اللاند سكيب" بل هي تقصّي لكيفية تأثير الجندر والحمولات الثقافيّة والاجتماعيّة في تشكيل هذه المظاهر، ويرى أن الفروق الاجتماعية بين الجنسين لم تتكون بشكل طبيعي، ولكن صممت لترسيخ سلطة معينة.

فيسعى لإرساء الوجه الحقيقي للمرأة عبر مشروعه الفكري لمواجهة المفاهيم التي تتبنّاها الحركة النسويّة، وتوضيح دور المرأة في المجتمع وأهميتها ومكانتها كما يتوافق مع الأطر الدينية للمجتمع العربي والإسلامي، بعيدا عن الرؤية التي لازمت كلمة الجندر حينما ظهرت في كتابات سيمون دوبوفوار كنوع اجتماعي أرادوا جعله المفهوم المركزي للحركة النسوية كلها.

كما يوضح موقفه من الأفكار الراديكالية باعتماده على البحث عن توازن ونقد النهج الذي يدعو إلى الإجهاض، أو العلاقات المحرمة خارج إطار الزواج، أو حقوق المثليّات. في الوقت نفسه يشجع على ثورة فكريّة ثقافيّة تسمح بالتبادل الفكري الحر والمشروع، رافضًا ثقافة التنافس التي تتسم بالعداء.

لقد أولى العديد من المفكرين والمتخصصين في المجال الفلسفي اهتمامًا بالغا في فكر ماجد الغرباوي، ومنهم الدكتور محمود محمد علي الذي قام بتحليل مشروع الغرباوي فعرض تقييما للقضايا الشّائكة التي تثير النقاش حول آرائه التي تتعلق بالفلسفة النسوية، حيث بين في كتاب" الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي" كيف دعا الغرباوي إلى إصلاح الفكر السّائد وإعادة بناء الوعي بما يتماشى مع الفطرة السليمة والقيم الإنسانية، مؤكدًا على موضوع النظر إلى المرأة بأنها كيان إنساني كامل له حق التعامل معه بعدالة، وأن الدور البيولوجي للمرأة هو السبب لخضوعها للتصنيفات، حيث تم تقييمها من قبل الرجل باعتبارها مجرد جسد خاضع لقوته وإرادته، بينما النهج النسوي المتوازن يعترف بالفروق الجنسية ولكن يسعى في الوقت ذاته إلى إعادة تقييمها وتعريفها بما يتناسب مع النهضة في المجتمعات الحديثة، بطرق تمكن المرأة، وتعزز المساواة بين الجنسين دون إلغاء الفروق الثقافية والاجتماعية التي تضفي على المجتمع تنوعًا وتماسكًا.

ثم يعود في كتابه "التّســامح ومنابع اللاتســامح"[1] ليســلط الضــوء على فرص التعايش بين الأديان والثقافات، من خلال ربطه بين مفهوم التســـامح والإصـــلاح مؤكدا على أن التســامح ليس مجرد قيمة أخلاقية بل هو عقيدة وطنية، يجب أن تعزز في المجتمع، والحرية في نظره شرط لا غنى عنه لتحقيق التسامح.

ويخرج من كتابه "إخفاقات الوعي الديني"[2] وتداعيات النكوص الحضـــاري في حواره مع ســـلام البهية الســـماوي إلى كتاب آخر بعنوان "إشـــكاليات التجديد"[3] ليحدد الأسباب التي دفعت العرب المسلمين للتأخر وتوقف المد الحضاري، حصرها في عدة اتجاهات:

– اتجاه أول: شعور الانبهار بالغرب وحضارته حدّ الاستلاب والدونية، ورفض الآخر.

– اتجاه ثاني: انكفاء وسط شريحة واسعة مشوهة بسلوكيات ماضوية تتمسك بظاهر الدين.

– اتجاه ثالث: يتقدّمه رواد الإصلاح الذين درسوا حقيقتي الازدهار والانحطاط بحثًا عن الحقيقة. والتي انتهت بضرورة التشبث بالجانب المعنوي لتسديد الأخلاق.

كما أوضـــح أن الإجابة هي موضـــوع اشـــتغال المفكرين والباحثين على جميع المستويات، حيث المشكلة في الأساسية هي في بنية العقل والنظام المعرفي لشعوب المنطقة كونها القاعدة الأولى التي ترتكز إليها النهضة.

---

1 – الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللتسامح .. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2008م.

2 – اخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكوص الحضاري، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2016.

3 – الغرباوي، ماجد، اشكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2017.

وقد سنّ أطروحته بشكل أكمل حول المنهج الجديد في تشريع الأحكام، عبر كتابه" مقتضيات الحكمة في التشريع"، فنرى أن رسالة الكتاب تدور حول أهمية فهم مقتضيات التشريع وهي الظروف والأحكام التي تقتضي صدور حكم شرعي معين، وكيف يمكن لهذا الفهم أن يؤثر في تطبيق الشريعة وتكييفها مع الواقع المعاصر، كالتغيرات الاجتماعية، والتطورات التكنولوجية، والأوضاع الاقتصادية في ظل الأزمات، تحت ما يعرف بتغيير الأحكام وفق الزمان والمكان، ويتطلب ذلك دراية بأصول الفقه، كمبدأ في تجديد الخطاب الفقهي وجعله متوافقًا مع الواقع ومتطلبات العصر، والحفاظ على الثوابت، ومراعاة المقاصد الشرعية، من خلال فهم عميق لأصول الفقه وقواعده.

تعكس تجربة الغرباوي تجربة شخصية عميقة مع قضايا الاستبداد، سواء السياسي أو الديني، فهي تجربة تنقل بصدق وحساسية معاناة الأفراد الذين يعيشون تحت نير الأنظمة القمعية، هذه المشاركة تضيف الشّرعية لحديثه عن الاستبداد. فتظهر جرأته في طرح الآثار السلبية لاستغلال الدين في فرض سلطة البعض وتقييد الحريات.

في النهاية لا يسعني القول إلا أن سلسلة متاهات الحقيقة بدأت من النقطة الأهم وهي الهويّة كمجموعة من القيم والخصائص والمعتقدات التي تحدد شخصية الفرد ومكانته في المجتمع، وأهميتها الكبرى في رحلة البحث عن المعنى لوجوده، وعامل رئيسي لتشكيل الوعي، تمد الفرد ثقته بنفسه، وتعزز الانتماء الذي يمنح الأمان النفسي، ويمد أيدي التواصل لتبادل الأفكار والخبرات التي في رحلة البحث عن المعنى عبر دوره الاجتماعي، فالهوية إطار يمكن من خلاله التنقيب والتفكير في الأسئلة الأساسية حول معاني الوجود.

ولم تنتهِ مجموعة كتبه في متاهات الحقيقة ذات الرؤية الواسعة للتاريخ مشيرا عبرها إلى أن الاستبداد العابر للحضارات والثقافات، كان ومازال عقبة رئيسية أمام التقدّم والتطور الحضاري، وهذا يعكس فهمًا للتاريخ يركز على الصراع من أجل الحرية كقوة دافعة للتقدم الإنساني.

في رحلة عميقة نحو إيجاد معنى وجودي وفي سياق الإصلاح لدى الغرباوي ضمن إطار فكره الإصلاحي، يمكن أن تتضح مظاهر التنوّع بالنّقاط التالية:

1- التّأويل المنفتح: بمعنى إعادة تأويل النصوص الدينية والثّقافيّة بطريقة تعكس التنوع والسياقات المعاصرة، وتدعو إلى التعددية داخل المجتمعات، فيظهر الباحث الغرباوي اهتمامًا بتأويلات تتسم بالانفتاح على أفكار جديدة ومختلفة تحترم التنوع الفكري والديني.

2- النّقد الذاتي: يشجع النّقد الذّاتي وإعادة النّظر في التّقاليد الثّقافية والدينية بهدف تحديثها وجعلها أكثر ملائمة للعصر الحديث وقيم التنوير وحقوق الإنسان.

3- التفاعل الثقافي: التّأكيد على أهمية التفاعل والتعايش بين الثقافات المختلفة مع الحفاظ على الهويّة الثقافية والدينية.

4- التّعددية الفكرية: الدفاع عن التعددية وحرية الفكر والتعبير، ورفض الفكر الأحادي والتسلطي.

5- إعادة تقييم السلطة الدينية: دعا الغرباوي لإعادة تقييم السلطة الدينية وأسس التفويض والتأويل، بحيث يمكن الأفراد من فهم النصوص بشكل مباشر.

6- الإصلاح اللغوي: الاهتمام بلغة التواصل والتعبير عن الأفكار الإصلاحية، بطريقة مفهومة ومقبولة للجماهير مع الأخذ بعين الاعتبار السياق التاريخي والفكري.

إخفاقات الوعي الديني
حوار في تداعيات النكوص الحضاري
للأستاذ والمفكر ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ احمد راضي الشمري[1]

حينما يكون حاضرنا المعاصرُ محتلاً من قبل الماضي السحيق، بكل ثقله الدموي وإرثه العنيف وانشقاقاته البغيضة، لابد أن يتكرس هذا الاحتلال أغلالاً فكرية تلجم العقل وتجمده وتجعله من تبعيات ذلك الماضي. ولهذا فإن العقل قد يعيش في عصره الحاضر وفي ألفيته الثالثة إلّا أن أدواته الفكرية وأساليبه التحليلية لازالت خاضعة إلى ذلك الماضي. ذلك الماضي الذي لاينفك يجر العقل إليه ويسحره بسحر الطهورية الإفتراضية والمجد الخادع. ومن هنا فإن العقل يعيش مأسوراً مصفداً في ظلمات الإنجماد التأريخي بعد أن ضلّ طريق التنوير (السير مع التاريخ) فاقداً لبوصلته الفكرية رازحاً تحت تخدير عام يسلبه كل قواه ويمنعه من الحركة. في حين تمكنت عقولٌ أخرى مماثلة، مرّت بذات التجربة، من الإنعتاق من ماضيها الثقيل والإنفكاك من إرثها التأريخي وتراثها الثقافي فانطلقت في مسيرات التنوير الفكري تسابق الوقت وتتماشى مع التأريخ لكي تتناغم فكرياً وواقعيًا مع عمر العقل الإنساني، ولو نسبياً.

إن الظلمات الفكرية التي تتولد من زواج العقل مع الماضي السحيق وعشقه له واقترانه به وذوبانه الأبدي فيه كثيرة لا تعد ولا تحصى. وهي ظلمات يُنتجُ بعضها بعضاً فتفرّخ وتنتعش وتتكاثر وتزدهر وتترعرع وتتفرّع في متواليات هندسية، خصوصا في بيئات الجهل. تلك البيئات التي لاينكرُ منكرٌ أنها أطبقت على الواقع الإسلامي لمدة ألف عام على أحسن التقادير. ومن أبرز نتاجات هذه الظلمات هو التيه العام؛

---

1 - شاعر وكاتب – أستراليا.

تيه العقل وتيه الفكر وتيه الهوية وتيه الذات وتيه الموقع الحضـــاري وتيه النظرة الى المستقبل.

ومن هنا فإن حجم التنوير المطلوب لتبديد هذه الظلمات، أو لكشـــفها على الأقل، يكون بحجم الجبال ويحتاج إلى همم عالية ونفوس كبيرة وشجاعة فائقة وفروسية منقطعة النظير. ذلك إن ســـحر الظلمات الواهم وما ألقاه من رعب في قلوب المسـلمين، أو ما صنعه من ألفة وحميمية نتيجة طول فترته معهم، عطّل عقولهم وجمد أفكارهم وأقفل أذهانهم بأقفال القداسـة المتمددة على عرض الفكر الإسـلامي. ومن ذا الذي يحطّم تلك الأقفال غير المقتدرين من ذوي الهمم العالية ومن فرســـان الفكر والشجعان والمصلحين الذين لا يقدسون غير الحقيقة؟

وفي هذا الصـــدد يمثل كتاب (إخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكصوص الحضري)[1] شمعةَ ضوءٍ وضياء يحملها الأستاذ المتنور والمنوّر ماجد الغرباوي في محاولة جريئة لكشـــف الطريق نحو الخروج من التيه العام. وأولُ ما يُســـجَّلُ فيه للغرباوي في هذا الكتاب هو قدرته الواضحة على التحلل والانفكاك أو الإنعتاق من عُقد الخوف والحذر من مناقشة مواضيع حرجة وحساسة ربما تجنبها غيره لاعتبارات معروفة. هذا بالإضافة الى إيمانه، الذي يبدو متزايداً، بالنقد الذي يعتبره الغرباوي من أبرز مقومات التغيير والنمو والتطور الفكري الذي من شـــأنه أن يحقق طفرات باتجاه المشروع الحضاري.

يتكون الكتاب من مجموعة من الأسـئلة القوية والمهمة والجريئة وهي في مجموعها كانت ستة وعشـرين سـؤالاً، طرحها الأستاذ سـلام البهية السـماوي، على ماجد الغرباوي. هذا بالإضـــافة الى كم وفير من التعليقات لمجموعة من الكُتّاب والباحثين والناقدين والأدباء والشعراء والقاصّين والمتابعين الذين أطْرَوا على الكتاب وأثنوا على مؤلفه، كما قدّموا نقوداتهم عليه أيضـاً. ويشـعر القارئ للكتاب بسـلاسـة كبيرة وهو

---

1 - إخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكصوص الحضري، حوار الاستاذ سلام البهية مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني – استراليا، والعارف للمطبوعات، 2016.

ينتقل من سؤال إلى سؤال في حوارية فكرية موضوعية عميقة وهادئة تمكّنَ فيها المحاور السيد سلام البهية السماوي من أداء واجبه الحواري بشكل ملحوظ تمثل في إستخراج مكنونات الغرباوي ومتبنياته الفكرية بشكل واضح دون لبس وكامل من غير نقص. ولقد تنوعت المواضيع والأفكار في خضم الأسئلة التي طرحها السماوي على الغرباوي لتشمل التاريخ والسياسة الفكر والعقيدة والفقه المجتمع والمرأة بالإضافة الى مواضيع أخرى.

يشير الغرباوي وبوضوح في مستهل كتابه إلى غياب القابلية الإسلامية الآنية على الوقوف بِنِدّية حقيقية مع الطرف الحضاري الآخر (الغرب) بعد أن فقد العالم الإسلامي مقومات الندية والتكافئ. فما عدا وجود البنية القيمية الأخلاقيةالنظرية عند المسلمين، لا يملك المسلمون اليوم شيئاً من مقومات الحضارة التي تؤهلهم لخوض الصراع مع الغرب بتكافئ نسبي مقبول. وهو واقع يصعب دحضه إذا ما لاحظنا التبعية المخجلة، بل المهينة، التي تكبل العالم الإسلامي من أقصاه الى أقصاه وتجعله تابعاً للغرب ومعتمداً عليه في أبرز الإحتياجات وفي كل مناحي العلوم بما فيها العلوم الإنسانية. لذلك يرى الغرباوي إن جزءاً كبيرا من عملية إصلاح هذا الخلل وفك التبعية والإعتماد على النفس يتمثل في الإعتراف بالحقيقية والإجابة على الأسئلة التي أطلقها المفكرون المسلمون، كجمال الدين الأفغاني والكواكبي وغيرهم، في البحث عن أسباب تخلف المسلمين وفشل النهضة عندهم. ولا يجب أن يخاف المسلمون، إن أرادوا الإصلاح، من نقد تراثهم والإعتراف بأسباب الفشل مهما كانت لأنها السبيل الوحيد للتشخيص قبل تقديم العلاج. وعندها سيكونون قادرين على فهم ماأسماه الغرباوي ب "الفاجعة الحضارية" التي تتمثل في إمتلاك المسلمين لثروات هائلة وطائلة فوق الأرض وتحتها بينما تتصاعد في بلدانهم معدلات الفقر والتخلف والبطالة والجهل والأمية وتنخر في أجسادهم آفات الحروب والأزمات وتفتتهم الصراعات والإنقسامات: (النديّة سيدي الكريم تحتاج إلى تكافؤ بين الطرفين. أو يكون الفارق الحضاري من الضآلة ما يسمح بالتناد بينهما. فهل تعتقد أستاذ سلام أن واقع المسلمين الآن يصلح أن يكون ندا للحضارة الغربية؟؟ لا أحد يرى ذلك حتى

المسلمين أنفسهم. فمنذ الصدمة الحضارية وما زلنا عيالا على الحضارة الغربية في كل شيء)[1].

ولم يزل الغرباوي معتزاً معتداً بتراثه الإسلامي بما يمثله من قيم حضارية إيجابية يمكنها أن تشكل علامة فارقة في الصراع الحضاري مع الند الغربي وبما تمثله من مناطق غنية لاتزال قابلة للكشف والإستثمار، خصوصا في حب العلم وطلبه والحث عليه وإعطائة منزلة الجهاد. ولا يهمل الغرباوي ولا ينسى ولا ينكر أيضا أن مشاعل النور الأولى ومنائر العلوم التي أهتدى بها الغرب لها صلات لاتنكر بجذور المسلمين الأوائل الذين ظلت كتبهم مراجعاً فكرية وعلمية في معاهد الغرب ومؤسساته العلمية الاكاديمية لقرون طويلة. ولكن التباهي اليوم والتفاخر بذلك الإرث لايجدي نفعاً والمسلمون فقراء في غناهم.

وفي ردٍ للغرباوي على سؤال للسيد السماوي حول إمكانية حصول حوار حقيقي بين الإسلام والغرب، لا يستبعد الغرباوي إمكانية حصول هذا الحوار خصوصاً في ظل التطور الهائل للوسائل التقنية والثورة المعلوماتية العامة والشاملة التي تعززت وترسخت في أول عقدين من الألفية الثالثة. إلا أن الغرباوي يشترط وجود بعض الممهدات التي من شأنها أن تُفضي إلى إمكانية حصول الحوار. ومن بعض هذه الممهدات هو وجود جوٍ سياسي واجتماعي هادئ خالٍ من التقلبات والعنف والفوضى بالأضافة إلى وجود بيئة مستقرة نسبيا يمكن للحوار العقلي أن يكون فاعلاً ومسموعاً فيها. ومن أبرز ما يعكّر صفو هذا الحوار بحسب رأي الغرباوي هو انتشار موجات التطرف الفكري عند جماعات كثيرة من المسلمين ومن أبرزها حركات القاعدة وداعش ومن يسير على نهجهما. فلا يمكن للحوار العقلاني الهادئ أن ينطلق ضمن بيئات موبوئة يختفي فيها التسامح والمقبولية والتعايش وينتشر فيها القتل والذبح والسبي التهجير والعنف والدماء، يقول: (كانت هناك فرصة لإجراء حوار حضاري ناجح بين المسلمين والغرب في ظل ثورة الاتصالات الكبيرة، غير أن سلوك المتطرفين الإسلاميين قلب المعادلة فخلق حالة توجس وخوف من الإسلام

1 - المصدر نفسه، ص 18.

والمسـلمين)[1]. كما ويعتقد الغرباوي بشـكل قد يكون جازماً أن الغرب بشـكل عام بات، وربما لا يزال، مهووسـاً بنظريات الصـراع بين الحضـارات ومنها ما أسـس له الكاتبان صموئيل هنتغتون في كتابه الموسوم ب (صراع الحضارات) وفرانسس فوكوياما الذي كتب نظريته في ما أسماه ب (نهاية التأريخ والرجل الأخير). إن هذه المتبنيات الفكرية التي وجدت صدىً عريضا في المؤسسات الفكرية والأكاديمية وحتى السياسية والإقتصادية تشكل ساتراً كثيفا عند فئات غربية كثيرة وتحول دون إيمان حقيقي بمبدأ أو بقيمة الحوار الإنساني (أو حوار الحضارات كما أسماه الرئيس الإيراني السيد محمد مهدي خاتمي). وهو ما ينذر باستمرار التناوش والصراع الذي قد يفضي في لحظة ما إلى صِدام عنيف وربما يقود الى حرب كونية.

ولا يقف الغرباوي معصـوب العينين أمام تشـخيص دقيق واضـح وصـريح للإزدواجية الفكرية والنفاق السياسي عند الغربيين في تبنيهم لخطين/فكرين متناقضين في فهم وتطبيق القيم الديمقراطية والليبرالية يتمثل في وجود خط/فكر محلي لبلدانهم وفكر تسـويقي خارج حدودهم. وهذه الإزدواجية في نظر الغرباوي تقف حاجزاً قويا متينا عند كثير من الجماعات والمجتمعات الإسلامية في مقبولية إستيراد وتبني الصالح من قيم الغرب الحضارية، في مختلف المجالات.

ولكن، وكعادته في توخي الموضـوعية والواقعية، يميط الغرباوي اللّثام عن عقدة مشـتركة تتميز بها الثقافتان الإسـلامية والغربية، وإن كانتا متباينتين، تتمثل في تبني النظرة الدونية للآخر. ففي حين تعتبرُ الثقافة الغربية العنصر الأبيض عنصـراً سـامياً متفوقاً وتعتبر الآخر جاهلاً متخلفاً أمياً لا يسـتحق الا أن يكون تابعاً ومحكوماً، ينعكس ذات الشـيئ في أفكار المسـلمين (وليس بالضـرورة الإسـلام) وخصـوصـا الأفكار الدينية التي تنجس الآخر وتكفره وتحط من قيمته الإنسـانية: (للأسـف ما زالت الأرضـية غير مؤهلة لاحتضـان الآخر، لا لهم ولا لنا. فهم يعتبروننا (أقصـد الشـعوب وليس الحكومات) شـعوبا متخلفة تقتات عليهم في كل ما يحتاجون، وهم أرقى جنسا. هذا الشعور موجود لدى شريحة واسعة منهم، خاصة العنصريين منهم.

---

1 - المصدر نفسه، ص 33.

ونحن أيضـا ما زلنا نعتبر الآخر كافرا، ونفتي بنجاسـته، وتجنب الاختلاط به. وما زلنا نتحدث بلغة أرض الكفر وأرض الإسلام. فثقافتنا الإسلامية بالنسبة للآخر طاردة، بسبب إفرازات الدراسات الفقهية المتأثرة أساسا بالصراعات الداخلية، والقائمة على التكفير، واســـتباحة الدماء)[1]. وعلى الرغم من ذلك يعترف الغرباوي بمتانة النظام الديمقراطي في كثير من الدول الغربية التي ســـخرته، في العموم، لتحقيق مصـــلحة الشـــعب وتحقيق منجزات الرفاه الإجتماعي للإنســـان عن طريق إحترامه واحترام حاجاته وحرياته. فقد ترغب الحكومات الغربية أو تتمنى أن تســـتخدم ســـلطتها ونفوذها وتفوقها العسكري والعلمي والتكنولوجي من أجل إستغلال موارد الشعوب الفقيرة، إلا أن ذلك ليس ممكناً على الدوام خصوصاً إذا ما قوبل بمعارضة شعبية قوية عريضة وواضحة.

ثم يتناول الغرباوي مواضـــيعاً مهمة وأكثر جرأة لها مســـاس بالواقع المعاش قد انعكســـت آثارها و تأثيراتها على العامة في كل مجتمع إســـلامي منذ العصـــور الأولى للإسـلام من قبيل الجهاد العنفي ونقد السـلف وأهمية القرآن والوحدة الإسـلامية. إذ يرى الغرباوي أنه لا حاجة ولا ضـــرورة أصـــلاً للجهاد بمعناه القديم (حمل الســـلاح والغزو) خصـــوصـــاً بعد أن أعلن الوحي فتح مكة ودخول الناس أفواجاً في دين الله. فما بقي حينذاك هو بناء مادي ومعنوي وحماية بلدان والدفاع عنها ولا حاجة ولا ضـــرورة لاســـتمرار الغزو أو ما يعرف بالفتوحات. عوضـــاً عن عدم وجود تفويض أو تشريع يبيح هذه الأعمال التي أكسبت الإسلام صفة العنف (السيف). ولكن هذه الأعمال استمرت بمباركة فقهاء السـلاطين إرضـاءاً لشـهوة الخليفة والأمير في كسـب الشهرة وبسط النفوذ والتمدد الجغرافي فضلا عن جني المزيد من المغانم الإقتصادية من خراج ومداخيل وغلال ونساء وأراضٍ الخ.

ولقد تكرســـت هذه الصـــفات والمظاهر (الجهادية) في الفكر الإســـلامي عند المســـلمين بعد أن أعطوها غطاءً شـــرعياً من خلال تأويلٍ مطاطٍ للآيات القرآنية

---

1 - المصدر نفسه، ص 34.

والأحاديث النبوية وزادوه بإضفاء العصمة على السلف من الصحابة وآخرين حتى أصبحت جزءاً لا يتفكك من فكر المسلمين وتراثهم[1].

ويبقى القرآن عند الغرباوي مركزاً مهماً وفريداً من مراكز إعادة إنتاج وعي جديد للأمة الإسلامية من خلال البناء على ما تقدم أعلاه ومن خلال إيجاد أدوات وأساليب عصرية علمية جديدة ومختلفة يمكننا استخراج ما استودع فيه من فكر ووعي وثقافة وعلم وهذه الأشياء طبعاً تشكل المقومات والمكونات الأساسية لكل حضارة.

ومن أبرز الكنوز القرآنية ومستودعاتها القيمية والفكرية التي تحتاج التركيز عليها من أجل خلق الوعي الحضاري، كما يرى الغرباوي، هي قضية الوحدة الإسلامية، والتي تشكل حجر الزاوية في أي مشروح حضاري يهدف إلى البعث والنهضة. فبدون إعادة البحث والنظر في إيجاد فهم حقيقي وجديد لمفهوم الوحدة الإسلامية في القرآن لن يستطيع المسلمون من الإنطلاق في مشروع النهضة الحضاري. وكيف لهم ذلك وهم اليوم يمزق بعضهم بعضاً وينحرُ الأخ أخاه بدوافع مذهبية أو طائفية أو عرقية أو قومية أو مناطقية الخ؟ وكيف للوحدة أن تتحقق دون وجود فهم متبادل بين المكونات الإسلامية ودون الإيمان بالمشتركات؟[2].

وبينما يسير الغرباوي بين ألغام الفكر الإسلامي ويحاول أن يفجرها عن بعد، أو عن قرب أحياناً، لا ينسى أن يحيل القارئ إلى المظاهر المدنية في الإسلام والتي يمكن اكتشافها وإعادة إنتاجها عن طريق تبني بعض القيم الحضارية التي يهتم بها المسلمون بكل أطيافهم، والتي لا تتعارض مع قرآنهم، وإن أخفوا ذلك الإهتمام. ومن بين تلك القيم قيمة الحرية التي يعتبرها الغرباوي من القيم الجوهرية للإنسان والتي يعدو الأنسان من دونها مسخاً دون روح. فقيمة الحرية تعتبر من القيم المهمة التي لا يستطيع الإنسان أن يكتشف مواهبه الذاتية التي يحتاجها في حياته العملية أو أن

---

1 - المصدر نفسه، ص 35.

2 - المصدر نفسه، ص 39.

يطلقها من دون الحرية. وكذلك لا يمكنه أن يتعرف على ما أودع الله فيه من قابليات ومواهب وقدرات تتعلق بمسؤليته الكونية وهو يفتقر الى بيئة متحررة من القيود بكل أنواعها. إن أهمية الحرية تكمن في كونها وسيلة يستطيع الإنسان من خلالها أن يتحمل مسؤوليته الكونية بإعتباره خليفة في الأرض يسعى إلى فك ألغاز الكون في الآفاق والأنفس، وهل تكون هناك مسؤولية دون حرية؟ وهل يكون هناك عقاب أو حساب أو ثواب دونما وجود الحرية؟[1].

وبعد بلوغه الى هذه القمم، يصل الغرباوي إلى فصل الخطاب ويقترب من نهاية المطاف في رحلة "الإخفاقات" إذ يسعى جاهداً للمناداة بتحرير العقل الإسلامي من القيود التي تحاول شده الى قيمها البدوية والقبلية والعشائرية وإعادة إنشاء قيم بديلة تتمثل في الأيمان بالمجتمع المدني الذي يؤمن بسيادة القانون، والذي يمثل بدوره مدنية العقل ويضمن حريته وحرية أفكاره بغض النظر عن الإعتبارات العنصرية أو القبلية أو العرقية وغيرها. فهذه الحرية التي تكون في ظل هذا المجتمع تكون كفيلة بخلق جو عام تسود فيه القيم الإسلامية الكبرى التي تتمثل بالعدل والإنصاف والمساواة.

وكغيره من المفكرين المعاصرين، يدعو الغرباوي الى التوازن في فهم أسباب التخلف والتراجع (النكوص) الفكري ومن ثم الحضاري عند المسلمين وتشخيصها بشكل علمي تجريدي، كما ويدعوا الى التحلي بالعقلانية في ردود الأفعال لهذه الأسباب. فبين الإفراط في كره الذات وجلدها عند البعض ومن ثم الهرع الى الضفة الأخرى والإرتماء في أحضان الخصم وتبني قيمه عن طريق الإستنساخ الثقافي المطلق، وبين الإنكفاء على الذات وحجبها ومنعها وحرمانها من التواصل مع الآخر ورفضه كلياً، يقف الغرباوي موقفاً وسطياً يلتزم فيه بنداء العقل بالإضافة إلى ما يفرضه الواقع. إذ يرى الغرباوي إن الرصيد الأخلاقي القيمي الذي يمكن للعبادة الدينية أن تنتجه على المستوى العملي لاينبغي له أن يتنافر مع العلم وتطوره المتسارع وغزوه لمناحي الحياة وتشعبه في كل تفاصيلها. بل يشدد الغرباوي على أن للأخلاق ومنظومتها القيمية، المجمدة، في الفكر الإسلامي أهمية كبيرة في رفد الحضارة

---

1 - المصدر نفسه، ص 42.

الإنســـانية. فهذ المنظومة يمكنها أن تلعب دوراً مهما في ترشـــيد الطيش التكنلوجي والحد من تماديه الغريزي الذي يؤثر ســـلباً على المشـــروع الحضـــاري الكوني الكبير للإنسان ويجره بعيداً الى مناطق الذاتية والشخصانية والأنوية.

ويختتم الغرباوي الحوار مع السماوي بصياغته لمصطلح "اليقين السلبي" الذي يراد منه ما ينعكس من إعتقادات إســـلامية مشـــوهة متراكمة نتيجة الفهم الخاطئ، أو الغير صـــائب للتعاليم الدينية. هذه الإعتقادات، كالإعتماد المطلق على الغيب في مثلاً في صنع المستقبل دون السعي إلى كشف الأسباب، تقود الإنسان الى التعاسة بدلاً من أن توفر له الراحة والاطمئنان النفسي والسعادة. في حين إن اليقين الحقيقي الخالص هو الذي يقود الى السعادة وذلك بما يقدمه من فهم واقعي وعلمي للأشياء وبما يوفره من دافع روحي لتجنب الأخطاء والمضـرات والآثام. يقول: (اليقين السـلبي "ما يعيق الفعل الحضـــاري من جزميات وقناعات راســخة". ويقع على الضـــد من اليقين الايجابي. واليقين الســلبي، فهو حزمة جزميات وقناعات راســخة، توجّه وعي الإنسـان وتضـبط سـلوكه وحركاته ومشـاعره. ومثاله البسيط ايمان الفرد بقوى خارقة، يســـتعين بها لتحقيق مآربه، دون ســـلوك الطرق العلمية والطبيعية، كتســـخير الجن وتحضـــير الأرواح، فيتقاعس عن العمل وطلب الرزق، بانتظار أن تقوم الجن بعمل خارق تلبي من خلاله جميع طلباته)[1].

وكأني، وأنا أصل إلى خاتمة الكتاب، أرى ما دُفن بين سطور الغرباوي من حسرة ولوعة وحزن على المســلمين. وكأني أسمع آلام الإمام علي ع وهو يصــرخ في بئر ماء يبحث عمن يســـمعه وعمن يفهمه. وأرى ما بين تلك الســـطور حزن الأنبياء على عدم وصول صدى رسالاتهم وخيبتهم وخوفهم على مصير مجتمعاتهم، وكأنه يقول:

- كيف يمكن لملياري مسلم من أن يعيشوا في الألفية الثالثة وفي عصر الفضاء وعصـــر الفتح التكنلوجي والإنفجار المعرفي من دون أن تكون لهم فيها موطئ قدم ومن دون أن يكون لهم ذكر في إنجازاتها؟

---

1 - المصدر نفسه، ص 59.

كيف يمكن لهم أن يكونوا كذلك ويرضوا بذلك وهم ينتشرون على أفضل المواقع الجغرافية في الكرة الأرضية وأحسنها وأغناها من موارد طبيعية وممرات بحرية وثروات بشرية وقيم روحية وتأريخ علمي متين كان يومًا منارة للكون؟

– كيف لا يكون هناك مشروع لهذه الكتلة البشرية الضخمة التي تفوق الهند وتفوق الصين؟ على الأقل مشروع الوحدة بين أوصال المسلمين فضلا عن المشاريع العلمية أو السياسية إو الإقتصادية أو العسكرية.

– ومن بين صرخات الغرباوي الكامنة في هذا الكتاب إن المسلمين لا يمكن لهم أن يخرجوا من شرنقة الإرث التأريخي الثقيل ويتمكنوا من اللحاق بركب الحضارة من دون النظر إلى عيوبهم بعين الناقد الموضوعي ومن دون تفكيك أدوات وعيهم الحالية والتي لا تقدم علمًا ولا تنتج فكرًا ولا تصنع حضارة. وذلك لن يحصل من دون إرجاع الأمور إلى نصابها وعدم الحساسية وعدم الخوف من مناقشة المحرمات التأريخية الهامة كالمقدسات التي باتت تتضخم وتتنامى وتنتفخ حتى أتت على مساحات الحرية وقضمتها قضم الجراد للمزروعات.

– إن النكوص الحضاري المرعب الذي يمر به المسلمون في عصرنا الحاضر لا توجد له أية تبريرات واقعية في ظل التقدم التقني والتسارع المعلوماتي والذكاء الإصطناعي. وكيف لهم أن يبرروا ذلك ونحن نرى أممًا وشعوبا مثل اليابان وكوريا الجنوبية وغيرها، لا تملك مايملكه المسلمون، تمكنوا من أن يخلقوا هوية حضارية علمية لشعوبهم في غضون عقود قليلة من الزمن رفعتهم أجتماعيًا واقتصاديًا بل وسياسيًا كذلك وجعلتهم في مصاف الدول المرموقة؟

– إن الحديث عن كل أشكال المعوقات السياسية والعسكرية والإقتصادية وغيرها، والتي قد يعتقد كثيرون أنها مما يعيق مشروع المسلمين الحضاري، لا يمكن القبول بها ولا يمكن أن تكون معوقات أساسية أو حقيقية أصلًا. إن اساس المشكلة كما يقترح الغرباوي هي مشكلة تأريخية وعقد تراثية في بنية التفكير عند المسلمين وهي التي قيدت أدوات إنتاج الوعي لديهم. ولا بد لأي مشروع حضاري من أن يضع في أسسه وضمن أولوياته تناول هذه المشكلة الكبيرة ووضع الخطط اللازمة

لحلها والآليات المطلوبة للتعامل معها. وفي هذا الصـــدد قد لا أكون مخطئًا إذا قلتُ بأنني ربما التقطت إشارة من خضم حديث الغرباوي تشير إلى أن بعضًا من الميزات المهمة والأساسية في النظام العلماني الغربي، بما يمنحه من حرية الفكر وحرية الكلمة وحرية التعبير وتشجيع الحكومات على البحث والإنفاق عليه، كانت من السمات السائدة في العصور التي تمكن فيها المسلمون من بلوغ أعلى الدرجات العلمية والتطور التقني وخصوصصا في العصر العباسي.

هذه النقطة المهمة قد تشكل محرمًا كبيرًا عند غالبية المسلمين وهم يضعون العلمانية موضع الكفر ولا يعتقدون بتاتًا بأنها مما ينسجم مع نظرية الحكم في الإسلام. ولذلك فمما ينبغي على أي مشروع نهضوي حضاري أن ينتبه إلى هذه النقطة المهمة جدًا ويتعامل معها بموضوعية شديدة وبتجرد مقبول.

وعلينا أن لا ننسى بأن اي مشروع حضاري نهضوي يحتاج في ضمن ما يحتاج إليه أن يسعى إلى تغيير قيم المجتمعات وتبديل أولوياتها وهذا ما يتطلب مصارحة خالصة وشجاعة كبيرة في طرح المشاريع المهمة.

ألف شكر للأستاذ والمفكر ماجد الغرباوي والشكر موصول للسيد سلام البهية السماوي على هذه الحوارية التنويرية الممتعة.

دفاعاً عن التسامح والتعايش السلمي

بقلم: الأستاذة سهام الجزار[1]

دراسة: مظاهر العنف تستدعي الارتكاز إلى قيم جديدة تستبعد الكراهية

التسامح ضرورة حياتية تبقى الحاجة إليها قائمة ما دام هناك إنسان يمارس العنف والإقصاء والتكفير، ويرفض التعايش السلمي مع الآخر المختلف وغيرها من قيم اللا تسامح .

بل الحاجة إلى التسامح تشتدُّ مع اتساع التنوع الإثني والديني، لامتصاص تداعيات الاحتكاك بين القوميات والثقافات والأديان، والخروج بها من دائرة المواجهة إلى مستوى التعايش والانسجام.

عبّر الكاتب ماجد الغرباوي في كتابه «التسامح ومنابع اللا تسامح : فرص التعايش بين الأديان والثقافات»[2] عن الوضع الحالي بالقول: «إنّ ما نشاهده اليوم من صراع محتدم بين القوميات والأديان والمذاهب يكشف عن رخاوة الأسس التي يقوم عليها مفهوم التسامح أو غيابه.

فهو في نظر الأوساط المتصارعة لا يعدو كونه قيمة أخلاقية تتحكم به المؤثرات الاجتماعية والسياسية، وهو في رأيها مِنّة وتفضّل مشروط، قد ينقلب إلى ضده إذا فقد رصيده الأخلاقي، وما نحتاجه فعلا لتوطيد العلاقة بين الطوائف والقوميات مفهوم يرتكز إلى أسس متينة، تتفادى الاحتكاك على خطوط التماس».

---

1 – كاتبة وباحثة.

2 – انظر: الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، إصدار الحضارية ودار العارف، بيروت، لبنان، 2008م.

كما يرى الكاتب أنّ التسـامح بمفهومه الجديد لا يتحقق بسـهولة، وأن فاعليته تتوقف على حجم اسـتجابة الأوسـاط الاجتماعية والدينية لضـروراته، وهو في نظر الكاتب لأمر صـعب، يحتاج إلى مران طويل يخفف الإنسـان خلاله من حِدّة غلوّه وتطرفه، وذلك يحتاج إلى عودة متأنية للذات من أجل نقدها وتمحيص بناها الفكرية والعقيدية، وتأهيلها لتكون أرضية صالحة لاستنبات قيم التسامح الجديدة.

التسامح ومنابع اللا تسامح

لا بدّ من التأكيد أنّه لم يبق أمام الشعوب الإسلامية خيار للحدّ من ثقافة الموت والاحتراب والعداء والإقصـاء المتفشـية في كل مكان سـوى قيم التسـامح، لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف إلى مساحة للحوار والتفاهم بدل الاقتتال والتناحر.

وهذا صـعب في نظر الكاتب لكونه يسـتدعي جهودا يتظافر فيها الخطاب الإعلامي مع الخطاب الثقافي والديني والسـياسـي والتربوي، ويتطلب تعاون الفرد مع المجتمع، والشعب مع القانون، والدولة مع الدستور. إنّه عمل جذري يستهدف البنى الفكرية والعقيدية للمجتمع، وإعادة صـياغة العقل والأولويات والوعي، وتقديم فهم عصري للدين والرسالة والهدف، ونقد للمفاهيم والقيم والسلوك.

لقد اعتبر الكاتب أنّ ما نشـاهده اليوم من مظاهر عنف واحتراب يسـتدعي العودة إلى الذات لمراجعتها، ثم الارتكاز إلى قيم جديدة تسـتبعد الكراهية والحقد، وتنفتح على قيم الإنسانية والدين.

وهذا «يتطلب الغوص في أعماق الفكر والعقيدة بحثًا عن جذور المشـكلة؛ أي ينبغي البحث عن الدوافع الحقيقة وراء ثقافة الموت والاستهانة بالحياة وتكفير المجتمع. وتقصّـي المفاهيم المسـؤولة عن صـياغة البنى الفكرية والمعرفية لعدوانية المرء تجاه الآخر أيًّا كان الآخر داخليًا أم خارجيًا، دينيًّا أم سياسيًا.

ويعتبر الكاتب العنف الديني أحد أخطر منابع اللا تسـامح ، لتلبّسـه ببُعد شرعي، وتوظيفه النص الديني، وسرعة تصديقه من قِبَل الناس، وقدرته على التخفّي تحت غطاء الشرعية والواجب والجهاد والعمل الصالح.

فـــ «عندما نعود إلى سياق التسامح و منابع اللا تسامح نؤكد أنّ الفهم الذي يكرّس الأحقاد ويصــر على تكفير الآخرين، من أجل شـرعنة قتالهم ومطاردتهم، هو فهم لا ينســجم مع روح الشـريعة الإسـلامية، وبعدها الإنســاني، وبالتالي فهذا الفهم يُعدّ من أخطر منابع اللا تسامح، لالتساقه بالدين الحنيف.

تفكيك الخطاب الديني المتطرف

فالمطلوب من أجل الرقّي إلى مســتوى المجتمعات المتســامحة العمل على تفكيك الخطاب الديني المتطرف، وتفتيت بناه المعرفية، وإشـــاعة وعي ديني قادر على فهم الحقيقة، كي يتوارى هذا اللون من الفهم ويحل محله خطاب متّزن يمهد لاستنبات قيم التسامح والعفو والرحمة.

وعن الحقوق الإسـلامية لغير المسـلمين يقول الكاتب: «لا بد أن يرتكز المجتمع على قاعدة احترام الخصوصيات التي تنطلق من عناصر الالتزامات الدينية؛ بحيث لا يعتدي فريق على آخر، ولا يضـطهده في خصوصياته. وفي ضـوء ذلك تتحدّد حرية المعتقد والتعبير في الضوابط القانونية الخاضعة للسلامة العامة للنظام والإنسان.

على هذا الأســاس ينفتح العيش المشـترك في المســاواة في الحقوق والواجبات في القانون العام. وفي الخصوصيات الشـخصية، وفي مسألة الحريات في نطاق المسؤولية عن الفرد والمجتمع».

ويبقى المطلوب حسب الكاتب هو «الارتكاز إلى التسامح بالمعنى الاصطلاحي للكلمة لفاعليته وتجذّره وقدرته على ترسـيخ قيم المجتمع المدني. أي المطلوب أســاسًــا هو الاعتراف بالآخر وبحقوقه المشـروعة، باعتبار تعدد الطرق إلى الحقيقة على صـعيد التجربة الدينية».

إعادة تشكيل قيم التفاضل

ويشـدد الكاتب على إعادة تشـكيل قيم التفاضـل فيقول: «إنّ الناس في نظر الإسـلام: إمّا أخ لنا في الدين أو نظير لنا في الخلق ومن ثم لا تفاضـل بين الناس إلا بالتقوى وهو مـا تؤكـده الآيـة القرآنيـة «يَا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنَّا خَلَقْنَـاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (الحجرات : 13).

ويعلق الكاتب على الآية أعلاه قائلًا: «التقوى لا تعني كثرة العبادة، وإنّما خشية الإنسان من الله تعالى إبّان تعامله مع الناس، سلوكًا وعاطفة؛ فربّما عابد لا يخشى الله في خلقه يمارس سـلوكًا لا أخلاقيًا في تعاملاته اليومية، فيضـرب ويقتل باسـم الدين والقرآن والأخلاق، وهو بعيد عن كل ذلك.

أو لا يتمتع بالمشـاعر والأحاسـيس الإنسـانية التي أكد عليها القرآن الكريم، فيتحايل عليها ويظلم الآخرين ويبخسهم حقوقهم بل ويتعدى على حقوق الآخرين.

فالإنسان التقيّ من يخشى الله، سيما في موضوع استباحة الدماء، خصوصًا مع المخالفين دينيًا أو مذهبيًا، فإنّ حرمة الإنسان عند الله كبيرة، فكيف إذا كان أخ لك في الدين والعقيدة ولا يعدو خلافه معك إلا في أشياء اجتهادية.

إنّ الخطاب في الآية القرآنية تحدّث عن الناس ولم يقل المسلمين. ومن ثمة، فالآية العامة تتجاوز العبادة إلى المعاملة».

قراءة في كتاب إشكاليات التجديد لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ ابراهيم جلال القصاب[1]

لطالما كانت الفجوة بين التراث الديني والتقدّم الحضاري موضع جدل ونقاش مستمر في أوساط المثقفين على اختلاف أطيافهم. ففي كتابه "إشكاليات التجديد"، قدّم المفكر ماجد الغرباوي مقاربة وطرحاً حاول فيه معالجة هذا الموضوع، وكيف ينبغي علينا (كأمّة إسلاميّة) التعامل مع الواقع المعاش المتغيّر بشكل مستمر وبسرعة صاروخية، وبين هويّتنا الأصيلة ومكوّناتنا الثقافية ومفاهيمنا المستلّة من قراءتنا لديننا والتي كثيراً ما تصطدم مع المدّ الحضاري العارم. يطرح الكتاب[2] آلية التوافق الوحيدة (من وجهة نظره) التي ستدفع بالأمّة تجاه مواكبة التطوّر الحضاري دون أن تهجر وتقطع مكوّناتها الأصيلة الفريدة. هذه الآلية هي "التجديد"، الشيء الذي يصفه الكاتب بأنّه "ضرورة حضارية" كونها حركة إنسانية مستمرّة تدفع باتجاه التطوّر وباتجاه طرح ما هو أفضل. يقول الكاتب: "فالتجديد ضرورة منبثقة عن حركة الأشياء، من أجل مواكبة حاجات الإنسان، والاستجابة لتطلعاته. إلا أن الدعوة له دعوة استفزازية، تثير حفيظة رجال الدين، وربما اشمئزازهم، لأنها تنطوي على اتهام مؤسساتهم، وانتقاد فكرهم، ودعوة صريحة لتمحيص التراث ومراجعة الثوابت، بل جميع المقولات العقائدية"[3].

---

[1] – كاتب بحريني

[2] الغرباوي، ماجد، إشكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2017

[3] المصدر نفسه ،ص23

يستعرض الكاتب حال الأمة وكيف تبلورت فيها ثلاث اتجاهات رئيسية إزاء الصدمة الحضارية التي أعقبت الانفتاح على الغرب المتطوّر علميّاً وتقنيّاً، بين "رجعية" ترفض كلّ ما يأتي من الخارج ولو كان علماً نافعاً، وبين "نبذية" ترى بأنّ هجران الأصل والقطيعة مع الماضي ومكوّناتنا الثقافية (كالدين) هو الحلّ، وبين "توافقية" ترى أنّه من الواجب الاستفادة من التجارب الإنسانية النافعة من كلّ الثقافات، وفي المقابل يجب أيضاً ممارسة النقد المستمر إزاء التراث كحركة دافعة لتصحيح الأخطاء بشكلٍ متواصل. العائق الأكبر، أمام هذه الحركة، هم رجال الدين الذين يرون في مثل هذا الحراك اتهاماً مباشراً لهم ولسلطتهم.

محاور الكتاب

يعالج الكاتب في "إشكاليات التجديد" ثلاثة محاور رئيسية. في المحور الأول، يتناول فيه وبشكل مفصّل الوضع الراهن، مقدّماً تحليلاً شاملاً إزاء الحال كما هو. ويؤكّد الكاتب، ضرورة الارتقاء بالوعي في الإنسان، وكيف تمّ تزييفه في الدول التي قامت (بعد الخلفاء الراشدين) لتحقيق مصالح وأجندات تخدم الغرض المخطّط له. ولن يتطوّر الوعي في المجتمع دون وجود مرجعيات تجدّد فهمها للنصّ الديني باستمرار بما يتناسب مع القرآن والسُنّة الصحيحة. يقول الكاتب: "الأمة بحاجة أولا إلى وعي رسالي، تتجاوز به أزمتها، حتى تستطيع تحدي الممنوع، ولا يتحقق لها ذلك، إلا بإعادة تشكيل وعيها داخل فضاء معرفي، يستظل بمرجعيات تجدد بإستمرار فهمها للنص الديني، في ظل المستجدات الحياتية المتأثرة بالظروف الزمانية والمكانية."[1] كما نبّه أنّه من الضروري ألا نسلك مسلك قوم عيسى حينما اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وأن نميّز بشكل واضح بين الإلهي والبشري والمقدّس وغير المقدّس.

ولكنّ الارتقاء بالوعي ليست مسؤولية محصورة بالمرجعيّات الدينية المثاليّة المتصوّرة في الكتاب (المجدّدة لفهمها الديني باستمرار)، بل يشمل دائرة المثقفين وصنّاع الثقافة

---

[1] المصدر نفسه، ص38

ومحركاتها (كالإعلام). فالثقافة هي المحدّدة للاتجاه العام لوعي الأمّة. ولذلك من الضروري أن يكون المجدّد مثقفاً، وأن يمتلك العناصر الثلاث التي فصّلها الكاتب في الفصل الأول؛ المعرفة بالتراث وحيازة مكنة البحث والتفكير، والوعي بالواقع وإدراكه بشكل دقيق، والتشاعر معه لئلا يعيش المثقف منفصلاً عن واقعه وواقع أمّته، واتخاذ الموقف الواضح الجريء والشجاع لخلق النموذج التضحوي الوقّاد لجذوة صحوة الأمة.

في أثناء تحليل الكاتب للوضع الراهن، استعرض بشكلٍ وافٍ مسار العقيدة الإسلامية منذ نشوئها وحتى الآن، وكيف كانت في نشأتها أنموذجاً عقائدياً فكرياً وهّاجاً، قضى على الوثنيّة وانسجم بشكل سلس مع الفطرة الإنسانية، وصار قلباً حيّاً نابضاً في أوساط الحياة الاجتماعية للناس آنذاك. يقول الكاتب: "تمتاز العقيدة الإسلامية بقدرتها على تجديد عقل الإنسان وانتزاعه من عالمه (الوثني، الطقوسي، القلق) إلى أفق رحب تتفاعل فيه العقيدة مع الحياة، ليفرز ذلك التفاعل مجتمعاً يتمثل القيم الإسلامية ويعيشها ممارسة يومية"[1]. بعد ذلك تطوّر البناء الفكري المحيط بالعقيدة حتى تشكّل ما يُسمى بعلم الكلام نتيجة المطارحات العقدية بين الأطراف المختلفة (سواء المختلفة في الدين أو في المذهب نفسه). فمن وجهة نظر الكاتب، بالرغم من المساهمات الفكرية لعلم الكلام إلا أنّه كان أساساً في "موت الإيمان الحقيقي" حسب تعبيره وإبعاد العقيدة عن الممارسة الحياتية. كما قاد إلى تعطيل المنهج القرآني الواقعي والداعي دوماً إلى العمل الصالح بدل الجدل العقائدي. والمفارقة بعد هذا كلّه، هو أنّ علم الكلام، الناشئ من أجل استبقاء "العقيدة الصحيحة" ونبذ الأوهام الفكرية، انتهى إلى نشر أفكار مدمّرة كالجبر والإرجاء وتبرير أفعال السلطان، ومن ثمّ إطفاء فاعلية العقيدة في الحياة، وتأصيل الفِرَقية (مذهبية وغيرها) وتعميق خلافاتها وهجران الحوار مع الآخر إلى إقصائه، وبالتالي سقط الإنسان كإنسان وأصبح مجرّد أداة أو رقمٍ ممّثلٍ لهذه الفئة أو تلك.

في ضوء هذا، يرى الكاتب أنّ الأمة في حاجة إلى إنشاء وتطوير "علم كلام جديد" تتمّ فيه مجاوزة أخطاء علم الكلام السابق. وهذا لا يتأتى إلا بـ: إعادة النظر

[1] المصدر نفسه، ص58

في القضايا الجدليّة ومعالجتها، واعتماد المنهج القرآني الموافق للعقل والفطرة، ونبذ الجدل والتكفير والإقصاء وانتهاج منهج الحوار العقلاني، والاعتناء بالإنسان كإنسان له كامل الكرامة والحقوق، وإعادة زرع العقيدة الحيّة في الناس المحرّكة لوجدانهم والفاعلة في حياتهم، وتقديم أجوبة مستمرّة للتحدّيات المتجدّدة النابعة من التغيّرات المتسارعة في العصر الحالي، وترك الجمود على أفهام السلف وتشجيع الاجتهاد في الأمور الفكرية والعقدية. فالكاتب يسعى، من خلال هذا الطرح ومن خلال علم الكلام الجديد، أن يعاكس التأثير السلبي الذي أحدثه علم الكلام القديم، والسير إلى مآل أفضل حالاً يرعى الإنسان ويوحّد الأمة ويعمل باتجاه التطوّر والرُقي.

وهذا لن يحدث (من وجهة نظر الكاتب) من دون تفعيل حقيقي لآلية الحوار مع الآخر المختلف. في بداية بزوغ شمس الإسلام، يرى الكاتب أنّ الحوار مع الآخر لم يكن مشكلة، بل كانوا سبّاقين للتعاطي مع الاتجاهات المختلفة. يقول الكاتب: "ولم يتخل المسلمون عن شروط الحوار مع الآخر، رغم تماديه وإصراره على التمسك بموروثه الثقافي المثقل بحمولته الفكرية اللادينية، واللاحضارية في أحيان كثيرة"[1]. واستطاع المسلمون، نتيجة انسجام عقيدتهم مع العقل والفطرة، أن يحسموا معظم المعارك الكلامية والفكرية في حواراتهم مع المختلفين آنذاك. ولكن هذا الانفتاح الفكري تقهقر مع الزمن عند نشوء الفِرَق الكلامية المتناحرة والمكفّرة لبعضها البعض، حتى خنقت البيئة الفكرية الحاضنة للحوار مع الآخر. ونحن في حاجة ماسّة للعودة لشيء من ذلك الانفتاح لبدء حركة التدافع الفكري المنتجة والفعّالة. يرى الكاتب أنّ الانغلاق الفكري المعاش اليوم يتناقض بشكلٍ صريحٍ مع منهج القرآن الداعي باستمرار للحوار وبناء الجسور مع الآخر من خلال "كلمةٍ سواء" و"التعاون على البر والتقوى".

والحوار المطلوب هنا ليس مقتصراً على أوساط الأمة فقط، بل يتعدّاه للحوار مع الآخر المختلف حضارياً، ومثاله الصارخ في واقعنا الحالي هو الغرب المتفوّق تقنياً وحضارياً. فقد أصبح الغرب، بحكم هيمنته الحضارية والعلميّة والتكنولوجية، مركز العالم، وبذلك غدت الحاجة ملحّة لتطوير الحوار معه عبر فهم منطلقاته وأدوات

[1] المصدر نفسه، ص70

التواصل معه (كاللغة والبنية الثقافية والمرتكزات الفكرية وغيرها). يُبيّن الكاتب هنا أنّ المشكلة الحالية متواجدة في الطرفين، فالغرب أيضاً متراجع أخلاقياً تجاه الآخر، وكثيراً ما يتصرّف حيال الآخر بالطريقة التي نظر لها هنتنغتون في "صراع الحضارات"، وفوكوياما في "نهاية التاريخ"، كحضارة مهيمنة على الآخر ولكن منغلقة على ذاتها في التعاطي معه. فهناك ضرورة ملحّة لتطوير الحوار والتعاطي مع الآخر الحضاري من جميع الأطراف.

ويواصل الكاتب في تبيان أنّ البيئة الحاضنة للحوار بين المكونات المختلفة للأمّة ستخلق الجو المناسب لتشكيل ما يسمى اليوم بـ"المجتمع المدني"، فيتناول خواص ومميزات المجتمع المدني، بأنّه يتمتّع بشخصية مستقلة، ويزخر بالمؤسّسات المختلفة المحافظة على حقوق أفراده، ويسمح لأفراده بمساحة واسعة من الحريّة خصوصاً الفكرية والعقدية بما يعطيهم مرونة في الحراك الفكري الاجتماعي وبالتالي تكون انتماءات الجميع طوعية، ويؤسّس لنظرة وفلسفة للكون والحياة تسع الجميع، ويضع حقوق الإنسان كإطار شامل لجميع أفراده. يرى الكاتب أنّه من الجيد "تبيئة" هذا المفهوم، وأنّه مماثل لحدٍ كبير لمجتمع الرسول الذي أسّسه في المدينة (مع فروقات الزمن والتطور الإنساني والتقني)، وبالتالي لا بأس من استعارته وتبنيه. ولكن من الجدير بالذكر أنّ الكاتب يرى أنّه يجب "تبيئة" هذا المفهوم و"أسلمته" أيضاً، ذاكراً هنا كلمة السيد محمد خاتمي الذي ذكر مفهوم "المجتمع المدني الإسلامي" المختلف عن نظيره الغربي، حيث أنّه يجب "استبعاد أسس الغرب الفلسفية ونظرته الخاطئة للكون والحياة"[1] على حد تعبيره. ثم يذكر خواص المجتمع المدني كما ذكرها السيد خاتمي، في خلوه من الاستبداد بكل أشكاله، وتكريس كرامة الإنسان فيه، وتأصيل حق تقرير المصير ومحاسبة المسؤولين، وأنّ الحكومة خادمة للشعب. كلّ هذا ناشئ ونابع من مدينة النبي، كما يرى السيد خاتمي.

كما يطرح الكاتب رؤيته في التعاطي مع تفسير النصّ القرآني، حيث يرى وضوح رهان القرآن على عقل الإنسان، وبالتالي فالعقل يستطيع التعاطي مع النصّ القرآني

---

[1] المصدر نفسه، ص87

بغية تفسيره، ولكن بقيود ضابطة (حسب وجهة نظر الكاتب). فالكاتب يوافق رؤية الشهيد محمد باقر الصدر، القائل بأنّ التفسير يجب أن يكون "حواراً متجدّداً مع القرآن والواقع" لحمايته من الجمود وتكلّسات فهم السالفين. كما يطرح الكاتب مقاربة أوّلية لكيفيّة التعامل مع المرويّات إزاء تفسير النصّ القرآني، مفصّلاً ومبيّناً طرق التعاطي المختلفة بناء على نوعيّة الروايات. فمن وجهة نظر الكاتب، يرى أنّ التعامل مع روايات الأحكام ليس ذاته مع روايات مصاديق الآيات، وأنّ بعض الروايات مرفوضة لمخالفتها القرآن والعقل، والبعض أتى ليخاطب الناس على قدر عقولها وبالإمكان تجاوزها لما هو أكثر تطوّراً ومناسبة للعصر الحالي. بالإمكان القول أنّ الكاتب، ولو لم يصرّح بهذا الشيء علناً في الكتاب، أنّه ضدّ تقييد القرآن بقيود المرويات، وأنّه مع محاولة فهم القرآن بالتماشي مع الروايات الصحيحة (دون التفصيل الدقيق في النقاش في دائرة الصحة أين تقع). والكاتب يعاتب كيف تحوّلت كتب التفسير إلى خطوط حمراء تقمع كلّ محاولة للخروج بفهم جديد، وهذه أيضاً إشارة لمظهر آخر للشيء العضال الذي أعاق فكر الأمة، ألا وهو الخلط بين الرسالة الأصيلة (الإلهية) والنتاج البشري (كالتفسير وآراء الرجال مثلاً).

التعددية

يختم الكاتب استقراءه لوضع الأمّة الراهن عبر معالجته لمفهومين معاصرين تداولُهما شائع في أوساط النقاشات الاجتماعية والسياسية، وهما مسألتا "التعدّدية الدينية" و"الولاء". فمن وجهة نظر الكاتب، فكرة التعدّدية الدينية الناشئة من عصر النهضة والمضادّة للمنظومة الكنسيّة ثبتت شياع الحقّ عند الجميع وكلّ الأديان، وهذا شيء لا يناسب بُنية الإسلام لأنّ هذه الفكرة تفرّغ الدين من محتواه الحياتي. هذه الفكرة تختزل الدين لتجربة روحيّة باطنية بعيدة عن الشعائر وأحكام الشريعة[1]، وهذا –في نظر الكاتب– يزيح الإسلام من فاعليته الحياتية. ولكن بالرغم من هذا فالكاتب لا يرى

[1] المصدر نفسه، ص127

انحصار الحقيقة عند جهة أو دين واحد، وفي ذات الوقت لا يرى الجميع على حقّ، ولكن يرى بأنّ كلّ الناس لديها منهاجها التعبّدي أو العقائدي به تعرف الحقّ، وأن كل جماعة، أو فرد، تحكمه ظروف فريدة تجعله يتبع منهاجاً معيناً. وكأنّ الكاتب هنا "يعذر" الجميع ويعتبر الكلّ عيال الله، ولكن من دون الاعتراف أنّ الجميع على حقّ على نسق فكرة التعدّدية الدينية.

الولاء

أما بخصوص الولاء، فقد استعرض الكاتب كيفيّة تغلّب الرسول (ص) على هذه المسألة بحكمة وحنكة بالغة؛ بأن وحّد بطون وأفخاذ القبائل المتفرّقة تحت لواء واحد وهو الولاء لله عز وجل. أمّا بعد ذلك فالمسألة تفرّقت وعادت للولاءات التحزبيّة والقبليّة وغيرها، وأصبح الولاء للأفراد مفضّلاً على الكفاءة والنزاهة حتى في المؤسّسات الدينية نفسها. وهذا الأمر معاكس للنهج القرآني، وينتج بيئة من الولاءات المتناحرة على شكل إقطاعات تعيش تحت كنف دولة واحدة ولكن ما من أحد يدين لها بالولاء، بل كلٌّ له ولاؤه. فالبعض ولاؤه مذهبي، والآخر قومي، وغيره عشائري، والخ من هذه التحزّبات الطاغيّة على اللواء الأكبر. يشير الكاتب إلى أهمية معالجة هذه المعضلة والعودة إلى ولاء واحد يتوحّد فيه الجميع وتزول فيه الجدر الفاصلة بين الناس.

مشاريع التجديد

ينتقل بعد ذلك الكاتب إلى استعراض نماذج من التاريخ الحديث التي كانت منارة تجديدية (من وجهة نظر الكاتب) أحيت الفكر الديني بعد ركوده. فاستعرض سيرة ونهج جمال الدين الأفغاني، والإمام محمد باقر الصدر، والإمام الخميني. وبيّن أهم مرتكزات حركة ونهضة كلّ شخصية من هذه الشخصيات العملاقة في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث. فالأفغاني مثلاً عمل على محاربة الاستعمار، ومناهضة الاستبداد بأنواعه. كما ركّز بشكل واضح على توعية الناس، وتنقية الفكر الإسلامي من الشوائب المخلّة به، وأطلق مشروع الجامعة الإسلامية المعروف.

أمّا الإمام محمد باقر الصدر فقد أحدث موجة فكريّة عارمة في مجالات المنطق والفقه والفلسفة والتفسير وحتى الاقتصاد. فقد اشتغل بنقد التراث دون قيود التزمتّات الدينيّة والخطوط الحمراء، وعمل على دراسة نظريّات الآخرين من خارج الدائرة الإسلامية، وعمد إلى تقديم رؤى إسلامية جديدة في مختلف الميادين. وكذلك ركّز على الارتقاء بمستوى الوعي عند الناس، وكذلك نظّر لأطروحة "المرجعية الصالحة أو الرشيدة"[1].

في المقابل، عمل الإمام الخميني على مشروع إصلاحي-إحيائي، يتصدّى فيه الفقيه لقيادة الأمة سياسياً بالإضافة إلى مرجعيته الدينية. فكان مشروعه مرتكزاً على عدّة أبعاد، منها مناهضة الاستبداد، وتأكيد دور العلماء الحقيقيين وتحجيم فقهاء السلطان، وقطع التبعيّة للدول الاستعمارية، وإقامة الدولة الإسلامية وتأكيد دور الأمة.

ونرى هنا نمطاً متكرّراً في أوساط هؤلاء المجدّدين، وهو نزعتهم لمقاومة الاستبداد بشتّى صوره.

الاستبداد وتداعياته

في الفصل الأخير من الكتاب، ركّز الكاتب على منظومة الاستبداد بوصفها أكثر ما كبّل الإنسان وأكثر ما حجب المجتمعات عن تطوّرها وترقّيها، مستشهداً بآراء النائيني والكواكبي حيال هذه المنظومة القامعة للإنسان وحراكه الفكري والثقافي. كما يبيّن الكاتب من أين وكيف بدأ الاستبداد، بعد العصر الأول وتحديداً بعد الخلفاء الراشدين. ثم يبيّن بوضوح المنهج المناسب لمحاربة الاستبداد، ألا وهو فضح الممارسات الاستبداديّة بكل أنواعها (سياسية كانت أم دينية أم غيرها)، وتبنّي الشورى والديمقراطية وضمّ جميع أطياف المجتمع، والانضواء تحت سياسة القانون وإرساء العدل للجميع. يقول الكاتب: "لا شك أن الشورى والديموقراطية هما طرفا النقيض للاستبداد، فإذا انتعشتا في بلد جفت منابع الاستبداد وأثمرت حياة حرة كريمة، وإذا ذوتا استفحل

[1] المصدر نفسه، ص181

الاستبداد، وعاش الشعب ظلمة الكبت والحرمان"[1]. ثم يعرّج الكاتب بشكل مختصر على نموذج ولاية الفقيه والشورى كمنظومة قد تكون صالحة في ظلّ صلاحيات محدودة للفقيه (المرشد الأعلى)، لا صلاحيات استبداديّة تسمح له بتجاوز مبادئ العدل والشورى وحكم القانون.

الكتاب يتناول موضوعاً لا زالت الأمّة في أمسّ الحاجة إليه، ألا وهو نبذ الجمود الفكري والانطلاق نحو التجديد الفكري الثقافي على مختلف الأصعدة، فقدّم نظرة دقيقة فاحصة في تشخيص الوضع الراهن، ولم ينزلق كعادة بعض المثقفين إلى الاصطفاف في إحدى الضفتين؛ إما الدفاع بشراسة عن التراث بكل ما فيه أو مهاجمته والاستنقاص منه والتنكّر له، بل نحا المنحى العقلاني الذي يوازن بين الأصالة والمعاصرة. فلا كلّ التراث سيء، ولا كلّه جيد، ويحتاج لعملية تنقية ونقد وتجديد باستمرار لئلا نتكلّس ونجمد، فالتجديد سنّة الحياة كما يقول الكاتب. ولا بأس لديه في التعاطي مع المنتجات الثقافية والعلمية من الحضارات الأخرى بوصفها –على حدّ تعبيره– "نتاجا إنسانيا" يمكن الأخذ به أو ردّه على حسب فائدته. هذه النظرة المتوازنة توحي بكمّ من الانفتاح والاعتزاز في آنٍ واحد، وتسلك باتجاهٍ قلّما تكثر أنصاره لكثرة المنزلقين لإحدى الضفتين المذكورتين.

وعمد الكتاب بشكل جميل إلى تثبيت أسسٍ رصينة بالإمكان البناء عليها، كإرساء ثقافة الحوار ومناهضة الاستبداد بأنواعه. وكانت له ملاحظة ذكية جداً على "علم الكلام" القديم الذي طالما تغنّى به المفكرون الإسلاميون كعلامة تفوّق فلسفي على الآخر، بينما لاحظ الكتاب كيف درج علم الكلام هذا في نهاية المطاف إلى إطفاء جذوة الإيمان الفاعلة وتأصيل الفِرَقية بأشكالها وزرع العقائد المغلوطة والمدمّرة وتعطيل المنهج القرآني الأصيل وغرس ثقافة الإقصاء، وبالتالي سقط الإنسان كلّه. وعالج مشكلة مُعقّدة أخرى (ولو بشكل مختصر) ألا وهي مشكلة الولاءات المتفرّقة الغير متوحّدة. وثبّت دور المثقّف في التجديد، ورسم له نموذجاً نأمل أن نراه في الواقع،

---

[1] المصدر نفسه، ص232

وهو أن يجمع المثقّف بين المعرفة العميقة، والوعي المشتبك بالواقع، والموقف الشجاع والاستعداد للتضحية.

وأحد أكبر نقاط القوة في الكتاب هو نزعته للتعاضد مع النهج القرآني بصراحة تامة، فالكاتب يشرّف القرآن بتبيان أنّ القرآن يراهن على العقل، وداعية إلى الحوار مع كلّ الأطراف، ومضاد إلى كلّ أنواع الاستبداد. كما يشدّد على الحاجة إلى تجديد التفسير للنصّ القرآني، وينتقد كيف أصبحت كتب التفسير خطوطا حمراء وآلية قمع للاجتهادات الجديدة، ويفرّق في أكثر من مرة بين الإلهي والبشري. ولكن ربما لم يتم استيفاء هذا الموضوع فهو شائك وطويل وبحاجة إلى تبيان منهج واضح مع أمثلة صريحة في كيفية التعامل مع الآيات الشائكة في القرآن أو التي قد تحسب ضدّ القرآن. فبعض التنظيرات العامة جميلة ولكن الشيطان يكمن في التفاصيل، فما الآلية المناسبة لتطوير عملية التفسير، وهل ستظل حكّراً على بعض العلماء والفقهاء ومحرّمة على المثقفين مثلاً (كما هو الحال الآن)؟ بل حتى علم الكلام وتجديده، فلن يثمر شيئا ما لم يتم تجديد قضايا الكلام نفسها وتجاوز قضايا السابقين التي كانت معاول هدم ومصانع طحن أنتجت التكفير والتفرُّق في الدين في مسائل عقدية ما أنزل الله بها من سلطان لا تثمر شيئا ولا تمس حاجة الإنسان والمجتمع ولا فلسفته في الحياة الموجّهة لأدواره البنّاءة.

قد يُعذر القارئ إن ظنّ أنّ الكاتب يناقض نفسه حينما تناول الكتاب قضية التعدّدية الدينية في بعض ما قاله آنفاً. فقد قارب ما حدث في عصر النهضة مع العالم الإسلامي وخلص إلى أنّ الإسلام لا يوجد به "إكليروس"[1] ولا تكفير، مع أنّ الشواهد تشير إلى أنّ كثيراً من المرجعيات بفئوياتها الضيّقة هي نوع من الإكليروس وتمارس التكفير لمن خالف ثوابتها أو نظرياتها (وقد ذكر الكاتب قبل ذلك شياع الفكر التكفيري كمظهر للتخلّف الحضاري). تجد في الكتاب عدم ارتياح في التعاطي مع فكرة التعدّدية الدينية بحجّة أنّها مفرّغة للدين من محتواه الحياتي، ولكن يبقى السؤال ماذا عن الأطياف المختلفة (حتى في الدين نفسه) التي لا تتّفق في ثوابت الشريعة مع

[1] المصدر نفسه، ص126

الآخر وتمارس دينها بأسلوب قد يعتبره الآخر "تجربة روحية باطنية"، فهل يناقض ذلك وحدة الأمة أم يمزّق بين طوائفها؟

الكتاب صدر في سنة 2000 فهذه الآراء هي جزء من مسيرة الكاتب الفكرية ومن المستحيل أنّها لم تتطوّر أو حتى تتغيّر فتلك عادة المثقفين الحقيقيين. في الحقيقة الكتاب سابق لزمانه والقضايا الموجودة فيه ما زالت بذات الأهمية القصوى اليوم في هذه الظروف التي تعيشها الأمة. أنصح الجميع بالاطلاع عليه والاستفادة منه. فنحن بحاجة لمثل هذه النتاجات والتوجهات الدافعة لعجلة التجديد الفكري فقد تأخرنا كثيراً. أما كتبه الآخيرة فقد اشتملت آراء جديدة، بعضها قد تجاوز ما جاء في كتاب اشكاليات التجديد.

التسامح قيمة إنسانية ودينية عليا

بقلم: الأستاذ عاشور البدري[1]

من اشـــد ما واجهه الفلاســفة والمصــلحون والمفكرون ومن قبلهم الانبياء والرسـل، هو تغيير عادات وتقاليد المجتمعات وقيمها الموروثة واحلال قيم جديدة بدلا منها، خصـــوصـــا اذاكانت هذه العادات قد ترســـخت عبر قرون من الزمن، فعســـير جدا ان تنتزع الانســـان من موروثه وما الفه من عادات وتقاليد وقيم تشكلت عبر الزمن ثم تستنبت قيما اخرى جديدة وتحلها محلها، ولهذا كان عمل المصــلحين والمفكرين شــاقا والعبء الذي تحملوه في ســبيل ذلك كبيرا والتضــحيات التقدموها جســاما، فقد لاقوا من مجتمعاتهم العنت والقســوة والحرمان والسجن بل والتنكيل بهم كما نرى ذلك جليا في تاريخ المجتمع البشري، لقد كانوا يتحاشـون وضع اسمائهم على مؤلفاتهم في زمن حياتهم خوفا من بطش السلطة الدينية والسياسية آنذاك.

ومفهوم التســامح بما يحمل من معنى قيمي هو جديد على ســاحتنا العربية والاسلامية التي تعج بالتعصب بكل ابعاده والعنف والاستبداد السياسي والديني واقصـــاء الاخر المختلف دينيا اومذهبيا او عرقيا بل محاولة الغائه تماما، وهو جديد على مجتمعاتنا التي تسيطر عليها جماعات التطرف الديني نتيجة لتوظيفها للنصوص الدينية بما يخدم مصالحها، لان التسامح بمفهومه الجديد يعبر عن حق اصـــيل من حقوق الانســـان، حقه في اختيار العقيدة والفكر والتعبير عن آرائه بكل حرية ويعني فيما يعني قبول الآخر المختلف دينيا او مذهبيا او عرقيا اوفكريا وعدم اقصـــائه او الغائه يعني التعايش الســـلمي بين مختلف الديانات والملل

1 - رجل دين - أستراليا

والاعراق ، وبعبارة اخرى يعني نبذ التعصب بكل مظاهره وابعاده ولا يخفى على احد مدى الحاجة الماسة لمجتمعاتنا العربية والاسلامية للتسامح وخصوصا في ظل الظروف الراهنة التي ادت فيها سيطرة الفكرالاحادي الالغائي على ساحتنا العربية والاسلامية الى ما نراه من تقاتل وتطاحن طائفي مؤلم ومن ثم اشاعة الثنائيات البغيضة عبر فضائيات الكراهية فهناك دار شرك ودار ايمان ودار كفر ودار اسلام فسطاط كفر وفسطاط ايمان الى ان اصبح القتل على الهوية وما يجري في العراق وافغانستان وباكستان دليل صارخ على سيادة منطق التعصب والعنف والاقصاء بل الاستئصال والالغاء.

من هنا تأتي اهمية كتاب "التسامح ومنابع اللاتسامح فرص التعايش بين الاديان والثقافات" للباحث والكاتب القدير الاستاذ ماجد الغرباوي كتاصيل لهذا المفهوم ومحاولة لتبيئته، اي نقله من بيئته التي ولد فيها واستنباته في بيئة اخرى، وهي مسألة ليست هينة بل تحتاج الى تظافر جهود وعمل توعوي وثقافي متواصل لغرس هذه النبتة الجديدة وتعاهدها حتى تؤتي ثمارها، ونحن عندما نقول ان هذا المفهوم بما يحمل من مضامين حديثة تعتبر جديدة على بيئتنا الفكرية العربية لا ننفي وجوده بمعناه الاخر الذي يتضمن المنة والتفضل،لان التسامح كمفهوم يحمل قيمة اخلاقية تتناسب مع مضمون الكلمة لغة لان التسامح في اللغة هو التساهل والجود يقال فلان سمح اي جواد فالتسامح كان يدل على تنازل الشخص عن حقه تكرما ومنة، لكن هذه الدلالة –كما يقول المؤلف– "تطورت بفعل التنظير الفلسفي لتتحول الى جزء من واجب تفرضه الحرية الشخصية التي يراد لها ان تكون متساوية بين الجميع، فلكل فرد حقه في الاعتقاد وحقه في التعبير عن رأيه، وليس هناك ما يبرر احتكار هذا الحق لجهة دون اخرى، فقبول الآخر وفقا لهذا الرأي ليس منة وانما واجب تفرضه الحرية الشخصية "

وقد ولد مفهوم التسامح في العالم الغربي نتيجة حاجة ملحة كما هي حاجتنا في مجتمعاتنا الى اشاعة هذا المفهوم وهي حاجة كان يفرضها الواقع المؤلم الذي كان يعيشه آنذاك من صراعات سياسية وحروب دينية وعرقية وتعصب

ديني وطائفية، وقد كتب الفيلسوف الانجليزي جون لوك في اواخر القرن السابع عشر عندما كان هاربا الى هولندا "رسالة في التسامح" ضمنها المعاني الجديدة لهذا المفهوم، والعجيب انه لم يجرؤ أن يضع اسمه على هذه الرسالة خوفا من بطش السلطة الدينية والسياسية الا قبل وفاته بمدة قصيرة ؛ثم استمر التاصيل لهذا المفهوم الى ان أصبح قيمة مهمة كما نراها اليوم في المجتمعات الغربية .

واضافة للحديث عن التسامح بمعنا ه المعاصر من حيث دلالاته ومساحاته التي يشملها تحدث المؤلف عن الاسباب التي تحول دون اشاعة هذا المفهوم في مجتمعاتنا الاسلامية وقد عبر عنها بمنابع اللا تسامح وهي سيادة منطق العنف والاحتكام اليه لا الى القانون فقد اعتبر في كثير من مجتمعاتنا قيمة اساسية فالقوي يهاب ويبجل ويحترم لقوته وهوقوة فاعلة ومؤثرة في وسطه الاجتماعي بل تحول العنف الى منهج في تفسير التاريخ وقراءة الاحداث،ومن هذه المنابع الولاء القبلي وما يسببه من صراعات عشائرية واحتكام لقيم القبيلة،وعدم الولاء للقانون والدولة،ومنها سيطرة القيم الموروثة والعادات والتقاليدوما تلعبه من دور في تشكيل وعي الفرد ثم المجتمع؛ ومنها الاستبداد السياسي الذي يعتبرالخصم الرئيس للتسامح لان الاستبداد السياسي يعني رفض الاخر وتهميشه لذا لا يمكن التوفيق بينهما،ومنها التطرف الديني الذي يعده المؤلف اخطر منابع اللاتسامح على الاطلاق وذلك لانه يوظف فيه النص الديني فهو يمارس تحت غطاء شرعي كالجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهما من العناوين الشرعية.

وبالرغم من تاكيد الديانات والشرائع السماوية على المحبة والعفو والرفق والمواساة وما اليها من اخلاق، الا ان اغلب الحروب والصراعات عبر التاريخ كان طابعها دينيا،فلا نعدم ان نجد نصوصا في الديانة اليهودية والمسيحية والاسلام تتحدث عن محبة الاخر واحترامه والمساواة بين الناس والعدل والرحمة بل هذه النصوص ليست قليلة في الشريعة الاسلامية الا اننا نرى ان الحروب في الغالب قامت باسم الدين وبحجة الدفاع عنه، وهذا يعني توظيفا سيئا للنص الديني وتغييبا متعمدا لنصوص العدل و الرحمة والمحبة والمساواة والصفح ومقابلة الاساءة بالاحسان وغيرها، وهذا ما اشار اليه المؤلف عند الحديث عن بعض

النصوص الموضوعة كحديث الفرقة الناجية وكيف وظف توظيفا سيئا عبر التاريخ وهو من الاحاديث الضـعيفة جدا، في المقابل تم تغييب كم هائل من نصـوص التسـامح والعدل والرحمة والعفو بحجة النسـخ وهي حجة واهية لاتصـمد امام النقد.

ان مفهوم التسـامح بما يتضـمن من حمولة دلالية جديدة ليس آبيا على التطبيق لاننا نعيش بين ظهراني مجتمع- المجتمع الاسـترالي - بالرغم من تعدد الاديان فيه والثقافات والتجمعات الاثنية الا ان الجميع يعيشـون في ظل هذا المفهوم فلا اقصـاء للآخر ولا تمييز عنصـري او ديني،الكل يسـتطيع ان يعبر عن رايه ويعتنق العقيدة التي يقتنع بها بكل حرية ولا عبرة بالشاذ النادر .

التنوير بين الإضاءة والاتهام
ماجد الغرباوي مثالا

بقلم: الأستاذة أمان السيد[1]

لقد بات مصـــطلح التنوير ومن يشـــتغلون عليه، أو ينتمون إليه إدراكا ووعيا موضـع تسـاؤل وشـك، واتهام من جهات معينة. وكأني بها تحرص على أن يظل "ما وجدنا عليه آباءنا" حاضـرا وفاعلا ومحركا، ومثبطا للعقل، أو لأية محاولة لإيقاظه، أو حتى دغدغته!

ولكن للحياة دورتها، وللزمن ساعته، فإثر اكتظاظ الساحات بالمعوّقات الفكرية، والتدمير الإنســاني بحجة الدفاع عن الدين، أو تطبيق شــريعة الله، كان لا بد من أن ينهض بعض العاقلين، والحكماء، وينهض المثقفون لمن فضل السيف والقذف سلاحا للتحاور، يعظم عندهم ليصـــبح تحليل الدم بالقتل أمرا مباحا، حيث جعل الاجتهاد حكرا على فئة وأسماء لمعت لغاية، أو أخرى عبر تســـلســـل لا يقبل خدشـــا، أو اســتبدالا، وكأني بالعقول التي خصــنا بها الله حجة للوصــول المتيقن ممنوع عليها أن تتأمل، أو أن تفكر، تتلقى فقط.. رغم أن القرآن الكريم ثري بالخطاب الإلهي الذي يحض على التدبر والتأمل، والتفكر.

وفي غمار هذا وذاك، كان لا بد أن يظهر الأســتاذ ماجد الغرباوي، وأمثاله من الغيورين على الدين، وعلى الطائفة المســـلمة ليعيدوا غربلة ما طفا فوق الســـطح، وتقويم ما اعوجّ بما أوتي من الثقافة، والدأب والعمل، وأن يجتهد لإعادة الأمور إلى رصــانتها المنشــودة، فيشـعر من أوتي جانبا من الحكمة بالاطمئنان إلى ما يتلقاه منه مادة، وشروحا.

---

1 - أديبة وكاتبة – سيدني – أستراليا.

ومن الجوانب التي آثر الأستاذ ماجد الغرباوي أن يوليه موضعا كبيرا، وقيّما في قراءاته المستجدة للتراث ولما نسب إلى الشريعة على لسان المتقولين، هي المرأة... المرأة التي شغلت للأسف مساحة وارفة من فكر أصحاب الرأي والاجتهاد، والشيوخ ذوي الاستنساخات المشوهة حتى ليوشك أن ينسب انهيار المجتمعات الإنسانية إليها، وتفوق التفكير في شأنها على ما عداه مما تحتاجه المجتمعات الإسلامية من الدعامات والأسس التي تقيم أودها وتصلح شأنها، ولا ضير إن اعترفنا ببساطة وصراحة أننا أمة مأسوف عليها فيما وصلت إليه من التردي، والتخلف والانقسام الطائفي، والانحطاط الفكري، إلا من رحم ربي وتنبّه إلى المستنقع الذي طال قدميه، فانتشل ذاته منه، ونتجت إثر ذلك حركات فردية ما تزال تنشر فكرها وتساهم في إضاءة العقول والنفوس على استحياء، ومن تجرأ بإعلاء صوته منها، يرى الكثير من الألسنة تمتد لتعمل فيه إساءة، وتكفيرا، ولن نهمل أن هناك من آثر الانفراد بما قد استنار به لنفسه بعيدا عن حروب من حملوا لواء التكفير والشجب، ليحشرونا في خاناتهم التي هي ليست إلا إثراء لسطوتهم، وجشعهم، وانحرافهم الضليل!

في اطلاع لي على كتاب "الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي"[1] الفكري التنويري الإصلاحي إن صح التعبير، تلمست رؤيته للمرأة ودفاعه عنها ضمن تسلسل تاريخي نابها فيه ما نابها من الاضطهاد والإسفاف، والالتفاف حول الشريعة ومعطياتها في ما يخص المرأة.

أقتبس هنا بعض ما ورد في الكتاب ضمن محاورة جديرة بالاهتمام والتقدير:

مقارنته وضع الرجل المركزي بشكل عام في كل زمن، قابله تهميش للمرأة ضمن قيم تنتمي إلى العبودية، ولم تغادر تلك الرؤية في العصر القبلي، ولا حتى في العصر الإسلامي، وقد تسربت تلك القيم رغم ما طرأ على المرأة بعد نزل الوحي من تطور على مستوى الحقوق والواجبات: (إن مركزية الرجل وهامشية المرأة، تنتمي لقيم

1- محمد علي، ا. د. محمود، الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي النسوي، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، ودار الوفاء الاسكندرية، 2021م.

العبودية، ولم تغادر المجتمع في العصر القَبلي، بل وحتى في العصر الإسلامي، تسربت تلك القيم، رغم ما طرأ على المرأة بعد نزول الوحي من تطور على مستوى الحقوق والواجبات)[1].

إن الشاهد على تكريس دونية المرأة نصوص / روايات تنسب إلى عصر الخلفاء. وبعضها يروى عن النبي نفسه، وبعضها سلوك شخصي أو اجتماعي متعارف عليه "ناقصات العقول، كن من خيرهن على حذر، شاوروهن وخالفوهن" وغير ذلك من النصوص التي تمثل فجيعة العقل التراثي، وغربة المرأة داخله.يقول:(والشاهد أن أغلب النصوص التي تكرّس دونية المرأة تنتسب لعصر الخلفاء، بعضها يروى عن النبي وبعضها سلوك شخصي أو اجتماعي متعارف "ناقصات العقول، كن من خيرهن على حذر، شاوروهن وخالفوهن" وغير ذلك من النصوص التي تمثل فجيعة العقل التراثي، وغربة المرأة في داخله)[2].

إنه من المأسوف عليه حقا أن تتداول مجتمعاتنا تلك النظرة التي لا بد أن لها أسبابها لو قورنت بالعصر الذي سيقت فيه، والتي لا بد أنها ارتبطت -إن صدق نقلها وتوارثها- برؤية ومصالح فرضها بعضهم في زمن معين لغايات والتماسات معينة، ولكن ماذا في العقول الذكرية والتي بعضها قد يفترض به ارتقاء سلالم الوعي والثقافة، والمكانة الاجتماعية، وهم ما يزالون يرونها الرؤية الصادقة ويربطونها بالشريعة، ومبادئها؟!

ويأتي الرد من الأستاذ الغرباوي معقبا ومحاججا بأن القرآن الكريم لم ينص على دونية المرأة، ولم يتحدث عن ثنائية النوع الإنساني إلا من خلال الجانب الوظيفي[3]، وأن في النصوص القرآنية إشارات وقرائن يهملها المفسر/ الفقيه كما في الآية الكريمة " الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم"

1- المصدر نفسه، ص 56.

2- المصدر نفسه.

3- المصدر نفسه، ص 57.

والتي ما تزال تثير إشكاليات كثيرة، ورفضا واحتجاجا إيجابيا وسلبيا من جهة المرأة والرجل، إذ أن المفسر/ الفقيه يتكئ على بداية الآية، ويهمل الشروط التي قامت عليها.

ثم إن الغرباوي يسبر أكثر من آية كريمة فيها الإيحاء غير المباشر على المساواة بين الذكر والأنثى ويطيل الشروح المقرونة بالدلائل على معانيها، وعلى أن انتزاع بعض المعاني وشرحها بعيدا عن السياق والإيحاء يعتبر جورا وظلما، ويخلص الأستاذ الغرباوي إلى أن مرجعيات الحركات الإسلامية سواء التراث، أو النص الديني هي وراء منطق تكريس دونية المرأة ومعاداة النسوية الداعية إلى تحرير وعي المرأة، واستعادة حيثيتها الإنسانية كي تواصل حياتها مستقلة بعيدا عن عقد المظلومية والانكسار[1].

سنحتاج وقتا طويلا، وأكثر من ثورة إنسانية فكرية لنتقبل الجديد، فكما قيل كل نبي غريب في أرضه، فإن إكرام متنور، أو مصلح اجتماعي لن يكون سريعا، إكرامه الذي أقصده، وعي ما قدمه ويقدمه لنا من فكر، وإدراك ما تحمله ثناياه جيدا من التحريض على إيقاظ العقل، وتحليل المعطيات لنتخلص من سلطة مفسر/ فقيه جعل من نفسه سيد العقلاء حين دفعته ذكورته التي ينتمي إليها إلى أن الرجل سيد المجتمع، وأنه الأفضل، والمتفضل، وهذا يقتضي أن تكون المرأة جزءا من متاعه خاضعا لإرادته يسوقه بعصاه كما يسوق أغنامه، فمن ذاك الذي يقبل بفقه فقيه يشرع وينسب إلى الإسلام ما لا يقبله عقل أو منطق، كتفخيذ الرضيعة، أو إرضاع الكبير لجواز الاختلاط مثلا" كما يذكر الأستاذ الغرباوي؟!"[2]

قد ينبري أحدهم متهما أن الأستاذ الغرباوي ينبش في ذيول السلوكيات، ويحتج بها مما ذكرته أعلاه، لكن من يستطيع أن يغمض عينيه عن ممارسات القمع التي ما يزال يغص بها زمننا وحاضرنا من قهر للمرأة، وتعنيفها في أغلب بلداننا العربية، وهل السوشيال ميديا إلا السافر المسفر الذي لا نستطيع صده، وهويعرض علينا في كل

1- المصدر نفسه، ص 60.

2- المصدر نفسه، ص 78.

حين مشاهد قتل وسحل للمرأة بمختلف الطرق، حين ترفض الزواج من أحدهم، فينحرها، وحين تغتصب طفلة من أقرب المقربين إليها، وتسكت أمها على الأمر خوفا من ذوي الشأن من الذكور في أسرتها، وضحايا الحروب والمعتقلات، والأطفال الذين ولدوا في السجون ثمار اغتصاب.... ماذا بشأنهم؟!

هو غيض من فيض فلسفه مشروع الأستاذ الغرباوي مشكورا في معرض لكشف الأستار، وإضاءة الأنوار حول وضع المرأة التي هي رحمنا الأول.. الأم قبل أن تكون الحبيبة، أو الزوجة وتتسلسل إلى ابنة وحفيدة، وسيدة مجتمع وكيانا قائما بذاته..

ماجد الغرباوي في ثنائية المرأة والقرآن
إشكاليّة القراءة والتاسيس

بقلم: د.سُمَيَّة إبراهيم الجنابي[1]

بقي عنوان النظر والتجديد في التراث الديني من أبرز العناوين التي تتحرك في فضائها مشاريع وأعمال عدد من الباحثين من دعاة الإصلاح والنهضة، ولا تزال قرأتهم قائمة في تكشيف المرجعيات الإسلاميَّة، بمقرراتها واداواتها، وفك التباساتها التاريخية مع معطيات الزمن الذي ولدت فيه وأثرت به وتأثرت، لتنمية وإرساء معطيات ونصوص ورؤى حضارية تنسجم مع تحديات الزمن الراهن، المتدفق بكل عناصر التغيّر والسرعة.

والموقف من المرأة كما يرى الدكتور عبد المجيد الشرفي يعد اليوم أفضل معيار يمكّننا من تصنيف المفكرين والمشتغلين بالمعرفة الدينية، ومعرفة مدى بقائهم عالة على بعض القدماء من الذين يكرّسون التمييز الذي كانت النساء ضحيته، أو انخراطهم في مقتضيات عصرهم بالنسبة إلى سائر القضايا. وهذا المعيار هو الدليل في الحكم على المصداقية التي يمكن أن يتمتع بها أي موقف، باعتبار أن حقوق الإنسان كل لا يتجزأ ولا يجوز اختزالها. فإذا وجد من ينبذ الأحكام الفقهية التفصيلية التي تفرق بين المسلمين على أساس الانتماء المذهبي –مثلًا– ثم وجدتهم يقرّون بفرض أحكام فقهية ولدت ضمن الاشتراطات التاريخية بتعللات واهية، فلا نستبعد أن ذلك النبذ منقوص ومعتل، يحمل في طيّاته تناقضًا داخليًا، وأنه غير مبني على أساس متين[2].

---

1 – تخصص فكر إسلامي. بابل – العراق.

2 – ينظر: عبد المجيد الشرفي، عبثية الصراع المذهبي، كتاب: الصراع المذهبي فصول في المفهوم والتاريخ، الناشر: جامعة الكوفة، الطبعة الأولى- بيروت-2018م، 65.

وقد شهد المسار التاريخي لموضوع المرأة سجالات فكرية حادة في داخل الوسط الديني، في العصر الحديث من رفاعة الطهطاوي، ومحمد عبده، وقاسم أمين، والطاهر الحداد ومرتضى مطهري، ونصر ومحمد مهدي شمس الدين وو. وقد تمخضت عنها اتجاهات معرفية متعددة، يمكن حصرها في ثلاثة، لنتلمس من خلالها مشروع الأستاذ ماجد الغرباوي في مقاربته لهذه القضية الحرجة، وأين يمكن أن يصنف؟ وما هي أبرز محدداته وأدواته؟

وبإيجاز، فان هذه الاتجاهات الثلاثة، هي:

أولا: الاتجاه التقليدي النصوصي (الأصولي):

ومن أبرز معالمه الحفاظ على أصالة المعارف والتعاليم الإلهية، ومواجهة جميع الأفكار التي تستعين بالمعارف والمنهجيات الحديثة في فهم وتفكيك التراث الديني. فؤلاء يقدسون الماضي. حتى ان بعض اتجاهاته المفرطة، تعتقد أن الله يريد حفظ الظروف الموضوعية والعلوم والفنون التي كانت موجودة في ذلك العصر، ويعدون كل التحولات اللاحقة بعيدة عن المجتمع الإسلامي المرجوّ[1].

الاتجاه الثاني: الاتجاه الكلامي (العقلاني):

وهو اتجاه برزت فيه شخصيات كبيرة في القرن العشرين كالشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ومحمد حسين الطباطبائي، ومرتضى مطهري، ومصطفى السباعي، وغيرهم، وقد ركز هذا الاتجاه نشاطه على صعيدين[2]:

---

1 ينظر: الشيخ محمد تقي سبحاني، شخصية المرأة – دراسة في النّموذج الحضاري الإسلامي، ترجمة: علي بيضون- شاكر كسرائي، الناشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي- الطبعة الثانية – 2013م، 29-33.

2 – الشيخ حيدر حب الله، المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر، الناشر: دار الهادي- بيروت، 2008م، ص 14.

أحدهما: تقديم صـياغة علمية داخلية لموضـوعات المرأة غلبت عليها، سمة إعادة إنتاج من دون تغيير في النتائج غالبا، أي إعادة صياغة وتشكيل للنظم المفاهيمية مع الأخذ بعين الاعتبار ثبات النتائج.

ثانيهما: تقديم تفســيرات عقلية للنتائج المفروغ منها، يمكنها عقلنة معطيات النصــوص، أي تقديم تفسـيرات لقضــايا الحجاب وعلاقته بالحرية، وتعدد الزوجات وعلاقته بالحقوق وو. وقد ســـاعدت التركيبة الذهنية – الاجتماعية في المجتمعات الإسـلاميَّة، على نجاح هذه التفسـيرات ومعقوليتها لدى الرأي العام، وهو ما قد ينذر بفشل الديمومة، نتيجة التغيرات التي حدثت في العقديين الأخيرين.

الاتجاه الثالث: الاتجاه الفقهي الحضاري:

وقد تبلور هذا الاتجاه في كتابات الشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد محمد حسين فضل الله، والشيخ يوسف صانعي، والشيخ مهدي مهريزي، والشيخ مجتهد الشـــبســـتري، غيرهم. ويحكي عن نمط من التفكير والتعـاطي مع النص (القرآن والصحيح من السنة) المحتكم إليه في القراءة والتأويل، تمثل في أمرين[1]:

الأمر الأول: آلية الحفر خلف الجانب الصـــدوري للنص، وهو أمر يتســـنى في السنة الشريف، ويستحيل في القرآن الكريم. إن هذا الحفر الذي يهدف إلى تقويض النص من خلال نفي صـــدوره، وجد لنفســـه في هذا الاتجاه فرصـــة ملائمة جدًا. والســـبب في ذلك هو ان مجموعة تصـــورات اجتماعية عن المرأة لم يعمد الفقهاء والمتكلمون المسلمون السابقون إلى تحقيقها اتكالًا على الوضع العام في الوعي والعقل الجمعي المسبب عن بنية خاصة للمجتمع القديم.

الأمر الثاني: إلية تكوين قراءة جديدة للنص تدخل في الحســـاب التاريخي، والمكسـب الذي سـيتحقق حينئذ يقوم على محاولة عزل النص عن الواقع الاجتماعي الحالي من خلال وصله ببنى وهيكليات اجتماعية – سياسية سابقة لم يعد بالإمكان تحققها اليوم.

---

1 - المصدر نفسه، ص12.

هذه هي أبرز الاتجاهات الدينية التي عاشت السجالات الفكرية لوضع المرأة الحقوقي والحضاري، وقدمت تصورها وقناعاته فيه، ولكل منها كما شاهدنا أدواته المعرفية وسماته وتجربته.

ومن ثَّم، نعود ونسأل أين يمكن أن نصنف مجهود وعمل ماجد الغرباوي من هذه الاتجاهات من خلال كتاب (المرأة والقرآن) ؟ علمًا ان كتابه عبارة عن حوار أجرته معه الدكتورة ماجدة غضبان، وكان الحديث في عمق التشريع وفلسفته ومرجعياته وأصوله، والواقع ودلالاته في النص وفهم النص. مع النظر في المنهج البحثي والعقل الاجتهادي الإسلاميّ في محاولات التأصيل والتعميق.

ويبدو لنا من خلال المطالعة انّه ينتمي إلى الاتجاه الحقوقي الحضاري، الذي يسعى إلى قراءة مضامين الأدلة الشرعية من جديد، وفك النصوص من اشتراطاته الزمانية. ويمكن تلمس أبرز أدواته في الفهم والتفكيك والمعالجة بالاتي:

أولًا: التفريق بين النص وفهم النص وتفسيره، فهو يرى ان القداسة أو الحجة الشرعية-كما يسميها- لا تتجاوز القرآن والصحيح من السنة، وحتى هذا السنة فبعضها تدبيري (أو ولائي، تقتضيه المصلحة العامة)، والآخر مطلق يحمل على نحو القضية الحقيقية. فهو يقول: (اذاً الحجة الشرعية هي الكتاب المبين والحديث الصحيح الذي يفسّر النص "في تفصيلاته التشريعية وبعض جوانبه". وما عدا ذلك يقبل النص الديني أي تفسير ضمن ظرفه وشروطه. ولا شك ان النفوس الذكورية والاعراف والتقاليد، لعبت دورا في تفسير النص لصالح الذكر ضد الانثى، وهي تفسيرات وليدة عاداتها وتقاليدها وفهمها، وليست بحجة علينا. ويجب ان يكون لنا تفسيرنا ضمن ظرفنا التاريخي. وهذا الكلام لا يعني الشمول ابدا، فهناك كثير من التفاسير الموضوعية، لكن قد نراها تجافي المرأة على خلفية فهم المفسّر، ومبناه في توثيق الروايات، ومدى قبوله لها. او مدى تأثّره بالتراث او بواقعه. او بسبب خلفيتنا نحن، واختلاف الزمان، ورؤية الرجل مطلقا للمرأة ودورها في المجتمع. فالقياس هو القرآن وليس قول المفسر او الفقيه، ومتى ما انتابنا الشك في اقوالهم نعود للقرآن

نستنطقه كي نتعرّف على الحقيقة.."[1]. وعلى ذلك فهو يرفض النصوص والتفسيرات التي تصف النساء بناقصات العقول، أو ما ينسب للإمام علي(ع) من : "كن من خيرهن على حذر"

ويعتقد انها نشأت في ظروف سياسية خاصة، كحرب الجمل وخروج السيدة عائشة على الإمام علي (ع) وتزعمها لجماعة من المسلمين[2]. ووفقًا لذلك لا يمكن أن يشكل ذلك مدركًا للأحكام الشرعية أو لرسم صورة عن المرأة. نعم هي رأيٌ سياسيٌ شخصيٌ، لا رأيٌ اجتماعي عام تبنى عليه الأحكام.

ثانيًا: ان حصر مقاصد الله بالدلالة الحرفية للنص، وعدم مراعاة الدلالات الأخرى كالدلالة العقلية أو الدلالة المقاصدية، أو الدلالة الواقعية (التاريخية) قد أثر سلبا في تفسيرها، وجرد النصوص من قرائن مهمة قد تقلب العام إلى خاص، أو المطلق إلى مقيد والعكس صحيح. وعليه، فان الحل يكمن في تتبع المجتهد واستقرائه لجميع الدلالات الداخلية والخارجية لخلق وعي أعمق وأشمل للنص.

ثالثًا: من خلال إيمانه بلزوم فهم الأسبقيات والقبليات التي ينطلق منها المجتهد في معالجاته فانه يرى ان الفرضيات المعرفية المسبقة عن هوية المرأة وقدراتها هي من أثرت بشكل كبير في استنباط العديد من الأحكام المتعلقة بالرجل والمرأة. فيقول في ذلك: "لا إشكال في ان الحس الذكوري هو بوصلة الفهم والتفسير لدى بعضهم.. فكانت الذكورية حائلًا بينهم وبين التفسير والقراءة الصحيحة، حتى ان بعض الآراء الفقهية ما زالت قاصرة وقد تصنف جائرة بحق المرأة، وسببها كما تقدم النظرة الذكورية"[3].

---

1 - المرأة والقرآن.. حوار في إشكاليات التشريع، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات، الطبعة الأولى- 2015م، ص16.

2 - المصدر نفسه، ص 24.

3 - المصدر نفسه، ص 25-26.

رابعًا: فحصه للنصوص وإعادة قراءة مضامين الأدلة لا تمنعه من قبول مسوغات فكرية قدمها علماء الإسلام بخصوص تعدد الزوجات- مثلًا-، وصلته بالحقوق من أجل مجتمع نظيف، عفيف، ما دامت هذه المسوغات أو العلل لا تصطدم مع الواقع الضاغط بضرورياته ، مثل: كون الرجل لا يكتفي جنسيًا بزوجته، أو أن زوجته لا تطيقه جنسيًا، أو ان التعدد قد يساعد في القضاء على مشاكل العوانس، وقلة الرجال بسبب الحروب، أو الأرامل في ريعان الشباب، ونحو ذلك. والتعدد عنده من حقوق المرأة وليس الرجل فقط.

خامسًا: من الأدوات المنهجية عنده هو معيارية الفهم القرآني، وحاكميته على مجمل النصوص الأخرى، ولا يتأتى ذلك إلّا من خلال النظر إلى القرآن ككل لا إلى جزء منه فقط.

وتشير الدراسات القرآنية الحديثة إلى ما يقارب من مئتي آية تتناول المرأة وعلاقتها بالرجل. ومن هذه النقطة في ينطلق إلى رفض الآراء التي تجيز زواج البنت بتسع سنوات!! معتمدًا على علامات البلوغ التي ذكرته النصوص كـ " بلوغ الحلم "، أو " بلوغ الرشد " فلا يمكن استفادة إطلاق الحكم بتسع سنوات من دون أن تكون حائضًا وبمستوى الرشد.

سادسًا: تحت عنوان "الإسلام والرق" يكشف ماجد الغرباوي عن أبرز أدواته المعرفية وهي التمييز بين الأحكام التدبيرية الزمنية التي تصدر من النبي (ص)، وبين الأحكام التبليغية التعبدية، فكما ان النبي يمارس أحكام التبليغ فانّه يمارس أحكام الولاية العامة في إدارة شؤون المسلمين، وهذه الأخيرة توقيتية لا تلزم المجتمعات اللاحقة. وعليه، فان أحكام الرق ومشروعيته إذا كان لها ما يبررها في ظروف وقواعد الصراع التاريخي، فان هذه القواعد قد تبدلت بعد أن اتفقت جميع المجتمعات على نبذ الرق بإشكاله المختلفة.

وأخيرًا، من حقي أن أسجل ملاحظة نقدية يمكن أضعها بصفه سؤال أمام منهج وتعاطي الأستاذ ماجد الغرباوي في تفريقه بين النص وفهم النص، وقد ذكرتها

في كتابي:" مسألتان شائكتان في قضايا المرأة " وهي: ان معالجة القرآن لقضايا المرأة هل قائم على أســـاس تكويني في طبيعة المرأة بحيث يتصـــف بالثبات، أم قائم على أسس وحيثيات اجتماعية متبدلة؟ وبالتالي يخضع النص القرآني للتبدل في معالجاته؟.

ماجد الغرباوي
وتجربة النقد السياسي البنّاء

بقلم: الأستاذ محمد جواد سنبه[1]

لكي نســـتوعب حجم الجهد النقدي الذي يبذلة الباحث، في مجال الفكر السياسي والحركات السياسية، لابد لنا من الوقوف على امرين يشكلان معادلة فهم عملية النقد، والجهد الفكري المبذول لتحقيق دراسـة نقدية هادفة في موضـوع محدد. فالباحث الناقد يواجه امرين متضادين هما:

الأمر الأول: توفر الكم الكبير من المصـــادر في المكتبات، التي تتطرق في مجال بحث الشؤون الاجتماعية والسياسية المختلفة الجوانب، سواءً على مستوى النظريات أو على مستوى التطبيق.

الأمر الثاني: قلة المصـادر المختصـة بالنقد السـياسـي، مقارنة بحجم المؤلفات في هذا المجال. لأن عملية النقد، تقتضـــي التعرف على جميع الحيثيات، والاصـــول التي كُتبت في مجال سـياسـي محدد، ودراسـتها بامعان وفهما بعمق، ومن ثم اجراء عملية النقد، وفق اسلوب البحث العلمي الهادف.

والامر سـيكون اكثر تعقيداً، إذا ما تناول الباحث نقد تجربة سـياسـية معينة، لها وجود عملي على ارض الواقع، بعدمـا اســـتكملت تلـك التجربـة، دورهـا النظري واســـتطاعت ان تقنع مؤيديها، بان ينتقلوا من مرحلة التثقيف النظري، الى مرحلة خوض التجربة عملياً على أَرض الواقع، إذا ما تم نجاح التجربة الســياســية ودخلت

---

1 – كاتب وباحث عراقي

حيّز التطبيق العملي. ففي هذه المرحلة ستتكشف الكثير من الخفايا، التي كانت مبهمة إبّان فترة النضال السلبي.

ان الكتابة عن تجربة سياسية معينة، اثناء ولادتها ونضجها وتبلورها كمشروع سياسي هادف، أيسر بكثير من الكتابة النقدية التي تخصّ تلك التجربة، اثناء التطبيق العملي لها، والفرق بين الأَمرين كالفرق بين كلام خطيب يعتلي المنبر، ويتحدث عن مجموعة من القيم والمثل الانسانية الرفيعة، وبين شخص يقوم بعملية قوننة تلك الافكار، وتحويلها الى مواد دستورية وأَنظمة تشريعية تلزم مجتمع معيّن بتطبيقها والسير على نهجها.

فكلام الخطيب المنبري، لا يترتب عليه أَثر قانوني، إذا ما خالفه أَحد أَو لم يلتزم به المتلقي، بينما في الحالة الثانية (الحالة التطبيقية للتجربة)، تترتب على الانسان المؤمن، بتلك القضية المطروحة، حالة من الالتزام الجاد، وفي حالة المخالفة، فسيكون القانون خصمه، ويكون للقانون دور في محاسبته واجباره على تطبيق الانظمة والقوانين، التي اقرتها تلك التجربة السياسية، في فضائها التطبيقي وإِطارها العملي.

والاستاذ العزيز ماجد الغرباوي، كان أَحد فرسان هذا المضمار، فقد وظّف تجربته الحزبية، في العمل السياسي الوطني، ليكون النقد البنّاء ميدانه الأَوّل، فأَصدر العديد من المؤلفات، في مجال الفكر الديني الناضج، والمتحرر من عُقَدْ اللامعقول، التي أُلصِقتّ بالدين الاسلامي، نتيجة القصور في فهم الواقع، وسيطرة النمطية الكلاسيكية التقليدية، في بحث المشاكل التي يفرضها الواقع الاجتماعي، نتيجة لمتطلبات تطوّر الحياة الانسانية التي تتطلّب دائماً، طرح المستجدات من المسائل الحياتيّة، التي تستدعي وجود عقلية تشريعية مرنة، تُلبي كل تلك المستجدات الحياتيّة.

كما أَنَّ الاستاذ ماجد الغرباوي، لم يترك الخوض في المجال الأَصعب لعملية النقد البنّاء، وهو فضاء نقّد تجربة الاسلام السياسي في العراق بعد عام 2003م، ومتابعة ارهاصات انتقال التجربة، من مجال الدعوة السرية، الى مجال تجربة التطبيق العملي لتلك المسيرة، وهو مجال حكم المجتمع، والسير به نحو تحقيق اهداف الدعوة الحزبية، إِبّان فترة التنظيم السياسي السِرّي.

فالأَمر مختلف بين التجربتين، في المجالين النظري والعملي، فاصـــدر الاســـتاذ الغرباوي ثلاثة مؤلفات مهمة هي:

1. الحركات الاسلامية.. قراءة نقدية في تجليات الوعي 2015 .

2. جدلية الســياســة والوعي.. قراءة في تداعيات الســلطة والحكم في العراق 2016 .

3. رهانات الســلطة في العراق.. حوار في أيديولوجيا التوظيف الســياســي 2017.

وحتى يكون تقييمنا دقيقا، لجهد الاستاذ الغرباوي، لابد من استيعاب الفرق بين الكتابة الوصفية والكتابة النقدية، حيث يكون التمايز بينهما، مبنياً على مايلي:

أولاً: الكتابة الوصــفية كتابة اســتعراضــية، تقوم بوصــف حالة معينة، أَو حتى حالات متنوعة، وقد يختلط في هذا النوع من الكتابات، المعقول واللامعقول، وفي هذا النوع من الكتابات، قدّ يدخل فيها ذوق الكاتب، وأَهوائه الفكرية والعاطفية، من حبّ للموضــــوع الذي تناوله أو كرهه له، وعدم قناعته به. كما أَنَّ التأثير العقائدي للكاتب، يترك بصماته على نتاج الكاتب، وخصوصاً في الكتابات المتّصلة بالجانب العقائدي أو الديني.

ثانياً: أما الكتابة النقدية، فمن مقتضياتها المطلبيّة، أَنَّها تكون ضمن إطار صارم لعمليّة تحليل مشــكلة البَحث، والتَّوصُــل الى اســتكناه الحقائق الواقعيّة، وإبراز كافّة ملابســاتها، وربط القضــية المبحوثة بقضــايا أُخرى، لها صــلة أَو علاقة بالموضــوع المبحوث.

وهذا التشعب الشائك، يتطلب من الباحث عدة أُمور منها:

أ. سعة إِدراك الناقد بتشعبات الموضوع او القضية المبحوثة.

ب. أَنْ يكون الناقد ذا فَهم ثاقب بحيثات الموضــــوع المبحوث، وهذه النقطة تختلف عن النقطة الســابقة، كونها تعني الدخول بكل التفاصــيل الدقيقة للمشــكلة المبحوثة، وقد يتطلب الأَمّر البحث عن الجوانب الشــخصــية والنفســية، لرموز

وشـخصـيات الموضـوع المبحوث، حتى تتكشّـف كل الحقائق الخاصـة بالموضـوع قيّد الدراسة.

ج. يجب أَنّ يمتاز الباحث بملكة الاستنتاج الموضوعي، لربط الأَسباب بمسبباتها، والنتائج بمقدماتها، للوصـــول الى تقييم دقيق، وصـــائب للموضـــوع قيد البحث والاستقصاء.

د. تمتاز الكتابة النقدية عن كتابة النصّ السَّـــردي، بانها كتابة يســـيطر عليها منهج البحث المقارن، من أَجل الوصول الى الحقائق بصورة كاملة.

هـــ. الكتابة النقدية بنتيجتها كتابة تقييميّة للأَفكار المطروحة، أَو البرامج المقدمة على أَرض الواقع، لذا يتحمل الكاتب، تبعات آرائه النَّقديّة. فقد تجابه تلك الآراء بعملية هجوم مضـــادة، من مؤيدي وانصـــار القضـــية المبحوثة، بينما في الكتابات السَّرديّة، لا يتجشم الكاتب عناء ومتاعب وتبعات الموضوع الذي كتبه.

إِنَّ المنجز الثقافي النَّقدي، الذي حققه الاستاذ ماجد الغرباوي، في مجال البحث النقدي الاسـتقصـائي لمواضـيع اجتماعية، تتصـل بعدة جوانب من حياة الانســان المعاصـر، جعله يمتاز بعنصـر المصـارحة، في مواجهة مشـاكل المجتمع، وكفى بالاسـتاذ الغرباوي معروفاً، أَنْ قال كلمة الحقّ، وقدَّم الحقيقة للاخرين بكل صدق واخلاص.

تفكيك العقل التراثى
قراءة في كتاب ماجد الغرباوي
الفقيه والعقل التراثي

بقلم: الأستاذة حنان عقيل[1]

العديد من الموبقات تُرتكب تحت ستار الدين، بدءًا من موجة الإرهاب التى تضرب العالم وتتخذ من نصوص دينية ذريعة لجرائمها ومرورًا بقدسية تُضفى على شخصيّات تتحدث باسم الإله ووصولًا إلى التشبث بقراءات دينية تجافى الواقع ومتغيراته. لتلك الأسباب مجتمعة ولغيرها يصير البحث فى الفكر الدينى السائد وتفكيك مُسلماته حاجة يفرضها العصر.

عبر سلسلة من الكتابات جاءت بعنوان «متاهات الحقيقة»، عمد الباحث والكاتب الأسترالي من أصل العراقى ماجد الغرباوى إلى مساءلة تلك الأنساق الدينية الراسخة.

يوضح الغرباوى فى حديثه مع «الدستور» أنه عمد من خلال تلك السلسلة إلى «التوغل عميقًا فى بنية الوعى ومقولات العقل الجمعى، واستدعاء المهمّش والمستبعد من النصوص والروايات، وتكثيف النقد والمساءلة، وتفكيك المألوف، ورصد المتداول، واستنطاق دلالات الخطاب الدينى، بعد تجاوز مسلَّماته ويقينياته، والسعى إلى تقديم رؤية مغايرة لدور الإنسان فى الحياة، فى ضوء فهم مختلف للدين.

يأتى كتاب «الفقيه والعقل التراثى» الصادر حديثًا عن «مؤسسة المثقف العربى بأستراليا ودار أمل الجديدة» لتفكيك منطلقات العقل الفقهى القائمة على العديد من المغالطات، فى إطار سلسلة كتابات تهدف إلى نقد النسق العقدى المألوف

---

1 - كاتبة في صحيفة الدستور المصرية - القاهرة

وســـلطة القداســـة وغيرها الكثير من الموضـــوعات بدأت بكتاب «الهوية والفعل الحضارى» ثم «مواربات النص».

يقول الغرباوى لـ«الدستور»: السلسلة تنتمى إلى تراكم معرفى امتد لأربعين عامًا، ســبقته أســئلة أبت مغادرة الوعى تبحث عن أجوبة تعالج إشــكالية التخلف برؤية مغايرة تمارس النقد وتكف عن منطق التبرير، بعيدًا عن رهاب القداســـة ويقينيات العقل الدائرى.

جهود عدة فى الإصـــلاح والتجديد للفكر الدينى لم تؤتِ ثمارها فى ظل ســطوة العقل التراثى الذى جعل الدين دافعًا باتجاه العنف والإرهاب تارة والخرافة والســـحر تارة أخرى، وظل السؤال حول إمكانات النهوض من كبوة أبقت المسلمين فى كنف الماضى دون القدرة على مسايرة العصر وإشكالياته مستمرًا مع بقاء اتجاهات إسلامية قابعة فى سجون معرفية مرتهنة لسلطة التراث ومنطق العبودية.

ونظرًا لأن الخطوة الأولى لإصـــلاح تلك الحالة تبدأ من النقد الجذرى لمرجعيات التفكير الدينى، يسعى الكاتب فى هذا الكتاب إلى تفكيك العديد من المقولات التى اكتسبت قدسية على مدار عقود الممارسة الدينية ليشـدد عبر ذلك على أهمية بناء معرفة مؤسسة على الدليل والبرهان ومرجعية العقل، وهو ما يمكن من خلاله التغلب على التحديات التى تواجه الدين على صعيد حقوق الإنسان والتطور الحضارى.

يرى «الغرباوى» فى كتابه أن ربط الإرادة الإلهية بالمرجعية الدينية للفقيه من أبرز النقاط التى تحتاج إلى مراجعة جادة وجريئة، فالوعى الجمعى للمسلمين احتفظ بصورة مثالية للفقيه، جعلته فوق النقد والمســـاءلة باعتباره مصـــدرًا للمعرفة الدينية وأحكام الشريعة وموضع أسرارها، وأسهم الصراع السياسى فى ترسيخ علاقته بالسلطة وتعزيز خطاب رسمى عزز من الالتباس لدى قطاعات جماهيرية بين أحكام الشـريعة وأحكام الفقه التى هى اجتهادات ووجهات نظر وفهم للنصوص المقدسة.

ويشـــير الكاتب إلى أن «الفتوى تجل لوعى الفقيه وانحيازه اللاشـــعورى لقبلياته ومصـــالحه، ومن الخطأ وصــفها بالموضـــوعية والتجرد التام بل ولا علاقة لها بالتقوى ومراعاة القواعد العلمية والمنطقية دائمًا، لأن المعرفة البشـرية تخضـع لنظام اللغة، وآلية

اشتغالها داخل فضائه المعرفى، وفهم النص يتأثر بثقافته ومستوى وعيه ويقينياته، لذا يتعين تحرى بدايات وعيه ونقد مقولاته التى ترسبت لا شعوريًا ضمن أنساق مضمرة يصعب اكتشافها وتقويضها إلا بالنقد والتفكيك».

تسهم تلك النظرة النقدية لحدود دور الفقيه وعلاقته بالنص الدينى فى نزع القداسة التى تضفى على مقولات فقهية بالية هى بالأساس انعكاس لاستقبال الفقيه الخاص للنص الدين بما يتماهى مع بيئته الثقافية والاجتماعية، فقد يأتى العقل الفقهى ازدواجيًا فى معاييره، أو منغلقًا على نسقه العقدى بما ينتج فقهًا مُستلبًا يفرض قناعاته على النص الدينى، ومن هنا تأتى خطورة الانقياد الأعمى للأطروحات الفقهية وإضفاء القداسة عليها.

ويلفت الكاتب إلى أن «التباس القبلى بالفقهى والسياسى بالشرعى الذى كان الفقيه وراءه كان السبب الأساسى وراء تزوير الوعى الدينى وتكريس الاستبداد والعبودية والطاعة والانقياد، فالنظام الدينى للمسلمين مهما اختلفت صيغه هو حكم ثيوقراطى يكرس سُلطة الحاكم الأعلى ويُحرِّم الخروج عليه ويمنحه سلطات واسعة، وهو نظام ينسجم مع القيم القبلية ويتناغم مع وعى الفرد فى نظرته وتقديسه بشيخ العشيرة».

يُشدّد الكاتب على أهمية إعادة النظر فى الأحكام المتعلقة بقضايا المرأة والجهاد والقتال، وتحرى أسباب العنف وجذوره وكوامنه فى الفكر والفقه. فرغم أن الأحكام الشرعية لا تلغى ما دام مصدرها النص القرآنى، إلا أنه من الممكن ألا تكون فعلية بسبب عدم فعلية موضوعها فتسقط عن التكليف استنادًا لكون الأحكام الشرعية جاءت لتحقيق المصالح وليس المفاسد.

ويُبيّن الغرباوى أن «صدقية العقائد التى ظهرت بعد وفاة الرسول تتطلب معرفة ظروف نشأتها ومسارها التاريخى وفلسفتها والأجواء الثقافية والسياسية والدينية والفكرية المحيطة بها، فالعقائد والمفاهيم لم تأت من فراغ بل مهدت لها ضرورات مذهبية وسياسية»، وذلك بهدف نزع قدسية مقولات فقهية جاءت لتحقيق مكاسب وقتيّة لا يمكن أن تكون مطابقة لكل واقع.

وينطلق الكاتب من حديثه فى تلك المسألة من خلال نقطة ارتكاز مُحددة، إذ يشير إلى أن ثمة قاعدتين أصوليتين: الأولى حق الطاعة والثانية قُبح العقاب بلا بيان.

تعتقد القاعدة الأولى بشمول الشريعة لكل صغيرة وكبيرة وتسمح للفقيه بتشريع أحكام واسعة النطاق، وتنعدم فيها مساحة الحرية. أما القاعدة الثانية فهى: قبح العقاب بلا بيان، والتى تنطلق من قناعة بأن الحكم الشرعى الصادر عن الله يواكب حركة الإنسان والمجتمع ضمن دور الدين فى الحياة، وعليه لا يجوز تقديم الرواية على الآية.

وحسب رأى الكاتب، التعامل مع النص الدينى يخضع إما إلى منطق العبودية أو منطق الخلافة. ففى منطق العبودية، تأتى فتاوى الفقهاء مُتخمة بالتحريم والاحتياط الوجوبى بما يختزل دور الإنسان بالفتنة والاختبار ويقتصر فيه دور الفرد على تطبيق الأحكام الشرعية وسلبه حرية الحركة خارج ما هو مشرع منها، فى اتجاه يضع النص فوق العقل ولا يؤمن بأى فلسفة وراء الأحكام الشرعية.

فى مقابل منطق العبودية، هناك منطق الخلافة الذى يختلف فى رؤيته للإنسان والدين وأحكام الشريعة، فيعزز من مركزية الإنسان ودوره فى استخلاف الأرض، وتأتى الغاية من تشريع الأحكام وفق هذا الاتجاه لتحقيق مصالح الاجتماع البشرى وليس لقياس درجة طاعة الإنسان ومستوى عبوديته.

وانطلاقًا من تلك الرؤية، يشير الكاتب إلى أن معالجة «روح العبودية» سيحد من تضخم الفتاوى والأحكام، «فما جاء فى القرآن من تشريعات تكفى حاجة الإنسان ليواصل حياته اعتمادًا على عقله وقيمه ومبادئه الإنسانية التى تحفظ له كرامته وتحقق شروطه الحياتية، فهو فهم مختلف لا يسمح بتضخم الأحكام الشرعية، لكن الفقهاء لم يلتزموا به لأنه لا يحقق سلطتهم ومركزيتهم، فالأحكام الشرعية الزائدة عما هو مدون فى الكتاب الكريم مشكوك فى حجيتها وشرعيتها ما لم يكن لها جذر قرآنى، وعند الشك فالأصل حاكم وهو الأحكام الشرعية القرآنية».

وفى إطار نقده الأحكام المطلقة التى ترسخها فتاوى دينية بالية، يتحدث الكاتب عن كثير من نقاط الالتباس المتعلقة بالسنة النبوية ليشدد على أن الشرط فى

حجية الســـنة هو وجود جذر قرآنى للحكم النبوية، وهو ما يفترض توظيف مناهج حديثة فى دراسـة حيثيات الحكم الشـرعى قرآنيًا وتفكيك المنهج النبوى فى التفصـيل والبيان لمعرفة خلفياته ودوافعه والكشف عن بشريته.

ورغم أن «علم الجرح والتعديل» فى السنة جاء لتدارك الضعف فى فرز الأحاديث وتمييزها، فإن الكاتب يرى أنه كرّس الاسـتبداد السـياسـى والدينى وتمت صـياغته بما يخدم الفرق الدينية المتصــــارعة، ومن ثم جرى أدلجته بما يوافق رؤية الفقيه وأهدافه السياسـية، ولكن فى الآن ذاته ثمة حاجة لدراسـة الأحكام النبوية ذات الجذر القرآنى ومعرفة دوافعها وضروراتها.

ويوضـح: «ثمة ضـرورات موضـوعية لتجديد مناهج علوم الحديث تفرضـها نظرة مغايرة للدين تحد من إطلاقات الأحكام عندما ترتهن فعلية الحكم بفعلية موضــوعه، وهذه الضــــرورات هى عدم الاعتناء بحديث يخالف العقل والمنطق والقوانين الكونية والقيم الإنسـانية أو يُكرّس الظلم والاسـتبداد والاسـتهانة بالإنسـان وعقله ووعيه أو يؤسس لمذاهب تنأى عن هدف الدين».

ويشـدد «الغرباوى» على أن علوم الحديث «لا يمكن التعويل عليها مطلقًا»، لا سيّما بعد أن اختلف المسلمون حول القيم العلمية لأحاديث الصحاح وحول عدالة أو وثاقة عدد كبير من الرواة وشـــروط التحديث، فضـــلًا عن تسـقيط بعض الرواة لأســـباب طائفية، «فحينما تتحكم منطلقات الفقيه الأصـــولية والفقهية بهذا العلم وتتأثر بخلفيته العقيدية فلا يمكن الاعتماد عليه فى جميع الأحوال، مما يبعث الريبة فى قيمته المعرفية».

الحفر الاركيولوجي في بنية العقل العربي
قراءة في نص لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة سامية البحري[1]

جاء في الخطاب الفكري للباحث الاستاذ ماجد الغرباوي أنه:

(لا أحد فوق الخطأ مهما كان مستوى كماله، وليس الناس ملائكة وشياطين لولا التعصب الديني، وتبقى معرفة الحقيقة رهن قدرتك على التجرّد والنقد بموضوعية)[2].

وهو ما يجعلنا نتوقف عند استخلاص نظرية دقيقة وحقيقة علمية ثابتة مفادها أن: (لا أحد فوق الخطأ)..

لا أحد فوق الخطأ

نظرية علمية أقرها الله في دستوره العظيم، إذ خلق الإنسان كائنا ناقصا لا يرتقي إلى الكمال باعتبار أنه تفرد هو بهذه الصفة

إذن الخطيئة ليست بالمحرمة وهي مسموح بها باعتبارها هي المقياس لعملين من إنجاز الذات الإلهية وهما الثواب والعقاب

وقد سعى المفكر والباحث الاستاذ ماجد الغرباوي إلى بلورة هذه النظرية ضمن معطيات ثلاث:

---

1 – كاتبة وناقدة – تونس

2 – نشره على جدار صفحته بالفيسبوك يوم 2023/7/13م.

1- المعطى الأول: حقيقة الوجود

"لا أحد فوق الخطأ مهما كان مستوى كماله "

يعني الكل مخلوق

الكل يخطئ

الكل غير منزه عن الخطأ

(مهما كان مستوى كماله)

هنا موطن الجدال لأننا نعتقد أن لا أحد وصل أو يصل أو سيصل إلى الكمال. فالكمال في هذا الموطن محال.. وبالتالي يمكن القول (مهما اعتقد انه كامل).

واعتقاد الكمال موجود في بعض النماذج كرجال الدين أو رجال السياسة.. وأصحاب الجاه والسلطان. هؤلاء اعتقدوا عبر أحقاب تاريخية انهم بالغون الكمال. ولعل أبرز مقولة تؤرخ لهذا المعتقد الواهي قول معاوية بن أبي سفيان حين اعتلاء العرش:

(أنا ظل الله في الأرض ومن خالفني فقد خالف إرادة الله)

تلك المقولة التي شرعت لتوظيف الدين في السياسة إلى يوم الناس هذا. ومنها انطلقت المعضلة الكبرى .

وهذه مسألة جدالية وخلافية كبيرة لا يتسع لها المقام

2- المعطى الثاني: تأكيد أنسنة الإنسان

(وليس الناس ملائكة وشياطين لولا التعصب الديني)

إننا نقر بدقة هذا المعطى وضبطه بطريقة محكمة وموضوعية، فالإنسان هو الدرجة الوسطى بين الملائكة والشياطين. لكن في ظل التعصب الديني يمكن أن يتحول هذا الكائن من إنسان إلى شيطان أو أن يدعي انه ملاك ..

وهنا نقر بقيمة عملية الخلق والتكوين التي هي عملية مازالت تربك العقل البشري وتدفعه إلى البحث والتنقيب. ونحن مع كل ما يشعل نار السؤال في العقل ليكون حرا وولودا ولا يكون عبدا عقيما أو خصيا بفعل تلك الرقابة التي تمارس عليه بمنطق المحرم أو الحلال والحرام وغيرها

ولنتأمل عملية الخلق وابعادها

- الملائكة خلقت من نور
- الشيطان من نار
- الإنسان من طين

وهي كلها مكونات هذا الوجود عندما نضيف إليها الأرض، التي تتركب من تراب وماء نفهم قيمة هذه المعادلة الفيزيائية الرهيبة التي قامت عليها عملية الخلق

وندرك هذا الإعجاز العلمي العظيم الذي يتفرد به الله الخالق الأعظم والفيزيائي المبهر..

فإذا حاد مخلوق عن مادة خلقه اختل توازن الكون، واذن فالتعصب الديني يؤدي إلى اختلال الكون إذن يؤدي إلى اختراق هذا الإعجاز العلمي الإلهي العظيم. وهنا نلفت الانتباه إلى مدى خطورة هذا التعصب الديني الذي يؤدي إلى شيطنة الإنسان وبالتالي تدمير الأرض بالتقاتل وسفك الدماء والتخريب والفسوق الأعظم..

3- المعطى الثالث: قيمة العقل ودوره في الوصول إلى اليقين المعرفي

(وتبقى معرفة الحقيقة رهن قدرتك على التجرّد والنقد بموضوعية)

وهنا ندرك لماذا كرم الله الإنسان دون سواه بالعقل. فهذا التكريم العظيم وراءه مقاصد عظيمة. فلابد إذن من تحرير العقل العربي المعاصر وإطلاق سراحه ليصل إلى الحقيقة والحقيقة هنا بمعنى اليقين. ونقصد بتحرير العقل النأي به عن الخرافات والاوهام والأحكام السفسطائية المسقطة ..

إنه لا مجال للتحرر وتحقيق إنسانية الإنسان إلا في ظل تحرير العقل العربي...

إن استنطاق الخطاب والتحاور معه بآليات فكرية وعلمية وأدوات معقلنة بعيدا عن كل ادلجة أو انتماء يضفي بالضرورة إلى مواطن الحق واليقين.. في سبيل مقاصد إنسانية ومبادئ كونية شاملة إيمانا منا بوحدانية الله وتفرده بخصائص الكمال والاكتمال وإنسانية الإنسان بقطع النظر عن لونه أو جنسه أو معتقده فهي أشياء لا تؤسس وجوده بل تكمله. لذلك خلق الله هذا الكوكب العظيم الذي هو الأرض وجهزه بأسباب العيش وأرسل له هذا الإنسان الذي اصطفاه لهذه المهمة لمقاصد متعددة.

ومن هنا انطلقت رحلة البحث التي يقودها العقل. لذلك لابد من النضال الفكري المستمر في سبيل تحرير هذا العقل من ثقافة التسليم والتشبث بالمسلمات والخوف من الحقيقة حتى تتحقق المقاصد الحقيقية من مبدأ الاستخلاف...

لقد استطاع المفكر والباحث العراقي العربي ماجد الغرباوي أن يضع اللبنات الأساسية لتحرير العقل العربي المعاصر الذي مازال يتأرجح بين الخرافة والتعصب الديني المقيت الذي يضر بالدين في ذاته ويساهم في اغتيال إنسانية الإنسان وتدمير المهمة الأساسية التي جاء من أجلها إلى هذه الأرض.

وهي التعمير وفق آليات ضبطها النص الديني ودعا العقل إلى التنقيب عنها بعيدا عن التطاحن والبغضاء والضغينة والفتن والكراهية..

كتب الغرباوي
تدخل دائرة المحظور من باب النقاش
تساؤلات عن الضد النوعي للاستبداد

بقلم: الأستاذ زيد الحلي[1]

الكتب الثلاثة هي للباحث العراقي، المغترب منذ عقود عن الوطن الذي يحب ماجد الغرباوي وقد وصلتني، واسجل هنا شكري لصاحب هدية العيد.. الكتاب الأول، وهو المثير للجدل، والحاضن لأفكار لم يسلط عليها الضوء احد كونها أفكارا من العيار الثقيل، التي يخشـــي الخوض في تلابيبها الكثرة الكاثرة من كتاب الفكرة الجاهزة والمطروقة يحمل عنوان (التســـامح ومنابع اللاتســـامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات) وأظنني سأجد من يتصدي له من خلال قراءة موضوعية، للجدلية التي تقول ان ثلاث لا يؤمن شـــرها : الريح اذا هبت والنار اذا شـــبت والفتنة اذا دبت... وهذا الكتاب يســـبر غور تلك الشـــرور محاولا، مد طوق النجاة للمجتمع، واري ان الكاتب وصل الي هدفه

---

1 – كاتب وصحفي عراقي

مفهوم جديد للتسامح

يطرح الكتاب[1] مفهوماً جديداً للتســامح، يقوم علي أســاس الإعتراف بالآخر، إعترافاً حقيقياً، والإعتراف بحقه في العقيدة والدين والمذهب، علي أســـاس وحدة الحقيقة وتعدد الطرق إليها، وان الطرق إلي الله بعدد أنفاس الخلائق.

ويبين هذا الكتاب، وانت تســتخلص رحيقه، ان الحياة اقوي من اي شــئ وكل شــئ، انها تطوينا وتجذبنا وتخدعنا، فاذا نحن عبيد لشــهواتها ومطامعنا وآمالها وآلامها وأحقادها، نعرف انها وهم، فننفث فيها الحقيقة ونعرف انها خدعة، فنخدع أنفسنا.. وهذا هو الانســان يســير في التيه، لكنه بعظمته يجعل منه طرق ومســالك ووســائل وغايات.. يعيش في الفقر، غير انه يبني فيعمر ويخطط ويملؤه بالحركة والنشــاط، حتي لكانه موكل، بالفضـاء يذرعه وبالموت يحييه.. يعبش في الصـحراء ن فينقب لا يكف ولا يتوقف ولا ييأس... يعاني الحر والبرد والجوع والعطش، ولكن قوة عليا تهبه الصبر والعناء.. توحي اليه ان ينشــر الخير حيث يوجد الشــر والرحمة حيث تعيش القســوة والسماحة حيث يفؤخ الحقد وينتشر...

والي جانب ما ذكرت، ناقش الكتاب المفهوم السائد عن التسامح، وهو مفهوم يستبطن المنّة والتفضل والتكَرم علي الآخر، بمعني أنني علي حق مطلق وأنما أتسـامح مع الآخر المختلف دينياً تفضــــلاً ومنة من أجل أن نعيش بســــلام.. وهذا المفهوم يســـلب الآخر أي علاقة بالحقيقة، وينفي أن تكون طرقه تؤدي إلي الحقيقة، ولو كانت بنسبة محتملة، لهذا يسمح لنفسه بإضطهاده وإقصائه متي شاء، لكنه يتسامح معه منة وتكرماً من أجل العيش المشــترك ومن أجل توفير قدر من الأمن والســلام. فهو يحتكر الحقيقة ويحتكر الطريق إليها، بينما ينفي عن الآخر ذلك.

---

1 – الغرباوي، ماجد، تحديات العنف، الحضــارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2008م.

لكن هذا المفهوم قد أثبت فشـلة في أول إحتكاك بين الطوائف والأديان، ومثاله العراق، الذي كاد أن يقع في فخ الحرب الأهلية، والطائفية، وإنكشـف أن التسـامح بينهم تسامح غير حقيقي، وأن الفجوات هائلة بين الطوائف والأديان.

والأمر لا يختص بدين دون غيره أو بلد دون آخر، وإنما هي نظرة سائدة، يتعامل فيها كل إنسان مع الآخر المختلف دينياً.

والكتاب الذي استهوتني فكرته، يؤسـس لمفهوم جديد للتسـامح، يجعل الآخر شـريك لكَ في الوصـول إلي الحقيقة، ولو بنسـبة ما، وحينئذ لا يحق لأحد إحتكار الحقيقة ونفي الآخر عنها، ولا يحق لأحد الإسـتحواذ علي الطرق إليها ونفيها عن الآخر. وهذا المفهوم هو ما نحتاجه حالياً، كي تعيش الشعوب حالة الإستقرار والأمن والإطمئنان.

من هنا يتضح أهيمة الكتاب بالنسبة للجاليات الإسلامية والعربية، التي تعيش بمجتمعات مغايره مثل إستراليا، فلابد لهم النظر إلي الآخر المختلف دينياً وقومياً نظرة إيجابية علي أسـاس إنسـاني، لا علي أسـاس ديني أو طائفي أو قومي، كي يحصـل الإندماج الحقيقي بالمجتمع.

ثم راح الكتاب يبحث عن الأسباب التي تجعل الفرد يشعر شعوراً فوقياً، يحتكر علي أساسه الحقيقة، وطرق الوصول إليها، والأسباب التي تجعله ينبذ الآخر، وينظر له نظرة مختلفة. من هنا ناقش الكتاب بعض المفاهيم الدينية التي تؤسـس لهذا اللون من الفهم، وفند الحجج التي تقوم عليها، ليقدم رؤية جديدة.

فناقش الكتاب بجرأة قد نختلف معه حولها لحسـاسـيتها، لكن المؤلف سـاق لنا الكثير من الشواهد للدلالة علي حقيقة ما توصل اليه....مثلا:

مفهوم المرتد كما يطرحه الفقه الآسلامي، وأثبت خطأ الأحكام الصادرة، المراد بالمرتد، هو المسـلم الذي يعتنق ديناً آخر، حيث يحكم الفقهاء علي المرتد بالقتل، بينما أثبت الكتاب بالأدلة الكاملة، خطأ هذا الحكم، وأن الاسـلام يقول بحرية العقيدة، وليس هناك حكماً بالقتل مطلقاً.

كما ناقش أيضـاً مسـالة اللحوم الحلال، وتوجس المسـلمين من أكل لحوم غير المسلمين.

ومفوم المشـــرك، ومفهوم أهل الكتاب، من غير المســـلمين، وما هو الموقف الإســـلامي منهم، معترضـــاً علي كل الأحكام التي يطلقها رجال الدين، ويقدم رأياً جديداً بأدلة كاملة من نفس الدين الحنيف. والتطرف الديني، ودور رجل الدين في ثقافة عدم التسامح.

وهذ الكتاب، اجد من الضـرورة ان يترجم الي اللغة الانكليزية لتطلع عليه الجالية المسلمة المنتشرة في دول العالم لسببين أساسيين :

الأول : إن أبناء الجالية لا يفهمون اللغة العربية بشـكل جيد، وبحاجه إلي كتاب باللغة الإنكليزية، سيما بالنسبة للكتب التنويرية

ثانياً: إعطاء صـورة أُخري للإسـلام تخفف من نظرة المتطرفين غير المسـلمين إلي الإسـلام والمسـلمين، وهو ما يحتاجه المجتمع الأُسـترالي الذي يؤكد عليه الكاتب كثيراُ من تجربته الخاصـــة والملاحظ ان الكتاب أخذ بنظر الإعتبار أهمية هذه الأفكار إلي الجاليات العربية والإسلامية

تحديات العنف

والكتاب الثاني[1]، الذي اخذ مني يوماً كاملاً لقراءته، ويوماً اخر للتأمل كان عن الشغل الشاغل لعالم اليوم وهو، ظاهرة العنف والارهاب، حيث اني أري ان المجتمعات الصـادقة الابية التي تكره الباطل وتجهر بالحق، لا تسـتطيع ان تتنفس الا في جو من الحرية.. فغذاء الصـدق هو الحرية، وحيث لا حرية، ينعدم الصـدق وينتشـر النفاق في المجتمعات، وذلك هو اهم اهداف تلك الظاهرة .. وهذا الكتاب.

---

1 – الغرباوي، ماجد، تحديات العنف، الحضـــارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2009م.

يدرس الكتاب ظاهرة العنف، والإرهاب التي ضـــربت كل بقاع العالم، يدرس أسبابها، نتائجها، تداعياتها. بكل تفاصيلها.

وهو يبدأبمقدمة تاريخية، يشــرح فيها الباحث الاســتاذ الغرباوي تاريخ العنف، وحجم الويلات التي أصابت البشرية بسببهِ.

ثم ينتقل لدراسة فلسفتة، وسايكيولوجية العنف، ونفسية رجل الإرهاب، ودوافعه النفسية في إرتكاب الجريمة.

وخصـص الكتاب فصـلا كاملاً لبيان تحديات العنف، وتداعياته الخطيرة، سيما علي الجاليات الإســلامية والعربية التي تعيش في مجتمعات غير مجتمعاتها. وبين كيف يهدد العنف الأمن والإستقرار الدوليين.

كما دَرَسَ المؤلف أشــكال العنف، بما فيها عنف الفرد، وعنف الدولة، والعنف الأُسري، وغيرها من أشكال العنف.

ثم توقف طويلاً بفصـلين عند الحركات الاسـلامية والدينية المتطرفة، فدَرَسَ الأدلة التي يســتدل بها الإرهابي علي جواز قيامه بعملية إرهابية، يروح ضـحيتها عدداً كبيراً من الأفراد الأبرياء والأطفال والنســاء، وكيف يعتقد الإرهابي خطأ أنه سـيدخل الجنة بأعمالهِ الإرهابية.

والفصول الأخيرة هي من أخطر وأصعب الفصول في الكتاب، لأن أدلة الإرهابي وأدلة الحركات الإسـلامية المتطرفة قائمة علي أسـاس ديني، تسـتمد رؤيتها من آيات القرآن الكريم، والسـيرة النبوية. ولا بد من مناقشـة هذه الأدلة بنفس الآيات القرآنية، وتقديم رؤية جديدة.

وبالفعل عندما نراجع القرآن سنجد كثيراً من الآيات التي تحث علي قتال الكفار والمشـركين وأهل الكتاب، ومن السـهولة لأي إنسـان أن يتسـمك بها، لإقتراف عمل إرهابي.

لكن الكتاب فند كل الأدلة التي يســتدل بها علي الإرهاب، وقدم قراءة وفهماً جـديـداً لآيات القرآن والأحـاديـث النبويـة. وثبـت بالأدلـة، أن تلـك الآيات

جاءت،بخصــوص مجموعة من الناس ممن حاربوا الرســول الكريم وأصــحابه في ذلك الوقت ولا يجوز العمل بهذه الآيات في وقتنا الحاضر، لأنها لا تنطبق عليه..

وإعتمد الكتاب أدلة مختلفة لتفنيد أدلة الخصــم، وتفنيد رأيه في مســألة العنف والأعمال الارهابية، وقدم فهما آخر للدين والنص الديني.

كما حذر من دور رجل الدين والفتوي في هذا المســالة، وأثبت أن رأي الدين هو رأي بشري، وأن الفتوي رأي بشري، وليسَ هناكَ مقدس، وإنما كل شيء خاضع للنقد والمراجعة. ولا يمكن الإنصــياع إلي الفتوي ورجل الدين من غير تعقل وفهم صحيح، فالإسلام والقرآن واضحان، ونحن لسنا بحاجه إلي رجل الدين في كل شيء، وإنما في بعض المسائل المحدودة.

ومثلما قلنا عن الكتاب الاول، فهذ الكتاب الذي نحن بصدده تحتاجه الجاليات العربية والاسلامية في دول المهجر، مثل استراليا التي يؤكد عليها المؤلف.

الضد النوعي للإستبداد.. إستفهامات حول جدوي المشروع السياسي الديني

والكتاب الاخير، الذي قضـيت ايام العيد في ضـيافته هو للمؤلف نفســه، كان بعنوان (الضــد النوعي للأســتبداد... اســتفهامات حول جدوي المشــروع الســياســي الديني)[1] ناقش فيه الباحث ماجد الغرباوي في قسمه الاول جدوي المشاريع السياسية الدينية ؟ بعد أن اســتعرض تجربة الحكومات الدينية، وما رافقتها من إخفاقات مريرة، أثرت ســلباً علي رفاهية شــعوبها. ثم يطرح المجتمع المدني كصــيغة بديلة، تحفظ حقوق أفراد الشعب من خلال الممارسات الديمقراطية، ومؤسسات المجتمع المدني. وقد ساقَ كثيراً من الأدلة لإثبات ذلك.

---

1 – الغرباوي، ماجد، الضــد النوعي للاستبداد.. حول جدوى المشــروع الســياســي الديني، مؤســســة المثقف، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2010م.

أما القسم الثاني من الكتاب فخصصه الكاتب الغرباوي للتعددية الدينية، وكيفية المساهمة في إرساء أُسس التعددية، وفقاً لآراء المفكرين والفلاسفة، لكن بإسلوب ثقافي يصلح للفهم من قبل عامة الناس.

والقسم الثالث خصَصَ لدراسة المشروع الإصلاحي. وبيان الخطوات المهمة لنقد المفاهيم السائدة وتقديم مفاهيم جديدة تتلاءم مع متطلبات العصر والزمان وتستمد جذورها من التراث والمعاصرة معا، بما يحفظ توازن الفرد رغم أنه يعيش داخل مجتمعات مختلفة.

والكتاب نقدي، موغل بالنقد، يستفز السائد والمتعارف والمألوف من أجل التوفر(الحصول) علي إجابات تتناسب معَ حاجاتنا راهناً....

لقد خلصت من قراءاتي لهذه الكتب، ذات الإبعاد الفكرية غير المطروقة، الي ان المرونة في الفكر، باب يؤدي الي التفاهم والتسامح والتعاطف بين الناس.. اما المرونة في الضمير فباب يؤدي الي الخبث واللؤم ومنها الي كل رذيلة..

شكراً لمن جعلني اقضي ايام العيد في المفيد من الكلم.. وصح القول ان دمعة الحزن ودمعة الفرح، كلتاهما من مصب واحد... ومع هذه الكتب عشت لأري دمعة الحزن المتأتية من خواء بعض الناس وعشت دمعة الفرح المتأتية من التاريخ وشتان بين (البعض) وبين (التاريخ)

ويا رب اعطني ظلمة العين ولا تعطني ظلمة... القلب!!

ومضات ضوء
على كتاب إخفاقات الوعي الديني

بقلم: الأستاذ علاء هاشم الحكيم[1]

إن النزعات التأويلية في تجريد المفردات النصية المقدسة، عمقت أخاديد ذهنية، وراهنت على طوفانها، بمتواليات هندســية معقدة، توحي لنا بمعارف بديلة في حلية جليلة من عوالم منطق القداسة ومقاصده الأصيلة. ومن زخم تلكم المعطيات الفلسفية الميتافيزقية، وتشعب مستويات التأويل والفهم، غارت العقول الأسـلامية في أدغال الأحاديث لتقويم ونجدة مدركاتها الذهنية، وتعاطت معها بذات القدســية النصــية، وبالأخص إذا ما تحررت أنساقها بمضامين تصب في تيارات مرمى تأويلاتها الفلسفية، وما يخرج عنها تجتهد في تأويله تعسفياً.

من هنا أنطلقت ماكنة الأحتكار الفقهي بمدارسه المختلفة لتُفرِغَها في ساحات مريديها. وقد دأب على هذا المنهج التأويلي للنصوص المقدسة كُلٍ من فيلون وجيروم وأغســطينوس، وهؤلاء حســب إعتقادي هم الذين أحيوا منطق التأويل للنصــوص المقدســة، كسـفينة إنقاذ عقلية، تصـلح لحمل كل أزواج النفوس المهتدية بمنهجها، وبهذا المنهج التعسفي إهتدت اليه بعض الفرق الغنوصية لحل المتناقضات الفلسفية، فرفضوا فكرة الأله العادل وأستبدلوه بالحكمة الألهية، فمن منهج الأسبيتين التعسفي نشأت فكرة الفيض أو الواسطة، أو أن الخالق لايخلق بذاته بل (بالفيض الفعال) . وكـل هـذا وفق رأي أوليري. هو محـاولـة فيلون لقراءة معنى إفلاطوني في العقيـدة اليهودية. وعليه سارت العقول الفقهائية على مر العصور من حيث تعلم أو لاتعلم .

1 – كاتب عراقي مقيم في السويد

من نبع لقاح أزواج العقول ـــ العقل في المقدس، وعقل النقل في الأخبار ـــ في مركب التأويل التعسفي ـــ وبعد أن أفضى كل زوجٍ بعضه الى بعض ـــ تفجرت قدحات تأويل حروف القداسة في أنابيب الحديث النبوي ، لتلد في كل رحم عصرٍ وليدها بمعونة أخصائي فيض الخالق الأبدي.

فبين رحى فتاوي وتأويلات الأرباب لكل عصـر، طُحِنت الأختلافات وخبزت بدماء معايير العدل وصدق الوحي، حتى تهرأت جدر الأيمان ودب الشك في قلوب المؤمنين، فضـاع رب الكل وانتحر كل نبي. فلا خبر جاء ولاوحي نزل . فعدنا الى الوراء الى حضارة الغاب، وحب الذات .

في حوار بين أوغسطينوس وجيروم: يسأل أغوسطيونس جيروم: ما إذا كانت الحقيقة مخلوقة أم مولودة؟ فرد جيروم على إنها مخلوقة. فقال أوغسطينوس: فلماذا إذن يُعَمِّدها الرهبان؟[1].

بعيدا عن المجردات، فالحقائق هي أفعال من صنع أفكارنا نُعمِّدُها بما يرضينا، فنحن البناؤون، ونحن من يصنع الأشياء ويبني في مخياله صور معانيها وقد يتعسف أحياناً كثيرة في تأويل ما يؤمن به ويخدع به نفسه، لتلد له بثوب المفاهيم التي يطمح الوصول اليها، فيظن أن الله صيرها خلقا لنعبدها ونفديها.

مضمون الحوار في كتاب الغرباوي

كتاب إخفاقات الوعي الديني[2] عبارة عن تساؤلات بما تستدعيه إفرازات الواقع المتخلف الملتهب بسلوكيات إجرامية يراد لها أن تظهر انعكاسا للتراث الفقهي المبني على أحاديث وسنن نبوية، تتداخل معانيها بشكل أو بأخر مع صراحة الكثير من الآيات القرآنية، المراد لها أن تُفهم، كأيات سيف معتدية .

---

1 - الفكر العربي ومكانه في التاريخ. ص ٣٠ ، ٣١ .

2 - إخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكوص الحاضري، حوار سلام البهية السماوي مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا والعاف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2016م.

يحاول الكاتب الغرباوي، أن يرسم الخط البياني لأسباب التخلف الحضاري والبناء الأنساني للمسلمين في جغرافيتهم العربية، للوصول الى مصل مفهومي يرقى الى سبل الشفاء من سرطانات نهشت بأوردة دماء العقول البشرية العربية الأسلامية بالأخص.

فمن بين أدخنة المفاهيم وثقافة الفقهاء المبنية في الإجتهاد على معايير القياس بشهادة القال والقيل كأساس. ولدت الخرافات وعنف الأحكام بما يكفي لتشويه رسالة السماء وخنق الأنفاس. زد عليها أتربة طائرات الأغاثة الجوية المشحونة بثقافة البحوث العلمية العربية والاسلامية الصبغة لأحياء وبث حرارة روح النهضة الفكرية والعلمية الأسلامية في عروق الدول الأوربية المتجمدة عقلياً.

لذا أصبح من الضرورة بمكان، فتح ابواب الحوار الجريء حول جذور ثقافة الحضارة العربية والأسلامية وحقيقتها بالنوع والكيف ومقدار صدق الأثر، لشد حزام الأمان ولضمان الهبوط على أرض صلبة بسلام قبل أن تطين السماء أرضنا ليبتلعنا مثلث زلازل الأمطار في أرض حضارة الأدغال.

يصادق على آراء وردود المفكر الغرباوي في المجمل العام، صور إرث حاضر المسلم العربي والعراقي بالأخص بكلا جناحيه العلمي والتربوي الخلقي الأنساني. (لاندخل في حساباتنا المنطقية بلدان عربية إسلامية انقلبت حضارتها بقدرة قادر من الهوش الى الماكنتوش) ـــ فالتخلف حاصل في البناء التربوي الإنساني الذي نتج عن تعاظم التهابات الزوائد الدودية من جراء إفرازات المأكولات التاريخية النتنة، لتحل كممارسات في سلوكيات وفقه بعض الفرق الإسلامية. بل وتتجاوز بعض الطوائف المتأسلمة بفقهها الى شرعنة تصعيد ضغط الدم لتتفجر أجساد طائفتها بصكوك فتاويها الفقهية على مخالفيها مذهبيًا ودينيا. لم يكن هذا الحاصل هو لغياب كتاب (اميل) لجان جاك روسو عراقي أو عربي إسلامي فقط، وإنما لغياب حرية النقد والتفكير وإعمال العقل وإستقلاله، خارج فلك مرجعيات فقه صحاح التربية والتعليم .

من لهيب هذه النيران الاجتماعية الإسلامية، يخرج علينا السائل سلام السماوي من جعبته أسـئلة فكرية، وبماراثون الحوار وقدحات زناده الفكري، يحاول المفكر الغرباوي ان يحرق شـيئا من شـحوم الأحباط النفسـي، والتخلف الحضـاري، وما تمخض عنه من صراع مرير جوّال، يزداد عليه كل يوم حجم الأقبال.

أهمية الكتاب بمضمونه العام

يعد الكتاب، محاولة هامة وجادة، لاقتلاع الخلايا المدمنة على فقه السـياسـة والتقليد الأعمى، من سلطة الوارثين عنوةً للحاضر والمستقبل ـ الى دين الأنسان المتعقل الحر، بما أمرت كتب الله المقدسة ورسله على مر الزمان.

نلخص بعض ردود الغرباوي (وبتصرف مني بالسؤال والجواب) في إطار المعقول في هذا المقال. فمن اسئلة المحاور السماوي قال:

هل اختلف المسلمون في تشخيص اسباب الهوة الحاصلة بين الحضارة الغربية والإسلامية، كما وما هي مردوداتها السلبية، وسبل العلاج للنهوض منها؟

يجيب الغرباوي: بالإيجاب عن وقوع الاختلاف في التشخيص، ثم بشيء من التفصيل والتحليل، تناول مسألة الإنبهار بحضارة الغرب والشعور بالدونية وتبعية الذات. كما وشجب ثقافة الداعين الى الإندماج التام حد الانسحاق وعده بالأمر الخطير: لما له من تداعيات سلوكية ونفسية، تؤدي بدورها الى حالات انفصام إجتماعية وثقافية.

ثم يواصل الغرباوي التوضيح والتحليل بقوله:

إن المشكلة الثقافية أعمق من تبني قيم الآخر، وتداعياتها أخطر على السلوك والمشاعر، وهذا السلوك لايساعد على تجاوز عتبة التخلف، أو بناء حضارة تمثل قيمهم وهويتهم.

في هذا الكتاب تجد الكثير من الأسئلة الرائعة والأجوبة الماتعة، والتي تعد إنفلاتا من عتمة القيود، الى مسارات الحرية الفكرية ولكن لايعني هذا أن كل الردود نتفق

معها بالتفاصيل فلربما عندي أو عند غيري لاتصح أومنها ما نتوقف عندها لنقصان الأستشهاد بالدليل، لكن الأمر في التعريف عن الكتاب لا يستوجب النقد أو تصيد الأخطاء أكثر ما يدعو للتفكر والبحث والحوار مع الباحث الجميل. لذا اكفتي بما قدمته كي لا افسد متعة قراءة الكتاب بالأكثار من أمثلة ضروب الحوار. كما وأثني على مقدمة السماوي الأدبية الجميلة وثقافته الرصينة، وبالمثل على للبروفيسور الصائغ، والدكتور صالح الرزوق.

قراءة في كتاب إشكاليات التجديد
لماجد الغرباوي

بقلم: د. بثينة بوقرة[1]

منذ سـقوط بغداد على يد المغول حتى اليوم، والثقافة العربية في سـبات أهل الكهف تجاوزها ركب التأثير في الثقافة العالمية منذ عهد طويل، حتى أنها لم تعد تمثل في أعين العالم سوى محطة استهلاكية لنتاج الآخرين وعبئا يعيق التقدم الكوني، لذلك تم وصفها بالتخلف ونسبتها إلى العالم الثالث.

وأمام هذا الوضع الثقافي الموروث الجامد، بدا من الضروري التخلص من براثن السـلبية والبحث عن التجديد. ويجب النظر إلى هذا التجديد على أنه إلزام لا ترف وأنه حاجة ضـرورية لا غنى عنها لضـخ دماء جديدة في شـرايين الثقافة العربية حتى تصـحو من غفوتها الطويلة وتصـبح فاعلة ومؤثرة وسـباقة في خلق ونحت الثقافة العالمية. فالتجديد ضرورة يفرضها الواقع التحقيق مستقبل أفضل لنا ولشعوبنا المقهورة بالظلم والاستبداد ومصادرة الحريات.

وفي هذا الإطار، كتب الأسـتاذ ماجد الغرباوي كتاب بعنوان "إشـكاليات التجديد" حلل فيه بعمق وضعية المثقف في واقع يتسم بالاستبداد الذي يشكل أهم التحديات التي تواجه المسار التجددي في الثقافة الإسلامية.

وفي ضـوء هذا الكتاب سـأحاول تلخيص القضـايا التي طرحها الأسـتاذ ماجد الغرباوي في أربعة نقاط مهمة وهي كالآتي: تحديد مفهوم المثقف، ثم ضبط الأدوات الثقافية، ثم تحليل الواقع الموجود وأخيرا رسم ملامح الواقع المنشود.

---

1 – دكتوراه قانون، قاضية – تونس

النقطة الأولى تتعلق بالتساؤل حول تحديد مفهوم المثقف، وهو أمر ليس هينا لكثرة التعريفات وتعددها، وعدم وجود تعريف واحد ودقيق للمثقف، لذلك جنح الأستاذ الغرباوي عن تعريفه لضبط معاييره المتمثلة في ثلاث نقاط وهي اكتساب المعرفة الضرورية والتمتع بالوعي الكافي والتسلح بجرأة الموقف.

وبناء على هذه المعايير، يمكن التمييز بين المثقف وغير المثقف أو إن صح التعبير "أشباه مثقف"، وهناك عدة تصنيفات، بالنسبة للتصنيف الأول بالاعتماد على معيار علاقة المثقف العربي بالثقافات المختلفة، نميز بين المثقف المنبهر بالثقافة الغربية لدرجة التنكر لمنبته العربي الإسلامي، وبعبارة أخرى، هي حالة انصهار وذوبان في الثقافة الغربية دون مراعاة لخصوصية هوية المجتمع الإسلامي. يقابل هذا الصنف صنف آخر يشبهه في تطرفه وهو المثقف أحادي الثقافة والمنغلق على خصوصيته رافضا لكل ما هو مغاير وجديد ومفضلا الجمود الثقافي على الدخول في التنافس المثمر مع الثقافات الأخرى. فكلا هذين الصنفين لا يقدمان إضافة للثقافة العربية وإنما يسعيان إلى ترسيخ الركود الثقافي، على خلافهما يوجد صنف معتدل وهو المثقف الذي يحافظ على الثقافة العربية لدرجة حماية خصوصيتها وينفتح في نفس الوقت على الحضارات المختلفة للإثراء والتقدم والانفتاح.

أما بالنسبة للتصنيف الثاني بالاعتماد على معيار الجهة التي يمثلها المثقف، نميز بين المثقف النخبوي المنعزل في قصره العاجي الذي لا يمثل إلا الفئة النخبوية ولا علاقة له بمشاكل العامة، كذلك نجد صنف مثقف السلطة الحاكمة بمعنى الذي يبرر ويشرعن أعمال الحاكم، فهذان الصنفان مضران للمجتمع العربي الإسلامي ولا يتميزان بالأمانة والجرأة الكافية للتعبير عن مشاكل المجتمع، وهي سمات يتمتع بها مثقف الشعب أو ما اصطلح الأستاذ ماجد الغرباوي على تسميته ب"المثقف الرسالي" الذي يحمل رسالة من الشعب ويدافع عنها بشجاعة، ومن بين هذا الصنف يمكن ذكر مثقفين كانوا منارة للحق وشوكة في وجه الظلم والاستبداد كالإمام جمال الدين الحسيني المعروف بالأفغاني والإمام الشهيد محمد باقر الصدر والسيد الكواكبي...

ولقد ساق الأستاذ ماجد الغرباوي ملاحظة جميلة تتعلق بأن صفة المثقف الرسالي ليست حكر على أشخاص معينين تنتهي بوفاتهم إنما هي مشروع مستمر يمكن تمثله إذا ما توفرت شروطه.

أما النقطة الثانية فتتعلق بالأدوات والتقنيات التي يعتمدها المثقف في إحياء الثقافة الإسلامية، وهي اعتماد الأسلوب النقدي لكل ما هو وضعي وذلك بتشخيص نقاط القوة والضعف. وبالتالي التخلي عن أسلوب المسلمات وكذلك ضرورة التمييز بين ما هو مقدس الذي يتجسد في القرآن وما صح من السيرة النبوية الذي يجب الالتزام بهما وبين ما هو غير مقدس بمعنى أنه نتاج عمل بشري على غرار الاجتهادات فهي قابلة للمناقشة وحتى للدحض. وهذا ما يجعلنا نتجاوز ما وقع فيه السلف من خطأ شرح الشروح واجترار ما وقع دراسته خوفا من الخروج عن ما هو موجود.

بالإضافة إلى الأسلوب النقدي، يجب على المثقف أن يعتمد أسلوب تحليلي بمعنى أنه ينطلق من الواقع فيحلل المشكلة من جميع جوانبها فيتمثلها جيدا ثم يعرضها على النص القرآني فيحاوره ويسـاؤله حتى يجد لها حلا، ثم باستخلاص الحل يعود للواقع ويطبقها على المشكل المطروح. بهذا يكون القرآن صالحا لكل زمان ومكان.

إن محاورة القرآن ليس ممنوعا وذلك بدليل أن القرآن في حد ذاته دعا إلى إعمال العقل في تدبر آياته، وهذا ما ذهب الأستاذ ماجد الغرباوي إلى بيانه بقوله" ولا أخال العملية ممتنعة أو غير ممكنة وإنما أدخلت دائرة الممنوع عنوة وفق مقاييس غير علمية أو إيديولوجية تذهب إلى اختزال الشخصية الإسلامية إلى أداة معوقة لا تجيد إلا الإصغاء والاستماع ومن ثم التسليم والانقياد للغير بداعي الجهل والعجز عن كشف مضامين الآيات أو ربما تحويل القرآن المبين إلى ألغاز محيرة يصعب درك مداليلها أو التكهن بمفاداتها، ليتحول القرآن حينها إلى كتاب سماوي يناقض أهدافه وغاياته".

أما بالنسبة للنقطة الثالثة، فهي تتعلق بالواقع الموجود، إن المثقف الإسلامي يعيش في واقع يغلق في وجهه جميع نوافذ الحرية الفكرية ويضيق عليه الخناق ويزرع فيه

شـــعور الاغتراب في وطنه، وذلك لأن بإخماد صـــوته إخماد لصـــوت الحق وبالتالي المحافظة على مصالحهم الشخصية الضيقة المبنية عل الباطل. لذلك يدعو المثقف إلى محاربة الاسـتبداد بكل أنواعه الذي يمثل السـبب الأول للتخلف الثقافي وإحلال محله التعددية وخلق مجتمع مدني يلعب فيه المواطن دور محوري في تسيير شؤونه العامة.

لكن نظرا لخطورة هذه الدعوات على الأقليات المستفيدة من انتشـار الجهل واللاوعي، فلقد تعرض جل المثقفين الذين يسـعون لفضـح مفاسـدها أمام المجتمع و محاولتهم في إنارة الرأي العام حول حقه في مســـاءلة من يجرم في حقه، إلى مختلف أنواع التعذيب والتنكيل.

أخيرا النقطة الرابعة الواقع المنشـــود، وهو ما يمثل مطلب التجديد في نظر المثقف الذي ينادي به ألا وهو تبني مبدأ الشـفافية وذلك بفضـح جميع الممارسـات الاسـتبدادية وكذلك تكريس مبدأ الشـورى والديمقراطية وضـمان حق المعارضـة وحرية الرأي واحترام سـيادة القانون. جميع هذه النقاط لقد شـرحها الأسـتاذ ماجد الغرباوي بإطناب في كتابه إشكاليات التجديد.

في النهاية، أريد التأكيد أن مســـؤولية المثقف ثقيلة جدا ولكنه رغم ذلك فهو مجبور على تحملها وذلك لأنه آن الأوان لكي تعود الثقافة الإســـلامية لأوجهها وازدهارها وإلقاء ثوب الخمود والجمود.

العقل النقدي وسلطة التراث
في المنجز الفكري لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة إنعام كمونة[1]

(نحن بحاجة إلى وعي يمزّق جدار الصمت،

يفضح الكذب والتزوير،

ويقول الحقيقة بصوت مرتفع)..

الباحث ماجد الغرباوي

***

الباحث والمفكر الديني ماجد الغرباوي، شخصية فكرية معروفة. اصدر عددا من المؤلفات، تناول فيها قضايا فلسفية وفكرية وعقدية، ساعيا بمشروعه الى تحرير العقل من بنيته الأسطورية، وإعادة فهم الدين على أساس مركزية الإنسان في الحياة. كما جاء في سيرته. وأيضا يسعى جادا إلى ترشيد الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي. ويؤكد (ان فهم قضايا العصرمرتهنة بتجليات العقل الواعي). والغرباوي هو مؤسس مؤسسة وصحيف المثقف والمشرف عليهما. كتب عن منجزة عدد كبير من الكتاب، نشرت في المثقف وفي مواقع أخرى.

يسعى المفكر الإسلامي دائما الى تقديم اجابات، عن أسئلة تراودنا، حول قضايا عقائدية وميتافيزيقية. عن الحياة والموت وما بعد الموت، وعلاقة كل هذا ببعثة الرسل والأنبياء. أو ما يراودنا من شكوك حول وجود الله تعالى، وحقيقة اليوم الآخر.

---

1 - شاعرة وناقدة - العراق

وكذلك اسئلة عن العدل الإلهي، ومعنى العذاب والخلود في النار. اضافة الى قضايا تخص حياتنا حول التسامح مع الآخرين، واحترام خصوصياتهم وعقائدهم. وما هو السبيل للعيش بسلام مهما اختلفت الاديان والقوميات.

نجد أجوبة الباحث الغرباوي على أسئلتنا وشكوكنا، واضحة وجلية، تزيل هاجس الحيرة وتداعيات الشك، فهو مفكر اتسمت كتاباته بالشفافية والوضوح، وأسلوب رائق بانسياب سلس وبسيط .

تناول الغرباوي قضايا مهمة كثيرة، وكانت له آراء يتفرد بها ربما حول تلك القضايا. كل ذلك ضمن مشروعه التنويري، فهو عندما يدعو لمراجعة التراث ونقد النصوص، لمواكبة الحاضر، يبرر ذلك بقوله: (إن نقد النص هو تعبير آخر عن سؤال الحقيقة، وهذه إحدى مهام الكتاب[1] وهو يلاحق مرجعيات التفكير الديني بحثا عن مضمراتها، لفرز ما هو نسبي، وفضح مراوغات النص وتقنياته في وجود الحقيقة، لاستعادة الوعي وإعادة تشكيل العقل وفق نظام معرفي يرتكز للدليل والبرهان في معارفة وعلومه، من أجل نهضة حضارية نستعيد بها إنسانيتنا، ونستنشق رحيق الحرية، بعيدا عن سطوة التراث، وأسطرة الرموز الدينية)[2]. فالغرباوي في مراجعاته النقدية للتراث لا يتوانى عن الغوص عميقا من أجل الوصول الى الحقيقة، والكشف عن الزيف في قضايا نعتبرها مسلمات، ولكنها ليست ذلك بعد البحث والتنقيب كما يفيد كلام الغرباوي: لست مع متاهات التفكيك، غير أني أسعى لأقصى ممكنات الغوص في أعماق الظواهر الاجتماعية والدينية لإدراك الحقيقة، وتقديم قراءة موضوعية، تنأى عن المراكمة فوق ركام الخراب المعرفي ودوامة التخلّف. وأطمح لرؤية مغايرة وفق مبادئ عقلية متحررة من سطوة الخرافة واللامعقول وأوهام الحقيقة، ورهاب النص وقدسيته، من أجل فهم متجدد للدين، كشرط أساس لأي نهوض

---

1 – يقصد الباحث كتابه: النص وسؤال الحقيقة.
2 – الغرباوي، ماجد، النص وسؤال الحقيقة.. نقد مرجعيات الفكر الديني، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، وأمل الجديدة، دمشق – سوريا، 2018م، ص 9.

حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتنابذ والاحتراب[1].

ولم تقتصــر آراء الغرباوي على التراث ومراجعاته النقدية بل أن كتاباته حول قضـــايا أخرى كالمرأة والتجديد والتنوير كثيرة ومتعددة، وله حول التســـامح كتاب مشـــهور بعنوان: التسـامح ومنابع اللاتسـامج... فرص التعايش بين الأديان والثقافات، كُتبت عن مراجعات كثيرة. وهو من دعاة التســـامح، يرفض كل قيم اللاتســـامح والعداء والكراهية ونبذ الآخر، ويعتز بالتسـامح أنه قيمة إنسـانية ودينية نحن بحاجة ماسـة له، خاصـة الدولة المعددة دينيا وثقافيا وقوميا. يؤكد في كلامه: (رغم ان التسـامح مفهوم اســـلامي غني في دلالاته غير ان القراءات المبتســـرة للدين ونصـــوص الذكر الحكيم صورّت التسامح مخلوقا لا اسلاميا، او مفهوما مستوردا للاطاحة بقيم الدين الحنيف. وهي قراءات تشـبث بها دعاة العنف والاحتراب، ممن اختزلوا القرآن في بضـع آيات نزلت في ظل ظرف خاص، بينما أهملوا مصفوفات قرآنية كثيرة تدعو الى المحبة والوئام ونبذ العنف والدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة)[2].

- لم يكتف الغرباوي بموضـــوع التســـامح، بل تناول منابع اللاتســـامح في كتاب التسـامح، وأيضـا سـلط الضـوء، تحليلا ونقدا، على التطرف الديني وتوظيف الدين لمصالح أيديولوجية وسياسية وحزبية وحتى شخصية. والتطرف معضلة فكرية، جاءت نتيجة تراكمات الغلو العقائدي والفكري، والتعصـب المقيت، تحت عناوين دينية، ما هي ســـوى مغالطات وقراءات خاطئة للنصـــوص الدينية. وهيمنة العقل التراثي، بمفاهيمه وتفسـيراته للنصـوص المقدسـة وفق ولاءات عقدية. وقبليات طائفية. لذلك طالما حذر الغرباوي من القراءة الايـديولوجيـة للتراث، وطالـب بقراءات عقلانيـة موضـوعية: (القراءة الأحادية للتراث، ضرب من الخداع، حينما تزور الحقائق، وتشوه الواقع، وتعكس لك صورة مثالية عن تاريخك ومقدساتك..هدم أسوار القداسة ونقد

---

1 - المصدر نفسه

2 - أنظر مقدمة الطبعة الأولى من كتاب التســـامح ومنابع اللاتســـامح، فرص التعايش ين الأديان والثقافات، مركز دراسات فلسفة الدين – بغداد، 2006م، ص 5.

الموروث أول خطوات النهوض الحضاري وأثبات عدم تسويفها لمصالح فكرية أخرى). فهناك ضـــرورة لتقديم قراءات جديدة للتراث والعقل التراثي، ونقدهما لاكتشـــاف الحقيقة، وبيان ما هو زمني محدد بحدوده الزكانية وما هو مطلف، والتمييز بين ما هو بشـري وما هو إلهي، كي لا تلبس الامور ويختلط المقدس بغيره، فهناك نظرة مقدسـة للتراث لا تسمح بمراجعته فضلا عن نقده. خاصة القضايا العقائدية التي يبدي فيها الغرباوي حساسية فائقة، لخطورة ما يترتب عليها من التزامات دينية، ووعود أخروية، تغري المتلقي، فيندفع في تبني كل شيء، لا فرق عنده بين الصحيح والمزور، لا عمدا بل لأنه يثق برجل الدين، على صعيد الايمان يقول: (الإيمان يتأثر بمناشئه وصـدقية العقيدة ترتهن لأدلتها وبراهينها، وبينهما بون كبير، فربما مناشئه مجرد أوهام الحقيقة أو مصـفوفة خرافات لا دليل عليها سـوى الوهم بتأثيره النفسـي، وهذا مبرر موضـوعي يســـمح بنقدها ومراجعتها للكشـــف عن تاريخيتها وزيفها وحجم الوهم والمؤثرات الآيديولوجية والطائفية في صياغتها فيُخطئ من يؤمن بثبات العقيدة، أو ينفي تطورها وتاريخيتها)[1]. فهو يعالج في نقده للتراث قضايا ساهمت في انحراف العقيدة، وشكلت خطرا على مسـتقبل الدين والمسـلمين، عندما اسـتباحوا قتل الآخر، وسـفك دماء الناس الابرياء. وســاهموا في زرع الفرقة والتنابذ. والأعتداء على رموز ومقدســـات الآخرين، والتجاوز ألا أخلاقي على حياتهم وخصـــوصـــياتهم، مما زرع الكراهية والضـغينة بين الشـعوب، خاصـة بين المذاهب والطوائف الدينية في البلدان العربية، وهذا ما حدث في الفترة الأخيرة من اغتصاب قرى ومدن وتدمير معالم تاريخية تراثية، وقتل الأبرياء، والعُزل وسـبي العوائل الآمنة في شمال العراق. لهذا يؤكد في كتاباته على نقد النص لاكتشاف حقيقته: (المطلوب فهم النص / الحكم، ضمن سياقه التاريخي، بعيداً عن التقديس. أو افتراض وجود ميتافيزيقي للحكم يحول دون إدارك ملاكاته. فربَ ظرف ما وراء صـدوره، يمنع إطلاقه أو تعميمه. أو كان ثمة سـبب لصـدوره وقد انتفى موضـــوعه، فيفقد النص / الحكم فعليته. وما لم يؤخذ السـياق في فهم النص

---

1 – مدارات عقائدية ساخنة، حوار طارق الكناني مع ماجد الغرباوي، مؤسسة المثقف، سيدني – استراليا وأمل الجديدة، دمشق – سوريا، ط2، 20019، ص 22.

تتغير جملة من الأحكام كالموقف الشـــرعي من الآخر وفقاً لفتاوى الفقهاء. والكلام عن النص الديني وخصوص النصوص التشريعية)[1].

ويراهن الغرباوي كثيرا على الوعي وســـيلة لفهم الواقع، وتشـــخيص الأخطاء، دون خوف أو تردد، من اجل اكتشـاف الحقيقة، وتشـخيص الزيف والعودة الى قيم الدين والقيم الانســانية، وعليه نحن (بحاجة الى وعي يمزق جدار الصـمت ويفضـح الكتب والتزويرويقول الحقيقة بصوت مرتفع).

متمنية لكم الاستاذ القدير ماجد الغرباوي استمرار النجاح والتألق الفكري.

---

1 – الغرباوي، ماجد، مقتضيات الحكمة في الترشيع.. نحو منهج جديد لتشريع الأحكام، مؤسسة المثقف، سيدني – استراليا، وأمل الجديدة، دمشق – سوريا، 2024م، ص 309.

ماجد الغرباوي في كتابي
التسامح ومنابع اللاتسامح" و"تحدّيات العنف

بقلم: الأستاذ شوقي مسلماني[1]

تفكيك خطاب سوء الفهم هو ما يطمح إليه المثقّف التنويري ماجد الغرباوي في كتابه الموسوم "التسامح ومنابع اللاتسامح ــ فرص التعايش بين الأديان والثقافات"، صادراً في بغداد عن معهد الأبحاث والتنمية الحضاريّة بالإشتراك مع "العارف للمطبوعات". وكان قد صدر سابقاً في طبعته الأولى عن "مركز دراسات فلسفة الدين ـ بغداد" ضمن سلسلة "ثقافة التسامح". وفيه يتعمّق الكاتب في مفهوم التسامح مقِرّاً بأنّه يفترض يداً أعلى من يد، لكنّه في آن مقيّد بالفهم المعاصر لناحية قبول الآخر كما هو، على ما هو، من يكون وأينما يكون، وعدم الإنقطاع في الحوار من مدخل "التكامل" وليس من مدخل "الهداية" التي تفترض أنّ الذي على الضفّة الثانية هو كافر وليس إذا اهتدى فله وإذا لم يخلع عنه الضلال فليس هو على ما لم يخلع، وحسابه هو في العالم الآخر كما جوهر الكتاب الكريم، بل يجب أن يستعدّ لحرب ضروس تسيل فيها النفوس.

يطلّ الكاتب على مفهوم المواطنة الذي يليق بالوطن الحقّ، حيث الناس كأسنان المشط في الحقوق والواجبات بغضّ النظر عن أي هويّة ثانية بالوراثة أو بالإختيار، أي على عكس القبيلة، مثالاً لا حصراً، التي لا تقيم وزناً للكفاءة، وتُقدّم اعتبارات لا سلطان فيها لكي يتصدّر المتصدّرون، ومنها اللون أو العرق أو الدم أو النسب. ويقف من حديث "الفرقة الناجية" موقفاً، فهو لا يراه إلاّ موضوعاً، ولا سويّة فيه، ويؤسّس لإحتراب ظالم لانهائي، وهو "الحديث" الذي لم يرد لا في خزنة صحيح

---

1 - . شوقي مسلماني - شاعر وكاتب – استراليا.

الإمام البخاري ولا في خزنة صحيح الإمام مسلم، ويتطيّر منه العلاّمة السيد محمد حسين فضل الله الذي يقول في معرض التطرّق إليه: "لم يثبت عندنا صحّة هذا الحديث من جهة السند، فلا مجال للإعتماد عليه، كما أنّ دلالته قد تخلق بعض المشكلات المعقّدة، باعتبار كلّ فرقة ذاتها هي الإسلام وغيرها الكفر، أو أنّها الهدى فيما الآخرون هم الضلال".

زبدة كتاب "التسامح ومنابع اللاتسامح" هي نبذ العنف بكلّ أشكاله، وأخصّه الدموي. والحقّ أن الكاتب الغرباوي راسخ في ثقافته الإسلاميّة التسامحيّة حتى أبعد آفاقها ولا يخشى معها ومع الإسلام الحضاري ومع الله تعالى لومة لائم، ويقارب موضوعه بجلاء من أكثر من ناحية، ولا تعوزه كفاءة الإستشهادات من الكتاب الكريم والسنّة النبوية الشريفة والصحابة رضي الله عنهم والتاريخ والوقائع ومنطق العقل المعاصر. ولكن تبقى ركائز: هل النزاع هو حول النصّ المقدّس أم في ما يمكن أن توضع اليد عليه؟، هل هو في التفسير والتأويل أم في تضادّ المصالح؟، ما هو دور الإحتلال في تأجيج الفتن وانقلاب الحال إلى أسوأ منقلَب؟، وأسئلة غيرها يكون الجهد معها أيضاً في المحلّ العالي.

جوهر الردّ على إسلام يأكل كبد إسلام حاضر يمكن العثور عليه بيُسر في القرآن الكريم، إلاّ أنّ الذين يكرهون الآخر ولا يقرّون وجوداً له لا طائفيّاً ولا مذهبيّاً يرون لمسافة محدودة أنّ "آية القتال"، ولا يجوز تسميتها "بآية الجهاد" باعتبار أنّ "الجهاد" أوسع وأشمل وأبعد من "القتال"، يرون أنّ آية القتال موافقة لكلّ زمان ومكان، والصورة هي أنّ القرآن الكريم أصله في الرحمة والعفو والغفران والتسامح والمحبّة والإعتراف بالآخر، وأكثر ما يتجلّى هذا الأصل في السور المكيّة التي استغرق نزولها ثلاث عشرة سنة، فيما العابر هو ما استجدّ حيث أغلظ الشرك للإيمان الناشىء واعتزم أن يستأصل شأفته. وما الواقع الممزّق الذي تُزهَق فيه الأرواح في معظم العرب والمسلمين ومنهم العراقيين إلاّ لأنّ الفهم المعاكس هو السائد، ولكي تعود المياه إلى جداولها ويعمّ الخير لا بدّ من تفكيك خطاب الفهم المعاكس وإثبات أنّه متهافت، وهذا بالضبط ما يطمح إليه ماجد الغرباوي في كتابه "التسامح ومنابع اللاتسامح ـ فرص التعايش بين الأديان والثقافات".

الكاتب الغرباوي هو عراقي الهويّة والهوى، وعى على محيط كلّه في المظلوميّة حيث الفرد تنهال عليه بكلّ القسوة هراوات السلطات المتعاقبة بالإفراط والتفريط، خصوصاً بالأمن، حتى وقع العراق كلّه أخيراً، بشراً وشجراً وحجراً، فريسةً تُمزّقُ بها أنيابٌ ومخالب، ولا شفقة ولا رحمة. نظرَ الغرباوي بهذه المأساة ولاحظ أنّ العنف لا يُجبه بالردع الحكيم وإنما يُجبَه بعنف همجي من الطينة ذاتها، أي لا بصر ولا بصيرة بل هو وحشٌ كاسر لا يُبقي ولا يُذر.

هكذا الغرباوي في كتابه الثاني "تحديات العنف"[1] الذي فيه من جهات العنف حركات متطرّفة، فيما تدفع الأذى عن ذاتها من عنف مظلم واقع عليها لا تقيم حرمة لطفل، لإمرأة، لعجوز. حركاتُ إعصارٍ ينفجر في الأحياء السكنيّة، في الأسواق العامّة، في دور الحضانة، في دور العبادة، فيما لو عقلتْ كان أولى بها أن تدّخر غضبها لمنازلة جلودة، واعية، مدركة، مع العدوّ المستبدّ، الغازي، المجرم، لا مع المدنيّين الأبرياء، أسوةً بسيرة الرسول الصادق الأمين في منازلاته وصراعاته مع "قريش"، وكيف نظرَ في هذه المنازلات والصراعات وكيف انتهى إليه الفوز حتماً بما تقدّم فيه بأخلاقه وعظيم بصره وبصيرته.

القوّة عند ماجد الغرباوي في هذا الكتاب أيضاً هي في غير العنف، بما القوّة هي مجال للإقتصاد والسياسة والثقافة والفنّ والعمران. والقرآن الكريم في عنوان رئيسي يحضّ على هذه القوّة الحضاريّة، الخلاّقة، ولا يحضّ على العنف العدواني الذي هو اتجاه واحد، محدود، ولا تُقرّ المبادأة ظلماً وعدواناً، بل بمبادأة سمحاء، وفيها القاعدة وفيها الإستثناء. والقاعدة هي آيات القربى والمودّة فيما الإستثناء "آية السيف"، خصوصاً ما دام القرآن المبين هو مصدر التشريع الأوّل. وعلى رغم ذلك فإنّ للسيف ضوابط، حدوداً، قوانين، وإلاّ صار قتلاً وفساداً وإفساداً في الأرض.

جوهر كتاب "تحديات العنف" هو الردّ على متمسّكين بالدين إنّما على نحو مبتور، مُجتزأ. يستسهلون مبادأة أبناء جلدتهم ودينهم أو مذهبهم بالإجرام،

---

1 – الغرباوي، ماجد، تحديات العنف، الحضارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2009م، في 420 صفحة، قطع كبير

يستسهلون التكفير وليس من ذلك الإسلام. وهو كتاب بمنطق سلفه يحاول أن يردّ على منطق لا منطق جديّاً فيه، يردّ مهتدياً بمفكّرين وأئمّة كبار منهم مثالاً لا حصراً: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا، عبد الرحمن الكواكبي، والسيّد محمّد حسين فضل الله، حيث العقل كثير.

***

ونأمل ألاّ تكون صرخات الكاتب في الكتابين معاً: "التسامح ومنابع اللاتسامح" و"تحديات العنف" هي في أرض مأهولة كلّها بالرمل.

التسامح والتسامح المتكافيء

بقلم الأستاذ: قيس العذاري[1]

احيانا لا ننتبه لاهمية الاسـئلة رغم ان البحوث والدراســات المتخصــصــة تبدأ بسؤال او بشكل ادق اجابة عن سؤال، يشمل ذلك البحوث المتعلقة بنيل درجات علمية عالية كرسائل الماجستير او اطروحات الدكتوراه . وهذه في الحقيقة عبارة عن اجابة عن ســؤال او عدة اسـئلة تنتظم حول محور واحد تتشــكل منها الرســالة او الاطروحة .اذن الســؤال يعتبر محفزا بشــكل اســاســي للبحث لذلك فان له اهمية استثنائية في العوالم الاكاديمية او البحثية الحرة غير الملتزمة بقوانين البحث الاكاديمي .

استوقفتني اجابات الباحث المستنير الاستاذ ماجد الغرباوي لكتابة هذه المقدمة او متابعة حواره مع نخبة واســـعة من المثقفين والكتاب والباحين العراقيين والعرب، وبســـبب ما يتعرض له الباحثون العرب من تهديدات يومية من قبل دعاة الاســـلام السياسي، هؤلاء يعتبرون ان كل نقد للاسلام السياسي اواحزابه هو نقد للاسلام كدين،ولكن شتان بين احزاب الاسلام السياسي وبرامجها التي هي في جوهرها فاشية واقصـــائية الى ابعد الحدود وبين الاســـلام كدين، ودليل معرفة الجوهر الفاشـــي والاقصائي لاحزاب الاسلام السياسي غياب مفهوم التسامح وقبول الاخر اوالتعايش معه رغم ادعائها للاسلام او تمثيله .

تخلل الحوار مصطلحات كثيرة ادت احيانا الى تشتت الموضوع او مضمون الحوار وهدفه مفهوم 'التسامح' ومنه 'العقلانية الشاملة' وقد اوضح الباحث الغرباوي نقطة مهمة مشــيرا الى مســيرة تطور المجتمعات الغربية الحديثة والمعاصــرة، فقد بنيت من

---

1 – أديب وكاتب – العراق

الاساس على 'التسامح' و'العقلانية' لان الدين كما اشار الباحث يختلف عن الدولة . الدولة باعتقادي لا دين لها لانها تمثل الجميع بشكل متساو في الحقوق والواجبات، ورغم ان بعض دول الغرب تعترف بمسيحية الدولة علنا، ولكن الواقع او دساتير هذه الدول تنفي ذلك .ودور الكنيسة بهذه الدول يكاد يكون بلا تأثير يذكر، رغم حضورها رمزيا واعلاميا، فبالنتيجة القانون والدستور هما من يحكم المجتمع وليس اللاهوت او المعتقد .

أردت ان اشير الى نقطة مهمة لو يولها الباحث الاهتمام المناسب او تبيين مدى تأثيرها التاريخي في المجتمعات الغربية ربما لالتزامه بحرفية الاجابة على الاسئلة، فعصر الانوار الاوربي ما كان له ان يظهر للوجود لولا مظالم وجور حكم الكنيسة في اوربا، ومفهوم التسامح من ابتكارات عصر الانوار ارتبط بالمسيحية بشكل خاطيء لانه كمفهوم وجد قبل عصر الانوار وربما قبل المسيحية والاديان،ويمكن العودة بهذا الصدد الى الفلسفة الهندية القديمة او الصينية .

ومفهوم التسامح في الواقع واحد من عدة محاور تناولها الحوار مع الاستاذ ماجد الغرباوي، انه حوار شامل ان جاز التعبير، ركزت في هذا التقديم او التعريف بمحتواه على مفهومي التسامح والعقلانية لانه لا يمكن تناول جميع ماورد في الحوار من افكار ورؤى ومناقشة احيانا بين المتحاورين في اكثر من نقطة او تعريف،ولكن الباحث يركز على نقطة مهمة لها علاقة مباشرة بمفهوم التسامح لتخليصه من استعلائيته ويضفي عليه انسنة عامة ليست له بمفهومه الاصطلاحي او اللغوي، وربما ينفرد الباحث في البحث او التبشير بمفهوم جديد للتسامح لتخليصه من سلبياته ودلالاته اللغوية ليكون مفهوما شاملا بقوله او توضيحه لمفهوم التسامح من وجهة نظره كباحث : 'التسامح كما أفهمه وادعو له: موقف إيجابي متفهم من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب والإقصاء، على أساس شرعية الآخر المختلف دينيا وسياسيا، وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته، ما دامت الطرق إلى الحقيقة متعددة، وليس لأحد الحق في احتكارها، فيكون التسامح اعترافا حقيقيا

بالآخر، لا منّة ولا تكرما، فيسـود المجتمع مبدأ المواطنة في المسـاواة والتكافؤ في جميع الحقوق والواجبات' نعم الدسـاتير جميعها تقر بالمسـاواة ولكن الواقع عبارة عن شـيء مختلف تماما، لذلك فان دعوة الباحث من خلال مفهومه الجديد الذي يقدمه للتسـامح، يحتاج الى ايضـاحات اضـافية او ان يفرد له بحثا خاصـا لانه يختلف عن التسامح السائد او مفهومه المتداول والمعروف في الاوساط السياسية والبحثية وهذا سـبب تخصـيص التعريف بالحوار على التسـامح لاعتقادي ان ما جاء به الباحث ماجد الغرباوي او تعريفه للتسامح يختلف تماما عما هو معروف عن هذا المفهوم حتى ان الكثير من الباحثين العرب عدوه متعاليا و'هشا' .

لذلك اقترح على الباحث ان يسميه تسمية اصطلاحية اخرى تتلائم مع مفهومه وتعريفه الجديد اي خلق مصـطلح يلائم مفهوم الباحث لتمييزه عن التعريف المتداول . ك 'التسـامح المتكافيء' مثلا . لتخليصـه من التعالي او المنة الذي ينطوي عليه كمصـطلح لغويا وبحثيا .ومع ذلك يبقى التسـامح بمفهومه العام ضـرورة لسـلمية المجتمعات متعددة الاعراق والمذاهب وللتعايش السـلمي والتدبير كما يقول او يؤكد الباحث: 'يبقى التسـامح الحقيقي الإطار الجامع لوحدة الشـعب رغم تنوعه القومي والديني والمذهبي' .

اما النقطة المهمة الثانية، اشـدد على اهميتها كما جاءت في الحوار وتناولها الباحث في اكثر من محور على طول الحوار، ربط مفهوم التسامح بالمواطنة، باعتبارها المشـترك بين الجميع، وخاصـة في مجتمعاتنا العربية وفي العراق بالذات، ولكننا مع الاسف كما يؤكد الباحث لم نصل الى مستوى الوعي باهمية المواطنة التي تقوم على مبدأ التسامح وقبول الاخر على المستويين الثقافي والديني .التي قامت على اساسه الحضارة الغربية المعاصرة من خلال سن القوانين والتشريعات التي تحفظ حقوق جميع المواطنين .

وبين الباحث او حث بشكل واضح على التفريق بين النقد والتخريب المتعمد، فنقد البنيات الطائفية والعشائرية في مجتمعنا الموروثة من عصور وعهود سابقة واعادة

ترسيخ مفهوم التسامح ومن ثمة المواطنة، تهدفان الى صيانة هذه المجتمعات اوتخليصها من الصـراعات الطائفية والمذهبية اوالعرقية، حيث تصـل هذه النزاعات احيانا لدرجة الحروب والتخريب المتعمد الذي يطال اقتصـــاديات وعمران مجتمعاتنا العربية والاسـلامية وتهديد مسـتقبلها، كما ان مفهوم التسـامح ليس من المفاهيم الاجنبية او الغريبة على ثقافتنا اومجتمعاتنا العربية والاســلامية .وهنالك وقائع معاصـــرة وتاريخية تثبت ذلك رغم انه لم يأت على ذكرها او ذكر بعضــها او كشــواهد منها في حواره، وربما نحتاج الى بحث اخر او الى بحث مســتقل للتأكيد فيه التســـامح بمفهومه العام ليس اجنبيا او غريبا على ثقافتنا العربية والاسلامية ماضيا وحاضرا .

كتابات التسامح في الوسط الإسلامي

بقلم: الأستاذ نادر المتروك[1]

يمكن النظر إلى مجلة ''التسامح'' الصادرة عن وزارة الشؤون الإسلامية في سلطنة عمان، على أنها فارقة نوعية بكلّ ما للكلمة من معنى، لاسيما وهي تصدر عن جهة رسمية. صــدر العدد الأول من المجلة في شــتاء 2003, وهي تحمل شــعار ''نحو خطاب إسـلامي متوازن''. ولكي يتوضّـح مدلول هذا الشـعار، دُشـن العدد الأول بكلمة هيئة التحرير تحمل شرحاً مفصلا لهوية المجلة/ المشروع.

وقد جاء فيها بأن المجلة تأمل أن تكون ''منبرا فكريا مفتوحا للدراســات والبحوث التي تقرأ الخطاب الإســلامي من منطلقات علمية موضــوعية، بعيدا عن شراك الرؤى الإيديولوجية التي تظن نفسها تمتلك الحقيقة والوعي، وإن كانت تصدر في معظم الأحيان عن رؤى مشوهة ووعي مزيف''.

وعلى مدى أكثر من أربع سنوات، وإلى حيث العدد الأخير في شتاء 2006, استطاعت المجلة أن تُنجز الكثير مما وعدت، فكانت منبراً إسـلامياً يتحرّى التسـامح والجدة.

مجلة ''قضايا إسلامية معاصرة'' التي يصدرها عبدالجبار الرفاعي، اهتمت بقضية التسامح وأصدرت سلسلة كتب حول هذه القضية، وذلك ضمن النقلة المهمة التي أحدثها الرفاعي نفسه في حركة التجديد عبر مشروع مجلته المذكورة، والذي أخذ مداه الأخير في إطار ''مركز دراسات فلسفة الفقه'' في بغداد. ومما صدر عن السلسلة: ''رسالة في التسامح'' لجون لوك، و''أحكام الجوار في الشريعة الإسلامية'' لشمس

1 – كاتب بحريني.

الدين، و''عيال الله: أفكار جديدة في علاقة المســـلم بنفســـه وبالآخرين'' لمحمد الطالبي، و''التسامح ومنابع اللا تسامح'' لماجد الغرباوي.

ســـيعرف الكثير من القراء منْ هو الشـــيخ ماجد الغرباوي ''الحقيقي'' عندما يطلعون على الحوار الذي أجرته معه ''الوقت'' على مدى حلقتين. في هذا الحوار يُقدّم الغرباوي شـخصـيته الفكرية بلا مقدمات تجميلية أو تمهيد متواطئ. ما يشـغل الغرباوي لا يختلف كثيراً عن عنوان كتابه؛ فهو مع رفقة من جيله خاض ملحمة التجديد الديني في ظل عنفوان المد المحافظ والتكريس المتزايد للجماعات التي تدعي الحفاظ على ''أصـــالة الإســـلام''. واللافت أن هذا الهم التجديدي لم يكن متوارياً، فقد كان الغرباوي ظاهراً في إصـــلاحيته، ولم يلجأ إلى التقية حتى وهو ينخرط في مشـروعات ثقافية محسـوبة على الخط المحافظ. ويتجلى كثير من وعيه التجديدي مع كتابه ''إشكاليات التجديد'' الصادر سنة 1999 ضمن سلسلة كتاب ''قضايا إسـلامية معاصـرة''. لا شـك بأن حجم الصـراحة والجرأة هو أكثر وضـوحا من ذي قبل. فالغرباوي يضـع أمام الشـعوب المسـلمة خياره الوحيد للخروج مما هي فيه من احتراب وعداء وإقصـــاء. ليس أمامها إلا قيم التســـامح. ويعلم الغرباوي أنه خيار يتطلب جهوداً متضـــافرة، وتعاونا من الجميع. ويعلم أيضـــاً أن هذا الخيار لن يأخذ طريقه الصـــحيح إلا إذا مسّ ''البنى الفكرية والعقيدية للمجتمع'' وأعاد ''صـــياغة العقل والأولويات والوعي''، وقدّم فهماً عصرياً ''للدين والرسالة والهدف''، واجترحَ نقدا ''للمفاهيم والقيم والسلوك'' وقراءةً متفهمة ''للتراث والتاريخ''.

للقيام بذلك، يقول الغرباوي ''ينبغي البحث عن الدوافع الحقيقية وراء ثقافة الموت والاســـتهانة بالحياة وتكفير المجتمع''. ما يعنيه ذلك من محاولة حثيثة لمعرفة البنية المفاهيمية التي تكوّن موقف العداء تجاه الآخرين. وبحسـب الغرباوي، فإن هناك مفاهيم عميقة تؤثر في ذلك، تتصـــل بصـــلب البناء العقيدي والديني كما تؤمن به بعض الجماعات الدينية.

لا ينظر الغرباوي إلى التســامح على أنه مفهوم ''يراد اســتنباته ضــمن النســق القيمي للمجتمع''، بل هو ''نسق ثقافي وفكري وعقيدي مغاير، له آليته في العمل،

وأسلوبه في التأثير، ومنهجه في التفكير، وطريقته في الاشتغال''. والنتيجة المنطقية لذلك هو أن التسامح وقيمه لا يمكنها أن تسود المجتمع إلا بعد توفير جميع مقدماته، حيث إن ''التسامح يقوم على سلسلة عمليات فكرية وثقافية يخضع لها الفرد والمجتمع كي يعمل بشكل صحيح ومؤثر''. إضافة إلى جملة القيم التي يتوجب استئصالها و''إحلال قيم جديدة محلها كي تكون قاعدة وأرضية لعمل التسامح''.
انطلاقاً من ذلك يركّز الغرباوي في هذا الدراسة على الدين الإسلامي ذاته ليكون مرجعا في صياغة أنساق التسامح، حيث يستنطق القرآن الكريم والقيم الدينية العليا وصولاً إلى منظومة قيمية ومفاهيمية يمكن توظيفها في صياغة ما يُسميه بالنسق الفكري والعقيدي للتسامح، وذلك بهدف تحويله إلى قيمية دينية أولاً فقيمة إنسانية بعد ذلك.

التسامح ومنابع اللاتسامح
لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة هيام الفرشيشي[1]

لعل اختياري لهذا الكتاب مبرره ما نعيشه من تحولات اجتماعية وسياسية، بعد الثورة وظهور عنف جديد، يتمثل في بروز الفكر الجهادي، وبعض نواتات الإرهاب. وهو في الحقيقة نتاج دكتاتورية اسـتبدادية. لذلك ارتأى الباحث أن الخطوة الأولى تقتصر على ضخ سيل من الثقافة النقدية القادرة على النفاذ إلى أعماق اللاوعي لتفكيك البنى المعرفية القديمة وتأهيلها لاستقبال نمط فكري وثقافي جديد يعمل في إطار قيم التسامح. وأن يطال الخطاب النقدي جميع البنى الاجتماعية وعلى كافة المستويات.

فالنقد يتوجه نحو تفكيك مفاهيم اللاتسامح والاستبداد المتجذر في اللاوعي، بدءا من تفكيك مفهوم الأب لكي لا يبقى أب الأسرة / رجل الدين/ المفكر / السياسي / المثقف يفترض لنفسه سلطات اجتماعية وأخلاقية غالبا ما تكون قمعية استبدادية. فالخطاب النقدي مدعو للتوغل داخل هذه المفاهيم لتفكيكها بعد تحديد الأسس التي قامت عليها ومعرفة المرجعيات التي استندت اليها. هل مصدرها بشري أم الاهي؟ اجتماعية أم سياسية؟ أعراف وتقاليد أم مصاديق دينية أو غير ذلك. وذك لكي لا يقبع النظام الأبوي في كل زاوية وكل مكان. كما أن تلك السلطات تفاقمت حتى أصبح المجتمع وفق بعض الرؤى الأبوية أفرادا قاصرين بحاجة إلى الرعاية والأبوة، ويجب إدارتهم وتدبيرهم، ويفرض عليهم الأمر والطاعة والامتثال، وإلا فالعقاب في

---

1 – قاصة وكاتبة – تونس

الدنيا واللعنة في الآخرة لكل من يتمرد على سلطة الأب.. وبالتالي يجب العمل على استتباب قيم تقوم أساسا على رفض القمع والاستبداد والاعتراف بالآخر وإن كان مختلفا..

كيف نتصور قيام مجتمع متسامح في ظل خطاب تكفيري يعتبر المجتمع الإسلامي الراهن مجتمعا جاهليا تجري عليه أحكام الجاهلية؟ هذا النمط من الخطاب ينتج حركات إسلامية متطرفة تبيح قتل المسلمين. لنفهم أن كل خطوات قيام مجتمع متسامح تبدأ من العقل، تبدأ من نقد الأنساق المعرفية، تبدأ من نقد العقيدة، والفكر، والثقافة ليصار إلى فهم بديل للدين والحياة والمجتمع يساعد على استتباب قيم التسامح. إذ السلوك والأفعال الخارجية والمواقف لا تصدر إلا عن فكر مؤسس داخل العقل، ولا تنطلق إلا في ضوء المفاهيم ومقولات متجذرة في اللاوعي.

ويرى الباحث بأن إرساء أسس التسامح يؤهل المجتمع لاحتضان قيم التسامح وتبدأ من حقوق المواطنة، فإذا كان المجتمع غير مهيء نفسيا وفكريا وثقافيا للاعتراف بالآخرين لأي سبب كان، فإن قبول الآخر وقبول التعايش معه تفرضه وحدة الوطن، من أجل استتباب الأوضاع واستقرار الأمن والسلام. من هنا تكون حقوق المواطنة إحدى الأسس الكفيلة بإرساء ثقافة التسامح داخل المجتمع ولو بشكل مرحلي. ولكن كيف يقع استخلاص بين الولاءات بحيث يبقى الولاء للوطن متقدما للحفاظ على وحدته وانسجامه وتجانسه في إطار المواطنة.

ولاء الوطن، بمعنى الولاء إلى قوانين البلد إذا كانت قوانين تعبر عن إرادة الشعب وتضمن حقوق الجميع بشكل متساو. كما تستطيع النخب السياسية والدينية التوافر على قواعد شعبية تصل من خلالها إلى فرض إرادتها بشكل قانوني، لكن لا يحق لأي أحد التمرد على القانون واستخدام العنف للوصول إلى أهدافه، لأنه كما هو مفترض قادر على تحقيق ذلك بالطرق السلمية دون اللجوء للقوة والعنف. ولتكريس قيم التسامح لا بد إذن من سيادة القانون فهو الأساس الثاني لقيم التسامح بعد المواطنة.

وإذا اقتضت مصلحة الوطن تشريع قدر من الحرية الشخصية يتنافى مع قيم الدين الحنيف فما هو العمل؟ وهل يبقى وفيا لقرارات الدولة أم يتخلى عنها لصالح الدين وأحكامه الشرعية؟ ..إذا كان الحكم منتخبا فإن القانون هو الذي يوجه حركة المجتمع والسلطة وينظم الحريات ويوفر الأمن ويحمي المواطنين على تنوعهم واختلافهم. وحينما يسمح القانون بهذا الحجم من الحرية، يسمح بها وفقا صلاحيات ممضاة من قبل الشعب نفسه، فيكون هو المسؤول عن ذلك وعليه أن يتحمل تداعيات اختياره.

التسامح حق للجميع
على أساس الاعتراف بالآخر وحماية حقوقه

بقلم: الأستاذ عبد الغني الزردي

(التسـامح يعني الاعتراف بالآخر والتعايش معه على أسـاس حرية العقيدة وحرية التعبير دون تكرم أو مِنَّة)... ماجد الغرباوي

(التسـامح هو ضـرورة حياتية، تبقى الحاجة قائمة لها ما دام هناك إنسـان يمارس العنف والإقصـــاء والتكفير، ويرفض التعايش الســـلمي مع الآخر المختلف. وتتزايد الحاجة للتسامح مع اتساع رقعة التنوع الإثني والديني؛ لامتصاص تداعيات الاحتكاك بين القوميات والثقافات والأديان المختلفة).

هذا هو فحوى كتاب "التسامح ومنابع اللاتسامح"[1] للأستاذ ماجد الغرباوي.

يرى الكاتب أن ما نشـــاهده اليوم من صـــراع محتدم بين القوميات والأديان والمذاهب يكشف عن رخاوة الأسس التي يقوم عليها مفهوم التسامح أو غيابه، فهو في نظر الأوســـاط المتصـــارعة، لا يعدو كونه قيمة أخلاقية تتحكم بها المؤثرات الاجتماعية والسياسية. وهو في أحسن الأحوال منّة وتفضل مشروط؛ قد ينقلب إلى ضـــده إذا فقد رصـــيده الأخلاقي، وما نحتاجه فعلا لتوطيد العلاقة بين الطوائف والقوميات مفهوم يرتكز إلى أسس. فالتسامح إذن هو حق لجميع الأفراد على أساس الاعتراف بالآخر، وحماية حقوقه[2].

---

1 – التســـامح ومنابع اللاتســـامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، ماجد الغرباوي، ط 2008م، اصدار الحضارية، بغداد، ودار العارف، بروت.
2 – المصدر نفسه، ص11 .

يتوقف الكاتب مع دلالات التسامح في اللغة والاصطلاح، فهو لغوياً مشتق من السماحة أي الجود. والمسامحة تعني المساهلة، وسمح: جاد وأعطى عن كرم وسخاء؛ ليخلص إلى أن الدلالة اللغوية للتسامح تستبطن المنة والكرم. أما في الاصطلاح فهو: (موقف ايجابي تجاه العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة؛ بعيدا عن الاحتراب والاقصاء؛ على أساس شرعية الآخر المختلفة دينيا وسياسيا، وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته)[1].

يتساءل الكاتب: ما المطلوب من الشخص المتسامح؟ هل المطلوب التنازل عن القناعات الفكرية والعقدية نزولاً عند رغبة الآخر، أو ضرورة يقتضيها التسامح؟ أو أن التسامح يعني الانصياع والتبعية والرضوخ للمختلف؟ يجيب بأنه لا هذا ولا ذاك، وإنما التسامح يعني اعترافاً بالآخر والتعايش معه على أساس حرية العقيدة وحرية التعبير، لا تكرما ولا منة، وإنما حق باعتبار تعدد الطرق إلى الحقيقة، وأن هذه الأخيرة موجودة لدى جميع الاتجاهات العقدية؛ على أساس وحدة الحقيقة وتعدد التجارب الدينية.

منابع اللاتسامح

أما في الحديث عن منابع اللاتسامح، فيقول الكاتب، "تتعدد منابع اللاتسامح تبعاً لطبيعة المجتمع ثقافيا وفكريا وعقيديا، وأيضا تبعا لمستوى حضور الدين، ومدى تمسك المجتمع بالقيم الدينية والأخلاقية. لكن ثمة منابع تعد الأهم بينها، وهي المنابع التي تفضي إلى التعصب الديني والقبلي والسياسي؛ وما ينتج عنها وما يعمق وجودها ويركز فاعليتها من مفاهيم وقيم. ولا شك أن تفكيك هذه البنى وإعادة تشكيلها؛ بما يخدم قيم التسامح وبناء مجتمع متسامح، مهمة شاقة وصعبة، تتطلب خطاباً ثقافياً وفكرياً قادراً على تشكيل أجواء تساعد الناس على التماهي مع القيم الاجتماعية

1 - المصدر نفسه، ص20.

الجديدة، والتخلي عن القيم السلبية الموروثة، أي التماهي مع قيم التسامح من أجل بناء مجتمع يمكنه استيعاب التناقضات والتقاطعات الحادة بين الأديان والمذاهب والقوميات"[1]. متوقفاً عند بعض مصادر اللاتسامح، منها:

– **منطق العنف**: لقد ظل العنف منطقاً مستحكماً داخل المجتمعات غير المتحضرة، أي المجتمعات التي ترفض الاحتكام للقانون، وترتكز للعنف في تقرير مصيرها، وانتزاع حقوقها، وتسوية خلافاتها. واستمر العنف صفة ملازمة لكثير من الشعوب؛ رغم اختلاف الظروف وتطور الحضارات. ولهذا الظاهرة أسبابها وجذورها التاريخية، حيث يقول، "فلجوء الإنسان البدائي للقوة والعنف كان دفاعاً عن النفس؛ بسبب الأخطار المحدقة به. ولما ظهر التنافس بين أبناء المجموعة البشرية الواحدة واحتدم الصراع على المراعي والحقول، لجأ الإنسان للعنف والقوة للدفاع عن حياته وعائلته وممتلكاته"[2]. ما يستدعي فهم مهمة ثقافة التسامح، وضرورة انتشارها، وتثقيف الشعب عليها؛ عبر خطاب مؤهل، قادر على استنبات قيم جديدة، بدلا من النسق القيمي الذي نطمح لاجتثاثه؛ حتى يصبح التسامح مسؤولية تاريخية، يتصدى لها جميع أبناء الوطن، من أجل الوطن ووحدته وسلامته وأمنه ومستقبله.

– **الولاء القبلي**: لقيم العشيرة أو القبلية تداعيات خطرة في إطار مجتمع يضم عددا من القبائل، لا سيما حينما تتصادم القيم فيما بينها، أو بينها وبين قيم وقوانين الدولة. ولعل أهم هذه التداعيات انشطار الولاء، الذي هو عماد التماسك الوطني، وركيزة وجود الوطن، الذي سينهار وتلتهمه الانقسامات وتقاطع الولاءات؛ إذا لم يشعر الفرد بانتماء حقيقي للوطن. ما يعني أن العقل الجمعي للقبيلة يمثل خطرا كامنا، إذ يمكن تعبئته وتحريكه بشكل غير واع.

– **التطرف الديني**: يعتبر التطرف الديني أحد أخطر منابع اللاتسامح، لتلبسه ببعد شرعي، وتوظيفه للنص الديني، وقابلية الناس لتصديق، وقدرته على التخفي

---

1 – المصدر نفسه، ص 26.
2 – المصدر نفسه، ص 27.

والتستر تحت غطاء الشرعية، والواجب والجهاد والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ما يستدعي "وعي يعري حقيقته، ويكشف زيفه، وإلا فإنه ينطلي بسهولة على ذوي النوايا الطيبة من البسطاء، ممن لا يفقهوا أساليب الخطاب وطريقة توظيف الآيات، ولا يميزوا بدقة بين الأحاديث والروايات الصحيحة والموضوعة. وما هو عام في النص وما هو خاص، وأيهما مقيد وأيهما مخصص، وإنما يكفي لتصديقها والتفاعل معها انتماؤها للمراجع الاسلامية، بما فيها كتب التراث، وأقوال الرجال، أي الخطاب النصي والشفهي؛ بل إن تأثرهم بكلام الخطباء أقوى وأسرع، لذا ليس غريبا أن يكون أكثر المتطرفين الدينين ممن لم تسعفهم كفاءتهم العلمية والثقافية في إدراك الحقيقة"[1].

أسس التسامح

أما أسس التسامح، فمتعددة برأي الكاتب، ومنها:

– **حقوق المواطنة**: ويرى أن المجتمع إذا لم يكن مهيأ نفسيا وفكريا وثقافيا للاعتراف بالآخر، لأي سبب كان، فإن قبول الآخر وقبول التعايش معه أمر تفرضه وحدة الوطن، من أجل استتباب الأوضاع واستقرار الأمن والسلام. ولذلك تشكل حقوق المواطنة أحد الأسس الكفيلة بإرساء دعائم التسامح داخل المجتمع. فالالمواطنة ليست "سوى الاعتراف بالآخر وبحقوقه، وقبول التعايش معه سلميا وفق حقوق مشتركة لجميع المواطنين (حسب نضج المجتمع فكريا). وهي قضية تمليها وحدة الوطن والحرية الشخصية والاعتراف المتبادل بين أبناء الشعب جميعا. رغم تنوع خصوصياتهم. أي أن جميع الأفراد، وفقا لحقوق المواطنة، متساوون في الحقوق والواجبات على أساس التساوي في انتمائهم للوطن الواحد"[2].

---

1 – المصدر نفسه، ص 56.
2 – المصدر نفسه، ص 76.

– **سـيادة القانون**: فكما أن حقوق المواطنة هي الأسـاس الأول لإرسـاء قيم التسامح في المجتمع، فالقانون وسيادته هو الأساس الثاني لها. بل لا يمكن للتسامح الاستمرار في تأثيره الاجتماعي، ما لم يكن هناك قانون يستند إليه ويدافع عن قيمه. ما يعني أن تثبيت الحقوق وفرض الواجبات وتحديد السـلطات، تتوقف جميعها على وجود قانون فاعل، يتوافر على قوة ردع عالية. لذلك صـارت حقوق المواطنة إحدى القضايا التي تتوقف فاعليتها على وجود قانون متماسك وفاعل. أي كما أن حقوق المواطنة تحتاج إلى قاعدة فكرية وثقافية متجددة تغذي أبناء الوطن الواحد بقناعات حقيقية، تحتاج هي أيضا إلى قانون لتفعيلها وحمايتها.

– **إعادة تشكيل قيم التفاضل**: معتبراً أن الارتكاز إلى القيم الإنسانية سيكون الحل الأمثل لمشكلة تعدد القيم، وتسوية التفاضل الطبقي القائم على منظومة القيم ذاتها. هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار تأكيد الدين على البعد الإنسـاني في العلاقات العامة داخل المجتمع المتعدد. فالناس في نظر الاسـلام إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

ويرى الكاتب أن التفاضل في القرآن يقوم على أسس منها:

– **التقوى**: مصـداقا لقوله تعالى، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"[1]. وفي المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى". ما يجعل "التقوى قادرة على كبح جماح النزوات الشيطانية لدى الإنسـان وخلق أجواء حميمية مفعمة بالحب والوئام"[2].

– **العلم**: وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في بعض آياته التي أشـار مضـمونها إلى أفضلية المؤمن الذي أتى علماً، التي ربما –بتعبير الكاتب– تشمل مطلق الإنسان

---

1 – سورة الحجرات، الآية: 13.
2 – المصدر نفسه، ص 118.

العالم، وليس شريحة خاصة. قال تعالى، "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ". ولا شك أن العلم الذي تنتفع منه البشرية يستحق التقدير والاحترام، ويصلح بجدارة لأن يتحول إلى قيمة تفاضلية، يفضل على أساسها الإنسان العالم، احتراماً وتقديرا لجهوده الخيرة في خدمة البشرية. أما إذا قام التفاضل على أسس لا إسلامية، ولا إنسانية، فهو ليس تفاضلاً؛ بقدر ما يكون تحقيراً للآخر ونوعاً من التعالي والإعجاب بالذات.

- **إطلاق الحريات العامة**، فهي تلعب دوراً كبيراً وفاعلاً في ترسيخ قيم التسامح بين أبناء الوطن الواحد. والعكس عندما يعيش الشعب الاضطهاد والكبت والحرمان، فإنه يفضي إلى الخوف والنفاق والتكتم واخفاء الحقيقة وانتشار العنف واللاتسامح. ويبقى الوضع في حالة ترقب وتأهب وإنذار مستمر، حتى تتحول النشاطات الفكرية والثقافية إلى حركات سرية. وهنا تكمن الخطورة، والحل هو الحرية؛ وفق ضوابط معقولة ومقبولة.

وفي الأخير أكد الكاتب على أهمية الرحمة التي تعتبر عامة لا تختص بفرقة أو جماعة وإنما هي شاملة. وهو ما عبَّرَ عنه قوله تعالى، "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ". وما لا ريب فيه، إنه حيثما كانت الرحمة فلا كراهية ولا إكراه، وذلك أن الكراهية من لوازم العدوان والنقمة، بينما الرفق والعطف والرأفة والعدل والإحسان من لوازم الرحمة.

قراءة في كتاب : مقتضيات الحكمة في التشريع
نحو منهج جديد لتشريع الاحكام
للباحث ماجد الغرباوي

بقلم: د. حسن البصام[1]

ضمن حفريات واجتهادات المفكر والباحث الاستاذ ماجد الغرباوي صدر كتاب "مقتضيات الحكمة في التشريع" نحو منهج جديد لتشريع الاحكام.. عن مؤسسة المثقف – دار امل الجديدة / سوريا.2024م.. وهي ضمن بحوثه الحرة اسماها " متاهات الحقيقة" ينقب في ركائز الثوابت في التفكير والمعتقدات.

وقد نوه الباحث الى ان مشاريع التجديد تهدف الى رقي الفقه نحو مستوى الواقع، ويسعى لارتقاء الاسئلة الفقهية الى مستوى التطورالحضاري والمعرفي.. كلما تطور المجتمع علميا كلما كان بحاجة الى اجابة تتناسب مع حجم هذا التطور لمسايرة تعاملاته اليومية، خاصة المادية منها التي ارتقى التطور بها الى الحد الذي وجب ايجاد وسائل تعامل جديدة باتت تشكل تداولا يوميا ونمطا مسايرا لوجود الانسان، فلا بد من وجود " منهجا جديدا لملء الفراغ التشريعي" خاصة مايتعلق بالتعاملات المالية في البنوك والمصارف وزراعة الاعضاء البشرية او التبرع بها او الذكاء الصناعي وتطور الجينات وغيرها.

كما هو معلوم ان الفقه ظهر لسد الفراغ الموجود بعد الرسول الكريم، بظهور المذاهب الفقهية التي اعتمدت الخلاف في التفسير منهجا مستقلا لكل معتقد، وهو سد فراغ لتجدد حالات بتجدد الظروف الاجتماعية والعلمية التي تستوجب تاسيس ميزان فقهي لكفتي الحلال والحرام.. التطور متسارع والموقف الاخلاقي والعقائدي

---

1 – كاتب وأديب وناقد أكاديمي

يبحث عن الطمأنينة في التطبيق، لابد من ارتقاء الفكر الفقهي الى مستوى هذا التطور؛ وهو شغل الباحث الغرباوي في هذا الكتاب.. الذي شغله اختلاف الفقهاء هو " قيمة العقل وما هي حدوده وهل هو مصدر من مصادر التشريع ام لا ؟" الغرباوي يبحث عن العقل الحر غير المكبل باطرافكار رجال الدين الجاهزة التي لا تواكب التطورات التي اشرنا اليها..يقول الباحث" ينبغي اعادة النظر بالفقه ودوره التشريعي،فليست ثمة قداسة لاي منجز بشري،وليس سوى (منهج مقتضيات الحكمة في التشريع)الذي نقترحه،منهجا صالحا لملء الفراغ التشريعي". هو باتجاه التوسع في الاستنباط او القياس مجاراة للتطور. وهي من تطبيقات الكتاب او السنة.

ان التفقه ليس حصرا على احد، ولم تمنح الخصوصية الى علماء او اشخاص بعينهم، وهو ليس ترفا او استخفافا،انه علم من علوم الحديث والكلام والمعتقد يهدف الى التطبيق الصحيح للكتاب والسنة المطهرة، ومثلما كان مجتمعا منغلقا محددا متشابها لاخلاف في التطبيقات انذاك لوضوح الافعال والاسباب...فان التطور المذهل بشريا وعلميا ينبغي ان يسايره بذات القوة فقه يرتقي بالمألوف الى مستوى المستجد.وهذا الكتاب هو امتداد فكري لما سبقه من اصدارات متعددة للباحث في حرية الفكر والمعتقد وتحريك الثابت منها لمسايرة العصر ومنجزاته.

تناول في الفصل الاول منه " اشكاليات التعارض بين الشريعة والاخلاق " وهذا من الفصول المهمة لما تحدثه الاحكام المتطرفة في خلق فقه عدواني يهدف الى تدمير الانسان وتحطيمه خاصة احكام الجهاد والرق والمراة والحدود والقصاص وغيرها من المنظومات الاخلاقية والسلوكية والعملية التي لها صلة بمنهج استنباط الاحكام الشرعية.

وحسب ماشار اليه الباحث ان البحث يهدف الى " تحري حقيقة التعارض بين الشريعة والاخلاق" وكذلك الى نقد مرجعيات التفكير الديني. والى تحري الوعي من تراكمات التراث والعقل التراثي في فهم النص. وكذلك يهدف الى تاسيس منهج جديد لملء الفراغ التشريعي.

وتناول في الفصل الثاني " فرضية مقتضيات الحكمة في التشريع" او ما أسماها بـ "عقلنة التشريع " يتحرى فيه " صدقية التعارض بين الاحكام والاخلاق" الذي ياخذ بنظر الاعتبار "محورية الانسان ومصالحه".

وهو يطرح فرضية مفادها " ليست الاحكام في الشرائع السماوية معطى نهائيا،بل ان تشريعها يجري وفقا لمقتضيات الحكمة ومبادئ التشريع في افق الواقع وضروراته "

ومنطلقات فرضية الحكمة في راي الباحث هي: "انتفاء البعد الميتافيزيقي للاحكام..وكذلك لاتحول قداسة النص /الحكم الشرعي دون مقاربته وفهمه،مادام مفهوم القداسة يتعدد بتعدد زوايا النظر.وكذلك تفاوت مستوى الالزام في الاحكام الشرعية بين الوجوب والاستحباب او بين الحرمة والكراهية مثلا ليست مسالة تعبدية،بل محكومة لمبادئ وقيم تحدد مستواه."

وفي الفصل الثالث تناول" الفراغ التشريعي ومتطلبات الواقع" والذي يقصد به" كل حكم لم يرد فيه نص صريح في مقامه،او تلك المساحة التشريعية التي ترك الاسلام ملأها للدولة او أولي الأمر في اطار اهداف الشريعة".

بينما في الفصل الرابع تناول "الاسس الاخلاقية للتشريع" التي تبحث في مركزية العدل وعدم الظلم باعتبارهما قيمة اخلاقية.والسعة والرحمة..وهي الانتقال من العسر الى اليسروالتحرر من التشريعات السابقةوكذلك المساواة في الاوامر العبادية والتشريع الا ما يتعارض مع القيم الاخلاقية.. وكذلك مراعاة الواقع باعتباره منهجا من مناهج الحكمة وهو موضوع الحكم. اي حين يتغير الواقع يتغير الحكم..يقول الباحث: " لذلك يفشل كل فقيه لايراعي شروط الواقع وحاجات الانسان، وهذا احد اسباب فتاوى العنف والارهاب والكراهية ".

وفي الفصل الخامس تناول المؤلف "التشريع وفق مقتضيات الحكمة" يقول الباحث" التشريع اذن متاح للخبراء والمتخصصين وفقا لمقتضيات الحكمة، يتقدمهم

الانبياء،وهم اولى ولاريب بترتب الاثار المعنوية والمادية وهي تتصـــدى لتنظيم مناحي الحياة ".

وفي الفصـــل الســـادس تناول" الفقيه وســـلطة النص" قائلا " ليس من الســـهل تعطيل او تعليق اي حكم شرعي في مجتمع مرتهن لقداسة الدين، اضافة لرمزيته التي تبعث الرهبة والوجل في نفس الفقيه قبل غيره فتجده يتشـــبث بالاحتياط ولو على حساب الانسان والمجتمع"

وتناول في الفصل السابع " حاكمية الدليل الاخلاقي" يقول" ان استنباط الحكم الشـرعي ليســت بريئة ولا حيادية، وتتاثر بمرجعيات الفقيه وقبلياته وثقافته وعقيدته، وبأدلته ومقدماته ومنهجيته في استنباط الحكم واصدار الفتوى ".

وقد اشـار الى وجود اسباب عديدة عجز الفقه عن مواكبة التطورات الحضـارية في مجال حقوق الانســان والقضـــاء وغيرها منها : ارتكاز الفقيه الى قيم العبودية في فهم الدين وتهميش الاخلاق.

وتطرق الى العديد من الرؤى ووجهات النظر الفقهية في بقية الفصـــول التي شـارفت على الفصـل الثاني عشـر، حيث اوصـلنا الى يقين عبر صـفحات الكتاب المتكون من 422 صـــفحة، انه لم يكن الفكر التنويري الذي نهجه الباحث ماجد الغرباوي وليد اليوم..انه مرتكز على اصـــرار وتحدي لتحرير العقل من عبودية التبعية وظهرت نتائجه البحثية عبر العديد من الكتب التي حركت الســـاكن والراكد من خلال تحريكه عتبات يظن الاخرون انها مقدســـة....انه يســـعى باتجاه تنوير العقل العربي، كما فعله الفلاسفة والكتاب العرب والغربيين من خلال تحديهم للفكرالمتخلف التبعي السـائد انذاك، حتى انهم لاقوا التسـقيط او التصـفية او المحاربة انه ينقل العقل العربي من تقـديس لاواعي الى تحرير بما بتناســـب مع التطور البشـــري والعلمي والاجتماعي من خلال مناقشـــة التراث والتراكم المعرفي الممتد عبر قرون الذي لم يجرأ انذاك على المســاس به او تحريك عجلته بعصـــا التغيير، فهو يعتمد ومن خلال هذا الكتاب المهم الى مناقشة الفقه الديني مستندا الى الكتاب والسنة والفكر الحر وتراكم

الثقافة والمعرفة، ليرتقي بالفكر الديني بموازاة التغيرات المجتمعية والسـلوكية التي طرات على الانسـان والمجتمع، وهو يسـعى الى ان يعيش الانسـان بطمأنينة وعدالة ورقي عبر اشـباع حاجاته اليومية المتغيرة مع التطور بعيدا عن التسـقيط او التهديد او الاعتقاد بغضب الله وعقابه.

ماجد الغرباوي

باحث في التراث الإسلامي بوعي معاصر

بقلم: الأستاذ صالح البياتي[1]

مقدمة: من نافل القول ان نعرّف الأسـتاذ ماجد الغرباوي لقارئ المقال، فهو غني عن التعريف لمن قرأ له كتابا من كتبه العديدة، سـواء المطبوعة أو المتاحة على الإنترنيت. ولكن للضرورة التي يقتضيها موضوع المقال أبحنا لأنفسنا ذلك.

الأستاذ ماجد الغرباوي؛ باحث مثابر دأب الحفر في طبقات التراث الإسلامي، التي ران عليها التحجر والجمود، في عملية شاقة، بحثا عن حقيقتها ومدى صدقيتها، وفق منطق العقل والعقلانية، وهي عملية نقدية تتطلب خبرة في التراث وطرق تناوله. لهذا يقول وهو يسـتعرض صـعوبة تحدي التراث الفقهي باعتباره جزءا من التراث بشـكل عام، لقوة رسـوخه وتداخله مع إشـكاليات أخرى: "... التراث الفقهي جزء من إشـكالية أوسـع، تخص الموقف من التراث بشـكل عام، وهي أشـكالية ملتبسـة جداً، وقد دار حولها جدل واسع، واختلف الموقف منها. فالتراث يمثل جزءاً اساسيا من هوية الامة، لا يمكنها التخلي عنه، بل ولا إتخاذ موقف محايد منه، لأننا أمة تراثية، لا تعيش خارج التراث"[2]. وهو هنا يقصـد التراث الفقهي على وجه خاص، وليس عمومه. ولا شـك أنه جهد كبير، فالتراث الفقهي تراث واسع ومتشعب يحتاج الى كفاءة لنقده وتمحيصـه. التراث له أدواته القوية التي يسـتخدمها، لكبح حركة المجتمع وتعطيل طاقته وقدرته وشلّ وعيه، فيتطلب نقده أدوات أقوى وأقدر على بيان

---

1 - أديب وكاتب - أستراليا

2 - الغرباوي، ماجد، التسـامح ومنابع اللاتسـامح.. فرص التعايش بين الاديان والثقافات، الحضارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، بغداد – العراق، 2008م، ص 25.

حقيقته. لهذا يخلص للقول بجرأة وشجاعة، خالية من التحدي الكبير، بل كما عرفناه باحثا عقلانيا في رؤيته للواقع، يقول "فنحن بحاجة إذاً إلى إعادة تنظيم علاقتنا بالتراث واتخاذ موقف واضح منه، يحررنا من سلطته واستبداده وسطوته، ويحفظ له مكانته التاريخية"[1].

يثير هذا الطرح سؤالين، الأول: هل هناك تداخل بين التراثين، الفقهي، والثقافي والإجتماعي، بحيث من الصعب الفصل بينهما؟ أم هناك ما يميز كل واحد من هذه الأقسام؟.

والسؤال الثاني: كيف يمكننا الحد من استبداد التراث مع الحفاظ على مكانته التاريخية في آن واحد؟ (سواء كان التراث الفقهي أو الثقافي الإجتماعي)؟. وأسئلة كثيرة تفترع على هذين السؤالين.

يذكرني وضعنا في هذه الإشكالية، بكهف إفلاطون، حيث يختبئ أناس في ظلام الكهف، وعندما يرون الشمس خارج الكهف، يحسبونها ناراً متقدة تحرقهم، إذا حاولوا الخروج والإقتراب. ولذلك قلنا ان الأستاذ الغرباوي باحث في التراث بوعي معاصر، تدور كتاباته حول الوعي، يؤكد ويراهن عليه دائما.

ظهرت كلمة الوعي في تعريفها البسيط عند جون لوك: "بأنه الإحساس بما يمر بعقل الإنسان". وأما الوعي في نظر ماجد الغرباوي الذي يعول عليه في آرائه التنويرية فهو يعني: (إدراك الحقيقة، وتشخيص الواقع، وتحديد الأولويات، وتمييز الالتباس واكتشاف التزوير. فالشعوب الواعية شعوب يقظة متبصرة.. والإنسان الواعي لا يتهيب الممنوع، وإنما يتوغل في الشك حتى يفهم الواقع ولا تضلله الشعارات، ولا يستغل، وإنما هو إنسان مرهف الحس، قلق، متوثب، يصغي ليدرك ويناقش ليفهم، ولايتحرك إلا عن قناعة ورؤية واضحة[2]. ويقول في موضع آخر: (والوعي يعني إدراك الواقع وفقه ملابساته وتشخيص أخطائه بعد تفكيك مكوناته ومحاكمة أنساقه.

---

1 - المصدر نفسه.

2- - الغرباوي، ماجد: إشكاليات التجديد، مؤسسة المثقف، سيدني – استراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط3، 2017م، ص 35.

والشـــخص الواعي مرهف الحس، شـــديد الحســـاســـية أزاء التزوير والمغالطات، فلا يتكيف مع الواقع المزوّر، بل يعيش في حالة من الغليان والثورة الداخلية ضـــــد القيم المصطنعة، ويتطلع باستمرار إلى التجديد والإصلاح. أو يعيش حالة إغتراب داخلي، تعيق حركته)[1]. بل أنه يرتهن النهضـة بالوعي، حينما يقول: (عندما ننقب في ماضـي الحضـارات المتطورة بحثا عن عومل نهوضـها سيتمثل أمامنا الوعي في صناعة نهضتها، كما سـيتضـح أن التطور الحضـاري يبدأ دائما من أول بوادر الوعي، بل إن صـدقية التطور على أرض الواقع، إنما يتحقق إذا أتيح للوعي أن يســود المفاصــل الحياتية في المجتمع)[2].

من جانب آخر، ينظر الفلاســـفة، وعلماء النفس، وعلماء الأحياء، أو علماء الإجتماع الى الوعي بطرائق متمايزة، وكذلك تفعل العامة الذين يســـمعون ليلاً ونهاراً أن بعض المسائل فشلت أو أنها تفشل في دخول "وعيهم"، ولابد من أنهم يتساءلون فيما إذا كان الوعي هي التســمية النخوبة المثقفة، التي تدل على حالة "اليقضـة " أو الإنتباه أو ببساطة على وجود عقل"[3].

إخفاقات الوعي

في كتاب (إخفاق الوعي الديني، حوار تداعيات النكوص الحضـــاري)[4]، الذي هو كتاب حواري، يتكلم عن الوعي ودوره في النهضـة المرتقبة، وينسـب للوعي تقدم ونكوص الأمة بالدرجة الأولى ثم تأتي العوامل الأخرى. بدءا هناك ملاحظة هامة جدا، وأنا أتناول في هذه الفقرة طريقته في الحوار، حيث يســـمي أســئلة المناقشـــة

---

1 – الغرباوي، ماجد، الهوية والفعل الحضاري، مصدر سابق، ص 89.

2– المصدر نفسه.

3 – الإحســـاس والمعرفة والوعي، كيف تصـــبح العقول واعية ص 107 – 108، أنطونيو داماسيو ، ترجمة د. عامر شيخوني ، الدار العربية للعلوم ناشرون ط / الأولى 2022.

4 – إخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكوص الحضـــاري، حوار ســـلام البهية السـماوي مع ماجد الغرباوي، مؤسـسـة المثقف، سيدني – أسـتراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2016م.

الحوارية بـــ (بَوصلة المتحدث) وهذا التعريف العلمي يحسب له. فأسئلة المحاور تعتبر بوصلة تكشف عن مستواه العلمي والثقافي، وقدرته على الحوار وطرح الأسئلة. يقول وهو يرد على أحد الأسـئلة: (تبقى الأسـئلة بوصـلة المتحدث)[1]. فالغرباوي بامكانه اكتشاف محاوره من خلال اسئلته التي تكشف عن مدى وعيه للسؤال.

في القسـم الأول من كتاب إخفاقات الوعي الديني، طرح الأسـتاذ سـلام البهية السـماوي، اسـئلة في غاية الأهمية، غطت جوانب فكرية متنوعة، مثل: التفاعل الحضاري، الفلسفة الأسلامية، العلاقة مع الغرب (صراع أم حوار)، التطرف الديني، القرآن والتطور الحضاري، التخلف الحضاري واسبابه، النهوض الحضاري، إشكالية الفكر التكفيري، اليقين السـلبي، التجديد ضـرورة حضـارية، من أين يبدأ التجديد، وغير ذلك. ومن كل سؤال تفرعت اسئلة، ذات صلة به لإغناء الحوار. وهنا استشهد ببعض الأسئلة، ورد الغرباوي عليها، لعلاقتها بموضوع الوعي، عنوان هذا المقال:

- لنأخذ موضوع الفوارق الحضارية بين الغرب والعالم الإسلامي: يسأل السائل: في رأيك، هل تعتبر الحضارة الإسلامية نداً للحضارة الغربية، ولو في بعض جوانبها؟ ولماذا؟. فجاء جواب الغرباوي واقعيا وموضوعيا، حينما قال: (النديّة تحتاج إلى تكافؤ بين الطرفين. أو يكون الفارق الحضـاري من الضـآلة ما يسـمح بالتناد بينهما. فهل تعتقد أن واقع المسـلمين الآن يصـلح أن يكون ندا للحضـارة الغربية؟)[2]. والجواب يكفي شـاهدا على وعي المتحدث للفارق الحضـاري بيننا وبين الغرب، ويدرك جيدا هناك شـروط للتكافؤ غير متوفرا حاليا في حضـارتنا، لذا يقول: (لا أحد يرى ذلك حتى المسلمين أنفسهم)[3].

- وللنتقل الى سـؤال آخر، يطلب السـائل فيه تعريف مفهوم (اليقين السـلبي)، الذي طرحه الباحث الغرباوي في كتابه إشـكاليات التجديد وأشـار له في هذا الكتاب. نرى الغرباوي يبدأ أولا بتعريف مفردة اليقين فيقول هو نوع من الإيمان، ثم

1 - المصدر نفسه، ص 78.
2 - المصدر نفسه، ص 18.
3 - المصدر نفسه.

يتوسع في الجواب، ويضرب أمثلة لتوضيحه، فيقول في تعريفه: (اليقين السلبي، هو حزمة جزميات وقناعات راسخة ؛ توجه وعي الإنسان وتضبط سلوكه وحركاته ومشاعره)[1]. ويضرب أمثلة على ذلك كايمان الفرد بقوى خارقة، يستعين بها لتحقيق مآربه، دون سلوك الطرق العلمية والطبيعية، كتسخير الجن وتحضير الأرواح[2]. فتكون النتيجة أن "الفرد يتقاعس عن العمل وطلب الرزق؛ بانتظار أن تقوم الجن بعمل خارق تلبي من خلاله جميع طلباته. أو إيمان الشخص بقدرة الأولياء والصالحين على معالجة المرض، وقضاء الحاجات، فيكتفي بأعمال تقربه لهم بدلا من مراجعة الأطباء. وسلسلة اليقينيات، كما يقول تتناسل في ثقافتنا، لا تنتهي، ولا تقف عند حد، (ولعل أخطرها مجال العقيدة والفكر، حينما يعتقد الإنسان انه على حق مطلقا وغيره على باطل مطلقا. وتارة الباطل يعني الكفر، مما يسمح بتكفير الآخر، وربما استباحة دمه كما يفعل المتطرفون الاسلاميون، من اتباع الحركات التكفيرية)[3].

وبعد أن عرّف الأستاذ ماجد الغرباوي اليقين السلبي؛ راح يبين ضده، أي اليقين الإيجابي، فيقول: (اقصد باليقين السلبي: "ما يعيق الفعل الحضاري من جزميات وقناعات راسخة". ويقع على الضد من اليقين الإيجابي. فايمان الفرد بوجود خالق ويوم حساب بعد الموت يعد يقينا ايجابيا لانه يعزز التقوى ويعضّد وازع الخوف، ويحول دون ارتكاب المحرمات والموبقات)[4].

ودائما تجد الوعي حاضرا في ردوده وأجوبته فهو عندما يفسر ظاهرة اليقين السلبي ومخاطرها يربط ذلك بالوعي الذي هو محور كتاب إخفاقات الوعي الديني، فالمهم لديه عدم تضرر وعي الإنسان كي لا ينزلق الى متاهات الظلام الطقوسي، يقول: (لقد افرز لنا اليقين السلبي نمطا من السلوك، ارهق وعي الفرد والمجتمع، وصادر حريته وارادته، وسخر كل امكانياته، من أجل طقوس وتقاليد ما انزل الله بها من سلطان. بل تمادى الخطاب الطقوسي القائم على اليقين السلبي، ففضل الطقوس

1 - المصدر نفسه، ص 59.
2 - المصدر نفسه.
3 - المصدر نفسه، ص 60.
4 - المصدر نفسه، ص59.

على العمل الصـــالح)[1]. ويضـــيف: (ولعل من اســـباب هذه اليقينيات... ســـذاجة الوعي)[2].

وهنا نقطة جديرة بالانتباه أن الأســـتاذ الغرباوي لا يفرق بين شـــخص وآخر في حوارته، سواء من اتفق مع رأيه أو خالفه. كلاهما على قدم المساواة، بغض النظر عن علمه او مســـتواه الثقافي، وهذه صـــفة العالم المتواضـــع. اضـــرب أمثلة على ذلك من حواراته على منصـــة التواصـــل الإجتماعي (الفيس بوك) والتي دارت بينه وبين المعلقين على منشـــــوراته. أقتبس مقتطفات منها بدون ذكر الأسماء كشـــــاهد على جديته وتواضـــعه، ومدى اهتمامه بمســـألة الوعي بالذات. المنشـــور: (قداســـة الرموز الدينية، تدفع بإتجاه أسطرتهم والإرتفاع بهم فوق البشر ودون الإله). بتاريخ 6-9-23.

فكتب أحد المعلقين: التقديس يتناسب طرديا مع الجهل.

- رد عليه الغرباوي: معادلة صـــــحيحة ولكن ليس مطلقا، وأحيانا لا فرق بين الإنسان الجاهل العادي مع غيره من ذوي الألقاب العلمية والفلسفية الكبيرة، المسألة مسألة وعي ومسألة تحرر داخلي. فهو يدور حول الوعي دائما.

- فيرد المعلق: نعم أستاذي.. لم أقصد الجهل وعكسه صاحب الشهادة، القصد الجاهل الذي لا يملك وعيا ويسير مع الراي الجمعي بغض النظر عن مدى تعليمه.

- يرد عليه: " نعم يا صديقي أوافقك الرأي "

لاحظ كيف أوصـــل الأســـتاذ ماجد الغرباوي فكرته للمعلق وأقنعه ان الوعي هو المعوّل عليه في الفهم الصحيح والتحرر من الجهل.

- ومعلق آخر كتب: أعتقد أن رجال الدين هم الســـــبب المباشـــــر في التقديس الذي يصل حد المغالاة.

---

1 - المصدر نفسه، ص 61.
2 - المصدر نفسه.

- ورد عليه: نعم يتحملون القسـط الأكبر، لكن تعطيل العقل بحجة القداسة سبب رئيس هنا.

هنا ركز الأستاذ ماجد الغرباوي بشكل اساسي على تعطيل العقل، وللإمام علي عليه السلام، قول في هذا الموضوع مذكور في نهج البلاغة: "أعوذ بالله من سبات العقل" فتعطيل العقل او استقالته هو سبات، يفقد معه العقل قدرته وفاعليته.

وأطرف تعليق قرأته يأتي في بدايته على شكل عتاب مازح:

- استاذ أبو حيدر على كيفك ويانه.. ثم يسترسل في نص أدبي طويل، عن الجذر الإنساني في الحالة الحسينية.

فيرد عليه الاستاذ الغرباوي بادب وكياسة، فيقول:

- لم يشر المنشور الى اي مصداق، لماذا افتهمت هذا منه، لا أدري.

وعندما يستمر المعلق بإسلوب إنشائي عاطفي.. لا يرد عليه، حرصا ألا يخرج الحوار عن صلب الموضوع، ويتحول الى سجال أدبي، أو جدل سوفسطائي عقيم، وهذا ما لا يريده الأستاذ الغرباوي.

أو مثلا يطرح أحد المعلقين سؤالا على الأستاذ الغرباوي، ليس له صلة بموضوع المنشور ويطلب منه جوابا عليه، فيقول:

- لو طُلِبَ منك أن تصف الحسين بن علي عليهما السلام، كيف تُقدمه لقرائِك الذين ينعتونك بالتنويري.

يجيبه بأدب جم، ولا يلتفت لكلمة ينعتونك.

- أجيبُك لو كنتُ ذكرته بالمنشور، تحياتي.

التسامح والوعي

قرأت (رسالة في التسامح) لـ جون لوك، ترجمها عن اللاتينية الدكتور عبد الرحمن بدوي، مركز دراسات فلسفة الدين. وللأستاذ ماجد الغرباوي قرأت كتاب (التسامح ومنابع اللاتســـامح، فرص التعايش بين الأديان والثقافات). والكتابان يبحثان في نفس الموضــوع، مع اختلاف الفترة الزمنية، فبينما يقتصــر التســامح لدى لوك على الديني، نرى الغرباوي يوسع دائرته لتشمل السياسي والاجتماعي والقومي، والإثني. ليكون بذلك تسامحا انسانياً. وقد استشهد بحديث نبوي شريف "كلكم من آدم وآدم من تراب" وآيات قرآنية ليؤكد وحدة العنصر البشري في الخلق[1].

الحديث عن جون لوك وتحوله من اللاتسامح الى مبدأ التسامح، كان هو الدافع الذي حدا بي لكتابة هذه الفقرة. إذ نجد لوك يتحول من النقيض الى النقيض في هذه المســألة، ذلك أنه كتب في عامي 1661 -1662 رســالتين عن التســامح اكتشفتا ضمن مجموع مخطوطاته، وخلاصة رأي لوك في هاتين الرسالتين هي أن كل الأفعال المستوية، مهما كان نوعها، تقع تحت سلطة من وُكِّل اليه التصرف في حرية وحياة كل فرد من أفراد الرعية، اي الحاكم المدني فله ســـلطة مطلقة على كل أفعال الناس في المجتمع، وعليهم ان يطيعوا القوانين التي يســـنها الحاكم حتى ولو كانت خاطئة. يرى لوك في هاتين الرســالتين ان التســامح هو مجرد اســم آخر للعصــيان والفوضــى. وهنا يعطي لوك الحق المطلق للحاكم على الرعية، ربما كان ذلك بسـبب الصــراع بين الســطلتين الدينة المتمثلة بالبابا، والســلطة الدنيوية المتملثة بالملك. لكن جون لوك لم يستمر على هذا الموقف طويلا، بل نجده في سنة 1667 يكتب (بحثاً في التسامح) لم ينشره في حياته، ونُشر البحث في مجلدين سنة 1876 بدأ يميل الى التســـامح، فيقول "ينبغي للحاكم المدني ان يتدخل في ما يؤمن الســـلام المدني وممتلكات رعيته" ثم يخطو خطوة أبعد انه ليس للحاكم المدني اي ســلطة على الرعية

---

1 - التسامح ومنابع اللاتسامح، مصدر سابق، ص 119.

فيما يتصـــل بالدين، لأن أمور الدين تخص الفرد والله فقط[1]. وبهذه الفقرة عن مبدأ التســـامح عند جون لوك، في كتابه (رســالة في التســـامح)، نكتفي لنتابع موضــوع التسامح مع ماجد الغرباوي في كتابه: التسامح ومنابع اللاتسامح.

يعتقد الغرباوي أن روح التســـامح تتضـــمنها جوهر الأديان، وإنْ لم تنص على المفهوم، لكن روحه تؤكده نصوص الكتب المقدسة، فــ(اننا امام مفاهيم "كالتسامح والتعددية" ليست غريبة في روحها عن اصول ديننا وعقيدتنا، وانما اقصتها القراءات الاحادية والفهم المتحيز للدين)[2]. إما اللاتســـــامح فإنه بعيد عن روح الأديان المتســامحة، باســتثناء بعض الحالات التي لها تفســيرها الموضــوعي، غير المخل بقيم التسـامح التي تدعو لها الاديان بصـيغ مختلفة، لكن من أين جاءت قيم اللاتسـامح؟ ما هي مناشؤها؟. وهذا ما قام به الأستاذ الغرباوي؛ حيث تقصى منابع اللاتسامح، ودعا الى تجنيها ومكافحتها تمهيدا لقيم التســـامح: منطق العنف، الولاء القبلي (العصبية)، سلطة القيم، الأستبداد السياسي والتطرف الديني.

منظومة القيم تتقاسمها العشــيرة والدين والموروثات الشــعبية، وكل قيمة أخلاقية تنتمي في مرجعيتها الى واحدة أو أكثر من المصـــادر المذكورة، فهي اما ذات مرجعية دينية أو وضعية سياسية أو اجتماعية معينة أو موروثات شعبية متراكمة، وهذه تنتج مقاسات للتفاضل وأسس التعامل مع الآخرين، كالتسامح والتعصب، ورفض الآخر وتهميشه هو جوهر الأستبداد السياسي. يقول الباحث في هذا الصدد: (التسـامح نســق قيمي واخلاقي يراد احلاله محل النســق القيمي والاخلاقي الذي ما زال يدير حركة المجتمع ويحدد اتجاهاته، وهو نسق وليد منظومة قيم موروثة تشكلت عبر ماض ســحيق، ظل الشــعب يتوارثها ويتعهدها ويلتزم بها ويحافظ عليها. وطبيعة هذه القيم انها تتقاطع مع قيم التسامح، لانها تكرس صفة العصبية والرفض والاقصاء. فلا يمكن للتســـامح ان يكون فاعلا مؤثرا في مجتمع ما زال يتعهد تلك القيم الموروثة ويلتزم بها.

---

1 - جول لوك، رسالة في التسامح، ترجمها عن اللاتينية الدكتور عبد الرحمن بدوي، اصدار مركز دراسات فلسفة الدين، ص 41-44 .

2 - أنظر كتاب: الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح، مصدر سابق، ص 22.

أي ما زال يتمثلها قيما اخلاقية يستمد منها وجوده ومكانته داخل الوسط الذي يعيش فيه. ولا يمكنه التخلي عنها او التنكر لها، لان في ذلك –كما يعتقد – مصادرة لموقعه وقيمته التي هي رأس ماله الاجتماعي، وعلى اساسها يقيم علاقاته ويتخذ مواقفه من جميع القضايا، بل ويعتقد انها اساس وجوده)[1]. ويضيف: (وتتعدد منابع اللاتسامح تبعا لطبيعة المجتمع ثقافيا وفكريا وعقيديا، وايضا تبعا لمستوى حضور الدين ومدى تمسك المجتمع بالقيم الدينية والاجتماعية. لكن ثمة منابع تعد الاهم بينها، وهي المنابع التي تفضي الى التعصب الديني والقبلي والسياسي، وما ينتج عنها وما يعمق وجودها ويركز فاعليتها من مفاهيم وقيم)[2].

وقد استشهد الأستاذ الغرباوي بآيات كثيرة من القرآن الكريم، لتأصيل مبدأ التسامح، بعد أن تكلم تفصيلا عن منابع اللاتسامح واحدة بعد أخرى، كشف عن جذورها، وبيّن أبعادها ومخاطرها وتداعياته. أما قيم التسامح فهي قيم انسانية، نابعة من الرحمة الإلهية. وأما ما يُنعت به الاسلام من تطرف وإرهاب فهي آراء شابها الكثير من التحامل، على الاسلام وطمس مقاصده الإنسانية، نتيجة لتاريخه الذي طغى عليه العنف وسفك الدماء، وهو تاريخ السلطة التي تمادت في سفك الدماء باسم الدين لكن للاسف الشديد حُسبت على الاسلام. وإلا فآيات التسامح التي أدرجها في الكتاب أكثر من 60 آية، غيبها النسخ، وعطل فاعليتها. جميعا آيات رحمة وتود ومغفرة وتسامح مع الآخر، كما يقول الباحث الغرباوي في كتابه التسامح ومنابع اللاتسامح[3].

---

1 - المصدر نفسه، ص 25.
2 - المصدر نفسه.
3 - المصدر نفسه، ص 143-149.

السياسة والوعي

ظل الباحث ماجد الغرباوي، يتابع مسألة الوعي، تارة يراهن على الوعي وأخرى ينسب المظاهر السلبية والنكسات الحضارية الى رثاثة الوعي، فهو يتوجس كثيرا من الوعي السلبي، ففي كتابه: (جدلية السياسة والوعي.. قراءة في تداعيات السلطة والحكم في العراق)[1]، راح يستعرض مشاهد السلطة في العراق، من خلال تتبع وعي الشعب عبر مواقفه من المواطنة، الاستعمار، المليشات، القيادة، الاحزاب السياسية، المرجعية الدينية وغير ذلك. وقد عقد المحور الثالث لموضوع: أزمة الوعي السياسي، كما خصص المحور السابع إلى: الوعي الحضاري. فالكتاب يدور حول الوعي السياسي بالدرجة الأولى.

ولنأخذ مشكلة المحاصصة الطائفية، التي نختتم بها المقال، وتلك ابرز مشكلة ما يزال يعاني منها الشعب العراقي، ترقى للمعضلة او المرض العضال، يتعمق الأستاذ ماجد الغرباوي في الحفر ليصل لجذورها الضاربة في عمق التاريخ، فهو لا يعتقد أنها حدثا وقتيا طارئاً، أوأنها ستزول بمجرد اتفاق بين الكتل السياسية، التي تتصارع على الحكم، وعلى اساس هذا التحليل العلمي لا يصدر حلولا استهلاكية جاهزة للتطبيق، لا تلامس الواقع المتأزم في العراق، والتحولات السياسية التي ساهمت في خلقه في مرحلة من أصعب واخطر المراحل التي يمر بها العراق، منذ عام 2003 وحتى الآن، وإنما يرى (أن ظهور الطائفية في زمن الحرية يفضح عمقها وتجذرها، ويكشف عن وجود عوامل خفية كانت تعمل على تغذيتها وكبتها في آن واحد، وما لم نقف على تلك الأسباب لا نستطيع فهم الظاهرة وكيفية معالجتها والتخلص منها)[2]. وهذا ليس مجرد رأي شخصي، وإنما استقراء واستنتاج، طريقة علمية، هي أحد طرق البحث في علم الإجتماع، عند دراسة مشكلة اجتماعية ما.

---

1 - صدر عام 2016م، عن المركز العلمي العراق – بغداد.
2 - المصدر نفسه، ص 163.

ويستنتج الباحث "أن العراق برع في قدرته على التعايش السلمي بين المذاهب والأديان المختلفة، إلا ان ألإستبداد السياسي كان السبب الأساس في تسرب شحنات سالبة الى الشخصية العراقية، وكان المصدر في تغذية الحس الطائفي"[1].

بينما يجعل الوردي من البداوة المؤثر الأهم في إزدواج الشخصية العراقية[2]، يقول "ان العصبية المحلية تنمو في نفس الطفل، فيتعصب لأبناء محلته، وقد تتحول هذه العصبية المحلية الى عصبية عشائرية او طائفية او دينية، أو ما اشبه، وهكذا ينشأ العراقي وهو شديد التعصب لدينه وطائفته، بينما هو لا يعرف من واجبات الدين شيئاً"[3].

وبعد كل هذا التحليل والاستنتاج العلمي يقترح الغرباوي؛ الحل المناسب لمشكلة الطائفية، التي انتجت الفساد المالي والإداري، وبددت ثروات طائلة كان العراق بأمس الحاجة اليها للإعمار، يقول الأستاذ الغرباوي في معرض اقتراحه لحل عملي واقعي ما يلي:

(.... ليس في الكلام تحريض، او تكريس للخطاب الطائفي وإنما هي قراءة موضوية للمسألة الطائفية وفهم لها في ضوء خلفيتها التاريخية، واسباب تبلورها وتشكلها، من أجل الوصول الى تسوية ناجحة، مادامت لم تخرج عن السيطرة، وما زالت تتحرك على مستوى حقوق تاريخية مهضومة)[4]. ويضيف: يمكن التخلص من الطائفية كمعوق من خلال الإستجابة لها وإشباعها (تحليل نفسي) وأول خطوة على

---

1 – المصدر نفسه.

2 – مقاربة في تحليل الشخصية العراقية بين الغرباوي وأستاذي الدكتور علي الوردي، والفرق بينهما ان الوردي يركز على الموثر القبلي في الصراع بين البداوة والتحضر، في كتابه (شخصية الفرد العراقي، بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الإجتماع الحديث)، بينما يرى الغرباوي للمؤثر السياسي التأثير الأكثر.
منشورات دار ليلى – لندن، الطبعة الثانية 2001

3 – المصدر نفسه، ص 50.

4 – المصدر نفسه، ص 166.

الطريق الصحيح هو وعي الواقع. والقبول بالحقيقية، (لم يقل قبول الواقع) والإستجابة للتنوع الموجود على الساحة العراقية، كي يشارك الجميع في رسم مستقبل بلادهم[1].

هذا ملخص مبتسر لا يغني عن قراءة الكتاب، للتوسع في الوقوف على طروحات الأستاذ الغرباوي التي اشاد العديد من الكتاب الأكاديميين في هذا الحقل المعرفي، أعني دراسة التراث وتداعيات تأثيره على تاريخنا المعاصر.

وبذلك قدم لنا تحليلا سياسيا تاريخيا، وليس براغماتيا نفعيا، يصب في مصلحة جهة معينة. الغرباوي ينأى بنفسه ان يحابي أو يصطف مع جهة معينه.

عن الإمام علي بن ابي طالب (ع):

"لا يقيم أمر الله سبحانه وتعالى إلا من لا يصانع؛ ولا يضارع؛ ولا يتبع المطامع"

---

1 - المصدر نفسه، ص 164- 166.

ثقافة التسامح
في فكر الباحث ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ صباح محسن كاظم[1]

من نافلة القول جميع الشرائع السماوية، وكل التقنينات والتشريعات الوضعية القانونيه تدعو لثقافة التعايش والتسامح بين الاديان والشعوب، ..بالطبع عالمنا المعاصر وبعد الازمات العاصفة بالارهاب في مناطق عدة من العالم يرنو إلى عالمٍ يخلو من العنفِ.. وثقافة القتل.. وتقارب الافكار بالحوار، وإذابة جليد العقد المستعصية بين الاثنيات ..والطوائف.. والاديان في العالم..فهناك مساحات مشتركة بين الانسانية بالايمان بخالق الكون وبعثة الانبياء والعمل الصالح لمنفعة البشرية بكل الاتجاهات الثقافية.. العلمية..الصناعية..الزراعية.. إلخ من الجوانب التي تستوجب التعاون الدولي..

إن ديننا الاسلامي ومن خلال دعوة القرآن الكريم والنبي العظيم محمد –صلى الله عليه وآله– وأئمتنا المعصومين وصحابة المصطفى الابرار قدموا دروساً في الحضارة الانسانية تدعونا للتمسك بتلك القيم، والمثل، والمباديء التي هي نبراس يهتدى بها، ..

فالدعوة الحقة هي السلام، الوئام، التعايش، التعاون، التآخي.. لكن ثقافة القتل هي صناعة الطغاة بأمتياز شرعها ابو سفيان ومعاوية ويزيد والحجاج والسفاح وصدام وبن لادن وجميع من إتخذ الارهاب وسيلة لقمع الحريات..

---

1 - كاتب وباحث - العراق

ففي كتابيه (التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الاديان والثقافات) وكتابه الآخر (الضد النّوعي للإستبداد.. استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني) وجدت إن الرؤية الثاقبة لتحليل القضايا بشقيها- الماضوية والآنية- تتسم بالعمق، الشمول، التحليل المنطقي للأحداث مع معالجات لنزع فتيل الأزمات، وإستبدالها مفاهيم الحرية الفردية العقائدية وحقوق الانسان وهذا لعمري صميم الاطروحة الالهية في العقائد السماوية..

الشللية التي أصيبت بها الامة من الافكار المنحرفة عن مباديء الرسالة والقيم المحمدية والعلوية والحسينية أحد ابرز انتكاسات العقل المتحرر وبالتالي النكوص والتراجع الحضاري، فيما الامم تخطو سريعاً نحو البناء الحضاري بالتكنلوجيا والعلم والثقافة الحقيقية، فحققت الازدهار والتقدم، أما الضمور الحضاري الذي نشهده بالعودة الى إعتناق أفكار السلف التي تنبع من عقد إقصاء وتهميش المنهج المحمدي الاصيل بإقصاء من يحاول إتباع الحق وعدم مهادنة الباطل والانصياع للطغاة وهذا ماسار عليه أئمتنا الاطهار من إمام المتقين علي بن ابي طالب وسيد الشهداء الامام الحسين –عليهما السلام- والعترة الطاهرة والصحب الابرار بمحاولاتهم إتباع المنهج القرآني بإقامة دولة العدل وإنصاف الفقراء وتحقيق العدالة الاجتماعية ونبذ العنف..

يطرح الباحث ماجد الغرباوي في المقدمة من كتابه الاول (لم يبق أمام الشعوب الاسلامية خيار للحد من ثقافة الموت والاحتراب والعداء والاقصاء المتفشية في كل مكان، سوى تبني قيم التسامح والعفو والمغفرة والرحمة والاخوة والسلام، لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف الى مساحة للحوار والتفاهم بدل الاقتتال والتناحر، وهو عمل صعب يستدعي جهودا يتضافر فيها الخطاب الاعلامي مع الخطاب الثقافي والديني والسياسي والتربوي.......)[1]. إن أزمة العقل التفخيخي المدمر التي تمليء عالمنا المعاصر من خلال فتاوى التكفير، ونشر ثقافة الكراهية والاستهانة بجماليات الحياة التي وهبت للأنسان ليحي بالفكر والعلم والادب والفن تستدعي من طبقة

---

1 – الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية – بغداد، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2008م، ص 11.

الانتجليستا من نخب ثقافية واكاديمية وعلمائية اشاعتها واقتلاع تلك الروح الشريرة الهدامة التي تزرع الرعب في حياتنا وتحيلها الى جحيم ومأساة وأنين وثكالى وأيتام، بدلا من البسمة على شفاه الاطفال، وخضرة الحقول، وتطور التعليم، وبناء الامة....

يكتب الباحث الرائع الغرباوي منابع التسامح (.. ان التسامح نسق قيمي وأخلاقي يراد إحلاله محل النسق القيمي والاخلاقي الذي مازال يدير حركة المجتمع ويحدد اتجاهاته..)[1].

كذلك يتناول الباحث إن العنف الذي أصبح سمة العصر، وكبت الحريات، والتذلل للحكام الطغاة الذي يقمعون شعوبهم ويحكمون بالتوريث السياسي غير الشرعي، ودون الاحتكام لصناديق الاقتراع..، او من ينصبهم الاستكبار العالمي ويمدهم بمصادر القوة الامنية.. والمخابراتية الاخطبوطية.. لتمكنهم من شعوبهم، وقمع، واخراس كل صوت مناهض لسياساتهم هو ديدن حكام العالم الثالث، ومنطقتنا العربية، فنادرا مانرى ويكاد يستحيل أن يأت حاكم عن طريق الانتخاب ويسلم السلطة ديموقراطياً ودستورياً..

أن يعي المجتمع ونخبه كما أسلفت أهمية ثقافة السلام والبناء يمكن تأسيس دولة حضارية ودولة الانسان وخلاف ذلك لايتم بل تزداد الامور تعقيدا، وتشرذماً وتصبح دولة الطوائف والاحزاب والقوميات هي المرتكز والمحور كما شهدت ساحات كثيرة فعل التقاتل الطائفي كما في لبنان قبل عقود والصومال واليمن ومصر والجزائر والعراق والباكستان والهند وعلى مدار التاريخ البشري حدثت مذابح للارمن والمسلمين والكاثوليك والبروتستانت وحروب دموية خلف ملايين الضحايا في بقاع الارض.. لقد استفادت شعوب الارض من التجارب المرة وخراب الحروب لتحولها الى دفع حضاري نحو العلم والفكر والثقافة والبناء وضد ثقافة العنف والاستبداد السياسي والديني...

---

1 - المصدر نفسه، ص 22.

في هذا السفر الجميل بالافكار الناضجة والآراء المعرفية التي تساهم بتعزيز أنساق ثقافية في جسد الامة قد كافح من أجلها علماء كمحمد باقر الصدر- ومالك بن نبي- ومحمود شلتوت- ومحمد مهدي شمس الدين -ومحمد الشيرازي - وحسن الصفار - ومحمد صادق الصدر وعشرات من الراحلين الافذاذ ...ولازال المئات من علمائنا ينادون بها لإيقاض الامة من هذا الغول الكاسح بالكراهية، والعنف ضد الآخر شاهدها العالم بأسره وآخرها وليس هو العمل الاجرامي الاخير قتل المسيحيين في العراق بكنيسة النجاة وماسبقها من اضطهداء وظلم وعنف طيلة 35 عاما من الدكتاتورية والجرائم اللاحقة ضد شعبنا بجميع مدنه،

نأمل من تلك المؤلفات القيمة ترسخ مباديء التسامح وثقافة السلام ..

ماجد الغرباوي
رجل الاصلاح والنهضة

بقلم: الأستاذ طارق الكناني[1]

ماجد الغرباوي مفكر عراقي، شـأنه شـأن أي مفكر، دائم البحث عن الحقيقة بدليل صـحيح، لا يركن لقول واحد، ولا يتوقف عند رأي خاص مهما كان قائله.. يسعى لاكتشافها بمعزل عن الغيبيات خارج حدود القرآن الكريم. فالعقل وكتاب الله ركائز ومرجعيات اعتمدها الغرباوي في هذا الحوار الذي دارت أسـئلته حول العقيدة الإسلامية عامة والعقيدة الشيعية خاصة، لأنها الأساس الموجه لسلوك الإنسان، وما معاناة المسلمين اليوم مع الفئات الدينية المنحرفة إلا بسبب عقائدهم وسوء فهمهم لغايات وأهداف الدين الحنيف فتسببوا في تشويه معالمه .

قد يعترض البعض أن كتب الحديث تشتمل على تفصيلات يحتاجها المسلم ولم يفصّـلها الكتاب الكريم، فتكون الأحاديث وسـنة الرسـول مكملة للكتاب الكريم. وهذه وجهة نظر صـحيحة إلى حد ما ولكنها ليسـت حاسمة، فوجود نص نبوي لم يَحُل دون وجود الاختلاف في مجال العقيدة. فكثرة التفسيرات القرآنية التي وردتنا عبر كتب التاريخ والحديث جاءت متناقضة، يغالط بعضها البعض وفيها الكثير من الغلو والغيبيات التي لا تطمئن لها النفس. من هنا نجد أن الحوار الذي اعتمدناه مع الأستاذ ماجد الغرباوي ونشـر تحت عنوان: مدارات عقائدية سـاخنة[2]، جاء وفقا لمعطيات قرآنية – عقلية لا تجافي الصحيح من الأحاديث والسنة الشريفة، بعيدا عن التعصب والغلو، خاصـة بالنسـبة لمعتقدات الطائفة الشـيعية حول أئمة أهل البيت ودورهم الرسـالي. لهذا نجده يدعو في هذا الحوار إلى حملة توعية كبرى تناقش من

---

1 – كاتب وروائي عراقي

2 – مدارات عقائدية سـاخنة.. حوار في منحنيات الأسـطرة واللامعقول الديني، ط2، 2017، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا ودار أمل الجديدة، دمشق – سوريا

خلالها كافة المعتقدات الموروثة منذ مئات السنين لتنقيتها مماعلق بها من خرافة وأسطرة جاءت بسبب السباق الطائفي المحموم الذي شهدته القرون الماضية لاثبات أحقية أشخاص دون سواهم فأورثنا هذا الفعل كثيرا من المعتقدات الخاطئة التي أصبحت الآن جزءا لا يتجزأ من فهمنا للدين والعقيدة الاسلامية. وأنا هنا لا أبرأ عقائد أية طائفة، ولكني أحيي الأستاذ ماجد الغرباوي في جرأته وقدرته على عبور كل الخطوط الحمراء التي وضعها رجال الدين، حينما تجاوزها بوعي بعيدا عن التعصب، فكان يرحب وهو يحاور بأية وجهة نظر لكنه يؤكد دائما: لسنا ملزمين بقبول كل ما يعتقده الآخرون، أو بعضه. لقد طرح آراءه بوضوح وشفافية مستدلا عليها بالقرآن الكريم، مرجعنا جميعا، وتبقى مسؤوليتنا مناقشة كل ما طرحه الاستاذ الغرباوي مناقشة هادئة شفافة بعيدا عن التعصب الأعمى والإنفعالات الطائفية التي أورثتنا الدمار والقتل.

هكذا كان هذا الكتاب نهاية حوارنا الذي كنا قد بدأناه مع الأستاذ ماجد الغرباوي وهو المحور الثالث ضمن ثلاثة محاور، تم نشر المحورين الأول والثاني منهما ضمن كتابنا الأول: (رهانات السلطة في العراق .. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي) الذي صدر عن دار أمل الجديدة –سوريا، والذي تناولنا فيه موضوعات الفكر القومي ورهانات السلطة في العراق. وخصصنا المحور الثالث، أي هذا الكتاب، لمناقشة قضايا عقائدية مهمة، منها: المخلّص في الديانات الحديثة، والمهدي المنتظر في الدين الاسلامي، والمرجعيات الدينية والتقليد، والخمس، والرجعة، ولذلك تقرر إصدارها في كتاب مستقل لأهميتها. وقد تناول الكتاب أيضا قضايا خلافية، حيث ناقشها الباحث والمفكر ماجد الغرباوي بموضوعية وحيادية استند فيها على التحليل العلمي والنصوص القرآنية بعيدا عن التعصب والانحياز. فحاكم جملة معتقدات يعتبرها الكثير منّا مسلمات لايرقى لها الشك. ودليله في ذلك كتاب الله والعقل وما صح من الأحاديث النبوية الشريفة.

لقد أجاب المفكر ماجد الغرباوي في هذا الحوار عن تساؤلات تمثل نبض الشارع الباحث عن الحقيقة وسط زحام الأفكار المتوارثة والأحاديث التي لم تعد مقنعة لجيل يعيش ثورة فكرية وعلمية وتكنلوجية كبيرة، وفي كل يوم يصطدم بالإرث واللامعقول

الديني. للأسف الشديد رغم هذا التنوير لكن مازال بعضنا يتقمص دور شخصيات القرن الأول الهجري ويقتدي بهم صـــوريا ويقلدهم بعيدا عن جوهر عقيدتهم ودينهم ومســتوى إيمانهم وفكرهم وعقائدهم التي يمكنه الارتكاز عليها. لكننا اضــعنا الكثير بسبب التقليد الأعمى لرجل الدين.

لقد ناقش الباحث ماجد الغرباوي فكرة المخلّص في الديانات المأخوذة عن البوذية، وتناولها باسـهاب مبيناً مضـمونها. كما تطرق الحوار لقضـية المهدي المنتظر عند المســـلمين وتداعيات هذا المعتقد بين كونها فكرة تبعث على الأمل في تحقيق العدل الإلهي وبين كونها فكرة مثبطة للعزيمة. ومن هذا المنطلق تدرج الحديث إلى تاريخ المرجعية والمباني التي ارتكزت عليها مسألة التقليد.

لقد فتح الأستاذ ماجد الغرباوي الباب على مصراعيه في هذا الكتاب من خلال طروحاته الجريئة، التي قد تحدث هزة في الفكر الجمعي العقائدي للمســـلمين عموما والشــيعة منهم على وجه الخصــوص، وســتكون هناك ردود أفعال متباينة في قوتها واتجاهاتها ولكنها بالنتيجة ســتصـــطدم بالعقل والمنطق بعد أن يدافع كل فريق عن طروحاته العقائدية بل وسيستميت البعض ممن تؤثر عليهم هذه الطروحات في نفيها واثبات الأفكار القديمة بنفس الأســـلوب وليّ عنق الآيات لتتلائم مع طروحاتهم، ومايهمنا وجود حراك فكري وإشـــعال جذوة الحوار البنّاء للوقوف على الحقائق وإحداث حالة من التحرر الفكري الذي يجعل هذه المجتمعات المنغلقة تنظر إلى أفق جديد وإلى عالم آخذ بالازدهار وفق رؤى حديثة ومتطورة وتجعل من الإســـلام دينا لحياة قابلة للتجدد واحتواء كل ماهو نافع للبشرية.

ماجد الغرباوي والاصلاح

هذا الحوار يقع ضـــمن المشـــروع الإصـــلاحي لماجد الغرباوي، وهو باحث متخصـص في الدراسـات الإسـلامية، وأحد رجال الإصـلاح الديني في العصـر الحديث، من خلال كتبه وطروحاته الفكرية فيما يخص النهضـــة والتســـامح الديني والثقافي، فطالما عالج موضـــوعات التخلّف الحضـــاري، العنف والإرهاب، الحركات

الاسلامية ودورها السلبي في المجتمع، والعلاقة بين السياسة والدين. وأصدر سلسلة رواد الإصلاح للتعريف بمشاريعهم وأهدافهم الإصلاحية، ومدى تأثيرهم في النهضة الإسلامية.

ولم يقتصر الغرباوي على ما تقدم بل راح يدعو علانية الى إعادة فهم الدين وفقا لضرورات الزمان والمكان ومتطلبات العصر والمجتمع والإنسان، والاستفادة من معطيات العلم وتراكم التجربة البشرية، كما دعا بصوت مرتفع الى إعادة النظر في فعلية الأحكام الشرعية، ومدى صلاحيتها بعد انتفاء موضوعاتها، وحذر علنا من تزوير الوعي ومكائد رجال الدين، وتوظيف الدين لمكاسب سياسية وأخرى شخصية أو أيديولوجية. ولا غرابة فإن ماجد الغرباوي مفكر وباحث، يسعى من خلال مشروعه الى: ترشيد الوعي بعد تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، عبر قراءة متجددة للنص الديني تقوم على النقد والمراجعة المستمرة، كشرط أساس لنهوض حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتنابذ والاحتراب.

وطالما أكد الغرباوي في تشخيصه لأسباب التخلف والسبل الكفيلة بالنهوض الحضاري: إن المشكلة الأساس وبالدرجة الأولى ثقافية، تتعلق ببنية العقل، والنظام المعرفي لشعوب المنطقة، لأنها القاعدة التي ترتكز اليها النهضة، أية نهضة كانت .

ويختلف ماجد الغرباوي في تشخيصه لأسباب التخلف وعوامل النهضة الحضارية، حيث راح يتوغل في العقل والثقافة باحثا عن كيفية تكوّن البنى المعرفية وما هي المفاهيم والمقولات المؤسسة لها، فكان وما زال يؤكد على نقد جميع الثوابت والقناعات واعادة تفكيك العقل وبنائه وفق قيم ومقولات حضارية، لهذا أكد كثيرا على فهم الدين كمكون أساس لشعوبنا، فاعتبر الفهم الخاطئ للدين أحد الأسباب الرئيسية وراء تخلّف المسلمين حضاريا. وبهذا امتاز عن غيره من رواد النهضة بقدرته على التشخيص والنقد الذي يغور في أعماق الثقافة والفكر، فما عادت الأسباب المطروحة من قبل الرواد الآخرين كافية لوجود نهضة حقيقية بل ما زال الوضع ذاته اذا لم يكن أسوء مع ظهور حركات التكفير الديني.

نظرة انسانية متطورة في كتاب
التسامح ومنابع اللاتسامح
لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ جمعة عبد الله[1]

كتاب التســـامح ومنابع اللاتســـامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات للأســـتاذ ماجد الغرباوي[2]، انجاز فكري متألق ورائع ومتكامل في طرحه ومقارباته لقضايا حساسة ذات شأن خطير وحيوي تناولها برؤية انسانية متطورة.

يتسم الكتاب بعلميته وموضوعيته بعيدا عن التحيز والتحريف. ولهذا يعتبر معينا فكريا وثقافيا لكل قارئ ومثقف ومتابع، يبحث عن التسامح ويدعو للمحبة والعيش المشترك بسلام.

ان تعايش المجتمع وتطوره وازدهاره في المجالات الفكرية والثقافية، لابد ان يسـبقه اعتراف حقيقي بالحقوق المتكافئة لكل شـــركاء المجتمع، بجميع مكوناتهم. ولابد ان تسـود لغة الحوار والتواصـل والتعايش السـلمي والتسـامح بكل اشـكاله الاجتماعية والدينية والقومية والعرقية وتتجلى فيه الحرية الشـخصـية، وحق التعبير وحرية الاعتقاد، وبالتالي ضـمان حقوق الاخرين .بهذا الشـكل يمكن للتسـامح ان يسـاهم من خلال قيمه الانسانية في توحيد المجتمع، وخلق روح مواطنة صادقة، تقدم الجميع

وحينما تختفي قيم التســـامح في المجتمع تطفو النزعات والخلافات على شـــكل موجات عنف متواصـــلة، تترك نتائج مروعة تنعكس ســـلبا على المجتمع واســـتقراره. وتقضـــي على جميع محفزات التعايش الســـلمي. وهذه يخالف القيم الانســـانية عامة،

---

1 – كاتب وناقد ومترجم – اليونان.

2 – الغرباوي، ماجد، التســـامح ومنابع اللاتســـامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية، بغداد – العراق، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2008م.

وتعاليم الدين التي تدعو الى المحبة والتعاون والاخاء والسـلام، فكيف يرتكب هؤلاء المتطرفون الدينيون كل هذه الجرائم باسـم الدين؟. وهنا ياتي دور الموعظة الحسـنة في خطاب رجال الفكر والثقافة، الذين تقع عليهم مسـؤولية تحصـين العقل والفكر من شرور التعصب والشوفينية والعنصرية وتبني قيما ترفض الحقد والكراهية والفرقة والفتنة بين افراد المجتمع الواحد.

ولا يمكن ان تسود قيم التسامح إلا اذا (قام التسامح على سلسلة فكرية وثقافية يخضع لها الفرد والمجتمع، كي يعمل بشكل صحيح ومؤثر)[1] وبهذه الشكل تنحصر مساحات التشدد والتعصب واللاتسامح والعنف من مواقف سياسية واجتماعية تقضي دائما الى تأزيم العلاقات ثم الدخول في متاهات الحروب والعداء. وبهذه الرؤية الموضوعية يشخص الباحث الغرباوي منابع اللاتسامح كالعنف والتعصب والاخطار التي تحيط بالمجتمع، والتي تهدد التسامح الحقيقي، وتترك المجتمع في دوامة الصراعات السياسية والطائفية والنزعات الداخلية، ويدعو الى مكافحتها من خلال ثقافية واعية. إن الأوضاع المتوترة، والصراعات المستمرة، تفرض على (الانسان ان يكون متسامحا وهو يعلم بضعفه وكثرة اخطائه، وانه ليس معصوما في سلوكه واعماله)[2]. وكانت الحالة العراقية حاضرة في كتاب "التسامح ومنابع اللاتسامح" للاستاذ ماجد الغرباوي، بكل تفاصيلها المعقدة والمتشابكة وما تحمله من موروثات ثقافية وفكرية يستعرضها بكل واقعية وموضوعية. ويؤكد ان طريق التسامح هو (احدى القيم التي يعتمدها المجتمع للخروج من ازمة الصراع الديني والسياسي على اساس التكافئ في الحقوق السياسية والعقيدة . بعيدا عن الاقصاء والتهميش)[3]. فهو يطرح التسامح من بعد انساني كحل دائم لانهاء الصراعات السياسية وغيرها، في بلده العراق وفي جميع الدول التي ابتليت بالحروب الداخلية والخارجية. من هذا المنطلق يعطي الباحث مفهوما للتسامح بدلالات تخرجه من الابتذال والفهم الخطئ له، فقد يفهم من التسامح معنى التذلل او الخضوع للامر الواقع او المهادنة والخوف فيضطر الى التنازل

1 - المصدر نفسه، ص 12.
2 - المصدر نفسه، ص 11.
3 - المصدر نفسه، ص 15.

عن حقه او القبول بشريعة الباطل والسكوت عن شريعة الحق او التساهل او غض الطرف بل (يراد بالتسامح –كما جاء في الكتاب – اصطلاحا موقفا ايجابيا متفهما من العقائد والافكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب والاقصاء)[1] وحق التعبير. فهو لا يعني احتكار الحقيقة لان (الحقيقة وجود نسبي لدى جميع الافراد، ولا مبرر حينئذ لدعوى احتكارها والتفرد بها)[2] فقبول الآخر، والتعايش معه، والاعتراف به حقيقية لا منّة ولا تكرّما، يسمح باعادة النظر في تقاليدنا وموروثنا الثقافي والفكري. وفي هذه الحالة ستكون المراجعة مفيدة، تضعنا على الطريق الصحيح، وتنفض التراب عن الافكار الدخيلة التي تحطمت روح التسامح فينا. عندها سيتضح بان (مفاهيم التسامح ليست غريبة في روحها عن اصول ديننا وعقيدتنا، وانما اقتصها القراءات الاحادية والفهم المتحيز للدين)[3]. ومن هذا المنطلق يدعونا الباحث الى الدخول في (مرحلة الحداثة الحقيقية وليست حداثة شكلية كما هو الحال لكثير من البلدان الاسلامية). بمعنى فهم الابعاد الانسانية للتسامح، كي يساهم في حل صراعتنا وتسوية ازماتنا، بشكل يخدم الجميع، لا فرق بين شخص وآخر، مهما اختلف في ثقافته وافكاره وجنسه وقوميته.

وسعى ماجد الغرباوي الى بيان الابعاد المختلفة للتسامح لكي يكون واضحا للجميع، فالتسامح عنده يعني قبول الآخر، ويتساءل، هل حقا يتقبل الفرد عندنا الاخر المختلف عنه دينيا ومذهبيا وطائفيا ام لا؟ فما لم يعترف به حقيقة لا يصدق مفهومه لأن (التسامح يعني اعترافا بالاخر والتعايش معه على اساس حرية العقيدة وحرية التعبير)[4]. ويقابل التسامح بمعناه الانساني الجميل مفهوم (التعصب هو رفض الاخر وسلب حق الاعتقاد وحق التعبير عن رأيه)[5]. وهنا تكمن اهمية التسامح بمفهومه الشامل للتسامح الديني والسياسي والاجتماعي ودورها في الحياة العامة. فما

---

1 – المصدر نفسه، ص 17.
2 – المصدر نفسه.
3 – المصدر نفسه، ص 18.
4 – المصدر نفسه، ص 23.
5 – المصدر نفسه، ص 25.

احوج عراقنا اليوم الى هذه المبادئ الســامية. مبادئ نقيضــة ومعاكســة لمضــامين الشـوفينية او العنصرية والتعصب وجميع منابع اللاتسـامح. وقد تناول الكتاب جميع القضــيا المرتبطة بموضــوع التســامح، بما فها الموروثات الثقافية والفكرية والقراءات المختلفة للنصـوص الدينية، ونصـوص الكتاب الكريم ايضـا. كل ذلك من أجل بيان الابعاد الانســانية للتســامح كي يأخذ دوره كاملا داخل المجتمعات المتعددة دينيا وطائفيا وقوميا، ويساهم في وحدة شعوبها.

منابع اللاتسامح

حصر الكتاب منابع اللاتسامح أو بؤر اللاتسامح في خمس بؤر، هي:

1 – منطق العنف: وهو سمة المجتمعات غير المتحضــرة، التي ترفض الاحتكام الى القانون (وترتكز للعنف في تقرير مصيرها وانتزاع حقوقها وتسوية خلافاتها)[1]. إن قيم العنف لا محال تتأثر بقيم القبيلة والعشــيرة في ممارســة العنف، واســتخدام القوة لاثبات منطق الشجاعة والرجولة او اسلوب (التسوية الخلافات وتصفية الحسابات بما في ذلك الحكومات والانظمة الســياســية غير الشــرعية)[2] وهذه صــفة عامة للحكومات الاســتبدادية في الايغال في وســائل العنف وفرض ســطوتها بالقوة، واستخدام التعصب لها وسيلة لتأجيج دواعي العنف، واعتماد سياسة اللاتسـامح كمنهج سياسي وهي تتخلى عن مفاهيم السـلام والعدل والتعايش السـلمي داخل المجتمع الواحد

2 – الولاء القبلي: ان العشــيرة او القبيلة تلعب دورا فعالا في المجتمع. وقد يكون دورا خطيرا، عندما يحصــل تقاطع بين ولاء القبيلة وولاء الوطن، ينعكس على الهوية الوطنية. فلمن ينحاز المواطن في هذه الحالة؟ أو لمن تكون الكلمة الاولى . هل للقبيلة؟ ام للقانون؟ وهل يطبق شــريعة القبيلة ام شــريعة الدولة؟. في هذه الحالة،

1 – المصدر نفسه، ص 27.
2 – المصدر نفسه، ص 29.

المطلوب من أجل التخلص من تباعات الولاء القبلي، أن (تشكل القيمة الاجتماعية للفرد لا على اساس انتمائه القبلي، وانما على اساس انساني، فهو انسان قبل كل شيء)[1]. جدير بالذكر أن الانحياز الى قانون الدولة، لا يعني اتخاذ موقف عدائي من القبيلة او العشيرة بل (توظيف قيم العشيرة لصالح الشعب وخدمة للوطن) [2]. وبهذا يمتلك النظرة الصائبة بالتخلي من التعصب القبلي على حساب المصالح العامة للوطن.

3- سلطة القيم: او علاقة الفرد بالقيم وما تمثله من مكانة بالنسبة اليه وما تشكله من بعد اجتماعي مرتبط بقيم التسامح او بقيم التعصب باعتبار (ان اغلب القيم الاجتماعية قيم مصطنعة فرضتها مصالح النخبة الثقافية والاجتماعية)[3]. وتتصف مجتمعاتنا او المجتمعات الشرقية بصفة عامة بانها (مجتمعات ذكورية يتمتع الرجل بصلاحيات واسعة في مقابل تهميش المرأة وتحقيرها، وتلغي وجودها)[4] وما تعانيه المرأة من خلال هيمنة النظام الابوي.

4 – الاستبداد السياسي: والذي يعتبر العدو اللدود وخصما شرسا لقيم التسامح، وتكمن صفات هذا الاستبداد في (عدم الاعتراف بالحقوق السياسية للاخرين، التي منها حقه في ممارسة السلطة)[5]. ويتمثل استبداد الحاكم المستبد بـ (سلطاته الواسعة، وامتيازاته المتعددة، خطوطا حمراء يمنع تخطيها او القفزعليها)[6]. وهذا ما قاست وعانت منه الشعوب وخاصة الشعب العراقي من ظلم وجور وقهر وتعسف كأن (قدر الشعوب الاسلامية ان تبقى مسلوبة الارادة وعاجزة، قاصرة وغير قادرة على ادارة نفسها)[7]. او الانسلاخ من رحاب الحرية والكرامة.

---

1 – المصدر نفس، ص 36.
2 – المصدر نفسه.
3 – المصدر نفسه، ص 42.
4 – المصدر نفسه، ص 43.
5 – المصدر نفسه، ص 52.
6 – المصدر نفسه.
7 – المصدر نفسه.

5 – التطرف الديني: وهو اخطر منابع (اللاتســـامح لتلبيســـه ببعد شـــرعي وتوظيفه للنص الديني)[1]. ويؤكد الباحث القدير على مســـألة جوهرية في غاية الدقة والخطورة وهي (ليس غريبا ان يكون اكثر المتطرفين الدينين ممن لم تســـعفهم كفائتهم العلمية والثقافية في ادراك الحقيقة)[2]. وحقيقة التطرف الديني أنه (لا يعدو كونه قراءة مجتزئة للنصوص)[3]. وكذلك فإن (ازمة التطرف في بساطة الوعي وضحالته واختلاله، وعدم القدرة على فقه النص)[4]. وقد اســـتعرض الباحث نماذج من هذا التطرف واساليبه في تؤيل النصوص الدينية، واشاعة شريعة اباحة الدم وقتل الابرياء حتى بات للرأي العام والعالمي بان (الاســـلامي يســـاوي الارهابي، والارهابي يســـاوي الاســـلامي)[5]. وتناول الكاتب بالنقد أحد الظواهر الخطيرة التي برزت على المســـرح السياسي في السنوات الاخيرة، وهي ظاهرة فتاوى التكفير بشكل واسع. والتي (تعتبر فتاوى التكفير وخطب التحريض وليدة فكر ظلامي متطرف وقراءات احادية للنصوص الدينية، القرأن والسنة)[6].

رؤية انسانية لقيم التسامح في المجتمع

يتســـم ماجد الغرباوي في بحوثه بالعلمية والموضـــوعية. وقدرته على تناول موضوعات حساسة، ملتهبة وفق رؤية معاصرة. قضايا طالما شغلت بال المعنيين بشؤون الفكر الاســـلامي قبل غيرهم. يعالجها في ضـــوء العقل والقرآن الكريم، بنظرة خالية من التحييز او التحريف او تطويع النصـــوص الدينية لاغراض بعيدة عن قيم الدين، خاصة موضوع التسامح. وهذه ميزة الباحث النزيه، في مقابل من يعمد الى تشويه الحقائق او تأويلها لاغراض سياسية بعيدة عن النص الديني.

---

1 – المصدر نفسه، ص 56.
2 – المصدر نفسه.
3 – المصدر نفسه، ص 57.
4 – المصدر نفسه.
5 – المصدر نفسه، ص 60.
6 – المصدر نفسه، ص 64.

حقا ان قيم التسامح تقع بالضد من الكراهية والحقد والارهاب الاعمى والعنف بكل اشكاله، في المجتمعات الاسلامية وغيرها على السواء. التسامح قيم انسانية ودينية، تحتاجه المجتمعات المتنوعة، بجميع مكوناتها وطوائفها الدينية والعرقية والقومية والقبلية والاجتماعية والسياسية. لذا يجب ان تعم قيم التسامح جميع فصائل المجتمع، بدءا من اصغر وحدة فيه، وهي الاسرة او البيت الى رجل الدين ورجل السياسة ثم الى اعلى هرم في الدولة والسلطة. ومن المثقف الى المفكر وغيره مهما كان تخصصه، للحد من الخطاب التكفيري المتشدد. او الحد من النظرة المتعالية للاديان الاخرى، التي تصف الاخرين بالكفر او الارتداد. أو تجعلهم اعداء للاسلام، كما تفعل الجماعات المتطرفة والمتشددة والسلفية التي تبيح قتل الأبرياء باسم الاسلام، رغم أنهم مسالمون.

أسس التسامح

أسس التسامح كما جاء في كتاب التسامح ومنابع اللاتسامح للاستاذ ماجد الغرباوي، هي:

1- حقوق المواطنة: ومفهوم المواطنة هو (الاعتراف بالاخر وبحقوقه، او لا اقل قبوله وقبول التعايش معه سلميا وفق حقوق مشتركة لجميع المواطني)[1]. والمساواة بالحقوق والواجبات، ووحدة الانتماء الى الوطن، بغض النظر عن انتماءاتهم القومية والدينية. فهي مزايا وطنية يتمتع بها المسلم وغيره، كما جاء في القرآن الكريم والسيرة النبوية التي تؤكد بشكل لايقبل التأويل على التعايش المشترك بين المسلمين وغير المسلمين، في اطار وطن واحد يعترف بالتعايش واحترام الاديان، وحق اتباعها في ممارسة شعائره الدينية في حدود القوانين والانظمة في ذلك البلد.

2- سيادة القانون: ان قيم التسامح في المجتمع لا تلغي سيادة القانون وسلطته، بشرط أن يحقق هذا القانون مصالح الجميع، وينبثق عن، حكومة منتخبة. من

1 - المصدر نفسه، ص 76.

الشعب ويعتمد على ارادة الشعب، بالضد من القانون الذي يحمل في طياته فقاعات عنصرية او شوفينية او طائفية او دينية متعصبة. ويجب ان تعم المساواة في تطبيق قوانين الدولى، لأنها قوانين صادرة عن (ارادة الشعب، وقد تمت الموافقة عليها)[1].

3- اعادة تشكيل قيم التفاضل: تتحكم في عقلية الفرد جملة قيم تتحكم في سلوكه وتفكيره، بما فيها الدين والاخلاق والاعراف والتقاليد القبلية ومجموعة قيم مختلفة أخرى، كلها تحدد طريقة تفكيره، فقد تفضي به الى الخير او بالعكس، عندما تكون قيم لا انسانية ولا دينية. فعلينا اعادة تشكيل قيم التفاضل على أسس صحيحة، وفق قيم دينية وانسانية كقوله تعالى: (لا اكراه في الدين) واحترام الاخر، والاستفادة من سيرة الرسول الكريم في تعامله مع غير المسلمين، فإن هذا النوع من القيم يهديك سبل الرشاد، ويمنحك رؤية انسانية جديدة، ويمتعك بالتقوى والفضيلة وسمو الاخلاق والجهاد والعلم الذي تنتفع منه البشرية ويستحق التقدير والاحترام، (ويصلح بجدارة ان تتحول الى قيمة تفاضلية)[2] لها صدى واسعا.

4- اطلاق الحريات العامة: لاشك ان الحريات العامة تؤدي دورا فعالا في المجتمع. وتساعد على ترسيخ القيم الانسانية بين ابناء الوطن الواحد. وهي بالضد من انعدام الحريات، حيث يكون الشعب تحت رحمة مطرقة الاضطهاد والكبت والحرمان، التي تؤدي بروز الخوف والقلق والخشية من العواقب، وكذلك تبرز مظاهر التكتم على الحقيقة وشيوع ظاهرة النفاق والتملق. وتسيد العنف في الحياة العامة التي تسلب حق الاخرين في اختيار طريقة اسلوب الحياة، ومثل الانظمة الدكتاتورية التي تخنق بوادر الحياة الحية .وتجربة العراق غنية في هذا المجال من اضطهاد وقهر وسلب الارادة، لذا فان الحرية تكون (سلاح ماض لتحطيم قيم الكراهية والاحقاد، واداة ناجحة لترسيخ قيم التسامح)[3].

1 - المصدر نفسه، ص 104.
2 - المصدر نفسه، ص 120.
3 - المصدر نفسه، ص 122.

في الختام، يســـتعرض الكتاب (60) آية من آيات الكتاب الكريم تدعو الى التسامح والعفو والمغفرة والرحمة، جاءت بعنوان: نصوص غيبها النسخ[1]، وهي تتجاوز بالكثير من الآيات التي تدعو الى العنف او الســـيف، التي يجب عدم تعميمها بل مناقشـــة ظروفها وزمانها والحاجة التي دعت اليها في ذلك الزمان والوقت. وان لا تكون ذريعة لبعض المتشددين والمتطرفين في الدين من استخدامها في الظرف الراهن، اي في غير زمانها لتبرير نهجهم الارهابي في القتل وارتكاب الجرائم باسم الاسلام.

هذه قراءة أولية لكتاب: التســـامح ومنابع للاتســـامح.. فرص التعايش بين الاديان والثقافات، للأستاذ ماجد الغرباوي، سعت لتسليط الضوء على الابعاد الانسانية في مفهوم التسامح، ومدى اهميتها لمجتمعاتنا.

1 - المصدر نفسه، ص 141.

التسامح ومنابع اللاتسامح
قراءة في كتاب ماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ محمد هروان[1]

منذ تمهيده في هذا الكتاب يسعى ماجد الغرباوي الى اشاعة قيم التسامح والتعايش والتفاهم على أسس إنسانية. بعيدا عن العنف والتطرف والكراهيية والغلو. لهذا دعا لتقديم قراءة جديدة للدين والنصوص المقدسة. وشدد على ضرورة إرساء مقاربة تشاركية بين السياسي والديني والتربوي والاعلامي والثقافي، للحد من مشاعر الاقصاء والاحتراب، إذ (لم يبق امام الشعوب الاسلامية خيار للحد من ثقافة الموت والاحتراب والعداء والاقصاء المتفشية في كل مكان، سوى تبني قيم التسامح والعفو والمغفرة والرحمة والاخوة والسلام، لنزع فتيل التوتر وتحويل نقاط الخلاف الى مساحة للحوار والتفاهم بدل الاقتتال والتناحر)[2]. وإرساء مبادئ سامية تجعل من المجتمع مجالا مفتوحا، يتولى أفراده إدارته وتدبير شؤونه وتجاوز أزماته التنموية المستعصية.

إن القيم المغايرة للمألوف في واقعنا الذي يتسم بشيوع الفكر الانتحاري دون الفكر الحيوي واليقظ، وجنوحه للكراهية بدل الحب، والتنابذ بدل الوئام، يتطلب تنزيلها على ارض الواقع، والعودة الى الذات لمساءلتها، واعادة النظر في تراكمات التراث المعيقة والمكبلة لتتفتق عبقرية الفرد في الوجود. هي دعوة صريحة الى التقوية والمعالجة من أجل مستقبل أفضل.

---

1 – تربوي وكاتب – المغرب

2 – الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح.. فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية – بغداد والعارف للمطبوعات – بيروت، ط 2008م، ص 15.

يرتكز الغرباوي في دراسة التسامح، المقابل للتعصب كضد نوعي، الى عنصرين هامين، الاول هو الاسلام كدين يحمل خصوصيات مشتركة بين جميع التوجهات التي انجبها. وايضا يتميز ببعده العام الذي يدعو الى التعايش والتعارف. وقد اتخذ الكاتبُ العراقَ نموذجا لدراسة موضوع التسامح وضده النوعي العنف، لأسباب بينها داخل الكتاب[1] .

وقد يتساءل أحد عن الرابط بين مجتمع العراق الذي ينتمي اليه الغرباوي ومجتمع المغرب الذي انتمي اليه، واجيب ان هناك قضايا متشابهة واخرى متباينة، ولعل ابرز وجوه التشابه سيادة الدين الاسلامي، بيد ان اشكال التدين تختلف. فالعراق يزخر بتعدده الديني والمذهبي، وهناك إلى جانب الإسلام، المسيحية والصابئية المندائية، بينما المغرب اغلبية مسلمة تتبنى المذهب المالكي منذ أكثر من اربعة قرون. ورغم التعددية الدينية في المغرب الا انها ليست بمستوى العراق. لكن كلا البلدين يعاني من أزمات سياسية. فكلاهما لم يحقق الى الآن تقدما حقيقا على مستوى الديمقراطية، وهناك أزمات مستعصية يعاني منها كلاهما، كدعوات الانفصال القومي والعرقي، ووجود المتطرفين وانتشار ثقافة الكراهية، وغير ذلك، ولا حل أمامهما سوى تبني ثقافة التسامح والعفو والاعتراف بالآخر من أجل مجتمع مدني، والتأكيد على حقوق الإنسان والانتقال السلمي للسلطة، وإشاعة قيم المحبة والوئام والتعاطف والرحمة.

دلالات التسامح

يعرف الغرباوي المفاهيم المفتاحية المرتبطة بموضوع الكتاب، فالتسامح لغة من السماحة والجود اي الموافقة على المطلوب، والمسامحة تعني الجود والسخاء والكرم والمساهلة، اما التسامح فيعني التساهل.

---

1 - المصدر نفسه، ص 18.

ويشير الى ان مفهوم التسامح ظهر في القرنين السابع عشر والثامن عشر[1] في بيئة غربية كانت بحاجة اليه لتجاوز خلافاتهم الدينية والسياسية والايديولوجية. وقد اتخذ المفهوم اصطلاحا عدة تعريفات مفادها احترام الحرية الفردية وحقوق الانسان وتقبل الاخر قصد تحقيق التعايش في المجتمع دون تحيزات فكرية او دينية، وهذه المبادئ لا تتحقق الا بالكف عن دعوى احتكار الحقيقة التي اضحت في ظل الحضارة الغربية متعددة ونسبية وما من احد لديه الحقيقة المطلقة بل كل لديه فهمه الخاص للامور.

مفهوم التسامح بهذا المعنى غريب عن البيئة العربية الاسلامية، كما يصرح الغرباوي، لذا يدعو الى تبيئته لينسجم مع ثقافتنا، او تسييقه contextualiser اي تنزيله وفق السياقات الثقافية للمجتمع، مع الحفاظ على روحه ومقاصده العليا[2]. وقد اشار الى ان الاسلام لا يخلوا من قيم التعايش والتعددية واحترام الاخر المختلف انما غيبتها القراءات الاحادية والمتحيزة والجامدة التي تحاول التفرد بالحقيقة واقصاء الثقافات الاخرى او النظر اليها بعين الاستهزاء. من هنا وجب تغيير هذه المنطلقات من اجل الدخول في الحداثة بشكل فعلي وليس شكليا، كما هو الحال في عديد الدول الاسلامية[3].

التسامح وفق قراءة الغرباوي ليس بالضرورة تنازلا امام الاخر او انصياعا له واتباعه فيما يعتقد او يريد، انما (يصار الى صيغ توافقية تبقي الاحتمالات مفتوحة لمراجعة جميع المفاهيم والمقولات التي تشترك في تكوين الانساق المعرفية. أي يمكن اعادة النظر بمفهوم التسامح نفسه ومراجعة قيمنا ومفاهيمنا ايضا للتأكد من صحتها وشرعيتها)[4]. ويؤكد الغرباوي ألا حل أمام التنوع والاختلاف الديني والثقافي في جميع المجتمعات، ومنها مجتمعاتنا، والمجتمعات الاسلامية خاصة، سوى التسامح والتعايش.

---

1 - المصدر نفسه، ص 20.
2 - المصدر نفسه، ص 21.
3 - المصدر نفسه، ص 22.
4 - المصدر نفسه، ص 21.

وفسح المجال امام الحرية السياسية التي تقتضي اعطاء الحق لكل فرد في الانخراط والمساهمة في الحكم شريطة التوفر على الضوابط والنزاهة.

منابع اللاتسامح

يؤكد ماجد الغرباوي ان الموروثات العريقة الممتدة منذ تاريخ قديم تلعب دورا في ترسيخ اللاتسامح، فما زالت شعوبنا محافظة على نسق فكري وعقدي دوغمائي يرفض الاخر ويقصيه. وعندما يتسامح معه يتسامح معه على أساس التفضل والمنة. بينما مفهوم التسامح الحقيقي عنده يتجاوز هذا النمط من الافكار. فمفهوم التسامح عنده وليد (منظومة قيم موروثة تشكلت عبر ماض سحيق، ظل الشعب يتوارثها ويتعهدها ويلتزم بها ويحافظ عليها. وطبيعة هذه القيم انها تتقاطع مع قيم التسامح، لانها تكرس صفة العصبية والرفض والاقصاء)[1].

1- العنف:

العنف هو المصدر الأول والأساس للاتسامح على مر التاريخ. هذه الظاهرة، التي لازمت المجتمعات البشرية، وصارت لصيقة بها، رغم تعدد اسبابها. وقد أدرج المؤلف الدفاع عن النفس ضمن هذه الأسباب، بل هو أولها، حيث لجأت اليه المجتمعات البدائية لحماية نفسها من الاخطار المحيطة بها من كل جانب. حتى اضحى العنف جزءا من ثقافة الشعوب، تقاس به رجولة الفرد، ومدى قدرته على ممارسته. (واستمر العنف صفة ملازمة لكثير من الشعوب رغم اختلاف الظروف وتطور الحضارات وتوغلها داخل العمق الجغرافي لاغلب البلدان في العالم. وهي صفة للبداوة اكثر منها صفة للمدنية والحضارة. ولهذه الظاهرة اسبابها وجذورها التاريخية)[2].

---

1 - المصدر نفسه، ص 26.
2 - المصدر نفسه، ص 27.

إذن العنف كان السبيل الوحيد لاثبات الذات لمن يفتقر الى مؤهلات التسامح والعيش المشترك على أساس إنساني.

وللاسف الشديد مازالت المجتمعات تتعهد العنف والروح الانتقامية. تستعيد الماضي ومشاكله، ولا تعرف طريقا لتسوية الخلافات الا العنف. وقد ساعد على ذلك عنف السلطة السياسية، واحترام الناس لها مادامت تمارس العنف والقوة، والناس يهابونها ويحترمونها، ولديهم الاستعداد للتضحية من أجل الحاكم المستبد.

من كل هذا يتبين لنا ان العنف شئ غريزي في الانسان وهو ميّال اليه، ويظل لصيقا به ما لم يتحول الى كائن ثقافي وحضاري قادر على تبني قيم التسامح.

2- الولاء القبلي:

يعتبر الغرباوي القبيلة (نسق من القيم والاخلاق تحكم افراد القبيلة الواحدة، تستقطب ولاءاتهم، وتوجه سلوكهم، وتحدد مكانتهم الاجتماعية)[1]. كما ان لكل قبيلة نسقها الاجتماعي الذي يضع الشيخ فوق الجميع ويتيح له التحكم بمصيرها[2]. فتقاس قيمة المرء ومكانته بولائه ومدى رضوخه للقبيلة ومقدساتها. من هنا يتصور المنتمي للقبيلة انها اولى واهم من المصلحة العامة للوطن والمواطنين جميعهم، هو ضرب من ضروب التزمت والتعصب، اضافة الى التعسف والقسوة وضيق الافق، وتتضح في بلداننا مظاهر القبلية في المجال الحزبي والسياسي، حيث تشكل الاحزاب والمؤسسات امتدادا لفكر القبيلة، وما يتيح التواجد هنا هو الولاء وليس الكفاءة.

3- سلطة القيم:

قيم التسامح قيم بعيدة التحقق في مجتمعاتنا لطغيان قيم الاستبداد والتسلط التي اخذت اشكالا متعددة الابعاد، منها السياسي ومنها الاجتماعي ومنها الديني...

---

1 - المصدر نفسه، ص 33.
2 - المصدر نفسه.

وللاسف في مجتمعاتنا تطغى النظرة الشمولية والاطلاقية التي ترى في قيمها المتوارثة حقائق ثابتة ونهائية بينما ترى الاخر خاطئا ظالا لا تقدر على تقبله والاستفادة من منجزه، وما يزيد الطين بلة في هذا الوضع هو القيم المصطنعة التي رسختها دوائر الحكم والنخب الثقافية والاجتماعية والدينية وجعلتها في صالح مصالحها. قيم الطاعة والولاء وتغييب النقد والخضوع للمجتمع الذكوري والابوب الذي يجعل المرأة كائنا ناقصا ووسيلة ومصدر عار في حال الفضيحة بينما ذلك مصدر بطولة للرجل، فمجتمعاتنا مجتمعات ذكورية كما يقول ماجد الغرباوي: (تمنح الرجل صلاحيات واسعة في مقابل تهميش المرأة وتحقيرها، وتلغي وجودها وتعتبرها انثى يطأها الرجل حينما يرغب ويتخلى عنها متى شاء، وفي احسن الاحوال انها اداة لخدمة الرجل وابنائه وضيوفه من الرجال. وهي ايضا عورة وبلاء وهمّ متى تنتقل في عهدة رجل آخر ليتخلص من مسؤوليتها اهلها ويهدأ بالهم، لانها بنظرهم كائن حيواني غير مؤتمن على شرفه، بل يجب حصره وتضييق الخناق عليه مخافة ان يراها احد فتنخدش قيمة الرجل عندما يتصفح وجهها الآخرون، او يخشى عليها الانهيار بمجرد ان تلتقي برجل ليس من محارمها، فهي بلاء مزمن وعار كامن في نظر الرجل القبلي)[1]. لذلك يتم التسامح مع اخطاء الرجل واضطهاد المرأة والمغالاة في حال ما اقدمت على غلط ما، بينما ايضا يتم تطبيق تسلط عمودي على الابناء من طرف الاب وحرمانهم من حق التعبير والتساؤل والمساهمة في صنع القرار، في نفس السياق يحرم الحاكم محكوميه من حقهم في تقاسم الحكم وصيغة القرارات التي تخصهم. كلها عوامل ساهمت في طغيان النظرة الاحادية المتزمتة والمتعصبة للرأي.

4- الاستبداد السياسي:

اكيد ان الاستبداد السياسي هو افة من افات المجتمعات المتأخرة وهو عامل يكبلها ويعيد انتاج الازمات فيها، لانه يحرم السواد الاعظم من الحقوق ويغيب حسها المشترك الرامي الى النهوض بالبلاد والعباد، وهو نقيض التسامح، (وخصم

1 - المصدر نفسه، ص 43.

حقيقي له)[1] الذي يقتضي التعامل باحترام وبمساواة مع الجميع بعيدا عن التراتبية والتفرد بالسلطة وبالقرار السياسي، والتسامح يعني قبول للآخر بدون شروط مسبقة عكس الاستبداد الذي يحتم على الطرف المقهور الرضوخ لمن هو اعلى منه مرتبة في السياسة، وتستغل السلطة السياسية كل الوسائل المتاحة للاستمرار في الهيمنة ومن بين ما تستغله العاطفة الدينية لدى الناس، وليس لديها مشكل في قراءة النصوص الدينية بالطريقة التي تخدم مصالحها، فالغاية تبرر الوسيلة في هذا المجال. لا يرضى الحكام في دول التخلف الخضوع للنقد والتمحيص انما يجعلون انفسهم فوق ذلك والويل لمن يقدم على ذلك الفعل، بينما يقتضي التسامح الحوار وقبول الرأي المختلف، شعوب اذن مصيرها ليس بين ايديها بل هي مسلوبة الارادة ولا تعرف حتى التفريق بين الممارسة الديمقراطية السليمة والاستبداد، والانكى والامر انها بفعل الادلجة اصبحت تخشى الديمقراطية والتحرر.

5- التطرف الديني:

يعتبر الغرباوي التطرف الديني احد ابرز مصادر اللاتسامح لكونه اقرب طريق لحشد همم الناس وخصوصا البسطاء منهم، يشد قلوبهم ويأسره تحت شعارات ويافطات رنانة لا تترك لهم فرصة للنقد والمساءلة. (يعتبر التطرف الديني احد اخطر منابع اللاتسامح، لتلبسه ببعد شرعي، وتوظيفه للنص الديني، وسرعة تصديقه من قبل الناس، وقدرته على التخفي والتستر تحت غطاء الشرعية والواجب والجهاد والعمل الصالح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر)[2]. فهو مفهوم حساس يوظفه الكثير من رواد الاسترزاق باسم الدين ويجيشون به الحشود ويدفعوهم لاضطهاد الاخر المختلف مذهبيا او دينيا. ولعل ما يزيد الطين بلة هو النزوع نحو التفرق والطائفية والتمذهب نتاجا لتعدد التفاسير رغم وحدة النص القرأني، ما يجعل ظواهر التكفير ورفض الاخر الداخلي اولا والخارجي ثانيا متفشية نتاجا لتلك القراءات

---

1 - المصدر نفسه، ص 51.
2 - المصدر نفسه، ص 56.

الســطحية والحرفية. معضــلة التطرف الديني هي قصــور في فهم الدين واختلال في الفهم والادراك وهي منبع للجمود العقائدي والاطلاقية، وهي عوامل تعرقل استقبال الاخر وفهمه والتواصل معه بشكل فعال.

التسامح، تأصيل الاسس

ترسيخ المنظومة القيمية للتسامح يقتضي بالضرورة ايقاف نزيف الكراهية والحقد والاقتتال والحدية في التفكير، وبناء فرد ومجتمع قابل للحوار، منفتح على الافكار المختلفة. وتوفره على تربية ســليمة قادرة على منح المجتمع روح النقد والانفتاح والقابلية للتغيير، وكل ذلك ينطلق من الاسرة والاعلام والاوساط الثقافية والسياسية وغيرها من مجالات الحياة. ويبقى الاضطهاد والتكفير مصادر لتفشي العنف والجهل المركب في مجتمعاتنا المعروفة بالأصولية الاسلامية التي تأبى تجاوز المحكيات والموروثات المتقادمة.

لذلك ينادي الغرباوي بنقد الانســاق الفكرية والعقدية والثقافية في هذه المجتمعات وذلك لتجاوز اشكالياتنا التاريخية وقصورنا وازماتنا، واستتباب قيم التسامح والتعايش في جو يسوده احترام اختلافات الناس وتعدد افهامهم. وترسيخ التسامح بدل العنف القابع في عمق اللاوعي عمل صعب ويحتاج الى الصبر والتسلح بالعلم والمعرفة والحكمة لخلق شعوب تعي تخلفها وتصبوا لتغيير واقع الحال المتسم بالتفتت على شتى الاصعدة: (ان خطوات قيام مجتمع متسامح تبدأ من العقل، تبدأ من نقد الانساق المعرفية، تبدأ من نقد العقيدة، والفكر، والثقافة، ليصار الى فهم بديل للدين والحياة والمجتمع يساعد على استتباب قيم التسامح)[1][14].

1 – المصدر نفسه، ص 74.

اسس التسامح:

للتسامح أسس استعرضها المؤلف في هذا الكتاب، هي:

1- حقوق المواطنة:

من اجل تحقيق الغايات الكبرى للوطن والمتمثلة اســاســا في مواطن حر يتمتع بحقوقه ويحترم واجباته، يتحدث الغرباوي على ضـــرورة تحقيق مجتمع يقبل بعضـــه البعض، قبول الاخر مسـألة مهمة اذن من اجل المصـلحة العامة المشـتركة ومن اجل حماية البعد القومي والديني. الا انه ايضـا يتحدث عن الاعتراف بالآخر والذي يعتبر اقرارا لحق الاخر في التعبير عن افكاره وقضـــاياه دون طائفية ولا ادعاء للتفوق: (ليست المواطنة سوى الاعتراف بالآخر وبحقوقه. او لا اقل قبوله وقبول التعايش معه سلميا وفق حقوق مشتركة لجميع المواطنين)[1]. ويخبرنا الغرباوي عن قيم المواطنة الحقة والتي من شـأنها اعلاء راية الوطن كقضـية اولى حتى من كل الانتماءات، اثنية كانت ام طائفية ام دينية.

1- الحقوق الإسلامية لغير المسلمين:

يرجع بنا الغرباوي الى زمن سـحيق من تاريخ الاسـلام ليسـرد لنا وقائع واحداث شـــهدها هذا العالم وذلك من اجل اعادة فهمها كما يجب، وذلك لان العالم الاســـلامي للأســـف تطغى فيه القراءات الاحادية للنصـــوص الدينية. هذا الجمود العقائدي يؤدي الى الرغبة في تنزيل آيات اتت في سياقات محددة ومنها ما لا يستقيم تنزيله بالفهم الحرفي في زمننا هذا، ويدعوا الى العمل بروح الاسلام الذي يتجسد في

1 - المصدر نفسه، ص 83.

وقائع وآيات عديدة تدعوا الى الحوار بين الثقافات والامم رغم اختلافاتها، كما يشدد على اهمية السعي الى الحوار الهادف الى تبادل المعارف والخبرات والتجارب والتكامل والتثاقف وليس السعي الى هداية الناس لان هذا من شأنه معاملة الناس على انهم كفار او اشياء شبيهة بذلك، ليخلص في الاخير الى ضرورة وضع الاختلافات كمصدر للمراجعة والنقد ولا شيء يتعالى فوقه باعتبار افهام الناس متعددة، ويجب كذلك الحكم بنسبية فما من صحيح مطلق وما من خطأ مطلق وتجاوز الفكر الذي يتصور الاخر كضال وجب هدايته لان الهداية التامة لله والبشر ما هم الا خطاؤون عليهم الانصات الجيد لبعضهم البعض للوصول الى التكامل. (ان الاعتراف يعني: (ان الآخر شخص له عقيدته وفكره ودينه ووجهة نظره. له الحق في تبنيها والدفاع عنها)[1].

2- سيادة القانون:

لا يتحقق التسامح الا اذا كان هناك قانون يحميه ويستند اليه[2]. وهذا القانون ينبغي ان يتوفر على قوة ردع عالية لضبط حقوق المواطنين بشكل متساو. المواطنون قد ينزعون الى العنف او التشنج لكن على السلطة تثقيف الناس على قيم الاحترام والحق والواجب. ويبقى القانون هو الالة الرادعة التي لا تستثني احدا ولا تقصي حقوق الاقليات، من أجل مجتمع قادر على تبني قيم التسامح، مجتمع يتداول السلطة سلميا ويتحلى بحب الوطن والعمل الصادق من اجل مصالحه العليا ومصالح مواطنيه.

تعدد المرجعيات

يعد تعدد الولاءات للدين او للعرق او العشيرة او اي نطاق محدود كيفما كان قتلا لسيادة القانون، و(يصاب القانون بالخواء والشلل عادة اذا نافسته مرجعيات

---

1 - المصدر نفسه، ص 100.
2 - المصدر نفسه، ص 102.

اخرى)[1]. ويؤكد الغرباوي بهذا الخصـــوص على الولاء للقانون المتوافق عليه، خدمة للوطن، من اجل مجتمع تســـوده قيم التســـامح والانفتاح. بعيدا عن اي مرجعيات أخرى. خاصــة من يتحدثون باســم الله كأنهم ممثلين للإرادة الالهية. وهذا يُنتج حالة من التزمت والاستعداد للإرهاب.

3- اعادة تشكيل قيم التفاضل:

في بيئة تعرف التعدد على جل المســتويات، تشــكل القيم الدينية منبعا رئيســا للتمثلات التي تنغرس في لاوعي الفرد وتحركه، ومن هـذا المنطلق يقترح الغرباوي من اجل الحد من العنف واللاتسامح استراتيجيتين رئيسيتين وهما، الولاء للوطن ولمصالحه العليا وذلك بتجاوز الاختلافات الضــيقة والمغلقة، والارتكاز على القيم الانســـانية باعتبارها قيما كونية تنصهر فيها القيم المغلقة المبتنية على التفاضل والولاءات.

واما التفاضــل في الاســلام فيحدده الغرباوي في ثلاثة مســتويات[2]، اولها التقوى والتي لا تعني كثرة العبادات او التشدق بالمعاني الدينية بل القيام بالعمل الصالح الذي يعود بالنفع على الذات وعلى الانســانية جمعاء، وقول الله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) هو دليل على ان الله يحب عبده المتقي لأنه هو الأدرى والاعلم بمن يتق، اما البشــر فليســت لديه القدرة ولا الحق في الحكم على الناس وتفريقهم الى متق او غير متق، انما ما على البشـــر هو تقبل الاخر وتجنب اصــدار الاحكام عليه، ولرب قليل العبادات احســن عند الله لما يقوم به من عمل صــالح، عكس من يكثر في العبادات ويبيح سفك الدماء او يريقها.

وثانيها الجهاد، لا الجهاد الذي يتصـــوره المتزمتون والمتطرفون، انما الجهاد الرامي الى النهوض بالنفس وبالوطن، وهو قائم على التضـــحية من اجل الاخر ونبذ العنف واللاتسامح معه بغض النظر عن اختلافاته.

---

1 - المصدر نفسه، ص 104.
2 - المصدر نفسه، ص 118 و119.

وثالث هذه المبادئ هو العلم، لان من حيث حتى عبادة الله فهي لا تتم الا عن علم، لذلك فالله تعالى كرم عباده العلماء لانهم الاقرب اليه وهم الاقدر على طاعته خير طاعة، والعلماء هم منارة الانسانية لما يقدمون لها من خدمات تميط اللثام على مظاهر التخلف وتستجيب لحاجياتهم في الدنيا وتقيهم من الشرور، وعالم افاد الانسانية في اختراع علمي يبقى ذلك في ميزان حسناته كصدقة جارية.

هذه هي مبررات التفاضل التي قدمها الاسلام، اما الفهم القبلي او الطائفي فيخندقان البشر في تفاضلات شكلية تبتعد عن مضمون الامور، بارتكازها على النسب او اللون او العرق، وهذه من اسباب النكوص الحضاري التي تبقي المجتمعات في سياجاتها الدوغمائية المغلقة بتعبير محمد اركون. فما احوجنا الى ميثاق حقوق المواطن والمواطنة في شمال افريقيا والشرق الاوسط.

4- اطلاق الحريات العامة:

يذهب الغرباوي الى ان الحريات العامة تلعب دورا اساسيا في انبثاق عبقرية الفرد في العالم، بينما يلعب القمع دورا مهما في ترسيخ العنف والتشنج والتنابذ حتى بين ابناء الوطن الواحد، لان المجتمعات المقهورة تسوء اخلاقها على حد تعبير ابن خلدون. يقول: (تلعب الحريات العامة دورا كبيرا وفاعلا في ترسيخ قيم التسامح بين ابناء الوطن الواحد)[1].

والمجتمعات المرعوبة تخشى الحرية نظرا لما تعرض له هذا المفهوم من تشويه بفعل الايديولوجية وبفعل الرغبة السياسية في استمرار الاضطهاد وبذلك ترسخت في العقول بوعي او بدونه افكار حول الحرية من قبيل انها فوضى او انفلات او كفر او اشياء من هذا القبيل، الا ان الحرية تعني حرية الفكر والمعتقد والثقافة والحرية السياسية والدينية، وتبقى حلما مشروعا ما دامت تصبو الى خدمة الوطن والمواطن، ومن هنا وجب تحرير الوعي الاسلامي من بعض المنطلقات المغلوطة التي ترسخ افكار

1 - المصدر نفسه، ص 121.

من نسج خيال بعض الجهات التي لها مصالح في تأبيد سطوتها، ولنطلق العنان لسهام النقد والمراجعة والمعارضة لكل ما هو سيء في البنى السياسية والاقتصادية لان هذا ما من شأنه خلق اوطان ديمقراطية وحداثية وليس اوطانا مليئة بالخراب كما يصورون للناس.

ومن الاحكام الفقهية التي تشوه صورة الحرية في الاسلام وصورة الاسلام بحد ذاته حكم قتل المرتد[1]، وذلك اجتهاد فقهي لا اســـاس له في القرآن، فالأخير ينص على ان: "لا اكراه في الدين".

ومن هذه المنطلقات يركز الغرباوي على ضـــرورة فهم النصـــوص الدينية فهما يتماشى مع العصر وان مجموعة من النصوص نزلت في سياقات معينة وتم تطبيقها باليات محددة، ولا يمكن العمل بعقليات عصور قديمة جدا، وهذا من شأنه ان يترك عقلية المسلمين جامدة لا تسعى الى المضي قدما وتجاوز القراءات المتزمتة والمغلقة.

التسامح.. نصوص خالدة

ينتصر الغرباوي للجديد المتجدد ضد القديم المتهالك التي لم تعد صالحا، رغم انه لا ينكر دور الكثيرين في صـــناعة تاريخ الامة، بين انهم اتوا وادوا دورهم في مراحلهم الخاصة، ولكل زمان رجاله، اذن وجب استحضـار مصـالح وقوى الاحياء لا اتباع الاموات وتقليدهم، ومنه ابداع افكار حية بدل الافكار الميتة التي تميت الانســـان والمجتمع وتجعله عاجزا على التطلع الى افاق العصـــر والانصـــات الى متطلباته. (من الغريب اننا نســتفتي الموتى ونســقط الماضــي على الحاضــر رغم اختلاف الظروف والثقافة والعصــر، فما لم نتخل عن التقليد ونكف عن مناشـــدة الموتى واســتنطاق الماضــين، ســتنقلب حياتنا جحيما في ظل عقول اســتاتيكية متحجرة لا تفهم من الدين سوى ما قاله السلف، وما افتى به المتشددون)[2].

---

1 - المصدر نفسه، ص 132.
2 - المصدر نفسه، ص 138.

ويستغل المتطرفون احداث الحروب التي ما كانت يوما الا استثناء في تاريخ دعوة الرسول الكريم الى الاسلام، وايضا يجدون ضالتهم في آيات القتال التي جاءت لغايات سياقاتها التاريخية من اجل اصدار الاحكام وجز الرقاب وتخويف الناس، وهذا ما يشوه الاسلام الذي تبنى الحكمة والموعظة الحسنة، وجاء لرحمة العالمين، اي الناس جميعا على اختلافاتهم وتبايناتهم.

نصوص غيبها النسخ

يستعرض الباحث ماجد الغرباوي في هذه الفقرة آيات من الكتاب الحكيم يستند اليها المتطرفون لتبرير افعالهم المقيتة، وساهم النسخ في تغييب آيات اخرى اكثر اهمية، وهي عديدة جدا وتدل المسلم الى الرحمة والصفح والسلم والسلام.

وقفة مع الآيات:

يواصل الباحث العراقي ادراج الآيات التي تدعوا الى التعايش والسلام والاخوة بين الناس، ويدعو الى التبصر في كنهها وتفادي الفهم الاعوج للآيات المشروطة بسياق معين وظروف محددة، وفي الاخير يدعوا الى استتباب قيم ومبادئ اسلامية[1]:

الرفق: على اعتباره ضدا للحمق والعنف والخرق، فالرفق قيمة انسانية نبيلة تشكل احد ثوابت التسامح، لأنها تعامل لين يكسب به المرء القلوب.

الحلم: هو ثاني القيم الاسلامية المساهمة في ارساء التسامح، وهو تمكن من كظم الغيظ، وتفادي للحرب وضبط للأهواء الجياشة.

العفو: هو ملكة تمكن من ترسيخ مجتمع متسامح ومتفهم ومتعاون، اعتبارا من كون الناس خطائين، فالعفو صفة الانسان الراقي والواعي بدواخل النفس وجموحها.

الرحمة: "ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء"، الانسان كائن ضعيف والرحمة واجبة مع كل ما في الارض، ولعل البسملة خير دليل على اهمية الرحمة.

---

1 - المصدر نفسه، ص 157 – 160.

خاتمة:

ما احوجنا في مجتمعات شمال افريقيا والشرق الاوسط والعالم الاسلامي عموما الى نهضة فكرية تنطلق من اختلافاتنا وتجعلها قوة وترجع الوحدة كإيديولوجية بدل البحث عن وحدة الايديولوجية، لان ذلك غير ممكن، فالناس ميالون الى الاختلاف والتفرد وهذا امر وارد وطبيعي وجب ضمانه كحق للجميع، فما احوجنا من اجل ذلك الى مفكرين مثل ماجد الغرباوي، بأسلوبه السلس والعميق، يؤصل للمفاهيم ويضعها في سياقنا المتسم بخصائص تميزه، ولعل الكتاب موضوع قراءتنا خير دليل على الاهمية القصوى للمشروع النهضوي القائم على التسييق والبساطة وغيرها من المبادئ والمنطلقات الفكرية الرامية الى خلق مجتمع واع بحقوقه وواجباته، متسامح مع ذاته ومع مجتمعه ومساهم في صناعة القرار.

قراءة في كتاب الشيخ محمد حسين النائيني منظر الحركة الدستورية لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذ عقيل العبود[1]

تمهيد: ليس سهلا على الباحث أن يستقرئ تفاصيل الأحداث التي تحيط بحياة عالم ومجتهد كبير، ليضع معيارا دقيقا لتقييم المواقف بناء على تنافر، وتشابه الآراء بين شـــريحة مختلفة من العلماء، خاصـــة عندما ترتبط تلك المواقف بحياة الشـــعوب والمجتمعات.

والأصعب من ذلك أنه كيف لهذا الباحث أن يتجاوز التراكمات التي تتغلغل في العقل الباطن، تشغل حيزا منه، وتغذيه بفعل الدور الذي تلعبه المؤسسات الإعلامية والدينية التي تسـتغل الثوابت من المعتقدات لتسـويق المفردات التي تغذي مصـالحها. كيف للباحث قراءة مواقف الفقيه، والعالم بناء على حيثيات القضـــايا، ومتنوعات المسـائل وعلى أسـاس صـيرورة ما تكتنزه الأحداث والمشـاهد التي يضـخ بها الواقع

1 - كاتب وباحث أكاديمي - أمريكا

المتناقض للسياسات المختلفة، وكيف للباحث أن يقول كلمته تحت مظلة التسلط الديني؟

في كتابه (الشيخ محمد حسين النائيني منظّر الحركة الدستورية)[1] والذي هو عبارة عن 202 صفحة، بضمنها نبذة عن انجازات المؤلف، وسيرة حياته، وما تعرض له من استفزازات في ظل واقع ارتبطت لغة الاستبداد فيه بمصالح الحكومات المتعاقبة في عموم المنطقة، وتأثير ذلك على مستوى الحوزة في قم، وفي النجف، يسلط ماجد الغرباوي الضوء على حركة التفاعل بين سلطة الحاكم المستبد، وسلطة الفتوى، وانعكاس ذلك على طبيعة العلاقة التي ترتبط بإرادة المجتمعات بقيادة المجددين المجتهدين من العلماء من جانب، والسيف الذي يسلطه الحكام المتسلطين على عقولهم ورقابهم من جانب آخر. والأهم أنه كيف للباحث والمفكر أن يكون راصدا دقيقا لسلطة الاستبداد الديني التي ساعدت وتساعد على ولادة ونمو الاستبداد السياسي، والتي سار على نهجها واتبعها وللأسف بعض العلماء تحت عنوان الفتوى والمقدس الديني؟

ولذلك يعد المشروع الذي طرحه الشيخ النائيني إنموذجا حيا للتمييز بين سلطة الدين الحقيقي، وسلطة الاستبداد الديني، ما يفرض على المؤلف أن يكون أكثر حرصا لمتابعة الأحداث الخاصة بسيرة المجتهدين والعلماء وبحيادية تامة، ومنهم الشيخ النائيني وأستاذه الأخوند الخراساني، ومشروع الحركة الدستورية (المشروطة) والملابسات التي أحاطت بذلك المشروع وفقا لمساحة كبيرة من الانتشار.

---

1 - الغرباوي، ماجد، الشيخ محمد حسين النائيني منظّر الحركة الدستورية، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2012م.

هذه المســـاحة تحكي عن دور ومواقف الحوزة العلمية، والعلماء مع اختلاف آرائهم تجاه سلطة الاستبداد السياسي، وكيف أن هذه السلطة حاولت، ولا زالت تحاول تحييد العامل الديني من خلال تجنيد وتطويع سياسة الفتوى لخدمة مصالحها في الحكم.

وبذلك تتداخل لغة الاستبداد السياسي مع الاستبداد الديني، بل تتجذر من خلاله، وهذا ما تصـــدى له الكواكبي، وكما تطرق له المصـــلح الكبير جمال الدين الأفغاني. وكتاب الشيخ النائيني يُعَدُ مقاربة تم تصنيفها في خطوط تماسها العريضة بحسب ما جاء في فصول الكتاب الأربعة والتي تتضمن الوعي في المنطقة الاسلامية ص 23-43، جذور الوعي والحركة الدستورية ص 44-93، المواقف السياسية 94-128، ومقومات المشروع الإصلاحي 128-187. تليهما صفحة خاصة برواد الاصـــلاح من 188-189 وهذه الصـــفحة تمثل مشـــروعا يدعو الباحثين للخوض في مســـائل التجديد الديني الذي أســـس له الشـــيخ النائيني وغيره من المجتهدين، ويسبق ذلك توطئة ص 6-17، وتقديم ص 18-22[1].

توطئة

يقول الأستاذ الغرباوي في مستهل كلامه: "لا خلاف أن التحيّز فخ يستدرج الباحث لمجافاة الحقيقة، وتزوير الواقع"[2]. وفي هذا القول يريد المؤلف أن يقدم بحثا سيكولوجيا عن طبيعة الإنسان، كونه يختزن مقدمات وأحكام أولية في عقله الباطن

---

1 - راجع محتويات الكتاب ص 195- 198.
2 - المصدر نفس، ص 5.

عن هذا المعتقد، أو ذاك، ما يفرض على العقل أن يحكم وفقا لآلية محكومة بهذه المقدمات. وحجة القول ترتكز على التغيرات التي حصـلت مع العلماء، والنائيني واحد منهم في المواقف، كما هو وارد أدناه:

"وفي حياة الشيخ محمد حسين النائيني كثير من المواقف والظواهر المفتوحة على أكثر من تفسير ورأي، لكن تجد كل باحث يختص برؤية مستقلة. [....] اعتمدت كغيري من الباحثين على مصـادر تاريخية، وما كتب عن ثورة المشـروطة في إيران، وأحداث العراق وما رافقها من دخول الاستعمار وثورة العشرين، ودور علماء الدين فيهما"[1].

والمشروطة هنا إنما يشار بها إلى شروط اتباع الأحكام الشرعية، وما يفرضه الشارع المقدس في نظرية الحكم، بغية وضع العقل في محله الصحيح: " تتلخص فكرة مشروع رواد الإصلاح، في تلمس معالم المشروع الإصلاحي لكل رمز من الرموز للتواصل معه، والبحث عن نقاط الضعف لتداركها، وتأسيس وعي جديد، يرتكز إلى العقل، ضد الخرافة والقداسة، وضد الاستبداد بنوعيه السياسي والديني"[2].

وهذا يفرض اتجاهين داخلي، وخارجي. أما الاتجاه الداخلي فيفرض استنهاض العقل وتحريره من تبعية الجهل عن طريق الفتاوى، والاجتماعات، والمؤتمرات، والرسائل. وأما الاتجاه الخارجي فيقتضي نشر الوعي، والتثقيف بمبادئ مشروع

---

1 - المصدر نفسه، يتحدث المؤلف في هذا الباب عن جملة العقبات التي تعترض المهمة الإصلاحية، وعن تجربته تحديدا، راجع الصفحات 17.5.

2 - المصدر نفسه، ص 9، المقطع الأخير السطر 4.1

الاصلاح من خلال توزيع الكتب والكتابة عنها يقول المؤلف: "ومن المخطط الكتابة عن كل المشاريع، بما فيها مشروع السيد جمال الدين الافغاني، وغيره من المصلحين"[1].

ومن المناسب الإشارة هنا إلى أن مشروع الإصلاح هذا يقتضي الارتباط بثقافة إسلامية واعية، ومن ضمن هذه المبادئ أسس الإصلاح التي أراد لها الحسين بن علي أن تسود، وعليه يصبح من الضروري تثقيف المجتمعات بالمضامين الحقيقية للشعائر الحسينية، وعلاقتها بالوعي التنويري، وفي هذا الباب يتصدى المؤلف لأهمية تهذيب الشعائر الحسينية، كون ذلك لا ينفصل عن فكرة تحرير الوعي من الجهل، وهو من الأسس المهمة التي اعتمدها الشهيد شريعتي ضمن منهج الحركة الدستورية. ولكن الطريق إلى الإصلاح ليس سهلا، فهو يتطلب صبرا، ومثابرة، وعناء، ولهذا يتحدث المؤلف عن تجربة معاناته حيث يشير إلى حادثة تعرضه للاستجواب الأمني عندما نشر مقالاته في هذا الباب في مجلة التوحيد، من قبل شخص يعمل في الحكومة الإيرانية مستجوبا إياه عن رأيه في مشروع و"أفكار الدكتور علي شريعتي"، مع أسئلة تحقيقية أخرى، وذلك إشارة إلى أن عملية الصراع بين لغة التجديد، وقوالب التخلف الفكري، تفرض حواجز ليس من السهل اجتيازها، كونها تخضع لسلطة الاستبداد الديني[2]. وبذلك ومن خلال التوطئة التي قدمها المؤلف، أصبح واضحا، وكما هو معروف لدى الكثير حجم الاضطهاد، والتعتيم والمنع الذي تعرض، ويتعرض له المصلحين في كل زمان، ومكان.

---

1 - المصدر نفسه، ص 9-10، السطر 8،6، والصفحات التي تليها لغاية ص 16.

2 - المصدر نفسه، ص 11 – 16. في هذه الصفحات يتناول المؤلف تجربته مع مسؤولية الإصلاح وتداعيات الصراع التي لها علاقة كبيرة بلغة المفاهيم والمعتقدات.

وفي زاوية تقديم يتناول المؤلف أهم ما جاء به الشيخ محمد حسين النائيني للحركة الاصلاحية وهو رسالته " تنبيه الأمة وتنزيه الملة"[1] حيث يقول المؤلف عن مشروع الشيخ النائيني "فليس مشروع النائيني عقد مصالحة بين الحق والباطل أوصيغة للتعايش مع الطاغية، وإنما هو انتزاع الحقوق المغتصبة للأمة، وتقييد المستبد ليمارس سلطته في إطار القانون"[2]. وهذا يعني أن هنالك منهجا رادعا، يسعى لمعارضة استبداد الحاكم، والدفاع عن حقوق المستضعفين، وهذا هو منهج الإصلاح الذي أراد له الحسين بن علي في ثورته مع يزيد أن يسود. ولذلك يشعر المتتبع لفصول الكتاب، أن هنالك مرتكزات حقيقية تتكئ على التجربة التي مر بها الإسلام، ليتم اتباعها من قبل أنصار الحركة الدستورية، وهم قافلة من المراجع والعلماء الذين نذروا حياتهم من أجل ذلك[3].

الوعي في المنطقة الإسلامية

يتضمن هذا الفصل مجموعة من المحاور تندرج تحت عنوان الوعي في المنطقة الإسلامية وترتكز على عوامل النهضة الإسلامية الحديثة وهذه العوامل وبحسب التصنيف هي: علماء الدين، السيد جمال الدين الحسني (الأفغاني)، التحديات الخارجية، الرقي المتصاعد، الحالة الثقافية في إيران والعراق، والحركة الدستورية والوعي.

---

1 - المصدر نفسه، ص 17.

2 - المصدر نفسه، ص 18.

3 - راجع السطر 4 ص17، والمقطع الثاني ص18 السطر1-3. تتضمن حاشية الصفحة 19 تجربة الباحث الغرباوي في كتبه عن رواد الإصلاح، منها منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي، وانتهاء بكتاب النائيني.

وفي هذا الفصل يسلط المؤلف الضوء على حالة التردي والتخلف الذي أصاب الامة الاسلامية بسبب التسلط الذي مارسه الأمويون والعباسيون بعد أن روجوا لسلطة الحاكم، واعتبارها ممثلا عن سلطة الدين، حتى صار التشريع موجها من قبل الحاكم بعيدا عن شريعة الدين، وانشغل الحاكم الاموي، ومثله الحاكم العباسي بمصالحه الشخصية، ما آل إلى ضعف سلطة القانون، وسلطة الدولة، وابتعد التشريع عن إرادة ومبادئ الدين والشارع المقدس، ما تسبب في عزوف الناس عن نصرة الحاكم المستبد والوقوف معه، حتى المرحلة التي تم فيها إحتلال بغداد من قبل هولاكو، وبعدها السيطرة على دمشق من قبل تيمورلنك، هذا إضافة إلى ما سببته الحروب الصليبية في بلاد الشام من خراب، وكذلك ما قامت به سلطة الحكم العثماني في استغلال الدين "[و] تكريس فقهاء السلطة، وبلورة الفقه السلطاني، المكلف بشرعنة ممارسات السلطان"[1]. وهذا معناه أن من حق السلطان أن يمارس القتل، والزنا، واستعباد الرعية، فهو الفرعون والرب الذي لا يحق للرعية مخالفة أوامره مهما كانت النتائج، وبهذا ليس للرعية الحق إلا إعلان حق الطاعة والولاء المطلق للسلطان. ولكن هذه التداعيات أدت إلى التمرد والثورة، وكانت الظروف القاسية التي مرت بها البلاد الإسلامية تأثيرا في بث الوعي والتصاق الناس بالعلماء، ولذلك فإن المرحلة الثانية من مراحل الصراع تحكي عن عوامل النهضة الإسلامية الحديثة، وهذه المرحلة تناقش تأثير حملة نابليون في مصر وعامل التحدي الحضاري بين الغرب والشرق، ومقابل ذلك، دور العلماء والمراجع الكبار الذين تصدوا للاستبداد وقيادة حركة الوعي، وظهور السيد جمال الدين الأفغاني مع الملامح الرئيسية لمشروعه

---

1 - المصدر نفسه، ص 24.

الإصلاحي والذي يقوم على أساس محاربة الاستعمار، مناهضة الاستبداد، إشاعة وتركيز الوعي، تنقية الفكر الإسلامي من الشوائب، وتوحيد المسلمين في إطار الجامعة الإسلامية، وهذا المشروع لا يمكن أن يمر بدون رد فعل، ولذلك أصبح لا بد من الصراع بين نقاط التماس بين الغرب الحضاري إن صح التعبير بمعنى الغرب الذي يتغذى على موائد الشرق الحضارية، أي العلوم المختلفة للعلماء المسلمين، والإسلام. ويبدو هنا أن أساس التخلف الحضاري يعود إلى الاستبداد، ولهذا حرص الاستعمار على إدامة المصادر التي تغذي هذا الاستبداد، ومن هذه المصادر، أنصار الحركة المستبدة، ولهذا وبعد أن تكشفت الأبعاد الحقيقية للمصالح الاستعمارية، توجه المسلمين للبحث عن منابع العلم والتنوير بحثا عن طرق حضارية لمجابهة التخلف الذي يسعى الاستعمار فرضه وترويجه، وتم تتويج هذا التوجه بفتح مراكز علمية للدراسات في العراق وإيران وكان ذلك بجهود المراجع الكبار، ولذلك فإن الحركة الدستورية كانت قد فتحت الأبواب المغلقة لتتصدر المشهد السياسي والحضاري وفقا لرؤية واضحة، "وبهذا استطاع علماء الدين أن يثبتوا مصداقيتهم في قيادة التحرك الجماهيري"[1].

وهذا معناه أن هنالك مسارا متصلا مع البعد الحضاري المعرفي للدين الاسلامي سواء في الغرب، والشرق. ومن الضروري الاشارة هنا إلى أن المؤلف قد حلل عوامل الضعف والقوة على مستوى الديانات الأخرى حيث تجد أن سلاح الاستبداد كان قد شمل سلطة الكنيسة في الغرب أيضا، وأن الغاية منه هو استغلال الشعوب

---

1 – المصدر نفسه، ص 41. راجع العوامل التي ساعدت على "اتساع رقعة الوعي" المقطع الأخير، ص 34.

واضعافها. ولذلك فإن مشروع الإصلاح هو رد فعل يستمد نقاط قوته من الظروف التي تعصف بالبلاد.

جذور الوعي

يضم الفصل الثاني والذي عنوانه جذور الوعي والحركة الدستورية المحاور التالية: النشأة الأولى، في مدينة سامراء، في مدينة النجف، دوافع الحركة الدستورية، بداية التحرك، تفاقم الأزمة، المجلس النيابي، دور علماء النجف في الحركة الدستورية، النائيني والحركة الدستورية، الثورة مجددا، الاستعمار والحركة الدستورية، أخطاء الحركة الدستورية، الشيخ فضل الله النوري، اشعاعات الحركة الدستورية في العراق، إعلان الجهاد ضد الاستعمار وهو بفرعين هما: إعلان الجهاد ضد روسيا والانجليز، إعلان الجهاد ضد ايطاليا.

يتناول موضوع النشأة الأولى أبرز المحطات في حياة الشيخ النائيني وهو عبارة عن سيرة تاريخية، ابتدأ نورها من مرحلة الولادة 1860 مـ في مدينة نائين المدينة التابعة إلى أصفهان، حيث بدايته الأولى على يد" شيخ الإسلام" وهو والده، ثم انتقاله إلى أصفهان ملتحقا بمدرسة علمية تابعة إلى الحوزة العلمية وبعمر 17 سنة، حيث إكماله لعدد من المناهج الدراسية التي تعتمدها الحوزة العلمية، وفي ذلك بعض الملاحظات الإشكالية حول الطريقة التي تأثر بها الشيخ النائيني بالسيد جمال الدين الأفغاني، وتأثره بالمقالات التي كان يصدرها الأفغاني في جريدة العروة الوثقى. ويتناول المحور الثاني وهو بعنوان في مدينة سامراء انتقال الشيخ النائيني من النجف إلى سامراء وبداية نشاطه السياسي، حيث تتلمذ على يد الميرزا محمد حسن الشيرازي، وزيارة

الأفغاني ولقائه به في مكان إقامته، وفي المحور الثالث يعود الشيخ النائيني إلى النجف "بعد وفاة السيد محمد حسن الشيرازي". وفي دوافع الحركة الدستورية يتحدث المؤلف عن الظروف التاريخية التي مرت بإيران حيث توالي عدد من الملوك المستبدين من الدولة القاجارية على سدة الحكم، وتردي الوضع المعيشي للعامة حيث جاء ذلك متزامنا مع حالات التعسف والاضطهاد، حتى ظهرت بوادر الثورة على مستوى الشارع الإيراني. وبتظافر الجهود مع زعماء الإصلاح ومنهم السيد الأفغاني، وتجلى الموقف ناصعا مع "ثورة التبغ التنباكو"[1]، ومع تفاقم الأزمة السياسية، والصراع بين أنصار المشروطة والسلطة المستبدة في إيران في ذلك التاريخ، تم انتخاب أحد زعماء المشروطة في المجلس النيابي وذلك عام 1906، بعد إجبار مظفر الدين شاه لتلبية مطالب العامة وتعيين من يمثلهم من العلماء. وكان لعلماء النجف دور في المد الثوري ضد حكومة إيران، وفي ذلك التاريخ كان الآخوند الخراساني، والسيد اليزدي، وفي محور النائيني والحركة الدستورية، كان الشيخ النائيني مواكبا لأحداث الحركة الدستورية من مقر إقامته في النجف. وفي محور الثورة مجددا يتناول المؤلف كيف حصل اتساع رقعة المد الثوري ليستقطب مناطق جديدة في إيران ومنها تبريز.

وفي محور الاستعمار والحركة الدستورية، يقف المؤلف على النهج الذي نهجه الاستعمار في سياسة الاختراق، حيث استطاع دس مجموعة من الشباب المغترب ومعه مجموعة ممن يحملون الأفكار العلمانية لشق صفوف الحركة الدستورية، وزج عدد من المتنفذين الإقطاع مما أدى إلى انحراف الحركة الدستورية، حيث تم انشغال البعض من المحسوبين على الحركة الدستورية بمصالحه الشخصية، وهذه الأسباب تضافرت

---

1 - المصدر نفسه، ص 54.

لخلق حالات الانشقاق والفوضى، انتهت بمقتل الشيخ فضل الله النوري بسبب أخطاء وحماقات البعض من المتطرفين، ولكن رغم كل ما حصل من إخفاقات، وتداعيات سلبية، تصاعدت تأثيرات المد الثوري حيث انعقدت جلسات ومناقشات ومناظرات، للعلماء والطلبة والمثقفين، وولدت على أثر ذلك شخصيات وأفكار تشير إلى عمق في مستوى الوعي، وكان العراق بعلمائه من المصلحين لاعبا قويا في إعادة مسيرة المشروطة وحمايتها من المنحرفين المتطرفين وأصحاب الأفكار الغريبة، حيث استطاع أنصار المشروطة "وبعد انقلاب عام 1908 وإعلان الدستور في الاستانة" أن يحققوا قدرا من الحرية[1]. وصار "لعلماء الإمامية [دورا كبيرا] في محاربة الاستعمار ومقاومة الاعتداء ضد الدولة الإسلامية" وأعلن الجهاد ضد روسيا والانجليز، ثم تبعه الجهاد ضد إيطاليا عندما احتلت ليبيا[2].

وهذا يعني أن هنالك سلسلة مهمة من الاحداث المتتابعة ويقابلها دورا متصلا من المواقف الخاصة بالعلماء الذين أدوا دورهم الجهادي ضد مساحة منتشرة من الجغرافية سواء على مستوى الوطن العربي أو دول أوربا التي اتخذت من المحيط العربي مأربا لمصالحها السياسية والاقتصادية. ومن الضروري الاشارة إلى أن المؤلف أراد أن يقول أن سلسلة الاحتلال البريطاني والروسي والتركي والايطالي والفرنسي في مصر

---

1 - المصدر نفسه، ص 84.

2 - المصدر نفسه، ص 46-91، وبحسب محاور الفصل حيث يشرح المؤلف تصاعد المد الثوري للحوزة العلمية في النجف " عبر الاجتماعات العامة والقاء الخطب مسيرة الأحداث التي ابتدأت بقتل الشيخ النوري.، راجع ص 81ـــ82 يصف المؤلف فيه تنامي حركة الوعي وتمخض التناقضات في المواقف والصراعات عن تمسك الجماهير بمبادئ الحركة الدستورية "بعد إعلان الدستور في الاستانة في 23 /تموز/ .1908.

ساهمت بانتشار الثقافة الاسلامية على الرغم من المطبات التي آلت إلى نشر لغة الاستبداد السياسي متزامنة مع لغة الاستبداد الديني الذي تم تسويقه منذ العصر الأموي والعباسي وقبلهم عهد الخليفة الثالث الذي تأسس الاستبداد في فترة خلافته وكيف أن الثورات نشأت في هذا الامتداد الواسع على مستوى الجغرافية السياسية للأمة الاسلامية ولذلك كان للنائيني ومن حذا حذوه حيث سبقهم الآخوند الخراساني دورا بارزا في شحذ الوعي الجماهيري لمقارعة هذا الاستبداد بكل صنوفه، ولكن هذا لا يمنع أن هنالك اختلاف في المواقف بين العلماء صاحبتها خيبات أمل متكررة خاصة ابان الحرب العالمية الأولى وقضية الانتداب وتأسيس نظام الوصاية الانجليزية على العراق ذلك تابع ذلك في الفصل الذي يليه.

النشاط السياسي في العراق

يتضمن هذا الفصل والذي عنوانه المواقف السياسية: النشاط السياسي في العراق، النائيني والانتداب البريطاني، الاعتداء الوهابي على العراق، الموقف من المعاهدة العراقية البريطانية، تبعيد الشيخ النائيني وزملائه إلى إيران، الشيخ النائيني في إيران، النائيني في مدينة قم، مفاوضات العودة إلى العراق، النائيني وإعلان الجمهورية في إيران، الرمز العلمي، وفاة الشيخ النائيني، المحطات السياسية في حياة النائيني.

يتناول المحور الأول موقف الشيخ النائيني من الاستعمار إسوة بباقي العلماء الذين تصدوا لنظام "الوصاية البريطانية [...] الذي يمنح الوجود الأجنبي شرعية الاستمرار في احتلال العراق"[1].

1 - - المصدر نفسه، ص 94.

يتحدث المحور الثاني عن الأحداث التي حلت "بعد وفاة شيخ الشريعة الأصفهاني، [وبروز الشيخ النائيني] لمؤامرة الانتداب البريطاني"[1]، وفي المحور الثالث الذي عنوانه الاعتداء الوهابي على العراق، يتناول المؤلف دور العلماء في "انعقاد مؤتمر كربلاء الذي كان مناسبة جيدة لتوحيد الموقف الشيعي تحت قيادة دينية واحدة"[2]، وتوحيد المواقف هنا جاء حلا لمشكلة الاختلافات التي حصلت وتحصل دائما بين العلماء والمجتهدين. ويناقش في موضوع الموقف من المعاهدة العراقية البريطانية كيف " بدأت فصول سياسية جديدة في العراق برز فيها العلماء قادة للمعارضة السياسية"[3]. وفي محور تبعيد الشيخ النائيني وزملائه إلى إيران، " [كيف أن] المعارضة اتخذت مواقف متباينة تجاه التحولات في سياسة الحكومة الجديدة، فلم تعر المعارضة زيادة اهتمام بعودة المبعدين السياسيين"[4]. وفي محور الشيخ النائيني في إيران "[كيف] استقبل أهالي كرمنشاه العلماء المبعدين من العراق" وتداعيات الأحداث والموقف المضاد من الملك فيصل[5]. وفي محور النائيني في مدينة قم يبحث المؤلف كيف أن استقرار الشيخ الخالصي في قم قاد إلى "التباين في وجهات النظر بينه وبين الآخرين حول مفاوضة الحكومة العراقية وشخص الملك فيصل بالذات من أجل العودة إلى العراق" وفي الموضوع تفاصيل في الرؤى والمواقف، حيث بعكسه

---

1 - - المصدر نفسه، ص 96.
2 - المصدر نفسه، ص 100.
3 - المصدر نفسه، ص 105.
4 - المصدر نفسه، ص 109.
5 - المصدر نفسه، ص 111.

بعث الشيخ الأصفهاني والشيخ النائيني "مبعوثين لمفاوضة الملك حول هذه القضية "[1]. وفي محور مفاوضات العودة إلى

العراق، يناقش المؤلف كيف أن " الملك... راسل العلماء في إيران من أجل احتوائهم"[2]. وفي محور النائيني وإعلان الجمهورية في إيران كيف أن الأحداث التاريخية لعبت الدور المؤثر في أن يتمتع الشيخ النائيني بمكانة علمية وقيادية مرموقة، إضافة إلى "[...] تمتعه بسمعة كبيرة لدى الشعب الإيراني"[3]. وفي محور الرمز العلمي، يناقش المؤلف كيف أن الشيخ النائيني "تفرد بمدرسة علمية لها آراؤها ومتبنياتها العلمية في الفقه وأصول الفقه"[4].

وتحت محور وفاة الشيخ النائيني، يناقش المؤلف المحطات السياسية في حياة النائيني والتي من أبرزها "مرحلة النضج الفكري وتكامل مكونات الوعي " وبهذا يسلط الأستاذ الغرباوي الضوء على أبرز محطة في تاريخ المرجعية[5].

وفي إشارة لمعنى الإصلاح كونه مشروع دائم، يقول المؤلف في نهاية الفصل " ثمة حقيقة أخرى هي ان الشيخ النائيني قد انطفأ وهجه الإصلاحي عند وفاة الآخوند الخراساني رغم مواقفه المشرفة في مقاومة الاستعمار. وحل به ما حل بمحمد عبده

---

1 - المصدر نفسه، ص 112.
2 - المصدر نفسه، ص 114.
3 - المصدر نفسه، ص 116.
4 - المصدر نفسه، ص 120.
5 - المصدر نفسه، ص 125.93.

عند وفاة استاذه السيد جمال الدين الحسيني المعروف بالأفغاني. فكلا الرجلين نشعر عندما نقارب حياتهما انهما كانا يتحركان بحركة استاذيهما"[1].

مقومات المشروع الإصلاحي

ينطوي هذا الفصل، بعنوان: مقومات المشروع الإصلاحي. على مناقشة المحاور التالية: تنبيه الأمة وتنزيه الملة، الجذور الفكرية للكتاب، المشـــروع الإصـــلاحي، ويتضمن محاربة الاستعمار، مناهضة الاستبداد، تعريف الاستبداد، تاريخ الاستبداد، أسباب الاستبداد، آلية الاستبداد، شعب الاستبداد ويمثل الاستبداد السياسي، والاستبداد الديني، قوى الاستبداد، الدولة الدستورية، ومحاورها استيلاء وغلبة، دولة دستورية. النظرية السياسية، مشروعية المجلس النيابي، شروط ووظائف أعضاء المجلس النيابي، مبادئ الحكم، ويتضــمن موضــوعها الحرية، والمســاواة، المســاواة في الحقوق، المســاواة في الأحكام، المســاواة في القصــاص والعقوبات، الشــورى، النائيني والمســتبد العادل، رواد الإصلاح.

يعد كتاب تنبيه الأمة وتنزيه الملة للشـيخ النائيني ملخصـا موجزا للمشـروع الذي اشتغل عليه الشيخ النائيني، وهو قريب في مضامينه من كتاب طبائع الاستبداد لعبد الرحمن الكواكبي، وبما أن الكتاب تمت طباعته في القاهرة عام 1905، فهذا يعبر وبحســـب الأســـتاذ الغرباوي عن تجاذب في الآراء بين "الكواكبي والنائيني" بما يتعلق بمفهوم وحقيقة الاستبداد. وقد أشـار المؤلف في هذا الباب إلى معنى الاستبداد من

---

1 - المصدر نفسه، ص 127.

وجهة نظر الكاتب الإيطالي "فتوريو الفبري" الذي تم الإشـــارة إليه في كتاب الكواكب[1].

هنا وإشارة لحالات التشكيك التي حصلت من قبل عدد من المؤيدين للشيخ النائيني بسـبب بعض المواقف، أسـوة بغيره من المراجع، يقول المؤلف بهذا الصـدد: "اتضح من خلال حياة الشيخ النائيني ومتابعة فصول الأحداث السياسية التي رافقته، فأثر بها أوتأثر بها، ان الرجل كان يتحرك ضمن مشروع سياسي يتسم بالوضوح والثبات في مقاومة الاسـتبداد ومحاربة الاسـتعمار، وظل وفيا لمبادئه حتى المراحل الأخيرة من عمره"[2].

والكتاب وباختصار شديد يعتبر رسالة علمية وعملية لأهم مبادئ الحكم التي جاء بها الشيخ النائيني ابتداء من القوانين المتعلقة بمشروعه الإصلاحي والتي ترتكز على محاربة الاستعمار، ومناهضة الاستبداد وفقا للتعاريف التي وضعت له من قبل كبار المفكرين، وتاريخه، وأسـبابه التي تحدث فيها عن حقبة الحكم الفرعوني، وآلياته التي ترتبط ب"جهل الأمة"، وشـعبه، وأنواعه، وقواه التي منها الاسـتبداد الديني، والتزلف للسـلطان، ثم موضـوع بناء الدولة وفقا لنظرية دستورية، والتي ترتكز "على أسـاس مشـاركة الشعب" ومشـروعية المجلس النيابي في الحكم، وشـروط ووظائف الأعضاء في المجلس النيابي والتي بضمنها الخبرة السياسية، ومبادئ الحكم في الحرية التي ورد في تعريفها اعلى أنها "تعني تحرير الأمة من ربقة الجائرين"، والمسـاواة، وتنص على مسـاواة الناس في الحقوق، والأحكام، وفي القصاص والعقوبات، ويضاف إلى

1 - المصدر نفسه، راجع الجذور الفكرية للكتاب ص 133المقطع الثالث.
2 - المصدر نفسه، ص 129 المقطع الأول السطر 5.1.

ذلك الشورى باعتبارها " أحد أهم مبادئ الحكم في الإسلام"، وعن مفهوم المستبد العادل التي وردت في نهاية الفصل، يدعو الشيخ النائيني "إلى انتخاب مجلس برلماني ينهض بمهمة صياغة دستور يحد من سلطة المستبد ويخلق منه مستبدا عادلا يعمل بمبادئ الحكم الثلاثة الحرية، المساواة، الشورى"[1].

الخاتمة

وخلاصة ما تقدم، يرسم لنا الأستاذ الغرباوي في دراسته التحليلية الشاملة والدقيقة هذه، الظروف التاريخية االتي مر بها الشيخ النائيني، ليقدم لنا صورة تفصيلية عن المواقف السياسية والدينية لهذا المرجع الكبير، والظروف التي مرت بها البلاد في ظل العصر الذي أراد الاستعمار البريطاني وغيره فيه استخدام قدسية الدين لتمرير خططه الهادفة إلى تقزيم وتشويه المبادئ التي جاء بها الإسلام على أساس الفصل بين إنسانية الدين القائمة على أساس المساواة والعدل والحرية واحترام الحقوق العامة للشعوب، وسلطة الحاكم التي أريد لها تتجاوز جميع الخطوط تحت ما يسمى بقدسية السلطان، وبهذا تتحول قدسية الدين إلى قدسية الحاكم، ولذلك سعى الاستعمار إلى استخدام بعض الفتاوى لترويج مصالحه وتثبيتها في نفوس البسطاء من العامة.

وبناء على ذلك، تبرز لنا حقيقة الدور الذي اختطه الفقهاء من المجددين لممارسة دورهم الحقيقي لمقارعة الاستعمار وفضح سياسات الغزاة الذين يسعون لطمس حقيقة الدين.

---

1 - المصدر نفسه، راجع مبادئ الحكم، صفحة 173، السطر 1-2 المقطع، راجع جميع الصفحات الخاصة بالفصل الرابع مع الحواشي.

ويعتبر الفصــل الرابع خاتمة البحث، كونه يلخص وبالتفصــيل الموجز الأســس والمبادئ العامة لمشــروع الإصــلاح الذي جاء به الشــيخ النائيني في كتابه تنبيه الأمة وتنزيه الملة، وأعتقد أن عنوان الكتاب في دلالته الضــمنية يشــير إلى شــروط إتباع الشـارع المقدس من خلال تنوير وتثوير الوعي ضـد سياسـة الاسـتبداد التي اسـتمدت جذورها من خنوع الشـعوب لحكامها، ومن تجهيل الناس واسـتخدام سـلاح الفتوى تحت عنوان المقدس الديني لخدمة مصــالح الســلطان. ويعد هذه الكتاب مقدمة لواجب أسمى يقع على عـاتق المفكرين الأوفيـاء، وهو اتبـاع خطى من ســبقهم من المصلحين.

قراءة في كتاب الفلسفة النسوية
في مشروع ماجد الغرباوي التنويري

بقلم: الأستاذة سراب سعدي[1]

مازلت شغوفة بمطالعة كتب الأستاذ ماجد الغرباوي والكتب التي صدرت عنه. وأنا كامرأة أعجبتُ كثيراً بكتاب (الفلســفة النســوية في مشــروع ماجد الغرباوي التنويري)[2] للأستاذ الدكتور محمود محمد علي. كتاب رائع ومفيد، أتمنى أن تطلع عليه النســاء. لا فقط المرأة العربية بل النســاء بشــكل عام. كتاب اســتعرض هموم المرأة وعلاقاتها المختلفة، خاصــــة في ظل النظام الأبوي الاســـتبدادي. وتابع جذور إشـكالياتها، ليصـل إلى نتائج جديدة، أبعد من إشـكالية الأمومة والأدوار البويلوجية لها. جاء في مقدمة الكتاب: (ومن أهم المفكرين الذين أولوا قضـــية المرأة عناية فائقة والمنظرين لأسس الفلسفة النسوية بمفهوم ورؤية خاصة تستحق الدراسة والتحليل هو الأســتاذ ماجد الغرباوي)[3]. حيث أرجع إشــكالية المرأة لإشــكالية الوعي قبل كل شيء، لذا عَرّفَ الأستاذ الغرباوي الفلسفة النسوية: (تحرير وعي المرأة وإعادة تشكيله وفق رؤية إنســـانية عادلة)، ليكون موضـــوعها (نقد مكونات الوعي وارتهانات تشــكيله)[4]. بهذا وضــع يده على الجُرح من خلال الوقوف على أصــل المشــكلة.

---

1 – كاتبة وأديبة عراقة.

2 – محمد علي، د. محمود، الفلســـفة النســـوية في مشـــروع ماجد الغرباوي التنويري، در الوفاء، الاسكندرية – مصر، 2020م.

3 – المصدر نفسه، ص 7.

4 – المصدر نفسه، ص 9.

مشكلة الوعي أولاً وقبل كل شيء. فنحن نعاني دائما من رثاثة الوعي المشرعن. وهو ينطلق في بحوثه في هذا الكتاب وغير من نظرية الإنسان، التي تتبنى مركزية الإنسان ودوره المحوري في الحياة. في مقابل نظرية العبودية، التي تسلب الإنسان إنسانيته، وتصادر حقوق، وحقه في الحرية والاختلاف باسم الدين.

كما ركز الأستاذ ماجد على مفهوم الحرية، إضافة الى مفهوم الوعي، باعبترها إحدى مقومات وذاتيات الإنسان و(.. إذا لم تكن من ذاتيات الإنسان فهي من أخص خصائصه وأعراضه. وقد لا أجازف – والكلام للغرباوي – حينما أعتبرها فصلا في الحد المنطقي، لأنها ليست أقل خطورة من الناطقية)[1]. فالوعي لا يكفي ما لم تتمتع المرأة بمساحة كافية من الحرية التي تجسدت فيها إنسانيتها، وفرادتها. وبكل الأحوال النزوع للحرية هو نزوع إنساني. هذا ما أكده الأستاذ ماجد في رده على سؤال ورد في نفس كتاب الفلسفة النسوية: ومادامت كذلك فهي حق وجودي للإنسان. فللاستاذ الغرباوي آراءه الخاصة حول الإنسان والمرأة خاصة، على أساسها يقارب القضايا الإشكالية. فعندما سُئل عن موقفه من المدرسة النسوية (اللبيرالية) التي تراهن على الرأسمالية في استرداد المرأة حقوقها، كما يؤكد هذا الاتجاه النسوي الليبرالي، أجاب بشلك صريح وواضح: (تفترض هذه المدارس أن مشكلة النسوية مرتهنة لحلول البنى الفوقية بينما المشكلة الأساس في المقولات التأسيسية للوعي النسوي واهتزاز الثقة بالنفس)[2]. وهذا ما أكده عند تعريفه لمفهوم النسوية: (تحرير المرأة وإعادة تشكليه وفق رؤية إنسانية عادلة). ونحن في العالمين العربي والإسلامي بل وحتى الدول المتطورة، مازالت المرأة تعاني من عقدة المظلومية واضطهاد الرجل لها، لكنها لا تسأل عن سبب مظلوميتها؟ وهل سببها الرجل فقط أم أعانته المرأة على ذلك؟![3]. وهنا إجابة دقيقة، تجعلنا نعيد حساباتنا ألف مرة. والاخذ بنظر الاعتبار

---

1 – المصدر نفسه، ص 28.

2 – المصدر نفسه، ص 35.

3 – المصدر نفسه.

أهمية فهم صلب الموضوع، ومعرفة الأسباب الحقيقية، من أجل الوصول إلى تسوية مناسبة للإشكالات المطروحة.

وأما عن اضطهاد المرأة والأسباب الحقيقية لهذا الظاهرة التي لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات، خاصة مجتمعاتنا العربية، فهو يؤكد: لا شك أن ثقافة العبودية وقيمها الأخلاقية مازالت راسخة، ونحتاج لاستبدالها بالنظرية الإنسانية جهودا كبيرة، أهمهما معالجة الموروث الثقافي، وتحليل ونقد الخطاب التراثي الذي يؤصل لنقص المرأة وحاجتها المستمرة للوصايا، ويفرض عليها باسم الدين والقيم الأخلاقية الطاعة والانقياد وعدم معصية الرجل. واستبداله بخطاب إنساني، عقلاني، تنويري، يقوم على العدل والانصاف والرحمة والتراحم، وهي قيمنا التي حثت عليها النصوص المقدسة[1].

رموز الحركة النسوية

لا يمكن الاستهانة بالجهود التي بذلتها رموز الحركة النسوية في العالم منذُ القرن التاسع عشر ابتداءً من تمرد نساء نيويورك للمطالبة بتخفيض ساعات العمل وتحسين ظروفهن في المعامل، وهي جهود كبيرة حققت مكاسب أولية لصالح المرأة، ثم توالت تحركات النساء وقد شهدت أمريكا تحركاً جديداً سنة 1904م وسنة 1908وحتى أول مؤتمر سنة 1945. وفي موازاة هذه التظاهرات كانت هناك جهود ثقافية وفكرية تثري الحركة النسوية وتنظّر لها[2]. والإنصاف أن مشكلة المرأة مشكلة تاريخية يتمكن الباحث من رصدها خلال أحكام الشريعة التي تعكس وجود جدل محتدم حول المرأة ومكانتها وحقوقها، لأن آيات الكتاب كانت تتنزل استجابة للواقع، والحكم يكشف عن تناقضاته . بل بعضهم أدرج حتى نشاطات هيباتيا في القرن الخامس الميلادي ومن تلاها لجهود النسوية العالمية، بل يمكن إدراج جميع الجهود المبذولة في هذا الإتجاه

1 - المصدر نفسه، ص 39-40.

2 - المصدر نفسهن ص 45.

فطالما كتبت النساء عن مظلوميتهن وحقوقهن المسلوبة[1]. وبهذا الصدد ذكر الأستاذ ماجد الغرباوي عددا من النساء التي ساهمت في الدفاع عن مظلومية المرأة، عربيات وعالميات وأشاد بها لأن المرأة أقدر على التعبير عن مظلوميتها. كما ذكر بعض الرجال المناصرين للمرأة.

المرأة والحركات الإسلامية

في الفصل الخامس من كتاب الفلسفة النسوية: الحركات الإسلامية والمرأة. أجاب الغرباوي إجابات تدل على مدى تفهمه لجميع المستويات الفكرية، فجعل أجوبته واضحة لا غموض فيها. من يقرأها يشعر بالأمان والثقة بفكره، حيث أكد: أن الموقف يختلف من إمرأة إلى أخرى باختلاف زاوية النظر. وعندما (تنظّر الحركات الإسلامية والناشطات والداعيات الإسلاميات بوجه عام إلى مفهوم النسوية نظرة استهجان وازدراء)، فلأنها تستمد موقفها من مرجعيات تختزل المرأة وتصادر إنسانيتها وحقوقها، تحت شتى العناوين، أخطرها الدين وشريعة سيد المرسلين، وهي حدود أغلبها تنظيرات فقهية، وتأويلات ذكورية للنص الديني، غير أنها مقدسة بالنسبة للعقل التراثي[2] .

ما بعد الكولونيالية

أما الفصل السادس فقد استعرض الغرباوي المنطلقات الفكرية لنسوية المرأة ما بعد الكولونيالية. وهي تارة يراد بها مرحلة تاريخية تأتي بعد مرحلة الاستعمار فيشار لها بهذا الاعتبار. وأخرى يراد بها تقصي آثار وتداعيات الاستعمار على الثقافات والمجتمعات التي عانت من سطوة الحكم الكولونيالي[3]. وقد بينها بشيء من التوسع

---

1 - المصدر نفسه.

2 - المصدر نفسه، ص 53.

3 - المصدر نفسه، ص 65.

ووضـــع النقاط على الحروف فيما يخص تلك المرحلة التي تعتبر مرحلة منفتحة ذات نســـبة كبيرة من الحرية. وقد تختلط فيها ثقافات قد تكون غريبة في فترة ما قبل الاســـتعمار لذلك تعد هذه المرحلة من أخطر المراحل التي يمر بها اي شـــعب من الشعوب . وأعود وأضيف تعريف آخر للأستاذ ماجد بهذا الخصوص وفي هذا الفصل ذاته حيث عرف تلك المرحلة بانها" نقد الهيمنة الامبريالية وتداعياتها على الوعي الثقافي والاجتماعي"[1] وأوضح أن كل ذلك يقع ضمن مسؤوليات النسوية. التي هي حركة وعي مجتمعي تفكك الخطاب الاستشراقي.

فصـــول الكتاب شـيقة، لأن إجابات المفكر والباحث الغرباوي كانت ردا على أسئلة مهمة جدا، يمكن أن تطرح على مر الأزمان. وردوده مشوقة وموثوقة، تشجع على قراءتها ومتابعتها.

قهر المرأة

لقد خصـص الكتاب فصـلا عن قهر المرأة لأهميته البالغة، بل "يعد القهر الذي تتعرض له المرأة موضـــوعا عالميا وليس موضـــوعا عربيا، فكيف تقهر المرأة من وجهة نظركم؟"[2]، هكذا ســـأل د. محمود محمد علي. فأجاب: يعني قهر المرأة اصـــطلاحا: "حالة نفســـية ســـلبية تتعرض لها المرأة من جراء مواقفها أو مواقف ذكورية ظالمة"[3]. وأوضـح: إن الحالة النفسـية "ردة فعل لا شـعورية، تخلق أجواء نفسـية لدى المرأة من جراء مشاعر أو سلوك أو موقف يثير حالتها النفسية والعصبية"[4]. ثم استعرض خلال رده على السؤال، أسبابا موضوعية وراء قهر المرأة وشرحها بشيء من التفصيل بحيث عالج الكثير من الأسباب بطريقة سلسـة، فكما نعلم أن معرفة الأسـباب يعتبر جزءًا

1 - المصدر نفسه.
2 - المصدر نفسه، ص 79.
3 - المصدر نفسه.
4 - المصدر نفسه.

من حلها فكيف إذا وجد السبب والحل معاً وهذا ما ستجده أيها القارئ العزيز في هذا الفصل من هذا الكتاب الرائع.

مكونات الوعي النسوي

الفصل الثامن حمل عنوان: مكونات الوعي النسوي وارتهانات تشكيله. حيث دار الحديث فيه عن المساواة وما هو الأساس الذي تقوم عليه؟ هل هو بيولوجي أم يتعدها على ذات المعاني بل يتجاوز ذلك إلى المعاني ذات الصلة بعلاقات القوى بين الجنسين. وهل الاختلاف سواء كان بيولوجيا أم أوسع، موجب لقهر المرأة؟. ثم استعرض السائل مجموعة إشكاليات تخص المرأة، وذكرت أجوبة عدة من زوايا نظر مختلفة، وهنا علّق الأستاذ الغرباوي على ذلك بقوله "برأيي لا يمكن حسم الموضوع إلا من قبل المرأة نفسها، شريطة أن لا تنطلق من عقدة المظلومية والشعور بالنقص وتحدي الرجل وسلطته، ورغم مشروعية مطلبها، ورغم الاعتراف بما لحق بها من قهر وتنكيل، يجب عليها أولاً أن تعي ذاتها وانسانيتها واستقلاليتها، وتعي حدودها كي تتعاطى مع مطالبها تعاط موضوعي إنساني متوازن يأخذ بنظر الاعتبار خصائصها الوظيفية والنفسية والجسدية بحكم أنوثتها وتكوينها النفسي والفوارق البايولوجية"[1]. وأضاف "إن الفلسفة النسوية تقوم على وجود وجهة نظر خاصة بالمرأة، فهي تنظر إلى الإختلاف بين الجنسين، لا باعتباره اختلافا بيولوجيا فحسب بل يتجاوز ذلك الى المعاني ذات الصلة بعلاقات القوى بين الجنسين، والإختلاف من وجهة النظر النسوية لا يكون أبداً مبرراً للقهر) . كلام الأستاذ ماجد الغرباوي منطقي ومقبول ولا خلاف عليه فقد بين بشكل واضح ما للمرأة وما عليها وذلك لا غبار عليها .

1 - المصدر نفسه، ص 91.

المرأة والنظام الأبوي

يقصد بالنظام الأبوي اصطلاحا، كما جاء الفصل التاسع من الكتاب: نظاما اجتماعيا عموديا، يقوم على سلطة الأب ويتقوّم بالتبعية والانقياد واستعباد المرأة. ومازالت قيمه تسري، ضمن الأنظمة المتذبذبة بين الحداثة وقيم الآباء. والنظام الأبوي وليد شرعي لقيم العبودية، التي ارتهنت وعي البشرية ردحا طويلا من الزمن. لكن الأستاذ الغرباوي سجل عليه "عدم شموله لمصاديق أخرى للهيمنة، التي لها ذات السلطة الابوية فالتعريف ليس جامعاً مانعاً بالمفهوم المنطقي لذا أفضل تعريف له — والكلام للغرباوي – هو "النظام الابوي: "نظام الهيمنة الفوقية والانقياد الطوعي"[1].

ثم جرى الحديث في نفس السياق حول نقطة مهمة تتعلق بالأصول الفلسفية للتبعية. يقول عنها الأستاذ ماجد الغرباوي: اختلفت الآراء حول الأصول الفلسفية لتبعية المرأة في هذا النظام، وثمة تفسيرات لبدايتها، جميعها تكهنات، لعدم وجود حقائق تاريخية يمكن الاستناد لها، ولا يكفي ما كشفت عنه الآثار والأبحاث الأنثربولوجية وعلم الأجناس، وأغلبها قياس الماضي على النماذج البشرية البدائية في أستراليا والأمازون وغيرهما، فهي استنتاجات تخمينية واستقراءات ناقصة[2]. ثم استشهد بآراء أنجلس وفرويد وغيرهما، وناقشها نقاشا موضوعيا.

المرأة واللاندسكيب

خصص الكتاب فصلين لاستعراض مشاريع النسوية لدى اربعة شخصيات مهمة: رفاعة الطهطاوي، محمد عبده، عبد الوهاب المسيري، ويمنى الخولي.

ثم انتقل الحوار في الفصل الثاني عشر الى موضوع المرأة واللاند سكب. إذ ابتدأه د. محمود محمد علي بقوله: (يري البعض أن دراسات الأنوثة تنطلق من

---

1 - المصدر نفسه، ص 99؟

2 - المصدر نفسه، ص 101م.

الفرضية القائلة بأن المرأة عضو فاعل في المجتمع، غير أنها لا تحصل على حقوقها المفترضة، ولذا سعت المرأة بأن تقوم بتغيير مظهر سطح الأرض وتعديله "اللاندسكيب Landscape" بطريقة تختلف عن طريقة الرجل). فأجاب الأستاذ ماجد حول هذا الموضوع: يشتمل السؤال على مقدمات، ينبغي تحري صدقيتها، وأين نتفق أو نختلف معها، للتوفر على نتيجة موضوعية. المقدمة الأولى: (المرأة عضو فاعل في المجتمع)[1]. وهذا لا غبار عليه. ولا يمكن لأحد إنكاره إلا من كان ظالما لنفسه، معتدٍ أثيم. بل ليس في الكون سواهما. وهما يقتسمان مصيرا واحدا، وحياة مشتركة. أحدهما يكمّل الآخر، ولا يمكن الاستغناء عن بعضهما. ويكفي أدوار المرأة في الأمومة، وخدمة العائلة، ومشاركتها له في كثير من الأعمال. فضلا عن مسيرتها الحياتية في جميع المجالات. وتاريخها ومنجزاتها تشهد لمسيرتها. وهي مسيرة تاريخية. فالمرأة مضطهدة، مهضومة، وهذا معنى المقدمة الثاني: (غير أنها لا تحصل على حقوقها المفترضة). بفعل النظام الأبوي الذي يهمّش الأنوثة، ويمجّد الذكورة، بدوافع نرجسية واستعلاء جنسي. وقهر لتحديها الوجودي، المتمثل بتوقف وجوده على وجودها[2]. مما حدى بها بعد مسيرة طويلة من المعاناة، استعادة شخصيتها من خلال المطالبة بحقوقها وانتزاع اعتراف إنساني بها.

(ولذا سعت المرأة بأن تقوم بتغيير مظهر سطح الأرض وتعديله (اللاندسكيب Landscape بطريقة تختلف عن طريقة الرجل). وهي المقدمة الثالثة[3].

ثم تطرق الأستاذ ماجد الغرباوي في هذا الفصل إلى موضوع الجندر بطريقة تجعلك تفهم هذا المصطلح وارتباطه بالوضع الراهن الذي يعيشه العالم وخاصة فيما يتعلق بالمرأة.

---

1 – المصدر نفسه، ص 137.

2 – المصدر نفسه، ص 138.

3 – المصدر نفسه

الأبعاد السياسية في العلاقات بين الجنسين

الابعاد السياسية في العلاقات بين الجنسين عنوان لافت، تحدث فيه الباحث في الفصل الثالث عشر من الكتاب، عن مدى تأثير الدولة والسياسية على العلاقة بين الجنسين، وهل النسوية نظرية ذات بعد سياسي يؤكد على أن للدولة وللسياسات العامة وللمؤسسات تأثيرا على العلاقات بين الجنسين، وبالتالي هناك فارق بيولوجي طبيعي بين الجنسين؟. فتساءل الأستاذ ماجد: لكن هل يلزم من الفارق البيولوجي: تفاوت القدرات العقلية والقيمة الإنسانية حداً يقتضي مركزية الرجل ودونية المرأة، وهو ما تؤكده منظومة القيم الأبوية؟. أو هل يلزم من الفارق البيولوجي تبرير صلابة ورسوخ ثنائية الجنسين، وعدم هدرها. والتمركز حول الأنثى في مقابل التمركز حول الذكر، والسعي لإحلال الأنوثة محل الذكورة، وهو ما تتبناه النسوية الراديكالية المتطرفة؟[1].

فالنظرية المشار لها في السؤال وليدة النسوية الراديكالية المتطرفة، حيث تستدل لتأكيد رؤيتها، بتأثير الدولة ومؤسساتها وسياساتها على العلاقات بين الجنسين، حينما تتحيز للذكر دون الأنثى. ولا يخفى حجم التطرف في هذه النظرية وهي تصر على الفصل بين الجنسين، لكن لا ينكر دور الدولة وتحيزها للذكر دون الأنثى في دوائر القرار، وإدارة مؤسساتها.

الموقف من المدارس النسوية

في الفصل الرابع عشر بين الباحث الغرباوي موقفه من المدارس النسوية: النظرية النسوية الاصلاحية، النظرية النسوية المقاومة، والنظرية النسوية المتمردة. وكانت ردوده وافية. واختتم حديثه بملاحظة، مفادها: أن مشكلة المرأة ليست مشكلة أنثوية خالصة، ولا ذكورية متسلطة، بل مشكلة ثقافية عامة، يشترك فيها الفرد والمجتمع. فلايكفي التركيز على حضور المرأة، رغم أنه شهادة عملية تعزز إنسانيتها، لكن

---

1 - المصدر نفسه، ص 149.

ينبغي أيضـــا إعادة تشـــكيل الوعي من خلال تفكيك الأنســـاق الثقافية والمهيمن الفكري، وتشـكيله على أسـس إنسـانية، ينظر للمرأة نظرة إنسـانية عادلة، خالية من الدونية والنظرة الســـلبية. بعيدا عن خصـــوصـــياتها، التي تفرضـــها طبيعتها. لكن الخصوصية لا تعني الدونية بأي شكل من الأشكال. فهي ليست نقصا تكوينيا، بل كمالا ينسجم مع دورها الحياتي. فكما لا يكتمل الرجل إلا بخصوصياته، فكذا المرأة مع خصوصياتها[1].

الوظيفة البيولوجية للمرأة

هل هناك قيم ثقافية تم الصـــاقها بالمرأة بالاعتماد على هذا الفارق البيولوجي أو الجنســـي؟. أي أن ثمة قيم مكتســـبة تعتمد على الوظيفة البيولوجية للمرأة والوظيفة التشـريحية التي خصـتها بها الطبيعة وهي قدرتها على الحمل والانجاب؟. هذا السـؤال طرحه الدكتور محمود محمد علي في الفصل الخامس عشر من كتاب النسوية. فأجاب الغرباوي: لا يخفى أن الوظيفة البيولوجية للمرأة كانت وراء تصـنيفها[2]. فهي بالنســبة للرجل جسـد وطبيعة بيولوجية مغايرة. وثمة اختلاف في تفصـيلات جسـديهما. المرأة تحمل وتلد وتحيض وتعترضـها حالات نفسـيه خلال حملها وولادتها. وينتابها ضـعف وإرهاق. مشـــدودة للعواطف والرومانســـية. كما يجدها مرتهنة لقوته وإرادته جنســـيا، يمكنه قهرها أو تجاهلها. وهنا هو لا يفسر الاختلاف تفسيرا إنسانيا، أو تكامليا كما نفهمه بعد تطور مختلف العلوم، ولا يجد ســـوى الاختلاف البيولوجي علة لذلك. وتبقى المرأة بالنســبة له رَحَماً ومبيضـــين. فالدونية قدر طبيعي، وليس ظلما أو عدوانا ضدها. بل أن أنوثتها تقتضي اختصاص الرجل بتدبيرها، وتحديد وظيفتها[3].

---

1 - المصدر نفسه، ص 160.

2 - المصدر نفسه، ص 163.

3 - المصدر نفسه.

وقد حمل الغرباوي الفهم الخاطئ للأديان والثقافات مسؤولية النظرة الدونية للمراة ودورها في المجتمع .

سوء فهم الخطاب الديني للمرأة

في الفصل السادس عشر تحدث د. محمود محمد علي عن سوء فهم الخطاب الديني للمرأة، حيث أكد أن النسوية الإسلامية كما يزعم أنصار النسوية الأوربية تعاني من مشكلة التمييز بين الرجل والمرأة، حيث يتصورون بأن الإسلام هو من أكد على أن الذكر هو من حدد ما يجب أن يمنح للمرأة[1]. وأضاف السائل أن مشكلة التمييز تظل مشكلة عالمية، كل النساء عانت منها. حتى تبلورت نظرة دونية للمرأة. وتم تنميط لدور المرأة داخل الزواج والأمومة، حيث توجد حالة من تنيمط الدور الأمومي والزواجي وحالة من الاقصاء والتهميش للمرأة؟. وهنا أجاب الأستاذ ماجد الغرباوي: وبالتالي لا خصوصية للإسلام، مادامت القضية عالمية تاريخيا... المنطق الذكوري هو المنطق الذي ساد الحياة البشرية، ولا قياس على الأمثلة النادرة. ولا أدري مدى صحة تفصيلات مرحلة الأمومة، ولو صحت فأيضا الذكر كان وراء تقديس المرأة، لأن بنية الوعي كانت وما زالت بنية ذكورية، مادامت المسألة أبعد من الجانب الوظيفي وأدوارهما في الحياة[2]. ويؤكد على أن الإسلام ينتمي كدين وثقافة وعقيدة وروابط اجتماعية لبيئته وثقافته هدفه مكافحة الشرك والتصدي للكفر وانتشال الوعي من لوثة عبادة الاوثان و الأصنام وسيادة العدل. وعندما تولى قضايا المرأة لم يقدم فهما للأنوثة يبتعد بها عن الوعي المألوف وادوارها المرسومة مسبقا "المنزل ورعاية الأطفال وخدمة الرجل" وانما طالب الرجل بالرفق والعدل والإنصاف ورعاية خصوصيتها في تعامله معها.

---

1 - المصدر نفسه، ص 175.

2 - المصدر نفسه.

من خلال بيان الأستاذ ماجد الغرباوي لهذا الأمر اتضح مدى عمق دين الإسلام فيما يتعلق بالمرأة ككائن حساس رقيق وفند فكرة الغرب فيما يتعلق بهيمنة الرجل على المرأة في ديننا الإسلامي السمح.

النسوية الراديكالية المتطرفة

أكد المفكر العراقي ماجد الغرباوي: لست مع جميع مطالب النسوية خاصة ما تتبناه النسوية الراديكالية المتطرفة. وقصد بكلامه كما هو واضح في هذا الفصل أن يتعاطف مع الثورة النسوية المتوازنة التي قامت ضد تداعيات التفوق الذكوري الذي افضى إلى تهميش الأنثى فهي دعوة لاستعادة إنسانية المرأة أساساً للمطالبة بحقوقها[1]. وهنا أتفق مع الأستاذ ماجد في هذا الخصوص فلو طالبت المرأة بفكرة التفوق الذكوري وبناء مجتمع البطريركي الابوي إذاً بهذه الحالة ستنقلب الموازين وسيكون هناك ظلم ونعود إلى الوراء في هذه النقطة، فالمرأة يجب أن تكون منصفة في هذا الخصوص وتكون واقعية في تحديد مطالبها بشكل منطقي وعقلاني.

المرأة وقوانين الطبيعة

في الفصل الثامن عشرة بعنوان: المرأة وقوانين الطبيعة. طرح د. محمود محمد علي سؤالا، مفاده: ماذا نعني أن المرأة كوجود طبيعي أي مثلها مثل الرجل تخضع لقوانين الطبيعة. وما يميز المرأة عن الرجل أن الطبيعة خصتها ببنية تشريحية تسمح لها بالحمل والإنجاب، كما خصت الرجل ببنية تشريحية أخري تسمح له بالإخصاب هذا الفارق البيولوجي هو فارق طبيعي؟[2]. وهنا أجاب الغرباوي: ثمة قصدية وراء هذا الكلام مفادها إرتهان أدوار المرأة في حدود الأسرة والأمومة للفارق البيولوجي فتبدو الأنوثة حتمية بيولوجية مفروضة عليها ومسألة خارجة عن ارادتها، ولازمة نفي مسؤولية

---

1 - المصدر نفسه، ص 185.

2 - المصدر نفسه، ص 193.

النظام الابوي والمنطق الذكوري والأمر يعود للطبيعة التي كيفتها مع مهام الأمومة بما يناسب انوثتها كما أن وظائف الرجل مرتهنة للعامل البيولوجي فكذلك المرأة[1].

إن فطنة وذكاء الأستاذ الغرباوي في اجابته على هذا التساؤل يجعل من المرأة سعيدة لأن من يحاول أن يقلل من شأنها ويقلل من موقعها قد فُندت من خلال هذه الإجابة الصارمة والواضحة لهذا وأنا كامرأة أرى إن الأستاذ ماجد الغرباوي منصف جداً في مناصرته لقضايا المرأة فهو غير منحاز في اجاباته حول كل التساؤلات السابقة.

التحيّز ضد المرأة

كان موقف الأستاذ ماجد في الفصل التاسع عشر، صارما من جميع أشكال التحيز والتمييز التي عانت منها المرأة. وكان في موقفه هذا بصدد الرد على سؤال السائل، الذي جاء فيه: (... فهل يعتقد الأستاذ أن النسوية – كإطار فكري وفلسفي وحركة سياسية – تمثل توجها يدافع عن حقوق المرأة، ووضع حد لأشكال التحيز والتمييز التي عانت منها المرأة على مدى التاريخ؟)[2]. يقول: لا شك أن الأطر الفكرية والفلسفية التي تم التنظير لها، ارتقت بالنسوية من مستوى حركة سياسية – اجتماعية ترفض الذكورية التي شكّلت وجودها القيمي، وتطالب بحقوق المرأة ومساواتها به إلى وضع أطر نظرية وفلسفية تتحرى الأسباب الحقيقية وراء دونية المرأة، ومعالجتها من خلال طرح بدائل فكرية وفلسفية، تسمح برؤية الهوية الحقيقية للمرأة، وأبعاد شخصيتها التي تستقل فيها عن الرجل، رغم اختلاف النتائج[3]. ونسب وعي المجتمع للمرأة ودونيتها لثقافة اجتماعية متأصلة، مصدرها فهم خاطئ للدين وقيمه، وقيم النظام الأبوي والاستبدادي والذكوري، وطالب بطرح بدائل للنظام الابوي

1 – المصدر نفسه، ص 193.

2 – المصدر نفسه، ص 199.

3 – المصدر نفسه.

والحتمية البيولوجية تستعيد المرأة كائنا انسانياً سحقته قيم العبودية . هذا الربط الرائع من قبل الأستاذ الغرباوي يجعلنا نعيد حساباتنا ألف مرة فمن خلال التشريعات السماوية ستجد المرأة حقوقها التي أخذت منها عنوة جراء الجهل والظلم الذي يبتعد عن كل تلك التشريعات وهذا ما أكد عليه.

حجاب المرأة

لقد كان موقف الأستاذ الغرباوي من الحجاب مفصلاً في الفصول الثلاثة الأخيرة من الكتاب. حيث تناول موضوع حجاب المرأة من جوانب عديدة. منها باعتباره زياً من الأزياء، يحدد انتماء المرأة لثقافة ما. وباعتباره واجبا شرعيا تفرضه الأديان. وقد حذر من المغالاة واللامبالاة من حجاب المرأة فكلاهما موقف غير صحيح. مادام الحجاب يعبر عن قناعة، مهما كان مصدرها. ثم نبه الأستاذ الغرباوي إلى أنواع الحجاب من حيث دوافعه وغاياته، بما يلي[1]:

1- امرأة ترتدي الحجاب عن وعي، باعتباره شَعيرة دينية، تخص المرأة، وتجد فيه كرامتها وعدم ابتذالها.

2- حجاب تفرضه العادات والتقاليد. يكسب المرأة مكانة اجتماعية، سواء التزمت بتعاليم الدين أو لم تلتزم. أم كان التزامها شكليا، فجميعه لا يؤثر، المهم أنها تجد في الحجاب ذاتها وتؤكد وجودها وتكرّس انتماءها، فيكون الحجاب هوية ورصيدا رمزيا، يضمن لها مكانة اجتماعية متقدمة.

3- وثمة حجاب يخفي تحته تمردا أنثويا وصدى لشراسة القمع ومعاناة القلق المصيري ورثاثة القيم والتقاليد ومصادرة حقوق الحريات والمساواة.

---

1 - المصدر نفسه، ص 218 – 219.

4- امرأة تكره الحجاب لديها نزوع للتحرر الراديكالي المتطرف، قد يكون ردة فعل ضـــد ثقل الموروث الاجتماعي، فهي تبحث عن هامش من الحرية لتتمرد عليه، فيكون هدفها الأساس ممارسة حرية متطرفة.

5- امرأة تعتبر تبعا لتقاليد مجتمعها الحجاب مقياسا لشرفها، يرتفع طرديا بزيادة عدد قطع القماش التي تلتحف بها، وبقدرتها على التواري عن الرجال.

ويستـنتج الأسـتاذ الغرباوي مما تقدم أن المطالبة بإعادة قراءة حكم الحجاب في الشـــريعة، ودعوات خلعه، وحالات التمرّد عليه، في مقابل دعوات التمســـك به، تتقاسمها أسباب ذاتية وموضوعية. يمكن رصدها[1].

***

وصـــلنا للمحطة الأخيرة من هذا الكتاب القيم الذي يعتبر إضـــافة رائعة لكل قارئ. تضمن الكثير من الآراء والأبحاث للأستاذ ماجد الغرباوي حول مسائل كثيرة متشعبة حيث أماط اللثام عن أمور من صعب فهمها وشرحها إلا انه ذلل صعابها. فكان أسلوبه في هذا المجال ممتعا وشيقا، وشاملا لجميع موضوعات الفلسفة النسوية ..شـكري وتقديري للمفكر والباحث الكبير الأسـتاذ ماجد الغرباوي على إجاباته، وشـــكرا للدكتور محمود محمد علي على أســئلته القيمة التي كانت وراء هذا العرض الممتع لموضوع النسوية.

1 - المصدر نفسه، ص 219.

الحركات الإسلامية
قراءة نقدية في تجليات الوعي
لماجد الغرباوي

بقلم: الأستاذة آية محيي الدين[1]

مازال الإنسان منذ القدم، يسعى إلى تحقيق المساواة، وبناء مجتمع يسوده العدل، وينعم فيه بحقوقه المشروعة، غير أن الانظمة الوضعية التي بُنيت على أنقاض البسطاء والكادحين، قد فشلت في ذلك. لتصبح الحركات الإسلامية الأمل الوحيد أمام المحرومين لنشر العدل وبسط الأمن والرفاهية والاستقرار، بعد التحرر من ظلمات الأنظمة الحاكمة ونير الاستبداد. وقد تمكنت هذه الحركات من خداع البسطاء عبر وعود كاذبة تبشّر بالعدل والمساواة. وقد رفعت في حينها شعارات براقة، كـ"الإسلام هو الحل" أو "القرآن هو الحل"، أي لا حل إلا ما تطرحه الشريعة الإسلامية. وبالفعل نجحت هذه الحركات في إعداد قاعدة شبابية متدينة، كوّنت فيما بعد ظاهرة اجتماعية واسعة[2].

مما لا شك فيه ان الحركات الإسلامية، قبل الدخول في السياسة، كانت أحد مصادر الوعي الديني، إضافة إلى دورها الهام في مواجهه الاستعمار والاستبداد، خاصة استبداد الحكّام الظالمين. (وقد تعاطفت الجماهير المسلمة مع التيارات الدينية، بعد فشل الأنظمة الوضعية، في تحقيق الحد الأدنى من الرفاه والحرية، خاصة وأن

---

1 - كاتبة مصرية – ماجستير علوم سياسية

2 - الغرباوي، ماجد، الحركات الإسلامية.. قراءة نقدية لتجليات الوعي، مؤسسة المثقف، سيدني – أستراليا، والعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، 2015م، ص 8.

الحركات الإسـلامية كانت وما زالت ترفع شـعارات إسـلامية، بقيت أملاً في نفوس الناس، ثم راح الخطاب الإسلامي يتمادى في تغذية المخيال الشعبي من خلال رسم صور حالمة عن نظام الحكم الديني، وحجم الرفاه والسعادة في ظل اقتصاد إسلامي، ينعم بالمساواة والعدل، ينعدم فيه الفقير والمحتاج، لا فرق فيه بين الحاكم والشعب في تطبيق الأنظمة والقوانين، فضـلا عن ثواب الآخرة جزاء لصـبر الانسـان وثباته في تطبيق شريعة الله على يد الدعاة الميامين)[1].

لكن الحال قد تغيرت بعد دخولها عالم السياسة، ليصبح هدفها الرئيس قيام دولة إسلامية، فاتخذت، وهي تسعى لتحقيق هدفها، منحنى بعيداً عن الدين. وأصبحت السـلطة هدفها ولو بالقوة. فكانت خطوتها الأولى التشـبث بالعنف والإرهاب. فانعكس سـلوكها المتطرف سـلباً على الإسـلام والمسـلمين. ثم توالى نشـوء حركات وفصـائل إسـلامية هدفها السـلطة فاشـتد الصـراع بينها حدَ الاقتتال، جميعها يقاتل تحت راية الإسـلام. وبهذه المناسـبة سـنتخذ من الله مثلا للدولة التي ابتلت بانتشـار الحركات المتطرفة. كما أن تجربة الحكم كشـفت الوجه الحقيقي للحركات الإسـلامية التي ارتكبت أخطاء جسيمة، واشتد في ظلها صراع السلطة وتفشي الفساد المالي والإداري.

كتاب الحركات الإسلامية

"الحركات الإسـلامية.. قراءة نقدية في تجليات الوعي"، كتاب نقدي للأسـتاذ ماجد الغرباوي، صـدر سـنة 2015م، عن مؤسـسـة المثقف والعارف للمطبوعات، يقع في 160 صـفحة، حجم متوسـط، تناول فيه نقد الحركات الإسـلامية بحثا عن حقيقتها، يقول المؤلف عن كتابه: (تعود كتابة هذه الأوراق لسـنين 2004-2006 ، فهي شـهادات حية تراوحت بين استدعاء الذاكرة خلال فترة ثلاثين عاما أو يزيد في صفوف المعارضة ، وبين معاصرة لسلوك الإسلاميين في السطلة "العراق

1 - المصدر نفسه، ص 7.

تحديدا"، فتمخضت عن رؤية نقدية لتجليات وعي الحركات الإسلامية المختلفة)[1]. مما أعطى الكتاب صفة تنظيرية – نقدية. فالكتاب يعبر عن تجربة شخصية ورصدا لسلوك الحركات الإسلامية في المعارضة والسلطة. من هنا تأتي أهميته، مما دعاني لتقديم قراءة عنه، عسى أن تكون بمستوى العمق الذي يتمتع به الكتاب، وتكون سببا للتنبيه حول أهميته لكل سياسي وكاتب يروم الكتابة عن هذه الحركات.

إشكاليات الوعي الحركي

تعاني الحركات الإسلامية مشكلة وعي، على صعيدي الذات والآخر، خاصة الآخر المختلف، دينياً وعقدياً وسياسياً. كما أنها تعاني أزمة وعي الذات وأسباب تخلفها وإخفاقاتها، دون أن تدرك ذلك. والغريب أنها لا تعي حجم التخلف ودرجة خطورته. ومازالت تعيش أوهام التفوق المعرفي والفكري والسياسي، وقد أحاطت نفسها ومنظومتها الفكرية والعقائدية بسور قدسي حرّم النقد والمراجعة. وحبست نفسها داخل أيدولوجيتها الفكرية والسياسية القديمة دون الانفتاح على الآخر، وعدم قبول أفكاره وآرائه وديانته[2]. فهذه الخطوة كانت كفيلة بظهور حركات أشد تطرفاً، لجأت إلى العنف لتحقيق أهدافها السياسية، مع رفض الآخر، ونعته بالكفر والشرك والانحراف لمجرد تعرضها للنقد من قبله.

تمثلت الحركات الإسلامية حديثاً بالتنظيمات الحزبية، التي تعد بمثابة اجواء روحية وتفاعلات وجدانية تمارس تغييب الوعي لتربح فردا مطيعاً مستسلماً، يتفاعل لا إراديا مع اهدافها وتنفيذ اوامرها دون نقاش. بل يعتبر النقد بمثابة عصيان أو سوء عاقبة تحول دون وصوله الى درجة اليقين[3].

---

1 - المصدر نفسه، ص 12.
2 - المصدر نفسه، ص 16.
3 - المصدر نفسه، ص 20.

لقد أثبت التاريخ ان بداية التقدم تكمن في التحرر من أسر الحركات الدينية المتطرفة، كما حصل في أوربا عندما رفض الشعب سلطة رجال الدين. لكنها لم تتحول إلى شعوب ملحدة عندما رفضت سلطة الكنيسة. وكل ما فعلته، حدت من سطوتها وتحكمها برقاب الشعب. وأعادت للدين دوره الإنساني، ولم تسمح لأحد بتوظيفه لمصالح سياسية، أو غيرها[1]. ومن يرد التقدم فليتحرر أولا من سلطة فكر الحركات الاسلامية.

الصنمية وأزمة الوعي

الوعى يعني مقاومة التزييف والمغالطات، وفضح الكذب والخداع. لذلك يعتبر الوعى شرطا لتصحيح مسار الحركات والاحزاب السياسية. أو تنهار بخموله ثم تموت. وكانت من جملة الآفات التي ابتلت بها الحركات الإسلامية على صعيد الوعي، ظاهرة الصنمية. وهي (شعور سلبي يهيمن على مشاعر الفرد حدَ الانبهار والقداسة المتعالية على النقد)[2]. تشبيها بعبادة الأصنام (وثنية أو بشرية). وهي حالة قد يصاب بها أي إنسان بمعزل عن تربيته وثقافته ووعيه، وبعيدا عن مكانته العلمية أو الدينية أو الاجتماعية. (إذا فخطورة الصنمية تكمن في خسران "الوعي" الذي تتوقف عليه مسيرة الحركة، كما أنها تفضي إلى استبداد القيادة ودكتاتوريتها، عبر فرض قراراتها على القاعدة، مهما كان حجم خطورتها وتقاطعها مع الأهداف والمبادئ التي آمنت بها)[3]. الصنمية ظاهرة خطيرة لا تقتصر على الاحزاب والحركات السياسية فقط انما تتوغل داخل الاوساط الثقافية الفكرية والدينية والقيادية مادامت تحقق مصالح شخصية وحزبية. تتجلى الصنمية عندما يدافع القطيع بقوة عن اخطاء قياداته، تقديسا لهم، مهما ارتكبوا من أخطاء، ومهما انغمسوا بالفساد المالي والسياسي. وهذا هو الخطر عنما يتحول القيادي الى شخصية مقدسة بفعل الصنمية، تدافع

1 - المصدر نفسه، ص 21.
2 - المصدر نفسه، ص 23.
3 - المصدر نفس، ص 25.

القواعد الحزبية عن أخطائه، مهما تفاقمت. وهنا يجب علينا كشــف المســتور من خلال ثقافة نقدية شجاعة، تكشف للناس حقيقة هؤلاء.

الحركات الإسلامية والصنمية

يعود اتساع ظاهرة الصنمية لدى الحركات الإسلامية إلى عدة أسباب منها:

أولاً: حرمة النقد الذي تفرضــه هذه الحركات على قواعدها، فتمهّد لا شــعورياً لظاهرة الصـنمية، وهذا هو تزييف الوعي، الذي تظهر تداعياته حينما يتعرّض الحزب لهزات داخلية، أو انشــطارات هرمية. أو عندما تفيق قواعده على ســذاجة الوعي، ضـعف المواقف، تخلّف الثقافة، هشـاشـة الفكر، استغلال القيادة وحجم الفسـاد[1]. تحريم النقد يعني استمرار الأخطاء وتفاقهمها دون معالجة جذرية تعيد للحركة توازنها. كما أن حرمة النقد تحجب الحقيقية عن الآخرين، فيتمادون في تقديس القيادات، تقديسا زائفا. والتقديس مظهر من مظاهر الصنمية.

ثانياً: المبالغة في تقديس القيادات العليا رغم بشريتها. وينسى هؤلاء ان القيادي مهما كان يبقى انسانا قد يُخطئ ويسرق ويساوم من آجل مصلحته الخاصة. لكنهم ينســون هذه الحقيقة، فيصــابون بصــدمة عنيفة، عندما يكتشـفون حقيقتهم ويقفون على أخطائهم وربما جرائمهم. ومثال ذلك اســلاميو الســلطة في العراق، فلم يمض وقت طويل حتى انكشـفت حقيقته، عندما انقلبوا إلى احزاب سـياسـية يبحثون عن مصالحهم الخاصة. فكان سلوكهم صدمة لبقية الإسلاميين.

ثالثا: الخطاب الديني بشــكل عام، والحركي بشــكل خاص يبالغ في تفســيراته الغيبية لسلوك قياداته، فيعتبرها لطفا وتسديدا وعناية من الله تعالى، وهذه التفسيرات تمهّد لتكريس ظاهرة الصنمية، وتساهم لا شعوريا في ترسيخها[2].

---

1 - المصدر نفسه، ص 27.

2 - المصدر نفسه ص 26.

رابعاً: الفقر الفكري والثقافي كان أحد أسباب ظاهرة الصنمية داخل الحركات الاسلامية. حتى تمكّن الخطاب الحركي من تحريك قوافل الشباب باتجاه الموت معبأين بإيمان أسطوري، فيفجّرون أنفسهم، يقتلون النساء والأطفال قربة لله تعالى، وينتحرون على أمل لقاء الله ورسوله بوجوه بيض، وسبب هذه الظاهرة، صنمية الفكر والشخصيات الحركية البارة[1].

الوعى وظاهرة الصنمية

يبقى تخلف الوعي سببا رئيسيا وراء المظاهر المختلفة للصنمية، ولولا رثاثة الوعي لما استطاع أحد التلاعب بمشاعر الآخرين، وما تقوم به داعش اليوم يعتبر (تجسيدا لصنمية أفكار تمّ صياغتها وفقا لتفسيرات وتأويلات شخصية، أو في ظلّ ثقافة، لا تفهم سوى تمجيد الموت، ونبذ الحياة، فاستطاعت من أجل تمرير أفكارها تقديم قراءات للنص الديني بعيدة عن الواقع، وها هي اليوم تلتهم كل جميل في الحياة، وتتركنا نهبا لليأس والموت البطيء)[2].

من جانب آخر هناك صنمية الأفكار التي هي اكثر فتكا، حينما تقدس الحركات الاسلامية افكارها وتحرم نقدها وتقويمها. صنمية الأفكار مارد يحطّم كل أواصر المحبة والإخاء، ويقضي على كل آمالنا ومستقبلنا، حينما ينجرف دعاة الفكرة، يقتحمون الموت، ويقاتلون من أجل الدفاع عن أفكارهم، بغض النظر عن رصيدها التاريخي والعلمي، وأكثر تجليا هي عقائد الفرق والمذاهب، التي تبدأ صغيرة ثم تنمو للتحوّل إلى تيار جارف أحيانا[3].

---

1 - المصدر نفسه، ص 28.

2 - المصدر نفسه، ص 29 و30.

3 - المصدر نفسه، ص 30.

شرعية النقد

ان هدف نقد الحركات الإســـلامية ليس زعزعتها والقضـــاء عليها كما يعتقد البعض. إنما يسـعى النقد إلى تأهيلها، سـياسـياً وفكرياً وعقائدية لتسـتطيع مواكبة الواقع، وتســـهم فعلياً في تغيره، بـداية من احترام الآخر وتنوعه الفكري والـديني والســـياســـي. فالهدف الحقيقي من النقد وفقا لماجد الغرباوي، هو (إعادة تأهيل الحركات الإسـلامية سـياسـيا وفكريا وعقيديا كي تكون قادرة على مواكبة المتغيرات الزمكانية، والعودة للمجتمع بقيم تســاهم في تعزيز وحدته وانســجامه، وتحترم تنوعه واتجاهاته، وليس الهدف الإطاحة بها أو تحجيمها)[1]. لذلك يجب على الناقد الكشف عن حقيقتها، وبيان ايجابياتها وسلبياتها بشكل واضح. ويبقى الخيار للشعب في قبولها أو رفضــها. هذا هو واجبنا تجاه الحقيقة، أما مع صــمت الجميع لأي ســبب كان، فسيكون سببا لاضمحلال مجتمعنا العربي. فالوعي وبيان الحقائق مسؤولية الجميع.

إن مشـكلة عدم تحقق استجابة مثالية للنقد بين قواعد الحركات الإسـلامية، أن أفرادها لا يقرأون عادة، ولا يتابعون النتاج الثقافي. وأدمنوا التلقين واعتادوا الإصــغاء بدلا من التعقّل والإدراك والقراءة والمتابعة. وتقتصــــر مســـؤولية الفرد داخل الحركة السمع والطاعة وعدم العصيان، فهو وفقا لهذه النظرية مكلف شرعا بطاعة مسؤوله، ولا يحق له التمرّد عليه، لأنه تمرّد على الولي، وهو حدّ التمرّد على الله[2].

يمكن للحركات الاسلامية مع رفض النقد والتقويم أن (تمارس سياستها بعيداً عن توظيف الدين لصالح ايديولوجيتها الحزبية)[3]. أو سيكون مصير الإسلام والمسلمين، مع اسـتمرار توالد الحركات الإسـلامية المتطرفة في خطر. ففي كل يوم تزداد الحركات الدينية تطرفاً، وتكون سببا لرمي الإسلام بسهام الجهل والتخلف، مما يعكس صورة شـوهاء لا تمت إلى الدين بصـلة. مثال على ذلك حكم الإسـلاميين في أفغانسـتان،

---

1 - المصدر نفسه، ص 42.
2 - المصدر نفسه، ص 48.
3 - المصدر نفسه، ص 52.

والأذى الذي طال الإســـلام نتيجة للجهل بحقيقة الإســـلام، وما تفعله ألاعيب السياسية. (كما أن بعض الحركات الإسلامية من خلال ممارساتها المتطرّفة تواظب، من حيث تشعر أو لا تشعر على قذف الإسلام بسهام الجهل والتخلّف بشكل مكثّف، لدرجة أن الخطاب التبريري ما عاد يكفي لردّ كل الشبهات والتوجسات من تصرفات التيارات الإسلامية المتطرفة)[1].

ان كثيرا من المسلمين ما زالوا تحت سياط الشرعية التي لم يفقهوا آلياتها، ما أدى إلى تضـــليل الوعى وعدم معرفة الحقيقة، لذلك يعتقدون أن ممارســـات الحركات الإسلامية المتطرفة تمثل موقف الدين الإسلامي الصحيح. هنا تكمن الكارثة. هؤلاء الاشخاص هم الأداة التي تستخدمها الحركات المتطرفة لاتساع قاعدتها، مما يؤدي إلى ترسيخ الظواهر المتطرفة باسم الدين واتساع فاعليتها السياسية والاجتماعية، لذلك لابد من ممارســـة النقد من آجل اظهار الحقيقة امام هؤلاء الناس لإنقاذهم من الوهم...

شرعية النقد.. التأصيل

إن أكثر ما يثير قلق الحركات المتطرفة هو الإنسان الواعي الذي يتصف بشدة الحســـاســـية ازاء التزوير والمغالطات ولا يتكيف مع الواقع أنما يعيش حالة من الثورة الداخلية ضد القيم المصطنعة لذلك يقف بوجه الخداع باسم الدين والإسلام وعدم الرضا باغتيال الحقيقة.

لذلك يجب نقد الحركات الاسلامية نقدا موضوعيا، للأسباب التالية:

1 – المصدر نفسه.

أولاً: تاريخية الحركات الإسلامية

ان أول مبررات نقد الحركات الإسـلامية هو تاريخيتها، و(يقصـد بتاريخية الحركة الاسلامية خضوعها لقوانين التاريخ، فهي كأي كائن تولد، وتنمو، وتكبر، وتشيب، وتستنفد أغراضـها، وتسـقط، وتتأثر بالمؤثرات الزمانية والمكانية، ويصـدق في حقها الخطأ والصواب، وتحتاج إلى إصلاح وتجديد ونقد ومراجعة، وقد تتماهى مع الزمان، أو لا تصلح له، فتنهار وتسقط. أي لها بداية ونهاية، وتصاب بالتلوث والشيخوخة والتشوه)[1].

فهي تخضـع لقوانين التـاريخ مثلها مثل أي كـائن حي. لكن قـادة الحركـات الإسـلامية يتنكرون لهذه الحقيقة، ومازال بعضـها يمارس لعبة السـياسـة اعتمادا على رصيدها الديني، رغم استنفاد هدف وجوده، وباتت بحكم الميتة، لا تجد سوى العنف والارهاب وألاعيب السياسة مبررا لوجودها. أو تحصن نفسها بأسماء دينية لتكتسب شرعية عالية، وتحقق رصيدا جماهيرا اكبر. يقول الباحث ماجد الغرباوي: (... ليس هناك أشـد مراوغة ولعبا من العناوين والأسماء الدينية، ولا أظن ثمّة أسماء تنطلي على الناس الطيبين كما تنطلي الأسماء الإسـلامية التي ترفعها تلك الحركات، لذا تراها تتحصن خلف أسماء شديدة في إيقاعها ودلالاتها لتُكسبها شرعية عالية تسمح لها باتخاذ مواقف أو ممارسـة سـلوك بدعم أسـطوري من تلك الأسماء، أو تمنحها تلك الأسماء شـهادة حسـن سـلوك لا تُسـأل بسـببها عما تفعل، وكيف تشـرعن القتل والتنـابـذ والاحتراب. فتجـد مثلا (حزب الله) حركـة تتكرر في عـدد من البلـدان الإسلامية، أو (أنصار الإسلام) أو (أنصار السنّة) أو (جيش محمد) وغير ذلك)[2]. هذه الاسماء تمنح الفرد قناعة اكبر حول شـرعية حركته ووجوب الدفاع عنها، ضـد خصومها السياسيين، وقد يتعدى الأمر ليصفهم بالكفر والالحاد. وهذا هو الشطط، أليس جميع الحركات تجتمع تحت راية الاسلام، فكيف يحرض بعضهم ضد الاخر؟.

---

1 - المصدر نفسه، ص 60.

2 - المصدر نفسه، ص 64.

وما يؤكد بشـرية هذه الحركات دراسـة تاريخها، كيف تكوّنت، والأموار التي تفد عليها. خذ مثالا حركة طلبان التي تاسست بأموال ودعم الولايات المتحدة الامريكية. وهناك حركات استعانت فيما بعد بمساعدات وأموال دول لأجل استمرارها. كما أنها حركات قد ارتكبت جرائم القتل، فضلا عن ممارسة العنف والتنابذ، حتى باتت خطرا يهدد الإسـلام. ولعل ما حدث في العراق أفضـل مثال على ذلك[1]. الحركات الإسـلامية تتحرك باسـم الدين والإسـلام، وتطمح تحت عباءة الشـرعية للوصـول إلى السـلطة، وحينئذ سـوف تملي علينا قوانين وأنظمة باسـم الإسـلام، وتمارس معنا شـتى الممارسات باسم الدين وهي لا تعدو كونها اجتهادات شخصية[2]. ويمكننا الاستشهاد بممارسات إيران الإسلامية التي قامت باسم الشريعة والدين بكبت الحريات، حتى أنها اغلقت صـحفا إسـلامية كانت تتبنى آراء معارضـة[3]. بالإضـافة إلى حركة طالبان في أفغانسـتان والحروب الطويلة بينها وبين فصـائل المقاومة الإسـلامية الافغانية التي راح ضـحيتها عدد كبير من المقاتلين. وفي الدول العربية، قد ارتكب العديد من الحركات الدينية جرائم مختلفة: التنابذ الطائفي، التشـبث بالعنف والإرهاب، التمثيل بالموتى. وقاموا بتفجيرات قتلت الابرياء، كل ذلك تحت مسمى الإسلام.

ثانياً: تعدد الحركات الإسلامية

المبرر الثاني لنقد الحركات الإسلامية هو تعددها مما يوضح لنا وجود اختلاف في القراءة والتأويل والفهم. ومن أسـباب التعدد هو الانشـقاق والتوليد حيث تتولد من الحركة الإسلامية عدد من الحركات الجديدة. فـ(الانشطار والتوالد أحد أبرز خصائص الحركات الإسـلامية، فعن الإخوان المسلمين "الجانب السنّي" انشقت أو تولّـدت حركات إسـلامية متعددة، والأمر ذاته بالنسـبة لحزب الدعوة الإسـلامية "الجانب

---

1 - المصدر نفسه، ص 65.

2 - المصدر نفسه، ص 66.

3 - المصدر نفسه، ص 67.

الشـــيعي. فما من حركة إلا وتجد جذورها في إحدى هاتين الحركتين، أو وُلدت في أجوائهما وتأثّرت بهما بشكل وآخر)[1].

وللانشقاق عدد من الأسباب منها:

– الاختلاف تجاه قضية معينه أو صراع حول الشرعية قد يكون سببا للانشاق. كل شخص يسعى لتقوية شرعيته، والحصول على أكبر عدد من الانصار. لذلك يصبح الفصيل الجديد في عيون الحركة القديمة، خائنا للوطن وللقضية وعميلا، رغم ان معظم الحركات الإســـلامية هي أدوات بيد دول أخرى، تعبث بالوقع من أجل مصالحها. بينما القراءات الموضوعية تفسر القضايا والاحداث وفقاً لمنطق الإنسان فتري الاختلاف والتعدد ظاهرة طبيعية تعكس وجهات النظر القائمة على تعدد الفهم للأحداث والقضـــايا كما أنها تنظر للإنســـان في نوازعه البشـــرية وليس هناك إنسان معصوم من الاخطاء كي نستثنى الحركات السياسية إذا الانشقاق أمر طبيعي ليس من الضروري من يكون له أسباب ذات عمق.

– وأحيانا يتجلى الانشـــقاق والتوليد عبر التراجع الفكري. ليتحول إلى تطرف كما حصل لبعض الحركات المنشقة عن الإخوان المسلمين مثل التكفير والجهاد في مصـــر كأنها دولة ليســـت مســـلمة فهذه الحركات مارســـت التطرف حتى مع الآخر المختلف مذهبياً معها واقترفت أعمالاً شـــنيعة مثل القتل وتخريب دور العبادة والتفجير...

– وأيضا يحدث الانشقاق والتوليد نتيجة الصراع على المواقع الحزبية حيث تبدأ كل حركة بعرض مساوئ قاداتها السابقين والمتاجرة بدماء الشهداء من أجل الحصول علي الشرعية.

نؤكد، كما يقول الغرباوي: ان كون الإنســـان متدينا لا يعني بالضـــرورة صـــحة وصـدقية جميع أعماله وتصـرفاته، أي أن تدينه لا يبرر ممارسـاته ما لم تكن متفقة مع الدين. غير أن الوعي الأيديولوجي يتخذ من تدين الإنســـان قاعدة لتصـــحيح جميع

1 - المصدر نفسه، ص 71.

أفعاله ومواقفه بل وتحليلاته السياسة وآرائه الفكرية وعلاقاته ومؤامراته، وكل شيء يغدو صحيحا شرعيا وفقا لضوابطه التبسيطية[1]. فلا غرابة حينئذٍ، كما يقول الأستاذ الغرباوي: أن لا تُصدر الحركات الإسلامية إلا أعمالا ثقافية وفكرية مكرورة ومستنسخه، تنفع في أحسن الأحوال للاستهلاك وتربية جيل متدن في وعيه وثقافته وفكره[2].

ثالثاً: نسبية المعرفة الدينية

فثمّة فارق جوهري بين النص كموضوع للقراءة والفهم من جهة. والفكر والمعرفة الدينية التي هي اشتغال على النص ونتاج بشري من جهة ثانية[3]. هذا ما ذكره الأستاذ ماجد الغرباوي نصاً للتمييز بين الدين والمعرفة الدينية. يضيف: (وإنما قلنا المعرفة الدينية لاستثناء النص (القرآن والصحيح من السنّة)، باعتباره مطلقا لا تشمله أحكام المعرفة الدينية التي هي قراءة وفهم له وليست هي النص ذاته)[4]. فنفهم من كلامه أن المعرفة الدينية نتاج بشري يتأثر بجميع العوامل الثقافية والعقدية والأيديولوجية، كما يتأثر بالعادات والتقاليد. إضافة إلى تأثره بميول المتلقي سواء كان فيلسوفا او مفكرا أو مفسرا. فلا توجد معرفة لا تحتمل الصواب والخطأ ما دامت نتاجا بشريا. وكدليل على تأثر الفهم البشري بقبلياته الثقافية، نظرب مثلا بتفاسير القرآن الكريم التي اختلفت رغم وحدة النص / آيات الكتاب. فإذا كان المفسر لغويا أنتج لنا تفسيرا لغويا وركز على بلاغة النص، وإذا كان فيلسوفا نراه يؤول الآيات تأويلا فلسفيا ويستخدم في كلامه مصطلحات الفلاسفة وأدواتهم كالوجود والعدم

1 - المصدر نفسه، 83.
2 - المصدر نفسه، ص 81.
3 - المصدر نفسه، ص 85.
4 - المصدر نفسه.

والماهية والقديم والحادث، وإذا كان يهوى العلوم الطبيعية يلوي عنق النص ليتطابق مع المكتشفات الحديثة[1].

حتى الاجتهادات الفقهية تتأثر أيضـــا بالظروف الزمانية والمكانية وبالمســـتوي الفكري والثقافي للفقيه، وهذا سبب اختلاف الفتوي من فقيه إلى آخر. والاختلاف لا يقتصـــر على الخلفية المذهبية وإنما يتعداه إلى اختلاف الثقافات والفكر والثقافة. فطبيعة البشر الاختلاف[2].

إذاً ليست المشكلة في أصل الاختلاف والتباين وإنما المشكلة الأساسية ثمّة من لا يعتقد بنسبية المعرفة الدينية، وإنما يتعامل معها بقدسية بالغة، ويصر على جزميتها ونهائيتها، ويرتب عليها آثارا كبيرة. يرفض التشـــكيك بها أو التقليل من قيمتها المعرفية[3]. يتخذها أســـاس لعدم احترام الآخر وتكفيره وتحليل قتلة ومحاربته من هنا نشأت الخلافات المذهبية.

وعليه ليســـت هناك معرفة دينية ثابتة أو مطلقة ما دامت تتأثر بانتماء الفقيه والمفكر والمثقف، وتتأثر بالظروف الزمانية والمكانية[4]. إن أحد أســـباب تخلف الفكر الديني وعجزه عن مواكبة مستجدات الحاضر، هو تمسكنا بآراء صاغها أسلافنا وفقاً لظروفهم ومستوي ثقافتهم وأفكارهم. بينما للحاضر متطلباته التي تقضتي آراء جديدا تواكب تطورات الواقع. إذا نسبية المعرفة الدينية تعد عاملا أساسيا في نقد الحركات الإسلامية، فهي مجرد اجتهادات شخصية تحولت إلى آراء مقدسة، وظفت لتكفير الآخر ورميه بالكفر والضـــلال. بما فيها المجتمعات الإســـلامية التي تختلف معها في الرأي، وسمحت بقتل الناس الأبرياء[5].

---

1 - المصدر نفسه، ص 87.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه، ص 91.

4 - المصدر نفسه

.

5 - المصدر نفسه، ص 93.

رابعاً: النصوص الدينية

النصـوص الدينية هي المبرر الأخير لنقد الحركات الإسـلامية. وربما هو الأهم بين المبررات السـابقة، لقوة فاعليته وتأثيره لدى شـريحة واسعة من الناس. (ويدخل النص بقوة في تشـــكيل الوعي وصـــياغة الحقائق. وأيضـــا يلعب دورا خطيرا في شـــرعنة الاستبداد السياسي، وتمرير القرارات الجائرة. ومازال النص مصـدر الاحتراب والتنابذ والتكفير، وأساسا لقتل الآخرين، ونسف جسور المودة والوئام، وتحطيم القيم الحضارية والإنسـانية. بالنص تآمروا على الحقيقة، وبه زوّروا التاريخ، وحولوا الدين إلى وسـيلة للخداع والتضـليل. فما من مؤامرة إلا وبجانبها نص يشـرعنها ويوجه حركتها، ويدافع عنها، ويكذّب أعداءها)[1].لذلك سـعى الأسـتاذ ماجد الغرباوي إلى نقد الحركات الإسـلامية من خلال النص، لاسيما النصوص التي اشتغلت على الآيات والروايات فأنتجت نصوصا لا زالت مقدسة في نظر الكثيرين. لذلك النقد هو السبيل الوحيد لمراجعة التراث، من أجل قراءة وفهم جديدين للآيات والروايات لفضـــح التأويل البشري لها.

قداسة النص

المقصود بقداسة النص، كما يرى الغرباوي، هو مرجعيته، وصدقيته، ومصداقيته، فلا يتسـرب الشـك إلى صـحة صـدوره، لأنه قطعي الصـدور كما يعبّرون، غني في دلالاته، متعدد في معانيه، إلهي في مصـــدره، لا يجوز تكذيبه، أو الطعن في صـــحة معانيه، صـالح لكل زمان، شـامل في مورده، كامل في مضـمونه، ليس فيه زيادة أو نقصـــان، لا ترقى له النصـــوص، وتبقى فيه مســـاحات مبهمة لا يدركها العقل البشـري[2]. بينما تعني القداسـة عند المؤسـسـات الدينية ورجالها الاقتصـار على نمط معين من التفسـير، وهي التفاسـير الرسمية، التي تكرّس مصـالحها وتضـمن اسـتمرار

---

1 - المصدر نفسه، ص 101 و102.

2 - المصدر نفسه، ص 103 و104.

ســـلطتها. فهناك فرق واضـــح في معنى الداســـة، بين ما يطرحه كتاب الحركات الإســـلامية، وما يتبناه الاتجاه التراثي التقليدي. والقرآن هو مصـــداق النص المقدس، فيمكننا وفق مفهو القداســـة الذي طرحه الكتاب، تقديم أكثر من قراءة لنصـــوص الكتاب بما يخدم مصالح المسلمين. في ضوء المنطق الداخلي له، ومددات التأويل.

شرعية النقد في ضوء النص

مارس القرآن الكريم النقد من خلال تقويمه لعمل الانبياء والمرســـلين، النموذج الإنساني الأول، رغم المستوى الأخلاقي الرفيع والقرب الأكيد من الله تعالى، فسجل على مسار المهام الموكلة لهم ملاحظات تقويمية لتسديد مسيرتهم، وبهذا يضع القرآن الكريم أساسا متينا لشرعية النقد[1]. بينما تجد كثيرا من الأوساط السياسية والدينية تبتعد عن المنطق العام للقرآن وترتكب موبقات وجرائم باســـم الدين لا تنســـجم مع قيمه ومبادئه. وقد عزز المؤلف كلامه عن شـــرعية النقد بمجموعة آيات وأحاديث نبوية[2]. فالحركات الإســـلامية أولى بالنقد من غيرها، لانتســـابها للدين، فيكون واجبا علينا نقدهم وتســـديدهم، وهذا ما يؤكد الحديث الشـــريف: (المؤمن مرآة أخية المؤمن). فالمؤمن بمثابة مرآة الآخر، تعكس جميع تصرفاته وأفكاره وتضعه في مواجهه أخطائه مباشرة.

المرأة.. التحدي الاصعب

ســـلبت الحركات الاســـلامية المرأة حقوقها التي منحها الإســـلام لها، واتهمت الحضارة المادية أنها السبب في اغواء المرأة ماديا وجسدياً حتى فقدت كرامتها وباتت في نظهرم خطرا يهدد البشرية. وكل ذلك بمنآى عن النص الديني. (ولا غرابة في ذلك فقراءة النص وفهمه وتفســـيره يختلف من فقيه إلى آخر ومن مفكر إلى مفكر. وكل

---

1 - المصدر نفسه، ص 105.

2 - أنظر: ص 105 و106.

قراءة تختلف في نتائجها عن الأخرى، لأن القراءة "أي قراءة" تتأثر بقبليات المجتهد أو المفكر أو المثقف، كما تتأثر بمكوناته المعرفية وخلفياته الفكرية والعقيدية والأيديولوجية. إضافة إلى ضرورات المنطق الداخلي للنص الذي يلعب دورا كبيرا في تحديد المعنى)[1].

لقد وضعت الحركات الإسلامية، بعد أن رفعت شعار التجديد والإصلاح، المرأة ضمن أولوياتها، ورسمت لها وظيفة جديدة بعيدا عن حضارة القرن الحادي والعشرين، وقيمها التي تأثرت بها المرأة المسلمة. بل وراحت المرأة المسلمة تندد بقيم الحضارة المادية البعيدة عن أحكام الشريعة وتعاليم الدين الحنيف. وأصبحت داعية تبشر بالأفكار الجديدة، دون تمييز بين القيم الأخلاقية والحضارية.

لم تتطور المرأة مطلقاً في ظل حكم الحركات الإسلامية كما حدث في أفغانستان وإيران والعديد من الدول الإسلامية التي صارت تهدر حقوق المرأة. ورغم حركات التحرر النسوية العالمية التي تدعو للمساواة بين الرجل والمرأة ...الخ. ما زالت المرأة المسلمة غارقة في ظل العادات والتقاليد، تأنس كونها نصف إنسان، عورة، شيطاناً مغرياً، لا يسمح لها بمجالسة الناس لأنه خلافاً للأعراف، ودائما عليها أن تثبت نقاءها وعذريتها، لا ثقة بها في أداء عمل سوى عمل البيت، تتعهد بتربية الاطفال لا يحق لها الخروج إلا بأذن زوجها. إي ان المرأة ليس لها إلا بيتها ثم قبرها، تلك هي المرأة نسبة للأوساط الشعبية. يقول الغرباوي: (إن وضع المرأة المسلمة ما زال كما هو قبل وبعد ظهور الحركات الإسلامية، ولم يطرأ على تفكيرها ما يؤكد مصداقيتها. فلا تغيير ملموس في وضعها الفكري والثقافي والإنساني، بل انكفأت المرأة تساعد الرجل على تحجيمها، وتبديد حقوقها، بعد انقلاب تذمرها إلى قناعة راسخة تتعالى على التمرد والرفض. فلا نخطئ إذا قلنا إن الفكر الحركي كان بالنسبة للمرأة أفيونا حقيقيا فاقم مشاعر النقص والتضاؤل أمام سلطة الرجل)[2].

---

1 - المصدر نفسه، ص 105.

2 - المصدر نفسه، ص 108.

ورغم وعود الحركات الإسلامية للمرأة بمستقبل أفضل تحت ظل الشريعة، إلا أننا لا نجد أمراه قد تولت منصــبا قيادياً داخل الحركات الإســلامية، وانما تحولت تلك الحركات الى عبء على المرأة وحياتها ومســتقبلها. بل الغريب ان بعض الحركات الإســلامية الســلفية لا تعترف بإنســانية المرأة. ويبقى همهما الوحيد حجاب المرأة، وكيفية الحفاظ عليه، وكأنه ليس للمرأة مشاكل أخرى تعاني منها.

حقوق المرأة ...مقاربة أولية

يري الأســتاذ ماجد الغرباوي: إن مســألة حقوق المرأة تتوقف على الاعتراف بإنسانيتها أولا وقبل كل شيء، ومن ثم الاعتراف بحقوقها السياسية والاجتماعية في موازاة حقوق الرجل... فثمّة رؤية ثقافية حجّمت سلطتها واختزلت إنسانيتها... لذا يجب تمكين المرأة من نفسـها، وإعادة ثقتها بإنسـانيتها، بقدرتها على منافسـة الرجل. كما يجب أيضا ضخ المجتمع بخطاب ثقافي يطيح بمنظومة التصورات الخاطئة عن المرأة وضــعفها، كي يتجاوز الرجل تصــوراته الخاطئة عنها ويرقى إلى مســتوى الشــعور بالمسؤولية تجاه حقوقها الأساسية.[1].

لقد منح الإســلام المرأة حقوقها العادلة، لكن هناك من لا يراعي العدالة، حتى في اســتنباط الاحكام وتفســير الآيات. فتجد بعض الفقهاء يحرمون المرأة حقها في الانتخابات والترشيح. رغم ان النســاء بايعن النبي صــلي الله علية وســلم، وقد ذكر القرآن ذلك صــريحا. وهنا آيات كثيرة تشــرع لحقوق المرأة، لكن الحركات الاســلامية فســرت آيات الكتاب، كما يحلو لها ويتناســب مع أهدافها، فنظرت المجتمع للمرأة ليس وليد الحاضر، بل ترسخت منذ قرون. (إذًا ليست مسألة حقوق المرأة منحصرة في الحجاب، وليس هناك من يدعوها إلى التنازل عن عفتها وكرامتها أو التســاهل في

---

1 - المصدر نفسه، ص 113.

حجابها، وليس هناك من يدعو إلى إهدار مكانتها، أو يطالبها بمغادرة بيتها، المسألة قبل كل شيء ثقافية تتعلق برؤية المرأة لنفسها، ورؤية المجتمع لها)[1].

الحركات الاسلامية والولاء الوطني

إن ولاء الحركات الاسلامية للوطن أمر يثير الريبة في النفوس. وثمّة شكوك تعصف بمصداقية ولائها الوطني، شكوك مبررة[2]. وأدبياتها تؤكد على تهمش الوطن وتسمح باستباحة مقدساته وتدمير هويته. وكأن مفهوم الولاء عندها، يختلف عن مفهومه لدى جميع الاتجاهات الفكرية والأيديولودية. ويظهر ان الحركات الإسلامية ليس لديها أسس فكرية ترتكز اليها في صياغة الولاء الوطني. لهذا لا تزرع حب الوطن في نفوس أتباعها. الوطن في مفهومها عموم الوطن الإسلامي وليس البقعة الجغرافية التي يسكنها الإنسان، بيهم روابط مشتركة تخص بهم دون غيرهم. فوطن الحركات الاسلامية، وطن لا تحده حدود. وإذا كانت هناك مفردة أو اثنتان للوطن في أدبياتها فتقصد به الوطن الإسلامي كما يرسمه المخيال الحركي. وهو باختصار (وطن لا تحده حدود، وإنما يمتد بامتداد الإسلام في كل مكان، ويعلو سلطته خليفة الله، ويمثل فيه أفراد الحركات الإسلامية جند الله الأمناء في أرضه. ففكرة الوطن فكرة خيالية لا تساهم في تشكيل هدف واضح تتحرك على هديه الحركات الإسلامية)[3]. إنها فكرة خيالية ونتاج ثقافة ماتت منذ قرون ظلت في طئ النسيان. ان ولاء الحركات الإسلامية يستبيح الاوطان ويسمح بقتل الأبرياء. فالولاء الديني عندهم لا يضاهيه الولاء الوطني. الأول مقدم على الثاني دائما. وهذا النوع من الولاء لم يأمرنا الإسلام به، ولا يعد ولاء لله ولرسوله. وليس الولاء الذي استطاع النبي والصحابة من خلاله نشر الإسلام. بهذا تبدو الآن واضحة أسباب تطرف الحركات الإسلامية، وأسباب

1 - المصدر نفسه، ص 118.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه، ص 119.

تشـــبثها بالعنف ولماذا لجأت للارهاب واســـتباحت اراقة الدماء ونهب الثروات. فالحركات الإسلامية تعتبر عبئا على الإسلام والمسلمين.

انهيار مفهوم الولاء الوطني

إن الولاء لله وللرسول والذين آمنوا لا يستلزم خيانة الوطن أو الاستهانة بمقدراته بحجة الولاء وإنما حب الوطن من الإيمان. ولا يسـتلزم اضـمحلال الولاء الوطني بهذه الدرجة المفجعة[1]. والأنكى من ذلك إنها لا تعي ما تأخذ من التراث، ففكرة أرض الإسلام وأرض الكفر، التي كانت أحد الأسباب الرئيسية وراء تلاشي الولاء الوطني هي فكرة سلطانية، بلورها فقهاء السلطة لأهداف سياسية تخدم الخليفة الإسلامي وتهيئ له مبررات غزو البلاد الأخرى والتحريض ضدها. وليس لهذه الفكرة بهذا القدر من الأحكام المترتبة عليها جذر ديني (آية أو رواية) يمكن ان يكون دليلا شرعيا لها[2]. هذا ما أكده الأستاذ ماجد الغرباوي وهو يتحدث عن انهيار الولاء الوطني.

إن هذه الحركات مازالت تقدّس التاريخ ولم تفكر باختلاف الظروف الزمانية والمكانية. فمثلاً، لم تقم الدولة الإســـلامية عبر التاريخ امتثالا لأوامر إلهية، بل كان وراء قيامها أسباب وظروف خاصة، في مقدمتها السياسية. فهي نتاج ظرف تاريخي، وليس تجســـيدا لحكم شـــرعي، فما الداعي لإحيائها في ظل ظروف مختلفة؟. فإنها سوف تواجه مشاكل كثيرة، كيف نقيم دولة ضم جميع المسلمين، مع اتساع أوطانهم وانتشارهم في جميع انحاء العالم؟ هل نخضع جميع الدول لسلطة الدولة الاسلامية، التي يحكمها خليفة المســـلمين؟. يبدو لي ان هذه الحركات لا تعيش على أرض الواقع. كيف نحكم شـــعوبا بعادات وتقاليد ولغات ولهجات وثقافات مختلفة تحت راية حكومة واحدة. وكيف يحكم خليفة المسـلمين شـعوبا لا يفهم لغتها؟. (لقد أفضـى هذا اللون من التفكير إلى تهميش الولاء الوطني، ووضـــعه في مرتبة متأخرة عن الولاء

---

1 - المصدر نفسه، ص 122.

2 - المصدر نفسه، ص 123.

الديني. ولم تتراجع عنه إلا بعض الحركات الإسـلامية تحت ضـغط الواقع كما حصـل بالنسبة للحركات الإسلامية العراقية التي عاشت ربع قرن في كنف الدولة الإسلامية / ايران)[1].

الحركات الاسلامية والارهاب

ان وصـف الحركات الاسـلامية المتطرفة بأنها حركات ارهابية بات أمرا لا شـك فيه، بعد أن تمادت هذه الحركات في اسـتخدام العنف والاسـراف بالقتل، وتدمير الحياة المدنية. وقد بات الإرهاب باسم الدين والإسلام خطرا حقيقيا يهدد أمن العالم وسـلامة الأمم، وباتت الحركات الإسـلامية المتطرفة عبئا أثقل كاهل العاملين والمصلحين. فـ(في كل يوم تفيق الشعوب على جريمة نكراء، يذهب ضحيتها النساء والرجال والأطفال. وكلما حاولت الذاكرة نسيان الماضي أيقظها انفجار هنا أو جريمة هناك. وكلما ارتكز الإنسـان الغربي إلى التسـامح في التعامل معنا جرّته دماء الأبرياء إلى التعصب والانكماش والرفض، وكلما اعتذر المسـلمون عن جريمة أفسـدتها جريمة أكبر)[2]. إن ما تقوم به الحركات الإسـلامية المتطرفة يتطلب مراجعة أسـسـها الفكرية والعقدية التي يصـدر عنها العمل الإرهابي، فهناك سـبب أعمق يدفع الفرد للانتحار والتصـحية بنفسـه. صـحح ان هناك أسـبابا نفسـية وسـياسـية وربما اقتصـادية وراء التصـحية بالنفس، لكن وراء سـلوك افراد هذ الحركات دوافع دينية، وليسـت ايديولوجية أو سياسية خالصة.

لقد ارتكبت الحركات الاسـلامة أعمالها باسـم الدين، جهلا منهم بحقيقة الفكر الاسـلامي الأصيل لقائم على التسـامح والمحبة. وقد اسـتغلوا النصـوص الدينية لنشـر أفكارهم التكفيرية، فلا سـلطة كسـلطة الدين قادرة على اقناع الناس. الاسـلام يدعو إلى: إعمار الأرض، احترام الآخر، تمثل الاخلاق والتمسـك بالقيم الانسـانية والدينية

---

1 - المصدر نفسه، ص 124.

2 - المصدر نفسه، ص 124.

السمحاء، وعدم الاستهانة بحياة الناس، وحرمة قتل النفس المحترمة. بينما التفجيرات الانتحارية، قتلت النســـاء والأطفال، وكل من يختلف معهم دينياً. إن منفذي التفجيرات الانتحارية يعتقدون ان الله يريد منهم ذلك وقد اصـــطفاهم على غيرهم. فهم أيضا ضحايا نقص الوعي الديني، وعدم تمييز الصواب عن الخطأ، حتى لو اجمع كل الدعاة الإسلاميين على حرمة هذا العمل، فلا يغير قناعتهم، لأنهم لا يؤمنون إلا بما تقوله الحركات الإسلامية المتطرفة التي رسخت في أذهانهم أنها تقدم لهم الشهادة على طبق من ذهب. (وبعبارة أوضح، إن الخطاب الديني أعاد تشكيل العقل الحركي على أســاس هجاء الحياة وعشــق الموت، كراهية الآخر وتمجيد الذات، إهمال الدنيا وتعمير الآخرة، كسب رضا الله تعالى بالتضحية والفداء لأي سبب كان. فلم يثقف الخطاب الديني قواعد الحركات الإسلامية على تبني العفو والرحمة والتسامح والمغفرة مع الآخر، وإنما تثقف على كره الآخر، والتخطيط لقتله واستئصاله. ولم يتثقف الفرد على سعة رحمة الله ومغفرته، وإنما تثقف على أن الله جبار السماوات والأرض، لا يمكن إدراك رحمته بالإيمان والعمل الصالح، وإنما بالتضحية والشهادة في سبيله)[1].

الوعى المبتور أساس العنف

تعد العراق من الدول العربية التي تعرضـــت للعنف والدمار على يد الحركات المتطرفة مثل ما يعرف بتنظيم الجهاد، تنظيم القاعدة والعديد من الحركات التي استخدمت العنف سلاح للنشر الفوضى والعدوان باسم الدين مما جعل العراق في حالة من الاضطراب مع كل تلك الحركات التي تقاتل بعضها البعض مستخدمة اسم الدين كتبرير لأفعالها، حتى وصل بهم الأمر الى اصدار فتاوى تكفيريه وتفعيل أحكام الجهاد، فقطعت رؤوس الأسرى، وقتلت الابرياء وهدمت دور العبادة، وحاربت كل من ينتمى إلى مذهب إسلامي مخالف لمجرد الاختلاف في الآراء، بالإضافة الى تضليل

1 - المصدر نفسه، ص 129.

الشباب الذي لم يكتمل وعيهم الديني واقناعهم بالشهادة في سبيل الله. كل هذا قبل ظهور داعش، التي ارتكبت أعمالا فظيعة، يندى لها جبين الانسانية.

لقد تكدست الحركات الاسلامية المتطرفة حتى أضحت دماراً وخراباً، لدرجة ان ضحاياً العنف من المدنيين الأبرياء وصل مئة الف مواطن (آنذاك) كما كشف مركز الابحاث والدراسات الاستراتيجية، أليس هؤلاء المئة الف مواطن مسلمين أيضا؟ والغريب أن هذه الحركات لم ينصرها الله تعالى على الكفار والمشركين، ولم تحقّق شيئا من أهدافها المعلنة في محاربة الأمريكان، أو الغزاة (حسب قولهم) وإنما زادتهم إصرارا وتعنتا، وبرّرت اجتياح المدن وقتل الأبرياء والعزل، كما في عدد من المدن العراقية[1]. ويتساءل الاستاذ ماجد الغرباوي في هامش الصفحة 137: (السؤال المحيّر، لماذا لم تتعبأ هذه الحركات ضد إسرائيل وهي تمتلك من القوة والمال والسلاح ما يفوق التوقع؟؟ أليست إسرائيل هي العدو الأول، وهي مغتصبة معتدية، وما تفعله بالفلسطينيين يوميا يندى له الجبين؟. هذا السؤال يضع الحركات الإسلامية المتطرفة في دائرة الشك بل الخيانة، والإنخراط في مشاريع تصب في صالح إسرائيل والقوى الإستكبارية العالمية، وضد مصلحة المسلمين والعرب).

لذلك وعي الحركات المتطرفة وعي ناقص مبتور، لا يمت للدين بصلة وإن كانت تلك الحركات المتطرفة تعمل لصالح أوطانها حقا، أليس الأفضل الجهاد ضد المحتل الغاشم الذي يستولي على عدد من مناطق العالم العربي بدل من قتل بعضنا البعض؟. أما لماذا لم يتطرق الكتاب لداعش بالذات، فقد بات واضحا من خلال مقدمة الكتاب أن مقالاته قد كتبت بين 2004 و2006.

الإسلاميون والسلطة

لقد خص الكاتب الفصل الأخير من الكتاب للحديث عن الحركات الإسلامية في العراق، باعتبارها أكثر البلدان العربية التي عانت وما زالت تعاني من ارهاب

---

1 - المصدر نفسه، ص 137.

الحركات المتطرفة. وقد بدأ حديثه عن خصائص الحركات الإسلامية، واتخذ من حزب الدعوة الاسلامية مثالا، للحركات الاسلامية السياسية. يقول:

امتازت الحركة الإسلامية في العراق، سيما الشيعية وخصوصا حزب الدعوة الإسلامية، على غيرها من الحركات بعمق التجربة وعراقتها وتنوعها. فالحركة الإسلامية عاشت مرحلة التأسيس التي تمخضت عن نظرية في العمل السياسي وكم من الآراء والأفكار السياسية، سبقتها إرهاصات وعي مبكر لدى طيف من النخبة المثقفة[1]. وهذا يكسبها خبرة كبيرة، ويضيف الاستاذ الغرباوي: ثم انتقلت الحركة إلى مرحلة العمل الدعوي والتبليغي، الذي قطعت فيه، خلال عشرين عاما، شوطا كبيرا على صعيد بلورة وعي جديد في مقابل الوعي القومي والاشتراكي (إن صح التعبير)، فتوغلت في عمق المجتمع العراقي وامتدت إلى كافة المؤسسات التعليمية والمهنية. وانتهى بها المطاف إلى مرحلة العمل السياسي داخل العراق وخارجه، فاكتسبت تجربة هائلة في العمل السياسي وفن الحوار، والتحالفات، وخلط الأوراق، وسرعة الحركة والاختفاء[2]. فهو يتحدث عن تاريخ مفصل عن حزب الدعوة، من موقع الاطلاع والخبرة السياسية في مسارها التاريخي، لذا يضيف: وتعرضت إلى الانشطار والاختزال والتآمر والاحتواء، لكنها نجحت رغم كل المحن والأحداث والرهانات على إسقاطها. وبعد مرور عشرين عاما كانت الحركة الإسلامية على رأس السلطة في العراق. وهذا واقع يشهد له كل من عاصرها، عبر المراحل المتقدمة. وهذا الأمر يؤهلها لمواصلة المسيرة ويكسبها قدرة على الانسجام مع المرحلة التي هي فيها، إذا ما أرادت ذلك، وقررت من وحي مسؤوليتها اتخاذ خطوات عملية على هذا الصعيد. لكن قبل ذلك ينبغي أن تعي ما هو المطلوب منها راهنا، وتعي الة التغيير وفقا لمستجدات الوضع[3].

إن المسيرة الطويلة، كمسيرة حزب الدعوة في العمل السياسية، تكسب اصحابها خبرة كبيرة، يمكنهم توظيفها لصالح مشاريعهم السياسية، متى ما تم استغلالها بطريقة

1 - المصدر نفسه، ص 139.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه.

صحيحة. لكن الحركات الإسلامية العراقية وقعت في مرحلة السلطة بأخطاء قاتلة. فمثلا ما زالوا يمارسون السياسة بعقل مرحلة المعارضة، علما أن لكل مرحلة اسلوبها وظرفها ومنهجها وسياسيتها. مرحلة السلطة تختلف عن مرحلة العمل في صفوف المعارضة السياسية، (ومن لا يعي الواقع لا يستطيع الانسجام معه، ومن لا ينسجم معه يتحوّل إلى عثرة في طريق الآخرين. وليس هناك فكر معصوم، أو أحكام نهائية، أو قناعات جزمية. وأيضا لا مجال لفرض الآراء، والتفرد والاستبداد، والتسلط. ويجب عليهم التخلي عن منطق الولاية، ومنطق الاستبداد المبطن، ومنطق الدولة الدينية، ومنطق الحمائم والصقور، ومنطق الحرس القديم، ومنطق الولاءات، ومنطق احتكار السلطة)[1].

إذاً يجب على الحركات العراقية إعادة صياغة ثوابتها الفكرية والسياسية لتكون أكثر انفتاحاً على الآخر. بينما باتت الدولة والسلطة أهدافا اساسية للأحزاب السياسية. وهذا يعني ضرورة التشبث بمنطق الدولة والسلطة، واستخدام نفس الأدوات السياسية التي يستخدمها الخصم، بلا حاجة إلى غطاء الدين وقباء الولي الفقيه، كما يصرح الغرباوي بذلك[2].

آفاق التجديد

يجب على الحركات الإسلامية العراقية تطوير نظريتها السياسية وعملها الحزبي لترقي الى مستوى السلطة بمفهومها الجديد، فلم تعد تلك الأفكار التقليدية التي لا تمت للواقع بصلة، بسبب مثاليتها الوهمية، صالحة للحكم. العراق بات نسيجا من التنوع الديني والمذهبي والسياسي والفكري، ولا يحق لاحد الاستحواذ على السلطة أو السياسة بسبب هذا التنوع الذي لا يناسب أرض الواقع، لذلك نحن بحاجة الى

---

1 - المصدر نفسه، ص 141.

2 - المصدر نفسه، ص 142.

تجديد يناسب المرحلة الحالية بداية من الاعتراف بالآخر وإمكانية التعايش مع التعايش معه، ثم الفصل بين السياسة والدين، فالحركات السياسية ليس دينية.

لأول مرة منذ زمن يتحدث قادة الحركيين في العراق عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والاعتراف بالآخر والتسامح ورفض الاستبداد الديني، تبدوا هذه خطوة جيدة من أجل دولة العراق الحديثة لكن يجب أن تكون هذه الأفكار صادرة عن قناعة فكرية وليس أمراً فرضته مرحلة السلطة. فالتقدم الحقيقي يكمن في أساليب عمل جديدة تتثقف عليها القواعد الحزبية بشكل يحقق نقلة نوعية لمواصلة العمل السياسي. أعتقد كما يصرح الغرباوي: أعتقد أن الحركة الإسلامية العراقية مؤهلة الآن لتحديث منظومتها الفكرية ونظريتها السياسية في ضوء انطباعاتها عن الدولة الدينية، التي عايشتها عن قرب وشاهدت إخفاقاتها. وأيضا في ضوء ما تختزن من تجربة ثرية اكتسبتها خلال المرحلة السياسية، وأخيرا اشتراكها في السلطة، وممارستها لنظام الحكم. وكل شيء بات مهيأ في ظلّ الإمكانيات المتاحة، وأجواء الحرية والانفتاح التي عمّت البلاد[1].

الحركة الإسلامية والديمقراطية

الديمقراطية التزام يتطلع كل حزب سياسي الى تجسيده والايمان به، وتكمن حقيقة الديمقراطية بهامش الحرية والاعتراف بالآخر وبحقوقه ورفض الاستبداد والتسلط وتبني حرية الرأي.. فهي ليست أراء نظرية مجردة، وانما ممارسة يومية. فهل مارست الحركات العراقية الديمقراطية؟

لا يبدو أنها مارست الديمقراطية حقيقة، كما يعتقد الغرباوي، بداية من استمرار القادة لأكثر من ربع قرن وتشبثها بالسلطة، وهذه أولى علامات الاستبداد

1 – المصدر نفسه، ص 145

السياسي[1]. ودليل واضح على احتكار السلطة، واعتبارها إرثا يتداوله أبناء القبيلة الواحدة.

كيف لهذه الحركات أن تتبنى مبادئ الديمقراطية وليس هناك تجديد على مستوى القيادة ولا الفكر، يبدو أن الحركات العراقية ستحكم على ذاتها بالموت الأكيد لأنها لا تلتزم بمبادئ الديمقراطية في أوساطها على الأقل. يجب معالجة تلك السلبيات، أو سيتداعى وضعها الداخلي. وليس أمام الحركات الإسلامية العراقية اليوم طريق سوى العودة إلى الذات، العودة إلى الداخل لبنائه بناء ديمقراطيا سليما، يتجسد من خلال التداول المستمر للمناصب القيادية، والتجديد المستمر للثقافة والفكر. وإلا فسيُحكم عليها بالموت الأكيد، أو العودة إلى المعارضة[2].

الحركة الإسلامية العراقية في مواجهه أبنائها

اتسمت بعض الحركات الإسلامية بكثافة النخب العلمية والثقافية. واستطاع الإسلاميون التوغل في الأوساط الجامعية والمنتديات العلمية بشكل لافت. حتى كادت الحركة الإسلامية العراقية تستأثر بعدد من المواقع العلمية والثقافية في نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن المنصرم[3]. لكنها لم تحتضن بعد استلام السلطة في العراق، هذه الكفاءات. وقد عمدت الى تشويه سمعة عدد كبير من الشخصيات الاسلامية واتهامها بالتمرد والخيانة، خوفاً من منافستها، واحتلال مواقع مميزة داخل الحزب، لذلك ظلت تراوح في مكانها دون أي تقدم. لم تضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وفضلت الولاء والطاعة على الكفاءة، لضمان السلطة.

---

1 - المصدر نفسه، ص 146.

2 - المصدر نفسه، ص 147.

3 - المصدر نفسه، ص 148.

شكر خاص

شــكراً للأســتاذ ماجد الغرباوي. كتاب ممتع، صــحح لدي كثيرا من المفاهيم، وسلط الضوء على احداث سياسية تدور من حولنا، ونحن تائهين في دروب الحياة. نحتاج الى مثقف مثلك ليعيدنا الى الطريق الصحيح.